الجمهورية العربية السورية
وزارة الثقافة

تاريخ معرة النعمان

تأليف
محمد سليم الجندي

حققه وعلق عليه ووضع فهارسه
عمر رضا كحالة

الطبعة الأولى ١٣٨٣ هـ

الطبعة الثانية

منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٩٤

فهرس الموضوعات

الصفحة

الصفحة

١٠٠٠ط٢/١٢/١٩٩٤

فهرس الموضوعات

(١) اي بني الجندي .

الجزء الثالث

الصفحة

الصفحة

(١) ذكر خطأ باسم لورس فليصحح .

الجمهورية العربية السورية
وزارة الثقافة

تاريخ معرة النعمان

تأليف
محمد سليم الجندي

الجزء الأول

حققه وعلق عليه ووضع فهارسه
عمر رضا كحالة

الطبعة الأولى ١٣٨٣ هـ

الطبعة الثانية

منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٩٤

تاريخ معرة النعمان / تأليف محمد سليم الجندي؛ حققه وعلق عليه ووضع فهارسه عمر رضا كحالة.-ط٢.- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٤.- ٣مج في ٢؛ ٢٤سم.- (سلسلة بلادنا؛ ٥).

صدرت الطبعة الأولى ١٩٦٣

١- ١٣١ر٩٥٦ ج ن د ت ٢- ٩٢٠ ع ج ن د ت
٣- العنوان ٤- الجندي ٥- كحالة ٦ السلسلة
مكتبة الأسد

الايداع القانوني : ع - ١٢٥١ / ١١ / ١٩٩٤

تــاريخ معــرة النعــمان
الجــــزء الأول

سلسلة بلادنا

« ٥ »

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المحقق

عهدت الي وزارة الثقافة والارشاد القومي السورية ، في ٩ كانون الأول ١٩٦٢ م ، بمراجعة مخطوطة تاريخ معرة النعمان للاستاذ المرحوم محمد سليم الجندي ، واستدراك ما فيها من نقص ، وتكملة المعلومات والاحصاءات التي ذكرها المؤلف ، وقد تجاوزها الزمن ، وحذف ما ينبغي الاستغناء عنه .

وقبل أن أشرع في تحقيق التاريخ المذكور ، رأيت من الواجب علي أن أرحل الى معرة النعمان للتعرف على معالمها ، واستطلاع أحوالها ، فقدمت اليها ، ورغبت الى مدير منطقتها الدكتور أكرم الخاني ، أن يمد الي يد العون في تقديم المعلومات والاحصاءات اللازمة للمؤلف المذكور ، فلبى طلبي ، وكتب الى الدوائر ذات العلاقة بجمع المعلومات المقترحة وارسالها اليه .

وقد رافقني في هذه الرحلة السيد فائز السراج ، احـــد موظفي المركز الثقافي بحماة ، لتصوير بعض معالم المعرة ، وكان مرشدنا في تلك الجولة السيد ناصر الجندي احـــد مساعدي المرحوم المؤلف في بحثه عن المعرة .

ولما عدت الى دمشق بحثت في العمل الموكول اليّ ، وشرعت افكر في ترتيب الكتاب وتنسيقه ، وظللت مدة افكر في تغيير ترتيب المؤلف وتعديله وحـذف مواد واثبات مواد اخرى ، وبعد البحث الدقيق والتفكير العميق رجحت أن اترك التاريخ المذكور على حاله ، وان اضيف اليه ما استجد من معلومات واحصاءات ، واعلق عليه تعليقات توضح الغامض منه ، وتعين القارىء على فهم مضمونه ، فضبطت كثيراً من الأعلام التاريخية والجغرافية ، وفسرت بعض الألفاظ والمصطلحات التاريخية ، المستعملة في بعض الأزمنة الغـابرة ، وقد أشرت برمز (ج) الى تعليقات المؤلف ، وسأتبع ان شاء الله بهذا التاريخ فهرساً مفصلاً يكشف للباحث ما يبتغيه بدون عناء ونصب .

أما المؤلف رحمه الله فقد عرفته في سنة ١٩٣٠ م ، حيث قدمني اليه الاستاذ المرحوم محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي

العربي بدمشق ، على طريقته في تشجيع الشادين ، فرد عليه المؤلف بكلمات تكشف عن نفس لا تؤمن بما يقال لها الا بعد التأكد من صحة القول .

وتلك ظاهرة لمستها في تأليفه ، حيث ينقل أقوالاً كثيرة في الموضوع الذي يعالجه ، ثم ينتهي به المطاف الى الشك بكل ما قيل فيه .

ومن أبرز صفات المؤلف انه شديد التمسك بدينه وقوميته مما جعله أحياناً يقسو على بعض الجماعات أو الأفراد ، فينعتهم بنعوت غير مستحبة ، وهي لا تزال بحاجة الى مزيد من البحث والتمحيص .

وأما مؤلفه تاريخ معرة النعمان فيضم بين جانبيه ابحاثاً متعددة ومتنوعة ، يمكنني أن اوجزها بما يأتي : تعريف معنى المعرة اللغوي والعرفي ، ذكر المعرة في شعر ابنائها وفي نثرهم ، المعرة في القديم ، المعرة بعد جلاء الترك عنها ، لغة المعرة وحياتها الدينية والاجتماعية ، خصائص المعربين ، سورية والفرنسيون ، طول المعرة وعرضها وارتفاعها عن سطح البحر

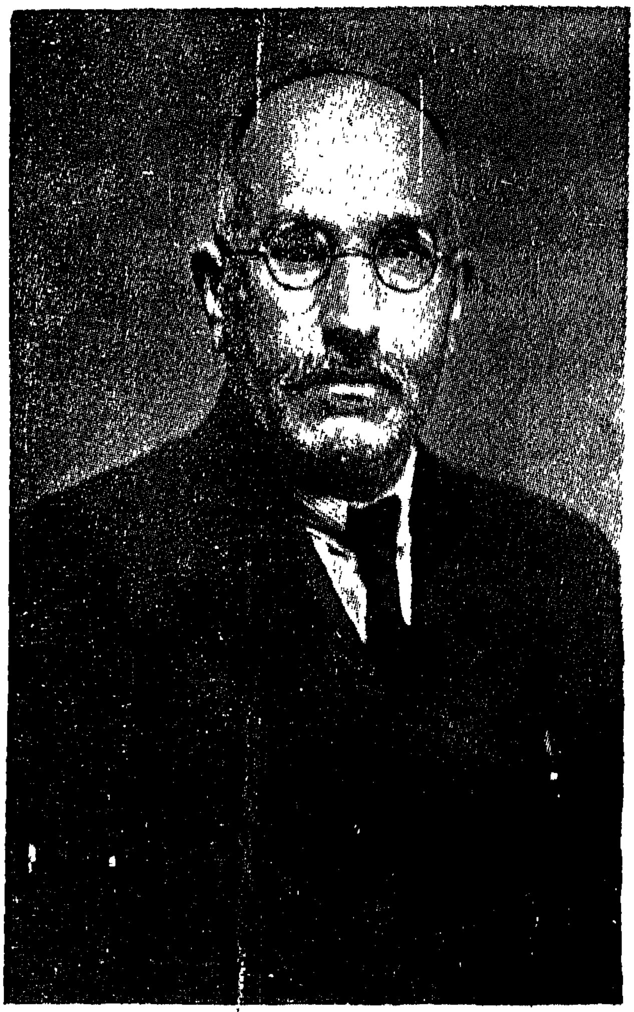
والطرق المارة بها ، عدد نفوس المدينة وما الحق بها ، حكومة المعرة ومقرها ، المكاتب والمدارس والزوايا والمساجد في المعرة ، بناء ضريح أبي العلاء الجديد والمهرجان الألفي لأبي العلاء ، الخانات والحمامات والمقاهي والأسواق والدكاكين والدور والمساكن والمعاصر في المعرة ، المياه التي هي خارج المعرة ، أودية المعرة وتلالها ، القباب ومحلات مدينة المعرة واماكنها المشهورة ، الحصون بالمعرة وضواحيها ، عادات أهل المعرة في الولادة والزواج والوفاة وغير ذلك ، القرى والمزارع التابعة للمعرة ومقدار ما في كل منها من النفوس مرتبة على حروف المعجم ، وبيوت المعرة وأسرها المعروفة في القديم والحديث وأعلامها المشهورين من علماء وقراء ومحدثين وشعراء وكتّاب وادباء وامراء ووزراء وعمال في الحكومة وتجار وغيرهم .

هذا مجمل ما في الكتاب من ابحاث قيمة ، تحتاج الى جهد كبير وعمل متواصل لمعرفة مصادرها ، وهي غالباً متفرقة ومشتتة في عدة كتب مختلفة المواضيع والمباحث ، لا يقوى على جمعها وتنسيقها الا من أوتي صبر المؤلف وسعة اطلاعه وتضلعه في العلوم العربية والاسلامية .

اضف الى ذلك حبه العظيم لبلده المعرة واعلامها الأفذاذ وعلى رأسهم أبو العلاء ، كل ذلك ذلل له العقبات الكأداء التي كانت تعترضه ، ومهد له السبيل لآن يؤلف هذا التاريخ القيم الذي سيبقى خير شاهد بفضله وسعة علمه ودقة بحثه ، تغمده الله برحمته وجازاه خير جزاء ، على ما قدم للعرب والاسلام من خدمات جلى في التعليم والتأليف، وعوض الله امته رجالاً يسيرون على هديه ويقتفون اثره .

ولا بد لي قبل ان اختم كلمتي هذه من أن اتقدم بالشكر الجزيل لوزارة الثقافة والارشاد القومي السورية ، على ما بذلت من جهد لنشر هـــذا المؤلف الجليل ، كما أخص بالشكر الاستاذ عدنان الدرويش أحد موظفيها على مساعدتي بتصحيح شطر وافر من الجزء الأول من الكتاب، والدكتور اكرم الخاني على ما قدمه لي من معلومات واحصاءات، والسيدين عبد العزيز دقاق وناصر الجندي على ما بذلا من جهد لمساعدتي في مهمتي وسدد الله خطانا وهدانا سواء السبيل .

دمشق في { ١٣ ربيع الأول ١٣٨٣ هـ / ٣ آب ١٩٦٣ م } عمر رضا كحالة



المؤلف

ترجمة المؤلف بقلمه

ولدت في معرة النعمان في دارنا ، وهي أول دار تقع شمالي السوق والجامع الكبير ، وذلك في ليلة الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ١٢٩٨ ﻫ . وكان والدي رحمه الله يتدارس القرآن مع شيخه الشيخ صالح بن رمضان ، وجماعة من رفاقه في غرفة الجامع الكبير ، الملاصقة للمنارة من الشرق ، بعد صلاة التراويح ، فيقرءون جزءاً في كل ليلة من رمضان في كل سنة . وكانت نوبته في القراءة تلك الليلة ، فبينا هو يقرأ قوله تعالى : (وإذْ قالَ عيسى ابنُ مريم يا بَني اسرائيل إنّي رسولُ اللهِ إليكم مصدِّقاً لما بين يَدَيَّ من التَّوْرَاة ومُبشِّراً بِرَسول يَأتي مِنْ بَعدي اسمُه أحمد فلمّا جاءهم بالبينات قالوا هذا سحرٌ مبين [1]) . دخل عليه ابن عمنا سعدي بن أحمد الجندي ، فقال له : ابشرك بغلام ولد لك الآن ، يعني اياي ، فأشار عليه الحاضرون أن يسميني أحمد لهذا الاتفاق ، فقال لهم : إني

---

(١) سورة الصف الآية ٦ .

قطعت على نفسي عهداً إذا ولد لي غلام أن اسميه باسم أبي ، والقبه بلقبه ، فسماني محمداً ، ولقبني بسليم كأبيه .

وأما نسبي من قبل أبي فأنا محمد سليم بن محمد تقي الدين ابن محمد سليم الجندي مفتي معرة النعمان ابن محمد الجندي مفتي معرة النعمان وحمص ، وقد سبق أن نسبنا يتصل بالعباس بن عبد المطلب عم النبي (ص) .

وأما نسبي من قبل أمي فوالدتي نظيرة بنت شريف بن محمد الحجي من بني السيد يوسف . وقد سبق أن نسبه يتصل بالعباس ابن عبد المطلب أيضاً .

وقد نشأت في حِجر والدي حتى بلغت السابعة من العمر فوضعني عند الشيخ أحمد من بني ادريس المعرّي ، وكان شيخاً صالحاً تقياً ، حائكاً قرّاء ، فعلمني أكثر القرآن الكريم ، وكان دكانه أول دكان على يسار الداخل إلى السوق من الشمال ، غربي منارة الجامع الكبير ، ثم خرج الشيخ إلى بعض القرى لمزاولة أعماله ، فنقلني والدي ، ووضعني عند رجل من التجار يقال له : الحاج قَشّوم .. من أهل المعرة ، وكان شيخاً صالحاً ، وتاجراً تقياً ، فاتممت القرآن عليه .

وفي سنة ١٣١٠ هـ دخلت مكتب الحكومة ، وكان يقال له: المكتب الرشدي ، ومحله مسجد الشيخ عطا [1] . وكان فيه أربعة صفوف ، يجتازها الطالب في أربع سنوات ، وكانت الدروس في السنوات كلها قليلة سهلة ، وهي كتاب الأمثلة والبناء في الصرف والعوامل في النحو ، وترجمان فيه كلمات محدودة من العربية وما يرادفها من اللغة التركية ، وآخر فيه كلمات عربية ومرادفها من الفارسية ، وكتاب علم الحال ، ودريكتا باللغة التركية ، ونصيحة حكماء ، وكلستان بالفارسية ، وكنا نحفظ أكثر الألفاظ من غير أن نفقه معانيها ، فتسنى لي أن أجتاز الصفوف الأربعة في سنتين ، واخذ الشهادة من المكتب في المحرم سنة ١٣١٢ هـ .

وكان مدير هذا المكتب شيخاً تركياً من ديوريكي من عمل اطنه ، فأقام في المعرة نحواً من ثلاثين سنة ، واستعرب ، وتزوج امرأة من غير المعرة ، وولد له بنون وبنات في المعرة ، ثم فارقها إلى غيرها .

وكان يقرىء الطلاب الذين يتمون الدراسة في المكتب

(١) انظر تاريخ المعرة ١ : ٣٥٢ — ٣٥٤ .

المذكور ، وجماعة غيرهم في المكتب نفسه ، ويعنى بهؤلاء بقدر ما كان يتهاون بأولئك ، ولذلك لم يتعلم أكثر المتخرجين به في المكتب غير الخط ، وهو غير جيد أيضاً .

وقد قرأت عليه بعد خروجي من المكتب شرح العوامل والاظهار للبركوي ، وكتاب الرحبية في الفرائض ، ورسالة في الربع المجيب .

ثم تفرغت للدراسة في المسجد الكبير في المعرة ، فقرأت على الشيخ صالح بن رمضان بعض دروس من الاجرومية ، ثم قطع القراءة ، وعهد بها إلى ابنه محمد صالح بن الشيخ صالح فقرأت عليه كتاب شرح الغاية للخطيب الشربيني في الفقه الشافعي ، وحضرت دروساً في النحو .

وقرأت القرآن والتجويد على الشيخ حسن بن أحمد المطر المعري ، وكان رفيقاً لي في الدراسة ، وقرأت أيضاً على شيخه الشيخ عبده من بني الشِّحْنة المعري ، وكان شيخاً جليلاً فقيهاً فقيراً عفيفاً ، صائم الدهر ناسكا ، وكان يعلم الصبيان في الزاوية الداودية في المعرة ، وهو أعلم أهل بلده بالقراءة وقتئذ .

وقد أمرني والدي أن استظهر سوراً وآيات معينة من القرآن الكريم ، فاستظهرت طائفة منه مثل سورة الكهف ومريم وطه والسجدة والدخان والواقعـة ونوح والدهر وجزء عَمّ كله وغير ذلك .

وحفظت متن العوامل والاظهـــار للبركوي ، والكافية لابن الحاجب ، والفية ابن مالك في النحو ، ومتن إيساغوجي والسلم في المنطق ، ومتن الرحبية في الفرائض ، ومتن الجوهرة والأمالي في التوحيد والعقائد ، ومتن الزبد في الفقه الشافعي . وكان شيخنا محمد صالح كأبيه يقرأ الدروس في الجامع الكبير ، وقرأ مرة في المدرسة التي تقدم ذكرها . وكان والدي كلما ظفر بقطعة جيدة من الشعر كتبها ، وحضني على حفظها ، وقد ولعت بشعر أبي العلاء المعري منذ حداثة سني ، وحفظت شيئاً كثيراً ، وكنت في عهد الحداثة والشباب سريع الحفظ ، ما سمعت بيتاً أو بيتين من الشعر الجيد الا ورسخا في حافظتي . وقد تخرجت بالشعر والأدب واللغة بما درسته وحفظته من شعر أبي العلاء وغيره ، ثم ابتدأت بقرض الشعر في نحو

الثالثة عشرة من سني ، وظللت أنسج على هذا المنوال ، واحتذي على هذا المثال ، إلى أن كتب الله عليّ مفارقة الوطن ، ومن فيه من الأقارب والاخوان والاخدان .

وفي أخريات جمادى الاولى من سنة ١٣١٩ ه هاجرت مع والدي إلى دِمَشْق ، ووضعت فيها عصيّ الحاضر المتخيم ، وأقمت في دارنا في محلة الشالة في سوق صاروجا (١) ، فقرأت على جماعة من علمائها الاعلام ، وعاشرت طائفة من فضلائها وأدبائها وكتّابها وشعرائها وأعيانها وذوي الظرف فيها .

وقد وجدت الرغبة فيها ضعيفة في الفقه الشافعي ، لأن الفتوى كانت وقتئذ على مذهب الامام أبي حنيفة ، فكان الناس يرغبون في التفقه على مذهبه ليكون ما يتعلمونه موافقاً لما يحكم به القضاة ويفتي به المفتون .

فانتقلت من تقليد الامام الشافعي إلى تقليد الامام أبي حنيفة وشرعت في التفقه على مذهبه على جهابذة العلم في دمشق .

منهم استاذي العلامة الفقيه الشيخ محمد شكري بن راغب

(١) وأصل ذلك محلة الجالق في سويقة صاروجا ولكن العامة حرفتها (ج) .

ابن صالح الاسطواني الدمشقي المولود سنة ١٢٩٠ هـ، وقد كان أميناً للفتوى في دمشق قبل ذلك الحين ، وبقي فيها إلى سنة ١٣٥٧ هـ، فجعل وكيلاً للمفتي بعد وفاة المفتي الشيخ عطا الكسم ، ثم عين مفتياً عاماً للجمهورية السورية . وقد قرأت عليه كتاب مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر في الفقه ، وشرح السراجية في الفرائض ، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك في النحو

وكان يقرأ الدروس في المدرسة السُّمَيْساطِية بجانب الجامع الأموي من الشمال ، وقد قرأ على جماعة من الأعلام منهم الشيخ محمد بن حسن البيطار تلميذ ابن عابدين المتوفى سنة ١٣١٠ هـ ، ومنهم الشيخ محمد المنيني مفتي دمشق المتوفى سنة ١٣١٦ هـ ، وقرأ العلوم الآلية على الشيخ بكري العطار المتوفى سنة ١٣٢١ هـ .

وقرأت على الشيخ عبد القادر بَدْران الدوماني الأصل الدمشقي المنشأ والوفاة ، وقد قرأت عليه كتاب التلويح شرح التوضيح في الأصول لسعد الدين التفتازاني ، وشرح المختصر في علم المعاني والبيان والبديع لسعد الدين أيضاً ، وشرح شيخ

الاسلام على الخزرجية في العروض والقوافي ، وكأن يقرأ في المدرسة الشُمَيْساطِية .

وقرأت على استاذي العلامة الشيخ عطا الله الكسم الدمشقي مفتي دمشق السابق ذكره ، وقد كان أكثر الناس حفظاً لفروع المذهب الحنفي . قرأت عليه الدر المختار شرح تنوير الأبصار في الفقه الحنفي مع أكثر حاشيته ، َرد المحتار ، وشرح المرآة للازميري في الأصول . وحضرت دروساً كثيرة في النحو والمنطق كالفناري على إيساغوجي ، وشرح القطب على الشمسية ، وكان يقرأ في داره في زقاق النارنجة في العقيبة ، ثم في داره عند الجامع الأموي ، وأحياناً في الجامع نفسه .

وقرأت على الاستاذ الفاضل الشيخ حسين ابن الشاش الدمشقي ، وكان مكيناً في العلوم الآلية ، قرأت عليه رسالة السمرقندي في البيان ، وإيساغوجي في المنطق ، وكان يقرأ في مدرسة نور الدين الشهيد في غرفة مختصة به .

وقرأت على استاذي العلامة المحقق شيخ المحدثين في عصره الشيخ بدر الدين الحسني الجزائري الاصل الدمشقي المولد

والمنشأ والوفاة ، حضرت عليه قسماً كبيراً من كتاب التحبيرَ والتقرير لابن امير الحاج شرح التحرير لابن الهمام في الاصول ، وجميع شرح جلال الدين المحلي على جمع الجوامع للسبكي في الاصول ، وكتاب المسامرة لابن ابي شريف شرح المسايرة لابن الهمام في التوحيد ، وشرح السنوسية الكبرى في التوحيد ومعظم العقائد النسفية ، والتدريب شرح التقريب للسيوطي في مصطلح الحديث ، وشرح المقولات العشر ، ورسالة في آداب البحث ، وشرح العصام على رسالة العضد في الوضع ، وكان يقرأ الدروس في مدرسة دار الحديث في دمشق في الغرفة الملاصقة للإيوان من الجهة الشرقية في الطبقة الثانية .

وقرأت شيئاً من شرح المنار على الشيخ بهاء الدين الافغاني وكان بعض رفاقي في الطلب يشاركني أولاً في مطالعة الدروس واعدادها قبل قراءتها على الاستاذ ، ثم رغب فريق منهم أن يعيد قراءتها عليَّ بعد الدرس ، فلبيت طلبه ، ثم طلب فريق آخر أن أقرأ عليهم الدرس قبل حضور درس الاستاذ ، فأسعفت طلبه ، ثم كلفني فريق من الطلبة أن أقرئهم دروساً في الصرف والنحو والمنطق ففعلت .

فلما اعلن الدستور العثماني سنة ١٣٢٦ هـ كلف طلاب العلم الذين كانوا يعفون من الخدمة العسكرية لأجل العلم ، أن يؤدوا فحصاً في النحو والمنطق حسب النظام العسكري ، فاضطرني جماعة منهم إلى أن أقرئهم شرح الفناري على إيساغوجي ، والقطب على الشمسية في المنطق ، والكافية في النحو ، فكنت ابتدىء في الدروس في داري المذكورة قبلاً ، منذ طلوع الشمس إلى الظهر ، ومن بعد صلاة العصر إلى قرب نصف الليل .

ثم طلب جماعة أن يقرأوا علوم البيان فلبيتهم ، وظللت على هذه الحال إلى اليوم الثاني من صفر سنة ١٣٣٢ هـ ، فتوفي والدي رحمه الله ، وترك ثلاثة بنين وخمس بنات ، فاشتغلت بأمورهم ، وتعهد ما خلف لي ولهم من عقار ، وأصابتني علة الديزانتري مدة أشهر ، ثم اعلنت الحرب العامة في تلك السنة فانصرفت عن التعلم والتعليم إلى مدافعة المصائب ، وتهيئة ما فرضته الحكومة من المظالم والضرائب ، بأسماء مختلفة ، ما بين بدل عسكرية ، واعانة للاسطول ، واعانة لجمعية الهلال ، واعانة لغزة ، وضريبة جبرية باسم اعانة اختيارية ، واعاشة ، وما شاكل

ذلك من ضروب المظالم . واستولت على أكثر عقارنا فشغلته بغير أجر ولا شكرٍ ، وهدمت بعضاً منه لتوسيع الطرق ، وعبثت بالأسعار حتى كاد أكثر الناس يموت جوعاً ، إلا من عرف كيف يرضي الحكام والقواد .

وظللت أكابد هذه المشاق حتى وضعت الحرب أوزارها ، بعد أن استولى جيش الانكليز والعرب على دمشق في أيلول سنة ١٩١٨م ، وألفوا حكومة عسكرية يرأسها حاكم عسكري ، وقد ولي ذلك رضا باشا الركابي الدمشقي، وكان الأمير فيصل يشرف على أعمال الحكومة فألف الحاكم العسكري ديواناً الرسائل فدعيت إليه ، ووظفت منشئاً أول فيه براتب قدره اثنا عشر ديناراً ذهباً ، ثم بعد بضعة أشهر جعل الحاكم دمشق ولاية ، وحلب ولاية ، فوظفت مميزاً في ديوان الرسائل في الولاية براتب خمسة عشر ديناراً ، ثم ان فيصلاً الغى تشكيل الولاية وألف مجلس مديرين ، وجعل مديراً للداخلية ، وآخر للمالية ، وللعدلية ، وللحربية . وكان أخوه زيد يرأس هذا المجلس ، وجعل رجلاً يقال له : رشيد طليع مديراً للداخلية ، فوظفت منشئاً أول فيها ، ثم

مميزاً بعد أن احدثت هذه الوظيفة ، وكان فوزي الغزي مديراً لديوان الرسائل ، ثم لما بويع فيصل وصار ملكاً على دولة سورية ألف مجلس وزراء ، وجعل رضا الصلح وزيراً للداخلية وبقي فوزي الغزي مديراً للرسائل ، وبقيت مميزاً في ديوانها .

فلما استولى الفرنسيون على دولة سورية تغيرت الوزراء ، ثم جعل حاكم لدمشق يرأس الوزراء ، وجعل عطا الايوبي وزيراً للداخلية ، وبقيت في وظيفتي ، فلما نقموا على فوزي الغزي جعلوه قائم مقام في تدمر ، فاستقال منها ، فعهد إلي بالوكالة عن مدير الرسائل فوق وظيفتي ، ولكن الفرنسيين غيروا اسمها مراراً ، فتارة كان اسمها مميزاً ، وثانية رئيساً لكتاب الديوان ، وثالثة معاوناً لرئيس الكتّاب . .

ثم ألغيت وزارة الداخلية لاخراج الوزير منها ، لأن الحاكم كان غير راض عنه ، وبعض موظفيها ، فالحقوا بديوان الحاكم ، وكان هذا الديوان يتألف من قسمين عربي وفرنسي ، ويسمى قسم الترجمة ، فجعلت رئيساً لكتّاب القسم العربي إلى اليوم السابع من شباط سنة ١٩٢٤ م .

ثم جعلت استاذاً للأدب العربي في مدرسة تجهيز الذكور في دمشق ، وبقيت إلى سنة ١٩٤٠ م ، فأحلت على التقاعد لبلوغي سن الستين ، ولكن مدير المعارف اتخذ قراراً بتمديد مدتي سنة تنتهي في آخر ايلول سنة ١٩٤٠ م ، ولما انتهت هذه المدة رغب إليّ أن أقبل بتمديدها سنة أخرى ، فاعتذرت له بضعف جسمي ، وانصراف نفسي عن مزاولة كل عمل إلى التماس الراحة من البطالة .

وفي ١٦ ايلول سنة ١٩٢٢ م انتخبت عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق .

وفي خلال أيامي السابقة ، وظفت أستاذاً للآداب في مدرسة اللاييك سنوات عديدة ، وفي مدرسة جمعية العلماء مدة سنتين .

ووظفت إستاذاً للدروس العربية في كلية الآداب التي أحدثتها الحكومة في دمشق سنة ١٩٣٠ م إلى أن أغلقتها ، وكنت أقرأ فيها دروس القواعد العربية والبلاغة والخطابة خمس ساعات في كل أسبوع ، وكان بعض الطلاب يقرأ عليّ دروساً خاصة في داري .

ثم عينت ناظراً للكلية الشرعية في دمشق سنة ١٩٤٢ م ، ثم مديراً للكلية من سنة ١٩٤٤ م ، ثم استقلت منها طلباً للراحة سنة ١٩٤٨ م .

وكنت في جميع هذه الأطوار التي قطعتها في حياتي شديد التواضع ، لين الجانب ، انهج المنهج الذي سلكه معاوية (ض) لو كان بيني وبين الناس شعرة ما قطعتها ، وربما زدت عليه حتى لو كان بيني وبين الناس شق شعرة ما قطعتها ، وكنت شديد الخشية من الله ، مواظباً على الفرائض والواجبات الدينية شديد الغيرة على مصلحة الاسلام والعرب ، وكل وطن اسلامي .

ولم أقترف شيئاً من المنكرات في جميع حياتي ، الا اللعب بالنرد ، وشرب الدخان ، وكنت ولم أزل أقنع باليسير ، وأشكر على القليل والكثير ، وأرضى من الوفاء باللقاء ، ولم ابذل ماء وجهي قط لأحد ، لأني أقابل الحسنة بمثلها ان عجزت عن ضعفها ، واحتمل السيئة وأغضي عن الهفوة ما وجدت إلى ذلك سبيلاً .

ولا أعرف لأحد علي فضلاً إلا قابلته بمثله ، لأن الله

جل جلاله لم يحوجني إلى غيره في شيء ، ما خلا أساتذتي الذين تقدم ذكرهم ، فانهم علموني وهذبوني وأرشدوني لوجه الله ، من غير أن ينالوا مني أجراً ولا جزاء ، فجزاهم الله عني أحسن ما جازى به محسناً عن احسانه ، وقد احتذيت على مثالهم ، فعلمت مئات من الناس ، ولم أنل منهم أجراً قط ، ولا أذكر أني أخذت أجراً من رجل على تعليمه قط ، الا واحداً ألحّ علي كثيراً ، وألحت عليّ الحاجة وقتئذ ، فآثرت أخذ الأجر منه ، على اذلال نفسي في الاستدانة من أحد ، وكذلك لم آخذ قط صلة ولا جائزة على شعري .

وفي اليوم الثاني والعشرين من المحرم سنة ١٣٦٠ هـ الموافق ١٨ شباط سنة ١٩٤١ م منحتني الحكومة السورية وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الثانية ، تقديراً للجهد الذي بذلته طوال ثلاثين عاماً في تعليم اللغة العربية وغيرها من العلوم العربية .

وأما آثاري من النظم والنثر فقد ولعت في فاتحة حياتي ولعاً شديداً بالشعر قرضاً ونظماً ، ثم بعد أن هاجرت إلى دِمَشْق نظمت بعض قصائد في موضوعات مختلفة ، فصادفت

قبولاً من بعض الادباء وغيرهم ، فأفضى ذلك إلى أن يكثر الناس طلب تواريخ مني ، لينقشوها على حجارة القبور لموتاهم ، حتى مللت من ذلك ، وسئمت قول الشعر ، فأمسكت عنه منذ بلغت خمسة وعشرين عاماً ، ودافعت الناس فلم يندفعوا ، ولا أزال ازهد في قوله إلى هذا اليوم ، ولا انظمه الا تكلفاً .

وكنت حين قرأت العروض والقوافي نظمت رسالة فيهما فجاءت مطولة ، وقد بلغت مائتين وخمسين بيتاً فاستكثرتها ، ورأيت اختصارها يحتاج إلى وقت طويل لا أجده في أيامي الغابرة فمزقتها وأحرقتها .

وأما النثر فقد استطعت على كثرة أعمالي ، وقلة أعواني وضيق أوقاتي ، أن أضع بعض الكتب والرسائل ، وانشيء بعض مقالات في مواضيع مختلفة .

منها : المنهل الصافي في العروض والقوافي ، وقد جمعت في هذا الكتاب من مسائل هذا العلم ما لم يجتمع في غيره ، ورتبت مسائله ترتيباً محكماً ، حتى جعلته كالسلسلة المتصلة

الحلقات، آخذاً بعضها برقاب بعض، وأوضحته غاية الايضاح وأكثرت فيه من الشواهد، ليتسنى لكل واحد فيهم مسائله بأساوب تهواه النفوس، وتهوى إليه القاوب، وقد تم تأليفه وانتهى، وقد أعددته للطبع ان شاء الله تعالى.

ومنها: كتاب فيالنحو سميته مرفد المعلم ومرشد المتعلم، وهو كتاب جامع لأكثر ما تشتت من مسائل هذا العلم، وقد حرصت فيه على جمع الاشباه والنظائر، وادخال كل مسألة في بابها، ورتبته على أساوب يسهل معه الرجوع إلى ما يريده الباحث من مسائله، ولم يتم بعد.

ومنها: رسالة في احكام ما. ومَنْ، وقد استوفيت كل ما يتعلق بهما من الأقسام والأحكام، وهي من الدروس التي قرأتها في كلية الآداب.

ومنها: رسالة في الكَرْم جمعت فيها كل ما يتعلق بالكرم من حين يكون عوداً ثم يغرس، إلى أن يثمر وينضج، ويتخذ طعاماً أو شراباً، وذكرت ما لكل جزء من أسماء في كل طور وما يعرض له، ورتبته على ترتيب الكرم الطبيعي،

امرئ القيس ، وطائفة من أخباره ودراسة لأدبه ، وقد تم هذا ، وطبع في دمشق سنة ١٣٥٤ ﻫ و سنة ١٩٢٦ م .

ومنها : جزء يحتوي على طائفة من أخبار عبد الله بن المُقَفَّع ، وجملة من كلامه ، ودرس لأدبه ، وقد تم وطبع في دمشق سنة ١٣٥٥ ﻫ .

ومنها : جزء يحتوي على ترجمة النابغة الذبياني ، وشرح ديوانه كله شرحاً وافياً ودراسة شعره ، وجملة من أخباره ، وقد تم وانتهى ، وطبع الجزء الاول المشتمل على ترجمته وأخباره ودراسة شعره في دمشق سنة ١٣٦٤ ﻫ .

ومنها : جزء آخر يحتوي على ترجمة أبي العلاء المعري ، وأخباره ، ودراسة أشعاره ، وهو لم يطبع ، وهو أجمع كتاب لأخبار أبي العلاء ودراسة أدبه ، وفيه تحقيق كثير لما كتب فيه ، أو نسب إليه ، وتصحيح لكثير مما وقع فيه العلماء من الخطأ والأخبار (١) .

---

(١) نشره المجمع العلمي العربي بدمشق بعنوان الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره ، بتحقيق الأستاذ عبد الهادي هاشم في ثلاثة أجزاء ، وقد صدر منه الجزء الأول والثاني .

ليسهل الرجوع إليه ، وقد يجد الباحث فيها ما لا يجده في غيرها ، وقد تمت وطبعت في مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق [1] .

ومنها : عدة الأذيب ، وهي ثلاثة أجزاء صغيرة ، جمعت فيها طائفة من كلام البلغاء والحكماء والعلماء والشعراء ، وشرحتها شرحاً وافياً ، ووضعتها للصف الاول والثاني والثالث من طلاب المدرسة التجهيزية لكل صف جزء ، وقد شاركني في تأليفها الشيخ محمد الداودي الدمشقي المتوفى نحو سنة ١٣٤٧ ﻫ ، وقد طبعت في دمشق سنة ١٣٤٥ ﻫ .

ومنها : عمدة الاديب ، وهي كتب متعددة جمعت في كل واحد منها ما يتعلق بكاتب واحد ، أو شاعر واحد ، من أخباره وأشعاره ودراسة أدبه ، وقد تم بعضها .

منهـــا : جزء يحتوي على شرح جمـــلة من شعر

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ٩ : ٢٨٠ — ٢٨٨ ، ١٠ : ٢٤٤ — ٢٤٩ ، ٤٦٦ — ٤٧٤ ، ٥٦٢ — ٥٦٦ ، ٦٢١ — ٦٢٦ ، ٦٩٧ — ٧٠١ ، ٧٦٢ — ٧٦٥ .

ومنها : جزء يحتوي على ترجمة علي بن أبي طالب (ض) وطرف من أخباره ، وطرف من آثاره ودراسة أدبه ، وقد طبع في دمشق سنة ١٣٦٠ هـ .

ومنها : شرح وتحقيق رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري ، وتفسير الشواهد فيها ، وبيان قائليها ، وتراجمهم ، وقد طبعت في دمشق سنة ١٣٦٣ هـ .

ومنها : رسالة في الطرق ، وهذا الغرض لم أر فيه لأحد من المتقدمين كتاباً ولا رسالة ، وقد سألت كثيراً من أوعية العلم ، هل رأى أحد منهم شيئاً من هذا القبيل ؟ فقالوا : لا ، وقد ذكرت فيها أسماء الطرق وأقسامها وأنواعها ، في السهل والجبل والأودية والموارد وغيرها . وذكرت طرق الماء والريح وغيرهما . وقد طبعت معظمها في مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق [1] .

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٨ : ٤١١ – ٤١٦ ، ٥١١ – ٥١٩ ، ١٩ : ٢٣٨ – ٢٤٤ ، ٣٣٢ – ٣٣٨ ، ٥٣٢ – ٥٣٧ ؛ ٢٠ : ٣٣ – ٤٠ ، ١٢٨ – ١٢٧ ، ٢١٤ – ٢٢٣ ، ٣٣١ – ٣٣٥ .

ومنها : رسالة في الأودية ومسايل المياه جعلتها ملحقة برسالة الطرق تتميماً للفائدة .

ومنها : رسالة في المعلمين ، وهي على وشك الاتمام ، وقد اشتملت على كثير من أخبار المعلمين ونوادرهم ومزاياهم المحمودة والمذمومة ، وعلى منزلتهم عند الخلفاء والامراء والاعيان والناس وربما كانت اجمع رسالة في هذا الموضوع .

وألفت كتبا أخر في مباحث لغوية وغيرها ، منها : اصلاح الفاسد من لغة الجرائد ، وقد كنت انتقدت كتاب لغة الجرائد الذي وضعه ابراهيم اليازجي ، وبينت طائفة من خطئه ، فانتصر له قسطاكي الحمصي الحلبي ، وكتب أربع مقالات نشرها في مجلة فيمنا في بيروت ، وقد خبط فيها خبط عشواء ، فبينت ما ارتكبه من الغلط ، وأيدت قولي بالنقول الصحيحة ، والحجج الدامغة ، ونشرت ذلك في جريدة الفيحاء في دمشق ، ثم جعلته كتاباً مستقلاً وسميته اصلاح الفاسد من لغة الجرائد ، وقد طبعته في دمشق سنة ١٣٤٣ هـ .

ومنها : رسالة الاطعمة والاشربة في بلاد الشام وهي لم تطبع بعد .

ومنها : رسالة العادات في بلاد الشام ، وهي لم تطبع بعد .

ومنها : رسالة الامثال العامة في بلاد الشام ، وهي لم تطبع بعد .

وأما المقالات فقد نشرت في المجلات والصحف مقالات متعددة .

منها : مقالات نشرت في مجلة الرابطة الأدبية ، التي انشأتها جمعية الرابطة الادبية في دمشق ، ثم الغتها الحكومة سنة ١٩٢٣ م وقد كنت أحد مؤسسي الجمعية والمجلة والقائمين بأمورهما ، وهذه المقالات منها ما هو تحت عنوان تهذيب الالفاظ ، وهي تبين الالفاظ العامية والدخيلة والمحرفة عن الالفاظ الفصحى ، وما يقابل ذلك من الفصيح ، ومنها : ما هو رد على من انتقد شيئاً مما كتب في هذه المجلة ، لأني توليت الرد والدفاع عن المجلة .

ومنها : مقالات نشرت في مجلة العرفان التي تصدر في صيدا ، وهي تشتمل على أسماء لغوية للصناع والصناعات عند العرب وغيرها .

ومنها : مقالة نشرت في مجلة الهلال التي تصدر في مصر ، وهي تتضمن القول في نثر أبي العلاء وتبين أنه مجدد في نثره .

ومنها : مقالات نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق غير رسالة الكرم .

منها : مقالة في اخوان الصفا[1] ، ومقالة في المزدكية[2] ، وتقريظ ديوان السيد جميل الزهاوي البغدادي [3] ، وتقريظ ديوان بدوي الجبل محمد سليمان الأحمد [4] ، وتقريظ ديوان خير الدين الزركلي [5] ، ومقالة في انعاش اللغة العربية [6] ، ومقالة في نقد كتاب تاريخ الادب العربي لاحمد حسن الزيات تحت عنوان كتب الادب القديمة والحديثة [7] ، ومنها : مقالة في نقـــد كتاب زهر الآداب الذي طبعه الدوكتور زكي مبارك [8] .

(١) وعنوانها أبو العلاء واخوان الصفاء ١٦ : ٣٤٦ -- ٣٥١ (ج) .
(٢) وعنوانها ابو العلاء والمزدكية ١٦ : ٤٨٩ – ٤٩٧ (ج) .
(٣) وعنوانه ديوان الزهاوي ٥ : ١١٧ – ١٢١ (ج) .
(٤) وعنوانه ديوان بدوي الجبل ٥ : ٢٠١ – ٢٠٣ (ج) .
(٥) وعنوان ديوان خير الدين الزركلي ٥ : ٥٠٥ ، ٥٠٦ (ج) .
(٦) وعنوانها انعاش العربية ٥ : ٣٩٧ – ٤٠١ (ج) .
(٧) ١١ : ٥٢٨ – ٥٣٨ (ج) .
(٨) وعنوانها كتب الادب القديمة والحديثة ١٢ : ٢٥٧ – ٢٦٩ ، ٤٠٣ – ٣١٥ ، ٦٨٢ – ٧٨٩ (ج) .

ومنها : مقالة في تقريظ المخطوطات المختارة ، والموجز في علم المنطق [1] .

ومنها : مقالة عنوانها ثقافة المتنبي ومصادرها [2] ، ألقيت مختصرة في حفلة مهرجان المتنبي التي أقيمت في مقر الجامعة السورية في ٢٩ تموز سنة ١٩٣٦ م .

ومنها : مقالة في التعريف برسالة الملائكة لأبي العلاء المعري التي ظفر بها المجمع العلمي العربي في دمشق ، ثم طبعها ،وهذه المقالة نشرت في مجلة المجمع المذكور [3] ، وقد وضعت للرسالة المذكورة مقدمة ضافية تتعلق بهذا الموضوع ، وقد نشرت في مقدمة الرسالة المطبوعة سنة ١٣٦٣ هـ = ١٩٤٤ م .

وقد وضعت مقدمة لكتاب اوج التحري عن حيثية أبي العلاء المعري تأليف يوسف البديعي ، الذي صححه السيد ابراهيم الكيلاني ، وطبعه المعهد الفرنسي بدمشق سنة ١٩٤٤ م ، ونشرت هذه المقدمة في اول الكتاب .

---

(١) ١٢ : ٣٧٩ – ٣٨٢ (ج) .

(٢) ١٤ : ٤٠٢ – ٤٢٦ (ج) .

(٣) ١٩ : ١٢٢ – ١٣١ (ج) .

ومنها كلمة عنوانها دين أبي العلاء ، وقد ألقيت هذه الكلمة في الجامعة السورية ، في حفلة المهرجان الألفي التي أقيمت لأبي العلاء ، وتليت في الساعة السادسة والنصف تقريباً من يوم الأحد الأول من تشرين الاول سنة ١٩٤٤ م ، وقد نشرت في الكتاب الذي طبعه المجمع العلمي العربي في دمشق ، وسماه المهرجان الالفي لابي العلاء المعري سنة ١٣٦٤هـ وسنة ١٩٤٥م[١].

ومنها : مقالات نشرت في مجلة دمشق التي أصدرتها المفوضية العليا الفرنسية في دمشق سنة ١٩٤٠ م ، وهي تبين الخطأ في مناهج دراسة الادب العربي ، وتبحث في غيره .

ومقالات أخر نشرت فيها تحت عنوان (من دراسة في تاريخ الادب العربي) و (دراسة في تاريخ الادب العربي)

ومنها : مقالات نشرت في جريدة المقتبس في دمشق سنة ١٣٤٣ هـ الموافقة لسنة ١٩٢٤ م .

وهذه منها نوع بينت فيه ما في كتاب قاموس الاعلام من الخطأ الواضح ، وهذا القاموس وضعه حليم دموس من إدباء

(١) ص ٢٨٠ – ٢٩٢ (ج)

لبنان وشعرائها ، حين كان عضواً في جمعية الرابطة الادبية ، ذكر فيه الالفاظ التي تستعملها العامة خطأ ، وذكر ما ينوب عنها من الفصيح ، فكان خطؤه فيه أكثر من صوابه ، وكانت العامة في استعمالها أقرب منه إلى الصواب ، وبعد أن نشرت نحو تسع مقالات تحوي على مئات من غلطه وخطائه ، رغب إلي بعض أعضاء الرابطة الادبية أن أمسك عن الكلام في ذلك ، فنزلت عند رغبته وامسكت .

ومنها : مقالات نشرت في المقتبس فيها بيان لخطأ بعض الادباء ، الذي طلب إلى علماء اللغة أن يتسامحوا في استعمال الدخيل والعامي .

ومنها : مقالات نشرت في جريدة الفيحاء الدمشقية في مواضع شتى ، منها : بيان ما في كتاب تذكرة الكاتب لمؤلفه داغر [1] من الخطأ والغلط اللغوي .

ومنها : مقالات نشرت في مجلة الاوقاف الاسلامية التي انشئت في دمشق سنة ١٣٦٤ هجرية .

ومقالات نشرت في مجلة التمدن الاسلامي ، منها : أثر الاسلام والقرآن في اللغة ، ومنها : الادب الجاهلي .

(١) هو أسعد بن خليل داغر .

وهناك كثير من المقالات التي نشرت في مجلة الحديث التي تصدر في حلب ، وفي مجلة الاديب التي تصدر في بيروت .

وقد وضعت رسائل متعددة تشتمل على دراسة جماعة من أعلام الادباء والشعراء ، كجرير ، والفرزدق ، والاخطل ، وعمر بن أبي ربيعة ، وزهير ، والاعشى ، والحطيئة ، والخنساء وحسان ، وأبي تمام ، والبحتري ، وأبي نواس .

وشرحت كثيراً من قصائدهم ، لاسيما جرير ، والاخطل ، وأبي نواس ، وأبي تمام ، وقد حال بيني وبين انجاز ذلك كثرة أعمالي على قلة اعواني ، واعتلال صحتي ، فنسأل الله المعونة والتوفيق .

(وقد توفي المؤلف رحمه الله بدمشق في الساعة العاشرة والنصف قبل ظهر يوم الاثنين الواقع في ٧ ربيع الاول ١٣٧٥ ه والموافق لـ ٢٤ تشرين الاول ١٩٥٥ م ودفن بمقبرة الدحداح).

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد فاني بعد أن أنهيت الدراسة في مدرسة الحكومة الرشدية في المعرة نحو سنة ١٣١٢ هـ ، انصرفت نفسي إلى دراسة العلوم الشرعية واللسانية والعقلية على ندرتها في المعرة في ذلك العهد .

وكان والدي تغمده الله برحمته مَغْرِيّاً [١] بشعر أبي العلاء وآثاره ، حريصاً على أن أطلع عليها وأحفظ منها ما يقع الي ، فكان إذا ظفر بشيء منه أمرني بحفظه ، وكنت كلما اطلعت على شيء جديد من كلامه ازددت رغبة في الاطلاع على غيره لأن آثاره كانت أندر من الكبريت الأحمر ، وأعز من بَيْض الأنوق [٢] ، وقد أتيح لي في سن الحداثة وعهد الدراسة والتعليم ،

---

(١) غري بالشيء : أولع به .

(٢) الأنوق كصبور : العقاب من جوارح الطير ، وفي المثل : أعز من بيض الأنوق : لأنها تحرزه في أوكارها في القلل الصعبة فلا يكاد يظفر به .

أن أطلع على تراجم رجال من أعيان المعرة وأعلامها ، وأقف على الجيد والنفيس من أقوالهم وآثارهم ، فنزعت نفسي الى الوقوف على معرفة أبي العلاء ونسبه وبلده ومذاهبه في الأدب والفلسفة .

وطمحت الى معرفة طائفة من رجال المعرة ، لأني رأيت فيهم القارىء المجود ، والمفسر المحقق ، والمحدث المُوَثّق ، والفقيه النحرير ، والكاتب المبدع ، والشاعر المفلق ، والمتفنن المخترع ، والصوفي الزاهد ، ولا تكاد تجد طائفة من علماء في علم إلا وجدت في رجالها أناساً من المتقدمين في ذلك العلم ، وكذلك رأيت فيهم القاضي المتثبت ، والمفتي المتحري والمعدود من رجال الدهر ، ومن المنجّذين[1] في السياسة وولاية الأمر ، وما عرفت رجلاً في القديم والحديث نال الإمارة بشعره إلا رجلاً من المعرة .

ونظرت إلى ما وصلت اليه المعرة في العصور الماضية ، من سعة العمران ، وازدهار الحضارة ، وزخور العلم ، وكثرة العلماء والشعراء والمؤلفين ، وإلى ما انتهت إليه في عهد الحكومة التركية من الخراب والانحطاط ، وتفشي الجهالة وندرة النابهين ، من العلماء والنابغين من الشعراء ، فرأيت البون شاسعاً بين العهدين .

(١) المنجّذ كمعظّم : المجرب والذي أصابته البلايا .

لأن المعرة في القرن الرابع والخامس والسادس ، على حسب ما رأيت ، كانت تعج بالقراء والمفسرين والمحدثين واللغويين والمؤرخين والشعراء والمؤلفين في علوم مختلفة .

وفي الزمن الذي تركتُ فيه المعرة ، وفيما قبله وبعده ، إلى أن جلت عنها الأتراك ، كانت خالية من عالم حقيقي ، أو كاتب صحيح العبارة ، أو شاعر يحسن نظم قصيدة سالمة من اللحن والخلل في الوزن .

وحسبك دليلاً على ما ذكرت أن أبا العلاء درس ثقافته الواسعة على جماعة من أهل بلده ، ولم يصح أنه قرأ على أحد من غير أهل بلده ، ولا حدثته نفسه باجتداء علم في غير بلده ، وأن ثمانين شاعراً أو أكثر وقفوا على قبره يوم وفاته ، ولم يحدثنا التاريخ أن احداً منهم كان غريباً عن المعرة .

وان الناس في نحو سنة ١٣١٩ هـ كانوا إذا أرادوا أن يمدحوا رجلاً ويصفوه بالفضل ، قالوا : إنه كاتب قارىء ، وإذا أرادوا أن يبالغوا في الثناء عليه قالوا : كاتب قارىء ، تركي عربي ، وملأوا أشداقهم بهذه الكلمات لتدل على عظم الممدوح ، وعظم

ما مدح به ، وقد رأيت في المعرة مئات من رسائل الأحياء والأموات ، من رجال القرن العاشر إلى زمن هجرتي ، ومئات من الفتاوى والحجج والصكوك التي تصدر عن المحاكم وغيرها ، وكثيراً من النظم والنثر ، ولا أذكر أني رأيت شيئاً منها سالماً من الخطأ واللحن إلا في النادر .

وليست هذه البلية مختصة بالمعرة والمعريين ، بل كانت أمهات المدن السورية ، بل الأمة السورية كلها على هذه الشاكلة في تلك العصور .

فاني رأيت كثيراً من القصائد والخطب ، والرسائل الأخوية ، وفتاوى المفتين وحجج القضاة وأحكامهم وصكوك المحاكم وغيرها ، وبعض الرسائل والكتب لعلماء دمشق وغيرهم ، وكلها طافحة بالخطأ واللحن في صيغ الألفاظ وإعرابها ، ولا أكون مغالياً إذا قلت : إن أكثر البلاد السورية في هذا العصر لم تتغير حالتها بتغير الزمن .

ومن نظر نظرة إنصاف إلى فتاوى المفتين في هذا العصر ، وإلى الحجج والأحكام التي تصدر عن المحاكم الشرعية والمدنية ،

وإلى الصكوك التي ينظّمها كتّاب العدل ، والاتفاقيات التي يكتبها المحامون ، والمقررات التي تصدر عن المجالس النيابية ، والقوانين التي تسنها الحكومة ، والمراسيم التي تصدر عن رؤسائها ، والأوامر التي تصدر عن الوزراء وغيرهم ، يجد فيها غرائب من اللحن وفساد التركيب .

وإن كنا لا ننكر أنها أحسن حالاً مما كانت عليه ، قبل نصف قرن فأكثر ، وهذا يدلنا على أمور : الأول ان الحكومة التركية كانت في عهدها الأخير جاهلة بسياسة الشعوب المنضوية تحت رايتها ، غافلة عما يجب عليها ، غارقة في سباتها العميق .

وأدل شيء على ذلك أنها كانت تشتغل في إخماد الفتن في مكان ، وإثارة الفتن في مكان آخر ، لتتخذ ذلك وسيلة لتوطيد قدمها في بعض الأمصار ، وفرض سيطرتها على بعض الشعوب ، وأنها كانت تجعل الولايات لقاء مال معين ، وانها ترخي العنان لبعض عمالها ، حتى يمتص أموال الأمة التي يولى عليها ، ثم تستصفي أمواله ، فكان العمال جباة للوزراء والملوك ، وهذه المجموعة تنعم من شقاء الأمة ، وكان هذا وأمثاله هو الشغل الشاغل لرجال الدولة وقصور الخلفاء ، وبينما هم منغمسون في

هذه الحمآت . جادون في الحيلولة بين الشعوب والعلم ، بل بين أنفسهم والعلم ، طلعت عليهم أوربة بالقوى والأعتدة التي لم تكن في حسبانهم ، ما بين بنادق ومدافع ، وهددتهم بالدبابات والمصفحات ، وغيرها من الأدوات التي تفتك على وجه الأرض ، وبالمدرعات والغواصات في جوف البحر وعلى وجهه ، وبالطائرات في أجواء الفضاء ، ولا تزال تطلع عليهم في كل يوم جديد ، بنوع جديد من الأسلحة التي تبيد الإنسان ، وتقوض العمران ، وهم يجدون ويدأبون ، ليدركوا شيئاً واحداً فيفوتهم أشياء .

وان أمة هذا شأنها بالنسبة إلى مصلحتها ، لا يرجى منها لغيرها إلا التدمير والتأخير ، وقد فعلت ، وكان من حماقتها في السياسة أنها كانت تعمل على إبقاء الشعوب التي تحت سيطرتها منغمسة في حمأة الجهل ، لأن إذلالها وهي جاهلة أيسر منه وهي عالمة ، وقد فاتها ان الشعب الجاهل الذي تحكمه ، يسهل على أعدائك صرفه عنك وجذبه اليهم .

وان دول أوربة فتحت مدارس مختلفة في العواصم والأمصار والقرى ، وقضت على الأمية ، ونبغ فيها مخترعون في كل فن ،

والدولة العثمانية لم تحدث مدرسة ابتدائية في المتصرفيات والأقضية، إلا في العهد الأخير.

وان المدارس الرشدية والابتدائية، التي أنشأتها في الأقضية، لا يستفيد منها أحد إلا الموظفون في العمل فيها، فانهم يتناولون المرتب الشهري، والاطفال لا يتعلمون إلا الشيء اليسير، وهو تعلم الخط والاعمال الاربعة من الحساب.

وكانت الحكومة التركية تضن على العرب عامة والسوريين خاصة، فلا تفتح لهم مدرسة ثانوية ولا عالية، ولا ترشدهم الى شيء من هذا.

ولولا أن ترى المدارس الاجنبية التبشيرية، قد انتشرت في مصر ولبنان، لما فتحت كتاباً في بلد عربي، وخلاصة ما يتحصل للمستقري الباحث عن أحوالها في تلك العصور، انها كانت عاجزة عن إدارة نفسها، وعن حماية بيضتها والذود عن حياضها.

الامر الثاني ان الامة السورية كانت في ذلك العهد، مؤلفة من أخلاط، وعناصر مختلفة، وقد كانت الكلمة المطاعة فيها

للأعاجم والمستعجمين ، وقد دهمتها فواجع وغشيتها غواش من من الخمول والخنوع ، فانحلت كل آصرة تربط الفرد بالفرد ، والجماعة بالجماعة ، فكانت جمهرة الحكام والعمال والمتغلبين من الغرباء ، وكانت لهم الكلمة النافذة والسيطرة القاهرة ، وهؤلاء لا يهمهم إلا أن يعيشوا عيشة راضية ، وأن يشبعوا نهماتهم ، ولا يبالي الواحد منهم بعد ذلك أأصبحت البلاد عامرة ، أم غامرة ، ولا يضيره أكان الشعب في نعيم أو بؤس ، أو في جهالة أو علم ، بل يسره أن يكون الشعب كالأنعام ، يسخره في منافعه ، ويصرفه في سبيل ملاذه ، وإذا قلب الدهر له ظهر المجن ترك البلاد في شقائها ، وفر إلى بلاده أو بلاد غيرها .

فكان السوري الحقيقي المستضعف ، يسعى جهده لإرضاء المتغلب ليدفع عنه شره ، أو يقلل من أذاه ، ويعمل ليلاً ونهاراً ، ليبذل له ما يرضيه من الأموال ، ويعد نفسه موفقاً إذا استطاع أن يرضيه بكل ما لديه .

ولا يزال السوري على هذه الوتيرة إلى يومنا هذا ، يسوده الغريب ، ويتولى أمره الاجنبي ، فيحلب دره ، ويمتري خيره ، ويسخره في مصالحه ، ويمتهنه في عقر داره ، وهو أطوع له

من بنانه ، وأتبع من ظله ، وربما كان عوناً للغريب على أخيه وعيناً له .

ففقد السوري بسبب ذلك كل مقوماته ومميزاته من غيره ، وأصبح لا يعد في العير ولا في النفير ، فليس له كيان يستقر عليه ، ولا لون يثبت عليه ، وإنما هو كالماء يتلون بلون ما يجاوره أو يخالطه ، وقد يئس من خير الحياة كلها ، فأصبح أكبر همه أن يعيش مستوراً أو يموت مستوراً ، بعد أن كان يطمح إلى معالي الأمور ، وكلما بلغ منزلة عالية اشرأبت نفسه إلى ما هو أعلى منها .

رأيت هذا كله وأشباهه ، فساءني أن يجهل أبناء هذه المدينة خاصة ، والناس عامة ، من تاريخها وآثار بنائها وأبنائهـــا ، ما يرفع الرأس ، ويقر العين ، ويبهج النفس ، وأن لا يعلم الأسباب التي شوهت نضارتها وقوضت حضارتها .

فحبب الي أن أجمع ما أستطيع جمعه ، من أخبار هذه المدينة الفاضلة ، وأخبار أهلها ، وأضم إلى ذلك ما أقف عليه من آثارها وآثارهم ، حتى لا ينسى ماضيها وماضيهم ، ولا يقنط من مستقبلها ومستقبلهم ، فان الذين عمروها في الماضي بأيديهم،

وشهروها بألسنتهم وأقلامهم ، كانوا أناساً مثلنا ، وفي وسعنا أن نعمل ما عملوا لنترك ما تركوا من الذكر الحسن والأحدوثة الطيبة .

ومن البيّن أن المعرة لم تكن في القديم والحديث ، عاصمة لدولة معظمة ، ولا مقراً لملك من الملوك ، ولا شاطئاً يتخذ ثغراً لإقليم ، ولا معقلاً يذود عن حياض مملكة ، ولا وهبتها الطبيعة مما يجعلها محجاً يؤمه الناس من كل حدب وصوب ، فليست فيها بحسب ماعلمنا وما سمعنا أنهار جارية ، ولا معادن مغرية ، ولا مقاطع نادرة .

وإنما منحتها الطبيعة مركزاً ، جعلها حلقة واصلة بين غربي آسية الجنوبي ، وشرقي افريقية الشمالي ، ومجازاً يعبر عليه أهل الشرق الى الغرب براً وبحراً ، فهي بهذا الاعتبـــار ملتقى الشعوب والأمم .

ورزقها الله من عذوبة الماء ، ورقة الهواء ، وطيب المناخ ، ما جعل المقيم ، أو المار فيها يستطيب الإقامة ، وجعل فيها مما يدرّه الضرع ويخرجه الزرع ، ما يصبي النفوس ويطيبها ، كما جعل في سكانها من الخلال المحمودة والمزايا المحبوبة والعبقرية

الباهرة ، ما يحمل الناس على أن يقصدوها ، وبذلك كونت من نفسها لنفسها مركزاً ، يغري الطامعين في الفتح ، والاستيلاء على الشعوب ، وموارد الثروة ، والطامحين الى اقتباس العلم والادب من منابعه الثرّارة .

ولما أجمعت أمري على الشروع في تأريخ للمعرة ، يشتمل على أطوارها في العصور المختلفة ، ويضم طائفة من علمائها وأعلامها في تلك العصور ، اعترضتني عقبات صعبة المرتقى ، وعقد عسيرة الحل ، وهي كثيرة منها :

١ ــ أنني لم أطلع على تاريخ مختص بها ، أتخذه أساساً أقيم عليه بنائي ، ونبراساً أهتدي به في هذا الطريق الاقتم المبهم .

٢ ــ أن كثيراً من النساخ لا يتحرون الحقيقة في النقل ، وإنما يتسامحون فيه ، فيضعون موضع الكلمة ما يشابهها أو يقاربها ، وأكثر ما كنت أجده من هذا النوع لفظة المصري والمُقْرِي والمَقّري والمغربي وأشباهها ، بدلاً من لفظ المعري وبالعكس .

فكنت أصرف جهداً عظيماً في التمحيص والتثبت ، والرجوع إلى المظان ، لتتكشف لي الحقيقة في ذلك ، وربما كنت لم أسلّم من خطأ في هذا الباب .

٣ ــ أنني لم أقف على تاريخ للبلاد السورية ، يذكر في كل بلدة ما يتعلق بها من الناحية السياسية والدينية والاجتماعية وغيرها ، ولا كتاباً يستوعب طائفة كبيرة من أهلها ، وكل ما استطعت الوقوف عليه بعد عناء طويل وجهاد شديد ، هو أنني وقفت على طرف من أخبار المدينة ، وما انتابها من جور الإنسان في الحروب الصليبية ، والفتن والحروب التي أعقبتها من المتنفذين والفاتحين والمتغلبين والمعتدين من الحاضرين والبادين .

وطرف آخر مما أصابها من قسوة الطبيعة . من زلزال يقوض عمرانها ، الى قحط يميت إنسانها وحيوانها ، إلى طاعون يبيد سكانها ، الى فتن تمحو حضارتها وتشوه نضارتها .

وكثيراً ما كنت أتصفح الكتاب الذي تتجاوز صفحاته الألوف ، ولا أجد فيه إلا النزر اليسير من مطلبي هذا ، وربما خرجت من الكتاب ، ولم أعثر على قليل ولا كثير ، فاحتملت هذا وذاك ، وقابلت بالصبر والتجلد كل عائق ، ودفعت كل مثبط ، وصرفت كل صارف عن العمل ، حتى تيسر لي جمع شيء إذا توفر المرء على قراءته ، وقف على شيء من أخبار

المدينة ، وعرف طائفة صالحة من علمائها ومؤلفيها وشعرائها وأدبائها ، ورآه صالحاً لأن يكون أساساً يبني عليه من يحاول إتمام هذا العمل من بعدي .

وقد استفرغت المجهود في البحث والتنقيب والتحري ، في ماهو مظنة لهذا الغرض .

فتتبعت حجج المحاكم والصكوك والوثائق والفرامانات ، وأوامر الحكام ومضابط المجالس وتوليات المتولين ، ومكاتبات الولاة والعمال والامراء والقواد ، وظهور الكتب والرسائل ، وما أشبه هذا .

وجمعت ما استطعت الوصول اليه ، مما كتب في جدر المساجد والتكايا والزوايا والرُّبط والمعاهد الدينية والمدارس والمنائر والقبور والحفائر وما شاكلها ، وفتشت عما يتعلق بهذا الغرض في كتب التاريخ والطبقات والتفسير والحديث والفقه والادب واللغة .

ولم أدخر وسعاً في هذا السبيل على قدر ما سامحت به الأيام ، وساعدتني عليه الحال والصحة ، وأفرغت عصارة هذا المجهود في هذا الكتاب .

وهو على صغر حجمه قد أحوجني إلى عمل شاق في التنقيب والجمع وتمحيص الحقيقة ، من أقوال متضاربة وآراء متشعبة وألفاظ محرفة ، وإبطال ما زعمه بعض الرواة والعلماء ، وإقامة الادلة على صحة ما أقول ، وبطلان ما يقول هؤلاء ، ويجوز لي أن لا أستصغر عملي هذا ، لأني جعلت شيئاً من لا شيء ، وبنيت هيكلاً من مادة كانت مبعثرة في بطون الكتب ، وصغت حلياً من معدن ، كانت ذراته متفرقة في نواحي الارض المختلفة ، تفرق ذرات الذهب في بطون معادنه ، وغرست نواة سوف يحمد الناس ثمرتها ، وإني لأرجو الله أن يهيىء لها من يتعهدها حتى تتم الفائدة المتوقعة من غرسها ، ويدعو من ينتفع بها بالخير لي ولوالديّ اللذين ربياني صغيراً وعلماني كبيراً ، ولشيوخي الذين أناروا لي السبيل وذللوا لي كل أبيّ ، وتعهدوني حتى استفدت وأفدت .

وكنت أود أن أقسم هذا الكتاب ، فأجعل قسماً منه خاصاً بعمران المدينة ، وثانياً خاصاً بحياة أهلها الاجتماعية ، وثالثاً بحياتهم السياسية ، ورابعاً بحياتهم الدينية ، وخامساً بحياتهم العقلية ، وأبين أطوار كل نوع في كل عصر على حدة وأبين

أسباب الارتقاء والتوقف والانحطاط في كل زمن ، لتكون الفائدة أعم وأجزل ، ويكون تناولها أيسر وأسهل ، ولكني وجدت ذلك مستحيلاً أو قريباً من المستحيل ، لأسباب جمة منها :

١ ـ فقد المظان التاريخية الكافية لتحقيق هذا الغرض .

٢ ـ فقد الوسائل اللازمة للتنقيب والتفتيش في بطن الارض ، وفوق ظهرها ، عن الآثار التي يتطلبها البحث والتحقيق .

٣ ـ عدم معرفتي بالآثار وما يميز كلاً منها في كل عصر وجيل ، وعجزي عن الاستعانة بفريق من العلماء الحاذقين بهذا الفن .

٤ ـ عدم مساعدة الايام على فراغ من العمل ، وسلامة من العلل ، لا تمكن من استيفاء كل ما أريد من بحث واستقصاء في سفر أو حضر .

فآثرت الاكتفاء بما سمحت به الايام وبلغته القدرة .

على أن ما جمع في هذا الكتاب يدل بصورة موجزة ، على ما وصلت اليه المدينة في عهد ارتقائها وانحطاطها ، ويمثل صورة مجملة عما بلغ إليه أهلها من الرقي الفكري ، ويرينا مثالاً صالحاً من النوابغ والعباقرة من أهلها في بعض العصور .

وبعد كل ما تقدم فان عملي هذا لا يسلم من خطأ وتحريف وغفلة ، لفقد المصادر الصحيحة ، ولكثرة التشابه بين لفظ المعري وغيره مما سبق ذكره ، ولتضارب الأقوال في الحوادث وتواريخها .

ولكني بذلت الجهد في الجمع والتحري ، وإني أرجو من وقف على خلل أو تحريف ، أو خطأ فيه أن يرشدني اليه ، أو ينبه القراء له ، وفي كلتا الحالتين أكون من الشاكرين له .

محمد سليم بن محمد تقي الدين الجندي

* * *

مَعَرَّةُ النُّعمان

معنى المعرة اللغوي والعرفي

لفظ المَعَرَّة ، على وزن مَسَرَّة ، جاء في اللغة لمعان كثيرة ، منها : الإثم ، والغرم ، والأذى ، والدية ، والجناية ، وتلون الوجه من الغضب ، والشدة ، والأمر القبيح والمكروه ، وموضع المعَرّ وهو الجرب ، وكوكب دون المجرة من ناحيـــة القطب الشمالي .

وقد قيل لرجل نزل بين حيين : أين نزلت ؟ قال : بين المَجَرة والمَعَرّة ، والمجَرة البياض الذي في السماء ، والمعرة ما وراءها من ناحية القطب الشمالي ، وسميت بذلك لكثرة النجوم فيها ، وقد أراد بين حيين عظيمين ، وأصل المعرة موضع العَرّ أي الجرب ، ولهذا سموا السماء الجرباء ، لكثرة النجوم فيها ، فهي تشابه الجرباء .

ويقال: أرض معرة اذا انجرد نباتها، وارض معرة قليلة النبات.

وفي كلام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: اللهم إني أبرأ اليك من معرة الجيش، أي أن ينزلوا بقوم، فيأكلوا من زروعهم بغير علم، أو أن يقاتلوا بدون إذن الأمير.

والمعرة اسم لهذه المدينة، ولقرى كثيرة من عَمَلها، وعمل حماة، ودمشق ونَصيبين، وغيرها، منها: معرة عَلْياء من بلد المعرة المذكورة، ذكرها ياقوت في المشترك[١]. وفي التاج[٢]: «هي محلة في المعرة، ولا تعرف في هذا العهد، والمعروف انها قرية بقرب سَرْمِين من عمل إدلب».

ومعرة حِرْمَة: قرية بالقرب من كَفَرْطَاب، كما قال ياقوت[٣].

ومعرة بَيْطَر: من نواحي المعرة، وكذلك معرة ماتِر.

ومعرة عرب: من نواحي المعرة، وكذلك معرة ماتِر.

ومعرة الصين: وهي الآن مزرعة في الجهة الغربية، من قرية كَفرَنْبل: على بعد ساعة منها.

---

(١) ياقوت: المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ص ٤٠١.

(٢) الزبيدي: تاج العروس ٣: ٣٩٣.

(٣) ياقوت: المشترك ٤٠١.

ومعرة راف .

ومعرة سمولين : من نواحي أفامية .

ومعرة الإخوان .

ومعرة مَصْرِين ، أو نسرين : من عمل إدلب .

ومعرة باش : قرب يَبْرُود .

ومعرة صَيْدَنايا : قرب منين ، وكلتاهما من أعمال دمشق .

وفي عمل معرة النعمان ، وما يقرب منها ، قرى كثيرة ، اسمها مَعَر بلا تاء ، مضافاً الى اسم آخر .

منها مَعَرْشَمْشَى : من عمل المعرة ، ولعلها التي تسمى الآن معر شِمشَى .

ومَعْرَاثا : وهي قبلي المعرة ، على الجادة الآخذة الى حماة ، ويقال لها الآن : معراتا بالتاء المثناة ، وابدال الثاء بالتاء كثير في المعرة وغيرها .

ومعر شِمّارين : من ناحية المعرة .

ومعر دِبْسَى : على الطريق الآخذة من المعرة إلى إدلب .

ومعر تارح : من نواحي كَفَرْطاب ، في شماليها .

ومعر تَرْوَح : بفتح التاء ، وسكون الراء ، وفتح الواو ، وحاء مهملة ، وهي على الجادة الآخذة من كفرطاب إلى حماة ، ولعل أصل هذه ، والتي قبلها معرة آرح ، ومعرة أَرْوَح ، فسهلت الهمزة فيها ، ونقلت حركتها إلى ما قبلها .

ومعرشَمْسين : من أعمال كفرطاب .

ومعر زاف : من عمل إدلب .

وفي تاج العروس [1] : ان مَعَر ـ بلا هاء ـ اسم لاحدى عشرة قرية ، كلها بأعمال حماة ، ومَعَرّين بزيادة ياء ونون بلد بنواحي نَصيبين ، وقرية بشَيْزَر ، وأخرى بحماة ، وأخرى في عَزَاز ،

وإذا تأملنا المعاني المتقدمة للفظ المعرة لا نجد معنى مناسباً تمام المناسبة لأن يكون هذا الاسم مشتقاً منه، وإذا أمكن ذلك بضرب من التأويل في هذه المدينة ، تعذر مثله في غيرها ، ولذلك اختلف العلماء في معناها الذي اشتقت منه ، فزعم بعضهم [2]: ان المعرة معناها المَغَارة،

(١) الزبيدي : تاج العروس ٣ : ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

(٢) كامل الغزي : نهر الذهب تاريخ في حلب ١ : ٤١٧ .

وانها سميت بذلك لأن هذه المدينة مشتملة على كثير من المغاور ، وأن أصلها في السريانية مَعَرْتا ، فتصرف بها العرب ، وقالوا : معرة ، وتاؤها في اللغتين للتأنيث .

وقال آخر : لا يبعد أن يكون هذا الأصل في تسميتها ، فإن أكثر اسماء القرى والمدن في الشام ، جاءت من الآرامية والسريانية.

وزعم آخر ، فقال : يخيل اليّ ان أصله مُعرّس ، ثم ابدلت التاء من السين ، وتلك لغة من لغات العرب ، ولما طال العهد على استعمال هذه الكلمة ، فتحت الميم لتتفق مع الألفاظ التي يألفها العرب المتكلمون بها .

وزعم آخر : أن أهل المعرة كانوا يسكنون سِيَاث ، فلما افترس السبع ولداً للنعمان . دفنه في موضع المعرة ، وقال لأهل سِياث : من كان يودني فليبنِ له موضعاً عند الموضع الذي ابتنيته ، فبنى الناس المعرة كما سيأتي .

وزعم آخرون غير ذلك ، وقد سألت أحد العلماء باللغة السريانية ؟ فقال : إن لفظ المعرة سرياني ، أصله معرتا ،

ومعناها المغارة والجمع مُعَرِّي ، بإمالة الراء نحو الكسرة ، لا بالكسرة الخالصة .

وإذا أمعنا النظر في هذه الأقوال وغيرها ، تبين لنا أنها كلها من باب الظن والتخمين ، وحب الإتيان بالغريب ، وتعليل الشيء بعد وقوعه ، ومثل هذا لا يصح أن يبنى عليه حكم موثوق به ، وانما يتوقف على دليل تاريخي ، خال من الشبهة والشك ، وهذا لم نجده على كثرة بحثنا عنه ، ولا نظن ان أحداً وجده ، أو يجده ، وإذا سلمنا بعض هذه الأقوال ، أو كلها ، تعذر علينا معرفة الشخص الذي حرف هذا اللفظ ، والاشخاص الذين حرفوه ، ومعرفة الزمن الذي حرف فيه ، والسبب الحامل على تحريفه ، ثم اننا لا نعلم بعد ذلك من أين جاء تشديد الراء ؟ مع أن الغالب في التحريف إرادة التخفيف ، لا التشديد . وإذا أمكننا شيء من التأويل والتوجيه في معرة النعمان ، استعصى علينا مثله في بقية الأماكن والقرى المسماة بالمعرة ، والمضافة إلى لفظ آخر ، كمعرة الصين ، أو بَيْطَـر ، أو الاخوان ، وغيرها ، لأن التاريخ لم يخبرنا بأن الصين أو بيطر أو الاخوان ، نزلوا هذه

الاماكن ، كما لم يعرفنا من هم هؤلاء ؟ وبناء الحكم على ظنون واهية ، لا قيمة له في نظر العلم ، وقول أبي العلاء :

يُعَيِّرُنا لَفظَ المَعَرَّةِ أنَّها مِنَ العَرِّ قَومٌ في العُلا غُرَبَاءُ

* * *

وَمَا لَحِقَ التَّثْرِيبُ سُكانَ يَثْرِبٍ مِنَ النَّاسِ لَكِنْ في الرِّجالِ غَبَاءُ[1]

يشعر بأن لفظ المعرة مأخوذ من العَر ، وهو لا يعيب أهل هذه المدينة ، كما ان اشتقاق أو أخذ « يَثْرِب » من التثريب ، لم يعب أهل المدينة المسماة بهذا الاسم ، ولا يمكن أن يراد من هذا البيت غير هذا المعنى ، اذ لا يستقيم التمثيل بالبيت الثاني إلا إذا حمل على هذا الوجه والتأويل ، وذلك يعيِّن أن يكون المراد اشتقاق المعرة من العَر في رأي أبي العلاء .

والذي أعتقده أن جميع الاسماء لا تعلل ، ولا يجب أن يكون بينها وبين مسمياتها مناسبة ، ولا يجب أن يكون لها أصل تشتق منه ، وإذا تسنّى لنا وجود شيء من هذا في بعض الأسماء

---

(١) أبو العلاء المعري : اللزوميات ٢١ : بوفيها :

« وهل لحق التثريب . . . لا بل في الرجال . . . »

فلا يجب أن يكون ذلك عاماً مطرداً في كل اسم ، ولا سيما أسماء الأعلام للأشخاص والأماكن .

وان التزام مثل هذا اضطر كثيراً من العلماء الى أن يأتوا بضروب من التأويل البعيد عن العلم ، وعن مقاييس اللغة في تعليل الاسماء ، وبيان أصولها التي اشتقت منها ، كما نرى ذلك في مثل دمشق ، وحلب ، وحماة ، وحمص ، وإدلب ، وغيرها .

وإذا لم يكن لنا بد من التعليل وردّ الاسم الى اصل كيفما كان ، فإن أقرب الوجوه الى السداد أن نقول : إن المعرة مأخوذة من السريانية ، ثم حرّفها العرب على نحو ما تقدم .

هذا إذا لم نقل : إن اصلها عربي أخذها السريان من العرب ، أو انها مما اتفق فيه اللغتان ، فهي أصل في كليهما .

النعمان الذي أضيفت اليه المعرة :

اختلفت كلمة المؤرخين في النعمان الذي أضيفت إليه هذه المدينة اختلافاً شديداً ، فذهب فريق الى انها أضيفت الى النعمان بن بشير الأنصاري الصحابي الجليل[1] .

---

(١) هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري ، وأمه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة ، والنعمان —

وقيل : إنه كان والياً في حمص ، فاجتاز بالمعرة ، فمات

ـــوأبوه وأمه صحابيون.، شهد أبوه بشير العقبة الثانية وبدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وبعثه في سرية إلى فدك في شعبان ، ثم بعثه في شوال نحو وادي القرى ، وهو أول أنصاري بايع أبا بكر ، واستشهد مع خالد بن الوليد بعين التمر بعد انصرافه من اليمامة سنة ١٢هـ أو سنة ١٣هـ .

وأما النعمان فإنه ولد على رأس أربعة عشر شهراً من الهجرة ، وهو أول مولود من الأنصار بعدها ، وروي له عن النبي ﷺ مائة وأربعة عشر حديثاً ، وروى عنه ابناه بشير ومحمد والشعبي وآخرون ، وكان كريماً جواداً شاعراً ، استعمله معاوية على حمص ، ثم على الكوفة سنة ٥٩ هـ ، ثم عزله يزيد عنها ، وولى مكانه عبيد الله بن زياد ، ثم بعثه إلى قومه في المدينة سنة ٦٢ هـ ، ليمنعهم عن مشاركة أهلهـا في الخروج على يزيد ، واستعمله على حمص . ولما مات معاوية بن يزيد ، كان على حمص ، فكان يدعو الى ابن الزبير ، فاستمده الضحاك بن قيس ، فأمده بشرحبيل بن ذي الكلاع ، فلما انهزم الناس من مرج راهط ، لحقوا بأجنادهم ، فانتهى أهل حمص إليها ، وعليهم النعمان ، فخرج هارباً ، وطلبه عمرو بن الجلي الكلاعي ، فقتله في أواخر سنة ٦٤ هـ ، وقيل : في المحرم سنة ٦٥ هـ ، وذكر في الاصابة ، انه دعا إلى ابن الزبير ، ثم دعا إلى نفسه ، فواقعه مروان فقتله . ونجد ترجمته وأخباره وشيئاً من شعره في تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١ : ص ١٢٩ ، وأسد الغـابة لابن الأثير ٥ : ص ٢٣ ، والاصابة لابن حجر ٦ : ٢٤ ، وتاريخ ابن جرير الطبري ٦٠ : ١٧٦ ، ١٨٨ و ٧ : ٤٠ ، ٤٧ ، والكامل لابن الأثير ٤ : ١١ ، و٥٢ ، و٧٤ ، وشذرات الذهب لابن العماد ١ : ٧٢ ، والأغاني للأصفهاني ١٤ : ١١٤ ، والكامل للمبرد ٢ : ص ٢٠٨ .

وقد ذكر بعضهم : ان قبر النعمان بن بشير في الطريق الممتدة بين حمص وسلمية (ج) .

له ولد فيها ، فدفنه ، وأقام أياماً حزيناً عليه ، فسميت به . وقيل : إنه تديرها ، فنسبت إليه ، وكانت قبل ذلك يقال لها : معرة حمص ، وممن ذكر اضافتها الى النعمان بن بشير ابن خَلّكان (١) ، والبَلاذُري (٢) ، وأبو الفِداء (٣) ، وابن بَطّوطة في رحلته (٤) ، وابن العَديم (٥) ، وابن الأثير في الكامل (٦) .

---

(١) هو أحمد بن محمد البرمكي الاربلي المعروف بابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ ، له كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان فرغ من تأليفه سنة ٦٧٢ هـ .

(٢) هو أحمد بن يحيى البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ هـ ، له كتب منها : فتوح البلدان ، وتاريخ الأشراف .

(٣) هو الملك المؤيد اسماعيل بن علي صاحب حماة المتوفى سنة ٧٣٢ هـ ، له كتب منها : تقويم البلدان ، ومنها : المختصر في أخبار البشر رتبه على السنين ، وانتهى فيه إلى سنة ٧٠٩ هـ .

(٤) هو محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ، المعروف بابن بطوطة ، بدأ رحلته سنه ٧٢٥ هـ ، واستغرقت خمساً وعشرين سنة .

(٥) هو الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد العقيلي ، المعروف بابن العديم ، وبابن أبي جرادة المتوفى سنة ٦٦٦ هـ ، له كتب منها : بغية الطلب في تاريخ حلب ، ومنها رفع الظلم والتحري عن أبي العلاء المعري وورد اسمه : كتاب الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري .

(٦) هو ابو الحسن علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٣٠ هـ ، له كتب كثيرة ، منها : الكامل في التاريخ أو تاريخ الكامل ابتدأ فيه من أول الزمان إلى سنة ٦٢٨ هـ .

وذكر ياقوت [1] هذا القول [2] ، ثم قال[3] : وهذا في رأيي سبب ضعيف لا تسمى بمثله مدينة . والذي أظنه انها مسماة بالنعمان ، وهو الملقب بالساطع ، وهو النعمان بن عدي بن غَطَفان التنوخي . وأنكر عليه ذلك ابن العديم ، فقال في الإنصاف والتحري عند كلامه على الساطع : « وبعض الجهال يقول : ان معرة النعمان تنسب اليه ، وليس بصحيح ، بل تنسب إلى النعمان ابن بشير الأنصاري ، وكان والياً على حِمْص وقِنَّسْرِين في ولاية معاوية وابنه يزيد ، ومات للنعمان بها ولد ، وجدد عمارتها ، فنسبت اليه ، وكانت أولاً تسمى ذات القصور » .

ثم قال : « وقيل إن سِيَاث كانت المدينة ، وهي آهلة ، فخرج ابن للنعمان بن بشير للتصيد ، وكان موضع المعرة أجمة ، فافترسه السبع ، فجزع عليه ، وبنى له موضعاً عند قبره ، فبنى الناس لبنائه ، فسميت معرة النعمان لذلك ، وانما نسبت الجهال المعرة الى النعمان بن عدي المعروف بالساطع ، لأن أهلها كلهم أو بعضهم من بني الساطع ، فظنوا أنها منسوبة اليه » . اهـ .

---

(١) هو ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ، له كتب كثيرة ، منها : معجم البلدان ، ومنها : ارشاد الأريب الى معرفة الأديب ، والمشترك ، وغيرها .

(٢) أي إضافتها إلى النعمان بن بشير .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ٤ : ٥٧٤ ، ٥٧٥ .

وقال ابن العديم في بغية الطلب : «أخبرني القاضي أحمد ابن مدرك المعري ، فيما يأثره عن أهل معرة النعمان ، أن معرة النعمان انما نسبت الى النعمان بن بشير ، لأن موضعها كان أجمة قصب ، وكان سكنى أهل المعرة بسِيَّاث ، وهي كانت المدينة إذ ذاك ، وآثارها تدل على ذلك ، فخرج من سياث ولد النعمان يتصيد ، فافترسه الأسد عند الأجمة ، فدفنه في ذلك الموضع ، وبنى منزلاً عند قبره ، وقال لأهل سِياث : من يودني ، ويحب مرافقتي ، فليبن له موضعاً عند الموضع الذي ابتليته ، فبنى الناس معرة النعمان ، وسميت بذلك لما لحق النعمان من معرة الحزن على ولده .

ثم قال : قلت : والصحيح أن النعمان بن بشير جدد بناءها ، وزاد فيه ، واختارها للمقام أيام ولايته ، فنسبت اليه ، وقد كانت مدينة معروفة قبل ذلك ، فتحها أبو عبيدة ، وأكثر أهلها من تنوخ .

ونقل انها منسوبة الى النعمان بن بشير ، لأن معاوية كان أقطعه اياها فنسبت اليه ، وستأتي تتمة كلامه عند الكلام على ذات القصور .

وقال أبو العباس الشَّرِيشي : « النعمان اسم للجبل المطل على المعرة فأضيفت اليه[١] ». وقال مثل هذا ابن بطوطة[٢] .

وقال مغلطاي في تاريخ سلاطين مصر والشام في ذكر ما فتحه الفرنج : « معرة النعمان بن المنذر » .

ونسبها آخرون الى النعمان بن امرىء القيس ، لأنه غزا بلاد الشام غير مرة ، وأكثرَ المصائبَ والسبي في أهلها .

هذا كلام طائفة من العلماء والمؤرخين في المعرة والنعمان . ومن البيِّن أن كل ما ذكروه من الوجوه والعلل في تسميتها واضافتها ، قائم على الظن لا يستند الى شيء من الحقيقة ، وكله بعيد عن الصواب. أما ما ذكره ياقوت[٣] من استبعاد اضافتها الى النعمان بن بشير فواضح ، ولا يعرف في المعرة أجمة ، وموضعها الآن بعيد عن أن يكون أجمة ، ولكن في شماليها وغربيها أودية يفيض فيها الماء في الشتاء وأول الربيع ، وفيها ركايا

---

(١) الشريشي : شرح المقامات للحريري ص ١٢١

(٢) ابن بطوطة الرحلة ٣٩

(٣) ياقوت : معجم البلدان ٤ : ٥٧٥

ينبجس منها الماء فيجري على وجه الأرض أحياناً . وقد يجوز أن يكون فيها في القديم آجام ، لا أجمة . ولكن المعرة أعلى من هذه الأماكن ، وليس فيها ماء يسيح على وجه الأرض في وقت من الاوقات ، ولا يعرف فيها قبر لابن النعمان ، ولو كان هناك قبر لاحتفظ الناس به أو بآثاره ، كما احتفظوا بكثير من قبور الصالحين ، وإن لم يكونوا مقبورين فيها ، كما يزعم الناس في قبر أُوَيس القَرَني ، على أن ياقوتاً ناقض نفسه إذ قال في مادة معرة النعمان ما تقدم من أنها منسوبة إلى الساطع ، وهو قبل الإسلام كما سيأتي . ثم قال في مادة « سِيَاث »[1] : بكسر أوله وبعد الألف ثاء مثلثة ، كانت بليدة بظاهر معرة النعمان ، وهي القديمة ، والمعرة اليوم محدثة ، كذا ذكره ابن المُهَذّب في تاريخه ، واجتاز بها القاضي أبو يعلى عبد الباقي بن أبي حصين المعري ، والناس ينقضون بنيانها ، ليعمروا به موضعاً آخر فقال :

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ٣ : ٢٠٧ .

مَرَرْتُ بِرَسْمٍ فِي سِيَاثَ فَرَاعَنِي ... بِهِ زَجَلُ الأَحْجَارِ تَحْتَ المَعَاوِلِ(١)
تَنَاوَلَهَا عَبْلُ الذِّرَاعِ كَأَنَّمَا ... رَمَى(٢) الدهرُ فِيمَا بَيْنَهُمْ حَرْبَ وَائِلِ
أَتُتْلِفُهَا(٣) شُلَّتْ يَمِينُكَ خَلِّهَا ... لِمُعْتَبِرٍ أو زَائِرٍ أَوْ مُسَائِلِ
مَنَازِلُ قَوْمٍ حَدَّثَتْنَا حَدِيثَهُمْ ... وَلَمْ أَرَ أَحْلَى مِنْ حَدِيثِ المَنَازِلِ

وذكر ابن العديم عن أبي العلاء المعري : أن هذا الشعر لأخيه أبي الهيثم عبدالواحد، وأنه كتبه على حائط من حيطان سياث وروايته :

مَرَرْتُ بِرَبْعٍ مِنْ سِيَاثَ . . . .

وسيأتي في ترجمة زيد بن أبي الهيثم انه مرّ على سياث ، وهي قرية إلى جانب معرة النعمان خراب ، فوجد رجلاً يهدم أبنية بها ، ويستخرج منهــــا حجارة ، فكتب على حائط من حيطانها بمعول :

مَرَرْتُ بِرَبْعٍ . . . .

وكانت وفاة أبي الهيثم سنة ٤٠٥ ﻫ ، وهذا يدل على أن

---

(١) ذكر هذه الأبيات ابن العديم في الإنصاف والتحري ، انظر تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٩٤ . وفيه : « بربع من سياث .. » .
(٢) في الإنصاف : « جنى الدهر .. » .
(٣) في الإنصاف : « امتلفها .. » .

سِياثاً لم تزل آثارها باقية إلى هذا العهد ، وأن المعرة كانت عامرة .

ويدل على أن المعرة كانت عامرة قبل الإسلام ، معروفة بهذا الاسم، ما ذكره ياقوت[1] ، وابن الشِّحْنَة[2] ، والبَلاذُري[3] ، وغيرهم ، ففي كلام هؤلاء الآتي أن في المعرة قبر عبد الله بن عمار بن ياسر الصحابي ، وقبر يوشع بن نون ، وأن أبا عبيدة لما فرغ من فتح حماة مر بالمعرة سنة ١٥ هـ ، فصالح أهلها على صلح أهل حماة .

فهذا يدل دلالة صريحة ، على أن المعرة كانت عامرة ، وكانت تسمى بهذا الاسم قبل الإسلام . أما نقض أهلها بنيان سياث ليعمروا به موضعاً آخر ، فلا يوجب أن يكون ما يعمرونه به مدينة المعرة نفسها . بل ربما كانوا يزيدون به في بنائها ، وأهل المعرة إلى هذا اليوم كلما عثروا على بناء قديم ، نقلوا حجارته ، وبنوا بها بناء جديدا . وكثيراً ما أذهبوا هياكل عظيمة ، ومحوا معالم جليلة في نظر التاريخ وعلماء الآثار في سبيل ذلك .

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ٤: ٥٧٥ .

(٢) ابن الشحنة : الدر المنتخب ١٢٩، ١٣٠ .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ١٣٠ ، ١٣٧ ، ١٣٨ .

وأما قول من قال: ان النعمان الذي أضيفَت اليه هو جبل ، فلا نعرف جبلاً يطل على المعرة مسمى بهذا الاسم، بل لا يطل عليها جبل مطلقاً ، وانما يتصل بها من الغرب جبل صغير يقال له: جبل عَطّـال ، ويتصل بها من ناحية الشمال جبل يقال له: المقاطع، ويتصل بجبل الزاوية ، وكان يقال له : جبل بني عُلَيْم ، وهو على مقربة من مكان يقال له : الَمحْيَا ، ويقال : إنّ فيه قبر شيث عليه السلام ، ولا يبعد أن يكون شيث محرفاً عن سِياث ، وعنده عين ماء يقال لها : عين آسية .

وربما كان اسم واحد من هذين الجبلين النعمان ثم غيّر ولكن ذلك يحتاج الى نص تاريخي ، ولا يجوز بناء الحكم فيه على الظن وحده ، على أني سمعت من بعض اهل المعرة ان الجبيل الغربي الذي يقع غربي وادي الخطيب إلى المَحيا، يقال له : النعمان ، ولكني لم أعثر على ما يؤيد ذلك ، وكذلك إذا قيل : إنها مضافة إلى النعمان بن المنذر ، أو النعمان بن امرىء القيس ، لا يمكن أن يعوّل عليه حتى يؤيده دليل ، ولم نعثر على هذا الدليل .

وأما إضافتها الى النعمان بن عدي الملقب بالساطع فهي كغيرها تحتاج إلى ما يؤيدها ، وقد ذكروا ان تَنُوخ ملّكوا عليهم الساطع ، وكانت له وقائع وحروب مع ملوك الفرس ، ولما هلك تفرقت كلمة تنوخ ، وتنازعوا الرياسة بعده ، ثم غزا ملكُ الفرس الرومَ ، فأكثر فيهم القتل والسبي وخراب العامر ، فاستنجدوا بتنوخ ، فقاتلوا مع الروم ، ثم سألوا ملك الروم أن يتولوا حرب الفرس منفردين عن جند الروم . فأجابهم إلى ذلك ، فقاتلوا الفرس وظفروا بهم ، فأعجب بهم ملك الروم وقربهم وأقطعهم سورية وما جاورها من البلاد الى الجزيرة ، وسورية مدينة بقرب الأَحصّ .

وهـذا يدل على أن الساطع لم يقدم المعرة ، وإنما تملك ومات أو قتل في العراق ، ومن البعيد أن تنسب إليه مدينة وهذه حاله ، ولعل ياقوتاً نظر الى أن المعرة كانت صليبة تنوخ ، أي فيها جمعهم المستكثر ، وأن جمهرة المؤرخين ذكروا أن المعرة كانت لتنوخ ، وأن كل أهلها أو جلهم من بني الساطع ، فزعم أنها منسوبة اليه .

وقد يشهد لهذا القول ما سيأتي عن البَلاذُري وغيره ، من أن تَنُوخ كان لهم حاضر قِنَّسْرين ، مذ أول ما تنخوا بالشام ، نزلوه وهم في خيم الشعر ، ثم ابتنوا المنــــازل ، ثم دعاهم أبو عبيدة إلى الإسلام ، فأسلم بعضهم ، وأن تنوخ قدموا مع أبي عبيدة ، فنزلوا مَنْبِج ، وسورية ، وحماة ، ومعرة النعمان ، وكفَرْطاب ، وغيرها ، وكانوا نصارى ، فامتنعوا عن أداء الجزية ، وأنهم قدموا على عمر لما قدم الشام ، فدفع فريق منهم له الجزية على اسم الخراج ، وأقاموا بديارهم ، وكان منهم أجداد أبي العلاء ، وأجداد بني الفصيص ولاة قِنَّسْرين .

ولكن ذلك كله ليس فيه ما يدل على قدوم الساطع المعرة ، أو نسبتها إليه ، بل يدل على أن المعرة كانت تسمى بهذا الاسم قبل الإسلام .

وفي المعرة أرض يقال لها : الساطعية إلى يومنا هذا ، وهي في شمالي المعرة ، ولكنني لا أعلم إلى أي ساطع تنسب .

والغالب على الظن أنها تنسب الى ساطع بن عبد الباقي بن المحسن التنوخي من بني أبي حصين ، كان شاعراً مجيداً ، مقرباً عند الملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب ، مرض في حلب ، وحمل إلى المعرة فمات في الطريق سنة ٦٢١ هـ .

اضافتها الى حمص :

ذكر فريق من المؤرخين أن هذه المدينة كان يقال لها : معرة حِمْص ، ثم أضيفت الى النعمان بن بشير ، منهم صاحب الوفيات [١] ، والبَلاذُري [٢] ، وأبو الفداء في حوادث سنة ١٥ ﻫ [٣] ، وابن بَطُّوطة في (رحلته) [٤] ، وقال ابن الأثير في (الكامل) [٥] : معرة حمص ، وهي معرة النعمان نسبت بعد الى النعمان بن بشير الأنصاري .

وقال ياقوت [٦] : إنها من أعمال حمص .

وقالوا : إن سبب إضافتها إليه ، أنها كانت مضافة إليه مع حمص في خلافة معاوية ، أو أن ولده توفي فيها على نحو ماذكرنا .

وفي (المسالك والممالك) لابن خرداذبه [٧] : من أقاليم حمص اقليم معرة النعمان ، واقليم كَفَرْطاب ، واقليم تل مَنِّس .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ : ٤٢ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ١٣١ .

(٣) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ١ : ١٦٨ .

(٤) ابن بطوطة : تحفة النظار ٣٩ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ٢ : ٢٠٨ .

(٦) ياقوت : معجم البلدان ٤ : ٥٧٥ .

(٧) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ٧٥ .

اضافتها الى حلب :

ذكر الواقدي في (فتوح الشام ص ١٠١) : أن أبا عبيدة ضم لخالد بن الوليد أربعة آلاف فارس ، وقال له : شنّ بهذه الكتيبة ، واقصد بها المعراة [1] ، واقرب من معرة حلب ، وشنّ بها الغارة على بلد العواصم .

تسميتها بذات القصور :

وذهب جماعة من المؤرخين إلى أنها كانت تسمى ذات القصور ، ثم نسبت الى النعمان بن بشير ، منهم : ابن العديم في (الإنصاف والتحري [2]) . ونقل في (بغية الطلب في تاريخ حلب) عن أبي عبد الله محمد المسعودي أنه قال [3] : معرة النعمان منسوبة الى النعمان بن بشير الصحابي ، كان والي حمص ، والعواصم ، وتلك النواحي ، وكانت المعرة قديماً تسمى ذات القصور ، فلما مات للنعمان ابن هناك قيل لها : معرة النعمان . ونقل عن أبي الحسن الهَرَوي أنه قال : كان اسمها قديماً ذات

---

(١) كذا في الأصل . (ج)
(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٤٨٧ عن الإنصاف — لابن العديم .
(٣) المصدر السابق ص ٥٨٨ عن بغية الطلب — لابن العديم .

القصور ، فنسبت الى النعمان بن بشير ، لأن ابنه مات بها ، وقال : وبلغني من غيره ان التي تعرف بذات القصور هي معرة مَصْرين ، والأول أصح .

وقد سماها ابن الوردي في قصيدته الضادية ذات القصور ، وذلك حيث يقول :

سَلاَمٌ عَلَى ذَاتِ القُصُورِ وَأَهْلِهَا وَمُسْتَقْبَلٍ مِنْ حُسْنِ حَالٍ وَمَا مَضَى [1]

وأما شَيْخ الرَّبْوَة [2] فقد قال في كتابه (نخبة الدهر) : معرة النعمان وتعرف بذات القصرين ، ولعل ذلك تحريف من النساخ ، لأن المشهور أنها ذات القصور .

المعرة من العواصم :

قال ياقوت في (معجم البلدان)[3] : العَوَاصِم حصون موانع ، وولاية تحيط بها بين حلب وأنطاكية ، وقصبتها أنطاكية ، كان قدبناها

(١) ابن الوردي : الديوان ٣٢٢ .

(٢) شيخ الربوة : نخبة الدهر ٢٠٥ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ٣ : ٧٤١ .

قوم واعتصموا بها من الأعداء ، وأكثرها في الجبال ، فسميت بذلك .

وقال البَلاَذُري (ص١٣٨)[1] : فلما استخلف أمير المؤمنين الرشيد هرون بن المهدي ، أفرد قِنّسْرين بكورها ، فصير ذلك جنداً واحداً ، وأفرد مَنْبِج ، ودُلُوك ، ورَعْبَان ، وقُورُس ، وأنْطاكِية ، وتِيزِين ، وسماها العَوَاصم ، لأن المسلمين يعتصمون بها ، فتمنعهم إذا انصرفوا من غزوهم وخرجوا من الثغر ، وجعل مدينة العواصم منبج ، فسكنها عبد الملك بن صالح بن علي سنة ١٧٣ هـ ، وبنى بها أبنية .

وقال أبو الفداء في (تقويم البلدان)[2] : ومن الأماكن المشهورة بالشام العواصم ، قال ابن حَوْقَل : وأما العواصم فاسم الناحية ، وليس موضعاً بعينه يسمى العواصم ، وقصبتها أنطاكية[3] . وعدّ ابن خُرْداذبه[4] العواصم فكثّرها ، وجعل منها كورة

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ١٣٨ .

(٢) قال المؤلف : من نسخة خطية في مكتبتي . كتبت سنة ٧٤١ هـ . وانظر النسخة المطبوعة .

(٣) في المسالك لابن حوقل ص ١١٩ النص الآتي : « والعواصم اسم الناحية وليس بمدينة تسمى بذلك وقصبتها انطاكية » .

(٤) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ٧٥ .

مَنْبِج ، وعد منها شَيْزَر ، وأَفَامِيَة ، وإقليم معرة النعمان .

وقال ابن خَلِّكان [١] في ترجمة علي بن محمد بن بسام الشاعر : والعواصم كورة متسعة بالشام ، قصبتها أنطاكية ، وقد ذكرها المعري بقوله :

مَتَى سَأَلْتَ بَغْدَادُ عَنِّي وأَهْلُهَا فَإِنِّيَ عَنْ أَهْلِ العَوَاصِمِ سَآلُ [٢]

وإنما قال هذا ، لأن بلاد معرة النعمان من جملة العواصم .

وقال الطبري في (تاريخه) : إن هرون الرشيد عزل الثغور كلها من بلاد الجزيرة وقِنَّسْرين ، وجعلها حيِّزاً واحداً ، وسميت العواصم ، وذلك في سنة سبعين ومائة للهجرة [٣] .

وفي (صبح الأعشى) نحو من قول ابن حوقل السابق ، وقال أيضاً : أول من سماها بذلك هرون الرشيد حين بنى مدينة طَرَسُوس سنة ١٧٠ هـ ، ثم قال : وذكر عماد الدين

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ : ٤٤٥ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٢٥٣ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٦ : ٤٤٤ .

صاحب حماة في تاريخه[١] : أن الرشيد عزل الثغور كلها من الجزيرة وقِنَّسْرين وجعلها حيّزاً واحداً وسماها العواصم .

وهذا موافق لقول الطبري ، وهو يقتضي أن تكون الثغور والعواصم اسمين لمسمّى واحد .

وقال التِّبْرِيزي في (شرح سقط الزند) عند قوله

وَلَكِنْ بِالعَوَاصِمِ مِنْ عَدِيٍّ[٢] .. :

إنه سأل أبا العلاء وقت القراءة عليه عن العواصم فقال : العواصم من حلب الى حماة ، لأنها حصون وجبال يعتصم بها الناس ، وفسّر العواصم بمثل هذا في غير موضع من شعره . ويشير الى هذا قول أبي العلاء الآتي :

فَإِنِّيَ عَنْ آلِ العَوَاصِمِ سَآلُ[٣] .

وغيره من الأبيات .

---

(١) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ٢ : ١٣ .

(٢) صدر بيت من لامية في السقط مطلعها :

أعن وخد القلاص كشفت حالا ومن عند الظلام طلبت مالا

وعجزه : « أمير لا يكلفنا السؤالا » .

شروح سقط الزند : ق ١ ص ٨٥ .

(٣) صدره : « متى سألت بغداد عني وأهلها .. »

انظر ما سبق ص ٤٠ .

النسبة اليها :

قال السمعاني في (الأنساب) [1] عن أبي نصر الرّامُشي : أن النسبة الصحيحة إليها معرنمي ، وإلى معرة مسرين معرمسي . قال أبوسعد : غير أن أكثر أهل العلم لا يعرف ذلك .

وقال أبو الفداء في (تقويم البلدان) [2] : «قال في اللباب : ومعرة النعمان مدينة من الشام . وقال السمعاني في الأصل ، أعني كتاب (الأنساب) : والنسبة الى المعرة معرنمي ، قال : لأن ثم معرّتين : معرة النعمان ، ومعرة نسرين ، فالنسبة إلى الأولى معرنمي ، والى الثانية معرنسي . غير أن أكثر أهل العلم لا يعرف ذلك . أقول : إني رأيت هذا النقل في الأنساب ، ولم أجده في اللباب »اهـ .

وأنا أقول لعل هذه النسبة رأي ارتآه قائله للتفرقة بين النسبة الى البلدتين ، ولكن لا نعلم أحداً نسب الى واحدة منهما على هذه الصورة ، لا في القديم ، ولا في الحديث .

---

(١) السمعاني : الأنساب ق ٥٣٦ ٢ .

(٢) أبو الفداء : تقويم البلدان ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

والتسوية في النسبتين توجب أن يقال : معرمري ، أو معرنري ، أي أن يؤخذ الحرف الأول والثالث من مسرين أو نسرين ، كما أخذا من نعمان . وقد رأيت اختلاف الرواية بين مسرين ونسرين والمشهور الآن مَصْرين . ورأيت أن النسبة غير جارية على قاعدة مطردة في الأسماء كلها ، وأن أحداً لم ينسبها على هذا النمط ، وهذا كله يدل على أن هذا الرأي لم يرضه غير قائله ، ولم يكتب له الرواج عند أحد ، والمعروف منذ القديم أن النسبة إلى معرة النعمان معري فقط ، وعليه يدرج المتأخرون اليوم .

الخصوصية :

١ ـ الذي يظهر من كلام المؤرخين والأدباء ، أن هذه المدينة كانت موجودة قبل الإسلام ، بدليل ما تقدم من أن بعض التنوخيين أقاموا في ديارهم لما دفعوا الجزية باسم الخراج ، ومنهم أجداد أبي العلاء ، وولاة قِنّسْرين .

وقد قال أبو الفداء : إن ملوك غسان كان ابتداء ملكهم

قبل الإسلام بأكثر من أربعمائة سنة ، وكانت قبلهم في الشام قبيلة يقال لها : الضجاعمة [1] .

وقال القَلْقَشَنْدي [2] : ومن الناس من يطلق تَنُوخ على الضجاعمة ودَوْس الذين تتنخوا بالبحرين .

وقال الحمداني : ولتنوخ بقايا بالمعرة من بلاد الشام . وقال مرة أخرى : إن المعرة من بلاد الشام هي صليبة تنوخ .

وقال السمعاني : تنوخ اسم لعدة قبائل اجتمعوا قديماً بالبحرين ، وتحالفوا على التوازر والتناصر ، وأقاموا هناك ، فسموا تنوخاً [3] والتنوخ الإقامة ، وجماعة منهم نزلوا معرة النعمان [4] .

وقال اليعقوبي [5] نحواً من هذا .

ويمكن أن نستخلص من مجموع هذه الأقوال ، أن التنوخيين كانوا في المعرة قبل الإسلام بقرون كثيرة .

---

(١) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ١ : ٧٦ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ١ : ٢١٨ (ج) .

(٣) كذا في الأصل . (ج)

(٤) السمعاني : الأنساب ق ١١٠ .

(٥) انظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٥٤١ ، ٦٠٧ .

وسيأتي ما يدل على أنها كانت عامرة أيضاً قبل أن ينزلها التنوخيون .

٢ ـ يمكن الجمع بين الروايات المتناقضة بأن يقال : إنها كانت تسمى في القديم معرة النعمان ، وذات القصور ، كما يقال : دمشق ، وجِلّق ، والفيحاء . ثم لما جعلت من عمل حِمْص ، قيل : معرة حمص .

أما ما ذكروه من الأسباب في تسميتها بالمعرة ، واشتقاقها وإضافتها إلى النعمان ، فلا يمكن الجزم بشيء منه لما أسلفنا ذكره ، ولئن ساغ لنا التماس وجه مقبول في معرة النعمان ، فمن الصعب الشاق أن نجد مثله في معرة الصين ، ومعرة عليا ، وبيطر ، وباش ، وغيرها . والغالب أن الأسماء لا تعلل ، وأن التماس العلل لا يخلو من بعد عن الحقيقة ، على ما فيه من التكلف والعنت .

٣ ـ أن المعرة من العواصم والثغور .

٤ ـ أن النسبة إليها معري ، وكذلك نسب إليها جماعة كثيرون ، وإذا اقتصر على هذه الصورة في النسبة فهي المرادة دون غيرها .

ذكر المعرة في شعر أبنائها وفي نثرهم :

أهل هذه المدينة كثيرو التغني بها والحنين إليها ، وقد لهج جماعة كثيرون منهم ، وتشوقوا إليها حين نزحوا منها ، أو بعدوا عنها . وذكروها في أشعارهم في مواطن الهزل والجد ، تارة بلفظ المعرة ، وأخرى بغير هذا اللفظ .

أما ذكرها بلفظ المعرة فقد وقع في كلام أبي العلاء في مواطن من شعره ونثره .

فمن الأول قوله في (سقط الزند) :

سَرَى بَرْقُ الْمَعَرَّةِ بَعْدَ وَهْنٍ ... فَبَاتَ بِرَامَةٍ يَصِفُ الْكَلاَلاَ (١)

وقوله :

فَيَا بَرْقُ لَيْسَ الْكَرْخُ دَارِي وإِنَّمَا ... رَمَانِي إِلَيْهِ الدَّهْرُ مُنْذُ لَيَالِ (٢)
فَهَلْ فِيكَ مِنْ مَاءِ الْمَعَرَّةِ قَطْرَةٌ ... تُغِيثُ بِهَا ظَمْآنَ لَيْسَ بِسَالِ

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٧٨
(٢) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١١٩٥ .

وقوله في اللزوم :

يُعَيِّرُنَا لَفظَ المَعَرَّةِ أنّهـا ... مِنَ العَرِّ قَوْمٌ في العُلاَ غُرَبَاء[١]

وقوله في رواية :

نَجّى المَعَرَّةَ مِنْ بَرَاثِنِ صَالِحٍ ... رَب يُفَرِّجُ كُلَّ دَاء مُعْضِلِ[٢]

وقال الأمير أبو الفتح الحسن بن أبي حَصِينَة المعري :

وَزَمَـانِ لَهْوٍ بالمَعَرَّةِ مُونِقٍ ... بِسِيَائِهَا وَبجَانِبَيْ هِرْمَاسِهَا[٣]

وقال في مرثية أبي العلاء :

وَعَجِبْتُ أنْ تَسَعَ المَعَرَّةُ قَبْرَهُ ... وَيَضِيقُ بَطْنُ الأرْضِ عَنْهُ الأوْسَعُ[٤]

وقال أبو الحسن [علي] بن محمد بن الدويرة من أبيات تأتي في ترجمته :

أهل المعرة تحت أقبح خطـة ... وَبِهِمْ أَنَاخَ الخَطْبُ وَهُوَ جَسِيمُ

(١) أبو العلاء ـ اللزوميات ص ٢٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٠ وفيه : « نجى المعاشر » .

(٣) ديوانه ١/٣٥٥ .

(٤) ديوانه ١/٣٧٣ .

وقال محمود بن علي بن المهنا المتوفى سنة ٥٠٥ هـ بعد أن أخذ الفرنج المعرة :

مَعَرَّةُ الأذكياءِ قَـدْ حُرِدَتْ عَنَّا وَحَقُّ المَلِيحَةِ الحَرَدُ
في يَومِ الاثْنَيْنِ كَانَ مَوْعِدُهُمْ فَمَا نَجَا مِنْ خَمِيسِهِمْ أَحَدُ

وقال أبو الهيثم أخو أبي العلاء :

أَدْرِكْ بِإِدْرَاكِ المَعَرَّةِ مُهْجَةً تَفْنَى عَلَيْكَ مَخَافَةً وَحِذَارا (١)

وقال عبد الله بن محمد أخي أبي العلاء :

وَاحْلِفْ بِأَنَّكَ لا تَعُـو دُ إِلَى المَعَرَّةِ بالطلاقِ (٢)

وقال أبو اليسر شاكر بن عبد الله حفيد محمد أخي أبي العلاء :

واتى المعـرة مسرعـا في سرعة المـاء المراق
لله حسن جنـانهـا بالزهر أو روض الرفاق

وقال القاضي عبد الرحمن بن مدرك من حفدة أخي أبي العلاء :

مَـا لِلْمَعَـرَّةِ مُشْبِـهٌ في أَرْضِ مِصْرَ وَلاَ العِراق

---

(١) البيت التاسع والعشرون من قصيدة ذكرها ابن العديم في الإنصاف ، انظر تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٤٦ .

(٢) البيت من مقطعة في الانصاف لابن العديم ، انظر تعريف القدمـاء بأبي العلاء ص ٤٩٨ .

وقال النعمان بن وادع من حفدة أخي أبي العلاء المتوفى سنة ٥٠٠ هـ :

سَقَى اللهُ قَبْراً بِالمَعَرَّةِ مُفْرَداً سَحَاباً مِنَ الغُفْرَانِ لَيْسَ بِمُقْلِعِ

وقال عمر بن الوردي :

رَأَى المَعَرَّةَ عَيْناً زَانَهَا حَوَرٌ لَكِنَّ حَاجِبَهَا بِالجَوْرِ مَقْرُونُ [1]
مَاذَا الذِي يَفْعَلُ الطَّاعُونُ فِي بَلَدٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ بِالظُّلْمِ طَاعُونُ

وقال :

لِي فِي المَعَـرَّةِ شَمْسٌ رِضَـاهُ عَيْنُ مُرَادِي [2]
فَـلاَ تَـذُمُّوهُ إِنِّي أَدْرَى بِشَمْسِ بِـلاَدِي

وقال :

مَعَرَّةُ النُّعْمَانِ عَيْنِي إِذَا ذَكَرْتُهَا تُفْرِطُ فِي سَيْلِهَا [3]
كَمْ زَهْرَةٍ تَضْحَكُ فِي كُمِّهَـا وَنَسْمَـةٍ تَعْثُرُ فِي ذَيْلِهَـا

---

(١) ابن الوردي : الديوان ١٨٥ وفيه :
« ما الذي يصنع الطاعون . . . » .
(٢) ابن الوردي : الديوان ٢٠٨ .
(٣) ابن الوردي : الديوان ٢١١ — ٢١٢ وفيه :
« . . . إذا فكرتها تفرط . . »

وقال :

لَيتَني أُبصِرُ المَعرَّةَ قاعاً صَفصَفاً كَالقِفارِ أو كُشْبَاثا[١]
لَوْ تَوَلّى في يَوْمِ الاثْنَينِ فِيهَا وَاحِدٌ طَلَّقَ الحَيَاةَ ثَلاثَا

وذكرها غير مرة في قصيدته التي يقول في مطلعها[٢] :

قِفْ وَقْفَةَ المُتَأَلّمِ المُتَأَمّلِ بِمَعَرّةِ النُّعْمَانِ وَانْظُرْ بِي وَلِي

وكذلك ذكرها في قصيدته التي مطلعها[٣] :

رَعَى اللهُ عَيْشاً بِالمَعَرّةِ لِي مَضَى حَكَاهُ ابْتِسَامُ البَرْقِ إِذْ هُوَ أَوْمَضَا

وذكرها عم والدي السيد أمين بن محمد الجندي في قصيدة مدح بها الوزير المشير علي رضا باشا والي الشام ، وأرّخ مساعيَه بتلافي أحوال المعرة ، وذلك حيث يقول :

وَلِمَا قَدْ عَرَا المَعَرّةَ مِمّا نَابَهَا مِنْ طَوَارِقِ الأَكْدَارِ
وَدَعَا جُلُّ رِيفِهَا مَسْكَنَ البُوْ مِ وَقَدْ كَانَ مَوْطِناً لِلْهِزَارِ

---

(١) ابن الوردي : الديوان ٢٨٠ ولعل كلمة « كشباثا » محرفة عن « كَسِيَاثا » وسياث هي البليدة التي كانت بظاهر المعرة ودرست على حد قول ياقوت في معجم البلدان .
(٢) هي في ديوانه ص ٢٦٢ (ج) .
(٣) هي في ديوانه ص ٣٢١ (ج) .

إلى أن قال :

كَيْفَ لاَ وَهْيَ مِنْ أَجَلِّ بِلادِ الشَّـــامِ قَدْراً في سَالِفِ الأَعْصَارِ
سَارَ في مَدْحِ مَائِهَا وَهَوَاهَـا في البَرَايَا قَوَافِلُ الأَشْعَارِ
جَبِلَتْ أَهْلُها عَلَى الصِّدْقِ والنَّخْـوَةِ والُجودِ وَالوَفَا وَالبِدَارِ
لَيْسَ يُثْنِيهِمُ التَّعَسُّفُ عَمَّا حَاوَلُوا مِنْ مَكَارِمٍ وَفَخَارِ

وقال خال والدتي السيد محمد بن السيد عمر اليوسفي من أسرة السيد يوسف الشهيرة بالمعرة :

إِنَّ المَعَرَّةَ وَالذِي فَلَقَ النَّوى بَلَدٌ بِهَا أَهْلُ المَكَارِمِ لَمْ تَزَلْ
يَامَنْ تَجَاهَلَ فَضْلَهَا سَفَهاً فَسَلْ رَكْباً بِأَطْلالِ الحِمَى فِيها نَزَلْ

وقد ذكرتها في قصيدة تشتمل على وصف أماكن فيها ، ووصف أيام الصبا التي قضيتها فيها ، وعلى وصف أهلها والحنين إليهم وإليها منها قولي :

يَاصَيِّبَ المُزْنِ مِنْ سَارٍ وَمُبْتَكِرِ حَيِّ المَعَرَّةَ في الآصَالِ وَالبُكَرِ
دَارٌ قَضَيْتُ بِهَا عَهْدَ الصِّبَا مَرَحاً خِلْواً مِنَ الهَمِّ والأَوْصَابِ والكَدَرِ

تَخَالُ أَرْجَاءَهَا في كُلِّ نَاحِيَةٍ مُلْتَفَّةً مِنْ نَسِيجِ الدَّهْرِ في أُزُرِ

تَخَالُ أنَّ الرَّبِيعَ الغَضَّ حَلَّ بِهَا   فَلَمْ يُفَارِقْ مَغَانِيهَا وَلَمْ يَسِرِ

إذَا النَّسِيمُ عَلَى وَادِي النَّسِيمِ سَرَى   وَمَاجَ مَا فِيهِ مِنْ نَجْمٍ وَمِنْ شَجَرِ
حَسِبْتَ بَحْراً خِضَمّاً جَاشَ فَاضْطَرَبَتْ   أمْوَاجُــهُ مِنْ صُنُوفِ الزَّهْرِ والثَّمَرِ
فَالْعَيْنُ تُبْصِرُ أنْمَاطاً مُنَمَّقَةً   مِنَ الأزَاهِرِ فِيهَا مِتْعَةُ البَصَرِ
وَالأُذْنُ تَسْمَعُ لَحْنَ الطَّيْرِ سَاجِعَةً   كَأنَّمَـا هِيَ أعْوَادٌ بِلاَ وَتَرِ
والأنفُ يَنْشَقُ مِنْ أرْجَائِهِ أرَجاً   يُحْيِي النُّفُوسَ بِرَيَّا زَهْرِهِ العَطِرِ
والماءُ يُنْشِدُ شِعْراً في تَحَدُّرِهِ   فَتَكْتُبُ الرِّيحُ فَوْقَ الماءِ بِالإِبَرِ

وإنْ نَظَرْتَ إلَى وَادِي الجِنَانِ وَمَا   بِحَافَتَيْهِ مِنَ الرَّوْضَاتِ والخُضَرِ
حَسِبْتَ أنَّ جِنَانَ الخُلْدِ قَدْ كُسِيَتْ   مِنْ سُنْدُسٍ فَبَدَتْ فِي أرْوَعِ الصُّوَرِ

يَفِيضُ فِي جَوْفِهِ الهِرْمَاسُ مُصْطَخِباً   كَالبَحْرِ مُنْحَدِراً مِنْ رَأْسِ مُنْحَدَرِ
فَيَمْلأُ العَيْنَ حُسْناً فِي تَكَسُّرِهِ   وَيَمْلأُ العَيْنَ مِنْ مُسْتَعْذَبٍ نَمِرِ

وَفِتْيَةٍ كَيَتِيمِ الدُّرِّ فِي شَرَفٍ   لا بَلْ هُمُ كَالدَّرَارِي الغُرِّ فِي الخَطَرِ
صَحِبْتُ مِنْهُمْ مَغَاوِيراً جَحَاجِحَةً   غُرّاً مَيَامِينَ لاَ يُرْمَوْنَ بِالحَصَرِ
مِنْ كُلِّ أرْوَعَ فَوْقَ الدُّرِّ مَنْطِقُهُ   مَا بَيْنَ مُنْتَظِمٍ مِنْهُ وَمُنْتَثِرِ

وَكُلُّ أزْهَرَ فوقَ الغَفْرِ[1] منزلُه   وان أقـامَ على الغبراء والعَفَرِ[2]

فَقُلْ لِغِرٍّ تَغَابَى عَنْ مَآثِرِهِمْ   وَمَا لَهُمْ مِنْ جَميلِ الذِّكْرِ والأَثَرِ
سَلِ المَنَابِرَ هَلْ مِنْ قَبْلِهِمْ سَمِعَتْ   أوْ أبْصَرَتْ أسداً يَنْطِقْنَ بالدُّرَرِ
وَسَائِلِ الخَيْلَ هَلْ مِنْ قَبْلِهِم عَرَفَتْ   في الحَرْبِ أسداً بِلاَ نَابٍ وَلاَ ظُفُرِ
وَسَائِلِ الأرْضَ هَلْ مِنْ قَبْلِهِم دَرَجَتْ   فِيها مَلاَئِكَةٌ في صُورَةِ البَشَرِ

أولئِكَ القَوْمُ قَوْمِي لا أرَى شَبَهاً   في المَكْرُمَاتِ لَهُمْ في البَدْوِ والحَضَرِ
وَتِلْكُمُ الدَّارُ دَارِي لا أرَى بَدَلاً   بِهَا وَلَوْ كَانَ فَوقَ الشَّمْسِ والقَمَرِ

وذكرها جماعة منهم في نثرهم ، منهم : أبو العلاء ، فقد ذكرها في رسائله وكتبـه ؛ مرة بلفظ المعرة كمـا في (رسالة المنيح ص ١٥ ، ١٦)[3] و (ص ٨١)[4] ومرة أخرى بلفظ معرة النعمان

---

(١) الغفر : من منازل القمر .

(٢) العفر : ظاهر التراب .

(٣) يقول أبو العلاء في ص ١٥ : « لنشرت المعرة صحف الافتخار ... » وفي ص ١٦ : « ولعل المعرة قد نظرت أصح النظر ... » . رسائل أبي العلاء لشاهين عطية .

(٤) يقول في رسالة بعث بها إلى أهل معرة النعمان : « هذا كتاب إلى السكن المقيم بالمعرة .. » انظر الرسائل شرح شاهين عطية .

كما في رسالته إلى خاله أبي القاسم (ص٦٧)[1] . ومرة ثالثة بلفظ البلدة المضافة الى النعمان كما في رسالته الى القاضي أبي الطيب حيث يقول (ص ١٠٠)[2] : مِنَ « المسْتقرّ في البَلْدَةِ المُضَافَـــةِ إلى النعمان » . وفي (رسالة الاغريض ص ٥٢)[3] : « وَغَيْرُ مَلُومٍ سَيِّدُنَا لَوْ أعْرَضَ عَنْ شَقَائِقِ النُّعْمَـــانِ الرَّبْعِيَّة ، ومَدَائِحِهِ اليَرْبُوعِيّة ، مَلَلاً مِنْ أهْلِ هَذَا البَلَدِ المُضَافِ إلى هَذَا الاسم » . وقال في (الفصول والغايات ص ٣٠٧) : « ما أنَا وَالبَلَدَ المُضَافَ إلى النُّعْمَانِ بَعْدَ صُحْبَةِ قُرَيْطٍ وَالهِرَاجِ » .

وذكرها في (رسالة الغفران) بلفظ معرة النعمان في (ص١٣٥) و (ص ١٩٢)[4] .

---

(١) يقول : « ... ورسا ثبير ، من معرة النعمان ، ولكل نبأ مستقر » . الرسائل ـ شرح شاهين عطية .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق وفيه : « ... مللاً من أهل البلد المضاف ... » .

(٤) رسالة الغفران طبعة أمين هندية سنة ١٣٢١ ويقول في ص ١٣٥ : « رُئي يصلي بموضع بمعرة النعمان .. » وفي ص ١٩٢ : « كان حق الشيخ إذا أقام في معرة النعمان سنة ... » .

وأما لفظ العواصم فقـــد جاء في كلام أبي العلاء ، منه قوله في السقط :

مَتَى سَاءَلْتَ بَغْدَادُ عَنِي وَأَهْلُهَا فَإِنِّي عَنْ أَهْلِ العَوَاصِمِ سَآلُ[١]

وقوله فيه :

نَدِمْتُ عَلَى أَرضِ العَوَاصِمِ بَعْدَمَا غَدَوْتُ بِهَا فِي السَّوْمِ غَيْرَ مُغَالِ[٢]

وقوله فيه :

تَذَكَّرْنَ مِنْ مَاءِ العَوَاصِمِ شَرْبَةً وَزُرْقُ العَوَالِي دُونَ زُرْقِ جِمَامِهِ[٣]

وقوله في اللزوم :

لَوْ قَامَ أَمْوَاتُ العَوَاصِمِ وَحْدَهَا مَلأُوا البِلادَ حُزُونَهَا وَسُهُولَهَا[٤]

وله أبيات يذكرها فيها من غير أن يصرح باسمهـــا ، كقوله في السقط :

وَمَاءُ بِلَادِي كَانَ أَنْجَعَ مَشْرَباً وَلَوْ أَنَّ مَاءَ الكَرْخِ صَهْبَاءُ جِرْيَالُ[٥]

---

(١) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٢٥٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٠٧ .

(٣) المصدر السابق ق ١ ص ٨٥ .

(٤) لزوم ما لا يلزم ص ٢٠٧ .

(٥) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٢٥٤ والجريال : صبغ أحمر وماء الذهب ، وسميت الخمر جريالاً لشبهها بالذهب ومائه .

وقوله فيه :

لَدَى مَوْطِنٍ يَشْتَاقُهُ كُلُّ سَيِّدٍ   وَيَقْصُرُ عَنْ إِدْرَاكِهِ الْمُتَطَاوِلُ(١)

وقوله فيه :

فَيَاوَطَنِي إِنْ فَاتَنِي بِكَ سَابِقٌ   مِنَ الدَّهْرِ فَلْيَنْعَمْ لِسَاكِنِكَ الْبَالُ(٢)

فَإِنْ أَسْتَطِعْ فِي الْحَشْرِ آتِكَ زَائِراً   وَهَيْهَاتَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشْغَالُ

وأمـا ذات القصور ، فلم أجـد لها ذكرا إلا في بيت ابن الوردي المتقدم .

(١) شروح سقط الزند : ق ٢ ص ٥٢٧ .

(٢) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٢٥٨ .

المعرةُ في القديم

لم نقف على شيء نثق به من أخبار المعرة قبل أن يمتد فوقها رواق الإسلام ، ولا أحطنا علماً بما بلغت اليه من العمران والمدنية في القرون الخالية ، ولا بمن نبغ فيها من العلماء والعظماء . وجل ما نعلمه من ذلك أنها جزء من سورية ، اشترك معها فيما تعاقب عليها من الأطوار والأدوار ، وانضوى تحت اللواء الذي كان يرفرف فوق أرجائها الفسيحة التي كانت منذ برأ الله الخليقة ولم تزل إلى يوم القيامة مطمحاً لأنظار الغزاة والفاتحين ، وميداناً تطحن فيه المطامعُ الدولَ والأمم ، ومجزرة للبشر يقرّب فيها القوي الضعيف ضحية لأطماعه وشهواته ، وقد شهدت هذه البقعة المباركة من الوقائع والفظائع ما لم يشهده غيرها ، وضمت بين جوانحها من الأنبياء والملوك والأبطال والعظماء ما يخيل إلى المرء أن أديم أرضها من تلك الاجساد ، وها نحن أولاء نقصّ عليك طرفاً من نبأ

الأولين ، وإن كنا لا نجزم بصحة شيء منه ، ولا نتحمل عهدة فيه غير صحة النقل عمن كتب في تاريخ سورية خاصة ، أو فيها وفي غيرها عامة . على أنه وإن لم يطابق كله الصواب ، فان القارىء يجد فيه من اللذة والاستطراف ما يجده في قراءة الاساطير ، وإنما غايتنا من ذكره أن نبين أن سلسلة الحروب والتنازع في هذه الدار متصلة الحلقات منذ فطر الله الناس عليها ، وأن حب الاستئثار والتمتع بتربتها الطيبة ومائها العذب وهوائها السجسج ، كان من أكبر العوامل في درس معالمهـــا وتقويض أركان حضارتها ، ولم يزل علة العلل في تطاحن الامم من أجلها ، ولو أتيحت لها النجاة من أطماع الفاتحين ومخالب الطامحين إلى مدنيتها الزاهرة ، لكانت مثالاً جامعاً لمدنية البشر وتقلبه في جميع أطواره .

المعرة أو سورية قبل الطوفان :

زعم بعض الباحثين أن المعرة ، وهي جزء من سورية ، كانت آهلة بالناس قبل الطوفان اقربها من مهد الانسانية ، ولطول العهد على وجود البشر وحياتهم فوق ظهر البسيطة ، فإن بين

آدم والطوفان ما يقرب من ألفي عام ، بحسب ما جاء في بعض الكتب السماوية ، ولكن تعاقب العصور وعدم العثور على شيء من آثار الأمم التي كانوا يقطنونها ، جعل تاريخها أخفى من السهى ، وجعلنا لا نستطيع الجزم بشيء مما يقال .

بعد الطوفان

وأما بعد الطوفان فقد كان أيضاً في منتهى الخفاء والغموض ، حتى اكتشف الخط الهيروغليفي والمسماري وغيرهما ، فأرشد الباحثين والمنقبين إلى معرفة كثير ممن كانوا لا يُعلمون من الدول والأمم ، وأزاح النقاب عن كثير من القضايا التاريخية كانت مجهولة أو مبهمة ، حتى زعم بعضهم ان الحثيين ، وهم الأمة التي امتد سلطانها من جنوبي سورية إلى البحر الأسود شمالاً ، وحاربت فراعنة مصر وملوك آشور وبابل ، لم يعلم من أمرها شيء قبل ذلك . ومتى تم اكتشاف تلك الخطوط وما أشبهها ، تسنى للباحث أن يرى من أخبار الأولين وآثارهم ما يكاد يعد من ضروب المحال . واليك خلاصة مما ذكره المؤرخون عن سورية بعد الطوفان ، وهو غاية ما انتهى اليه البحث ، وأرشد اليه التنقيب في زعم هؤلاء الزاعمين .

استيلاء الكنعانيين على سورية ودخولهم اليها :

زعموا .. أن الآراميين من أبناء سام بن نوح كانوا يقطنون سورية ، وكانت مساكن الكنعانيين في سواحل الخليج الفارسي كالقطيف والبحرين . وكانت لهم في تلك الأصقاع مدينتان عظيمتان ، تدعى إحداهما صورا والثانية اروادا ، فنشبت بينهم وبين ملوك بابل حرب اضطرتهم إلى هجر منازلهم ، فرحلوا إلى سورية وسكنوا في السواحل ، وسموا بلدتين صورا وأروادا باسم تينك البلدين ، ثم تغلبوا على الآراميين ، وتفرقوا في أنحاء سورية إلى أربع فرق ، أقامت إحداها في بلاد فلسطين . والثانية في سواحل الشام ما بين جبل لبنان والبحر وهم الفينيقيون . واستولت الثالثة على الديار المصرية ، ومنهم الملوك العمالقة . وتوغلت الرابعة في الجهة الشمالية من الشام وسكنت في وادي نهر الأرونت [1] « العاصي » وهذه أعظم الفرق قوة وعدداً ، وكانوا يسمون الحثيين نسبة إلى حث بن

---

(١) وفي تاريخ حمص لعيسى أسعد ١ : ٥٩ : من أسماء العاصي اورانتس وارونط ، وسماه أبو الفداء : الارنط .

كنعان بن حام بن نوح ، وذلك قبل ميلاد عيسى ﷺ بنحو ألفين وخمسمائة سنة ، وكانت قادس عاصمة ملكهم ، وهي بلدة عظيمة كانت في بحيرة حمص . ورسخت قدمهم في هذه البلاد ، وعظمت دولتهم ، إلى أن غزا سورية توتمس الاول أحد فراعنة مصر ، وأخضع بلاد الحثيين والسوريين عامة ، وبلغ الفرات ، وذلك في القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، ثم هب السوريون لمحاربة المصريين ، فالتقوا بتوتمس الثالث سنة ١٧٠٠ قبل الميلاد ، ولكنهم لم يفلحوا ، ثم غزاها ثانية وأخذ من اهلها ذهباً كثيراً وعبيداً وبقراً وغيرها .

ولما ولي مصر توتمس الرابع غزا بلاد الحثيين ، وقتل كثيراً من رجالها ، وأخذ منها غنائم جمة . وفي القرن السادس عشر قبل الميلاد غزا رعمسيس الاول ملك مصر سورية ، فلما بلغ وادي العاصي لقي فيه جيوشاً جرارة ، يقودها سابالت ملك الحثيين ، فأوجس في نفسه خيفة منهم ، وصالحهم على أن تكون كلتا الدولتين رداً للأخرى ، ودام ذلك حتى ملك مصر ساتي بن رعمسيس المذكور ، فأجلب على السوريين بخيله

دولتهم على يد بُختنَصر ملك بابل، وكان ابتداء استيلائهم على سورية قبل ميلاد عيسى بنحو أحد عشر قرناً . ولم أقف على شيء من عاداتهم وآثارهم في سورية .

استيلاء الأشوريين على سورية :

وفي سنة ١١٣٠ قبل الميلاد غزا تجلت قلاصر [1] ملك بابل بلاد الحثيين ودوخها ، كما وجد ذلك منقوشاً على تمثال في بابل بعبارة هذا معناها « أنا تجلت قلاصر المحارب الشريف ذللت بلاد سوبير الفسيحة، وقد استحوذ أربعة آلاف من فصائل الحثيين العصاة على مدينة سوبرتا ، فروعتهم مخافة سلاحي ، فأذعنوا وذلت رقابهم لنيري ، فغنمت أموالهم وأخذت مائة وعشرين من مركباتهم ووهبتها لرجال بلادي، وجيشت جنودي المظفرة، وزحفت الى بلاد ارام وسرت الى مدينة « كركميش » في بلاد الحثيين ، فعبرت الفرات ، ووضعت بهم ملحمة كبرى، وغنمت من عبيدهم وأموالهم ما لا يدركه عدد. وافتتحت بعض مدنهم ونهبتها وحرقتها ، وسرت الى جبل اللُّكّام . فنكلت بأهله ونهبت أموالهم فدانوا لي صاغرين » اه.

(١) في تاريخ حمص لعيسى أسعد : ١ : ١٧٠ تغلت بلاسر .

ورَجله ، وأتى في طريقه على العرب فخضد شوكتهم ، ثم دخل سورية ، وقتل من أهلها خلقاً كثيراً ، وافتتح قادس بعد حرب ضروس ، ولكن ذلك لم يفتّ في عضـــد الحثيين ولم يوهن عزائمهم ، فقد كانوا يدافعون عن أوطانهم دفاع الابطال ، ثم تصالح الفريقان على ان تعاد إلى الحثيين املاكهم المغصوبة ، وان لا يظهر ملكهم موتنار مظهر العداء للمصريين ، ولم تكـــد تطفىء هذه الجذوة الملتهبة من قبل المصريين ، حتى شبت من جهة بابل ونينوى وما اليها ، واندلع لهيب الأطماع من تلك الأصقاع ، وتداعت جيوش الفتح الى سورية تداعي الجياع إلى القِصاع .

استيلاء بني اسرائيل على سورية :

ذكر أبوالفداء[1] وغيره من المؤرخين : أن داود ـ عليه السلام ـ استولى على سورية ، وفتح فيها فتوحات كثيرة من أرض فلسطين وعمان وماب وحلب ونَصِيبين وغيرها ، وامتدت شوكة الاسرائيليين في ذلك الحين ، وبقيت في حوزتهم الى أن انقرضت

(١) أبو الفداء : المختصر في تاريخ البشر ١ : ٢٥ .

وفي سنة ٨٨٣ ق . م غزا سورية ملك بلاد الاشوريين البابليين « آشور نسيربال » ووجدت غزوته هذه منقوشة في صخرة ، وقد ذكر فيها أنه سار بجيوشه على جانبي العاصي أياماً ، إلى أن بلغ لبنان ، وأنه قهر أكثر ملوك سورية وأخضع بلادها .

ثم غزاها بعده ابنه سلمناصر ، حتى وادي العاصي ، وقتل ألفاً وستمائة رجل ، وأسر أربعة آلاف واستاقهم الى نينوى ، فتبعته سكان العاصي بجيوش عظيمة ، فأعاد عليهم الكرة ، وفتك بهم فتكاً ذريعاً ، ولم يزل سائراً بجيوشه حتى بلغ حماة ، فخرج لمحاربته ملكها ايدكولينا ، وانضمت اليه ملوك سورية ، وفيهم اخاب ملك الاسرائيليين وتسعة ملوك أُخر ، فتغلب على السوريين ، وقتل أربعة عشر ألفاً من رجالهم ، ثم تبعه أهل دمشق ، فقتل منهم عشرين ألفاً ، وأراد قتل ملكهم فهرب إلى البحر ونجا بنفسه .

ثم ملك بلاد الاشوريين بعد سلمناصر حفيده « نيرر » فأغار على السوريين .

وفي سنة ٧٤٥ ق . م تولى مملكة الآشوريين تجلت فلاصر الثاني ، فسار إلى سورية بجيوش عظيمة ، وضعضع أهلها ،

واستسلم اليه «انبال» ملك حماة ، وأسر منها ومن غيرها ألوفاً واستاقهم إلى بلاده ، ثم عاودها ثانية ، فخرب البلاد وهلك وقهر خمسة وعشرين ملكاً من ملوك سوْرية .

وفي سنة ٧١٧ ق . م ملك بلاد الآشوريين سرعون ، وكانت بينه وبين الحثيين شحناء تغلي مراجلها ، فأغار على بلادهم ، وقتل من رجالهم عالماً لا يحصى عدده ، وأخذ من نجا من القتل أسيراً الى بلاده ، فأسكنهم نينوى عاصمة الآشوريين ، وأسكن من قومه أناساً غيرهم في بلادهم ، وبذلك انقرضت مملكة الحثيين في وادي العاصي ، وأصبحت مساكنهم خالية منهم كأن لم تغن بالأمس ، ثم انتشر بعدهم الآراميون سكان دمشق الأقدمون المنسوبون الى سام ، فلهذا يطلق على السوريين عامة اسم الساميين ، لأن سكان وادي العاصي وصور وأرْواد ، وان كانوا من ذرية حام ، إلا أنهم انقرضوا ، واندمج من بقي منهم في الساميين وغيرهم ، ممن يسمون بالآراميين نسبة لآرام بن سام .

تقاليد الحثيين وعاداتهم وعباداتهم :

أما صنائعهم فأعظمها العمارة ، ونحت الحجارة ، واتقان

التحصين واستخراج المعادن الحديدية ، والزراعة ، وغرس الأشجار وصناعته وغيرها .

وأما أزياؤهم فقد كانوا يلبسون ثوباً قصيرا له شقان طويلان من جانبيه ، يشدون في وسطه نطاقاً يضعون فيه الخنجر ، وكانوا يلبسون في رؤوسهم قبعة طويلة ، مستديرة على الرأس ، مخروطة من فوق ، يحزمونها بمناديل ملونة ، فيها نقوش غريبة ، وكانوا لا يحلقون لحاهم ، وإنما يحلقون رؤوسهم ، ويتركون في وسطها قزعة ، ويتخذ الرجل منهم حلقة في أذنه ، وأما نساؤهم فقد كانت تلبس ثوباً طويلاً يستر الكعبين ، يشدون عليه حبلاً ويعقدونه من خلف .

وأما أسلحتهم فهي الفأس ذو الحدين ، والرمح ، والقوس ، والعصا ، وأما أشكالهم فقد كانوا بيض الوجوه مشربة بحمرة .

واما عاداتهم فقد كانوا يحتفلون بالميت كثيرا ، فيستأجرون النائحات عليه ، ويدفنون معه أعز شيء عنده ، ويضعون في القبر شيئاً من الزيت ، وينزلون مع المرأة حليها وثيابها الفاخرة ، وكانوا ينحتون القبر حجراً كبيراً كالصندوق على قدر حجم

الميت ، ويقفون حوله ، ثم يهيلون عليه التراب ، ولهم في كل اسبوع مجتمع حافل يبيعون فيه ويشترون ، ويقدم اليه خلق كثير من الأمكنة القريبة .

وأما عباداتهم فقد كان السوريون جميعاً يعبدون الصنم المشهور المسمى بَعْل ومعناه الالـه ، ويعتقدون انه هو الاله . وهو في نظر العوام منهم ذات الشمس أو المشتري وكانت مدينة بَعْلَبَكّ محلاً لعبادة السوريين عامة ، وقلعتها بيت للصنم القديم ، كانوا يؤمونه من كل فج عميق في أيام معلومة ، وينهمكون في أحوال وحشية من الرقص على نغم المزامير والطبول ، ويجلدون أنفسهم بالسياط إلى أن تسيل الدماء ، وربما قطع الواحد منهم يده أو رجله ، وذبح الأب ولده ، ونذرت المرأة اباحة نفسها مدة من الدهر تقرباً للصنم ، وكانوا لا يأكلون السمك ، ويحترمون الطيور ، وكان في حمص هيكل للصنم ، ويقال : ان أهل حماة كانوا يعبدون صنما يسمى سيما .

استيلاء اليونان على سورية :

وفي نحو سنة ٣٣٢ قبل الميلاد استولى الاسكندر اليوناني على

من عهد الحكومة التي أعقبت اليهود في الاستيلاء على سورية مخالفة لهم . وكان الرومانيون إذا مات لهم ميت حملوه في نعش ، ومشوا أمامه يحملون تمثاله وتماثيل أسلافه ، ويعضون في فم الميت شيئاً من النقود ليعطيها للشخص الموهوم المسمى شارون ، يزعمون أنه موكل بنقل الأموات الى نهر الموت ، وان هـــذه النقود أجرته ، فإذا انتهوا إلى مكان دفنه ، أخذت الكهنة ماء ورشوا به من كان مع الجنازة ، وكانوا يحرقون أمواتهم ، فيطرحون جسم الميت على حطب مرتب على شكل مذبح ، ثم يدور الحاضرون حوله بكل هدوء وسكينة ، على أصوات الآلات الموسيقية ، ثم يأتي أحـــد أقرباء الميت بشعلة من نار فيضرم الحطب ، وأناس يلقون الطيب والروائح الطيبة ، حتى إذا احترق الميت أطفأوا النار بالخمر ، ثم جمعوا الرماد ، ووضعوه في اناء ثمين ، ودفنوه مع الميت . وكان من عادتهم انهم يطرحون مع الجندي سلاحه ، ومع المرأة حليها .

وفي سنة ٦١٥ بعد ميلاد عيسى - ﷺ - غزا كسرى ملك الفرس سورية ، وباع المسيحيين من اليهود بأبخس الأثمان ،

سورية ، وبقيت تحت حوزة اليونانيين إلى ما قبل الميـــلاد بنحو ٦٢ سنة .

استيلاء الرومانيين على سورية :

وفي سنة ٦٤ قبل ميلاد عيسى تم استيلاء الرومانيين على سورية ، وعظمت شوكتهم فيها ، ونشروا في أرجائها لواء الحضارة والعمران ، فازهرت البلاد وازداد سكانها ، واخصبت جميع أنحائها ، وقد كانت في عهدهم جنة زاهرة .

عادات الرومانيين :

كان الرومانيون كغيرهم من الأمم التي كانت قبلهم يتخذون يوماً من الاسبوع ، يجتمع فيه أهل القرى للبيع والشراء ، وأهل المعرة اتخذوا يوم السبت إلى يومنا هذا للبيع والشراء ، فترى أهل القرى الضاحية والبلاد القريبة ، كإدلب وأريحا ، وجِسْر الشُغْر ، يؤمونها من كل حدب وصوب ، يبيعون فيها سلعهم ، ويبتاعون ميرتهم وما يحتاجون اليه . ولا أعلم السبب في اتخاذ يوم السبت دون غيره إلا أن يكون موروثاً

فأماتوا كثيراً منهم بأنواع من العذاب ، ثم انتصر عليه هِرَقْل ، وثار عليه أكبر أبنائه المسمى شِيْرويه ، وصالح هرقل ، وأطلق سبيل الاسرى الرومانيين .

ولا شك ان المعرة كان لها نصيب وافر من كل فاجعة ، لانها على مفترق الطريق ، فإن لم يصبها وابل منه فطل .

المعرة قبيل الاسلام :

تقدم أننا لم نقف على شيء من أخبار هذه المدينة قبل أن يمتد فوقها رواق الإسلام ، ولا أحطنا علما بما كانت عليه من الحياة العقلية والسياسية والاجتماعية والدينية في تلك القرون الخالية .

ولا وُفقنا إلى معرفة أحد من أبنائها النابغين في تلك العصور . وكل ما أمكن معرفته بطريق الاستنباط من الأقوال المجملة والمقايسة بالآثار الماثلة هو ما يأتي :

ان التنوخيين كانوا نصارى ، فلما جاء أبو عبيدة امتنعوا عن أداء الجزية . ولما سار عمر - رضي الله عنه - الى الشام قدموا عليه فقال : ما أقنع منكم إلا بالدخول في الإسلام أو

السيف ؛ وأمهلهم سنتين ثم الزمهم الجزية ، فأبوا عليه وقالوا : خذ المال منا على اسم الصدقة دون اسم الجزية ، فأبى ، ثم قبل أن يأخذها على اسم الخراج ، فاستجاب له قوم منهم ، وأقاموا بديارهم . ومنهم أجداد أبي العلاء ، وأسلم بعضهم في أيام أبي عبيدة وبعضهم في أيام المهدي .

ولا نعلم من المعاهد الدينية النصرانية في المعرة الا موضعين ، أحدهما : كنيسة الاعراب وقد ذهبت معالمها ، وأصبحت محلة معروفة بالكنيسة ، وهي في الجهة الغربية من المعرة .

والثاني : الكنيسة العظمى وهي التي جعلت مسجداً ، بمقتضى الصلح كما سيأتي . وأما حالتها السياسية ، فقد كانت عملاً من أعمال الرومانيين ، خاضعة للنظم والأوضاع التي كانت ترزح تحتها سائر المدن الشامية قبـــل أن تنضوي تحت راية الإسلام .

وكذلك حالتها الاجتماعية شبيهة بحالة الأمصار التي يقطنها العرب في ذلك العهد ، وتسيرها النظم الرومانية .

وقد سلف أن الروم استنجدوا بتَنُوخ لما تغلب عليهم الفرس ، فأبلوا بلاء حسناً في قتالهم ، ثم تولوا قتالهم منفردين عن جند الروم فظفروا بهم ، وأن ملك الروم فرق فيهم الدنانير وقربهم وأقطعهم سورية وما جاورها من البلاد إلى الجزيرة . وسيأتي إيضاح ذلك مفصلاً ، وهو يدل على أن حالتهم كانت شبيهة بالبداوة وإن كانوا حضرا .

ولم نقف على شيء يمثل لنا الحياة العقلية فيها في ذلك العصر ، لأن تاريخ هـــذه المدينة مبعثر في بطون الكتب ، ولم نعثر على تاريخ خاص بها ، أو تاريخ يوضح لنا ذلك كما تقدم .

ويسعنا أن نقول بطريق الإجمال : إن هذه المدينة جزء من البلدان الشامية ، تعاقب عليه ما تعاقب عليها من الكوارث التي كانت تنتابها من الغزاة والفاتحين من قتل وحرق وهدم وسبي وما شاكل ذلك من الفظائع التي يقترفها ذئاب البشر .

وأن هذه البقعة المباركة لم تزل مطمحاً لأنظار الطامعين في تضحية البشر في سبيل شهواتهم ، كبقية الأصقاع الشامية .

وقد شهدت من الحروب الدامية والوقائع والفظائع ماشهده غيرها من غزاة الفراعنة ، والآشوريين ، واليونانيين ، والفرس ، والرومانيين ، وغيرهم .

وبلاد الشام طيبة التربة ، عذبة الماء ، نقية الهواء . وقد كانت ولم تزل طريقاً تلتقي فيها الأمم ، وميداناً تتطاحن في سبيل الاستئثار به الدول . ولعل هذا علة العلل في تقويض حضارتها القديمة ، وطمس معالمها الزاهرة ؛ ولو أتيحت لها النجاة من مخالب الطامحين إليها ، لكانت لوحاً جامعاً لمدنية البشر وحضارته المختلفة في عصوره المتعددة .

وقد ذكر المؤرخون أن الرومانيين استولوا على بلاد الشام سنة ٦٤ قبل ميلاد عيسى ـ ﷺ ـ ، واشتدت شوكتهم فيها ، ونشروا في أرجائها الفسيحة حضارتهم ، فازدهرت وأخصبت ، حتى أصبحت جنة زاهرة . وإن المكان المعروف بالبَلْعَاس كان في عهدهم كورة عظيمة ، ذات قرى آهلة ، وأشجار مثمرة . وكانت لهم عناية عظيمة في زرع الزيتون والعنب .

وفي المعرة وضواحيها كثير من معاصر الزيتون والعنب، مبنية تحت الأرض. ومنها ما يرجع إلى عهد الرومانيين.

وفيها كثير من آثار الهياكل الضخمة، والنواويس المنقورة في الجبال وفي باطن الأرض.

وأهل المعرة ينسبون إلى الرومانيين كل ماعثروا ويعثرون عليه من تلك الآثار، مع أن منها ماهو قبل الرومانيين، ومنها ما هو إسلامي، والسبب في ذلك جهل الناس بمعرفة الآثار وما عليها من النقوش والكتابة، فيرون أقرب شيء إليهم نسبتها إلى أقرب أمة كانت مستولية عليها قبل الإسلام، وهم الرومانيون، ويشجعهم على ذلك كثرة ما للرومانيين من الآثار الخالدة في المدينة وضاحيتها.

المعرة بعد الاسلام :

لما افتتح أبو عبيدة دمشق، أتى مدينة حِمْص فصالح أهلها واستخلف عليها عُبَادَة بن الصَّامِت الأنصاري، ثم مضى نحو حماة فصالح أهلها على الجزية في رؤوسهم، والخراج في أرضهم، وجعل كنيستهم العظمى جامعاً، ثم مر بالمعرة، وقد خرج إليه

أهلها يقلسون بين يديه ، فصالحهم على مثل صلح أهل حماة ، وذلك سنة خمس عشرة للهجرة[١] ، وذكر ابن الأثير في الكامل[٢]: أنه صالحهم على صلح أهل حِمْص ، وهو صلح أهل دِمَشْق ، وقد ذكر ابن جرير[٣] : أنه صالح بعضهم على دينار وطعام على كل جريب أبدا ، أيسروا ، أو أعسروا ، وصالح بعضهم على قدر طاقته إن زاد ماله زيد عليه ، وان نقص نقص وذلك سنة ١٥ هـ ، ثم استخلف معاوية بن أبي سفيان ، فولى النعمان بن بشير حمص ، وأضاف اليه المعرة كما سبق ، وكانت قِنَّسْرين وكورها مضمومة إلى حمص ، حتى ولي يزيد بن معاوية ، فجعل قنسرين وأنْطاكِية ، ومَنْبِج ، وذواتها جنداً واحدا .

ثم لما استخلف هرون الرشيد ، أفرد قنسرين بكورها ، فصيرها جنداً واحدا ، وأفرد منبج ، ودُلُوك ، وأنطاكية ،

---

(١) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ١ : ١٦٨ ، والبلاذري : فتوح البلدان ١٣٧ ، ١٣٨ ، ياقوت : معجم البلدان ٣ : ٧٤١ ، ٧٤٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٢ : ٢٤٢ (ج) .

(٣) الطبري : تاريخ الامم والملوك ٤ : ١٥٤ (ج) .

ومعرة النعمان وغيرها مما سبق ذكره ، وسماها العواصم ، وذلك سنة ١٧٠ هـ ، وقد ذكر المقدسي في (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) المؤلف سنة ٣٧٥ هـ ان معرة النعمان من مدن قِنّسْرين ، وقصبتها حلب [١] .

ثم تعاقبت عليها دول مختلفة ، فكانت تارة من عمل حِمْص ، وثانية من عمل حماة ، وثالثة من عمل حلب ، ورابعة اقطاعاً لأمير . وكان لهـــا في كل عهد نصيب وافر من قتل أهلها ، وسبيهم ، وخراب عمرانها . وإذا سلمت في بعض السنوات من مثل هذه الفظائع من الأمراء والملوك والمتغلبين ، نالت نصيباً وافراً من عبث البداة وغاراتهم ، فإذا سلمت من كلا الأمرين ، نالت قسطاً وافراً من ظلم الطبيعة وجورها ، ما بين زلزال يقوّض أركانها ، وطاعون يفني سكانها ، وقحط يبيد انسانها وحيوانها ، فإن سلمت من ذلك كله ، قام بمثل هذا الواجب طاغية متغلب من أهلها ، ففعل فيها ما لا يفعله الزلزال والطاعون والطبيعة .

وهي لا تزال الى هذا اليوم ، تنسج على هـــذا المنوال ،

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٥٤ .

وتحتذي على هذا المثال ، ومن استقرى ما لقيته من المحن والبلاء ، يعجب كيف كتب لها الخلود إلى هذا العهد ، ولم تمح من صحيفة الوجود .

وصف المعرة وتحديدها منذ الفتح الاسلامي الى هذا العصر :

لم أقف على شيء مفصل من أخبار المعرة يوضح كيف كان عمرانها وحياة أهلها في صدر الاسلام وما بعده إلى القرن الرابع .

وقد عثرنا على بعض نصوص تاريخية ، تشير بصورة مجملة ، إلى ما كانت عليه من العمران والازدهار في القرن الرابع فما بعده ، فأثبتناها على ما فيها من الاجمال والغموض ، ليتضح لنا شيء من أحوالها ، إذ ما لا يدرك كله لا يترك كله ، وهذا شيء من ذلك .

قال ابن حوقل البغدادي المتوفى سنة ٣٨٠ ه في (المسالك والممالك) : والمعرة مدينة كثيرة الخير والسعة والتين والفستق وما شاكل ذلك من الكروم .

ونقل عنه ابن العديم : أنها هي وما حولها من القرى أعذاء ليس بنواحيها ماء جار ولا عين[1] . وذكر ابن العديم : أنه شاهد عين ماء من قبلي المعرة على الطريق بالقرب منها .

رحلة ناصر خسرو القبادياني[2] :

أنشأ رحلته من بلاده سنة ٤٣٧ هـ ، وعاد اليها سنة ٤٤٤ هـ ، وقد وصف البلاد التي اجتاز بها ، ومنها معرة النعمان فقال :

وبعد ستة فراسخ عن سَرْمِين ، تقول لك معرة النعمان : ها أنا ذه ، وهي مدينة آهلة بالسكان كثيراً ، ويحيط بها سور من حجر ، وقد شاهدت بالقرب من باب هذه المدينة سارية من الحجر ، كتب عليها بحروف غير عربية . فسألت أحدهم عن ذلك ، فأجابني أن هذا طِلَّسْم يحول دون العقارب ودخول المدينة والبقاء فيها ، فإذا جيء بعقرب من الخارج ، وأطلق يفر ويبتعد ، وقدرت أن هذه السارية كان علوها عشرة أذرع .

(١) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ١١٨ .

(٢) ترجم هذه الرحلة « طه حسين » صاحب ذكرى أبي العلاء ، والراجكوتي والاستاذ محمد كرد علي في مجلة المجمع ج ٢ مجلد ٦ ص ٦٦ وفي بعضها مغايرة لبعض آخر (ج) .

وأسواق المعرة طافحة بالأرزاق والخيرات ، وجامعها الأعظم مبني على أكمة قامت وسط المدينة ، ومن أي جهة اتجهت الى هذا الجامع ، كان عليك أن ترتقي سلماً ذا ثلاث عشرة درجة . ولا يزرع في هذه الجهات إلا الحنطة ، وتغل غلة حسنة . ويكثر في قراها أشجار الزيتون والتين والفستق واللوز والكرمة ، ومياه المعرة تجمع من المطر ، أو تمتاح من الآبار . اه

وذكر الميمني [١] أن [ناصر خسرو] دخل المعرة في ١٣ رجب سنة ٤٣٨هـ ، ولم يلبث فيها الا يومين .

الطلّسم الذي كان في المعرة :

وهذا الطلسم ذكره غيره من المؤرخين ، قال ابن الشِّحْنَة [٢] : وبمعرة النعمان عمود فيه طلّسم للبقّ ، ذكر أهل المعرة أن الرجل كان يخرج يده وهو على سور المعرة إلى خارج السور ، فيسقط عليها البق فإذا أعادها زال عنها . وأخبرني رجل من أهلها قال : رأيت أسفل داري عموداً ففتحت موضعه

(١) الميمني : أبو العلاء وما اليه ص ٢٤٤ .

(٢) ابن الشحنة : الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ١٢٩ ، ١٣٠ .

لأستخرجه ، فانخرق إلى مغارة ، فأنزلت اليها إنساناً ظناً مني أنها مطلب ، فوجدناها مغارة كبيرة ، ولم نجد فيها شيئا ، ورأيت في الحائط صورة بقّة ، فمن ذلك اليوم كثر البق في معرة النعمان . وذكر أهل المعرة أن حيّاتها لا تؤذي كما تؤذي غيرها ، ثم قال : وقال كمال الدين ابن العديم سمعت ابراهيم ابن أبي الفهم رئيس المعرة يقول : إن العمود القائم في مدينة المعرة هو طلّسم الحيّات ، وهـــذا العمود قائم مستقر على قاعدة بزبرة حديد في وسطه ، يميله الإنسان فيميل ، وكذلك تعمل فيه الرياح القوية ، وإذا مال يضع الناس تحته الجوز واللوز فينكسر .اه

وأمر هذا العمود غريب ، وتناقض الأقوال فيه أغرب . فقد جعله ناصر خسرو سارية بالقرب من باب المدينة ، وجعله طِلّسِماً للعقارب . وفي كلام ابن الشّحنة أنه عمود قريب من السور وهو طلّلسم للبق .

وفي كلام ابن العديم : أنه عمود يميله الانسان والريح ،

وهو طلّسم للحيات ، وصاحب نهر الذهب جعلها عمودين : أحدهما للبق والثاني للحيات . ولعل هذا من المزاعم الموروثة عند أهل ذلك العصر .

أما في عصرنا الحاضر فان العقارب والأفاعي في المعرة أكثر من الحصى عند جمرة العقبة ، وهي تفتك فتكاً ذريعاً في الناس ، وكثيراً ما أودت بحياة لديغها ، وان البق - أي البعوض - ينتشر في الصيف والخريف انتشاراً عظيماً ، وينقل جراثيم الملاريا وغيرها ، وقل من سلم من أهلها منها ، وهو ينبعث من المستنقعات والمراحيض المتكونة في المدينة وأطرافها .

وقد كانت في المعرة مستنقعات عظيمة ، منها : الرام الكبير ، والرام الصغير ، وهما جنوبي المدينة ، ومنها : الهارب ، وهو في عرفهم بحيرة تنصب اليها المياه القذرة التي تسيل من الحمامات . وكان في المحلة القبلية هارب لحمام السيد يوسف ، وهذه البحيرة تسقي بمائها الأرض المتصلة بها ، وفي البحيرة أقذار متراكمة منذ مئات من السنين .

وكان في المحلة الشمالية هارب أعظم من هذا ، وهو شرقي الجامع الكبير ، يفصل بينهما طريق من الشمال الى الجنوب ،

وهذا الهارب تنصب فيه المياه التي تخرج من الحمام التحتاني ، والتي تخرج من حمام التكية، والاقذار التي تفيض من مراحيض الجامع الكبير. وهذه المياه لونها أسود ، وهي خاثرة من كثرة ما يخالطها من الاقذار والاوساخ ، ويسقى بها زرع الأرض المتصلة بها ، وتسمى أرض الهارب ، وما زاد عن السقي يذهب في الارض ويتبخر في الهواء ..

وقد عنيت الحكومة في العهد الأخير بازالة هذه المستنقعات الضارة ، وقلّت الملاريا بسبب ذلك[1] .

وسيأتي القول في زراعة المعرة ومياهها وجامعها وأسواقها .

وذكر ابن جبير في رحلته سنة ٥٧٨ ﻫ : أنه خرج من قِنّسرين يريد حِمْص ، قال : فرأينا عن يمين طريقنا بمقدار فرسخين بلاد المعرة ، وهي سواد كلها بشجر الزيتون والفستق

---

(١) وقد باشرت بلدية المعرة في عهد [illegible] الدكتور اكرم الخاني سنة ١٩٦٢ م بانشاء مجارير عامة لمدينة المعرة ، وقد تم انشاء الفرع الجنوبي منها ، وبلغت تكاليفه ما يقارب ٣٠٠٠٠ ثلاثين ألف ليرة سورية ، وسيباشر قريباً بانشاء الفرع الشمالي والفروع الداخلية ، وقد رصدت البلدية لهذه الأعمال ١٧٨٠٠٠ مائة وثماني وسبعين الف ليرة سورية .

وأنواع الفواكه ، ويتصل التفاف بساتينها وانتظام قراها مسيرة يومين ، وهي أخصب البلاد وأكثرها أرزاقاً[1] .

ونقل ابن العديم[2] عن أبي الفتح عبد العزيز ... بن زبيد المصري أنه قال : وصلت معرة النعمان ، فوجدتها واسعة الأسواق ، كثيرة الارفاق ، صحيحة الهواء ، واسعة الفضاء ، مياهها غزيرة ، وفواكهها كثيرة ، وأهلها يميلون الى الخير والتعفف ، ويعيشون بالقناعة والتخفف ، وفيهم بعض الحمية ،وشيء من العصبية ، ولهم مع هذا معرفة بالشر والخصومة ، وعادة السعاية والنميمة ، غير أن ذلك لا يتعداهم ولا يتجاوزهم الى أحد سواهم .

وقال ابن العديم في (بغية الطلب)[2] : قرأت بخط محمد بن أحمد ابن الحسن الكاتب في روزنامج (أي كتاب الاخبار اليومية) أنشأه وذكر فيه رحلته من بلاد أذربيجان الى الحج ، وعوده منه ... قال فيه : ونزلنا بسَرْمِين ، فاستقبلني القائد بها بالاكرام والانعام ، وركب في صحبتي الى معرة النعمان ، بل مقر الروح والريحان ، بل زهرة العين والجنان ، بل معدن البيان

---

(١) ابن جبير : الرحلة ٢٣٤ .
(٢) انظر تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٩٠ - ١ عن بغية الطلب لابن العديم .

واللسان والرجحان ، في الأدب والشعر والإتقان ، بل محل كل كريم وهِجَان . وهي مدينة تبل غلة الظمآن ، وتفثأ عَلة الغَرْثان السغْبان .

وقال ابن واضح الكاتب : ومعرة النعمان مدينة قديمة خراب ، وأهلها تَنُوخ [١] .

وقال ياقوت المتوفى سنة ٦٢٦ هـ [٢] : هي مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حِمْص بين حلب وحماة ، ماؤهم من الآبار وعندهم الزيتون الكثير والتين .

وقال ابن بَطُّوطَة في رحلته (تحفة النظار) [٣] التي أنشأها سنة ٧٢٥هـ : والمعرة مدينة كبيرة حسنة ، أكثر شجرها التين والفستق ، ومنها يحمل الى مصر والشام .

وقال العزيزي : هي مدينة جليلة عامرة ، كثيرة الفواكه والثمار والخصب ، وشرب أهلها من الآبار .

---

(١) انظر تاريخ اليعقوبي ٢ : ٥٤١ ، ٦٠٧ .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ٤ : ٥٧٥ .

(٣) ابن بطوطة : تحفة النظار ٣٩ .

ونقل أبو الفداء [١] في (تقويم البلدان) قول العزيزي هذا، ونصه: ومعرة النعمان مدينة جيدة عامرة ......

وقال محمد الانصاري شَيْخ الرَّبْوَة [٢]: معرة النعمان وتعرف بذات القصرين، ولها عمل من أحسن الاعمال، وهي شَعْرَاء [٣] ممدودة، وغالب شجرها التين والفستق واللوز والمشمش والزيتون والرمان والتفاح وكثير من الفواكه، وسائرها يشرب من ماء السماء، لا يعتني بفلاحته أكثر من الحرث تحته، وجبل السُّمَّاق من أعمر الارض وأعملها فلاحا، من رآه ورأى الاندلس، لم يفرق بين فلاحتها وفلاحة الاندلس.

وقال القَزْوِيني في (آثار البلاد) المتوفى سنة ٦٨٢ ﻫ : معرة النعمان بليدة بين حلب وحماة، كثيرة التين والزيتون.

وقال ابن العَديم في (بغية الطلب [٤]) ما خلاصته: المعرة مدينة حسنة، وكان لها سور من الحجارة، وأبنيتها أبنية حسنة، وهي كثيرة الاشجار والفواكه، لا سيما التين والفستق والزيتون،

---

(١) أبو الفداء: تقويم البلدان ٢٦٥ .

(٢) شيخ الربوة: نخبة الدهر ٢٠٥ .

(٣) أرض شعراء: كثيرة الشجر .

(٤) انظر ما سبق ص ٨٣ .

وكان الفرنج هجموها ، وتشتت أهلها ، ثم فتحها أتابك زَنْكي ابن آق سُنقُر ، ورد على أهلها أملاكهم ، فعادوا اليها وسكنوها ، وعمرت المدينة عمارة حسنة ، لكن سورها خرب .

وبنى بها الملك المظفر محمود بن ناصر الدين محمد بن عمر شَاهِنْشاه قلعة حسنة حصينة ، وانتزعها من يـــده الملك صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز غياث ، فزاد في عمارتها وتقويتها ، فقويت قلوب أهلها بالقلعة ، ورغبوا في عمارة البلد وسكناه ، وهي اليوم من أعمر البلاد ، وقد صار أكثر عبور القوافل عليها .وقد وصفها ابو العلاء في رسالة بَعَثَ بها إلى أمير فقال :

«وهذه جمل من صفة المعرة هي ضد ما قال الله عز وجل : ﴿ مَثَلُ الجنَّةِ الَّتي وُعِدَ المُتَّقُونَ فِيها أَنْهارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ [1] ﴾. الآية .. اسمها طيرة ، وعند الله ترجى الخيرة ، المَوْرِدُ بها مُحْتَبس وظَاهِرُ تُرابِها يَبَس ، لَيْسَ لَهَا مَاءٌ جَارٍ ، ولا تغرس فيها غرائب الأشجار ، وإذا أبرزَ لِاهْلِها ذِبح ، يؤَمّلُ به لديهم الربح ، تحسبه صيغ بخطر ، فَكَأنما يَرْمقُ بِهِ هِلاَلَ الفِطْرِ ، وقد يَجيئها وقت يكون فيه جَدْيُ المَعزِ في العِزّةِ كَجَدْيِ الفَرْقَد ، ومثل حَمَلِ الكواكب حمل النعد ، ويُبكِرُ فقيرُها

(١) سورة محمد الآية ١٥ .

على الهداية ، قَبْلَ أبي الفَرْخَيْنِ ابْنِ دَايَة ، حتى يقف ببائعِ الرسل ، فكأنما وَقفَ برضوانَ يَستَوْهِبُهُ ماء الحَيوان ، فإن سَبَقَهُ ضياءِ الفَجْرِ فإنه يَرْجِعُ خائباً ...» :

وهذا وصف حقيقي للمعرة في ذلك العهد ، وإن كان في بعضه مبالغة ، وأكثره تبدل بتبدل الزمان . فان المعرة ليس فيها ماء جار على وجه الارض ، ولكن فيها ينابيع ثرارة في باطن الارض ، يستخرج ماؤها بواسطة الدواليب وغيرها ، فتتألف منها بساتين كثيرة ، وقد غرس فيها غرائب الاشجار التى يمكن أن تعيش في إقليمها ، كالزيتون والرمان والعنب والتين والفستق واللوز والتفاح والخوخ والأجاص والكمثرى وغيرها ، ولكن أكثره لا يدوم طويلاً ، لشدة الحر في الصيف والبرد في الشتاء . وهناك أنواع من الشجر لا تعيش فيها كالنخل والموز والليمون والبرتقال وما شاكل ذلك .

أما اللحم وما تولّد من الحيوان ، فيكثر في زمن الربيع ، ويقل في زمن الشتاء ، وكذلك كل نوع من المأكول ، يكثر في موسمه ويقل بعد ذلك .

ولذلك أسباب كثيرة ، منها : بعد الأمصار العامرة عن المعرة كحلب وحماة ، وقلة الوسائط لنقل الاقوات والارزاق والسلع وتشعث الطرق ، وكثرة الاوحال فيها في الشتاء ، ولأن أصحاب الغنم يبتعدون بها عن المدينة بعد زمن الربيع ، وهذا شأن أكثر المدن في ذلك العهد .

أما في عصرنا الحاضر فهي كغيرها من البلاد الشامية ، تعجّ أسواقها بالارزاق والغلات والثمرات التي تزيد عن حاجة أهلها ، وعما يصدرونه إلى غيرها من المدن . وأهلها إلى هذا العهد يبكر كل واحد منهم لأخذ ما يحتاج إليه من طعام وشراب من الاسواق ، ثم ينصرف الى عمله ، والذي يحملهم على التبكير ان الإنسان إذا بكر وجد الشيء الجيد والثمرات الطيبة ، وإذا تأخر لا يجد غير الفضلات من كل شيء ، وربما فقد حاجته في الاوقات التي يقل فيها الشيء ، أو في الاشياء التي تجلب من خارج المدينة .

أما قلة الجدي والحمل واللبن على نحو ما وصف ، فلم نره ولم نسمع به الى زمن هجرتنا من المعرة سنة ١٣١٩ هـ .

وقد وصف المعرةَ كثيرون في عهد أبي العلاء وبعده وقبله ، وتكاد تتفق كلمتهم على كثرة فواكهها وثمارها ، حتى ان منها ما يحمل إلى مصر والشام .

ويجوز أن يكون اللحم في ذلك العهد قليلاً لسبب لم نعلمه ولم نسمع به .

وقد أهدى أبو العلاء بعض أصحابه شيئاً من الفستق ، وقال فيه : «وفي هذا البلد فستق رديء ، يسمى غيظ الجيران ومعنى هذا الكلام أنه إذا كسر ظن جيران السوء انه ملآن ، فحسدوا عليه ، وهم لا يعلمون انه فارغ ، وقد وجهت منه شيئاً ليعبث به أتباعه ، ولولا علمي بشرف أخلاقه وكرم نفسه لم أجسر على ذلك ، وما أولاه بأن يجربني على العادة في التفضل إن شاء الله تعالى» اهـ .

وقد كانت في دارنا في المعرة شجرتان ، تحمل احداهما فستقاً كبير الحجم يتشقق لعظم لبه ، ولا تحمل الثانية مثله ، ويسميها الناس ذكراً . فاستثقلنا ما يسقط منها من الديدان والورق وقطعناها ، فصارت الأولى تحمل فستقاً فارغاً ، فصارت غيظاً لنا لا للجيران .

ومما لا شك فيه أن قول أبي العلاء في الجدي والحمل واللبن مبالغ فيه ، وإنما يراد به التقليل ، وقد استنبط الأستاذ الميمني من قول أبي العلاء « إذا أبرز لأهلها ذِبح ، يؤمل به الرِبح . . » ان أهل المعرة يوصفون بالبخل[1] وان القِفْطي يؤيده في قوله الآتي ، وسيأتي ما يبطل القولين معاً .

وكذلك قول أبي العلاء : انه وجه شيئاً من الفستق الفارغ .. لا يراد به حقيقته ، لأنه يبعد كل البعد أن يهدي ذلك ، وإنما أراد تحقير شأن الهدية بالنسبة إلى عظم من أُهديت اليه .

وقال في بغية الطلب : ومن أحسن ما وقع إلي في وصفها أبيات قالها الوزير أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين بن المغربي[2] ... والأبيات :

مَا عَلَى سَاكِنِي المَعَرَّةِ لَوْ أَنَّ م دِيَاراً نَبَتْ بِهِمْ أَوْ طُلُولاَ

---

(١) الميمني : أبو العلاء وما إليه ص ١٨ .

(٢) هو الوزير أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين بن علي من ولد بهرام جور ملك فارس، ويعرف بالوزير المغربي ، أديب شاعر كاتب ، ولد سنة ٣٧٠هـ وتوفي سنة ٤١٨ هـ أنظر بغية الطلب ج ١ : ١٧٩ ، ووفيات الأعيان ١ : ١٩٥ — ١٩٧ .

يَسْكُنُون العُلاَ مَعَاقِلَ شُمًّا وَيَرَوْنَ الآدَابَ ظِلاًّ ظَلِيلاَ
مَنْزِلٌ شاقَنِي أَنِيسٌ وَمَا كَا نَ رُسُوماً نَوَاحِلاً وَطُلُولاَ
حَيْثُ يُدْعى النَّسيمُ فَظًّا وَيُلْفَى سَبَلُ الغَادِياتِ شَكْساً بَخِيلاَ
أَيْنَمَا تَلْتَفِتْ تَجِدْ ظِلَّ طُوبَى وَتَجِدْ كَوْثَراً أَغَرَّ صَقِيلاَ
تُرْبُها طَيِّبَ الشَّبَابَ فَمَا يَصْـــحَب إلاَّ السُّرُورَ فِيها خَلِيلاَ
فَتَرَى اللَّهْوَ إنْ أَرَدْتَ طَلِيقاً وَالتُّقَى إنْ أَرَدْتَهُ مَغْلُولاَ
وَإِذَا مَا اعْتَزَى بِها الأَدَبُ العُذْ رِيُّ جَاؤُوا عِمَارَةً وَقَبِيلاَ
لَيْتَ لاَ يَعْنُفُ السَّحَابُ عَلَيْهَا لَيْتَهُ جَادَهَا عَلِيلاً كَلِيــلاَ
وَسَلاَمٌ عَلَى بَنِيهَا وَلاَ زَا لَ نَعِيمُ الحَيَاةِ فِيهِمْ نَزِيلاَ

وقال الإصْطَخْري(١) في المعرة : هي وما حواليها من القرى أعذاء ، ليس بجميع نواحيها ماء جار ولا عين . وقد تقدم نحو هذا عن ابن حَوْقَل .

وقال ابن العديم في (بغية الطلب) : « وقد شاهدت عين ماء من قبلي المعرة على الطريق بالقرب منها » . اه

(١) الاصطخري : مسالك الممالك ٦١ .

وأنا أقول : لعل هذه العين هي العين التي عند مَرْحطَاط وهي جنوبي المعرة على يسار الذاهب إلى حماة على بعد ساعة تقريباً من المعرة .

وقال صاحب التنوير في شرح قول أبي العلاء [1] :

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ المَخَاضِ وَحَارِمٍ كَتَائِبُ يُشْجِينَ الفَلاَ وَخِيَامُ

ومخاض : نهر بقرب المعرة ، وكذلك قال الخوارِزْمي في (ضرام السقط) ، وكذلك قال الفيرُوزَابادي في (القاموس) والزَّبيدي [2] في (تاج العروس) .

وقد نقبت كثيراً فلم أجد نهراً بقرب المعرة ، ثم رأيت التِّبريزي يقول في(شرح سقط الزند) : المخاض نهر يخاض في الأرض التي تعرف بالرُّوج ، وهي قريبة من معرة النعمان ، والتقى في هذا الموضع عسكران ، أحدهما للمسلمين ، وأمير العسكر الذي للمسلمين بنجوتكين [3] التركي ، الذي اصطنعه

---

(١) التنوير على سقط الزند ، وانظر شروح سقط الزند ، ق ٢ ص ٦٠٣ .

(٢) الزبيدي : تاج العروس ٥ : ٨٥ .

(٣) هكذا جاء في التبريزي والبطليوسي وفي غيرهما « منجوتكين» وانظر شروح السقط ق ٢ ص ٦٠٣ .

أبو منصور نزار الملقب بالعزيز بن معد الملقب بالمعز ، فتقاتل العسكران والمخاض بينهما ، ثم عبر المسلمون اليهم ، فانهزموا .

وذكر البَطَلْيَوْسي في (شرح سقط الزند) نحواً من هذا ، وقال: المخاض نهر يخاض قريب من المعرة بأرض تعرف بالرُّوج.

ومما تقدم يتبين ان المخاض ليس بنهر ، ولا قريب من المعرة قرب اتصال ، بل بينهما مسافة بعيدة .

وقد وصفها عمر بن الوردي المعري المتوفى سنة ٧٤٩ ه في مواطن من شعره ، ووصف الطبيعة فيها ، وذكر كثيراً من الأماكن الجميلة ، ومواضع التنزه ، وسمى بعض العيون التي ينبجس منها الماء ، فقال من قصيدة مطلعها :

قِفْ وَقْفَةَ المتـأَلّم المتأَمّلِ   بمَعَرّةِ النُّعْمَانِ وَانْظُرْ بِي وَلِي

* * *

[منها] :

يا سَعْدُ زُرْ أرْضَ المَعَرّةِ نائِباً   عَنّي وَسِرْ فيها مَسِيرَ مُبَجّلِ

وَادي المَعَرّةِ في النُّفُوسِ مُعَظّمٌ   لا سِيّمَا زَمَنَ الرّبيعِ المُقْبِلِ

هِرْمَاسُها لَمّا تَخَضّبَ سَيْفُهُ   بَعَثوا إليهِ مِنَ النّسِيمِ بِصَيْقَلِ

* * *

[منها] :

وأرى نَضَارَتَها وَبَابَ شَبَابِها[1] ضَمِناً لِسَاكِنِها بِسَعْدٍ مُكْمِلِ
قَلْبِي لِعَيْنِ زُرَيْقَ صَادِ شَيْنَ مَنْ أَلِفَ العِتَابَ وَلَامَ لَوْمَ مُضَلِّلِ
لَوْ زُرْتُها لَفَتَحْتُ بَابَ جِنَانِها وَأَقُولُ يَا نَفْسُ اطْمَئِنِّي وَادْخُلِي
إِنَّ القُلُوبَ إِلَى القُلُوبِ مَشُوقَةٌ قَدْ أَذْكَرَتْها بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

وهي في ديوانه [2]

ووصفها في قصيدة ثانية مطلعها :

رَعَى اللهُ عَيْشاً بِالمَعَرَّةِ لِيَ مَضَى حَكَاهُ ابْتِسَامُ البَرْقِ إِذْ هُوَ أَوْمَضَا
وَعَصْرَ شَبَابٍ فِي سِيَاثَ قَطَعْتُهُ وَفِي أَرْضِ حِنْدُوتِينَ فِي ذَلِكَ الفَضَا
أَعَاذِلُ لَوْ شَاهَدْتَ بَابَ جِنَانِها لَمَا كُنْتَ يَوْماً نَاهِياً بَلْ مُحَرِّضَا
وَلَوْ عَايَنَتْ عَيْنَاكَ وَادِي فَضَالَةٍ عَذَرْتَ صَحِيحَ الوُدِّ بِالبُعْدِ مُمْرَضَا
وَلَوْ عَيْنَ مَعْرَاتَا رَأَيْتَ صَفَاءَهَا لَأَصْبَحْتَ مِنْ غَيْظِ المَلَامَةِ رَيِّضَا
فَصِفْ لِي عُيُوناً بِالمَنَابِعِ فُيَّضاً أُرِيكَ عُيُوناً بِالمَدَامِعِ فُيَّضَا
وَلَا تَنْدُراً بِالبَيْدَرَيْنِ فَأَضْلُعِي أَخَافُ مِنَ الأَشْوَاقِ أَنْ تَتَقَضْقَضَا

---

(١) لعله : « سياثها » . (ج) .
(٢) ابن الوردي : الديوان ٢٦٢ (ج) .

وَلا تُجْرِ بِالي ذِكْرَ جَوْيَا وَنَحْوِها ... رُبىً جَادَهَا غَيْثٌ فَرَوَّى وَرَوَّضا
فَفُسْتُقُها عِنْدَ ابْتِسامِ ثُغُورِهِ ... يُضاحِكُ بَرْقاً قَدْ أَضاءَ بِذِي الأَضا
وَقَلْعَتُها عِنْدي وَإِنْ بانَ أَهْلُها ... كَأَطْوَلَ مِنْ سُهْدِي عَلَيْها وَأَعْرَضا
وَعَيْنُ زُرَيْقٍ بي إلى مَائِها ظَماً ... أَلَمْ تَرَ لَوْنَ المَاءِ أَزْرَقَ أَبْيَضا
وَكَمْ لِعَلِيَّاتِ العَسيلِ حَلاوَةٌ ... وَإِنْ مَلَحَتْ فِي عَيْنِ مَنْ مَرَّ مُعْرِضا
وَشَوْقِي إلى أَنْوارِ مَشْهَدِ يُوشَعٍ ... تَشَوُّقُ مَنْ ضاقَتْ بِهِ سِعَةُ الفَضا
وَلَوْ دُرْتُ وَادِي دَيْرِ سَمْعانَ سَاعَةً ... لَكُنْتُ أَبُلُّ الشَّوْقَ مِنْ عُمْرِ الرِّضى
وَيا مَاشِياً فِي مُلْكِ فَارِسَ رَاجِلاً
سَعُدْتَ فَكُنْ عَنْ مُلْكِ فارِسَ مُعْرِضا
لَقَدْ طالَ بِالهِرْمَاسِ عَهْدِي وَمَائِهِ ... إِذا مَا جَرَى كَالسَّيْفِ أَحْمَرَ مُنْتَضَى

ثم وصف الهرماس وما يكتنفه في مجراه ، ومدح المعرة وأعرب عن حنينه اليها وأسفه لفراقها ، ثم قال :

سَلامٌ عَلَى ذَاتِ القُصُورِ وَأَهْلِهَا ... وَمُسْتَقْبَلٍ مِنْ حُسْنِ حَالٍ بِهَا مَضَى

وهي في ديوانه[1]

---

(١) ابن الوردي : الديوان ٣٢١ (ج) .

طول المعرة وعرضها :

وقال [القَلْقَشَنْدِي] في (صبح الأعشى)[١] في حدود حماة :

وحدّهـــا من الشمال آخر حدود المعرة من الغرب . وذكر لها ثلاثة أعمال ، ثالثها عمل المعرة ، قال : وهي مدينة من جُنْد حِمْص واقعة في الإقليم الرابع . قال في كتـــاب الأطوال : طولها إحدى وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة .

وقال أبو الفداء في (تقويم البلدان)[٢]: القياس أن طولها إحدى وستون درجة وأربعون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وتعرف بمعرة النعمان ...

أبواب المدينة :

قال في (الروض المعطار) : ولها سبعة أبواب ، باب حلب ، والباب الكبير ، وباب شيث ، وباب الجنان ، وباب حمص ،

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ١٤١ (ج) .

(٢) أبو الفداء : تقويم البلدان ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

وباب كذا[١] . قال : ويذكر أن قبر شِيث بن آدم ـ عليه السلام ـ عند الباب المنسوب إليه فيها ، وداخلها قبر يوشع بن نون عليه السلام ، وعلى ميل منها دَيرسَمعَان[٢] ، الذي به قبر عمر بن عبد العزيز ...

ولعل البابين اللذين لم يذكرا هما باب حُنَاك ، وقد ذكره أبو المجد ابن ابن أخي أبي العلاء بقوله :

يَا مَغَانِي الصِّبَا بِبَابِ حُنَاكِ لاَ بِبَابِ الغَضَا وَوَادِي الأَرَاكِ[٣]

وباب تَلْمَنّس .

وقال الغزي في (نهر الذهب) :[٤] وكانت المعرة بلدة عظيمة ، تدل أطلال سورها على أن طولها ساعة في عرض مثلها ، وكان لها من جهة القبلة باب يسمى باب نصرة عند تل كبير يذكر أن فيه كنزاً ، ومن جهة الغرب باب يدعى باسم السيد شِيث ، يبعد عن قلعتها نحو عشر دقائق ، وكانت

---

(١) هكذا في صبح الأعشى ج ٤ : ١٤٢ (ج) .

(٢) ويقال : دير سِمعان بالكسر .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ٣ : ٣٤٩ .

(٤) كامل الغزي : نهر الذهب ١ : ٤١٩ .

القلعة في وسط البلدة ، ومن جهة الشمال باب يدعى باب أبلّة ، عنده باب ضخم يدل على أنه من بناء السريان ، ومن جهة الشرق باب يدعى باب مَنّس ، لأنه يخرج منه الى تَلّ مَنّس ، وهي الآن قرية معروفة كان ظهر فيها عاديات زجاجية وأسس ضخمة ا هـ .

هذا ما نقلته عن المتقدمين ولم تتبين فيه الأبواب السبعة ، والعامة من أهل المعرة يزعمون أن للبلدة سبعة أبواب ، باب شِيث ، وهو في موضع يقال له : الحَيا في الشمال الغربي من المعرة . وباب الزيت عند موضع يقال له : رام الزيت . وباب الهنا أو باب حناك عند أطلال حصن حُنَّاك . وباب نصرة عند تل بَنَصْرَة الواقع في جنوبي المعرة . وباب فارس على مقربة من مدفن عمر بن عبد العزيز في الدير الشرقي المعروف بدير سمعان . وباب منس على مقربة من قرية يقال لها : تل منس . وباب إيلا على الطريق الآخذة من المعرة الى حلب ، وإن كل واحد من هذه الأبواب على بعد ساعة من المعرة . ولا شك أن هذا الزعم قائم على الوهم والتخمين ، ولعل

سببه أن العامة سمعوا أن المعرة كانت مدينة جليلة ، لها سبعة أبواب ، منها باب شِيث وغيره ، فوضعوا أبواباً سبعة ، واضافوا كل باب الى شيء . وأخذ صاحب (نهر الذهب) كامل الغزي قول العامة فعول عليه ، والدليل على ذلك وعلى بطلانه ، أننا لا نعرف في عصرنا ولا سمعنا من شيوخ المعرة الذين أدركوا العصر الذي قبله ان هناك باباً يقال له : باب نصرة ، وانما المعروف أن هناك تلاً يقال له : تل بَنَصْرَة ، والعامة تزعم أنه محرف عن باب النصر . وسيأتي أن باب إيلا قرية على بعد ساعة من المعرة . وليس بينهما ما يدل على انها كانت باباً للمعرة ، وأن القلعة ليست في وسط المدينة ، بل تبعد عنها أكثر من عشر دقائق . كما ان باب شيث لا يبعد عن القلعة أكثر من هذا القدر ، ولو كانت في وسط المدينة لكان باب شيث في طرفها أو فيها . وكذلك لا يعرف أهل هذا العصر باباً في جهة الشرق يقال له : باب مَنُّس .

والذي يخيل إليّ أن هذه الابواب كانت للسور ، منها : باب شيث ، وهو في الجهة الشمالية ، وباب الجنان ، وهو في الجهة الغربية يخرج منه الى وادي الجنان . وباب حُنَاك وهو

في الجنوب الغربي يخرج منه الى حصن حُناك ، وهذا الباب ذكره أبو المجد[1] محمد ابن ابن أخي أبي العلاء في قوله الآتي :

يا مَغاني الصِّبا بباب حُناك . . . .

وسيأتي ان داره بباب حناك ، وتعرف بدار القبة . وباب حِمْص في الجهة الجنوبية ، على الطريق الآخذة الى حماة ، وهو الذي احرقه قرعونه سنة ٣٦٤ ﻫ كما سيأتي . وباب حلب في الجهة الشرقية على الطريق الآخذة الى حلب . وأما الباب الكبير فلعله في الجهة الشرقية ايضاً . ولعله الذي زعم الناس انه باب مَنّس ، وأما الباب الآخر فلم اهتد اليه .

قلعة المعرة :

سيأتي أن المعرة صارت في سنة ٦٢٦ ﻫ للملك المظفر محمود صاحب حماة ، وفي سنة ٦٣١ ﻫ نزلها ، وفيها تم بناء قلعتها ثم شحنها بالسلاح والرجال .

---

(١) في الأصل : « ذكره أبو المجد محمد أخو أبو العلاء » . وأبو المجد كنية لعلمين أحدهما محمد بن عبد الله بن سليمان ، وهو أخو أبي العلاء ، والثاني محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ، وهو ابن ابن أخي أبي العلاء . والبيت لهذا الأخير كما عزاه إليه المؤلف في الصفحة ٩٧ وكما في ياقوت ٣٤٩/٣ .

وفي سنة ٦٣٥ ﻫ حاصر الحلبيون قلعة المعرة ، ثم اخذوها وخربت المعرة بسبب ذلك ، وقد استنجد الحلبيون عسكراً من الُخوَارِزْمية ، واستنجدوا كيخسرو بن كيقباذ[1] فأمدهم بخيار عسكره فملكوا المعرة .

وفي سنة ٦٣٨ ﻫ نهبتها الخوارزمية بعدما خربوا حلب .

وفي سنة ٦٥٨ ﻫ قدم التتر على المعرة وخربوا قلعتها وأسوارها .

فيكون بناؤها قد تم سنة ٦٣١ ﻫ وقد هدمت سنة ٦٥٨ﻫ ومدة بقائها عامرة سبعاً وعشرين سنة ، وسيأتي تفصيل ذلك عند الكلام على الحصون والقلعة والسور .

المعرة مركز للبريد والحمام الزاجل :

وذكر القلقشندي في (صبح الأعشى[2]) مراكز البريد في طريق حلب ، وعدّد المراكز إلى حِمْص ، ثم الرَّسْتَن ، ثم حماة ، ثم المعرة ، ثم أنقراثا ، ثم إياد ، ثم قِنَّسرين ، ثم حلب .

وذكر أيضاً في مطار الحمام الرسائلي وأبراجها المقررة الآخذة من دمشق وما يتفرع عنها فقال : وأما

---

(١) في قاموس الأعلام لشمس الدين سامي ٥ : ٣٩٤١ : كيقباد .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ١٤ : ٣٨١ (ج) .

إلى جهة حلب ، فتسرح من دِمَشْق الى قارا[1] (كذا) ، ثم من قارا الى حِمْص ، ثم من حمص الى حماة ، ثم من حماة إلى المعرة ، ثم من المعرة إلى حلب .

وقال[2] في الكلام على نيابات حماة : وليس بخارجها نيابات ، بل يقتصر فيه على ثلاث ولايات ، ولاتها أجناد ، يوليهم النائب بها ، الأولى ولاية بَرّها كما في دمشق وحلب ، الثانية ولاية بارِين ، الثالثة ولاية المعرة ، وليس بها عرب ولا تُرْكُمان .

واجتاز بالمعرة السائح التركي أوليا چلبي[3] سنة ١٠٥٩ هـ وذكرها في رحلته المطبوعة في الآستانة ، وهذه خلاصة ترجمتها : المعرة قاعدة لواء يرأسه باشا ، ويتبع إيالة حلب . وهذا اللواء منح بطريقة الأربه‌لق[4] إلى الدفتردار[5] إبراهيم باشا ، أخي أحمد باشا الهزارپارة[6] ، وذلك حين كان ذا ثلاثة أطواغ .

---

(١) في معجم البلدان لياقوت ٤ : ١٢ ، ١٣ : قارَة .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ٢٣٩ .

(٣) اسمه محمد ظلي .

(٤) أي عيناً أو نقداً .

(٥) هو مدير المال .

(٦) أي صاحب الألف قطعة .

وكان يُحصل للدفتردار المذكور منه أربعون ألف قرش ، ومقدار الخاص العائد لباشا هذا اللواء (٢٣٠٠٠٠) آقجة [١] ، وفيه سبع زعامات ، وسبع وثمانون تيمارا [٢] ، ورئيس جند ، وأمير لواء ، ورئيس مئة . ويبلغ عدد جنده مع ما يجتمع من الجيجية وجند الباشا نحو (١٥٦٠) ، وقضاؤه شريف يبلغ مرتبه ثلاثمائة آقجة ، ويحصل لقاضيه ستة أكياس . وفيه شيخ إسلام ، ونقيب أشراف ، وكان أهله فقراء ، ولذلك لم يكن عندهم حكام زائدون . وقلعة المعرة خراب ، والبلدة في مكان محجر ، وفيها (٨٠٠) دار مشيدة بالحجر جميلة ومختصرة في الجملة ، وفيها ستة وعشرون معبدا ذا محراب . وماؤها نبع يكون في شهر تموز بارداً كالثلج ، وهذا الماء هو أحد المياه ذات الرائحة ، وقد اشتهر بذلك في كل مكان .

ثم سرد حكاية أبي العلاء المعري لما كان ببغداد ، وأتوه بماء المعرة والتذ به ، وقال : سبحان الله لا بد أن يكون هذا ماء المعرة ، أو أن ماء المعرة أتي به إلى هنا ، لذلك اشتهر بين أهل البلاد العربية مثل : سبحان الله هذا ماء المعرة ، فأين هواؤها . وفي الحق أن ماء المعرة وحلب وهواءهما لا نظير لهما في الأقاليم السبعة ،

(١) هي قطعة من النقد الصغير المتداول في ذلك العصر .
(٢) هو محصل الاعشار من الأرضين .

وفي المعرة خان وحمام وأربعون إلى خمسين دكانا ، وفيها انتشرت كروم التوت والزيتون ، وفي أرض المعرة القديمة دفن يوشع بن نون عليه السلام ، عاش مائة وعشرين عاماً ، وقد رأيت له قبرين ، الأول في طَرَابُلُس الشام ، والثاني في المعرة ، ولعل أحدهما مقام له . وفي المعرة مقـــام ومزار حضرة أبي العلاء المعري . اهـ .

ما تعاقب عليها من الحوادث والكوارث ، وما حدث فيها الى عهد جلاء الترك عنها :

قد رأيت ما عثرنا عليه في كلام المتقدمين من وصف المعرة وضاحيتها مما يمثل لنا شبحاً ضئيلاً مما بلغت إليه من الحضارة والعمران ، وكنا نود أن نقسم الكلام في ذلك إلى أنواع ، نبين في كل نوع حالتها السياسية والاجتماعية والعقلية ، ولكن قلة المآخذ ، وفقدان تاريخ خاص بها ، اضطرنا إلى الاكتفاء بما أوردناه على النمط الذي تخيرنا . وقد تعاقب على هذه البلدة الطيبة ضروب من الكوارث والمصائب التي طمست معالمها وشوهت نضرتها من حروب طاحنة وفتن مدمرة ،

وقاسي أهلها من العذاب والهون والسبي والقتل والنهب من المتغلبين والخارجين على السلطان وغيرهم ما لم يقاسه أحد.

ولم يسعفنا التاريخ بالاطلاع على تلك الحوادث تامة، حتى نوردها متناسقة، ونميز كل نوع من غيره، فنبين كلا منها في فصل على حدة، ونضيف إلى ذلك فصلاً فيمن وليها من الأمراء، وآخر فيمن تغلب عليها، وآخر في القضاة وغيرهم. ولكننا نزلنا على حكم الضرورة، فسردنا الحوادث المختلفة على ترتيب السنوات، وسلكنا سبيل الايجاز بقدر الطاقة.

في سنة ١٤١ هـ أسكن أبو جعفر المنصور بعض العشائر في البلاد الخالية المجاورة بلاد المردة في لبنان، فجلا الأمير فِنْد بن مالك وأخوه الأمير أرْسلان بجماعة من عشيرتهما من بلاد المعرة، فنزلوا في وادي التيم في الحصن المعروف بحصن أبي الجيش، ثم تفرقوا في جبل لبنان، وعمروا الخاليْ من أرضه [١].

في سنة ٢٠٨ هـ قدم عبد الله بن طاهر بن الحسين وزير

(١) محمد كرد علي: خطط الشام ١ : ٦٨ (ج).

المأمون لهدم حصون الشام ، فهدم سور المعرة ، وحِصْن الكَفر ، وحصن حُنَاك [١] ، وغيرهما من حصون المعرة [٢].

وفي سنة ٢٢٦ هـ قلد الراضي محمد بن رائِق أمير الأمراء ببغداد طريق الفُرات ، وديارِ مُضَر ، وجُنْد قِنَّسْرين والعَواصِم ، ـ وقد بينا أن المعرة منها ـ .

وفي سنة ٢٣٢ هـ ولي ناصر الدولة بن حَمْدان على أعمال ابن رائق كلها .

وفي سنة ٢٤٥ هـ حدث زلزال عظيم في الشام في شباط ، وسقطت من ذلك كنيسة حناك الكبرى وغيرها .

وفي أيام المستعين بالله وثب بالمعرة المعروف بالفصيص ، وهو يوسف بن ابراهيم التنوخي ، فجمع جموعاً من تَنُوخ وصار إلى مدينة قِنَّسْرين ، فتحصن بها ، ولم يزل بها حتى قدم محمد المولد مولى أمير المؤمنين ، فاستماله واستعمل عطيف بن نعمة ، وصار إليه ، ثم قتل عطيفاً وهرب إلى الجبل الأسود ، وكانت خلافة المستعين من سنة ٢٤٨ هـ إلى سنة ٢٥٢ هـ تقريباً .

---

(١) سيأتي بيانها . (ج)

(٢) وجد في هامش الدر المنتخب لابن الشحنة ان ذلك كان سنة ٢٠٧ هـ (ج) .

وفي سنة ٢٧٦ ﻫ ملك الثغور والعواصم والرّقة أحمد بن طولون ، ثم ملكها اسحق بن كنداج بعد وفاة ابن طولون ، بعد أن استأذن الموفق بذلك .

وفي سنة ٢٨٨ ﻫ حفر لُؤلؤ [1] والي المعرة غلام وصيف ابن صوراتكين أمير حِمْص ، خندقاً على المغرة ، وحاصرها جَهير بن محمد التَّنُوخي ، وبنو كِنانة ، وطال الحرب بينهما ، ثم انصرف عنها ، ولم يستطع فتحها .

وفي الانصاف لابن العديم أن جهير بن محمد التنوخي ولي معرة النعمان .

وفي سنة ٢٩٠ ﻫ حضر القِرْمِطي ، واسمه الحسين ، ثم تسمى أحمد أبا العباس الملقب بصاحب الشامة المهدي، لشامة كانت في وجهه ..

وأغرى أبا الحَجَر المُؤَمّل بن المصبح ، وهو رجل كردي تولى أفامِيَة من قبل الخليفة نحو أربعين سنة ، فأوقع بأهل المعرة ،

(١) لعل لؤلؤا هذا هو الذي اخرج من حمص من قبل الإخشيدية لقتال المتنبي ، حين ادعى النبوة في بادية السماوة ونحوها ، كما ذكر ذلك التنوخي صاحب نشوار المحاضرة ص ٦٠٩ (ج) .

حتى قتلهم قتلاً ذريعاً ، ثم لما قتل القرمطي أسرى إلى هذا الكردي ابراهيم وأنجوا إبنا الفصيصي فأوقعا به ، فهرب حتى ألقى نفسه في بحيرة أفامِيَة فأقام بها أياماً ، وقتل ابنه ، فقال فيه بعض شعراء المعرة :

تَوَهَّمَ الحَرْبَ شطرَنجاً يُقَلِّبُها ... للقمْرِ يَنقُلُ مِنْهُ الرُّخَّ والشّاهَا
جَازَتْ هَزِيمَتُهُ أنْهَــارَ فَامِيَةٍ ... إلى البُحَيْرَةِ حَتّى غطّ في مَاهَا

وذكر ابن خلدون في تاريخه [١] : أن القِرْمِطي هذا استباح حِمْص وحماة والمعرة ، وخُطب له فيها . وقال ابن المُهَذّب المعري في تاريخه : إن القرمطي قتل في معرة النعمان بضعة عشر ألفاً ، وأقام يقتل وينهب ويحرق خمسة عشر يوماً ، وأنه التقى سنة ٢٩١ هـ بعساكر الخليفة المكتفي في تمنع ، وهي من المعرة على الطريق الآخذة من حماة إلى حلب ، فانهزم أبو شامة ، وابن عمه المدثر ، وغلام رومي ، ثم أمسكوا ، وقتلهم الخليفة في بغداد .

---

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ٤ : ٨٦ (ج) .

وذكر ابن خلدون في تاريخه[١] : أن ذَكْرَوَيْه بن مهدويه[٢] . .
داعية القرامطة سار من حِمْص إلى حماة والمعرة وبَعْلَبَك ، ثم إلى سَلَمْيَة ، فقتل جميع من فيها حتى النساء والصبيان والبهائم ، ونهب سائر القرى من كل النواحي .

وفي (إعلام النبلاء)[٣] : أن المكتفي لقي القرامطة ، بين تل بنش وكفر طاب في عشرة آلاف فارس ، فنصره الله عليهم ، وما ذكرناه أقرب إلى الصواب وإلى ما ذكره المؤرخون ، ولعله تَل مَنَّس ، ولعل تمنع هي القرية المعروفة الآن بالتمانعة ، وهي قرب خان شيخون شرقي طريق السيارات الآخذة من المعرة إلى حماة .

وفي مجلة المجمع العلمي العربي[٤] : نحو مما ذكرناه عن ابن المهذب وابن خلدون وكذلك في الشذرات[٥] في حوادث

---

(١) ابن خلدون : العبر ٤ : ٣٠٩ (ج) .
(٢) وفي أعلام الزركلي : زكروية بن مهرويه .
(٣) راغب الطباخ : إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ١ : ٢٣٢ .
(٤) مجلة المجمع العلمي العربي ١٢ : ٦٠٨ (ج) .
(٥) ابن العماد : شذرات الذهب ٢ : ٢٠٦ .

سنة ٢٩١هـ، وفي (مرآة الجنان) لليافعي[١] أيضاً : أن القِرمِطي قتل وسبى في المعرة .

وفي سنة ٣٢٣ هـ عملت الجهة القبلية في المسجد الجامع في المعرة بالرخام والفصوص والجص ، وقد صنع ذلك أخوان من دمشق ، اسم أحدهما متوكل ، وبقي إلى أن أحرقه نقفور سنة ٣٥٧ هـ[٢] .

وفي سنة ٣٢٥ هـ وردت بنو كِلاب من نجد ، وأغارت على المعرة ، فخرج إليهم والي المعرة مُعاذ بن سعيد بجنده ، وتبعهم إلى البراغيثي ، فعطفوا عليه وأسروه وأكثر جنده ، وأقام فيهم أياماً يعذبونه حتى خلصه والي حلب أبو العباس أحمد بن سعيد ابن الكِلابي[٣] .

وفي سنة ٣٣٢ هـ استعمل ناصر الدولة بن حَمْدان محمد بن علي بن مُقاتِل على قِنَّسْرين والعواصم وحِمْص

(١) اليافعي : مرآة الجنان ٢ : ٢١٨ .

(٢) ابن الوردي : التاريخ ١ : ٣٦٨ (ج) .

(٣) راغب الطباخ : إعلام النبلاء ١ : ٢٤٠ .

ثم استعمل بعده في السنة المذكورة ابن عمه الحسين بن سعيد ابن حَمْدان على ذلك [١] .

وفي أبي الفداء [٢] في حوادث سنة ٣٥٦ هـ : وقيل : إن أول من ملك حلب من بني حمدان الحسين بن سعيد وهو أخو أبي فِراس حمدان .

استيلاء سيف الدولة على المعرة :

وفي سنة ٣٣٢ أو ٣٣٣ هـ استولى سيف الدولة على حلب ودِمَشْق وما بينهما ، وأقام حيناً في دمشق ، ثم خرج إلى الاعراب، فلما عاد منعه أهل دمشق من دخولها فبلغ الإِخْشِيد ذلك ، فسار من الرَّمْلَة ، وتوجه يطلب سيف الدولة ، فلما وصل طَبَرِيّة عاد سيف الدولة الى حلب بغير حرب ، لأن أكثر أصحابه وعسكره استأمنوا إلى الإخشيد الى أن نزل معرة النعمان في جيش عظيم ، فخرج سيف الدولة

(١) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ٢ : ٩٦ ، ٩٧ . وابن الوردي : التاريخ ١ : ٢٧٦ .
(٢) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ٢ : ١١٣ .

ولقيه بأرض قِنّسْرين ، وكان الإخشيد جعل مطارده وبوقاته في المقدمة ، وانتقى من عسكره عشرة آلاف سماهم الصابرية فوقف بهم في الساقة ، وحمل سيف الدولة على مقدمة الاخشيد فهزمها ، وقصد قبته وخيمته ، وهو يظنه في المقدمة ، فحمل الاخشيد ومعه الصابرية ، فاستخلص سواده ، ولم يقتل من العسكرين غير مُعاذ بن سعيد والي معرة النعمان من قبل الاخشيد ، فانه حمل على سيف الدولة ليأسره ، فضربه سيف الدولة بمستوفى ، وهو عمود من حديد طوله ذراعان ، مربع الشكل ، له مقبض مدور في وسطه كان معه ، فقتله وهرب سيف الدولة ، فلم يتبعه أحد من عسكر الاخشيد ، وسار على حاله الى الجزيرة ، فدخل الرَّقّة (١) .

وفي سنة ٣٣٨ ه احترق حصن أفامِيَة .

وفي سنة ٣٣٩ ه نزل بسيل ملك الروم على افامية ، وسيأتي الكلام في هاتين الحادثتين .

---

(١) بيشوف : تحفة الأنباء في تاريخ حلب الشهباء ٣٣ . راغب الطباخ : إعلام النبلاء ١ : ٢٥١ — ٢٥٦ .

وفي سنة ٣٣٩ هـ يبس شجر الزيتون في المعرة من البرد الذي نجم عن الثلج والجليد اللذين لم ير لهما مثال ، حتى قيل : إن الفرات جمد ومشى الناس عليه ، وكانت القدور وهي على النار يجمد أعلاها .

وفي سنة ٣٤٩ هـ جاء الجليد والبرد حتى جمد الفرات والقدور على النار ويبس الزيتون في المعرة وكَفَرْطاب[1].

وفي سنة ٣٥٤ هـ عصى أهل أنطاكِية على سيف الدولة ، وسبب ذلك أن رجلاً من أهل طَرَسُوس يسمى رَشِيقا النَّسِيمي ، كان مقدما فيها ، وكان من جملة من سلمها الروم ، ثم خرج إلى أنطاكية ، فلما وصلها خدمه انسان يعرف بابن الأهوازي ، كان يضمن الأرحاء [2] بأنطاكية ، فسلم إليه ما اجتمع عنده من حاصل الأرحاء ، وحسّن له العصيان ، وأعلمه أن سيف الدولة بمَيّافارِقين قد عجز عن العود إلى الشام ، فعصى واستولى على انطاكية وسار إلى حلب ، وجرى بينه وبين

---

(١) كامل الغزي : نهر الذهب ٣ : ٥٩ (ج) .

(٢) لعلها جمع رَحَى التي يطحن بها ، انظر معجم البلدان لياقوت ١ : ١٩٦ .

النائب عن سيف الدولة ، وهو قَرْعُونَه ، خروب كثيرة ، صعد قرعونه إلى قلعة حلب فتحصن بها ، وانفذ سيف الدولة عسكراً مع خادمه بشارة نجدة لقرعونه ، فلما علم بهم رَشِيق انهزم عن حلب ، فسقط عن فرسه ، فنزل إليه انسان عربي فقتله وأخذ رأسه وحمله إلى قرعونه وبِشارة ، ووصل ابن الأَهوازي إلى أنطاكية ، فاظهر إنساناً من الدَّيلَم اسمه دِزْبر ، وسماه الأمير ، وتقوى بانسان علوي يقيم له الدعوة ، وتسمى هو بالأستاذ ، فظلم الناس وجمع الأموال ، وقصد قرعونه إلى انطاكية ، وجرت بينهما وقعة عظيمة ، فكانت على ابن الأهوازي أولاً ، ثم عادت على قرعونه ، فانهزم وعاد إلى حلب . ثم إن سيف الدولة عاد من مَيّافَارِقِين عند فراغه من الغزاة إلى حلب فأقام بها ليلة ، وخرج من الغد فواقع دزبر وابن الأهوازي ، فقاتل من بها ، فانهزموا وأسر دزبر وابن الأهوازي ، فقتل دزبر وسجن ابن الأهوازي مدة ثم قتله [1] . وقد ذكر ياقوت [2] في معجم البلدان في «حَنْدُوثا» :

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٨ : ٢٢١ (ج) .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٣٤٧ .

أن مقدمي المعرة عصوا مع ابن الأهوازي على سيف الدولة، ولم يسم منهم إلا محمد بن إسماعيل الخندوثاني أحد وجوه المعرة وأعيانها، كما سيأتي ذلك في ترجمته.

وقال العُكْبَري[1] في (شرح ديوان المتنبي): شَبيب بن جرير العقيلي، من قوم كانوا من القرامطة، وكانوا مع سيف الدولة، وولي شبيب معرة النعمان دهراً طويلاً، واجتمع إليه جماعة من العرب فوق عشرة آلاف، وأراد أن يخرج على كافور، وقصد دِمَشْق فحاصرها، فيقال: إن امرأة ألقت عليه رحى فصرعته، وذكر العكبري أقوالاً أخر في موته.

وشبيب هذا ذكره أبو الطيب المتنبي في قصيدته التي يمدح بها كافوراً، وأولها:

عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانِ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ القَمَرانِ

فقال:

بِرَغْمِ شَبِيبٍ فَارَقَ السَّيْفُ كَفَّهُ وَكَانَا عَلَى العِلاَّتِ يَصْطَحِبَانِ[2]

---

(١) العكبري: شرح ديوان المتنبي ٢: ٤٣٨.
(٢) ابراهيم اليازجي: العرف الطيب ٥١٢.

وفي سنة ٣٥٦ هـ مات سيف الدولة ، وملك بعده أبو المعالي سعد الدولة شريف ، وكان له غلام يقال له : قَرْغُونه [١] ، فتغلب عليه واستولى على حلب ، وأخرجه منها سنة ٣٥٨ هـ إلى حماة ، ثم صالحه سنة ٣٥٩ هـ ، وكان أبو المعالي في حِمْص ، وخُطب له في حلب ، ثم اتفقا على أن يخطب كل منهما في عمله للمُعِزّ العلوي صاحب مصر ، وكان لقرعونه غلام اسمه بَكجور ، فاستنابه قرعونه ، فلما قوي أمره قبض على قرعونه ، وحبسه في قلعة حلب ، وأقام بها ست سنين ، ولما استبد بكجور بالأمر كتب أهل حلب إلى أبي المعالي شريف أن يقصد حلب ، فسار إليها ، فحصرها أربعة أشهر ، ثم ملكها سنة ٣٦٦ هـ ، وبقيت القلعة بيد بَكجور ، ثم طلب الأمان على أن يوليه حِمْص ، فأجابه إلى ذلك وسيره إليها واستلم القلعة . وكان بكجور يتقرب إلى العزيز صاحب مصر ، وطلب منه أن يوليه دِمَشْق فوعده بذلك .

---

(١) كتبه بعضهم قرعوية . وآخر فرغوية وآخر . وآخر . وقد ضبطه ابن الشحنة في الدر المنتخب ص ٦٣ : بفتح القاف واسكان الراء وضم العين ثم واو ثم نون ثم هاء اخره (ع) .

وفي سنة ٣٥٧ [١] افتتح نقفور ملك الروم المعرة ، وأحرق المسجد الجامع فيها وأكثر الدور ، وهرب الناس إلى الحصون والبراري والجبـــال ، ثم سار إلى كَفَرْطَاب ، وشيزر ، فحماة ، فحِمْص .

وفي سنة ٣٥٩ هـ [٢] ملك الروم أنطاكِية وقتلوا أهلها ، وسبوا عشرين ألف صبي وصبية ، ثم قصدوا حلب فملكوها ، وحصروا القلعة ، ثم اصطلحوا على مال يحمله قَرْعُويَه غلام سيف الدوله بن حَمْدان المتغلب على حلب إلى ملك الروم في كل سنة ، وكانت المصالحة على أن يحمل المال المقرر على حلب وما معها من البلاد ، وهي حماة ، وحمص ، وكَفَرْطَاب ، والمعرة ، وأَفَامِية ، وشَيْزَر ، وما بين ذلك من الحصون والقرى ، وعلى أن لا يمكن قرعونه أهل القرى من الجلاء إذا أراد الروم الغزو ليبتاع الروم منهم ما يحتاجون إليه ، ودفع أهل

---

(١) راغب الطباخ : إعلام النبلاء ١ : ٢٩٥ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٤ : ١٩ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ٢٠٧ (ج) .

(٢) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ٢ : ١١٦ ، كامل الغزي : نهر الذهب ٣ : ٦٥ ، إعلام النبلاء ١ : ٢٥٣ (ج) .

حلب الرهائن بالمال إلى الروم ، فرحلوا عن حلب ، وعاد المسلمون إليها ، والمال الذي اصطلحوا عليه ثلاثة قناطير ذهباً عن حق الأرض ، وسبعة قناطير ذهباً عن خراج بلاد حلب ، وقِنّسْرين ، وحِمْص ، وحماة ، وجُوسِيَة ، والمعرة ، وكَفَرْطَاب ، وأفامِيَة ، وشَيْزَر ، وجبل السُّمَّاق ، ومعرة مَصْرِين ، والأَثارب وغيرها . وعن كل حالم دينار في السنة ، سوى ذوي العاهات ، وأن يكون لملك الروم صاحب يقوم بحلب يستخرج أعشار الأمتعة الواردة إليها . وقد عقدوا هدنة مؤبدة ، ولكن سعد الدولة لم يعترف بهذه المعاهدة التي جرت بين قرْغُونه والروم ، وظل في معرة النعمان ، فأخرب الروم حمص ليحملوه على الاذعان ، ولكن جاءته نجدات فعمرها .

وفي سنة ٣٦٤ هـ خلع بَكجور قرْغُونَه وأسره ، وحاصر المعرة ، وكان فيها عامل قرعونه ، وأحرق أحد أبوابها المسمى باب حمص ، ونهب جيشه بنو كِلاب .

وفي شوال سنة ٣٦٦ هـ سار أبو المعالي سعد الدولة من حلب وفتح المعرة وما يليها ، ونزل إلى حلب ومعه بنو كلاب ، ووقع القتال بينه وبين بكجور .

وفي ابن القلاَنِسي [1]: ملك أبو المعالي المعرة ، وأخذ غلاماً كان غلب عليها يقال له : زهير ، فقتله وسار عنها . وفيها خرج ملك الروم بانس بجيوش جناحها في عقاب الزُّوج ، والآخر في الفَرْزَل من عَلاَة معرة النعمان ، ونزل على أفامِية .

وفي سنة ٣٨١ ﻫ توفي سعد الدولة ، وعهد إلى ولده أبي الفضائل سعيد الدولة ، ووصى به لُؤلؤ بن عبد الله السَّيْفي الكبير ، وهذا كان مولى لسيف الدولة مقدما عنده وعند ولده سعد الدولة ، وقد قدمه على أصحابه وجعله مدبر الملك بعده . فلما ولي أبو الفضائل كان هو المدبر لملكه ، وقد تزوج أبو الفضائل ابنته وأقام بحلب إلى أن توفي سنة ٣٩١ ﻫ مسموماً ، ويقال : إن لؤلؤاً سمّه وسم ابنته زوجة أبي الفضائل فماتا من ذلك .

واستولى لُؤلؤ بعد موت أبي الفضائل على تدبير ابنيه أبي الحسن علي وأبي المعالي شريف ، ثم استقل بالأمر وأخرجها إلى مصر سنة ٣٩٤ ﻫ ، وبقي إلى أن مات سنة ٣٩٩ ﻫ .

---

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ٢٨ .

وفي سنة ٣٨٢ هـ وقع قتال بين منجوتكين والحمدانيين على أَفامِيَة ، فانهزم الحمدانيون .

وفي سنة ٣٨٣ هـ عاد منجوتكين فنزل على أفامية ، فسلمها إليه وَفاء خادم سيف الدولة .

وفي سنة ٣٨٤ هـ عاد منجوتكين فحاصر حلب ، وقلت الأقوات ، فكان العزيز يمد عسكره بالميرة من غلات مصر إلى طَرَابُلُس ، ومنها على الظهور إلى أفامية .

وفي سنة ٣٨٦ هـ نزل الدوقس[1] صاحب الروم على أفامية ، ووقعت حروب بينه وبين جيش بن الصَّمْصامة ، ثم قتل الدوقس .

وفي سنة ٣٨٨ هـ وقعت النار في أفامية ، واحترق ما كان فيها من الأقوات ، ونشبت فيها حرب بين الدوقس وجيش . وسيأتي تفصيل هذه الحوادث .

وفي سنة ٣٩٣ هـ خرب لُؤلؤ السَّيْفي المعروف بالجراحي كَفَرْرُوما ، وهي قرية من قرى المعرة ، وكانت حصناً حصينا ،

---

(١) وفي قاموس الاعلام لشمس الدين سامي ٣ : ٢١٨١ : دوقاس .

وخرب حصن عار ، وحصن أَرْوَح [١] ، مخافة أن يقصدها [٢] .

وفي سنة ٣٩٨ هـ سافر أبو العلاء المعري إلى بغداد ، وعاد سنة ٤٠٠ هـ بعد أن أقام سنة وبضعة أشهر .

ولما مات لؤلؤ سنة ٣٩٩هـ ملك حلب بعده ابنه منصور أبو نصر مُرتضى الدولة ، وكان خطب للحاكم العبيدي ، فلقبه مرتضى الدولة ، ثم فسد ما بينه وبين الحاكم .

وكان لابن لؤلؤ غلام اسمه فتح ، وكان دزدار [٣] قلعة حلب ، فعصى على استاذه وكاتب الحاكم وخطب له وأخذ منه صَيْداء ، وبَيْرُوت ، وكل ما في حلب من الأموال ، واستولى على حلب ، ثم سلمها إلى نواب الحاكم ، ولقب بمبارك الدولة وسعيدها وعزها ، وسار مولاه أبو نصر بن لُؤلؤ إلى أنطاكِية ، وكانت للروم ، فأقام عندهم ، وذلك في سنة ٤٠٦ هـ ، وقال في النجوم الزاهرة [٤] : استولى الحاكم على حلب ، وزال ملك بني حمدان عنها في سنة ٤٠٤ هـ .

---

(١) وفي معجم البلدان ١ : ٢٢٤ : أروخ .
(٢) ابن الوردي : التاريخ ١ : ٣١٨ .
(٣) أي محافظ قلعة حلب .
(٤) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٤ : ٢٣٥ .

ثم تولى حلب جماعة من نواب الحاكم ، منهم : مختار الدولة والي طَرَابُلُس ، ومُرهف الدولة والي صَيْداء ، ثم صارت بيد رجل من الحمدانيين يعرف بعزيز الملك على ما قال ابن الأثير . ولعل الصواب أنه عزيز الدولة أبي شجاع فاتك بن عبد الله الرومي مولى منجوتكين ، وكان أبو شجاع والي حلب من قبل المصريين في بعض أيام الحاكم ، وأيام الظاهر قتله مملوك له سنة ٤١٢ ﻫ أو سنة ٤١٣ ﻫ بقلعة حلب [١] .

وولى الظاهر مكانه رجلاً يعرف بابن شُعْبان الكُتَامي [٢] ، وولي القلعة خادم يعرف بمَوْصوف ، وبقيا فيها إلى أن انتزعها صالح بن مِرْداس .

وفي سنة ٤١٤ ﻫ دخلت المعرة في حوزة آل مِرْداس ملوك حلب الذين تغلبوا على أعقاب بني حَمْدان ، وانتزعوا سلطانهم من حلب والمعرة وغيرهما .

---

(١) وهذا الف له أبو العلاء كتاب الصاهل والشاحج والقائف وذكره في رسالته الى أبي نصر صدقة بن يوسف الفلاحي (ج) .
(٢) وهذا عمل له أبو العلاء الرسالة السندية (ج) .

الدولة المرداسية :

كان أسد الدولة أبو علي صالح بن مرداس بن إدريس من بني كلاب بن ربيعة من عامر بن صعصعة من مضر ، ومن عرب البادية.

وكان بالرّحبة رجل من أهلها يعرف بابن محكان[1]، فملك البلد واحتاج إلى من يستعين به على من يطمع فيه ، فكاتب صالح ابن مرداس فقدم عليه وأقام عنده مدة ، ثم تغير صالح وسار إلى ابن محكان وقاتله على البلد ، ثم تصالحا ، وتزوج ابنة ابن محكان ودخل البلد ، إلا أن أكثر مقامه كان بالحلّة .

ثم راسل ابن محكان أهل عانة فأطاعوه ، ونقل ماله وأهله إليهم ، ثم خرجوا عن طاعته ، وأخذوا ماله ، واستعادوا رهائنهم ، وردوا أولاده ، فاتفق هو وصالح على قصد عانة ، وسارا إليها ، ثم دس صالح إلى ابن محكان من يقتله ، فقتله غيلة ، وسار صالح إلى الرحبة فملكها وأخذ أموال ابن محكان ، واستمر على ذلك ، ولكن الدعوة كانت للمصريين .

وفي سنة ٤٠٢ هـ فسد ما بين الحاكم ومُرتضى الدولة أبي نصر

---

(١) في محيط المحيط للفيروزابادي ٣/٣٢٨ : رجل محكان : عسر الخلق لجوج وسمّوا به .

ابن لُؤلؤ ، فطمع فيه صالح بن مِرْداس وبنو كِلاب ، وكانوا يطالبونه بالصلات والخلع .

ثم اجتمعوا في خمسمائة فارس ودخلوا حلب ، فأمر مرتضى الدولة بإغلاق الأبواب ، وقبض على مائة وعشرين رجلاً ، منهم صالح بن مرداس ، وحبسهم ، وقتل مائتين ، وأطلق من لم يفكر به . وكان صالح تزوج ابنة عم له تسمى جابرة ، وكانت جميلة ، فوصفت لمرتضى الدولة ، فخطبها إلى أبناء إخوتها ، وكانوا في حبسه [1] ، فقالوا : إن صالحاً قد تزوجها فلم يقبل منهم ، وتزوجها .

وبقي صالح في الحبس ، ثم صعد من السور وألقى نفسه من أعلى القلعة إلى تلها واختفى في مسيل ماء حتى سكن عنه الطلب ، ثم سار بقيده ولبنة حديد في رجليه إلى قرية اليَّاسِريّة ، وهي قرية على نهر عيسى ، بينها وبين بغداد ميلان فعرفه جماعة من العرب ، فحملوه إلى أهله في مرج دابق ، وهي قرية قرب حلب من عمل عَزَاز ، بينها وبين حلب أربعة

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٩ : ٩٤ (ج) .

فراسخ ، فجمع ألفي فارس وحاصر حلب اثنين وثلاثين يوماً ، فخرج إليه مرتضى الدولة ، فقاتله صالح وأسره وقيده بقيده الذي كان في رجله ولبنته ، ثم بذل له مائتي ألف دينار ومائة ثوب ، وأطلق كل أسير عنده من بني كِلاب ، فأخذ صالح ذلك ، وأطلقه ، ورحل عنه .

وفي سنة ٤١٤ هـ كان للمصريين نائب بالشام ، يعرف بأنوشتكين الدِزْبري [1] ، وبيده دِمَشْق ، والرَّمْلَة ، وعَسْقلان ، وغيرها ، فاجتمع حَسَّان أمير طَيِّء ، وصالح بن مِرْداس أمير بني كِلاب ، وسِنان بن عَلْيان أمير بني كَلْب ، وتحالفوا واتفقوا على أن يكون من حلب إلى عانَة لصالح ، ومن الرملة إلى مصر لحسان ، ودِمَشْق [2] لسنان ، فسار حسان إلى الرملة فحصرها ، وكان أنوشتكين فيها ، فسار عنها إلى عَسْقلان ،

---

(١) هو انوشتكين بن عبد الله الأمير منتجب الدولة ، ولد ببلاد الترك وحمل الى بغداد ، ثم الى دمشق سنة ٤٠٠ هـ فاشتراه القائد دِزْبِر ، ثم اتصل بالحاكم ، فبعثه الى دمشق سنة ٤٠٦ هـ ، ثم أرسله الى قتال صالح (ج) .

(٢) في معجم البلدان لياقوت ٢ : ٥٨٧ : دمشق الشام بكسر أوله وفتح ثانيه هكذا رواه الجمهور ، والكسر لغة فيه وشين معجمة وآخره قاف .

واستولى عليها حسان ونهبها وقتل أهلها ، وذلك في سنة ٤١٤ هـ .

وحاصر سنان دمشق سنة ٤١٦ هـ وجرت بينه وبين أهلها حروب شديدة ، وخرب داريا وأعمالها ، ومات سنان سنة ٤١٩ هـ.

وسار صالح إلى حلب وبها ابن شَعْبان الكُتَامِي ، ومَوْصوف بالقلعة ، فسلم أهل حلب المدينة لإحسانه إليهم ، وسوء سيرة المصريين معهم ، وصعد ابن شعبان إلى القلعة ، فحصره صالح بها ، فغار الماء الذي فيها ، فلم يبق لهم ما يشربون ، فسلم الجند القلعة إليه ، وذلك سنة ٤١٤ هـ ، وملك من بَعْلَبَكّ إلى عانَة ، وأقام في حلب نحواً من ست سنين .

وقد أشار أبو العلاء الى ما فعله صالح وسنان وحسان في مواضع من شعره . كقوله في اللزوم :

أرَى حَلَبـاً حَازَهَا صَـالِحٌ ... وَجَالَ سِنَانٌ عَلى جِلَّقَـا[1]
وَحَسَّـانُ في سَلَفَي طَيءٍ ... يُصَرِّفُ مِنْ عِزِّه أبْلَقَـا

الى آخر الأبيات .

---

(١) انظر لزوم ما لا يلزم ص ٣٠٥ .

وقوله فيه :

وَالرَّمْلَةُ البَيْضَاءُ غُودِرَ أَهْلُهَا   بَعْدَ الرَّفَاهَةِ يَأْكُلُونَ قِفَارَهَا[١]

إلى آخر الأبيات .

وقوله فيه :

قَدْ أَشْرَعَتْ سِنْبِسٌ ذَوَابِلَهَا   وَأَرْهَفَتْ بُحْتُرٌ عَوَامِلَهَا[٢]

لِفِتْنَةٍ لاَ تَزَالُ بَاعِثَةً   رَامِحَهَا فِي الوَغَى وَنَابِلَهَا

حَسَّانُ فِي المُلْكِ لاَ يَحِسُّ لَهَا   تُزْجِي إِلَى مَوْتِهَا قَنَابِلَهَا

إلى آخر الأبيات .

وقوله فيه :

أَصَابَ الرَّمْلَةَ الحَدَثَانِ يَوْماً   فَخَصَّ وَمَا يَزَالُ أَخَا اشْتِمَالِ[٣]

إلى آخر الأبيات .

وقوله فيه :

أَلَمْ تَرَ طَيِّئاً وَبَنِي كِلاَبٍ   سَمَوْا لِبِلاَدِ غَزَّةَ وَالعَرِيشِ[٤]

إلى آخر الأبيات .

---

(١) لزوم ما لا يلزم ص ١٤٣ وفيه : « بعد الرفاغة ... » .

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٨ وفيه : « ... بحتر معابلها » .

(٣) المصدر السابق ص ٢١٨ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٢٧ .

وقوله في (سقط الزند) :

وَمَا أَذْهَلَتْنِي عَنْ وِدَادِكَ رَوْعَةٌ ... وَكَيْفَ وَفِي أَمْثَالِهِ يَجِبُ الغَبْطُ[1]

وَلاَ فِتْنَةٌ طَائِيَّةٌ عَامِرِيَّةٌ ... يُحَرَّقُ فِي نِيرَانِهَا الجَعْدُ وَالسَّبْطُ

وَقَدْ طَرَحَتْ حَوْلَ الفُرَاتِ جِرَانَهَا ... إِلَى نِيلِ مِصْرٍ فَالوَسَاعُ بِهَا تَقْطُو

أراد بالطائية : قوم حسان أمير طيء ، وسِنْبِس وبُحْتُر : قبيلتان من طيء ، وأراد بالعامرية : قوم صالح بن مِرْداس ، وهم بنو كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة .

وفي سنة ٤١٦ ﻫ استوزر صالح تاذرس النصراني ، وكان عنده صاحب السيف والقلم .

وفي سنة ٤١٧ ﻫ [2] صاحت امرأة يوم الجمعة في جامع المعرة ، وذكرت أن صاحب الماخور أراد أن يغصبها نفسها ، وكان نصرانياً ، فنفر كل من في الجامع إلا القاضي والمشايخ وهدموا الماخور ، وأخذوا خشبه ، ونهبوه ، وحرقوه ، وقتلوا الضامن ، وكان صالح بن مِرْداس صاحب حلب يومئذ في

---

(١) شروح سقط الزند ، ق ٤ ص ١٦٧٥ .

(٢) انظر تاريخ ابن الوردي ١ : ٣٢٨ — ٣٢٩ .

نواحي صَيْداء ، وكان له وزير يقال له : تازروس ، أو تاذرس أو تادروسَ بن الحسن النصراني ، استوزره صالح سنة ٤١٦ ﻫ وكان متمكناً عنده وصاحب السيف والقلم ، وكان أهل المعرة قتلوا حماه الخوري ، فكان في نفس تاذروس شيْء من أهل المعرة من أجل حميه ، وكان يؤذيهم ويتتبع قتلته ، حتى قتلهم وصلبهم . فلما أنزلوا عن الخشب ليصلى عليهم ويدفنوا ، قال الناس : قد رأينا عليهم طيوراً بيضاً ، وما هي إلا الملائكة ، يريدون بذلك كيد النصارى ، فبلغت هذه الكلمة تاذروس ، فنقمها على أهل المعرة ، واعتدها ذنباً لهم وتربص بهم السوء . فلما وقعت حادثة الماخور على ما ذكرنا وسوس الوزير لصالح وأوغر صدره على أهل المعرة ، وكان صالح قد وصل إلى حلب سنة ٤١٨ ﻫ ، فحاصر المعرة ، ونصب المناجيق ، وشدد الحصار عليها ، واعتقل سبعين رجلاً من شيوخها وأعيانها في محبس الحصن ، ولبثوا سبعين يوماً ، وذلك بعد عيد الفطر بأيام [١] ، وكان تاذروس أشار على صالح بن مِرْداس أن يقتل المُهذّب ، وهو الشيخ أبو الحسن ، وأبا المجد

(١) وفي الوافي بالوفيات : فبلغ الخبر أحد كبار كتاب صالح فقبض على سبعين (ج) .

محمد بن عبد الله بن سليمان ، أعني أخا أبي العلاء ، وأوهمه أن في ذلك إقامة للهيبة ، فأبى صالح أن يوافقه على القتل ، وقطع تاذروس على أهل المعرة ألف دينار .

وكان بعض بني سليمان جد أبي العلاء ممن اعتقل ، فلما اشتد الحصار على أهلها ، وآنسوا من نفوسهم العجز عن مقاومته ، لأنه جاءهم بما لا قبل لهم به ، جاؤا إلى أبي العلاء ، وقالوا له : إن الأمر قد عظم وليس له غيرك ، وسألوه أن يخرج إلى صالح بنفسه ، ويدبر الأمر برأيه إما بأموال يبذلونها ، أو طاعة يعطونها ، فخرج أبو العلاء ، ويده في يد قائده ، فلما فتح له باب من أبواب المعرة وخرج منه ، رأى صالح شيخاً قصيراً يقوده رجل ، فقال : هذا أبو العلاء فجيئوني به ، فلما مثل بين يديه سلم عليه ، ثم قال : الأمير أطال الله بقاءه كالنهار الماتع ، اشتد هجيره وطاب أبرداه ، وكالسيف القاطع ، لان صفحه وخشن حدّاه ، خذ العفو وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين ، فقال صالح : لا تثريب عليكم اليوم ، قد وهبت لك المعرة وأهلها . ثم قال له : أنشدني شيئاً من شعرك ، فقال أبو العلاء :

تَغَيَّبْتُ في مَـنْزِلِي بُرْهَـةً سَتِيرَ العُيُوبِ فَقِيدَ الحَسَدْ[1]
فَلَمَّا مَضَى العُمْرُ إلاَّ الأَقَـلَّ وَحُمَّ لِرُوحِي فِرَاقُ الجَسَدْ
بُعِثْتُ شَفِيعـاً إلَى صَالِحٍ وَذَاكَ مِنَ القَوْمِ رَأْيٌ فَسَدْ
فَيَسْمَعُ مِنِّي سَجْـعَ الحَمَامِ وَأَسْمَـعُ مِنْه زَئِيرَ الأَسَدْ

فقال له صالح : بل نحن الذين تسمع منا سجع الحمام ونسمع منك زئير الأسد .

ثم أمر صالح بتقويض الخيام ، فنقضت ورحل ، ولم يعلم أبو العلاء أن المال قد قطع عليهم ، ولو علم ذلك لسأل صالحاً رده .

ولما رجع أبو العلاء قال :

نَجَّى المَعَرَّةَ مِنْ بَرَاثِنِ صَالِحٍ رَبٌّ يُعَافِي كُلَّ دَاءٍ مُعْضِلِ[2]
مَا كَانَ لِي فِيهَا جَنَاحُ بَعُوضَةٍ اللهُ أَلْبَسَهُمْ جَنَـاحَ تَفَضُّلِ

وبعضهم يقول : إن صالحاً استدعى إليه أبا العلاء ، وهو بظاهر المعرة ، وآخر يقول : استدعاه إليه ، وهو في حلب ،

---

(١) لزوم ما لا يلزم ص ١١٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٠ . وفيه : « .. رب يفرج كل أمر معضل » .

وعلى كل رواية ، خرج إليه أبو العلاء وقال له : ما تقدم .

وقد دعي للمعتقلين على المنابر بآمِد ومَيّافارقين . وهذه القصة رواها ياقوت في (معجم الأدباء) ، وابن العديم ، والقفطي ، والذهبي ، وابن الوردي ، وصاحب (إعلام النبلاء) وغيرهم ، ونقلت عن أبي غالب بن المهذب المعري في تاريخه ، وهو أوثق الجميع ، لأن الحادثة وقعت في حياته ، وكلهم قد أخذ عنه .

وقد لخصنا ما ذكرناه من أقوال الجميع ، ولم يتبين لنا ظاهر المعرة الذي كان فيه صالح ، هل هو في الشرق أم في غيره ، ؟ والغالب أنه الشرق ، فان لم يكن فالشمال ، لأنها أول ما يقابل القادم من حلب إلى المعرة .

وأبو العلاء أشار إلى هذه الواقعة في اللزوميات ، حيث يقول :

أَتتْ جَامِعٌ يَوْمَ العَرُوبَةِ جَامِعاً تقصُّ على الشُّهادِ بالمِصْرِ أمرَهَا [1]

فَلَوْ لَمْ يَقُومُوا نَاصِرِينَ لِصَوْتِهَا لَخِلْتَ سَمَاءَ اللهِ تُمْطِرُ جَمْرَهَا

فَهَدُّوا بِنَاءً كَانَ يَأْوِي فِنَاءَهُ فَوَاجِرُ أَلْقَتْ لِلفَوَاحِشِ خُمْرَهَا

---

(١) لزوم ما لا يلزم ص ١٣٨ .

وَزَامِرَةٍ لَيْسَتْ مِنَ الرُّبْدِ خَضَّبَتْ يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا تُنَفِّقُ زَمْرَهَا[١]
أَلِفْنَا بِلَادَ الشامِ إِلْفَ وِلَادَةٍ نُلَاقِي بِهَا سُودَ الْخُطُوبِ وَحُمْرَهَا
فَطَوْراً نُدَارِي مِنْ سُبَيْعَةَ لَيْثَهَا وَحِيناً نُصَادِي[٢] مِنْ رَبِيعَةَ نَمْرَهَا

الى أن قال :

فَإِنِّي أَرَى الآفَاقَ دَانَتْ لِظَالِمٍ يَغُرُّ بَغَايَاهَا وَيَشْرِبُ خَمْرَهَا
وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا مِنَ الإِنْسِ لَمْ تَكُنْ سِوَى مُومِسٍ أَفْنَتْ بِمَا سَاءَ عُمْرَهَا
تَدِينُ لِمَجْدُودٍ وَإِنْ بَانَ غَيْرُهُ يَهُزُّ لَهَا بِيضَ الحُرُوبِ وَسُمْرَهَا

الى آخر الأبيات .

وفي سنة ٤١٩ أو سنة ٤٢٠ هـ جهز الظاهر صاحب مصر جيشاً إلى الشام ، أضافه إلى رافع أمير الكَلْبيين لقتال صالح وحسان ، وكان مقدم العسكر أنوشتكين ، فاجتمع صالح وحسان على قتاله ، فاقتتلوا بالأُقحُوانة على الأُرْدُنّ عند طَبَرِيّة ،

---

(١) زمر يزمر غنى في القصب وامرأة زامرة . والزمارة الزانية وزمرت النعامة صوتت والربد النعام جمع ربداء وهي السوداء أو التي لونها كلون الرماد أو التي في سوادها نقط بيض أو حمر (ج) .

(٢) أي نداري (ج) .

فقتل صالح وولده الأصغر ، وأنفذ رأساهما إلى مصر .

ونجا ولده أبو كامل نصر بن صالح ، فجاء إلى حلب فملكها ، وكان لقبه شِبْل الدَّوْلة . فلما علمت الروم بأنطاكِيَة ذلك ، تجهزوا إلى حلب في عالم كثير ، فخرج أهلها إليهم ، فحاربوهم فهزموهم ، ونهبوا أموالهم ، وعادوا إلى انطاكية ، وبقي شبل الدولة مالكاً حلب إلى سنة ٤٢٩ ﻫ .

وفي سنة ٤٢٠ ﻫ نهض أهل الغرب من ضياع المعرة ، وأفامِيَة ، وكَفَرْطَاب ، إلى كَفْرنَبْل ، وكان أهلها نصارى ، فأرادوا قتلهم ، فامتنعت النصارى أياماً ، وأكثروا القتلى من المسلمين ، ثم رحلوا منها سراً إلى بلد الروم ، فأعطوهم ضيعة تعرف بنيكارين .

وفي سنة ٤٢٢ ﻫ ملك الروم قلعة أَفامِيَة بسبب حسان بن مفرّج الطائي أمير طَيّء وغنموا ما فيها وأسروا وسبوا . وسيأتي تفصيل ذلك في أفامية .

وفي سنة ٤٢٥ ﻫ حدّث بالمعرة منصور بن علي بن منصور أبو الحسين الهَرَوي الواعظ عن أبي علي أحمد بن محمد بن منصور الخالدي وغيره ، وروى عنه القاضي أبو غانم عبد الرزاق

ابن عبد الله بن المحسن بن عمرو التَّنُوخي المعري وغيره ، وهو راجع من الحج .

وفي سنة ٤٢٩ هـ أرسل الدِزْبِري العساكر المصرية إلى شِبْل الدَّوْلة ، وكان صاحب مصر حينئذ المستنصر بالله ، ولي بعد وفاة الظاهر سنة ٤٢٧ هـ ، فلقيهم عند حماة ، وقتل في شعبان ، وملك الدزبري حلب في رمضان سنة ٤٢٩ هـ .

ولما كان أنوشتكين في دمشق كان يوجه إلى أبي العلاء بالسلام ، ويحفي المسألة عنه ، فأراد جزاءه على ما فعل ، فعمل له كتاباً سماه (شرف السيف) .

وبقيت حلب في ملك الدزبري حتى توفي في جمادى الأولى سنة ٤٣٣ هـ .

وكان أبو عَلْوان ثِمَال بن صالح بن مِرْداس الملقب بمُعِزّ الدَّوْلة بالرَّحبَة ، فلما بلغه موت الدزبري جاء إلى حلب ، فملكها تسلماً من أهلها ، وحصر امراة الدزبري وأصحابه في القلعة أحد عشر شهراً ، ثم ملكها في صفر سنة ٤٣٤ هـ ، وبقي فيها إلى سنة ٤٤٠ هـ .

وجهز ثمَال إلى المعرة والياً ، فأساء التدبير ، فانحرف عنه الناس ، وهرب ، فبادر جعفر أمير حمص ، وتجهز إلى المعرة بنفسه ، ولقيه مُقَلَّد بن كامل بن مِرْداس ، فأوقع به وقتله ، وشهر رأسه بحلب .

ثم أنفذ المصريون إلى محاربة معز الدولة أبا عبد الله بن ناصر الدولة بن حَمْدان ، فخرج أهل حلب إلى حربه ، فهزمهم ، ثم عاد إلى مصر .

ثم أنفذ المصريون إلى قتاله خادماً يعرف برِفْق ، فقاتله أهل حلب ، فانهزم المصريون ، وأسر رفق سنة ٤٤١ هـ ، ومات عندهم .

ثم أصلح معز الدولة أمره مع المصريين ، وأرسل إليهم الهدايا ، ونزل لهم عن حلب ، فانفذوا إليها أبا علي الحسن بن علي بن ملهم ، ولقبوه مَكِين الدولة ، فتسلمها من ثمال في ذي القعدة سنة ٤٤٩ هـ ، وسار ثمال إلى مصر في ذي الحجة ، وعمل أبو العلاء لمعز الدولة رسالة الضبعين .

وفي سنة ٤٤٠ هـ [1] كتب سيف الدولة مُقَلَّد بن كامل بن

---

(١) ابن الوردي : التاريخ ١ : ٣٥١ .

مِرْداس الكِلابي ، وهو نازل في كَفَرْطَاب في جمع من العرب ، إلى واليه بالمعرة أبي خليفة ابن جهان ، أن يخرب سورها ، ويهدمه كله إلا بُرْج وحيدة ، وبرج بني الحجال ، ومواضع قليلة لعناية وقعت بها .

وفي سنة ٤٥٢ ﻫ جاء معز الدولة ثمال بن صالح بن مرداس بجيشه إلى المعرة ، لقضاء قسم من فصل الشتاء ، وكانت وطأته شديدة على أهلها .

وفي سنة ٤٥٤ ﻫ همّ أهل المعرة بعمل السور ، ونصبوا عليه المناجيق والعجل تجر الحجارة ، والجمال تحملها من شُبَيْث[1] وغيره ، وكان أميرها أبو الماضي ينفق عليه من ماله وجاهه ، حتى كمل في شهور سنة ٤٥٥ ﻫ .

وفي تلك السنة أومض البرق ومضة وأعقبتها صيحة سقط الناس لها على وجوههم ، وماتت بها طيور كثيرة في المعرة .

وفي سنة ٤٥٧ ﻫ أقطعت المعرة إلى الملك هرون بن خان ملك الترك ، فيما وراء نهر جَيْحُون ، أخذها حرباً وخَراجاً ، ووصل إليها ومعه نحو ألف رجل من التُّرْك ، والدَّيْلَم ، والكُرْد ، والكرج ، مع حاشيتهم وأتباعهم ، وتعففوا فيها عن

---

(١) في معجم البلدان ٣ : ٢٥٧ : جبل بنواحي حلب .

الأذى ، حتى إنهم سقوا دوابهم الماء بثمنه . ونزل بالمصلى ، وجعل في حصن المعرة بعض حجابه ، وأقام يسيراً ، ثم نقل إلى حلب ، وعوض عن المعرة مالا ، قدم هذا إلى الشام ، مغاضباً لأبيه ، وولي المعرة بعـــده الأمير فارس الدولة يانس الصالحي .

وفي سنة ٤٦٠ هـ جاءت رعدة عظيمة في المعرة ، أغمي على كثير من الرجال والنساء والصبيان من صوتها ، وأعقبها سحاب عظيم ، كان معظمه على جبل بني عُلَيْم ، وفيه برد ، فاقتلع الشجر ، وجرى منه سيل في وادي شُنَّان ، الذي فيه العين ، فكان من الجبل القبلي إلى الجبل الشمالي ، وغطى شجر الجوز ، وأخذ صخرة يعجز عن قلبها خمسون رجلاً ، ومضى بها ، فلم يعرف لها ذلك الوقت موضع .

وفي سنة ٤٦١ هـ جمع قطبان (١) أنطاكية وقسها المعروف بالبخت جموعاً إلى حصن أسفُونا (٢) من قرى المعرة ، بعملية

(١) في نهر الذهب للغزي ٣ : ٧٢ : قبطان (ج) .

(٢) في تاريخ ابن الوردي ١ : ٣٧٣ أشموبا ، وفي نهر الذهب للغزي ٣ : ٧٢ : اسقوبا ، والصواب أسْفُونا بفتح فسكون فضم الفـــاء وسكون الواو ونون والف كما ضبطه ياقوت في معجم البلدان ١ : ٢٤٩ (ج)

عملها لهم قوم يعرفون ببني ربيغ من أهل جوزف ففتحوه وقتلوا وأسروا رجاله وواليه نادراً التركي ، فانتهى خبر ذلك إلى الأمير عز الدولة محمود بن نصر بن صالح ، وهو يسير في ميدان حلب ، فسار إليه ولم يدخل البلد ، ومعه خمسون ألفاً من الترك والعرب ، وأخذه من النصارى ، وقتل منهم ألفين وسبعمائة نفس ، فقال أبو يَعْلى عبد الباقي بن أبي حصين يمدحه ويذكره :

عِدَاتُكَ مِنْكَ فِي وَجَلٍ وَخَوْفٍ　　يُرِيدُونَ المَعَاقِلَ أَنْ تَصُونَا
فَظَلُّوا حَوْلَ أَسْفُونَا كَقَوْمٍ　　أُتِي فِيهِمْ فَظَلُّوا آسِفِينَا

وهذا الحصن عمره حسين بن كامل بن حسين بن سليمان ابن الدَّوْح العُمَري المرثدي (١) الكِلابي ، ومعه جماعة من المعرة ، وكَفَرْطَاب ، وضياعها في سنة ٤٥٦ ﻫ وأكمل عمارته في مدة يسيرة ، فتعجب الناس لسرعة عمارته ، ثم إن محمود ابن نَصْر رهن ولده نصراً عند صاحب أنطاكِيَة ، على أربعة

---

(١) في نهر الذهب للغزي ٣ : ٧٢ : المرشدي (ج) .

عشر ألف دينار[١] وخراب حصن أسفُونا إذا ملك حَلَباً ، وأخذها من عمه عطية ، فلما ملكها أخرج عزيز الدولة ثابتاً ، وشِبْل بن جامع ، وجمعا الناس من المعرة ، وكَفَرْطَاب ، وأعمالهما ، وخربا الحصن المذكور ، وذلك سنة ٤٦١ هـ فقال فيه بعض الشعراء :

وَهَـدُّوا بأَيْـديهِمْ حِصْنَهُمْ وَأَعْيُنُهُمْ حَزَنـاً تَدْمَـعُ
عَجِبْتُ لِسُرْعَـةِ بُنْيَانِـهِ وَلَكِنَّ تَخرِيبَـهُ أَسْرَعُ[٢]

وفي سنة ٤٦٢ هـ جاء السلجوقيون إلى أنحاء حلب ، فعاثوا في المعرة كثيراً ، وأفسدوا .

وفي (إعلام النبلاء)[٣] عن ابن العَديم في تاريخه ، عن أبي الحسن علي بن مُرْشد بن علي بن مُقَلِّد ، قال: كان أبو سالم

---

(١) في نهر الذهب للغزي : ٣ : ٧٢ ، ٧٣ : اقترض محمود بن نصر من الروم أربعة آلاف دينار ، ورهن ولده نصراً عليها وعلى هدم الحصن المذكور ، وما ذكرنا عن ابن الوردي في تاريخه ١ : ٣٧٣ وابن المهذب المعري وياقوت في معجم البلدان ١ : ٢٤٩ (ج) .

(٢) كامل الغزي : نهر الذهب ٣ : ٧٣ .

(٣) راغب الطباخ : إعلام النبلاء ١ : ٣٤١ ، ٣٤٢ .

ناجِية غلام عز الدولة محمود متولي الشام ، وكان من الظلم على باب ما فتحه الحجاج ، وكان محمود قد أخرجه ليصادر الناس ، فحدثني من أثق به أنه صادر أهل المعرة ونواحيها ، وتِيزِين ونواحيها على ستة عشر ألف دينار ، بعد ما هتك منها الأستار ، وكان ذاك لاضطراب عقل محمود من المرض الذي ناله ومات فيه وذلك في سنة ٤٦٧ هـ ومحمود هـذا هو عز الدولة محمود بن شِبْل الدّولة نصر بن صالح بن مِرْداس ، وقيل توفي سنة ٤٦٨ هـ أو سنة ٤٦٩ هـ .

وفي سنة ٤٦٥ هـ هرب الأمير أبو الجيوش علي بن المقلد بن منقذ من حلب ، خوفاً من صاحبها الأمير محمود بن صالح ، حين عرف عزمه على القبض عليه ، ثم قصد المعرة ، وكَفَرْطَاب .

وفي سنة ٤٧٢ هـ زحف تاج الدولة تُتُش السّلْجُوقي بجيش من دِمَشْق نحو شمالي الشام ، فأحرق أعمال جبل السُّمّاق وبني عُلَيْم ، وغرّم أهل سَرْمين والمعرة مبالغ عظيمة ، وأنهب القرى في شرقي المعرة وحاصر تل مَنّس ، ولم يظفر فيها بطائل ، وأحرق مَعرتاريحا في كورة كَفَرْطَاب ، ولعلها معرتارح .

وفي سنة ٤٧٩ هـ دخلَ الأمير نَصْر بن علي بن مُنْقِذ صاحب شَيْزَر ، في طاعة السلطان مَلَكْشَاه ابن آلب ارسلان السلجوقي ، وسلم إليه اللاذِقِيّة وكَفَرْطَاب وأَفامِيَة .

وفي سنة ٤٨٤ هـ ملك قسيم الدولة حصن أفامِيَة .

وفي سنة ٤٨٨ هـ اقطع رضوان بن تُتُش مدينة المعرة وأعمالها ، إلى سقمان بن أرتُق أخي نجم الدين ايلغازي ،

وفي سنة ٤٩٠ هـ خصب للعبيدي بحلب ، وأنطاكِيَةَ ، والمعرة ، وشَيْزَر شهراً ، ثم أعيدت الخطبة للعباسيين.[1] وفي (إعلام النبلاء) : خطب له في جميع الأعمال أربع جمع ، سوى حلب [1] ، وأنصاكية ، والمعرة .

وفي سنة ٤٩١ هـ[2] خرج صنجيل في ذي الحجة ، وحصر البَارَة ، وكانت من عمل المعرة ، فقل الماء على أهلها ، فأخذها بالأمان، وغدر بأهلها ، وعاقب الرجال والنساء ، واستصفى أموالهم،

---

(١) الطباخ : إعلام النبلاء ٧٣/١ (ج) .

(٢) بعض المؤرخين يذكر أخذ المعرة في حوادث سنة ٤٩١ هـ ، وبعضهم يذكرها في حوادث سنة ٤٩٢ هـ ، ولا خلاف في ذلك ، لأن الاول نظر إلى مبدإ وصولهم إلى المعرة ، وقد كان سنة ٤٩١ هـ ، والثاني نظر الى تاريخ استيلائهم وقد كان سنة ٤٩٢ هـ (ج) .

وسبى بعضاً ، وقتل بعضاً ، وذهبوا إلى الرُّوج بين حلب والمعرة وفي هذه السنة أخذ الفرنج أنْطاكِيَة ، فخرج من فيها من الفرنج والأرمن الذين في طاعتهم ، وانضم إليهم النصارى ، وانضموا إلى صنجيل . وكان ذلك في شعبان من السنة المذكورة فوصلوا إلى المعرة ، ونزلوا عليها لليلتين بقيتا من ذي الحجة وقيل في اليوم التاسع والعشرين منه ، في مائة ألف ، وحاصروها وقطعوا الأشجار ، وزحفوا إلى سور المعرة من الناحية الشرقية والشمالية في المحرم من هذه السنة .

واستغاث أهلها بالملك رِضْوان ، وجَناح الدولة ، فلم ينجدهم أحد ، ثم اتخذ الفرنج برجا من خشب ، وأسندوه إلى سورها ، فكان أعلى منه ، فزحفوا إلى البلد ، وقاتلوا من جميع نواحيه ، حتى لصق البرج بالسور ، فكشفوه ، وأسندوا السلالم إلى السور فصعدوه ، وكانت رسل الفرنج تتردد إلى أهل البلد في التماس التقرير والتسليم واعطاء الأمان على نفوسهم وأموالهم ودخول الشحنة ، وأعطوهم الأمان على نفوسهم وأموالهم وألاّ يدخلوا إليهم ، بل يبعثون إليهم شحنة ، فمنع من ذلك

الخلف بين أهلها ، وثبت الناس في الحرب من الفجر إلى صلاة المغرب ، وقتل على السور وتحته خلق كثير ، ثم دخلوا البلد بعد المغرب ليلة الأحد الرابع والعشرين [1] من المحرم سنة ٤٩٢ هـ.

وانهزم بعض الناس إلى دور حصينة ، وطلبوا الأمان من الفرنج ، فأمنوهم ، وغدروا بهم ، ورفعوا الصلبان فوق البلد ، وقطعوا على كل دار قطيعة ، واقتسموا الدور وهجموها ، ولم يفوا بشيء مما قرروه ، ونهبوا ما وجدوه ، وطالبوا الناس بما لا طاقة لهم به.

وناموا فيها ، وجعلوا يهددون الناس حتى أصبحوا ، فاخترطوا سيوفهم ، ومالوا على الناس ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وسبوا النساء والصبيان ، ولم يسلم إلا القليل ممن كان في شَيْزَر وغيرها من بني سُلَيْم ، وبني حُصَيْن ، وغيرهم ، وقتلوا تحت العقوبة جمعاً كثيراً ، فاستخرجوا ذخائر الناس ومنعوهم من الماء ، وباعوه منهم ، فهلك أكثرهم من العطش ، وملكوها ثلاثة وثلاثين يوماً بعد الهجمة ، ولم يبقوا بها ذخيرة

---

(١) قال ابن القلانسي في ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٥ - ١٣٦ : من اليوم الرابع عشر من المحرم (ج).

إلا استخرجوها ، وهدموا سور البلد وبروجه ، وأحرقوا مساجده ودوره ، وكسروا المنابر .

وفي (دائرة المعارف الفرنسية) [١] : أن الذي استولى على المعرة وخربها يسمى بوهيمو سنة ١٠٩٩ هـ

وقد اختلفت كلمة المؤرخين في مقدار من جاءها من الفرنج وأعوانهم من النصارى والأرمن ، وفي مقدار من قتل من أهلها من يوم فتحها إلى أن جلا عنها الفرنج ، وفي مقدار إقامتهم فيها ، فقال بعضهم ، ولم يعين مقداراً : خرج جماعة من الفرنج في شعبان ، وزحفوا مع أهل تَلْ مَنَّس ونصارى المعرة فقاتلوها ووصلت قطعة من عسكر حلب اليهم والتقوا بين تل منس والمعرة ، فانهزم الفرنج ...

وفي سنة ٤٩١ هـ لليلتين بقيتا من ذي الحجة . . حاصروا المعرة...

وقال في (النجوم الزاهرة) في حوادث سنة ٤٩١ هـ : إن الفرنج ساروا إلى المعرة في ألف ألف إنسان ، وقتلوا مائة الف إنسان ، وسبوا مثلها ، وفعلوا مثل ذلك في كَفَرْطَاب .

(١) La grande encyclopédie 22: 851 .

وقال ابن الشِّحْنَة في (الدر المنتخب)[١] : تجمع الافرنج من أنْطَاكِيَة والأرمن الذين في طاعتهم ، وانضم اليهم النصارى في مائة ألف ، ووصلوا الى المعرة وحاصروها ، وقطعوا الأشجار ، وعملوا برجاً من خشب ، وزحفوا الى البلد ، وقاتلوا من جميع جوانبه ، ودخلوا البلد بعد المغرب ، فقتلوا نحو عشرين ألفاً من الرجال ، وقيل : مائة ألف ، وسبوا الجميع بعد أن أمنوهم ، وهدموا أسوارها ، وأحرقوا المساجد ، وكسروا المنابر ، وهدموا الدور ، وقال سبط ابن الجوزي : قتلوا من أهلها مائة ألف ، وسبوا مثل هذا العدد .

وقال ابن الأثير[٢] في حوادث سنة ٤٩١ ﻫ بعد ذكر فتح أنطاكية : لما فعل الفرنج بالمسلمين ما فعلوا ، ساروا الى معرة النعمان ، فنازلوها وحصروها ، وقاتلهم أهلها قتالاً شديداً ، ورأى الفرنج منهم شدة ونكاية ، ولقوا منهم الجِد في حربهم ، والاجتهاد في قتالهم ، فعملوا عند ذلك برجاً من خشب يوازي سور المدينة ، ووقع القتال عليه ، فلم يضر المسلمين ذلك ،

---

(١) ابن الشحنة : الدر المنتخب ٢١٦ (ج) .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١٠ : ١٠٣ .

فلما كان الليل خاف قوم من المسلمين ، وتداخلهم الفشل والهلع ، وظنوا أنهم إذا تحصنوا ببعض الدور الكبار امتنعوا بها ، فنزلوا من السور ، وأخلوا الموضع الذي كانوا يحفظونه ، فرأتهم طائفة أخرى ، ففعلوا كفعلهم ، فخلا مكانهم أيضاً من السور . ولم تزل تتبع طائفة منهم التي تليها في النزول ، حتى خلا السور ، فصعد الفرنج اليه على السلالم ، فلما علوه تحـــير المسلمون ، ودخلوا دورهم ، فوضع الفرنج فيهم السيف ثلاثة أيام ، فقتلوا ما يزيد على مائة ألف ، وسبوا السبي الكثير وملكوه ، وأقاموا أربعين يوماً ، وساروا الى عِرْقَة ..

وقال في (النجوم)[1] : وجاءوا الى المعرة ، فنصبوا عليها السلالم ، فنزلوا اليها ، فقتلوا من أهلها مائة ألف إنسان ، قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي : وسبوا مثلها ..

وقال ابن القَلاَنِسي : ساروا اليها في ألف ألف إنسان ، فقتلوا وسبوا حسب ما ذكرنا [2] .

وقال ابن العَديم نحواً من قول ابن الشِّحْنَة ، وإنهم وصلوا

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٥ : ١٤٦ .
(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ١٣٥ ، ١٣٦ .

المعرة لليلتين بقيتا من ذي الحجة في مائة ألف ، ثم قال : وقتل على السور وتحته خلق كثير . ثم ذكر أنهم لما أصبحوا قتلوا خلقاً كثيراً ، وسبوا النساء والصبيان ، وقتل فيها أكثر من عشرين ألف رجل وامرأة وصبي ، ولم يسلم إلا القليل ممن كان في شَيْزَر وغيرها ، وانهم قتلوا تحت العقوبة خلقاً كثيراً . وأن أكثر الناس هلك من العطش ، ولكنه لم يحصر جميع العدد .

وفي أبي الفداء [١] وابن الوردي [٢] والكامل لابن الأثير [٣] : أن الفرنج استباحوا المعرة ثلاثة أيام ، ووضعوا السيف في أهلها ، فقتلوا منهم ما يزيد على مائة ألف إنسان .

وذكر غيرهم : أنهم جاؤوها بمائة ألف من أنطاكية ، وضموا اليهم الأرمن الذين كانوا في طاعتهم وبعض نصارى البلاد .

وقال ميشو .. : إنهم قتلوا جميع من كان فيها من المسلمين الذين اعتصموا بالمساجد ، واختبأوا في السراديب ، فأصبحت خاوية على عروشها ، وفقد الفاتحون كل زاد ، وساءت حالهم ،

---

(١) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ٢ : ٢٢١ .

(٢) ابن الوردي : التاريخ ٢ : ١٠ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١٠ : ١٠٣ .

ثم وقع بينهم الخلاف ، وصاروا يأكلون جثث الموتى ..

وفي (الدر المنتخب)[١] : وملكوا معرة النعمان ، وقتلوا كل من فيها.

والذي أعتقده أن أهل المعرة لم يقتلوا كلهم في هذه الحادثة ، بل نجا فريق منهم ، واعتصم بالبراري والجبال ، ولجأ فريق منهم إلى شَيْزَر وغيرها ، بدليل ما تقدم وما يأتي من أن وجيها التنوخي دخلها بعد أخذ الفرنج إياها .

ففي كلام ميشو وغيره شيء من المبالغة يراد به : أنهم قتلوا من بقي فيها ، ولم يعتصم بفرار أو لم يختبىء .

أما مدة إقامتهم فيها ، فقد ذكر ابن القَلانِسي[٢] : أنهم دخلوها في المحرم ، ورحلوا عنها يوم الخميس السابع عشر من صفر إلى كَفَرْطَاب . ونقل عنه أنه قال : أقاموا عليها إلى أن رحلوا عنها في آخر شهر رجب إلى القدس .

---

(١) ابن الشحنة : الدر المنتخب ٧٧ .

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ١٣٥ ، ١٣٦

وفي أبي الفداء [١] ، وابن الوردي [٢] ، و(الكامل) [٣] : أقاموا فيها أربعين يوماً ، ثم ساروا إلى حِمْص وغيرها .

وفي ابن العَديم : وملكوها ثلاثة وثلاثين يوماً بعد الهجمة ، وهذا قريب من قول ابن القَلانِسي [٤] أنهم دخلوها في الرابع عشر من المحرم ، ورحلوا عنها .

وقد استكثر بعض أهل العصر مقدار الغزاة والمقتولين من أهل المعرة .

والحق أن كون الفرنج وأعوانهم من الأرمن والنصارى ألف ألف كثير ، وأما كونهم مائة ألف أو يزيدون شيئاً قليلاً فغير كثير ، ولا يتسنى لأقل من هذا العدد العظيم أن يحصر المعرة ويفتحها لتكافؤ العتاد والعُدَد وقتئذ بين الفريقين ، ويزيد المعرّيون على أعدائهم شدة بأسهم واستماتتهم في الدفاع عن بيضتهم ، واتساع الرقعة ما بين أنطاكية مقر الفرنج

---

(١) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ٢ : ٢٢١ .
(٢) ابن الوردي : التاريخ ٢ : ١٠ .
(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١٠ : ١٠٣ .
(٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ١٣٥ ، ١٣٦ .

والمعرة ووعورة مسالكها يعوز إلى عدد كبير لمحافظة الجيش الفاتح كيلا يتخطفه أهل البلاد من أطرافه . وقد كان مثل هذا الجيش وأعوانهم يعيشون مما يغنمون من بلاد أعدائهم ، وليسوا مثل الجيوش المنظمة في هذا العصر ، تتكفل له الدولة بكل ما يحتاج إليه من عدة وعتاد ، وسلاح وذخائر ، ونفقات . ولهذا يتسنى لكل أحد أن يكون في زمرة الجيش ليغنم ويشفي غلة نفسه .

وأما كون المقتول من أهل المعرة مائة ألف ، والمسبي منهم مثلها فغير كثير ، وذلك لأمور : أولها : أن المعرة كانت مدينة جليلة ، وكان أهلها كثيرين ، ولو كان عددهم قليلاً ما استطاعوا العصيان على سيف الدولة ، وصالح ابن مِرْداس حين حاصرها ، وقد قتل القِرْمِطي وغيره من أهلها خلقا كثيراً ، ولم تقفر من أهلها لكثرة الباقي منهم .

ثانيها : أن حول المعرة حصوناً كثيرة لها ، لا يزال بعضها عامراً أو ماثلا إلى اليوم ، كحِصن كَفَرْ رُوما ، وحصن حُنَاك ، وغيرهما مما هدم بعد هذا التاريخ ، ومنها ما يبعد عن

المعرة في هذا العصر نصف ساعة على الفارس ، ومنها ما هو أكثر من ذلك . وقد قدمنا قولا أن لها أبواباً سبعة ، بُعدكل واحد منها ساعة ، وهذا يدل على اتساع رقعتها ، ولا يعقل أن تكون في هذه السعة مع قلة أهلها .

ثالثها : مما لا ريب فيه أن أهل القرى التي كان الفرنج يمرون بها في طريقهم إلى المعرة والقرى المجاورة إياها ، كانوا ينزحون منها إلى المعرة ليعتصموا بها ، وكذلك الأعراب الضاربون حولها ، فمن الجائز أن يكون اللاجئون من هؤلاء إلى المعرة بقدر أهلها أو أكثر ، ويجوز أن يكون جماعة أرادوا معاونة المعريين في الحرب فحصروا مع أهل المدينة .

ولا يستكثر على الفرنجة الفاتحين أن يقتلوا أضعاف هذا العدد ، بعد ما كتب لهم الظفر ، لأنهم أقسى قلوباً من الوحوش الضارية .

وخلاصة هذه الفاجعة على وجه التقريب أن الفرنج بعد أخذهم أنطاكية ، قصدوا المعرة بمائة ألف[1] منهم أو يزيدون

---

(١) وفي النجوم الزاهرة ٥ : ١٦١ : ثم وردت الأخبار الى بغداد بأن الفرنج ملكوا أنطاكية وساروا الى معرة النعمان في ألف ألف انسان ، فقتلوا وسبوا حسب ما ذكرنا في أول ترجمة المستعلي هذا .

مع من انضم إليهم من الأرمن ونصارى البلاد ، فوصلوها لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ٤٩١ هـ[(١)] وحاصروها من الشمال والشرق ، ثم حاصروها من جميع أطرافها ، وبنوا برجاً من خشب وأسندوه إلى السور ، وارتقوا على السلالم إلى السور ، ثم دخلوا المدينة بعد المغرب من ليلة الأحد الرابع والعشرين من محرم سنة ٤٩٢ هـ ، وقتلوا من أهلها قبل الفتح وبعده في

(١) قال ابن القلانسي : وفيها (٤٩١ هـ) توجه الافرنج الى معرة النعمان بأسرهم ونزلوا عليها في اليوم التاسع والعشرين من ذي الحجة وقاتلوها ونصبوا عليها البرج والسلالم . . . إلى أن قال : وفي المحرم (٤٩٢ هـ) زحف الافرنج الى سور معرة النعمان من الناحية الشرقية والشمالية وأسندوا البرج الى سورها وهو أعلى منه فكشفوا المسلمين عن السور ولم يزل الحرب عليه الى وقت المغرب من اليوم الرابع عشر من محـــرم وصعدوا السور وانكشف أهل البلد عنه وانهزموا بعد أن ترددت اليهم رسل الافرنج في التماس التقرير والتسليم وإعطاء الأمان على نفوسهم وأموالهم ودخول الشحنة اليهم ، فمنعهم من ذلك الخلف بين أهلها وما قضاه الله تعالى وحكم به وملكوا البلد بعد صلاة المغرب وقتل فيه خلق كثير من الفريقين وانهزم الناس الى دور المعرة للاحتماء بها ، فأمنهم الافرنج وغدروا بهم ورفعوا الصلبان فوق البلد ، وقطعوا على أهل البلد القطائع ، ولم يفوا بشيء مما قرروه ونهبوا ما وجدوه وطالبوا الناس بما لا طاقة لهم به ورحلوا يوم الخميس السابع عشر من صفر الى كفرطاب ، ثم قصدوا بعد ذلك ناحية بيت المقدس آخر رجب من سنة ٤٩٢ هـ (ذيل تاريخ دمشق ١٣٥ ، ١٣٦) .

الحرب والتعذيب والعطش مائة ألف وأكثر، بعد أن أذاقوهم ضروبا من العذاب، وسبوا من النساء والصبيان نحواً من هذا القدر، وأنهم قطعوا الأشجار، وأحرقوا المساجد، وكسروا المنابر، وهدموا الدور والبروج والسور، وأقاموا فيها نحواً من أربعين يوماً، ولم يبقوا عند أهلها ذخيرة، حتى أصبحت يدل عليه قول قاعاً صفصفاً وخراباً يباباً .

ولعل دخولهم المعرة كان يوم الاثنين أو ليلة الاثنين كما بعض شعراء المعرة في ذلك :

مَعَرَّةُ الأَذْكِياءِ قَدْ حَرِدَتْ   عَنَّا وَحَقُّ المَلِيحَةِ الحَرَدُ

في يَوْمِ الاثْنَيْنِ كَانَ مَوْعِدُهُمْ   فَمَا نَجَا مِنْ خَمِيسِهِمْ أَحَدُ

وفي ابن عساكر[١] : دخل أبو المقدم وجيه بن عبد الله بن مسعر التنوخي المعرة بعد أن أخذها الفرنج فقال[٢] :

هَذِهِ بَلْدَةٌ قَضَى اللهُ يَا صَا   حِ عَلَيْهَا، كَمَا تَرَى بِالخَرَابِ

---

(١) ابن عساكر : تاريخ دمشق المجلد ٩ ق ٢/٤١٨ من مخطوطات الظاهرية .

(٢) هذه الأبيات تمثل بها وجيه وهي [والتي قبلها] لمحمود بن علي بن المهنا المتوفى سنة ٥٠٥ هـ وستأتي ترجمة كل منها (ج) .

فَقِفِ العِيسَ وَقْفَةً وابْكِ مَنْ كَا نَ بِهَا مِنْ شُيُوخِنَا والشَّبَابِ
وَاعْتَبِرْ إنْ دَخَلْتَ يوماً إليها فَهِيَ كَانَتْ مَنازِلَ الأَحْبَابِ

وإذا نظر الإنسان إلى مدنية الفرنجة الحاضرة في القرن العشرين ، ربما أنكر ما نسب إليهم من الفظائع والمنكرات التي ارتكبوها في المعرة وغيرها في الحروب الصليبية ، ولكن من استقرى أحوالهم لا يجد بينهم وبين الوحوش الضارية فرقاً كبيراً ، وتبين أنهم كانوا بعيدين عن كل حضارة ومدنية ، وإليك قصة ذكرها أُسَامَة بن مُنْقِذ[1] في كتاب (الاعتبار) ، تدل على حالة الفرنجة الذين فتحوا المعرة وقوضوا عمرانها وحضارتها . قال أسامة : كان عندنا رجل حماميّ يقال له : سالم من أهل المعرة في حمام لوالدي قال : فتحت حماماً في المعرة أتعيش فيها ، فدخل إليها فارس منهم (أي الفرنجة) ، وهم ينكرون على من يشد في وسطه المئزر في الحمام ، فمد يده فجذب مئزري من وسطي ورماه ، ورآني وأنا قريب عهد بحلق عانتي ، فقال : سالم فتقربت منه ، فمد يده على عانتي ، وقال : سالم جيد وحق ديني اعمل لي

---

(١) أسامة بن منقذ : الاعتبار ١٣٦ (ج) .

كذا ، واستلقى على ظهره وله مثل لحيته في ذلك الموضع ، فحلقته ، فمر يده عليه ، فاستوطأه ، فقال : سالم بحق دينك اعمل « للداما» ، والداما بلسانهم « الست » يعني امرأته ، وقال لغلام له : قل للداما تجيء ، فمضى الغلام وأحضرها ، وأدخلها فاستلقت على ظهرها ، وقال : اعمل كما عملت لي فحلقت ذلك الشعر ، وزوجها قاعد ينظرني ، فشكرني ، ووهبني حق خدمتي . وانما أوردت هذه القصة لأجمع فيها بين النادرة وبين ما كان الفرنجة يكلفون به الناس من الأعمال التي تتقزز منها نفوسهم ، وتأباها عاداتهم وتقاليدهم ، وبين ما كانوا عليه من الهمجية .

على أن لهم من الفظائع والمنكرات التي ارتكبوها بعد ذلك في الأندلس وغيرها في العصور الخالية ، وفي بلاد الشام وغيرها في العصر الحاضر ، ما هو أشد من هذا وذاك ، كما سنقف عليه إن شاء الله تعالى .

وذكر في كتاب (البستان الجامع)[1] : أنه في سنة ٤٩٢ ﻫ نقل مصحف عثمان إلى دمشق من المعرة ، ولعل ذلك كان بعد خروج الفرنجة منها ، ويجوز أن يكون وقت دخولهم .

(١) البستان الجامع ص ٧ ، ٨ (ج) .

وفي سنة ٤٩٣ هـ[1] وصل مبارك بن شبل أمير بني كِلاَب ، في جمع كثير من العرب ، فخالف الملك رِضْوان ، ورعوا زرع المعرة ، وكَفَرْطَاب ، وحماة ، وشَيْزَر ، والجِسْر ، وغير ذلك ، وخلت البلاد ، ووقع الغلاء في حلب ، ولم يزرع شيء في بلدها ، ثم سلط الله الوباء على العرب ، فمات شِبْل ومُبارك ولده ، واضمحلت دولة العرب ، ثم التقى رضوان مع الفرنج ، فانهزم واستبيح عسكره ، وقتل خلق كثير ، وأخذ الفرنج برج كَفَرْحلب ، وبُرْج الحاضِر ، وصار لهم من كفرطاب إلى الحاضر ، ومن حلب غرباً ، سوى تَل َمَنّس ، فان أصحاب جَناح الدولة كانوا بها .

ثم تجمع الفرنج بالجزْر ، وسَرْمين ، وأعمال حلب ، وجمعوا العدد والغلال لحصار حلب ، وعولوا على حصارها في سنة ٤٩٥ هـ ، أو قبلها ، فبلغهم أن أنوشتكين الدانشمند نازل بعض معاقل الفرنج ، وهي ملطية ، فعادوا للدفاع عنها ، وهربوا من أعمال حلب ، وتركوا ما كانوا أعدوه ، فخرج رضوان وأخذ الغلال

---

(١) الطباخ : إعلام النبلاء ١ : ٣٨٧ عن ابن العديم (ج) .

التي جمعوها ، ونزل سَرْمِين ، وسار جناح الدولة إلى أَسْفُونا ، وبه جماعة من الفرنج فهجمه ، وقتل جميع من فيه ، وسار إلى سرمين فكبس عسكر الملك رِضْوان ونهبه ، وانهزم رضوان وأكثر عساكره ، واستغل جناح الدولة سرمين ومعرة النعمان ، وكَفَرْطاب ، وحماة .

وفي سنة ٤٩٣ هـ أيضاً سار بيمند الفرنجي صاحب أنطاكية إلى قلعة فامِيَة [١] فحصرها وقاتل أهلها أياماً ، وأفسد زرعها ، ثم رحل عنها [٢] .

وفي سنة ٤٩٦ هـ وقع بين الفرنج وبين سكمان وجكرمش وقعة عظيمة ، استظهر فيها المسلمون ، وهلك الفرنج ، وأسر القُمّص ، فأنفذ الملك رضوان إلى الجزْر وغيره من أعمال حلب التي في أيدي الفرنج ، يأمرهم بالقبض على من عندهم من الفرنج ، ففعل ذلك أهل الفُوعَة وسَرْمين ، ومعرة مَصْرين ، وغيرها ، ولم يبق بأيدي الفرنج غير الجَبَل ، وهاب ، وحصون

(١) وتسمى : أفامية .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١٠ : ١٢٥ .

المعرة ، وكَفَرْطاب ، وصُورَان ، فوصل شمس الخواص ، وفتح صوران ، فهرب من كان بلَطْمِين ، وكفرطاب ، وبلد المعرة والبَارَة إلى أنطاكِيَة ، وسلموها إلى رِضْوان ما خلا هاب .

وفي سنة ٤٩٧ هـ أرسل الملك الظاهر إلى الملك المنصور صاحب حماة ، يبذل له مَنْبِج ، وقلعة نجم ، على أن يصير معه على عمه الملك العادل ، فاعتذر إليه بيمين في عنقه للملك العادل ، فسار إلى المعرة ، وأقطع بلادها .

وفي سنة ٤٩٩ هـ نزل الفرنج على أفامِيَة وحاصروها حتى جاع أهلها ، ثم ملكوها ، وقتلوا قاضي سَرْمين المتغلب عليها ، وابن الصائغ الذي أظهر مذهب الباطنية بالشام وقيل : إن ابن الصائغ قتله رئيس حلب ابن بديع سنة ٥٠٧ هـ ، وستأتي هذه الحادثة في الكلام على أفامية .

وفي سنة ٥٠٥ هـ جهز السلطان محمد العساكر الاسلامية لقتال الفرنج ، وفيهم الأمير مَوْدود ، والأمير سكمان [١] ، والأمراء : ايليكي ، وزَنْكي ، وغيرهم .

---

(١) لعله سقمان كما في قاموس الأعلام لشمس الدين سامي ٤ : ٢٥٨٥ .

فوصلوا إلى حلب ، فأغلق الملك رِضْوان أبواب البلد ، ولم يجتمع بهم ، فرحلوا إلى المعرة في أواخر صفر سنة ٥٠٥ هـ ، وأقاموا عليها أياماً ، ووجدوا حولها ما ملأ صدورهم مما يحتاجون إليه من الغلات ، وما عجزوا عن حمله ، ثم تفرقوا لأسباب وبقي مَوْدود وطُغْتكِين بالمعرة ، ثم رحلا إلى شَيْزر ، وفي الروضتين [١] : أن مودوداً حصر معرة النعمان سنة ٥٠٢ هـ وسيأتي تفصيلها في الكلام على أفامِيَة . وذكر غير واحد هذه الحادثة في سنة ٥٠٤ هـ ، فلعلها انقضت ، ودخلت السنة الثانية أي سنة ٥٠٥ هـ .

وفي سنة ٥٠٦ هـ حمل جماعة من الباطنية من أهل أفامية ، ومعرة النعمان ، ومعرة مَصْرين ، على حِصْن شَيْزَر في فصح النصارى فرتب فيه مائة راجل على حين غفلة من أهله ، فملكوا الحصن ، وأخرجوهم منه ، وأغلقوا أبوابه . ثم قتلهم بنو مُنْقذ عن آخرهم .

---

(١) أبو شامة : الروضتين ٢٧ (ج) .

وفي سنة ٥٠٨ هـ (١) بلغ السلطان محمد بن مَلَكْشاه أن أميريه آقسُنقُر البُرسُقي ، وطُغتكين صاحب دمشق ، اتفقا مع صاحب أنطاكية الفرنجي ، فجهز في السنة المذكورة عسكراً كثيراً ، وجعل مقدمهم الأمير بُرسُق صاحب هَمدان ، وأمرهم بقتل ايلغازي وطغتكين ، فاذا فرغوا منهما قصدوا بلاد الفرنج وحصروا بلادهم ، فساروا في رمضان سنة ٥٠٨ هـ وعبروا الفُرات آخر السنة وأرادوا أخذ حلب ، فراسلوا متولي أمرها لؤلؤاً الخادم ، ومقدم عسكرها شمس الخواص ، فاستنجدا بايلغازي وطغتكين ، فسارا اليهم بألفي فارس ، فأعرض برسق عن حلب وسار إلى حماة ، وهي في طاعة طغتكين وبها ثقله ، ففتحها عنوة ونهبها ، وسلمها إلى قرجان صاحب حِمْص ، وسار ايلغازي ، وطغتكين ، وشمس الخواص ، إلى أنطاكية ، واستجاروا بصاحبها روجيل ، وسألوه ان يساعدهم على حفظ مدينة حماة ، فلما بلغهم فتحها ، ووصل إليهم بأنطاكية بغدوين صاحب القدس ، وصاحب طَرَابُلُس ، وغيرهما ، اتفق رأيهم على ترك اللقاء ،

---

(١) راغب الطباخ : إعلام النبلاء ١ : ٤٢١ — ٤٢٣ ملخصة عن ابن الأثير وغيره (ج) .

لكثرة المسلمين ، واجتمعوا في أَفامِيَة ينتظرون تفرق المسلمين في الشتاء ، فلما رأوا عزمهم على المُقام عاد ايلغازي الى ماردِين ، وطُغتِكين الى دِمَشق ، والفرنج إلى بلادهم ، فقصد المسلمون كَفَرطاب وكانت بيد الفرنج ، وحصروا حصناً كان للفرنج عمروه بجامعها وأحكموه فأخذوه ، ثم ذهبوا الى المعرة ، وهي للفرنج أيضاً ، وأمن الترك وانتشروا في أعمال المعرة يسلبون وينهبون . ثم سارت العساكر عن المعرة إلى حلب ، يتقدمهم ثقلهم ودوابهم ، والعساكر في اثرها متلاحقة مطمئنة .

وفي أبي الفداء[1] : وفي سنة ٥٠٩ ﻫ أرسل السلطان محمد ابن مَلَكْشاه عسكراً لمحاربة طغتكين صاحب دمشق ، ففتحوا حماة عنوة ونهبوها ، ثم سلموها إلى قيرخان بن قراجا صاحب حِمْص، وأقام العسكر بحماة ، واجتمع بفَامِيَة ايلغازي وطغتكين ، وملوك الفرنج صاحب طَرَابُلُس ، وصاحب أنطاكية وغيرهما ، وأقاموا بها ينتظرون تفرق المسلمين . فلما أقام عسكر المسلمين

(١) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ٢ : ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

إلى الشتاء ، تفرق الفرنج وسار مُغْتُكين إلى دِمَشْق ، وايلغازي إلى مارِدِين ، ثم سار المسلمون من حماة إلى كَفَرْطَاب ، وهي للفرنج ، فاستولوا عليها ، وقتلوا من بها من الفرنج ونهبوهم . ثم سار المسلمون إلى المعرة ، وهي للفرنج ثم ساروا منها إلى حلب ، فكبسهم صاحب أنطاكية في أثناء الطريق ، فانهزم المسلمون ، وقتلهم الفرنج ونهبوهم ، وهرب من سلم منهم إلى بلاده .

وستأتي في الكلام على أفامِيَة رواية ابن الأثير في حوادث سنة ٥٠٩ هـ .

وفي سنة ٥١٣ هـ خرج الفرنج إلى المعرة ، فنهبوا جماعة وأدركهم جماعة من الترك فرجعوا . ثم خرج بغدوين من أنطاكية ، فنزل على حِصْن روزا (١) غربي البارَة ، وهو حصن كان لابن مُنْقِذ وقد سلمه إليهم ، ولما جرت الوقعة الأولى على البَلاَط عاد فأخذه ، فحاصره بغدوين ، وأخذه في جمادى الأولى من السنة المذكورة ، ... للقى من كان فيه ، ثم رحل إلى كَفَرْرُومَا ،

(١) في إعلام النبلاء للطباخ ١ : ٤٣٤ ، ٤٣٥ : زور (ج) .

فأخذها بالسيف وقتل جميع من فيها ، ووصل إلى كَفَرْطَاب ، وكان ابن مُنْقِذ أحرق حصنها ، وأخذ رجاله منه خوفاً عليهم ، فرمّوه ورتبوا رجاله فيه .

وفي سنة ٥١٤ هـ تشاحن صاحب الأثارب بلاق بن إسحق صاحب ايلغازي والفرنج ، فأسرى بجماعة من عسكر حلب إلى أنطاكية ، فلقيهم عسكرها وكسرهم وعاد فتبعوه . ثم التقوا بين ترمانين وتَلّ أغدى ، فانهزم ايلغازي ، وصالحهم إلى آخر السنة على أن لهم المعرة ، وكفرطاب ، والجَبَل ، والبارة ، وضياعاً من جبل السُّمّاق (١) ولَيْلُون ، واعزاز (٢) .

وفي سنة ٥١٩ هـ في أواخر المحرم ، رحل البُرسُقي إلى تَلّ السُّلطان ، ومنها إلى شَيْزَر ، ثم أقام بأرض حماة أياماً حتى وصل إليه أتابك طُغْتُكِين . فرحل في عسكره الذي لا يحد كثرة ، ونزل كَفَرْطاب ... ت إليه يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الآخر ، وسلمها إلى صَمْصام الدين خيرخان بن قراجا ، وكان

---

(١) في الإعلام للطباخ ١ : ٤٣٧ عن ابن العديم : من جبل السُّمّاق برسم هاب وضياعا من ليلون برسم تل اغدى وضياعاً من بلد عزاز .

(٢) وتسمى عَزاز .

قد وصل إليه من حِمْص والتقاه بتَلّ السُّلْطان . وقال في (الروضتين[1]) نقلاً عن العماد الكاتب : أن زَنْكي استولى على الشام من سنة ٥٢٢ ﻫ إلى أن توفي في ٥٤١ ﻫ .

وفي سنة ٥٢٦ ﻫ نزل التُّرْكُمان على بلد المعرة ، وكَفَرْطاب ، وقسموا الْمَغَلاَّت ، فاجتمع الفرنج وهزموهم عن البلد .

وفي سنة ٥٢٩ ﻫ [2] أخذ عماد الدين زنكي والد نور الدين المعرة وكفرطاب من الفرنج ، وخرب أتابك زنكي سورها لما استولى عليها ، ولم يعد كما كان . وكان الفرنج استصفوا جميع أملاك المعرة ، وأخذوا كل مالهم وكتب أملاكهم ، فحضر أهلها ، أي من بقي من أهلها ، ومعهم أعقاب من هلك منهم إلى نور الدين ، وطلبوا تسليم أملاكهم التي أخذها الفرنج ، فطلب منهم كتب أملاكهم ، فقالوا : إنها عدمت . فكشف من ديوان حلب عن الخراج ، وأفرج عن كل مُلك كان عليه الخراج لأصحابه وأعاده إليهم ، ويقال : إن عماد الدين نقض أسوار المعرة كلها .

---

(١) أبو شامة : الروضتين ١ : ٤٥ (ج) .
(٢) كذا في الوفيات . وفي تاريخ أبي الفداء ٣ : ١٢ سنة ٥٣١ ﻫ (ج) .

وفي سنة ٥٣١ هـ رحل ملك الروم إلى المعرة ، ورحل عنها يوم الاثنين ثالث عشر شعبان إلى شَيْزَر وكَفَرْطَاب ، ورموها بالمناجيق ، فسلمها أهلها في نصف شعبان .

وفي ابن القَلانِسي في سنة ٥٣٣ هـ [1] رحل ملك الروم عن المعرة ، فهرب من كان مقيما في كَفَرْطَاب من الجند خوفاً على نفوسهم .

وفي (الروضتين) [2] : ان أتابك الشهيد سار في سنة ٥٣٤ هـ وحاصر حصن بارِين وكان للفرنج ، وكان من أضر بلاد الفرنج على المسلمين ، فإن أهله كانوا قد خربوا ما بين حماة وحلب من البلاد ونهبوها وتقطعت السبل . وفي مدة مقامه على حصن بارين ، سير جنده إلى المعرة ، وكفرطاب ، وتلك الولاية جميعها ، فاستولى عليها وملكها ، وهي بلاد كبيرة وقرى عظيمة .

(١) وفي ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٢٦٦ : وفي يوم الاثنين (٥٣٢ هـ) رحل ملك الروم عن بلد المعرة فهرب من كان مقيماً في كفرطاب من الجند خوفاً على نفوسهم .

(٢) أبو شامة : الروضتين ١ : ٣٤ (ع) .

وفي سنة ٥٤١ هـ قتل عماد الدين زَنكي ، وســـار ولده نور الدين محمود إلى حلب فملكها .

وفي سنة ٥٤٤ هـ [١] سار نور الدين إلى حِصْن فَامِيَة ، وهو للفرنج ، وبينه وبين مدينة حماة مائة مرحلة ، وهو حصن منيع على تل مرتفع عال ، من أحصن القلاع وأمنعها . وكان من به من الفرنج يغيرون على أعمال حماة ، وشَيْزَر ، وينهبونها . فحصره نور الدين وضيق على من به وتابع قتالهم حتى ملكه وفتحه ، وشحنه بالذخائر والسلاح والرجال . وسيأتي في أفَامية رواية ابن الأثير ، وأبي الفداء .

وفي (الروضتين) [٢] : أن نور الدين حين خرج لأخذ شَيْزَر ، أمر بكتابة منشور باطلاق المظالم في حلب ، ودِمَشْق ، وحِمْص ، وحَرّان وغيرها . وكان ما أسقطه عن المعرة ثلاثة آلاف دينار في كل سنة .

وذكر بعض المؤرخين أن خَراج المعرة بلغ في عهد نور الدين محمود (٧٠٠٠) دينار وكفر طاب (١٠٠٠) دينار .

---

(١) أبو شامة : الروضتين ١ : ٦٢ (ج) .

(٢) أبو شامة : الروضتين ١ : ١٦ (ج) .

وذكر إبراهيم الحصني قاضي المعرة الآتي ذكره : أنه اجتمع بالملك العادل نور الدين بقلعة دِمَشْق ، وأن نور الدين قال لكاتبه : اكتب إلى كاتبنا بمعرة النعمان ليقبض على جميع أملاك أهلها ، فقد صح عندي أن أهلها يتقارضون الشهادة ، فيشهد بعضهم لصاحبه في ملك ، ليشهد له ذلك في ملك آخر ، فجميع ما في أيديهم بهذا الطريق ، قال : فقلت له : اتق الله فانه لا يتصور أن يتمالأ أهل بلد على شهادة الزور ، فقال : صح عندي ذلك ، فكتب الكاتب الكتاب ودفعه إليه ليعلم عليه ، وإذا بصبي راكب على بهيمة على نهر بَرَدَى ، وهو ينشد هذه الأبيات :

اِعْدِلوا مَا دَامَ أَمْرُكُمُ نَافِذاً فِي النَّفْعِ وَالضَّرَرِ
اِحْفَظُوا أَيَّامَ دولتكمْ إِنَّكُمْ مِنْهَا عَلَى خَطَرِ
إِنَّمَا الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا حُسْنُ مَا يبْقَى مِنَ الخَبَرِ

قال : فاستدار إلى القبلة وسجد واستغفر الله ، ثم مزق الكتاب ، وتلا قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى الله . ﴾

وفي (الإعلام)[١] عن (المختار من الكواكب المضية): أن نور الدين كان قاعداً في دِمَشْق على طيارة مشرفة على بَرَدى ، فوصل إليه كتاب من المعرة يذكر فيه : أن جماعة من أهل المعرة تغلبوا على كروم وزيتون وأملاك ليست لهم ، ويستأذنه في قبضها ، فمن أحضر بينة أو حجة سلم إليه ما كان بيده ، وإن لم يحضر بقي في ديوان بيت المال . فأمر بكتب مرسوم بذلك، فشرع الكاتب يكتب،فسمع منشداً ينشد الأبيات المذكورة، فقال نور الدين : ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَـةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ . الآية . ثم أمر بابطال ذلك الكتاب وجعل يبكي .. والبيت الثالث من الأبيات المذكورة على هذه الرواية جاء هكذا :

إنَّما يَبْقَى لَكُمْ أَبَـداً طِيبُ مَا يَبْقَى مِنَ الخَبَرِ

وفي سنة ٥٥٢ هـ وقعت في الشام زلازل ، وخرب أكثر مدنها ، مثل كَفَرْطَاب ، والمعرة ، وحِمْص ، وحماة ، وأَفامِيَة وحِصْن الأكراد ، وعِرْقة ، واللاذِقيّة . وكان أشدها بمدينة حماة وحِصْن شَيْزَر ، فانها خربا بالمرة ، وكذا ما جاورهما

---

(١) راغب الطباخ : إعلام النبلاء ٢ : ٦٩ ، ٧٠ .

كحصن بارين ، والمعـــرة ، وغيرهما من البلاد والقرى ، وهلك تحت الهدم من الخلق ما لا يحصيه إلا الله وتهدمت الأسوار والدور والقلاع .

وقد قيل : إن بعض المعلمين في حماة ذكر أنه فارق المكتب لمهم ، فجاءت الزلزلة فأخربت الدور ، وسقط المكتب على الصبيـــان جميعهم ، فلم يأت أحد يسأل عن صبي كان له في المكتب .

ويفهم من كلام أسامة بن مُرشِد بن مُنْقِذ ، أن الزلازل التي أهلكت كثيراً من أهل الشام كان ابتداؤها في شهر رجب سنة إحدى وخمسين وخمسمائة .

ويدل كلام صاحب (الروضتين) على أن زلازلة حدثت ليلة التاسع عشر من صفر سنة ٥٥٢ ﻫ ثم أعقبتها زلازلة في صفر وأخرى في جمادى الأولى والآخرة ، وفي رجب ، وفي رمضان ، وشوال ، وذي القعدة ، وقد تكون في بلد أشد منها في غيره ، وقد سكن الناس في أكواخ عملوهـا من خشب ، وتفصيل

ما أثرته هـذه الزلازل في (الروضتين) [١]، وابن الوردي [٢]، وابن الأثير [٣]، وغيرهم .

وقال ابن العَديم : كانت كَفَرْطَاب مشحونة بأهل العلم، وكان بها يُقرأ الأدب ويُشتغل به ، وهي عـــلى مقربة من معرّة النعمان خربت أواخر القرن الخامس، ويقول المؤرخون: إنه لم يسلم أحد من كفرطاب في زلزال سنة ٥٥٢ هـ .

وفي ١١ شوال سنة ٥٦٩ هـ توفي نور الدين محمود، وجلس ابنه الملك الصالح اسماعيل في الملك، وهو لم يبلغ الحلم، وتولى تربيته الأمير شمس الدين محمد بن المُقَدَّم .

وفي سنة ٥٧٠ هـ قدم صلاح الدين يوسف بن أيوب بلاد الشام فاتحاً ، فلما كان في حِمْص جهز عليه سيف الدين صاحب المَوْصِل عسكراً عظيماً ، وقدم عليهم أخاه مسعوداً، فوصل الى حلب ، وانضم اليه من كان في حلب من العسكر، والتقى الفريقان ، فانكسروا بين يديه ، وأسر جماعة منهم ،

---

(١) أبو شامة : الروضتين ١ : ١٠٤ (ج) .

(٢) ابن الوردي : التاريخ ٢ : ٥٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١١ : ٨٨ .

وذلك عند قرون حماة ، في التاسع عشر من شهر رمضان . ثم سار الى حلب وصالحوه على ان يأخذ المعرة وكَفَرْطَاب وبارِين ، وقد اشار الى هذه الوقعة عماد الدين الكاتب في قصيدة مدح بها ناصر الدين محمد بن شِيركُوه حيث قال :

لَمَّا جَرَى العَاصِي هُنَالِكَ طَائِعاً بِدِمَائِهِمْ فَجَرَتْ بِهِ الأَنْهَارُ
وَتَحَطَّمَتْ عِنْدَ القُرُونِ قُرُونُهُمْ بَلْ كُلِّتِ الأَنْيَابُ وَالأَظْفَارُ
عَبَرُوا المَعَرَّةَ مَالِكِينَ مَعَرَّةً وَالعَارُ يُمْلَكُ تَارَةً وَيُعَارُ

وقد ذكر صاحب (الروضتين) [1] : تفصيل هذه الحوادث ، وما وقع من مصالحة ونقض .

وفي سنة ٥٧٢ ﻫ ملك صلاح الدين مُؤَيِّد الدَّوْلة أُسَامَة بن مُرْشِد . . بن مُنْقِذ ضيعة من أعمال المعرة ، زعم أنها كانت قديماً تجري في أملاكه [2] .

وفي سنة ٥٧٤ ﻫ حاصر صلاح الدين بَعْلَبَكّ ، وكان بها ابن المُقَدَّم ، ثم رحل عنها الى دِمَشْق ، وترك من يحصرها بالمنع

---

(١) أبو شامة : الروضتين ١ : ٢٤٨ فما بعدها (ج) .
(٢) أبو شامة : الروضتين ١ : ٢٦٤ (ج) .

من الدخول والخروج من غير قتال ، ثم رضي ابن المُقَدَّم بتسليم بَعْلَبَكّ ، وأن يأخذ حِصْن بَعْرِين وأعماله ، وكَفَرْطَاب ، وأعيان نواحي ، وقرى من بلد المعرة بدلاً منها [١] .

وفي (مرآة الجنان) [٢] : في سنة ٥٧٤ هـ أطلق السلطان حماة عند موت صاحبها خاله شهاب الدين لابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهِنْشاه ، وأطلق له أيضاً المعرة ومَنْبِج ، وفاء منه ، فبعث اليها نوابه .

وفي سنة ٥٧٧ هـ كان تقي الدين يتولى لعمه صلاح الدين المعرة وحماة [٣] .

وفي صفر سنة ٥٧٩ هـ فتح صلاح الدين حلب ، وقرر ولده الظاهر سلطاناً بها ، ثم كتب اليه الملك العادل نائبه بمصر أن يجعل له حلب ، فقرر صلاح الدين ولاية حلب وأعمالها الى رَعْبَان ، إلى الفُرات ، إلى حماة ، للملك العادل واستدعى

(١) أبو شامة : الروضتين ٢ : ٥ (ج) .
(٢) اليافعي : مرآة الجنان ٣ : ٣٩٩ .
(٣) أبو شامة : الروضتين ٢ : ٢٣ (ج) .

ولده الظاهر من حلب ، ودخلها العادل في رمضان [١] .

وفي (الخطط) [٢] : في سنة ٥٧٩ ﻫ نزل ابن المُقَدَّم عن أفامِية ، فأقطعه الظاهر الرَّاوَنْدَان وكَفَرْطَاب ومفردة المعرة ، وهي عشرون ضيعة معينة من بلاد المعرة ، فعصى ابن المقدم بالراوندان فسار اليه الظاهر فأبعده عنها . وسيأتي ذلك .

وفي سنة ٥٨٢ ﻫ أعاد صلاح الدين حلب إلى ولده الظاهر غازي غياث الدين .

وفيها أعاد إلى تقي الدين ما كان من البلاد ، ومَنْبِج ، والمعرة ، وسائر أعمالها [٣] .

وفي سنة ٥٨٤ ﻫ سار صلاح الدين من حلب على طريق المعرة ، وقصد زيارة الشيخ الزاهد أبي زكريا المغربي عند مشهد عمر ابن عبد العزيز ، فتبرك بزيارة الميت والحي [٤] .

---

(١) أبو شامة : الروضتين ٢ : ٥٢ (ج) .

(٢) محمد كرد علي : خطط الشام ٢ : ٧٩ (ج) .

(٣) أبو شامة : الروضتين ٢ : ٧٠ (ج) .

(٤) أبو شامة : الروضتين ٢ : ١٣٤ (ج) .

وفي سنة ٥٨٧ ﻫ جعل صلاح الدين المعرة ، وكَفَرْطَاب ، إلى المنصور بن تقي الدين بعد موته ، وفي (الدارس) [١] : في سنة ٥٨٧ ﻫ أنعم صلاح الدين على ابن أخيه تقي الدين عمر بحماة ، والمعرة ، وفَامِيَة [٢] ، ومَنْبِج ، فتسلمها وبعث إليها نوابه ، والأول أصح .

وفي سنة ٥٨٩ ﻫ أرسل سيف الدين غازي صاحب المَوْصِل جيشاً عظيماً ، وقدم عليه أخاه عز الدين مسعوداً إلى حلب للقاء صلاح الدين ، فلما بلغه ذلك رحل عنها الى حماة وأخذ قلعة حِمْص . ولما وصل عز الدين الى حلب ، أخذ معه عسكر ابن عمه الملك الصالح ، وخرجوا الى حماة ، فوافاهم صلاح الدين على قرون حماة ، وطلب إليهم أن يصالحوه فأبوا ، فالتحم القتال بين الفريقين ، فانكسر عز الدين ورجاله وانهزموا ، وأسر منهم جماعة ، ثم سار ونزل على

---

(١) النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ١ : ٢١٧ .

(٢) وتسمى أيضاً أفامية .

حلب ، فصالحوه على أخذ المعرة ، وكَفَرْطَاب ، ومَارِدِين ، كذا قال في (مرآة الجنان) ملخصاً [١] .

ولما مات صلاح الدين سنة ٥٨٩ ﻫ كانت كفرطاب ، وأفامِيَة بيد عز الدين ابراهيم بن شمس الدين بن المقدم .

وفي سنة ٥٩٦ ﻫ ولي قضـــاء المعرة ابراهيم الحِصْني من فقهاء دمشق ، وقد ترجمه ابن السُّبْكي [٢] في (طبقات الشافعية) ، وتوفي سنة ٦١٥ ﻫ . وقد ذكرنا قوله لنور الدين الشهيد حين عزم على أن يقبض على أملاك أهل المعرة .

وفي هذه السنة أيضاً كانت أفامِيَة ، وكَفَرْطَاب ، وخمس وعشرون ضيعة من المعرة لعز الدين ابراهيم بن محمـــد بن عبد الملك بن المُقَدَّم .

وفي سنة ٥٩٧ ﻫ مات عز الدين ابراهيم المذكور ، وصارت البلاد بعده لأخيه شمس الدين عبد الملك .

---

(١) اليافعي : مرآة الجنان ٣ : ٤٥٠ ، ٤٥١ .

(٢) في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤ : ١٩٩ ، ٢٠٠ : ابراهيم بن الحسن بن طاهر أبو طاهر الحموي المعروف بالحصني ، من فقهاء دمشق ولد في ذي الحجة سنة خمس وثمانين وأربعمائة بحماة وتفقه ببغداد ، وتوفي بدمشق في صفر سنة احدى وستين وخمسمائة .

وفيها : سار الظاهر ملك حلب إلى المعرة ، وأقطع بلادها واستولى على كَفَرْطاب ، وأَفَامِيَة ، وقد كانت لشمس الدين المذكور ، وسيأتي أن قَراقُوش نائب ابن المُقَدَّم ، امتنع عن تسليم أفامية ، وخل عنها الملك .

وفي سنة ٥٩٨ هـ وصل الملك العادل حماة ، وبلغ الظاهر في حلب أن قصده محاصرته ، فلاطفه وأهدى إليه ، فوقع الصلح بينهما ، وانتزعت مفردة المعرة ، وهي عشرون ضيعة معينة من بلد المعرة ، واستقرت للمنصور صاحب حماة .

وفي سنة ٦٠٩ هـ ولي التدريس في المعرة شمس الدين ابراهيم البارزي .

وفي سنة ٦١٧ هـ صارت المعرة للملك الناصر بن الملك المنصور .

وفي سنة ٦١٩ هـ[1] فوض طغريل مدير المملكة الحلبية أمر الشغْر وبَكَاس إلى الملك الصالح أحمد بن الملك الظاهر ابن صلاح الدين ، فسار الملك الصالح إليهما ، وأضاف إليه الرُّوج ، والمعرة ، ومَصْرين .

---

(١) كذا في نهر الذهب للغزي ٣ : ١١٢ ، ١١٣ (ج) .

وفيها قصد الملك المعظم عيسى صاحب دِمَشْق المعرة فاستولى عليها ، وأقام فيها والياً من قبله ، وقرر أمورها ، لأن الملك الناصر لم يف له بما التزمه من المال .

وفي سنة ٦٢١ هـ كتب الملك الكامل ملك مصر إلى أخيه ملك دمشق ، أن يرحل عن سَلَمْيَة[1] ويعفو عن الناصر ملك حماة ، فأعاد له المعرة .

وفي سنة ٦٢٦ هـ صارت المعرة للملك المظفر محمود بن المنصور صاحب حماة .

وفي سنة ٦٣١ هـ نزلها الملك المظفر بعد رجوعه من محاربة كيقباذ . وفي هذه السنة تم بناء قلعة المعرة ، وكان قد أشار عليه ببنائها سيف الدين علي بن أبي علي الهذباني[2] ، وهو الذي تسلم أمور حماة وتدبير شؤونها من قبل المُظَفَّر . وقد أشرنا إلى ذلك فيما مضى ، وسنزيد القول في هذا فيما يأتي .

---

(١) في معجم البلدان ٣ : ١٢٣ : ولا يعرفها أهل الشام إلا بسَلَمِيَّة .

(٢) في تاريخ ابن الوردي ٢ : ١٦٠ : المزباني ، وفي غيره المدباني (ج) .

وفي سنة ٦٣٥ هـ [1] حاصر الحلبيون قلعــة المعرة بعد وفاة الملك الكامل صاحب دمشق ، وكان مقدمهم المعظم توران شاه بن صلاح الدين ، ثم أخذوها وخربت المعرة بسببها ، وملكوها أيضاً ، وخرج عسكر المعرة حينئذ إلى حلب ، ثم سار عسكر حلب ، ومقدمهم توران شاه إلى حماة .

وفي كتاب (السلوك) [2] : أن أهل حلب استنجدوا عسكراً من الخُوَارِزْمية ، واستنجدوا كيخسرو بن كيقباذ ملك الروم ، فأمدهم بخيار عسكره ، فملكوا المعرة سنة ٦٣٥ هـ .

وفي سنة ٦٣٨ هـ نهبتها الخوارزمية بعدما خربوا حلب ، وأسروا توران شاه وارتكبوا من الزنا والفحش والقتل ما ارتكبته التَّتَر ، وقد عبروا الفرات من الرَّقّة إلى الجَبُّول ، إلى تل أعْرَن ، إلى سَرْمِين ، إلى المعرة ، وهم ينهبون ، وفزع الناس منهم .

---

(١) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ٣ : ١٧٠ . وابن الوردي : التاريخ ٢ : ١٦٦ .

(٢) المقريزي : السلوك ١ : ٢٦٩ (ج) .

وفي سنة ٦٤٦ هـ[1] ولي قضاء المعرة قوام الدين أبو العلاء المُفضَّل ابن السلطان المعروف بابن حادور الحَمَوي ، ثم عزل عنها ، وولي المدرسة الشعيبية في حلب ، ثم قضاء حِمْص سنة ٦٥٥ هـ ، ثم عزل عنها ، وتوفي في حماة سنة ٦٦٠ هـ .

وفي سنة ٦٤٦ هـ[2] ولي قضاء المعرة موفق الدين أبو القاسم الكُرْدي الَحميدي .

وفي سنة ٦٥٨هـ[3] قدم التتر على المعرة، وخربوا قلعتها وأسوارها. وقد بينا أن القلعة قد تم بناؤها سنة ٦٣١ هـ ، وهدمت سنة ٦٥٨ هـ ، فتكون مدة بقائها عامرة سبعاً وعشرين سنة ، وبهذا يتضح بطلان ما زعمه بعض الكاتبين في هذه القلعة من أنها قبل الإسلام ، أو من بناء الصليبيين ، أو غير ذلك .وزعم أصحاب مجلة العاديّات أنها من بناء الملك الظاهر ، وزعموا في دائرة المعارف الفرنسية[4] انها من آثار الصليبيين وهو باطل كما تقدم .

(١) راغب الطباخ : إعلام النبلاء ٤ : ٢٦٠ (ج) .
(٢) راغب الطباخ : اعلام النبلاء ٤ : ٣١٦ (ج) .
(٣) ابن الوردي : التاريخ ٢ : ٢٠٥ .
(٤) La grande Encyclopédie 22 : 851 .

وفي سنة ٦٥٨ هـ أخرج الملك قُطُز المعرة من يد الحلبيين وأعادها إلى الملك المنصور صاحب حماة ، وكانت في أيدي الحلبيين من حين استولوا عليها سنة ٦٣٥ هـ ، وهنّأه الشيخ شرف الدين بعودها إليه بقصيدة منها :

وَكَذَا المَعَرَّةُ إذْمَلَكْتَ قِيَادَهَا دَهِشَتْ سُرُوراً سَارَ في مَذْهُوشِهَا
طَرِبَتْ بِرَجْعَتِهَا إلَيْكَ كَأنَّمَا سَكِرَتْ بِخَمْرَةِ حَاسِهَا أوْحِيشِهَا

وفي سنة ٦٦١ هـ أغار صاحب سِيس [1] الارمني على العَمْق ، والمعرة ، وسَرْمِين ، والفَوْعَة .

وفي سنة ٦٦٤ هـ رحل الظاهر بَيْبَرْس من دمَشْق إلى حماة ، ثم إلى أفامِيَة ، وسيأتي ذلك .

وفي (الشذرات) [2] : أن ابن البارِزِي قاضي حماة شمس الدين ابراهيم بن المسلم بن هبة الله الحَمَوي ولي تدريس معرة

---

(١) في معجم البلدان لياقوت ٣ : ٢١٧ : سِيسِيَّة وعامة أهلها يقولون سيس بلد من أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكيـة وطرسوس على عين زربة .

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ٥ : ٣٢٨ (ج) .

النعمان ثم تحول إلى حماة ودرس بها ، وتوفي سنة ٦٦٩ هـ ، ولكنه لم يذكر أية سنة ولي تدريس المعرة .

وفي سنة ٦٩١ [1] هـ نزل الملك الأشرف صلاح الدين خليل بالمعرة ، ورفع إليه أهلها قصصاً يسألونه إبطال الخمارة فيها ، فأمر بابطالها ، وخربت في تلك الساعة .

وفي سنة ٦٩٩ هـ أخذ التتر المعرة مع البلاد الشامية .

وفي سنة ٧٠٠ هـ عادوا إلى المعرة وأكثروا فيها القتل والنهب ، ثم رحلوا .

وفي سنة ٧٠٢ هـ رجعوا إليها وفعلوا ما فعلوه أولاً .

وفي سنة ٧١٠ هـ صارت حماة ملكا للملك المؤيد إسماعيل أبي الفداء بن علي ، وأضيفت إليه المعرة ، ثم خرجت هي وأفرادها عن حماة ، وأضيفت إلى حلب وصارت لبعض الأمراء فيها .

وفي سنة ٧١٣ هـ [2] خرجت معرة النعمان من حماة ،

---

(١) ابن الوردي : التاريخ ٢ : ٢٣٧ .

(٢) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ٤ : ٧١ (ج) .

وأضيفت إلى حلب ، وسبب ذلك أن الأمراء الذين كانوا بحماة ، ثم انتقلوا إلى حلب « قبل سنة » استقرت اقطاعاتهم بحماة ، لعدم اقطاعات تفي بجملة ما لهم .. وصارت أطماعهم معلقة بالعودة إلى حماة ، وهم مجتهدون على ذلك تارة بالتثقيل على السلطان بالشفائع ، وتارة بالسعي في ذهاب حماة مني [1] ، فلم أجد لذلك ما يحسمه إلا بتعيين المعرة وبلادها للأمراء المذكورين واضافتها إلى حلب ، ثم صدر المرسوم بذلك .

وفي سنة ٧١٦ هـ أعادها الملك الناصر بن المنصور قَلاَوُون إلى أبي الفداء ، وامتدحه شهاب الدين محمود كاتب الانشاء الحلبي بقصيدة ، منها قوله :

بِكَ تُزْهى مَوَاكِبٌ وَأَسِرَّةْ ... وَلَكَ السُّمْرُ وَالقَوَاضِبُ أُسْرَةْ
وَبِأَيَّامِكَ الَّتِي هِيَ رَوْضٌ ... لِلْأَمَانِي تَجْتَنِي ثِمَارَ المَسَرَّةْ
بِكَ كُلّ الدُّنْيَا تُهَنّى وَيُضْحِي ... قَدْرُهَا عَالِياً وَكَيْفَ المَعَرَّةْ

ثم زاده على المعرة بجملة غلال بلادها .

وفي سنة ٧١٨ هـ زاده السلطان عدة قرى من بلد المعرة على ما كان مستقراً بيده .

---

(١) أي من الملك أبي الفداء صاحب حماة .

وفي سنة ٧٤٨ هـ أصاب أهل المعرة من النهب وقطع السابلة ورعي الكروم والزروع والقطن والمقاثئ ، وغير ذلك من ضروب الاعتداء شيء كثير من قبل أصحاب سيف بن فضل أمير العرب وأتباعه ، وأحمد وفياض بعد ما انكسر بقرب سَلَمْيَة .

وفي سنة ٧٤٩ هـ وقع طاعون عمّ البلاد الشامية ، ونجت منه المعرة وحدها ، ولكنها كانت تكابد من الظلم والعسف ما هو أشد من الطاعون ، وقد أشار إلى ذلك عمر بن الوردي المعري بقوله :

رَأى المعَرَّةَ خَوْداً زَانَهَا حَوَرٌ ... لَكِنَّ حَاجِبَهَا بِالجَوْرِ مَقْرُونُ[1]
مَاذَا الَّذِي يَفْعَلُ الطَّاعُونُ فِي بَلَدٍ ... فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ بِالظُّلْمِ طَاعُونُ

وفي سنة ٧٦٢ هـ توفي بالمعرة القاضي شرف الدين موسى ابن سِنان بن مسعود بن شِبل الجعفري السُّلَمِي ، وله نيف وستون سنة[2] .

---

(١) ديوانه ص ١٨٥ وروايتها فيه :
رأى المعرة عيناً زانها حور ... لكن حاجبها بالجور مقرون
ما الذي يصنع الطاعون في بلد ... في كل يوم له بالظلم طاعون
(٢) ذيل تذكرة الحفاظ ١٣٢ (ج) .

وفي سنة ٧٤٤ هـ حدث في المعرة زلزال عظيم ، فذهب بكثير من محاسنها .

وفي سنة ٧٤٥ هـ استرجع السلطان الملك الصالح بن اسماعيل ابن الناصر محمد بن قلاوون ما كان باعه الملك المؤيّد وابنه الأفضل في حماة والمعرة من أملاك بيت المال بأموال عظيمة ، وكان غالب الملك قد طُرح على الناس غصباً ، واشتريت به تقادم إلى الملك الناصر ، فقال بعض شعراء المعرة في ذلك :

طَرَحُوا عَلَيْنَا المُلْكَ طَرْحَ مصَادِرٍ ... ثُمَّ اسْتَرَدُّوهُ بِلاَ أَثْمَانِ
وَإِذَا يَدُ السُّلْطَانِ طَالَتْ وَاعْتَدَتْ ... فَيَدُ الإِلٰهِ عَلَى يَدِ السُّلْطَانِ

وكأنما كاشف هذا القائل ، ونظر إلى مصير السلطان بعين الغيب ، لأن مدة السلطان لم تطل بعد ذلك .

وفي سنة ٧٤٨ هـ اقتتل سيف الدين بن فضل أمير العرب مع أحمد فياض من الأمراء قرب سَلَمْيَة ، فانكسر سيف ، وجرى على المعرة وحماة وغيرها من العرب أصحاب سيف وأحمد فياض من النهب وقطع الطريق ما لا يوصف ، وكانوا يغيرون على حماة ، والمعرة ، ففر الفلاحون ودرست القرى .

وفي سنة ٨٠٣ هـ قدم تيمورلنك بثمانمائة ألف مقاتل ، فوقعت بينه وبين عسكر الشام حرب طاحنة خارج سور حلب ، ثم كان له النصر ، وفرّ عسكر الشام إلى المعرة ، فتبعه بجيشه العرمرم ونازلها ، وكانت تابعة لحماة ، وكان دقماق في ذلك الحين والياً على حماة ، فسارت أعيان حماة بمفاتيح البلد إلى تيمور واستأمنوه فأمنهم . وفي هذا الوقت انفصلت المعرة عن حماة ، وصارت تابعة لحلب ، وأهل المعرة يقولون : إن تيمور شدد الحصار على المعرة ، ووقع بين أهلها وبين عساكره معارك شديدة ، ثم إن رجلاً من أهلها من قوم يعرفون ببني عازار أرشد تيمور إلى موضع استطاع أن يدخل البلدة منه بغير قتال ، فلما دخلها وضع السيف في أهلها وفتك فيهم فتكا ذريعاً ، ولا تزال إلى يومنا هذا بقية في المعرة يعرفون ببني عازار ، وأهلها يصمونهم بهذا العار الموروث والشنار التليد ، والله أعلم بالحقيقة .

وفي سنة ٩٢٠ هـ توجه بدر الدين سليمان بن عبد الجبار وسرباريك ابن عمه مع جماعة من التُّرْكُمان إلى المعرة ،

فأوقعوا بعسكر الفرنج ، وقتل المسلمون منهم مائة وخمسين ، وأسروا جفري بلنك صاحب بَسَرْفُوث [١] . من جبل بني عُلَيْم [٢] واودع سجن حلب .

وفي سنة ٩٢٢ هـ استولى السلطان سليم الأول العثماني على بلاد الشام ، وملك المعرة في جملة ما ملكه منها ، وأصبحت منذ ذلك العهد خاضعة للدوله العثمانية .

وفي سنة ١٠١١ هـ خرج نصوح باشا والي حلب ، ومعه حسين باشا ابن جانبولاذ ، لقتال الخارجين على الدولة ، مثل خداوردي وكنعان الكبير وحمزة الكردي ، فالتقوا عند المعرة ثم فروا إلى حماة وأخذ ما وجده من أموالهم وأثقالهم .

وفي (إعلام النبلاء) في حوادث سنة ١٠١٤ هـ [٣] في ترجمة ابن جانبولاذ . وأما ذكر أصله ومنزعه ، فجده جانبولاذ هذا كان يعرف بابن عربو ، وكان أمير الأكراد بحلب ، وولي حكومة المعرة وكِلِّز وعَزاز ، وكان له صيت شائع . اه

---

(١) حصن من أعمال حلب في جبال بني عليم .

(٢) المعروف اليوم بجبل الزاوية .

(٣) راغب الطباخ : إعلام النبلاء ٣ : ٢٣٣ (ج) .

وفي المعرة الآن قوم يعرفون بابن عربو ، يزعمون أن لهم نسباً يتصل بابن عربو السابق ذكره ، ولكني لا أعلم حقيقته من غيرهم ، وقد ذكرناهم في أُسَر المعرة .

وفي (سلك الدرر)[1] أعطي منصب حماة إلى الشريف سعد ابن زيد شريف مكة المكرمة سابقاً ، وكان ولي أولاً معرة النعمان بأمر من الدولة لاختلاف الحجاز في ذلك الحين ، وما جرى بينه وبين الشريف بركات شريف مكة ، فضبط حماة لكنه كان شديد الحلف كثير التعدي بحيث أن أهل حماة قاموا عليه وأخرجوه من البلد قهراً ، فوصل إلى معرة النعمان ، وكتب يشتكي عليهم للدولة ، وأسند ما جرى إلى حسن أفندي الدَّفتَري ، وتتمة الحادثة فيه ، وقد قتل الدفتري المذكور سنة ١١٠٦ هـ في حماة ، وأظن أن ولاية سعد بن زيد المعرة كانت سنة ١١٠١ هـ .

وفي سنة ١٢٢٨ هـ ثار أهل المعرة عو [illegible] من بني العظم ، يقال له : يحيى بك ، كان متسلما « حاكماً إدارياً » في المعرة ،

---

(١) المرادي : سلك الدرر ٢ : ٣٢ (ج) .

وسبب ذلك أن داره [1] التي كانت مسكنه داخلاً ، ومقر حكمه خارجاً ، كانت متصلة بحمام يقال له : الحمام التحتاني ، فثقب جدار الحمام ، وجعل ينظر إلى النساء وهن عاريات ، فمن أعجبته توسل بكل ما أُوتيه من حول وطول إلى الاتصال بها ، فشعر أهل المعرة بذلك ، واتفقوا على قتله ، وانتدبوا من كل أسرة رجلاً ليكونوا شركاء في دمه ، فذهب المندوبون إلى داره ليلاً ، وطرقوا الباب فخرجت جارية فسألوها عنه فادعت أنه ليس في الدار ، فدخلوا الدار عنوة ، ونقبوا فيها ، فلم يقفوا له على أثر ، واشتدوا على الجارية لتدلهم عليه ، فلم تغير قولها ، فخرجوا يتعثرون بأذيال الخيبة .

وكان يحيى رأى هذا الجمهور على باب داره ، فعلم أنهم يريدون الفتك به ، فتدلى إلى بئر في داره واختفى فيها ، وأمر

---

(١) وهذه الدار يحدها من الشرق الحمام التحتانية المذكورة والطريق الآخذ الى السوق والجامع ، ومن الشمال الطريق الفاصل بينها وبين المسجد المعروف بالداودية ، ومن الغرب الطريق الآخذ الى المحلة القبلية وتمامه الدار التي كانت دار حكومة « سراية » ، ومن الجنوب الطريق المذكور والدار المذكورة « السراية » (ج) .

الجارية أن تقول : إنه ليس في الدار ، ولم يفطن المنتدبون لذلك فلما قفلوا راجعين ، استنفر أعوانه وجنوده وبطانته ، وأراد أن ينتقم من أعدائه في صبيحة اليوم الثاني ، فثار في وجوههم جمهرة الناس ، وحصروه هو وأشياعه في داره ، فلما ضاق بهم ذرعاً خرج إلى سطح دار مصاقبة لداره ، وتدلى بحبل من السطح المتصل بسطح الحمام المذكورة ، وكان الناس أقاموا له الرقباء والأرصاد ، فرآه الرقباء الذين كانوا في منارة الجامع الكبير ، وأنذروا به الرقباء الذين كانوا على سطح السوق وغيرها فرماه رجل برصاصة فأرداه قتيلاً ، وقد رأيت على سارية من سواري المسجد في المعرة هذا البيت :

يَسْعَى بِرِجْلَيْهِ عَمْداً نَحْوَ مَصْرَعِهِ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاَ

وهو بخط جيد ، وفوقه تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ فحدثني كثير من الناس أن ذلك كتب يوم قتل يحيى بك .

وفي سنة ١٢٣٧ هـ حدث زلزال عظيم [١] في حلب ليلة الأربعاء في الثامن والعشرين من ذي القعدة الموافق شهر آب

(١) انظر تفصيل ذلك في إعلام النبلاء لراغب الطباخ ٣ : ٤٠٠ — ٤١١ .

ومكث أربعين يوماً ، وفي كل يوم تحدث هزة حتى هدم بسببه أماكن كثيرة في حلب وغيرها من البلدان الحلبية ، مثل كِلّس ، وأنطاكية ، والمعرة ، وما جاورها ، حتى قيل : إن عدد القتلى الذين ماتوا تحت الهدم نحو عشرين ألفاً ، وقد نظم محمد تقي الدين بن الشيخ محمد المطلي القاطن في ديار حلب قصيدة يصف فيها تلك الزلازل ويذكر البلاد والأماكن التي خربتها ، وفيها يقول :

فَكَمْ خُطُوبٍ بِأَرْضِ الشَّامِ قَدْ وَقَعَتْ وَفِي حَمَاةَ وَحِمْصٍ أَعْيُنٌ دَمَعَتْ
وَفِي الْمَعَرَّةِ كَمْ مِنْ نِسْوَةٍ فُجِعَتْ وَأَرْضُ رِيحَا وَسَلْقِينٌ لَقَدْ صُدِعَتْ
وَأَرْضُ عِنْتَابَ مَاجَتْ فِي أَهَالِيهَا

وفي سنة ١٢٤٨ هـ استولى إبراهيم باشا بن محمد علي المصري على المعرة ، وقد سمعت من بعض المعريين أنه لما قدمها نزل ضيفاً في دار جد والدي محمد الجندي ، وكان مفتياً في المعرة وكان الباشا يحبه حباً جماً ، وأرق ذات ليلة ، فرتب له مكتبة ، وجعل لها فهرساً ، وما زال ذلك شأنه معه ، إلى أن بلغه أن أمينا بن محمد المذكور هجاه بقصيدة ، ومدح التُّرْك ، واستثار

الناس عليه ، فسخط على الأب والابن معاً ، وكان إذ ذاك بعيداً عن حلب ، فجدّ في طلب أمين ، وبث عليه العيون والأرصاد ، وسد عليه المنافذ ، فلم يقف له على أثر ، لأنه كان مختبئاً في حلب ، ثم عاد إلى المعرة ، وقد أنذر أباه بضرورة احضار ابنه لمقابلته فاحضره ، فلما قابله تناسى ما أثار سخطه عليه ، وقابله باللطف والسماح ، ولم يتصد لذكر القصيدة ، وانما عامله وعامل أباه معاملة الملك الصفوح الكريم كما سيأتي في ترجمتها .

ولكنه في نحو سنة ١٢٥٥ أو ١٢٥٦ ه بلغ أهل المعرة أن الترك تغلبوا على إبراهيم وكسروا جيوشه ، فهب جماعة من الرعاع ونهبوا الشونة ، واتصل به ذلك ، فبعث عليهم جنداً لينتقم منهم ، أو لما اقترب فلّه من المعرة شعروا بما يضمره لهم ، فجاء رجل من أهل المعرة . يقال له علي بن قَنْدَح على زعم من أخبرني ، وصعد منارة الجامع الكبير فيها ، وأنذر الناس بقدوم عسكر ابراهيم ، وحذرهم بأسه وشره ، فنفر الناس نفار الإبل إذا قعقع بين يديها بالشنان ، وهاموا على وجوههم في كل واد ، واعتصموا بالقرى والجبال .

ودخل العسكر المعرة ، وهي خاوية خالية ، وأطلق يده في النهب والاحراق ، حتى تركها صعيداً كأن لم تغن بالأمس ، وطمس ما أبقت الأيام من معالم مجدها وحضارتها ، وظل أهلها هاربين بضعة أيام ، ثم عادوا إليها فريقاً بعد آخر .

وحدثني رجل من أهل قرية معرشورين أنه كان غلاماً حدَثاً ، فدخل الشونة [1] مع الناهبين ، ووضع في ثوبه أزراراً من أزرار الجند وأخذها .

وأخبرتني زوجة جدي ، وكانت من أوعى الناس للأخبار وأكثرهم استقراء لها ، وكانت ممن شهد الحادثة وفر مع الفارين : أن أهل المعرة حين أنذرهم النذير بقدوم العسكر ، حملوا ما استطاعوا من أعلاقهم وعقائل أموالهم ، وخبأوا غيره تحت الأرض ، وأن جمّاً غفيراً من أهل المعرة خبأوا أموالهم في محمية كانت في دار جدي « والمَحْمِيّة في اصطلاح أهل المعرة بناء تحت الأرض ، وقد يكون واسعاً ، وليس له إلا منفذ كالسرداب ، وليس له درج ينزل إليه منه ، وإنما يدلى إليه

---

(١) سيأتي معناها (ج) .

بحبل ، والغالب أنه بناء قديم يعثر عليه فيفتح له منفذ ، يدخرون فيه ما يشاءون عند الفزع ، ويسدون منفذه فلا يهتدى إليه » .

وقد خبأ فريق من أهل المعرة أمتعتهم فيها ، ثم سدوا منفذها ، وفرشوه بالبلاط كبقية ساحة الدار ، فلم يهتد إليها الجند . ولما رحل الجند وعاد الناس إلى مواطنهم ، وجد أكثر هذه الأموال فاسداً من تأثير الماء والرطوبة التي في المحمية ، فكان عمل إبراهيم هذا في أهل المعرة ، كعمل نمروذ في ابراهيم ، آخذ الصالحين والشيوخ والأطفال والنساء عامة ، بما فعل السفهاء خاصة .

هذا ما سمعته من أهل المعرة من شيوخ شهدوا ذلك الحادث الفظيع ، وكهول رووه عن شيوخ غيرهم شهدوه .

وقد ذكر جد أبي محمد وابنه أمين : أن صورة نسبهم فقدت مع ما فقد حين نهبت المعرة سنة ست وخمسين ومائتين وألف للهجرة .

وقد رأيت في ديوان عم أبي السيد أمين بن محمد الجندي ، قصيدة يمدح بها السلطان عبد المجيد ابن السلطان محمود العثماني

ويذكر فيها شيئاً من أعمال المصريين في بلاد الشام وغيرها ، ويذكر جلاءهم عنها في شهر رمضان المبارك عام ستة وخمسين ومائتين وألف ، ويؤرخ ذلك في آخرها ، وقد ذكر فيها ما أصاب المعرة وأهلها ، وذلك حيث يقول :

قَصَدُوا المَعَرَّةَ بِالأَذِيَّةِ عِنْدَمَا ... سُكَّانُهَا لَبُّوا وَلَمْ يُبْدُوا قِلَى

فَوَشَى لَهُمْ مَنْ كَانَ فِيهَا عَامِلاً ... مِنْ نَحْوِهِمْ وَسَعَى بِنَا وَتَوَصَّلا

وَاللهُ أَدْرَكَنَا بِلُطْفٍ مُسْبَلٍ ... إِذْ جَاءَنَا لَيْلاً نَذِيرٌ أَوَّلا

فَوْراً خَرَجْنَا لِلْجِبَالِ بِأَهْلِنَا ... مَشْياً وَغَادَرْنَا المَتَاعَ مُكَمَّلا

فَتَرَى الذَّرَارِي وَالنِّسَاءَ بَوَاكِياً ... وَالنَّاسَ مِنْ خَوْفِ الفَضِيحَةِ جُفَّلا

فَأَتَوْا بِشِرْذِمَةٍ وَأُخْرَى بَعْدَهَا ... كُلٌّ عَلَى إِهْلاكِنَا قَدْ عَوَّلاَ

دَخَلُوا المَدِينَةَ وَهْيَ خَالِيَةٌ فَلَمْ ... يُبْقُوا وَلَمْ يَذَرُوا سِوَى مَا أُثْقِلا

فَرَمَوْا بِهَا النِّيرَانَ حَتَّى أُحْرِقَتْ ... وَغَدَتْ بَلاَقِعَ وَاكْتَسَتْ ثَوْبَ البِلَى

حَرَقُوا الشُّيُوخَ وَلَمْ تَرِقَّ قُلُوبُهُمْ ... وَهْيَ الحِجَارَةُ بَلْ أَشَدُّ عَلَى المَلاَ

فَأَتَى العَبِيدُ لِيَنْظُرُوا مَا حَلَّ فِي ... أَوْطَانِهِمْ وَجَدُوهُ أَمْراً مُشْكِلاَ

فَالمَالُ أُتْلِفَ ثُمَّ لَمْ نَعْبَأْ بِهِ ... بَلْ بِالمَسَاجِدِ وَالمَقَامَاتِ العُلا

أَمَّا المَصَاحِفُ رَأْيَ عَيْنِي فَوْقَهَا ... مَالاَ يَفُوهُ بِهِ اللِّسَانُ تَنَزُّلاَ

بَطَلَ الأَذَانُ مَعَ الجماعَةِ مُدَّةً   بَلْ أَفطَرُوا رَمَضَانَ مِنْ عِظَمِ البِلاَ
اللهُ أَكْبَرُ إِنَّهـا لَمَصَائِبٌ   فِي وَقْتِهَا ظَلَّ اللسَانُ مُحَوْقِلاَ
وَقَدِ انْجَلَوا عَنْهَا وَسَارُوا جَحْفَلاً   لا سَلَّمَ الرَّحْمنُ ذَاكَ الجَحْفَلاَ

ولما دخل ابراهيم باشا بلاد الشام ، مدحه الشيخ أمين بن خالد الجندي الحمصي بقصيدة مطلعها :

عَرِّجْ أخا البَأْساءِ نَحْوَ بَنِي العُلا   والثُمْ تَرَى أَعْتَابِهِمْ مُتَذَلِّلاَ

وقد مدح فيها ابراهيم باشا ، وذكر طرفاً من أعماله ، وذم الأتراك ، وذكر جملة من أعمالهم المذمومة .

فلما فعل ابراهيم في البلاد الشامية ما فعل ، نظم عم والدي السيد أمين بن محمد الجندي هذه القصيدة التي قدمنا أبياتاً منها ، ومدح بها السلطان عبد المجيد العثماني ، وذم ابراهيم ، وذكر طائفة من أعماله الجائرة .

والقصيدتان متفقتان في الوزن والقافية ، والأولى منها تضمنت مثالاً سيئاً من أعمال الترك في البلاد السورية ، والثانية تضمنت مثالاً سيئاً من أعمال ابراهيم باشا وجنوده المصريين فيها ، فقاتل الله الفريقين ، وجازى كلا منهما بما يستحقه .

وقد ذكر في (إعلام النبلاء) كثيراً من أعمال ابراهيم باشا ، منها : أنه طرح ضريبة على كل واحد ، وسماها إعانة الجيش على الحرب ، ورتب على أنواع الحبوب فريضة سماها بالشون . وجرد المسلمين من الأسلحة ، وأنه طلب أولاد الأعيان ليجعلهم جنداً له يدرأ بهم عن البلاد كل عادية ، وأنه كان مسرفاً في القتل ، وسرد جملة من أعماله [1] .

وذكر في (نهر الذهب) [2] جملة من أعماله ، وتجنيده الصغار والكبار ، وتسخيره الناس في الأعمال الشاقة ، ونحو ذلك من المنكرات والفظائع ، وما ترتب عليها من المضار والمفاسد الخلقية وغيرها .

ومما لا ريب فيه أن المعرة شاركت غيرها من البلاد الحلبية في هذه الكوارث ، وأصابها منها طل ووابل .

وكانت الحكومة العثمانية حين خرج ابراهيم باشا إلى بلاد الشام وقبل ذلك ، ترهق أهلها ضروباً من العسف والخسف وكان المتغلبون عليها من الولاة والعمال يذيقونها أنواعاً من العذاب ، واستصفاء الأموال ، وخراب العامر وابتزاز الأموال

---

(١) راغب الطباخ : إعلام النبلاء ٣ : ٤٢٤ فما بعدها (ج) .
(٢) كامل الغزي : نهر الذهب ٣ : ٣٦١ فى بعدها (ج) .

بطرق شتى ، وقد وصف الشيخ أمين الجندي الحمصي شيئاً من أعمالهم في القصيدة السابق ذكرها التي يمدح بها ابراهيم باشا وأباه ، ويهنئه بفتح الشام ، منها قوله :

سَلَبُوا البِلادَ مِنَ العِبَادِ فَلَنْ تَرَى ... فِي حُكْمِهِمْ ذَا نِعْمَةٍ مُتَمَوِّلاَ

وقوله :

واللهُ غَيَّرَ مَا بِهِمْ مِنْ نِعْمَةٍ ... لَمَّا تَغَيَّرَ حَالُهُمْ وَتَبَدَّلاَ
وَقَدِ اسْتَبَاحُوا المُنْكَرَاتِ فَلاَ تَسَلْ ... عَمَّا تَوَقَّعَ مِنْهُمُ وَتَحَصَّلاَ . .

ومنها قوله :

وَقُضَاتُهُمْ لِلسُّحْتِ قَدْ أَكَلُوا فَهَلْ ... أَبْصَرْتَ حَيًّا مِنْ مَضَرَّتِهِمْ خَلاَ
نَبَذُوا الشَّرِيعَةَ مِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ ... وَطَغَوْا وَزَادُوا فِي الضَّلاَلِ تَوَغُّلاَ
وَمَشَايِخُ الإِسْلاَمِ أَصْبَحَ عِلْمُهُمْ ... جَهْلاً فَلَمْ تَرَ قَطُّ مِنْهُمْ أَجْهَلاَ

ثم ذكر البلاد الشامية التي افتتحها ابراهيم وذكر ما وقع فيها من المعارك والأعمال حتى قال :

وَإِلَى حَمَاةِ الشَّامِ سَارَ وَبَعْدَهَا ... لِمَعَرَّةِ النُّعْمَانِ يَخْتَرِقُ الفَلاَ
وَغَدَا يُجِدُّ السَّيْرَ فِي آثَارِهِمْ ... بِمَوَاكِبٍ وَكَتَائِبٍ لَنْ تَعْطَلاَ
حَتَّى أَتَى حَلَباً فَلَمْ يَرَ مِنْهُمُ ... إِلاَّ طَرِيحاً أَوْ جَرِيحاً مُبْتَلَى

ولما كان محمد نجيب باشا مشيراً في الشام ، وردت أوامر التنظيمات الخيرية إلى معرة النعمان ، وكانت توليته سنة ١٢٥٧ ﻫ فتليت في الجامع الكبير العُمري على الناس ، وقد عهد بتبليغها إلى السيد أحمد أبي المواهب المالكي ، والسيد أحمد الجيلاني ، وهذا بلغها أهل المعرة ، وقد ذكر هذه الحادثة السيد أمين الجندي في قصيدة مطلعها :

سَحَرَ العُقُولَ بِلَحْظِهِ الفَتَّانِ وَنَضَا مِنَ الأَحْدَاقِ سَيفَ يَمَانِ

وفيها يقول في مدح السلطان عبد المجيد :

عَبْدُ المجيدِ بِمَجْدِهِ سَارَتْ إلى أَقصَى البِلاَدِ مَدَائِحُ الرُّكْبَانِ
نَزَعَ البِلاَدَ مِنَ الخَوَارِجِ عَنْوَةً وَأَقَرَّ أَعْيُنَ عِصْبَةِ الإِيمَانِ

ويقول في المشير محمد نجيب باشا :

وَحَبَا دِمَشْقَ بِعَامِلٍ مَا إِنْ لَهُ في عِقْدِ أَرْبَابِ الوَزَارَةِ ثَانِ
وَهُوَ النَّجِيبُ مُحَمَّدٌ زَاكِي الحِجَا وَمُجَنْدِلُ الأَبْطَالِ وَالشُّجْعَانِ

ويقول في الأوامر والتنظيمات الخيرية وقراءتها في المساجد :

تُلِيَتْ جِهَاراً فِي الجَوَامِعِ لِلوَرَى بِمَرَاسِمِ التَّعْظِيمِ والإِيمَانِ

ويقول فيمن تولّى ذلك :

وإلى حَماةَ وحِمْصَ ثُمّ مَعرّةِ النّـ . . . ـعْمَانِ كَانَ سَفيرُ هــذَا الشانِ

المالكيّ أبو المـوَاهِبِ أحْمدٌ وَالجهْبَذُ البَدْرُ الجَليلُ الثّاني

وَاللهُ خَصّ مَعَــرّةَ النعمانِ بالبَدْرِ المُنيرِ سَميّهِ الجيْلاَني

وفي أنّ كلاً منهما اسمه أحمد :

هٰذَا لَعَمْرُكَ خَيْرُ فَألٍ جاءَنَا بِالأحْمدَيْنِ فَقُلْ هُمَا بَدْرانِ

وفي سنة ١٢٦٠ هـ نزحت جماعة من الفلاحين في بلاد حماة والمعرة عن قراهم ، فأصدر علي رضا باشا والي ايالة الشام أمراً إلى جد والدي محمد ، وكان مفتياً بالمعرة ، وإلى ولده أمين ، وكان قاضياً فيها أن يذهبا إلى حلب ومعهما خليل آغا رئيس جردة عساكره لاسترجاع الفلاحين النازحين فمكثوا شهراً ، وقد استطاعوا أن يرجعوا فريقاً من النازحين ، فجعل خليل آغا متسلما للمعرة .

وبالنظر لصعوبة طبعه وقع بينه وبين المفتي محمد الجندي نفار شديد ، واشتكى إلى الوالي المذكور ، فطلب المفتي إلى الشام ، وفي أثناء غيابه في الشام فر سكان القرى في المعرة ،

فعزل خليل آغا من المتسلمية ، وعين بدلاً منه عبد الله بن حسين ابن عثمان بن عبد الرزاق بن محمد الجندي الحمصي أحد القبوجي باشية للباب العالي ، وكان ابن اخت المفتي محمد المذكور ثم عاد المفتي إلى المعرة ، وحضر ابن أخته المتسلم بعده وكان دخوله المعرة في اليوم الخامس من شوال سنة ١٢٦١ ﻫ.

وكان عبد الله حديث السن ، وكان في طبعه صعوبة بقدر ما كان في طباع أهل المعرة من الصعوبة ، وأراد أن يسلك بالناس طريقة عادلة ، فتنكرت له خصومه ، واستثاروا عليه الدهماء والرعاع ، وحصروه في بيت خاله يوماً كاملاً ثم اضطروه إلى الخروج من البلدة قهراً .

ثم خرج في إثره مفتي المعرة المذكور ، ونقيب الأشراف فيها ، واجتمعا به خارج المدينة ، وازداد تعصب الناس على قاضي المدينة أمين ابن مفتيها ، وكتبوا شكايات إلى الوالي ذكروا فيها ما شاءوا ، ونسبوا إليه من الأعمال ما أحبوا ، ثم كلفوا القاضي أمين الجندي أن يوافقهم على ذلك ، فخرج من المعرة يوم الاثنين التاسع من شهر ذي الحجة سنة ١٢٦١ ﻫ

وأراد اللحاق بأبيه وبالنقيب والمتسلم ، وذلك بعد خروجهم بستة عشر يوماً ، وبات تلك الليلة في قرية كفر زيتا ، وفي اليوم الثاني صلى بهم صلاة العيد وذهب إلى حماة ، ثم إلى حمص ، ثم طلب إليه أبوه ونقيب المعرة أن يذهب إلى دمشق ، فدخلها في اليوم الثامن والعشرين من ذي الحجة واجتمع بواليها علي باشا الكوتاهيه‌لي ، وكان هـذا قد طلب خصوم المفتي والقاضي وجماعتهما من أهل المعرة ، فحضروا ودفعوا أموالاً جزيلة رشوا بها الحكام ، ثم سعوا لعزل المفتي والقاضي من منصبيهما ، وصدرت إرادة سنية باقامتهما في دمشق ، وأن لا يخرجا منها بدون فرمان عال من السلطان وبقيا فيها حتى صدر فرمان باطلاق سراحهما في غاية المحرم سنة ١٢٦٣ هـ ، فخرجا من دمشق في اليوم الرابع والعشرين من صفر من السنة المذكورة ، ودخلا المعرة في غرة ربيع الأول ، ثم أعيد كل منهما إلى منصبه السابق ، فكان الأب مفتياً والابن قاضياً ، وسيأتي تفصيل ذلك في ترجمتيهما .

وفي سنة ١٢٦٤ هـ ولت الحكومة الحاج احمد بك بن نصوح

باشا مديرية حماة وحمص والمعرة . وقد مدحه السيد أمين الجندي بقصيدة أرّخ فيها ذلك بقوله :

لَكَ الحمْدُ يا ذَا الجودِ لاَ زَالَ سرْمَدا

والقصيدة موجودة في ديوانه الخطي المحفوظ في مكتبتي ومطلعها:

جَبِينُكَ أمْ نُورُ الصَّباحِ لَنا بَدَا   ولَحْظُكَ أمْ سَيْفٌ لِقَتْلي تَجرّدَا

وفي سنة ١٢٦٥ هـ طبعت الحكومة العثمانية القانون السلطاني المبين فيه دخول ذوي الأسنان العسكرية إلى القُرْعَة من المسلمين القاطنين في الممالك السلطانية ، وقد سمته في آخره التعرفة في بيان القرعة العسكرية .

وقد رأيت بخط جدي سليم بن محمد الجندي على صفحة من آخر التعرفة المذكورة جملة خلاصتها أنه يقول : قد تسلمت هذه التعرفة في مدة ولايتي الفتيا في معرة النعمان ، وذلك في ٢٠ رمضان سنة ١٢٦٦ هـ ، وكان محمد سعيد باشا والياً في الشام ، وكان قائم مقام المعرة في وقت تسلمه التعرفة المذكورة عثمان بك محمد باشا انجي بيرقدار زاده ، ثم ختم ذلك بخاتمه الرسمي .

وكتب على الوجه الثاني من جلد التعرفة المذكورة جملة يبين فيها أن الذي أخذ من المعرة للصنف العسكري في سنة ١٢٦٦ هـ ستة عشر رجلاً منهم ستة من المحلة الشمالية، وعشرة من المحلة القبلية، وقد ذكر أسماءهم جميعاً وأن ذلك تم عن يد المأمور بها مصطفى باشا ومحيي الدين أفندي مميز الطلبة.

ورأيت بخطه على جلد التعرفة الأخير جملة يقول فيها: في السابع من ربيع الأول سنة ١٢٦٧ هـ جاءه الشيخ يوسف الشَّحْنة وبيده مراسلة قضاء المعرة، وكان إذ ذاك السيد محمد ابن عبد الله العلوان منصوباً وكيلاً بعد وفاة ابن عمه السيد حسين العَلْوان، فبرز جميع أهل المعرة ومنعوا الشيخ يوسف ونزعوا المراسلة من يده، ودفعوها إلى السيد محمد العلوان شفقة عليهم لئلا يغلق قوناقهم «وهو المحل المعد لنزول الضيوف» لأنهم جماعة فقراء أصحاب عيال.

وفي سنة ١٢٧٠ هـ دخلت سكاير الدخان أي اللفافات وكان الناس قبلها يستعملون الدخان بالغليون الذي له قصبة وكانوا يتنافسون في الغليون كما يتنافسون في القصبات

فيتخذون الغليون من فخار ، ويتخذون القصبات من ياسمين وأبنُوس وغيرهما ، ويسمونها أمزك ، ويجعلون في رأسها قطعة من الكهرباء الجيد ، وقد تكون قدر بيضة الدجاجة ، ويغالون في ترصيعها وتزيينها بالفضة والذهب وألماس والفيْرُزَج وغيرها وقد أنكر الناس استعمال اللفائف أولاً ، ثم ألفوه لخفة مؤونته وحمله ، وهجروا الغليون وما يتعلق به .

وفي سنة ١٢٧١ ﻫ جاء إلى حلب بزر البندورة ، وتسمى الطماطم ، وزرع فأثمر ، وكان الناس يأكلونه ما دام أخضر فاذا احمر أنفوا من أكله ، ثم ألفوا أكله بعد احمراره وافتنوا في أكله واتخاذ عصير منه واتخاذ دبس أيضاً ، وقلما خلا طعام فيه خضر أو لحم من البندورة ، ودرج أهل المعرة على آثار الحلبيين في ذلك .

وفي سنة ١٢٧٦ ﻫ وضع نظام البرق في الدولة العثمانية .

وفي سنة ١٢٨٦ ﻫ وضع نظام البريد ، وكان بريد الحكومة قبل ذلك بواسطة السُّعَاة والنجابين .وقد سمت الحكومة العثمانية

الأول تلغرافاً ، والثاني بوستة ثم استعمل الناس كلمة البرق بدلاً من تلغراف ، وكلمة بريد بدلاً من كلمة بوستة ، وذلك بعد اعلان الدستور العثماني سنة ١٣٢٦ هـ .

وفي المعرة مركز للبريد والبرق ، ولكني لا أعلم على التحقيق في أية سنة أنشأتهما الحكومة .

وفي سنة ١٢٨٠ هـ دخل البترول ومصابيحه مدينة حلب ، وكانوا يسمونه الكاز أو الغاز ، ويقال لمصباحه لَمْبَة ، ومن عادة المعرة أن تحتذي على مثال حلب في كل شيء ، وكان الناس يخشون من استعماله على صدورهم أن تتأذى برائحته ، ويخافون على أبصارهم من شدة نوره .

ثم اقتصروا عليه ، وهجروا ما كانوا يستصبحون به من الشمع والزيت والشحم ، واستغنوا عن السراج والقنديل والفنار وغيرها من أدوات الاستصباح

وفي (نهر الذهب)[1] في سنة ١٢٨٤ هـ أعلنت الدولة العثمانية النفير العام في بلادها لمحاربة روسيا ، وحشدت عساكر من جميع بلادها ، ومنها المعرة .

---

(١) كامل الغزي : نهر الذهب ٣ : ٤٠٤ .

وفي سنة ١٢٨٦ هـ ألحقت معرة النعمان بولاية حلب وكانت قبلاً ملحقة بولاية دمشق مضافة إلى حماة .

وقد ذهب إليها والي حلب يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول من السنة المذكورة ، فرتب أمورها وطاف في قراها .

وفي سنة ١٢٩٦ هـ أعلنت الحكومة التركية النفير العام في البلاد العثمانية لمحاربة الروس ، وهـــذه الحرب المعروفة بحرب القرم والقريم ، وقد كانت الغلبة فيها للدولة العثمانية وحليفتها انكلترا وفرنسا ، وقد عاد المتطوعون بعد ستة أشهر .

وفي شهر رمضان من سنة ١٣٠٨ هـ كان رجل يحرث أرضاً على مقربة من مزار أو مسجد الشيخ حمدان في شرقي المعرة ، فاستعصت سكة الحرث ، وأخذ يعالج إخراجها ، فوجدها داخلة في طرف حجر كبير منحوت ، فأخبر صاحب الأرض بذلك ، فأخذ يكشف التراب عن هذه الحجر ، فسقطت وسقط معها عدة أحجار مثلها ، وهي كلها مربعة مستطيلة ، طولهـا أكثر من أربعة أمتار ، وعرضها دون المتر ، فكشف عنهـــا التراب ، وأخرج الردم ، فانحسر عن باب من الحجر الأسود

المحفور عليه نقوش وكتابة لم تمكن معرفتها ، وإذا في داخله غرفة كبيرة تحت الأرض منقورة في الصخر ، سقفها وأرضها وجدرها من صخرة واحدة ، وعلى سقف الباب وكثير من الأحجار أنواع من الرسوم ، وفي صدر الغرفة مقابل الباب قبران محفوران في الصخر ، وعن يمين الداخل قبران ، وعن يساره قبران ، كلها منحوتة من صخرة الجدار ، وعلى كل قبر غطاء من الحجر على قدره ، لا زيادة ولا نقص ، وبين الصندوقين المقابلين للباب عمود من الحجر قطعة واحدة مطوق من طرفيه بطوق معدني ، وبقرب العمود كوزان من الحجر ، متصل بعضهما ببعض ، ويقال : إن أصحابها أخرجوا ما في القبور من عاديات وحلي .

وأهل المعرة يسمون القبور المحفورة في الصخور خَشْخاشة ومنهم من يسميها ناووساً إذا كان فيها قبر أو قبران .

وفي أول ذي الحجة سنة ١٣٠٨ هـ عاد إلى المعرة داء الهَيْضَة « الكوليرا » ، وضُرب عليها الحِجْر الصحّي عشرة أيام ، وظل هذا الداء يفتك في البلدة من أول ذي الحجة إلى أواخر صفر

لجهل الناس بمداواته ، وبأسباب التوقي منه ، وجهل الحكومة وقلة عنايتها بذلك .

وفي هذه السنة جمعت أموال من أهل الحمية والغيرة ، ورُمّم المسجد الذي فيه قبر عمر بن عبد العزيز في القرية المسماة بالدير الشرقي من عمل المعرة .

وفي رمضان سنة ١٣١٠ هـ منع قاضي المعرة ابراهيم الصّوفي اللاّذقي الناس من الصعود إلى منارة الجامع الكبير وقت أذان العصر مع المؤذنين ، وكان من العادة أن يصعد إليها فريق من الشباب في ذلك الوقت في رمضان للتسلي ، فحظر عليهم ذلك مدعياً أنهم يشرفون على مقر نسائه في داره القريبة من المسجد فلم يمتنعوا ، وقالوا : لنا أسوة بالمؤذنين ، وفي وسع النساء أن يمكثن في غرفهن حتى ينتهي الأذان ، فأحضر قوة من الجند ، وكان هذا الجند ضبطية ، والعامة تقول ظبطية بمعنى درك في هذا العهد ، ووقفوا على باب المنارة ليقبضوا على غير المؤذنين ، فجعل الناس يلقون بأنفسهم من نوافذ المنارة على سطح السوق المتصل بها من الغرب والجنوب ، حتى ضاقوا ذرعاً بذلك ، وأصيب بعضهم برض أو كسر في رجله ، فثار عليه الناس

وقت الصلاة ، وهموا بالإيقاع به ، فترك الجامع وفر إلى دار الحكومة ، فاحتمى بها وحمته الجنود ، وتبعه الناس إليها ، ولكنهم لم يتمكنوا من ضربه وقتله ، وانما ملؤه سباً وشتماً ، وكنت ممن شهد ذلك وتبعه إلى دار الحكومة .

وفي سنة ١٣١١ ﻫ (١) سعى الشيخ أبو الهدى الصيّادي لدى الحكومة ، فبنى مسجداً وتكية في قرية حيش من عمل المعرة وزعم أن موضعها مرقد لأحد أجداده المسمى علي من آل خزام .

وفي سنة ١٣١٢ ﻫ تفشّى مرض الجدري (٢) في المعرة ، وذهب بعيون كثير من الناس ، وعمى كثيرون بسببه لفقد الأطباء .

وفي سنة ١٣١٤ ﻫ (٣) فرضت الدولة العثمانية على المملكة إعانة ، سمتها إعانة التأسيسات العسكرية ، فأصاب قضاء المعرة (١٧٢٧٥٠) درهماً ، وهذه الاعانة لتستعين بها على حرب اليونان في السنة المذكورة ، وكانت الحكومة تفرض من حين

---

(١) كامل الغزي : نهر الذهب ٣ : ٤٢٣ (ج) .

(٢) في الصحاح للجوهري ١ : ٢٩٥ : والجدري بضم الجيم وفتح الدال والجدري بفتحها لغتان .

(٣) كامل الغزي : نهر الذهب ٣ : ٤٢٧ (ج) .

إلى آخر ضرائب تسميها بأسماء مختلفة ، منها إعانة المعابد الاسلامية وإعانة مهاجري كريد .

وفي سنة ١٣١٥ ﻫ كثر الثلج والبرد في المعرة ، واشتدت وطأته فيها .

وفيها أو في سنة ١٣١٦ ﻫ حدث زلزال عظيم في المعرة ، سقط بسببه بعض الدور ، وبات الناس في قلق عظيم أياماً لتكرر الزلزال فيها ، ولم يحدث ضرر في النفوس .

وفي سنة ١٣١٧ ﻫ قتل أمير من أمراء الموالي يقال له : عزّو قتله الجند ، وكانت وطأته قد اشتدت على الناس ، واستطار شره على القاصية والدانية ، فكان يأتي القرية ، فيأمر شيخها أن يقدّم إليه ما يطلب من ملبس وقهوة وحنطة وشعير وغير ذلك ، فاذا امتنع أو تأخر أصلى القرية ناراً حامية ، وقتل من وقع عليه بصره من انسان أو حيوان ، وقد أرسلت الحكومة قوى متعددة للقبض عليه فلم توفق ، لأنه كان يدبر المكلف بالقبض عليه ويرضيه حتى يدعي أنه لم يره أو لم يجده . ثم تعقبته قوة في قرية الحيصة من عمل حماة ، وأمنه قائدها ، فاستسلم إليه ، فقاده إلى حماة ، حتى إذا كان بالقرب من مكان يقال

له : الدّفاغي ، قتله ورمى بغلاً للجند برصاصة في رجله ، وادعى أنه عصى على الجند وحاربهم ، فأصاب بغلاً لهم فقتلوه ، وهـذا القائد كانت الحكومة أنفذته مع قوة من الجند ، ليقبض على الأمير المذكور في البادية ، فامتنع عن الاستسلام ، ووقعت بينه وبين القائد المذكور معركة شديدة ، انتهت بانهزام القائد وجنده ، وتبعه الأمير ورجاله إلى أبواب حماة ، ولذلك احتال عليه هذه المرة ، وأمنه بواسطة مختار القرية الذي نزل عنده ضيفاً ، فأخبر الحكومة بذلك ، فأرسلت القائد مع جند ، ولكن لباسهم غير لباس الجند ، فهجموا عليه وهو لا يشعر ، وقد كان نزع سلاحه ، فلم يسعه إلا الاستسلام للقوة ، فأمنه القائد ، ثم قتله كما قلنا .

وقد كان قتله راحة لاقليم حماة والمعرة وحلب ، لأنه كان يسلب قراها طوعاً وكرهاً ، ويأخذ أتاوات غير محددة بمقدار أو زمن ، ويستخف بأشراف البلاد وأصحاب القرى ورجالها .

وفي سنة ١٣٢٠ هـ تفشى الهواء الأصفر في دمشق ، فأنبأت حكومة حلب بذلك ، فأرسلت ضابطاً مع قوة من الجند الدّرَك ، إلى كل موضع من حدود ولاية دِمَشْق ، وهي قرية خان

شيخون ، والهبيط ، وقلعة المضيق ، والحمراء ، لتكون تحت إمرة الضابط . ثم فُتح في خان شيخون مَحْجَر صِحّي ، فيه أطباء وأدوات للتبخير والتعقيم ، وفحص من يمر من ولاية دمشق إلى ولاية حلب ، وضرب على بقية القرى المذكورة النطاق الصحي . وفي شهر شباط من السنة المذكورة ذهب هذا المرض من دِمَشْق ، وأزيلت الحواجز والمحاجر من الأماكن المذكورة .

وفي هذه السنةِ عملت الحكومة احصاء للمولودين والمتوفين في ولاية حلب ، فكان عدد المولودين في المعرة ٣٦٦ ، والمتوفين ١٩٠ .

وفي سنة ١٣٢٣ هـ فرضت الحكومة ضريبة جديدة اسمها ويركو شخصي ، فطرحت على كل رجل بالغ مقداراً من المال ، بقدر يُسْره وعسره ، على أن لا تقل عن خمسة عشر قرشاً في السنة إلى مائتين .

وفرضت على كل موظف في أعمالها ، أن يحسم عن كل سنة مقدار راتب يومين ، إن كان راتبه لا يتجاوز خمسمائة قرش ، فان تجاوز يحسم مقدار راتب أربعة وعشرين يوماً ، فامتنع أهل أرض الروم عن دفعها ، وهجموا على الوالي وأهانوه ،

فخافت الحكومة أن يستشري الشغب ، ويعم البلاد كلها ، فأصدرت أمراً بابطال هذا المكس .

وفي هذه السنة ١٣٢٣ ﻫ اتفقت الحكومة العثمانية ، وشركة سكة حديد حماة وحلب [1] ، التي شرعت في مد الخط الحديدي ما بين حماة وحلب ، على أن تدفع الحكومة ثلاثة عشر ألف فرنك وستمائة وستة وستين فرنكا ، باسم تأمينات عن كل كيلو متر ، والمسافة ١٤٣ كيلو متراً .

وفي هذه السنة اشتدت وطأة الجراد في المعرة وغيرها من أعمال حلب .

وفي سنة ١٣٢٤ ﻫ تم مد الخط الحديدي بين حلب وحماة ، واحتفلت الحكومة بذلك في محطة حلب في ١٦ شعبان من السنة المذكورة ، وقد ذهب هذا الخط من حماة إلى حلب في البادية ولم يمر بالمعرة لأسباب كثيرة ، من أعظمها : جهل الحكومة بما هو أصلح لها وأنفع لبلادها ، ومنها : أن الخط في هذا الطريق يمر على قرية لأخي أبي الهدى الصيّادي ، وقرى لبعض

(١) انظر تفصيل ذلك في نهر الذهب لكامل الغزي ٣ : ٤٦٣ ، ٤٦٤ .

أعيان حماة والمعرة وحلب ، ولو مر بالمعرة لأبعد عن تلك القرى ، وحرم أصحابها الفائدة التي يتوقعونها من مروره ، مع أن الفرق بين الطريقين قليل من حيث المسافة ، ولو مر بالمعرة لمر على قرى كثيرة ومزارع متعددة ، وأحيا هـذه المدينة ، وجعلها من أمهات المدن الشامية .

وفي سنة ١٣٢٦ ه أعلن الدستور العثماني .

وفي سنة ١٣٢٧ ه في السابع من شهر ربيع الأول خلع السلطان عبد الحميد الثاني ، وخلفه أخوه محمـد رشاد . وابتهج الناس وظنوا أنهم خلصوا من جور عبد الحميد وعماله ولكنهم لم يلبثوا أن بكوا على عبد الحميد وأيامه ، لأنهم رأوا في كل موظف اتحادي ألف عبد الحميد .

وقد أصاب المعرة نصيب وافر من عَسف الاتحاديين وافتنانهم في النهب والسلب باسم الحكومة أو بطريق آخر .

وفي سنة ١٣٢٩ ه اشتدت وطأة الثلج في المعرة وغيرها حتى وقف القطار عن السير بين حلب ودِمَشْق ، وسدت الطرق بين البلاد ، وارتفعت أسعار الوقود من الحطب والفحم ، ومات كثيرون من المسافرين في الطرق ، ودام ذلك أكثر من شهر

وزعم بعض المؤرخين أن نهر العاصي جمد على مقدار أربعة أذرع من جانبيه ، وأن الفرات جمد كله من بعض جهاته ، وأن كثيراً من الأعمدة الحجرية والحجارة والرُّخام في المساجد والآنية الزُّجاجية في البيوت تصدعت وتحطمت ، وأن البقول والخضراوات وأشجار التين والجَوْز والزَّيتون والرُّمان أتلفه الصقيع في كثير من الأماكن .

وفيها شبّت الحرب بين إيطاليا والدولة العثمانية ، وانتهت سنة ١٣٣٠ ﻫ باستيلاء إيطاليا على طَرَابُلُس الغرب ، وجزيرة رُودِس [١] ، وغيرها من جزر بحر إيجه .

وفي سنة ١٣٣٠ ﻫ ابتدأت حرب البلقان بين تركيا ودول البلقان : بلغاريا والصرب واليونان . ولم يبق لتركيا في البلقان إلا أدرنة وقرق كليسا .

وقد حشدت تركيا جيشاً كبيراً من أبناء العرب في البلاد الشامية ، وكان لأبناء المعرة حظ وافر من ذلك ، وقد أصابوا

---

(١) في معجم البلدان لياقوت ٢ : ٨٣٢ : رودس قال القاضي عياض : هو بضم أوله ضبطناه عن الصدفي والأسدي وغيرهما الا أن الخشني والتميمي فانه عندهما بفتح الراء ولم يختلفوا في الدال أنها مكسورة .

عناء كبيراً من المشاق من تعب وبرد وجوع ، وزادهم ضِغْثاً على إبّالة ما كانوا يرونه من الضباط والأمراء من الإهانة والقَسْوة والغِلْظة .

وفي سنة ١٣٣١ هـ سمحت الحكومة بأن تقبل الرفيعة (الاستدعاء) باللغة العربية في البلاد التي يكون أكثر أهلها عرباً ، وكذلك سمحت بالتدريس باللغة العربية في المكاتب التي في البلاد العربية .

وفيها صدر أمر بجعل الساعات على الزوال ، بدلاً من الغروب ، أي جعل الزوال مبدأً للتوقيت في جميع البلاد .

وفيها شرعت الحكومة تجد بجمع إعانة الأُسْطُول في سائر بلاد الدولة العثمانية .

وفي ١٠ رمضان سنة ١٣٣٢ هـ الموافق ٢١ تموز سنة ١٩١٤ ميلادية أعلنت في حلب وملحقاتها الحرب العامة ، واشتركت الحكومة العثمانية فيها ، فكان نصيب المعرة من سوْق أهلها للجندية والاستيلاء على أرزاقهم وغلاتهم ، باسم الاعاشة والاعانة المختلفة الألوان ، نصيبَ بقية الأمصار الشامية ، وأصاب أهلها من الجوع والضغط والحميات وما شاكلها ما أصاب غيرها في

ذلك العهد ، وقد بلغني أن كثيراً من الأسر الكريمة في المعرة لم تطل أيديهم إلى خبز الشعير ، فكانوا يعيشون مما تنبته الأرض من البقول والنبات في الربيع ، ويدخرون منه للشتاء ، وكثير مَن ذهب ضحية الفقر والجوع .

وفي ١٢ رمضان أُعلنت الإدارة العرفية في حلب وملحقاتها وفي هذا الشهر بدأت الحكومة بأخذ الأموال من التجار ، باسم التكاليف الحربية بالقيمة التي تقدرها لجنة تسمى لجنة المبايعة ألفت لهذا الغرض ، فكانت تقدر قيمة البضاعة وتأخذها وتعطي صاحبها مضبطة بقيمتها ، على أن تدفع له بعد مدة غير معلومة . وكانت الضباط تطوف على مخازن التجار وتكتب ما عند كل واحد من بضاعة أو غلة لئلا يخفيها أو يبيعها .

وفي سنة ١٣٣٣ ﻫ وصل الورق النقدي العثماني المسمى بانق نوت ، ووضع موضع التداول بين الناس ، بدلاً من النقود المعدنية ، فأقبل الناس على تداوله ، ثم امتنعت إدارة حصر الدخان عن قبوله ، وكلفت الحكومة التجار أن تبدله بالذهب فأدى ذلك إلى هبوط قيمته ، حتى بيعت الورقة في آخر الحرب بأقل من عشر قيمتها .

وفيها فرضت الحكومة ضريبة سمتها إعانة نقدية ، باسم الكسوة الشتوية للجند ، واستمر جمعها إلى نهاية الحرب .

وفيها أجلت الحكومة العثمانية الأرمن عن بلادهم ، وفرقتهم على البلاد السورية ، وأقام في المعرة منهم فريق عظيم ، وادعوا الاسلام ، فلما وضعت الحرب أوزارها ارتدوا إلى دينهم الأول .

وفي رجب سنة ١٣٣٤ هـ ومايس سنة ١٩١٦ م خنقت الحكومة العثمانية واحداً وعشرين رجلاً من زعماء الجمعية اللامركزية التي عقدت في باريس قبل أربعة أعوام مؤتمراً عربياً ، غايته إعطاء البلاد السورية الحكم اللامركزي تحت سيادة الدولة العثمانية ، قتلت منهم شنقاً أربعة عشر رجلاً في بَيْرُوت ، وسبعة في دِمَشْق .

وفي سنة ١٣٣٤ هـ ثار على الحكومة العثمانية الشريف حسين بن الشريف علي ، واستولى على مكة المكرمة ، وجُدَّة ، والطائف ، ويَنْبُع ، وطرد الجيوش التركية منها .

وفيها شرعت الحكومة العثمانية باجلاء بعض الأُسر الكريمة من دِمَشْق ، من أقرباء زعماء الجمعية اللامركزية الذين خنقتهم شنقاً .

وفي سنة ١٣٣٥ هـ في اليوم السادس من المحرم نودي في مكة والبلاد الحجازية بأن الشريف حسين أمير مكة ، أصبح ملكاً على البلاد العربية العثمانية .

وفيها أقر مجلس النواب العثماني توحيد أوائل الأشهر الشمسية الشرقية والغربيـــة ، فاعتبر رأس السنة الشمسية الشرقية أول شهر كانون الثاني أسوة بالغربيين ، إلا أنه أبقى عدد السنين كما كان ، واعتبر أول سنة ١٣٣٣ الشرقية ابتداء من كانون الثاني ، واسقط ثلاثة عشر يوماً من كانون الأول ، وهي الفرق بين السنة الغربية والشرقية .

وبعد خروج العثمانيين من بلاد الشام ، جرت الحكومة العربية التي خلفتها على التاريخ الغربي الميلادي .

وفيها أصدرت الحكومة قانوناً ، يقضي بإلصاق طوابع على علب الكبريت (الثقّاب) ودفاتر ورق السيكارة .

وقد قل المطر في هذه السنة أي سنة ١٣٣٥ هـ وخاف الناس من القَحْط والجَدْب ، ويئسوا من حياة الزرع ، فارتفعت أسعار القمح إلى درجة غير متوقعة ، وأعظم الأماكن التي كان

فيها المَحْل جهة الأَحصّ وقضاء المعرة . وكانت أواخر هذه السنة وأوائل السنة التي تليها أشد أيام الحرب على الفقراء حتى أنهم كانوا يقتاتون من الحشيش ، فيسلقونه ويأكلونه كما كانوا يأكلون قشور الفواكه والبقول وكل ما تنبت الأرض .

وكان تجار الحنطة والطحانون والخبازون ، يخلطون دقيق البُرّ بدقيق الشعير والذُّرَة البيضاء والصفراء والتُّرْمُس والنُّخَالة والترابُ والرماد وبزر المكانس وما أمكن خلطه، ويبيعون الخبز بأسعار باهظة وهو غير ناضج . وكان الجزارون يخلطون لحوم الحمير ونحوها بلحوم الغنم والبقر .

وكانت الأزقة والمنازل تعج بالأنين والبكاء من الجوع من الاطفال والكهول والشيوخ ، وكانت بعض الطرق تغص بالموتى من الجوع ، يجري هذا كله والتجار والمحتكرون يحملون قلوباً كالحجارة ، بل هي أشد قسوة ، فلا ترثي لشاك ، ولا ترق لباك ، ورجال الحكومة شركاء المحتكرين في القَسْوَة ، وشركاؤهم أيضاً في طلب السعادة من شَقْوة الناس ، والتماس الشبع من جوعهم ، فيتعامون عن هذه المشاهد المؤلمة ، ويتصامّون عن سماع تلك الأنات المحزنة .

وبمثل هذه الفصول الموجعة المخزية ابتدأت هذه الحرب ، وبمثلها اختتمت ووضعت أوزارها ، وبمثلها مرّ ما مرّ من الأيام السود بين أولها وآخرها ، وبمثلها انتهت أيام الدولة العثمانية .

وقد قوض الله دعائم هذه الدولة الجائرة ، وطوى سجل أعمالها على مثل المخازي التي دونت في أول صحيفة من حياتها .

وفي سنة ١٣٣٦ ه اشتد الغلاء والقحط على ما ذكرنا ، وزاد على ما كان في السنة السابقة .

وفي هذه السنة في ٢٤ رمضان توفي السلطان محمد رشاد الخامس ، وتبوأ السلطان محمد وحيد الدين عرش السلطنة العثمانية بدلاً منه .

وفي اليوم الثاني من المحرم سنة ١٣٣٧ ه استولت على دمشق عرب الشريف حسين ، الذين هم مقدمة جيش بريطانيا ودخل الجيش البريطاني والعربي أول تشرين الأول سنة ١٩١٨ م ، وقد رحل عنها معظم رجال التُّرْك من موظفين وعسكريين قبل ذلك .

وفي اليوم العشرين من المحرم دخل الجيش العربي مدينة حلب يرأسه الشريف مطر نائب الشريف فيصل ونزل في دار الحكومة ، وتيقن الناس أن ظل الحكومة التركية تقلص عن بلاد الشام .

وفي يوم ٢١ منه وصلت إلى حلب الجنود الانكليزية ، على اختلاف أنواعها من فرسان ومشاة ، واختلاف أديانها وأنواعها . وقد مر العرب والانكليز بالمعرة في طريقهم إلى حلب .

وفي يوم الثاني والعشرين منه وصل إلى حلب الشريف ناصر وكيل الشريف فيصل ، وبعد وصوله بيومين ألف مجلس شورى لينتخب الدرك والشرطة أولاً ، ثم ينتخب موظفين لأعمال الحكومة ، وكان عدد أعضائه اثني عشر عضواً فانتخبوا كامل باشا القدسي رئيساً لهم ، ثم انتخبوا الموظفين.

ثم عين شكري باشا الأيوبي حاكماً عسكرياً على حلب من قبل حكومة دمشق ، وعين كامل باشا القدسي قائداً عاماً وحاجباً فخرياً لملك العرب .

وفي اليوم السادس من صفر وصل الأمير فيصل إلى حلب ، ومعه الوفد الذي صحبه من دمشق ، والوفد الذي ذهب إلى حماة لاستقباله .

وأول شيء فعله هو حل مجلس الشورى ، لما بلغه عنه من سوء إدارته ، وأمر أن تؤلف لجنة من كبار الموظفين في الحكومة .

وفي اليوم الثامن منه حضر فيصل في موكب حافل إلى نادي العرب ، فجلس في مكان أعد له فيه ، وصار الناس يتقدمون إليه زمرة بعد زمرة ، يبايعون أباه على أن يكون ملكا للعرب .

ثم بعد أن أخذ البيعة لأبيه ، قام إلى مكان آخر أعدّ له ، وسمع أقوال الشعراء والخطباء ، ثم خطب في الجمع خطبة ذكر فيها ما وقع بين والده وبين الترك ، وذكر الأسباب التي ألجأته إلى الخروج عليهم ، وما وقع بينه وبين دول الغرب من المحالفات والعهود ، وما حدث منهم من المساعدات المادية والمعنوية ، ثم حضّ على التمسك بأهداب الوحدة

والمحافظة على الاستقلال ، وطلب منهم أن يعنوا بحفظ الأمن وترقية المعارف ، وكانت هذه الخُطْبَة جامعة لكل ما ينوي عمله من وجوه الاصلاح ، ومن الوسائل التي تحفظ استقلال الأمة وتعلي شأنها بين الأمم .

وفي اليوم العاشر من صفر وردت إلى فيصل برقية تقضي بشخوصه إلى مكة المكرمة ، ليقابل والده فيها ، ثم يذهب إلى باريس ليمثله في مذاكرات الصلح ، فذهب فوراً .

وفي ٢٩ رجب من سنة ١٣٣٧ ﻫ و ١٩ نيسان سنة ١٩١٩ م عاد من أوروبا ، فوصل إلى بَيْروت في اليوم المذكور ، وشخص إلى دِمَشْق .

وفي يوم ١٢ رمضان وصل إلى حلب الأمير فيصل قادماً من دمشق في القطار ، ونزل في الدار المعـــدة لنزوله في محلة العزيزية .

وفي اليوم التالي أقام له نادي العرب حفلة حضرها الجمّ الغفير من الحلبيين ، وألقى خطاباً أشار فيه إلى أن الحلفاء الظافرين أرسلوا لجنة لتبحث عن رغائب السوريين في نوع

الحكم الذي يريدونه ، بعد جلاء الترك عن بلادهم ، وحضهم على التآلف والتكاتف ، والابتعاد عن كل ما يدعو إلى تفريق الكلمة ، والتمسك بالعروبة ، وتوحيد الكلمة والرأي ، ثم عاد إلى دِمَشْق .

وقد وصلت برقية من المارشال أللنبي ، يقول فيها : تصل إلى الشرق عما قريب اللجنة التي تبحث في الأمور المتعلقة بمستقبل سورية وفِلَسْطين والعزاق السياسي ، وذلك بعد أن يكون المندوبون الأمريكيون قد تحقق سفرهم إلى هذه الأقطار وعندما تنتهي هذه اللجنة من فحص الحقائق المتعلقة بهذا الشأن يقدّم أعضاؤها رأيهم إلى مجلس الدول المتحالفة العظمى ، فيقرر المجلس الأمر تقريراً نهائياً .

وفي اليوم السادس عشر من رمضان اجتمع في دار الحكومة في حلب المنتخبون الثانويون ، وانتخبوا أعضاء ليمثلوا حلب وملحقاتها في المجلس العمومي ، والمؤتمر السوري الذي تقرر اجتماعه في دمشق .

وفي اليوم التاسع من شوال دعا الأمير فيصل أعضاء المؤتمر

السوري إلى النادي العربي في دِمَشْق ، ولما اجتمع الأعضاء خطب فيهم خطبة بيّن فيها أن الغرض من اجتماع المؤتمر تمثيل الامة السورية أمام اللجنة الامريكية ، وإيضاح مطالب السوريين لتقدمه اللجنة إلى مؤتمر السلام ، ووضع قانون أساسي يكون دستوراً لأعمال الأمة في المستقبل .

وبعد مدة يسيرة اجتمع أعضاء المؤتمر وقرروا أن يكون جوابهم واحداً إلى اللجنة الامريكية ، وهو عبارة عن طلب الاستقلال التام لسورية بجميع حدودها الطبيعية المعروفة وعدم تجزئتها ، ورفض كل حماية ووصاية عليها ، ومنع الهجرة الصهيونية ، وإقامة حكومة دستورية ديمقراطية يرأسها الأمير فيصل ، ووضع قانون أساسي تُراعى فيه حقوق الأقليات .

وإذا لم يكن بد من انتداب دولة على سورية لأسرار لا ندرك غايَتها ، فلتكن هذه المساعدة من دولة أميركا البعيدة عن المطامع الاستعمارية بشروط معينة ، على أن لا تمس هذه المساعدة استقلال سورية السياسي ، بل تكون عبارة عن مساعدة فنية علمية لمدة عشرين سنة ، وإذا أبت امريكا ذلك

فلتكن هذه المساعدة من انكلترا بالشروط المتقدمة ، واننا نرفض كل حق تدعيه دولة فرانسة ، كما نرفض كل مساعدة تقدمها لسورية ، ولم يكن قرارهم هذا عن اجماع ، بل أقره ٤٦ عضواً وخالف فيه ١١ عضواً ، وعُدّ ١٦ عضواً مستنكفين .

وفي ليلة ١٦ شوال سنة ١٣٣٧ ﻫ وصل أعضاء اللجنة الأمريكية الى حلب بالقطار .

وفي صباح يوم ١٧ منه أخذ شيوخ العشائر ووجهاء المحلات في حلب ووجهاء الأقضية يفدون على اللجنة على سبيل الانفراد ، فتسألهم عن مصير بلادهم ، فكان كل واحد يصرح بما يطلبه، وكانت مطالب هؤلاء لاتخالف ما قرره المؤتمر السوري.

وفي شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٧ ﻫ سافر فيصل الى أوروبا ، ليحضر في باريس اليوم السادس عشر من ايلول سنة ١٩١٩ م ، وهو اليوم الذي عين لتبحث فيه المسائل السورية .

وفي شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٨ ﻫ انسحب الجيش الانكليزي من دِمَشْق وحلب ، وأصبحت محافظة الأمن منوطة بالحامية الوطنية المتطوعة ، الى أن يقرر مصير البلاد في مؤتمر الصلح الدولي .

وفي اليوم الثالث والعشرين من شهر ربيع الثاني من سنة ١٣٣٨ هـ عاد الأمير فيصل الى بيروت ، فدِمَشْق .

وفي اليوم التاسع من جمادى الأولى سنة ١٣٣٨ هـ وصل الى حلب في قطار خاص ، وفي اليوم العاشر ألقى خطاباً في حفلة أقيمت له في نادي العرب حض فيها على توحيد الكلمة والتجنيد ، وقال فيها : إن البلاد لا تتخلص إلا بقدرة الله وقوة التجنيد ، وان الجند حرس الاستقلال ، ثم عاد في اليوم العاشر الى دمشق .

وفي جمادى الأولى من هذه السنة ، عين عبد الحميد باشا القَلْطَقْجي حاكما عسكرياً على حلب ، وأحدثت فيها متصرفية مستقلة ، ثم بعد قليل عادت حلب ولاية كما كانت في السابق .

وفي الثامن عشر من جمادى الآخرة من سنة ١٣٣٨ هـ والموافق ٨ آذار سنة ١٩٢٠ م أعلن استقلال سورية ، وتوج الملك فيصل بن الحسين ملكاً عليها ، وأخذت وفود المهنئين من البلدان السورية تفد على دِمَشْق ، وكان المؤتمر السوري قد قرر إعلان ملكية فيصل .

وفي اليوم العشرين من رجب سنة ١٣٣٨ هـ عين رَشيد طَليع والياً على حلب .

وبعد مبايعة الملك فيصل شرعت الحكومة السورية تدعو إلى التجنيد ، وأخذت تزيد الضرائب .

ومنذ شعر السوريون أن الحكومة الافرنسية ستتولى الانتداب على جميع سورية ، كما تولته على لبنان ، وعلى المنطقة الشرقية من سورية ، تألفت في هذه المنطقة عصابات ، واستفحل أمرها ، حتى جهز الافرنسيون جيشاً عظيماً لتفريقها ، ولم تخمد ثورتها إلا بعد عناء وجهد .

ثم انتشرت العصابات في جميع الحدود السورية ، فأقلق ذلك الافرنسيين ، وارتابوا في الملك فيصل ، واعتقدوا أن ذلك من تدبيره وعمله ، وكان الجنرال غورو المفوض للجمهورية الافرنسية بلبنان يعزز جيوشه في الساحل ، ويعد العدد للانقضاض على سورية .

ثم أرسل في ١١ تموز سنة ١٩٢٠ م إلى فيصل كتاباً يقول فيه : كانت السكينة سائدة في سورية أثناء الاحتلال الانكليزي ، فلما حلت جيوشنا محل الجيوش البريطانية ، ابتدأ الفساد ، ولا يزال آخذا في الازدياد

وفي ١٤ تموز أرسل إلى الملك فيصل بلاغاً يكلفه فيه أن يعطي فرنسا الخط الحديدي من رياق إلى حلب ، وأن تلغي الحكومة السورية القُرْعَة العسكرية ، وأن يقبل الانتداب الافرنسي والنقود السورية ، ويضرب على أيدي الاشقياء ، فطلب منه فيصل أن يمهله أربعاً وعشرين ساعة ، فلما انقضت مدّدت أربعاً وعشرين ساعة أخرى ، ثم مددت مرة ثانية ، ولم يجب لانقطاع الاسلاك البرقية ، وأكثر الناس يقولون : إن مدير البرق والبريد أخر إرسال جواب فيصل عمداً لغرض في نفسه ؛ وكان الجنرال غورو أتم تأهبه واستعداده ، فسار بجيوشه إلى دِمَشْق ، والتقى الجيش الافرنسي والجيش العربي في ميسلون ، وكان مع الجند العربي فئة من متطوعة دمشق وجماعة من البدو ، فكانت الغلبة للجيش الافرنسي ، لوفرة عدده وعدده ، ووحدة قيادته وحسن تدريبه ، ولأن جيش فيصل كان مؤلفاً من أخلاط أكثرهم كان قلبه مع الافرنسيين.

ويقال : إن الجنرال غورو أعلم الملك فيصلا بأنه يتوقف عن الزحف ، إذا قبل بالمواد التي ذكرها في البلاغ. والانذار

الذي أرسله إليه مع شروط أضافها إلى ذلك ، فتأخر جواب الملك ، فزحفت الجيوش الافرنسية ، ودخلت دمشق في اليوم الخامس والعشرين من تموز سنة ١٩٢٠ م بعد معركة شديدة قتل فيها من الجيش العربي والمتطوعين عدد عظيم ، وأسر عدد كبير.

هـذا ما حدث في جهات دِمَشْق ، أما ما كان في حلب فقد جاء أمر من قائد الجيوش في دمشق إلى قائد الجيش في حلب بأن يستعد إلى مقاومة الجيوش الافرنسية ، فأخذ يعد جيشاً من الجند الوطني واستطاع أن يضم إليه بضع مئات منه واستدعت الفئة القائمة على الأمر بعضاً من الأعراب واستنفرت العامة ، فخرج فريق منهم إلى الثُّكْنَة العسكرية وطلبوا من القائد السلاح فلم يعطهم ، وطلب الجند عدداً من المدافع فقال لهم : ان المدافع التي في الثكنة مختلة لا تصلح للاستعمال .

ثم ورد أمر من القائد العام في دمشق إلى قائد حلب بالتسليم وعدم مقاومة الافرنسيين ، ثم جاء أمر بمقاومة الافرنسيين .

ولما رأت حكومة حلب هذا التناقض ، وتيقنت عجز الأمة عن المقاومة عقدت مجلساً مؤلفاً من وجهاء حلب ، واستشارتهم

في ما يجب أن يفعلوا ، فاختلفت الآراء بقدر اختلاف العقول والمدارك ، ثم رأى كامل باشا القدسي ان محاربة الافرنسيين تضر البلاد ولا تنفعها ولا توصل الأمة إلى غايتها المطلوبة ولما كان من رجال العسكرية وأمرائها ، وكان عالماً بما عند الأمة من عَدد وعُدد أجمع الناس على قبول رأيه ، وقرروا التسليم للجيش الافرنسي عن طوع ورضى .

وقبل أن يصل الجيش الافرنسي إلى مدينة حلب ، حلقت فوقها طائرة افرنسية وألقت نسخاً من منشوز باللغة العربية ، جاء فيه : ان دولة فرانسة لا تتعرض إلى استقلالكم بسوء ، ولا تدعو أحـــداً منكم إلى الجندية ، وانها ستخفف عنكم الضرائب وتبقي كل موظف منكم في عمله .

وان مقاومة جيشها بالقوة يضر بالمدينة وأهلها ويضطر الجيش الافرنسي إلى أعمال لا تحمد مغبتها ، والمنشور والبيان طويل طافح بالوعد والوعيد .

وفي صباح الجمعة وهو اليوم الثامن من ذي القعدة سنة ١٣٣٨ هـ الموافق ٢٣ تموز سنة ١٩٢٠ م دخل الجيش الافرنسي مدينة حلب ، واحتل المراكز التي أرادها في أطراف المدينة ،

ثم جرى احتفال عظيم بقدوم الجنرال دي لاموط قائد الجيش الافرنسي في المنطقة السورية الشمالية ، ثم زار مقر الولاية ، وألقى خطاباً قال فيه : إن فرانسة وجيوشها لم تدخل هذه البلاد بصورة عدائية لأهلها ، وليست غايتها الاستيلاء على البلاد واستعمارها ، بل إن الواجب الوطني هو الذي ألقى على عاتقها لترقية البلاد واسعادها ، وابلاغها الدرجة القصوى من الرقي والعمران . وعلى هذا فان الحكومة ستبقى على ما هي عليه محافظة على شكلها وموظفيها وقوانينها وأحكامها ، وان جميع الضباط والقوات الافرنسية يحترمون هذه الاحكام والقوانين وسيكونون مؤيدين لتنفيذ أوامر الحكومة وأحكامها . ثم طلب من رؤساء الاديان والاعيان والاهلين دوام الالفة والمحبة واطاعة الحكومة ، لانهم يكونون سعداء بذلك ، لا سيما إذا تحققت أمانيهم ورأوا بلادهم سعيدة حرة مستقلة .

وفي اليوم التاسع عشر من ذي القعدة سنة ١٣٣٨ هـ الموافق ٣ آب سنة ١٩٢٠ م عين كامل باشا القدسي الحلبي والياً على حلب .

وفي اليوم العشرين من حزيران سنة ١٩٢١ م أعلن الجنرال غورو في دِمَشْق أساس الوحدة السورية ، بانشاء مجلس اتحاد لها يتألف من دولة دمشق وحلب والعلويين ، أعضاؤه خمسة عشر عضواً ، من كل دولة خمسة ، والاعضاء يختارون منهم رئيساً . وقد عين صبحي بركات الخالدي رئيساً ، واختار لدوائر الاتحاد جماعة من الاتراك والارمن والروم مع العرب ، فاستاء الوطنيون لذلك .

واجتمع هذا المجلس في السنة الاولى في حلب ، ثم نقل إلى دمشق ، وبقي فيها إلى انتهاء حياته .

وفي يوم ٢٦ حزيران سنة ١٩٢٤ م و ٤ ذي القعدة سنة ١٣٤٢ ﻫ أعلن المفوض السامي الجنرال ويغاند في دمشق الوحدة السورية ، وتأليف الدولة العربية السورية من حكومتي دمشق وحلب فقط ، واخرج بذلك دولة العلويين ودولة جبل الدروز ودولة لبنان .

وفي اليوم الاول من كانون الثاني سنة ١٩٢٥ م الموافق سنة ١٣٤٣ ﻫ أعلنت الوحدة بين دمشق وحلب فقط ، وعينت

الوزارة برآسة صبحي بركات الخالدي ، على أن لا تسأل وزارته أمام مجلس النواب ، وتستمد قوتهـــا من المفوض السامي ويكون للمستشارين الكلمة النافذة في كل أمر .

وفي حزيران سنة ١٩٤١ م الموافق جمـــادى الاولى سنة ١٣٦٠ هـ دخل الجيش الانكليزي مدينــــة دِمَشْق بعد حرب مع الجيش الافرنسي الذي كان في بلاد سورية ولبنان، ثم طلب المفوض السامي للجمهورية الافرنسية في سورية ولبنان والقائد الاعلى لجيوش الشرق فيها الهدنة ووقف القتال إلى أن يتم الصلح ، فوقف ، وانتهت المصالحة بين الفريقين ، واستولى الجيش الانكليزي على الثكنات والقِلاع والمَسَالِح ، ودخل مدينة حلب في الساعة ١٢/١٥ من يوم الاربعاء الموافق ١٦ تموز سنة ١٩٤١ م و ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣٦٠ هـ من طريق مَنْبِج ، وطريق المعرة .

وفي سنة ١٣٦٩ هـ يبس أكثر شجر الزيتون والتين واللوز وغيرها في المعرة وحلب وإدلب وكثير من البلاد الشامية ، وذلك بسبب الصقيع ويقدر عدد الشجر الذي يبس في هذه البلاد بألوف الاولوف .

وكانت التجار تنقل حطب الزيتون من حلب والمعرة وإدلب

وغيرها إلى حماة وحِمْص ودِمَشْق وغيرها . ولم يعهد الناس مثل هذه المصيبة في الشجر .

ومما تقدم يتضح أن المعرة كانت حين الفتح الاسلامي من عمل حِمْص ولذلك أضيفت إليه . ثم جعلها الرشيد من العَواصِم بعد أن استخلف سنة ١٧٠ هـ . والظاهر أنها أعيدت إلى حمص ، لأن واليها لؤلؤاً كان غلاماً لوصيف بن صور اتكين ، وبنى خندقاً عليها سنة ٢٨٨ هـ .

ثم استولى عليها سيف الدولة سنة ٣٣٣ هـ ، فصارت تابعة لحلب ، ثم تغلب بنو مِرْداس عليها .

ثم تغلب عليها الفرنجة سنة ٤٩٢ هـ .

ثم استخلصها عماد الدين زَنْكي سنة ٥٢٩ هـ ثم ملكها سنة ٥٣١ هـ .

ثم جعلها صلاح الدين من اقطاع ابن أخيه تقي الدين عمر وألحقها بحماة سنة ٥٨٢ هـ .

ثم ملكها الحلبيون سنة ٦٣٥ هـ ، ثم أعيدت إلى ملك حماة المظفر سنة ٦٥٨ هـ .

ثم استولى عليها التتر سنة ٦٩٩ هـ ، ثم عادت إلى ملك حماة أبي الفداء سنة ٧١٠ هـ .

وظلت حينا من الزمن من عمل حماة. قال ابن فضل الله العمري في حماة : وليس لها سوى عملين عمل بارين وعمل المعرة ، ونقله عنه ابن الشِّحْنة (١) في (الدرّ المنتخب) .

ثم صارت من عمل حلب في أخريات العهد التركي ، [ثم صارت من مناطق محافظة ادلب]، ولم تزل كذلك إلى هذا اليوم .

---

(١) قال ابن الشحنة في الدر المنتخب ص ١١ : وحماة اليوم منفردة بعمل لكنها كانت من مضافات حلب قديماً ومضاف إليها المعرة وقرى كثيرة من بلد المعرة .

المعرّة بعد جلاء الترك

كيف ترك الترك المعرة :

اتضح لنا مما سبق ذكره أن المعرة من أكثر البلاد الشامية مصائب ونوائب ، من الغزاة والفاتحين والمتغلبين والمناهبين ، والطبيعة القاسية ، وأنها أكثرها صبراً على النوائب ، وأشدها محاسنة للزمن الجائر ، وأنها خربت مراراً وعمرت ، ونزح أهلها عنها حيناً من الزمن وعادوا إليها ، وأن أفظع ما لقيته من الكوارث من الصليبيين ، ثم من التتر ، ولكنها استطاعت بعد ذلك أن تستعيد نضرتها وعمرانها ، وأن تظل مدينة جليلة ، كما وصفها المؤرخون وأصحاب الرّحل .

ولما استولت عليها الدولة العثمانية ، كانت تباع بيع السلع للمولّين من قبل الحكومة ، أو تعطى لقاء فريضة مقطوعة لمتغلب . وقد ضن علينا التاريخ بمعرفة حالتها في أول الحكم العثماني ، ولكننا لم يفتنا معرفة آخره .

فقد كانت المعرة في ذلك العهد مركز قضاء ، فيه حاكم إداري يسمى : قائم مقام ، وقاض شرعي يشرف على أعمال المحكمة القانونية ، ثم جعل فيها حاكم مدني غير القاضي يحكم بالقانون المدني وتتألف المحكمة التي يرأسها من عضوين ، وقد تغير شكل الحكام المدنيين والمحاكم المدنية أكثر من مرة . وكان الأمر كله بيد الحاكم الإداري ، فان كان حسن السيرة ، كان ضعيف الارادة ، ولقي من المتغلبين من أهلها ضروباً من الكيد والمعاكسة ، ثم لا يزالون يشكون أمره ، ويفترون عليه لحكومة حلب التي لا تعدم أنصاراً لهم منها ينعمون بما يبذلونه إليهم من الأموال التي يبتزونها من الفقراء ، حتى يستبدلوه بغيره ، فان كان مثل الأول صار إلى مثل ما صار إليه ، وان كان على غير هذه الشاكلة وضع يده في أيديهم ووافق شن طبقة على السلب والنهب والعسف والتعذيب ، لامتصاص دم الأمة فيها ، وهي تستغيث بحكومة حلب وبحكومة الاستانة (١) أحياناً

(١) هي إستانبول وقد ذكرها شمس الدين سامي في معجميه قاموس الأعلام وقاموس تركي بمادة استانبول ولم نعثر فيهما على مادة استانة .

فلا نجد سامعاً ولا مجيباً ، ذلك لأن هذا العامل من بِطانة والي حلب ، أو من خاصة وزير في الاستانة ، أو خاصة موظف كبير في حلب أو الاستانة ، وكان أكثر الموظفين يحرش بين أعيان المدينة وكبرائها ، ويوقع بينهم البغضاء ، فيمالىء فريقاً على آخر ، ليضعفه ويستنزِف ماله ، ثم ينقلب على الآخر فلا تزال الفتن متقدة بين الأهلين ، ولكل فريق أنصار في حكومة المعرة وحلب أو الاستانة ، فيقدم لها بالجملة ما ينهبه من الناس بالمفرق . وكثير من هؤلاء الحكام من تولى هـذا القضاء ، وهو صفر الوِطاب ، فارغ الجِراب ، فانقلب عنه بعد برهة ، وهو أغنى من كنز ، وأخصب من روضة ، بعد أن يكون أدى ما فرض عليه لموليه ، وقدم من الهدايا والتقادم لرؤسائه ، ومن يخاف شرهم من أعوانهم ، ما يقيه شرهم ، ويضمن له رضاهم وحمايته ومناصرته .

وكذلك شأن القاضي وغيره من رجال الحكومة ، يأتي أحدهم أشعث أغبر بالي السِربال ، فلا يلبث أن ينقلب على أرائك النعيم والترف من أموال الفقراء ، وينفق الاموال الجزيلة في سبيل شهواته وملاذه .

وكثيراً ما مالأ هؤلاء العمال الاغنياء والاعيان ، على أكل مال الضعيف ، واغتصاب ما يملكه من عقار أو أرض .

وقد رأيت كثيراً من فقراء المعرة ورجال الطبقة الدنيا فيها تذرعوا بوسائل مختلفة ، حتى أصبحوا من أعوان الحكام ، فانتعشوا وارتاشوا ، وأصبحوا في عداد الوجهاء والاغنياء ، ولكن الواحد منهم لا يصير غنياً حتى يفقر ألوفاً من أهل المدينة أو الضاحية وكان للحكام القسم الاوفى ، والقِدْح المُعَلّى من هذا النهب .

وعلى هذا النمط كانت تساس المعرة ، وتحت مثل هذه الاعباء كانت ترزح ، وكانت الحكومة ترهقها بالضرائب على فقر أهلها .

ولم تكن البلدة وضاحيتها متمتعة بالأمن والطمأنينة ، وانما كانت أيدي العُتاة والبُغاة والمتمردين تعبث بها ، وقلما مر اسبوع لم تقع فيه سرقات ، أو قطع طريق ، أو نهب أو تعد على عقار أو شجر ، أو نحو ذلك ، وكان البدو يشن الغارة على نفسه ، وعلى أهل القرى التي تجاوره ، ويرعى زرعها ويفسد ضرعها .

وكانت البَدَاة تغير على المعرة نفسها ، فتخرج طائفة من مقاتلة أهلها ، فتصد غارتهم عنها ، وتذود عن حياضها بسلاحها وقد أخبرني والدي أنه كان وهو صغير ، يرى من سطح داره أسنة الرماح تلمع في أيدي البدو المغيرين على المعرة من الجهة الشرقية ، وهذا لم أره في عهدنا ، ولكن البدو لم يفتروا عن غزو القرى وقطع السابلة ، وقلما انقطعت الحرب بين الموالي والحديدية مدة طويلة ، وعلى هذا الاسلوب كانت تسير رجال السياسة في المعرة .

وأما الحياة العقلية في عهد الترك الذي أدركناه ، وهو أول القرن الرابع عشر للهجرة ، إلى يوم جلائهم ، فقد كانت أسوأ ما كانت عليه في عصر من العصور ، لأن الحكومة أحدثت مكتباً رشدياً في (اصطلاحها) ، ابتدائياً في اصطلاح أهل هذا العصر ، وهو يشتمل على ثلاثة صفوف ، وقد كانت لغة التدريس فيه اللغة التركية ، كما كانت اللغة الرسمية للحكومة ، وما علمت أحداً خرج من هذا المكتب ، وهو يعلم غير الخط ، وقد كان مديره في عهدنا أي في سنة ١٣١٠ هـ فما بعدها ،

رجلاً تركياً من ديوريكي [1] ، كان يدعي علم كل شيء ، ولم تجتن المدينة في عهده الطويل ، البالغ أكثر من خمسة عشر سنة فائدة علميـة ، ولم ينبغ أحد ممن تخرج به واقتصر عليه ، ومن نبغ منهم ، فانمـــا حصل عـلى ذلك من استاذ غيره .

وكان في المعرة على عهدنا شيخ يقال له : الشيخ صالح الرمضان ، وابنه محمد صالح ، كانا يحسنان النحو والفقه على مذهب أبي حنيفه والشافعي ، وقليلاً من المنطق ، فكان طلاب العلم يقرأون عليهما هذه الفنون ، وكنت ممن أخذ عنهما ، وكانا يخافان أن ينبغ أحد من الطلاب فينازعهما مركزهما في المعرة .

وكان في المعرة شعراء يحسنون وزن الشعر في بعض البحور سليقة ، ويتكلفون للصناعات البديعية ، إلا أن أسلوبهم إلى العامية أقرب منه إلى اللغة الفصحى ، وما علمت أحداً في عهدي في المعرة ، يعرف شيئاً من العروض والقافية وعلوم

(١) في قاموس الأعلام لشمس الدين سامي ٣ : ٢٢٢٠ : ديوركي .

البلاغة وعلم الاصول وغيره من العلوم العربية ، سوى مدير المكتب ، فانه كان يدعي معرفة العروض ، ولكنه لا يقيم وزن الشعر ، وكان يعرف الفلك على اصطلاح المتقدمين ، وقد قرأت عليه رسالة في الربع المجيب .

وما خلا ما أسلفنا ذكره ، لا تجد في المعرة أثارة من علم ، أما كتابة الانشاء الصحيح فهي مفقودة ، والخاصة والعامة منهم سواء ، في ركاكة الأسلوب ، والبعد عن اللغة الفصحى ، وكثرة اللحن ، وتمتاز الخاصة من العامة فيه بالسجع المتكلف ، السمج الطافح باللحن والتحريف .

هذه حالة المدينة في العهد الذي خلفتها فيه ، وهاجرت إلى دِمَشْق ، وذلك في اليوم العشرين من جمادى الأولى سنة ١٣١٩ هـ وظل هذا شأنها حتى جلا التُّرْك عنها .

ولا شك أن السبب في تأخرها في مضمار العلم ، ونضوب النبوغ فيها ، يعود إلى الحكومة والحكام الذين كانوا يصرفون الناس عن الاهتمام بالعلم ، ومجاراة البلدان الحية فيه ، إلى اهتمام كل بمواثبة أخيه ، والكيد له ، حتى انقسم الناس على

أنفسهم ، وتمكن الحكام من خطم أنوفهم ، وتسخيرهم في منافعهم .

وقد نبغ فيها في الأزمنة الغابرة عدد كبير ، لا يقلون عن النابغين في الأمصار العظيمة ، يوم كانت الحكومات تعنى بشأن العلم والعلماء ، ومن المؤسف أني لم أعثر على كثرة تنقيبي وبحثي في كتب التاريخ والتراجم ، على رجل نبغ من أهل المعرة في المعرة ، في العهد التركي يشابه أحداً من النابغين في عصر آخر ، كأنما العبقرية رحلت عن هذه المدينة منذ وطئتها قدم الترك ، ومن برّز في هذا العصر ، فإما أن يكون تثقف في مدينة أخرى ، أو أتم ثقافته فيها ، وإما أن يكون نبوغه بالنسبة للعدم ، أو بالنسبة لآخر ، ويمكننا أن نقول : إن الحياة العقلية في المعرة في عهد الترك ، أسوأ ما كانت عليه في جميع العصور ، وأن جميع أهل المدينة وضاحيتها كانوا أميين أو عاميين وقد يكون فيها رجل فقيه ، يعلم شيئاً من أحكام الفقه كالمفتي وأمين الفتوى ، ولكن واحداً من هؤلاء لا يستطيع أن يكتب نصاً أو حادثة أو صكا خالياً من اللحن والركاكة كما تشهد بذلك الآثار التي خلفها ذلك الزمن .

حالة اللغة في هذا العهد :

لغة أهل المدينة تشبه اللغة العامية في المدن الشامية ، مع اختلاف قليل ، وقد تجد فيها كثيراً من الألفاظ العربية الصحيحة الفصيحة ، منها ما هو باق على حالته ، ومنها ما حرف تحريفاً قريباً ، ومنها ما حرف تحريفاً بعيداً سيئاً .

ومخارج الحروف في ألسنة أهلها كلها صحيحة ، إلا القاف فان فريقاً منهم يجعلها بين القاف الخالصة والكاف ، وكثير منهم يجعلها بين الهمزة والقاف ، ومنهم من يجعلها همزة في قليل من الكلمات ، وأسباب هذا أن المعريين خالطوا الأتراك كثيراً ، فاقتبسوا من لهجتهم ولغتهم ، وارتضخوا لُكْنَة تركية .

وكثر اختلاطهم بالحلبيين بالسفر والتجارة والمصاهرة ، وقد كانت جمهرة الموظفين في أعمال الحكومة من التُّرْك والحلبيين ، فأحبوا أن يحتذوا على مثالهم في محاوراتهم ، وظهر ذلك جلياً في بعض الحروف وفي إمالتها ، وفريق منهم خالط الدمشقيين فتأثر لسانه بتحريف بعض الحروف ، وأهل المعرة مولعون بحب الغريب في كل شيء ، وإيثاره على ما لديهم ،

وهذه السجية سهلت عليهم هجر الفصيح من لغتهم ، واستبداله بالغريب الفاسد ، وتأصل الغريب في نفوسهم أكثر من غيره .

ويمكن أن يبين باختصار ما طرأ على اللغة من الدخيل والتحريف والتبديل واللهجات التي اقتبسها المعريون المتأخرون من غيرهم بما يأتي :

١ ــ ان المعريين خالطوا العُثمانيين التُرك ، أكثر من أربعة قرون ، فتسرب إلى لغتهم كثير من اللغة التركية ، لأنها لغة الحاكم ، ولغة القوي الغالب ، ولغة الغريب ، وقد جلت الترك عن المعرة ، ولكن لا يزال بعض الكلمات التركية متفشياً في لغة المعرة وضاحيتها إلى هذا اليوم .

مثل لا تقارش فلاناً أي لا تخالطه ، وما له حيارة ، أي حيلة ، وتركته آچيق أي مفتوحاً ، وقيدته في خانته أي مسكنه وذهب إليه دوغري أي تواً ، وامشي دوغري أي مستقيماً ، وأكلت عرموداً أي كمثرى : انجاص ، وعمل يحابش معه أي بادله الوظيفة ، وفلان برتبة ظابط أي ضابط ، وكره كون : قره‌قول : أي مخفر ، وقناق أي مثوى ومضيف ، وجندي

زاده أي ابن الجندي ، وباشكاتب أي رئيس الكتاب ، وخوجه أي شيخ ، وقباداي أي شجاع .

ويدخلون لفظ جي في آخر الكلمات ، للدلالة على النسبة مثل توتنجي ، قهوهجي ، مهلبجي ، شراباتجي ، شربجي ، عرض حالجي .

٢ ــ ان المعريين اقتبسوا من الحلبيين إمالة بعض الكلمات مثل باب الجنين أي الجنان ، وطردت الذبين أي الذبان ، وأذن العِشى أي العشاء .

واقتبسوا نحت بعض الكلمات وادخال بعضها في بعض ، مثل ايش فَسْطُو أي أي شيء في وسطه ، ومثل اِكُوَه خَيُّو أي اليكه يا أخي ، ولِيكْ فلاناً ولِيكُو أي اليك فلانا واليكه .

واقتبس فريق قليل منهم من الدمشقيين ابدال الشين سيناً ، والجيم زاياً ، والقاف همزة .

والسبب في ذلك كله أن فريقاً من أعيان المدينة وأغنيائها ، كانوا يختلفون إلى حلب وحماة ودِمَشْق ، وكانوا يتظرفون بالتشبه بأهل تلك البلاد ، وتقليدهم في أقوالهم وأفعالهم ، وزاد الأمر

ضِغْثاً على إِبّالة ، أن فريقاً كبيراً من أهل المعرة تزوجوا من نساء حلب وحماة ودمشق ، فتنبشت لهجات هذه البلاد في المعرة ، بواسطة هؤلاء الزوجات ، وارتضخت أولادهن لُكْنة بلادهن ، وقلد هؤلاء المتظرفين فريق عظيم ، فأصبحت أهل المدينة كأوتار العود ، لكل واحد منهم نغمة ، وكنت تسمع ابن الشامية يقول : يابي شوف السمس ، واشتر لنا من هذا الزوز ، وابن الحموية يقول : إي ّيا خيُّو اَرْوَاح ، وابن الحلبية يقول : إيش َفسْطو ، وابن المعرية يقول : يابو ليك أخوي تشطح أي تسطح .

وهكذا أضاعت هذه المدينة لهجتها الأصلية ، وقد كانت أقرب اللهجات إلى العربية الفصحى ، كما كانت مخارج الحروف فيها أقرب إلى الصواب من غيرها ، وأكثر هذا التحول حدث في أيامنا ، لأن الاختلاط بسبب المتاجرة والمصاهرة كان فيها أكثر مما قبلها .

٣ ــ زاد المعريون على غيرهم ابدال السين شيناً ، في مثل قولهم شطحه فتشطح أي سطحه فتسطح ، ولبس الشروال أي السروال .

٤ — استعملوا كلمات لا تعرفها العرب ، ولا تجيزها قواعد اللغة وأصولها ، مثل قولهم عَجَقها إذا زاد فيها وأكثر ، والمكان معجوق إذا كان فيه اناس كثيرون ، والأشياء معجوقة إذا كانت غير مرتبة .

ولم أر من ذكر هذه المادة : عجق : ولا ما اشتق منها ، وقد قال في (شفاء الغليل)[1] لا يجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية غير اسم جقوت . وقال في (التاج)[2] القاف والجيم لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب ومثله في (اللسان) في مادة : قبح[3] .

ومثل قولهم : فلان خَرْطَبِيل ، يريدون أنه أبله غبي ضعيف العقل أهوج .

٥ — وقد أكثروا من تحويل الألفاظ إلى وزن فَعُّول في اعلام المذكر والمؤنث ، فقالوا في قاسم : قسوم ، وفي هاشم هشوم ، وفي محمد حَمُّود ، وفي بركة : برُّوك ، وفي فاطمة وخديجة وعائشة وأسماء فَطّوم وخَدُّوج وعَيُّوش وأَسُّوم .

(١) الخفاجي : شفاء الغليل ١٨٣ (ج) .
(٢) الزبيدي : تاج العروس ٢ : ٩٠ (ج) .
(٣) ابن منظور : لسان العرب ٢ : ٥٦٨ .

وشاركوا بقية البلدان الشامية في تقديمهم بعض الحروف على بعض في الكلمة الواحدة ، حتى تخرج الكلمة من الصحيح الفصيح إلى العامي ، كقولهم : هذا جوز فلانة ، وقد جوز إبنه ، والأصل زوج فلانة وزوج ابنه .

وشاركوهم في ابدال الذال المعجمة بالدال المهملة في مثل أذن وأذان وذكر ، فيقولون : أدن ، وسمعت الأدان ، وذكَّر يوم الجمعة ، وكذلك يبدلونها في كلمة أُذن للتي يسمع بها ، فيقولون : سمعت بأدني ، وملأ أداننا ، ويجمعونها على دانات ، فيقال : داناته كبيرة ، كما يقال : آدان .

وشاركوهم في ابدال الثاء المثلثة بالثاء المثناة ، في مثل ثوم وكراث فيقولون : توم وكرات .

وشاركوهم في مساواة النطق في الثاء والسين والزاي والذال والظاء والضاد ، فيقولون : رجل خبيس وحسه على العمل سم ضربه ، والصواب خبيث ، وحثه ، وثم ضربه .

وكذلك يقول : أزكر الله وزكرني بالأمر غداً ، وفلان زخر لنا ، والأصل اذكر الله وذكرني وهو ذخر .

ويقولون اركبه على ضهره وقلم ضفره ، والصواب اركبه على ظهره وقلم ظفره .

وشاركوهم أيضاً في ابدال الفاء تاء مثناة ، مثل : فم فيقولون : تم .

وفي ادخال الباء على الأفعال ، مثل : باكل ، بقوم ، بيجي ، بنام ، بتبرد ، والأصل : آكل ، واقوم ، ويجيء ، وينام ، وتبرد .

وفي ادخال لفظ بدي على الأفعال ، مثل : بدي آكل ، بدي أشرب ، بدو يسافر ، بدو يكتب .

وقد ذكرنا في كتابنا (الأمثال في بلاد الشام) : أن أصل بدي ربما كان بودي ، تقول بودي أن أذهب ، فحذف العامة الواو ، وابدلت كسرة الباء فتحة ، ثم توسعت العامة بهذه الكلمة ، فاستعملتها في الأفعال والأسماء ، فقالوا : بدي أكتب ، وبدي أسافر ، وبدي الكتاب ، وبدي الأمانة ، وكلها بمعنى أتمنى وأريد ، وإذا دخلت الباء وحدها ، أو لفظ بدي على الفعل حذف حرف المضارعة منه في أكثر الأحيان ، فيقولون : كل يوم بنام ساعتين أي أنام ، أو بدي نام الآن .

وشاركوهم أيضاً في ادخال لفظ عَمّال على الفعل المضارع لتخصيصه بالدلالة على الحال ، فيقولون : عمال بصلي ، وعمال يصلي ، وعمال بيكتب ، والأصل : أصلي ، ويصلي ، ويكتب ، وقد يحذفون اللام من عمال ، فيقولون : عما يقرأ ، عما يتوضأ .

و في جعل أل للنسب بدلاً من ياء النسب ، فيقولون : محمد الخالد ، مصطفى الأحمد ، خالد الدرويش ، ويريدون بالأول المنسوب إلى خالد ، وبالثاني المنسوب إلى أحمد ، ومثله على السيد يوسف ، وعثمان البم ، وخليل الخشان ، يريدون بذلك المنسوب إلى أسرة السيد يوسف ، وأسرة البم والخشان ، وهكذا .

ومع كل ما تقدم فان المستقري لكلام المعربين ، يجد فيه كثيراً من الكلمات التي يتكلمون بها على وجهها الصحيح ، وفي معناها الحقيقي ، مثل : كلمة مشمش ، فانهم يلفظونها بكسر الميمين ، مع أن جمهرة بلاد الشام يضمونها ، ومثل : كلمة ضَنّى بمعنى كثرة الأولاد ، يقال : ضَنَت المرأة ضَنّى وضَناء إذا كثر ولدها ، قال الجوهري[1] يهمز ولا يهمز .

---

(١) الجوهري : الصحاح ٢ : ٥٠٨ .

وفي كلامهم ألفاظ محرفة تحريفاً قريباً ، مثل : كلمة دَرْدَك فيقال : في دار فلان دردك ، أي أطفال صغار ، وأصل هذه الكلمة دَرْدَق بالقاف ، والدردق في اللغة الصبيان الصغار ، والصغير من كل شيء ، وأصله الصغار من الغنم ، ومثل كلمة كرْسَعَنّة لنبات معروف وأصله قَرْصَعَنّة[1] على المشهور ، وألفاظ استعملت مطلقة ، وهي في اللغة مقيدة كلفظ العَجِيّ ، فانه فاقد أمه من الانسان والابل . وبعض المعريين يطلقونه على الصغير وإن لم يفقد أمه .

الحياة الدينية :

وأما الحياة الدينية فيها ، فان جمهرة أهلها مسلمون ، على مذهب أهل السنة ، وقد كان فيها طائفة قليلة من النصارى ، يعدون على الأصابع ، منهم : فريق يشتغل في الصياغة ، وآخر في الصباغة ، وكان أهل المعرة يحسنون معاملتهم ، ويعطفون عليهم لضعفهم وقلتهم ، وولي رجل منهم عملاً في دائرة المالية في القضاء ، وما رأيت ولا سمعت أن أحداً من أهل المعرة أو غيرهم ، تعدى على واحد قط في الماضي والحاضر ،

(١) وفي معجم الألفاظ الزراعية لمصطفى الشهابي ص٢٥٦ و٤٨٢ : قِرْصَعْنَة.

بل كان النصارى في دعة وراحة أكثر من المسلمين ، وليس لهم كنيسة ولا دير ، وانما كانوا يجتمعون إلى بعضهم ، وكانت نساؤهم يحتجبن كالمسلمات ، وكان الرجال والنساء يختلطون بأمثالهم من المسلمين ، ويجتمعون بهم في محافل الفرح والحزن ، ويعاملهم المسلمون بأحسن مما يعامل به بعضهم بعضاً .

وليس في المعرة من غير المسلمين غير النصارى .

وكان أهل المعرة وضاحيتها على مذهب الإمام الشافعي ، وانما كانت الفُتْيا على مذهب الإمام أبي حنيفة ، لأن الحكومة التركية أوجبت ذلك في جميع البلدان الخاضعة لسلطانها من عربية وغيرها ، حتى أن المفتين فيها كانوا شافعيين ، وهم من أسرتنا إلى اليوم ، وقد كان كل من جدي وأخيه وأبيه مفتين على مذهب الحنفية ، وهم شافعيون ، وكان أكثر القضايا والخصومات التي تقع بين الناس ، يفصلها الشيوخ والعلماء على مذهب الشافعي ، يقص كل من المتخاصمين أمره على الشيخ بحضور خصمه ، فيفصل بينهما صلحاً ، أو حكماً ، ويسمع البينة ، ويحلف اليمين ، إلا إذا طلب أحد الخصمين الاستفتاء

بصورة رسمية ، فان الحكم فيها يكون على مذهب أبي حنيفة .

وكان الصالحون من الناس يقنعون بالحكم الشرعي ، ويحجمون عن الرجوع إلى المحاكم الشرعية والنظامية ، لأنهم يعتقدون أن ليس للحق فيها نصيب ، وهم على صواب في اعتقادهم هذا ، لأن المحاكم كانت خاضعة للمؤثرات ، فان الحاكم أو العضو كان يجعل الباطل حقاً والحق باطلاً ، تبعاً لمنفعته الشخصية ، من مال يجره ، أو رئيس يرضيه ويسره أو عدو يكيده ، وقد يكون التأثير من رجل عظيم في الدولة فإني أعلم رجلاً من خاصة أبي الهدى الصيّادي قتل رجلاً آخر على مشهد من الناس ، وجاء جمع غفير فشهدوا لدى الحاكم بأن فلاناً أطلق رصاصة من مسدسه على فلان ، عامداً طائعاً ، فأرداه قتيلاً ، واستوفت شهادتهم جميع الشروط التي تؤهلها للقبول ، وكانت المحكمة تحاول أن تجد فيها ما يوجب إبطالها ، الا عضواً واحداً ، فلما أعياهم ذلك كلفوا العضو المستنطق أن يوافقهم على ما يريدون ، فأبى ، فوردت برقية من أبي الهدى يلمح فيها إلى مساعدة القاتل ، فأبى ، فوردت

برقية من المرجع المختص بنقل الدعوى إلى حلب ، فنقلت ، ثم قررت براءة القاتل ، وخرج يسرح ويمرح ، وبعد حين أخرج هذا العضو من المحكمة ، وهو من أبناء عمنا .

وليس هذا مما انفردت به المعرة ، بل كان ذلك شأن أكثر الحكام والمحاكم في ذلك العهد ، وربما امتازت المعرة من غيرها بتولية القضاة والحكام العاميين أو الأُميين ، فقد أدركنا فريقاً منهم لا يحسن أن يكتب غير اسمه ، ولا يستطيع أن يقرأ سطراً صحيحاً ، وذلك لأن الوظائف كانت تباع بيع السلع ، أو تعطى ارضاءاً لفلان لأنه من بطانة فلان ، وظل ذلك حتى أعلن الدستور العثماني سنة ١٣٢٦ ﻫ فقل ذلك مؤقتاً ، ولم ينقطع بتاتاً .

وليس في المعرة فِرق من المسلمين غير السنيين ، وانما كانوا يكرهون غير السنيّ ، وأكثر أهل المدينة محافظ على إقامة الشعائر الدينية ، من صوم وصلاة وغيرهما ، وأما الزكاة فقلما وجبت على واحد إلا قليلاً ، لأن معظمهم فقراء يرتزقون كل يوم كالطيور ، ولهم عادات ومعتقدات سيأتي بيانهما .

الطرق :

وفي المعرة طرق متعددة كالقادرية (١) ، والرفاعية (٢) ، والنَّقْشَبَنْدية (٣) ، والشاذلية (٤) ، ولكل طريقة آداب ونظم

(١) نسبة لعبد القادر بن موسى الجيلاني أو الكيلاني أو الجيلي ، وهو من كبار المتصوفين ، وقد ولد في جيلان وراء طبرستان سنة ٤٧١ هـ ، وانتقل إلى بغداد شاباً ، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف ، وبرع في أساليب الوعظ ، وتفقه وسمع الحديث ، وقرأ الأدب وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد ، وتوفي بهـا سنة ٥٦١ هـ (ملخصة عن الأعلام للزركلي ٤ : ١٧١ ، ١٧٢) .

(٢) نسبة لأحمد بن علي الرفاعي المولود سنه ٥١٢ هـ وقد تفقه وتأدب في واسط بالعراق ، وتصوف فانضم إليه خلق كثير من الفقراء كان لهم به اعتقاد كبير ، وتوفي بأم عبيدة بالبطائح بين واسط والبصرة (ملخصة عن الأعلام للزركلي ١ : ١٦٩ ، ومعجم المؤلفين لكحالة ٢ : ٢٥) .

(٣) في كتاب المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية لمحمد أمين الكردي الاربلي ص ٩ : نقشبندية أي منسوبة إلى نقش بند ومعناه ربط النقش والنقش هو صورة الطابع إذا طبع به على شمع ونحوه وربطه بقاؤه من غير محو أي لأن الشيخ محمداً بهاء الدين النقشبندي كان يذكر الله بالقلب إلى أن انتقش وظهر لفظ الجلالة إلى ظاهر قلبه فلذا سميت نقشبندية .

(٤) نسبة لأبي الحسن علي بن عبد الله الشاذلي ، وهو الصوفي والفقيه والناظم ، فقد ولد سنه ٥٩١ هـ ، وتوفي بصحراء عيذاب سنة ٦٥٦ هـ (ملخصة عن معجم المؤلفين لكحالة ٧ : ١٣٧) .

وشيوخ وأحوال خاصة ، وأكثر الطرق انتشاراً في العهد الذي هاجرت فيه — ١٣١٩ هـ — من المعرة الطريقة الرفاعية ، والشاذلية .

أما الطريقة الرفاعية فلأن أبا الهُدى الصيّادي سعى لدى الحكومة العثمانية ، فاستثنت المنسوبين إلى الشيخ الرفاعي من الخدمة العسكرية ، وفتحت تكايا وزوايا للرفاعيين ، ووظفت أموالاً تنفق على القائمين بها ، وكان أخو أبي الهدى يزور المعرة حيناً بعد آخر ، فيقيم الأذكار على طريقة الرفاعية ، وكان رجال هذه الطريقة يزورونه في المعرة ، ويجتمعون به ويشاركون في إقامة الأذكار حباً بالمنفعة ، فكثر انتشار هذه الطريقة . ولما مات أبو الهدى انقطعت الأذكار ، إلا التي كان أصحابها يقيمونها قبل ظهور أبي الهدى .

كيفية الذكر عند هؤلاء الرفاعيين :

للذكر طريقتان : إحداهما رسمية ، والثانية عادية .

أما الأولى فهي تكون في الغالب من قبل أهل الميت بعد موته بأيام معدودة . يكلف الرجل شيوخ هذه الطريقة بعمل

ذكر يكون ثوابه لوالده أو غيره ، فيعين له الوقت في الجامع الكبير ، والغالب أن يكون بعد العصر ، فاذا انتهى إمام المسجد من صلاة العصر ، جلس شيوخ هـذه الطريقة وخلفاؤهم ومريدوهم ، على شكل حلقة كبيرة في الجهة التي تكون غربي المنبر وجلس معهم الناس ، فأخذ أهل الطريقة يضربون بالمزاهر والصُّفَّافتين ، حتى تبلغ أصواتها عنان السماء ، ويسمعها الداني والقاصي ، ثم يمسكون عن الضرب بها . ويضعون مسبحة ، أي سبحة حباتها كبيرة ، كل واحدة بقدر الجوزة الكبيرة ، فيديرونها في الحلقة ثم يبدأ أكبر الشيوخ بقوله : فاعلم أنه لا إله إلا الله بصوت ضخم ، وترتيل شديد بحيث تمتد أكثر من دقيقة ، ويهز رأسه وجسمه إلى الأمام ، ثم إلى الوراء حتى تنتهي الجملة .

فينطق الحاضرون كلهم بصوت واحد ، يشبه صوت الشيخ في جهره وترتيله ، ويميلون إلى الأمام والوراء .

ثم ينشد المنشدون أبياتاً في مدح النبي (ص) على نمط الذكر ونغمته ، ويتحركون كما يتحرك الذاكرون ، وبعد أن

ينشدوا بضعة أيام ، يسرع الشيخ في لفظ الذكر قليلاً ، ويتابعه الذاكرون والمنشدون ، ثم يسرع أيضاً ، ويجعل حركة رأسه نحو اليمين والشّمال ، ويتابعه الذاكرون في جميع أقواله وأفعاله ، ثم ينشد رئيس المنشدين أبياتاً ، ثم ينهض الشيخ والحاضرون كلهم ، فيذكرون الله على أشكال شتى وبألفاظ شتى ، فيقولون : لا إله إلا الله تارة على الشكل المعروف ، وتارة يضمون الكلمات فيقولون ُلو أ ُلوه إلـو اللـّوه ، وتارة يقولون :لا يلاه إلا الله ، وتارة هُمْهُمْ الا اللوه وتارة يا اللـّوه ، وتارة أُمْ ، ويكررونها ويفصلون بينها بما يشبه النحنحة ، وتارة همهمهم يا اللوه ، وهكذا يأتون بألفاظ مختلفة .

والشيخ هو الذي ينقلهم من فصل إلى فصل ، ومن نغمة إلى نغمة ، فيبدأ ذلك ، ثم يتابعونه ، ويشير إليهم بيده أو يديه ، أو يضرب باحداهما على الأخرى، لينتبهوا عند الانتقال من فصل إلى آخر ، أو من حالة إلى ما هو أسرع منها ، أو أخف ، أو للمحافظة على النغم والوحدة .

والمنشدون يستحثونهم بالنشيد ، كما يستحث الحادي الإبل

بالحداء ، فاذا انتهوا قرأوا دعاءاً موروثا لهم ، أوله : نسأل المولى علينا يتوب ترضي مشايخنا ، وتصفى القلوب .. وهذا الدعاء يدعونه كلهم بصوت واحد عال ، ثم يدعو لهم الشيخ ، وينفضّ الجمع .

وقد ينبغ بعض الذاكرين ، فيتقن الالفاظ ، والافعال ، والحركات ، والسكنات ، ويحسن التحول والانتقال ، على وفق النظم والاداب المتبعة عندهم ، ومن كان كذلك يسمى ذِكّيرا .

وهذا الذكّير يظهر مهارته وبراعته في أثناء الذكر ، فيخالف القوم في تحركهم من اليمين إلى الشمال ، أو من الامام الى الوراء ، ثم يعود بسرعة ، وإذا كانوا يميلون من الامام إلى الوراء ، مال من اليمين إلى الشمال ، واظهر كأن يخالفهم ، ثم عاد بسرعة إلى موافقتهم ؛ وقد يبطىء إذا أسرعوا ، ويسرع إذا أبطؤا ، ويأتي بمثل هذه الاعمال للدلالة على قدرته ، ويدقق أحوال الذاكرين والمنشدين ، فيحسبون له حساباً .

وإذا أخذ الشيخ مالا على الذكر ، أعطى منه جماعته ، وأجزل حصة الذكّيرين ، وشيخ الطريق يقرب الذّكيرين

ويباهي بهم ، ويكرمهم ويخاف سخطهم ، فهم عنده بمثابة الأبطال عند قائد الجيش !

وإذا أمعن الانسان النظر في الأذكار ، وما يقع فيها من تحريف اسم الله ، ومناداته بصور فظيعة ، وما يحدثه الذاكرون من الأوضاع والحركات الشاذة بين يدي الله ، انكرها أشد الانكار ، لأن الله جليس الذاكرين ، والأدب يقضي عليهم بأن يكونوا في مجالسته على غاية من الهدوء والسكينة والأدب مع أن هؤلاء ينادون الله بصيغ وصور ملحّة متتابعة محرفة ، ولو نادوا بمثلها عبداً من عبيد الله ، وتصرفوا باسمه كما تصرفوا باسم الله ، للطمهم في وجوههم وصفعهم في أقفيتهم ، وسيأتي لهذا الكلام ما يتممه .

وأما الشاذلية ففريقان : أحدهما ينتسب الى الشيخ علي الدفين في ترشيحا ، وهذا الفريق لم يكتب له التوفيق في المعرة ، لأنهم أنكروا عليه شيئاً من أعماله المنكرة ، ونسبوا إليه أفعالاً مخزية ، ثم طاردوه في المعرة ، حتى نضب معينه ، وفقد من يعينه .

والفريق الثاني ينسب الى أبي الحسن الشاذلي [1]، وهؤلاء يجتمعون في كل صباح ، بعد صلاة الصبح في المسجد ، ويقرؤن ورد الشاذلية ، ثم يذكرون الله قعوداً ، ثم قياماً ويحرفون لفظة الجلالة ، فيجعلونه آ ، وتارة بين آ وأُو ، وهكذا وينشدهم بعض الذاكرين شيئاً من كلام القوم ، أو الغزل الذي يريدون به الله أو رسوله .

والناس يألفون هذا الفريق ، ولا يجدون ما ينكرونه عليهم ، لأنهم كلهم كهول أو شيوخ ، ولا يجتمعون في خلوات خاصة .

الحياة الاجتماعية :

وأما الحياة الاجتماعية فيها ، فهي جامعة بين الحياتين الحضرية والبدوية وفي أخلاق أهلها وعاداتهم شبه بأخلاق البدو والحضر ، نشأ من شدة اختلاطهم بهم ، فهم أصحاب نجدة وشجاعة وإباء وأَنَفة ، وكثيراً ما ثاروا في وجه الحكام ، أنفة من احتمال صغار أو إقامة على ضيم ، وقد كان أهل العصر الماضي والذي قبله اشد أنفة وشجاعة من أهل هذا العصر

(١) نسبة إلى شاذلة قرية من افريقية .

الحاضر ، فإنهم كانوا يصدون غارة البدو بأنفسهم ، ويذودون عن حياضهم بسلاحهم ، ولشد ما ثاروا على الحكام وقهروهم . وقد حدثني بعض شيوخهم أن الحكومة التركية كانت أرسلت مأموراً لسحب القُرْعة العسكرية، اسمه حكمي باشا فضاق به أهل البلد ذَرْعاً ، فثاروا عليه ، وحصروه في دار الحكومة وهمُّوا بقتله ، لولا أنْ حماه مفتيها وبعض أعيانها ، ثم جاءت قوة من الجند من حلب فأنقذته ، وقد أسلفنا ما لأهلها من المواقف في حرب الصليبيين وغيرهم ، مما يدل على شجاعتهم ، ولا تزال هذه السجية في أكثر أهلها .

وهم أسخياء وفي التاريخ أمثلة كثيرة تدل على جود أهلها ، منها : ما ذكره المؤرخون ، وهو أن أبا تمّام[١] كتب

---

(١) هو حبيب بن أوس الطائي الشاعر الأديب ، وقد ولد بجاسم من قرى حوران بسورية سنة ١٨٨ هـ ورحل إلى مصر ، واستقدمه المعتصم إلى بغداد ، ثم ولي بريد الموصل، وتوفي بها سنة ٢٣١ هـ (ملخصة عن الأعلام للزركلي ٢ : ١٧٠ ، ١٧١ ومعجم المؤلفين لكحالة ٣ : ١٨٣ ، ١٨٤) .

إليهم كتاباً أوصاهم فيه بالبُحتُري[1] ، فوظفوا له أربعـة آلاف درهم في كل سنة ، وسيأتي في تراجم الرجال ما يدل على سخاء المتقدمين من أهلها .

أما في عصرنا الحاضر فقلما تجد فيهم بخيلاً ، على رقـة حالهم ، وقلة ذات يدهم ، وان احدهم ليؤثر ضيفه على نفسه وأولاده ، وربما باع ما يملكه من اثاث ورياش ، وقدمـه لضيفه او لعافِيه ، وهو طيب النفس، مسرور مغتبط بذلك ، وأهل المدينة والضاحية في ذلك سواء ، ولا تجد الى يومنـا هذا في المعرة خانا ، او فندقاً للمسافرين[2] ، الا خاناً وَقفاً للقوافل لأن بيوت أعيانها وغيرهم مفتحـة الأبواب لـكل ضيف أو زائر او مارّ بالمدينة ، وربما تصدى بعضهم للمارة ليكونوا ضيوفاً عنده ، ولا ينزل في خـان أحدٌ يعرف أحداً

(١) هو الوليد بن عبيد البحتري الشاعر الأديب ، وقد ولد بمنبج من أعمال حلب سنة ٢٠٦ هـ ، ونشأ بها وخرج منها إلى العراق ، وأقام ببغداد ثم عاد إلى منبج وتوفي بها سنة ٢٨٤ هـ . (ملخصة عن معجم المؤلفين لكحالة ١٣ : ١٧٠ — ١٧٢)

(٢) قد رأيت أثناء زيارتي للمعرة في كانون الثاني سنة ١٩٦٣ م فندقين متواضعين ربما أسسا بعد وفاة المؤلف .

من أهلها ، وربما نزل بهم من لا يعرفهم ، فلقي من الحفـاوة وكرم الوِفادة ما يبهره .

وهم أصحاب غيظ وحقد وحب للانتقام وحسد على كل نعمة. ولقد عرفت كثيراً من الناس كان يضيّق على أهله في الرزق لضيق يده، ويبذل الأموال الكثيرة ليضر عدواً له ، وكان الآخر لا يألو جهداً في ذلك ، فكان هذا وذاك ، وأشياع كل منهما يسرفون في البذل لحكومة المعرة وحلب والآستانة ، فيغنى هؤلاء ويفقر أولئك ، ويتفـاقم الشر وتنمو الضغينة ، وتتوارث العداوة والأحقـاد ، وكل فريق يستفرغ المجهود في ضر الفريق الآخر من تخريب عامر ، وقطع شجر ، وقتل دواب وانعام ، ورعي زرع ، ولو استطاع لأحرق خصمه ، أو أكله حياً ، والحكومة تمد كل واحد في غيه ، وتساعده عـلى بغيه ، حتى تقوض عُمران المدينة ، وانطمست معالم حضارتها، وأخصب الجهل فيها وأمرع وادي الشر ، وأصبحت بعد اتساع رقعتها ، وكثرة سكانها ، وغزارة العلم والأدب فيها ، شبيهة بالقرية الكبيرة الخربة ، قليلة السكان ، بعيدة عن العلم والحضارة ،

مسرحاً لا يمثل فيه إلا الروايات المحزنة ، والفواجع المخزية .

وأهل المعرة أذكياء ذوو فطنة ونباهة ، ميالون الى البطالة وترك الأعمال في الغالب ، فلم يجدوا ما يصرفون فيه ذكاءهم ونباهتهم وأوقاتهم إلا إيذاء بعضهم بعضاً ، وانتقاد كل منهم صاحبه ، ولعل هذا الخلق فيهم كان قبل العهد التركي ، فان صاحب قصيدة الفراسة [1] يقول فيهم :

في شيزر وأختها المعرة   خلائق الجهل وطبع الشرة
فشيزر جهل بلا مضرة   والفهم والضر لدى المعرة

ويخيل إلي أن من أعظم العوامل في استفحال هذا الداء في المعرة هو البطالة ، لأن الناس فيها طبقتان : أشراف ،

---

(١) هذه القصيدة نشرت في الجزء الثالث من المجلد الثاني عشر من مجلة المجمع العلمي العربي في الصفحة ١٧٢ (ج) وقال كامل الغزي ناشر هذه القصيدة : هي أرجوزة تعد ٢٣٣ بيتاً تضمنت ذكر فضائل الأجناس وما خص كل جنس من جميل الطبع وقبيح الخلق وأثر كل بلدة بأهله ... إلى أن قال : لم أرها في غير مسودة كتاب كنوز الذهب في تاريخ حلب لابن العجمي المتوفى سنة ٨٨٤ ه

وهم الأعيان ، وغيرهم وهم التجار والعمال والزراع ، فالأعيان يعيش أحدهم بما ورثه عن سلفه من مال وعقار ، ولو كان قدر ما يسد به الرمق ، أو أدنى ، ويحتفظ لنفسه بمركز آبائه السابقين ، وما كان لهم من الأُبهة والعظمة ، وإن بات جائعاً ، أو يعيش مما يسلبه من الناس إن كان عاملا في الحكومة ، وهذا يضيف الى أُبهة سلفه ما عنده من عجرفة وفخفخة وعُنْجُهِيّة ، ويحمل الناس على أن يسجدوا له ، لأنه جمع بين الحسب التليد والطريف ، وليس لكلا الرجلين نصيب من العلم يثقف عقله ويبين له أن ليس في عمله الا ما يندي الجبين ، ويطأطىء الرأس ، ورجال الحكومة كما قلنا يمدون كلا في ضلالته وجهله .

وأما طبقة العمال فمنهم التاجر ، والبقال ، والسمان ، والنجار ، والحداد ، والحذاء ، ومن شاكلهم ، والمدينة لقلة أهلها ، وكثرة فقرهم ، يكفيها عدد قليل من هذه الفئة ، ولكن الطمع وحب الكسب ليس لهما حد يقفان عنده ، ولذلك ترى في سوق المعرة عدداً كبيراً من التجار ، والجزارين ، والبقالين ، والفاكهيين ، وغيرهم .

والعادة التي أدركناها فيها ، أن كل إنسان يؤم السوق في أول النهار ، فيبتاع ما يحتاج إليه ، وفي الضحوة الكبرى إلى المساء ، لا تجد غير الباعة الكثيرين يصرفون بقية يومهم في الأحاديث والتنادر والمجازرة ، حتى ضرب المثل العامي بكثرة البائعين وقلة المشترين ، فقيل فيه : سوقُ المعرة ألف بَيَّاع ولا شَرَّاء ، ومن العمال : الصناع ، وهم محصورون في الحاكة ، والصباغين ، والصواغين ، والحذائيين ، واللبادين ، والنحاسين .

أما الحاكة فكانوا في القديم يحوكون الخام ، ويتخذ منه الناس القمص والسراويل وثياب البدو وما شاكلها ، فغلبت عليهم البضاعات الافرنجية ، فانصرف الناس عن حياكة الخام ، واقتصروا على حياكة العباآت المخططة ببياض وسواد أو غيره ، ويسمونها العباءة المدَّففة ، وكانت جيدة متينة ، فاعرض الناس عنها ، واقتنوا من صنع العراق والعجم ، لأنها أحسن وأثمن ، فكادت تموت هذه الصنعة .

وأما الصباغون فهم يصبغون ملابس البدو والعمال باللون النيلي والأسود لا غير ، وهم كثيرون ، ولذلك كان أكثرهم

فقراء ، لأن المدينة يكفيها ثلاثة أو أربعة ، وفيها أكثر من ذلك ، وقد أخذ الناس يستغنون عن صبغ الثياب عند هؤلاء بالثياب الافرنجية المصبوغة ، ولا تلبث أن تموت هذه الصنعة .

وأما الصاغة فعملهم مقصور على لحم الحلي للأغنياء ، وصنع الخواتم للبادية ، وهم عاجزون عن صوغ حلي من أسورة وغيرها لقلة عملهم ، لأن معظم الناس يأخذون ما يريدون من حلب أو حماة ، وكذلك شأن النحاسين .

وأما الحذاءون فقد كانوا يصنعون الأحذية للحضر والبدو «وهي المعروفة بالصرماية والخف والجزمة» ، ثم انصرف الحضريون إلى اتخاذ أحذيتهم من حلب ، وكذلك أهل القرى والضاحية ثم انصرف الحضريون إلى لبس الحذاء المعروف بالقندرة وفروعها والسباط والبوط ونحوهما ، وأكثرهم يبتاعون أحذيتهم من حلب وحماة ، ولذلك نجد صناع هذا النوع قليلين في المعرة لأن عملهم في الغالب منحصر في الترقيع والاصلاح .

وأما صناعة اللبادين فقد أعرض أهل المدينة ، وأكثر

أهل القرى والبادية عن اقتناء اللباد ، واستعاضوا عنه بالسجاد لرخص ثمنه وطول بقائه ، واللباد هو على شكل البساط يتخذ من صوف منفوش ويلف ثم يوطأ بالارجل حتى يتلبد ويصير كالسجاد إلا أنه لا خمل له ، وفي وسعنا أن نقول : ليس في المعرة تجارة ولا صناعة يستطيع أهلها أن يعيشوا منها عيشة راضية ، فضلاً عن أن يكونوا أغنياء منها .

وأما الزُّرّاع فهم أصحاب البساتين وأصحاب الأرضين ، والقسم الأول هو الذي يسقي زرعه من ركايا عميقة ، يختلف عمقها ما بين عشرة أمتار إلى أكثر ، وأحياناً يكون أقل من ذلك ، يجتمع فيها الماء مما يتحلب من أرضها وجدرانها ، ومما يسيل إليها من المطر ، يستخرجونه منها بواسطة دواليب تديرها دواب ، وعلى الدولاب حبلان يتخذان من أعواد الشجر الدقيقة ، فتلهما محكم ، ويصل بين الحبلين أعواد ، وعلى كل عود إناء يغرف الماء من الركية ، يسمونه قادوسا وبين القادوسين نحو خمسين سانتيمتراً ، ويسمون الحبال مع ما عليها صَمْدَة ، وهي مستديرة تغوص في الماء ، فاذا دار الدولاب دارت

الصمدة ، فخرجت القواديس الغائصة في الماء مملوءة ، ودخل في الماء بعض القواديس الفارغة فيمتلىء ، وهكذا فإذا وصل القادوس المملوء إلى قرب الدولاب ، ابتدأ يصب ما فيه من الماء على صندوق من دف واسع ، فاذا وصل إلى أعلى الدولاب صب جميع ما فيه ، وسال الماء المصبوب من ثغرة في الصندوق إلى ساقية ، ثم يصب في بحيرة يجتمع فيها الماء ، ثم يسقي به صاحب البستان ما يشاء من زرعه ، وربما اتخذت الصمدة من حديد ، إلا أنها تكون ثقيلة على الدواب .

وأصحاب البساتين يزرعون أنواعاً مختلفة في الصيف والشتاء يسقونها من ماء الركايا المذكورة ، ويسقون الأشجار التي يغرسونها بين الزرع وعلى حافاته ، وربما نضب الماء في السنوات التي يقل فيها المطر والثلج ، فيجف الزرع وتيبس الأشجار ، وينقلب الزارع بعد آماله الواسعة إلى يأس موجع وفقر مدقع [1] .

---

(١) وقع السيد الوليد طالب وزير الشؤون البلدية والقروية عقداً في ٢٣ نيسان سنة ١٩٦٣ م مع أحد المتعهدين ، لتقديم وتركيب التجهيزات الميكانيكية والكهربائية ، لمشروع مياه معرة النعمان ، وتبلغ كلفتها ٥٨٤٥٤ ليرة سورية والجدير بالذكر أن هذا المشروع قد كلف الوزارة حتى الآن بأعماله ـــ

وأما أصحاب الأرضين فانهم يزرعونها حنطة وشعيراً وذرة وعدساً وجلبانا وما شاكل ذلك ، وكلها تسقى بماء السماء ، فاذا أخلفهم الغيث حالفهم البؤس والشقاء .

وقد كانوا لا يعنون بزرع القطن والبقول والخضر العَذِيّة ثم صاروا في العهد الأخير يزرعون جميع ذلك .

وقد دلت التجارب على أن تربة المعرة خصبة ، وأن مناخها ملائم لكثير مما يغرس ويزرع ، فقد يجود فيها شجر الزّيتون والجَوْز واللّوْز والمِشْمش والتُفّاح والتُوت والفِرْصاد [1] والكُمّثْرَى والخَوْخ والكَرَز والفُستُق والتِينْ والعِنَب والسُمّاق والرُمّان والزُعْرُور [2] وغيرها .

وقد يكون من الجنس الواحد أنواع متعددة ، كالمشمش

ـــ وتجهيزاته مبلغ ٣٦٢٦٥٣ ليرة سورية ، وهذا يكفي لارواء ٣٠ الف مواطن موزعين في أربعة قرى هي : معرة النعمان ، كفر نبل ، الحاس ، وكفر روما .
(عن جريدة الوحدة العربية بدمشق السنة ١ العدد ٥٠)

(١) جنس شجر من الفصيلة القراصية والقبيلة التوتية ، تزرع لثمرها يأكله الإنسان أو لورقها يطعمه دود قزية التوت (عن معجم الألفـاظ الزراعية للشهابي ص ٤٣٩) .

(٢) في معجم الألفاظ الزراعية ص٦٩ ، شجر مثمر معروف من فصيلة الورديات .

والكمثرى والتين والعنب والفستق ، فان في هذه الأجناس أنواعاً ، منها ما هو غاية في الجودة ، ومنها ما هو متوسط .
فالمشمش يكون أنواعاً منه ما يسمى شكربارة وهو أجودها ، ومنه ما يسمى اللوزي ، ومنه المرّي وغيره .

والكمثرى ويسميه بعض العامة انجاصا ، وبعضهم عرموطا ، وهو محرف عن التركية ، كذلك يكون أنواعاً متفاوتة في الجودة والطيب .

والتفاح منه نوع يقال له : خشخاشي ، وهو حامض طيب الرائحة ، ومن الحلو أنواع متعددة .

وأما العنب فأنواعه كثيرة منه : الفُوعي وهو أبيض مشرب بصفرة ، حبه مستطيل قليلاً ، وقشرته غليظة ، ويشتد حلاوة إذا نضج ، وأهل المعرة يكثرون من غرسه ، لأنه يحمل كثيراً ، ويتحمل الحر والبرد ، ويتخذون منه الزبيب والدبس من عنبه وزبيبه ، ومنه البلدي أو الرومي وهو أبيض رقيق القِشْرة ، كرَوي الشكل ، حلو كثير الماء ، ويتخذ منه عنب ، ومن عنبه وزبيبه دبس وهو أطيب من دبس الفوعي وزبيبه .

والسباعي لونه أسود ، وحبه مدحرج كروي ، وقشرته غليظة ، وماؤه كثير ، وحصرمه شديد الحموضة ، ويحمل من ثلاث مرات إلى سبع .

القِرْمِشاني اونه ضارب إلى الصفرة ، وحبه كروي ، كبير الحجم ، كثير الماء والحلاوة ، وقشره غليظ ، وهو صلب ، وقد يتخذ منه دبس .

الحَفَرْزَلي لونه أحمر ، ضارب إلى السواد ، وحبه مستطيل وقشره غليظ ، وعناقيده مستطيلة ، ويتخذ منه زبيب جيد ، ودبس جيد ، وقد قلّ في المعرة في الأيام الأخيرة .

والزّينبي ويقال له :اصبع زينب،أواصبعة زينب ،ولونه أصفر ، وحبه مستطيل رفيع ، وحلاوته غير شديدة ، والناس لا يتخذون منه زبيباً ولا دبساً ، وبعض الناس يسميه الزيني .

الخَلّيّ لونه أسود ، وحبه كروي ليس بالكبير ، وماؤه كثير ، ويتخذ منه الخل في الغالب ، وقد يتخذ منه دبس .

البطهاني أو الشامي لونه أبيض ، وحبه كروي الشكل ، كبير الحجم ، كثير الماء ، شديد الحلاوة ، وقد يتخذ منه زبيب ودبس ، وهو قليل في المعرة .

وأكثر ما يعنى أهل المعرة بالعنب الفوعي ، لأنه كثير الحمل والماء ، سريع النضج ، طويل البقاء يصلح للزبيب ، ويتخذ الدبس من عنبه وزبيبه .

ولهم طريقة في حفظ العنب إلى زمن الشتاء ، وهي أن يقطع الغصن الذي فيه العنب ، ويحفظ في مكان لا تراه فيه الشمس ، ويقل فيه الهواء ، وأحسن منها أن يؤخذ العنقود مع الغصن الذي يكون فيه ، ثم تحفر حفرة عميقة ، ويدلى فيها العنقود والغصن ، بحيث لا تمسه الأرض من جميع جهاته ، ثم تغطى الحفرة ، ويبقى العنقود متدلياً في الهواء ، متصلاً بالشجرة التي أخذ منها ، فيمتص منها ما يعيش به إلى فصل الشتاء ، فاذا أرادوا أكله كشفوا عنـــه الغطاء ، وأخرجوه غريضا طريا ، ويقال للغصن مع العنقود : دَارُوخ ، ويقال : داروخ أيضاً للجفنة المستطيلة الشكل المنبسطة على الارض الكثيرة الحمل .

وأما التين فأنواعه كثيرة في المعرة ، منه :

السلطاني وهو كبير الحجم كالكرة المبسطة ، ولونه يضرب إلى الصفرة ، وهو شديد الحلاوة ، ويؤكل رطباً ويابساً .

المُعَنَّق ثمره كبير الحجم على شكل الكمثرى (الانجاص) ولونه ضارب إلى الصفرة ، وهو شديد الحلاوة ، ويؤكل رطباً ويابساً .

الشُوشاري لونه خمري ، فيه حمرة إلى السواد ، كبير الحجم ، غليظ القِشرة ، حلوه شديد ، ولا يتخذون منه يابساً ، وبعضهم يسميه شنشاري .

الخُضرَاوي لونه أخضر وهو كبير الحجم ، ويبقى إلى نهاية الخريف ، وهو قسمان : كبير الحجم ويسمى كف العرب ، وصغير بالنسبة إلى الاول ويسمى خضراوي ، ولا يتخذون منه يابساً .

الحِيشاوي لونه خمري ، وطعمه حلو ، ويؤكل أخضر ويابساً ولعله منسوب إلى قرية حيش من عمل المعرة .

هَاربي لونه الخارجي أصفر ، ولون داخله أحمر ، وفيه شيء من الحموضة ، ولعله منسوب إلى الهارب ، والهارب في عرف المعرة حديقة تسيل إليها مياه الحمام ، فتجتمع في بحيرة ، وتسقى منها أشجار الهارب ، وقد كان في المعرة هازبان : أحدهما في

المحلة القبلية ، والثاني في المحلة الشمالية ، ثم اندرس هذا وجعل مكانه طريق يصل ما بين السوق والجامع ومقام السلطان أو ليس كما ذكرناه في موضع آخر .

الكرسعاوي لونه خمري ، وحجمه صغير ، وطعمه حلو ، وينضج قبل غيره ، ويؤكل رطباً ويابساً وأظن أنه منسوب إلى كرسعة قرية من عمل المعرة .

وفي المعرة من كل جنس أنواع غير ما ذكرنا ، ولكننا اكتفينا بالمشهور ، وفي ضاحيتها كذلك أنواع متعددة .

شجرة الحمض :

دلت التجارب على أن أشجار الحوامض لا تعيش في المعرة كثيراً ، لأن وطأة الشتاء فيها شديدة ، وقد يكثر الصقيع فيهلكها ، ولذلك يقل فيها شجر الليمون والكبّاد والبُرْدُقان وما شابهها . وكذلك شجر النخيل والمَوْز وغيرهما لا يعيش كثيراً .

وتنبت أرضها الحِنْطة الجيدة والشعير الجيد الكبير الحجم ، وجميع القَطاني التي يريدونها كالعَدس والجُلْبان ، والذُرَة الصفراء والبيضاء والحِمص.

وفي بساتينها يزرع كل ما يزرع من السقوي كالخِيار والقِثّاء

والكُوسا [١] والقَرْع واللُّوبِيَاء والباذِنْجان والبندورة [٢] والبامِيَة والفاصُولِياء والفَاْيفِلة الخضراء والحمراء والخَسّ والفُجْل والبَصَل والجَزَر واللِّفْت والشَوَنْدَر والسِلْق والكَرَنب والكُرّاث والبراصيا والفُول والمَلفُوف والقُنَّبِيْط والحَرْشَف (انكي نار) ، ارضي شوكي [٣] .

ويزرع في أراضيها الآنسون والسِمْسِم والقُطْن والبِطِّيخ الأحمر الجيد والأصفر ، وأجوده المسمى قاوون .

وكثير من هذه الاشياء يزرع عذياً ، فلا يسقى بغير ماء السماء ، ويكون جيداً غضاً ، ومنه ما هو أطيب من المسقي بالماء .

وقد تقدم ما يدل على أن القطن كان يزرع في المعرة منذ ستة قرون فأكثر ، وأنا أعرف جماعة في المعرة كانوا يزرعونه قبل هجرتي منها .

وأكثر الزُرّاع في الضواحي وجمهور الأغنياء من أهل المعرة ، يتخذ عمالاً لزراعته ، ومن يزرع بنفسه يشغل نفسه في زمن

(١) في معجم الألفاظ الزراعية للشهابي ص ١٩٢ : كُوسى ، كُوسة .
(٢) في معجم الألفاظ الزراعية ص ٦٤٥ : بَنادُورَى .
(٣) في معجم الألفاظ الزراعية ص ١٢٤ : شُوَيْكي .

الحرث والزرع والحصاد والتذرية ، ثم يبقى بلا عمل بقية أوقاته .

ومما أسلفنا يتبين أن معظم الناس لا عمل لهم ، ومن له عمل منهم ، لا يشغل عمله إلا وقتاً قليلاً من حياته ، فلا يجد ما يصرف فيه بقية أوقاته ، إلا اجتماعه باشباهه ، ومشاركته إياهم في نقد زيد وسب عمرو ، والاعتراض على بَكْر والكيد لهذا ، والانتقام من ذاك ، ثم ينمي الاجتماع هذه الشرور ، ويهوّن على الانسان ضر غيره ، ويجرئه الانتقام والافتراء في سبيل الانتقام ، فيزداد الحسد وتتفاقم الضغينة ، ويستفحل الحقد ، ويستطير شَرَر الشرّ ، حتى يستعذب المُرّ ، ويستسهل الصعب ، ويطمع كل في القضاء على غيره ، ويطمح إلى أن يخلفه في مركزه ، فلا يدخر وسعاً في سبيل ذلك .

ولذلك أصبحت المدينة في أخريات المدن ، كما أصبح أهلها في أخريات الناس من حيث العمران والحضارة والعلم والتجارة والصنعة .

ومن العجيب أنك لا تحدّث واحداً من أهلها إلاّ وجدته ينكر على غيره مثل ذلك ، وهو يفعله ، ويقبح هذا العمل

ويقترفه ، ويعترف لك بأن الفساد منتشر في المدينة وضاحيتها ، ويتوجع من ذلك ويأسف ، ولكن مثلهم مثل الشعراء يقولون ما لا يفعلون ، وقديماً ما درج على السنة العامة والخاصة منهم هذان البيتان وهما من شعر العامة الملحون المختل الوزن :

ان المعرة مضره فيها الفساد مؤبد
كيف اسكن المعرة وانا من أمة محمد

وأظن أن بعض العامة أخذه من قول شرف الدين ابن البارزي ، حين ولي قضاء شيراز :

إنما شيراز نار وبها القاضي مخلد
قلت لا أمكث فيها أنا من حزب محمد[1]

هذا مجمل الحالة التي كانت عليها المعرة وأهلها إلى سنة ١٣١٩ هـ ، وظلت عليها إلى أن جلت الأتراك عنها ، وقد أغفلنا ذكر شيء مما يتعلق بعمرانها ، وأرجأنا شيئاً آخر إلى وصفها في هذا العصر خشية التطويل والتكرار .

---

(١) ابن حجة الحموي : خزانة الأدب وغاية الأرب ٣٨٠ (ج) .

طريقة العثمانيين في أخذ الخراج والضرائب :

سلك العثمانيون طرقاً مختلفة في طرح الضرائب والمكوس وجباية الأموال من الناس .

وقد ذكر المؤرخون أن اقطاع ايالة حلب وخراجها ، كان يبلغ مسانهته ثمانمائة وسبعة عشر ألف آقجة ، وكل ثلاث آقجات بارة ، وكل أربعين بارة قرش ، وقد كان في هذه الايالة مائة وأربع زعامات ، وسبعمائة وتسعة وتسعون اقطاعاً ، وحاميتها الفا فارس وخمسمائة فارس .

ولما فتح محمد علي باشا المصري بلاد الشام ، كان يأخذ من الأجانب من رسوم المكوس والضرائب ، أقل مما يأخذه من أهل البلاد ، حتى اضطر بعض التجار إلى ابتياع حماية الأجانب ، ليستطيعوا أن يتجروا ، وكان فرض على كل رجل ساكن في المدينة ضريبة تسمى « الفردة » ، تختلف من خمسة عشر قرشاً إلى خمسمائة قرش ، بحسب حال الرجل ، ولما عاد الترك إلى البلاد وجدوا صعوبة في جبايتها فأبدلوها بضريبة على البيوت .

وفي سنة ١٢٧٢ ه قسمت الدولة العثمانية بلاد الشام إلى ايالتين: ايالة دِمَشْق ، وايالة صَيْداء ، ويدخل في الأولى دمشق ، والمَرْج ، والغُوطة ، ووادي العَجم ، ووادي بَردى ، وجبل قَلَمُون ، وحماة ، وحِمْص ، وبَعْلَبَكّ ، ومَعَرّة النُّعْمان ، وعَجْلون ، والبِقاع ، وحاصبيا ، وراشيا ، وحَوْران ، وجبل الدُّروز ، وحِصْن الأكراد ، والقُنَيْطَرة ، وكان دخل هذه الايالة من الخراج والأعشار والبدل العسكري والرسوم المختلفة « ٤١٨٠٥ » أكياس ، والكيس خمسمائة قرش ، يضاف إليها « ٩٠٠ » كيس ، كانت تدفعها الخزينة إلى الأوقاف ، وهذا عدا ما كان يؤخذ من حماة وحوران وحمص وجبل الدروز وحصن الاكراد ومعرة النعمان وعجلون عينا من الأعشار والرسوم ، وهو « ١٨٧٥٩ » إرْدَباً من القمح ، و « ٢٥٨٨٤ » اردباً من الشعير و « ٩٥١ » من الذُّرَة ، و « ١٣٣٩٣ » أوقة من السمن ، و « ٣٢٠ » اوقة من الحرير ، و « ١٣٠٠ » رأس من الغنم .

خصائص المعربين :

إذا استقرى الانسان تاريخ المعربين في القديم والحديث ، تبين أنهم يتشابهون في بعض الخصائص ، ولعدم اطلاعنا على تاريخ المتقدمين اطلاعاً كافياً ، لمعرفة حالهم حق المعرفة ، نجد في المتأخرين خصائص لم نقف على مثلها في أخبار السابقين .

فمن الخصائص المشتركة في غالب الأزمان ، تكنية الولد صغيراً ، فان المتقدمين كانوا يكنون أطفالهم بمثل أبي العلاء ، وأبي المجد ، وأبي النّدى ، وأبي الحسين ، وأبي الفتح ، وأبي المكارم ، قبل أن يولد لهم أولاد ، وربما لا يكون لهم أولاد ، وقد ظلت هذه السنّة متبعة حيناً من الزمن ، ثم تهاون بها الناس قليلاً في أخريات العهد التركي ، وفي الزمن الأخير منه أساء فريق من الناس استعمالها ، فقد كانوا يكنون أشخاصاً بكنى مستهجنة كأبي خُرج ، وأبي العِنَب ، أو مستقبحة بذيئة كأبي سُرْم (١) ، ولكنهم في هذا العهد رجع فريق منهم إلى التكنية كما كان في العصور السابقة .

---

(١) أي طرف المعي المستقيم والدبر .

ومن الخصائص المشتركة أيضاً التلقيب ، فإنك تجد كثيراً في أسماء المتقدمين مثل : نجم الدين ، وتاج الدين ، وبدر الدين ، وشمس الدين ، وشرف الدين ، وزين الدين ، وكمال الدين . وقد كان هـذا قليلاً في العصور الاول ، كثيراً في العصور الوسطى ، وأول من عرفته من أهل المعرة ممن لقب بمثل ذلك بهاء الدين ابراهيم بن شاكر أبي اليسر التنوخي المولود سنة ٥٦٥ هـ ، وابنه تقي الدين اسماعيل بن ابراهيم المولود سنة ٥٨٩ هـ ، ونجم الدين بن أسعد بن حلوان المولود سنة ٥٩٣ هـ ، وأخوه موفق الدين المتوفى سنة ٦٤٢ هـ .

وأما العصور المتأخرة فقد درج أصحابها على طريقة الترك ، فيسمون الولد محمداً أو أحمد أو غيرهما ، ثم يلصقون به لقباً ، ليفرق بينه وبين من يشاركه في اسمه ، مثل : سليم وأمين وصالح ومدحة ، وكان العامة يسمون هذا اللقب مخلصاً ، وربما كان اللقب أعجمياً أو عربياً غير فصيح ، مثل : محمد نيازي ، أحمد عزمي ، جواد حقي .

ومن هذه الخصائص المشتركة تكرار الاسم في الاسرة

الواحدة ، وتسمية الحفيد باسم الجد ، كما ترى مثل ذلك في ترجمة محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد ابن سليمان ، وفي مثل محمد سليم بن محمد تقي الدين بن محمد سليم ، ومنهم من يكرر الاسم في الاب والابن والحفيد كما ترى في ترجمة محمد بن محمد بن محمد . وقد رأيت في حجة شرعية من محكمة المعرة محمد بن محمد بن محمد الجندي ، والغالب أن يكون مثل هذا ، إذا كان الجد أو الاب أصاب حظاً ، أو منزلة سامية في الحياة ، فانهم يسمون باسمه ، تعظيماً لشأنه باعادة اسمه وتفاؤلاً به ؛ ليكون الولد أو الحفيد كالاب أو الجد .

ومن خصائص المتأخرين ضعف العصبية القومية والوطنية ومن آثار هذا الضعف أن الرجل منهم قد يبلغ منزلة عظيمة في العلم أو الادب ، أو الإمرة ، أو غيرها ، فيستهين به أقرباؤه ، وأبناء وطنه ، وكلما ارتفع شأنه ازدادوا استخفافاً به ، وتحقيراً لأمره ، وربما تألبوا عليه واغروا به ، وكادوا له ، حتى يخمدوا جذوته ويخضدوا شوكته .

وإذا طرأ عليهم طارىء غريب التفوا حوله ، ورفعوا شأنه ، وعظموا الصغير من أمره ، وخصوه باحسانهم ، وغمروه بمنحهم ، وافترَوا له من المناقب والمكارم ما ليس فيه ، وقد يكون فيهم من هو أكثر منه علماً وأشد ورعاً وأفضل في كل شيء ، ولكنهم ينابذونه [١] ، وينابزونه [٢] بالألقاب المستهجنة ، وكثيراً ما كنت أسمع من شيوخ المعرة وأنا صغير إذا رأوا مثل هذا ، تمثلهم بقول القائل: أزهد الناس في الرجل أقرباؤه ، وبقول الشاعر:

لاعيبَ لِي غيرَ أني من ديارِكمُ   وزامرُ الحي لم تطرِب مزامرُهُ

على أن هذا الخلق عام في السوريين جميعاً ، ومن استقرى أحوالهم وجد ألوفا من الشواهد والأدلة على ذلك ، وقد رأيت في دِمَشْق غير واحد من رجال المغرب يأتي المدينة ، وهو أشعث أغبر ، بالي الطِمْر ، حافي القدمين ، لا يملك من متاع الحياة وعُدَد الارتزاق الا بُرْنُسا بالياً ، وسواكا من أراك ، وسبحة عظيمة الحب ، وصرة من بخور يضعها في عمامته ، ومكحلة

(١) أي يخالفونه ويفارقونه عن عداوة .

(٢) أي يعيرونه .

ومروداً ، فإذا دخل المدينة عمد إلى مسجد من مساجدها ، فاذا أقيمت الصلاة صلى صلاة متواضع خاشع ، فاذا فرغ من صلاته بقي مستقبلاً القبلة ، وجهر بأوراده وأذكاره ليسمع الناس ، ثم لوى عنقه على صدره وأغمض عينيه ، وسكن كأنه خشبة مسندة ، لا ترى ولا تسمع منه إلا قرع سبحته وتحريك شفته ، فاذا رآه رجل من البلد من أهل المدينة أقبل عليه وجلس على ركبتيه وقبل يديه ، وتودد إليه كأنه ولد فقده ثم وجده ، أو كنز كان ينقب عنه ثم ظفر به ، فينظر إليه نظر المعرض عنه ، ليفهمه أنه لا يريد أن ينصرف عن ورده قبل أن يتمه ، فلا يزال يثني عليه ويتلطف به حتى يلتفت إليه ، فيدعوه إلى منزله ، فيأبى ، فلا يزال يلح عليه ، حتى يصحبه إلى منزله ، فيدعو جماعة من إخوانه وأشباهه ليشتركوا معه في التبرك به ، ثم يسرد طائفة من مناقبه كأنه يعرفه منذ حداثته ، ويفتري له من المكارم والكرامات ، ويبالغ في مدحه بقدر ما أوتي من حول وطول في الكذب والاختلاق ، فيتزاحم الحاضرون على دعوته إلى منازلهم ، فيتعفف ويأبى ،

فلا يزالون به حتى يجيبهم واحداً بعد آخر على كره منه ، وكل واحد منهم يدعو في نوبته طائفة من أصحابه ليعرفهم بالشيخ ويعرفه بهم ، فيتبارون في دعوته ، فلا يمضي قليل من الزمن حتى يكثر مريدوه وأشياعه وأتباعه ، وهو يقرأ عليهم في كل مجتمع شيئاً من البردة ، أو المنفرجة ، أو الجلجلوتية ، أو نحوها ، ويحدثهم بأحاديث الجن وكيف يستطيع أن يسخرهم في أغراضه ، فيعطونه كرائم أموالهم ، ثم يهبونه من أفضل منازلهم ، ثم يزوجونه أكرم عقائلهم ، فاذا عاش وارتاش قال : إنه من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب ، وإن كان يخفي ذلك تواضعاً ، فيزداد أولئك الأتباع تعظيماً له ويزيدون في بره وإكرامه ، فاذا تمكن من قلوبهم أوحى إلى نفر منهم أن يسعى له بوظيفة ، اما درس في مدرسة ، أو امامة في مسجد ، أو نحو ذلك ، فيعمل هذا هو وأصحابه ، ويستفرغون المجهود حتى يبلغوه مأمله ، ثم لا يلبث حتى يجيء بقريب له أو صديق فيسعى حتى يوظفه في منصب آخر بعد أن ينزع منه من كان فيه من أهل البلد ، ثم لا يزال هذا دأبه حتى يقصي

كثيراً من أبناء البلدة عن مرافق حياتهم ، ويستبدل بهم جماعة من أبناء جلدته ، حتى يصبحوا أُولي الحل والعقد في المدينة ، ويتخيروا أشرف الأنساب وأكرم الألقاب .

وقد يكون في أبناء أشياعهم من هو أفضل من هؤلاء الطُرّاء الذين لا يعرف من أمرهم شيء ، وقد يكون فيهم جواسيس للحكومات الأجنبية ولصوص وعيارون ودجالون .. ولا يبعد أن يكون مثل هذا في المتقدمين ، غير أن التاريخ ضن علينا به ، أو أننا لم نوفق إلى العثور عليه .

ومن تصفح شعر أبي العلاء في نقد الأخلاق والحياة الاجتماعية في عصره ، تبين له أن التاريخ يعيد نفسه ، وأن أهل هذه المدينة اليوم يشبهون أهلها في ذلك العصر في كثير من الخلال السيئة والأخلاق الفاسدة ، ومن أقبح هـــذه الخصال أمور :

الأول الحسد ، وقد بينا أسبابه وما نجم عنه ، وفي شعر أبي العلاء وغيره كثير من ذم الحسد والحساد ، مما يدل على أن هذه العلة كانت متفشية في عصره ومصره .

الثاني الغيبة، فان الجمهور منهم يتفكه بنهش الأعراض، وانتقاص الناس ، ويعد ذلك من طُرف الحديث ، وريحان المجالس ، وأمارة على الشجاعة والجرأة .

الثالث النميمة ، تفشى هذا المرض في الأيام الأخيرة حتى أنك لا تكاد تحدث أحداً بشيء الا نقله عنك لايقاع الشر والفتنة ، فان كان من المحسنين لم يتزيد في حديثه ، وان كان غير ذلك زاد بقدر ما يحتاج إليه لايقاد الفتنة .

الرابع الصلف والتعجرف ، وأظهر موطن يتجلى فيه هذا ، أصحاب النسب الكريم والحسب القديم ، فالعباسيون مثلاً يريدون الناس على أن يعظموهم اليوم ، وان كانوا صعاليك أو جهلاء ، كما كانوا يعظمون المنصور والرشيد والمأمون ، والعلويون يحملون الناس على أن يكرّموهم ، كما كانوا يكرّمون علياً والحسن والحسين ، وان كانوا جهلاء ، فقراء ، أشقياء ، ومن كان أبوه أو جده موسراً يفرض على الناس أن يبجلوه كما كانوا يبجلون أباه ، وهكذا سبيل كل ذي حسب تليد إذا رأى أحداً انتفخ كالزق ، وتنفش كأنه خَرَب تنفج من حذار الأجدل .

أما ذوو الشرف الجديد والحسب الطريف ، فانهم يقسرون الناس على أن يعبدوهم ، وان كانوا كالأصنام في الجمود والجهل .

الخامس الاغراء والتحريش والقاء العداوة والبغضاء بين زيد وعمرو ، وهذا الخلق يلجأ إليه من كان موتوراً عاجزاً عن الانتقام ، أو من حيل بينه وبين أطماعه ، فلا يجد وسيلة يشفي بها علته ، أو يروي غلته ، إلا تسليط هذا على ذاك ، وربما أضرم فتنة التهمت الأخضر واليابس .

السادس حب الأثرة فان الرجل منهم يريد أن تموت المدينة بأسرها ليحيا وحده ، ولذلك ترى أكثرهم في صراع دائم وجدال مستمر ، يسعى كل واحد إلى إبادة خصمه ، فيسد عليه مسالك الهواء ، ويشدد الخناق ، ولا يدخر وسعاً حتى يظفر ، أو يقبر ، وقد تمالىء الحكام أحدَ الفريقين ، حتى يضعف الآخر ، وربما انقلبوا على الأول ، وانما يريدون اذلال كل منهما ، واستلاب ماله ، وتفريق رجاله ، فاذا تغلب أحدهما لا يلبث أن يصطدم بآخر ، فيقع بينهما ما وقع بين الأولين والرابح في كل حال رجال الحكومة ، لأن الظافر في كل

معركة لا يستطيع أن ينال من خصمه درهماً حتى يعطي الحكومة تسعة أعشاره .

الكلام في المعرة بعد الحرب العامة الأولى :

في سنة ١٩١٤ ميلادية الموافق سنة ١٣٣٢ هـ أعلنت الدولة العثمانية الدخول في الحرب العامة ، وجردت الجند من البلاد الشامية وغيرها ، واستولت على أموال البلاد وغلاتها ، باسم الاعانة تارة ، والاعاشه تارة أخرى ، ونعم رجال الحكومة من عسكريين وملكيين وأشياعهم وأتباعهم ، ببؤس أهل البلاد الذين ذهب شطر كبير منهم في ساحات الحرب ، وشطر آخر ضحية الجوع والحمّيات والأوبئة والأمراض الفتاكة ، ولم أقف على شيء يفصل حياة المعرة في ذلك العهد ، الا أني أعلم أنها شاركت البلدان الشامية في كل ما قاسته من ابتزاز الأموال ، وقتل الرجال ، وذل العزيز ، وعزة الذليل ، ونحو ذلك من أنواع الشقاء ، وأن جماعة من طبقات مختلفة في المعرة لم يشبعوا من خبز الشعير مدة الحرب ، وانما كانوا يعيشون مما تنبت الأرض من بقل في الربيع ، ويدخرون شيئاً آخر منه لما بعد ذلك .

ويمكن أن تلخص الحالة في زمن الحرب بأن الحكومة كانت تتصرف بالرجال والعقارات والاموال تصرفاً مطلقاً ، وأنها كانت تمتهن الاهلين وتسخرهم في مصالحها العامة كما يسخرهم رجال الحكومة في مصالحهم الخاصة . ولو كتب لها الظفر في هذه الحرب ، لادعى كل واحد من الاتراك ما ادعاه فرعون وقال للناس : أنا ربكم الاعلى .

وأن الترك من عمال الحكومة وغيرهم كانوا يتنعمون من شقاء الامة ، ويشبعون من جوعها ، وأن صنائعهم من العرب والمستعربين كانوا كالعلق ، يمتصون دماء الامة ليشبعوا شهواتهم منها .

وفي اليوم الثاني من المحرم سنة ١٣٣٧ هـ الموافق ايلول سنة ١٩١٨ م . دخل الجيش الانكليزي والعربي مدينة دمشق ، ثم سارت فصائل الجندين ، فدخلت المعرة ، ثم دخلت حلب في العشرين من المحرم ، وأصبحت منذ ذلك الحين تابعة للحكومة العربية في دمشق .

وفي ٢٥ تموز سنة ١٩٢٠ م دخلت الجيوش الفرنسية

بلاد الشام واستولت عليها ، لأنها كانت منتدبة عليها من قبل جمعية الأمم ، ودخلت دِمَشْق ثم حلب ، وأصبحت سورية كلها خاضعة للنظم التي تسنها الدولة المنتدبة للبلدان عامة ، وظلت المعرة تابعة لحلب ، كما كانت ، وبقيت حكومتها على ما هي عليه ، وكان فيها مستشار فرنسي ، فكان يسيّر الحكومة على وفق هواه وإرادته ، ويسخر الناس في مقاصده ومنافعه ، فكانت تذوق من ألوان الجور والسلب والعجرفة ، وتقريب الغبّارين وأهل الدعارة ، واقصاء الاشراف واهانتهم ، ما كانت تذوقه بقية البلاد السورية .

وفي سنة ١٣٤٤ هـ شبت الثورة ضد الفرنسيين واتخذ الثوار جبل الزاوية معقلاً لهم ، فكان بعض أهل المعرة يشاركون الثوار علناً ، وآخرون سراً ، فكان فريق منهم يخرج تحت ستار الظلمة فيمدون الثوار بما لديهم من عتاد وأسلحة ، ثم يعودون إلى بيوتهم ، ومنهم من كان يشترك في حرب الليل ، ويعود إلى بساتين المعرة نهاراً ، وقد فطن الفرنسيون - لذلك

فشددوا الحصار على المعريين ، وضيقوا عليهم الخناق .

ولما هجم الثوار على المدينة ، وضع الجند متارس وخواجز من حجارة على سطح الخان والثُكْنَة التي تقابله ، واختبؤا وراءها يقاتلون الثوار ، حتى تهشمت جدران الخان من الرصاص ، وذهبت نضرتها ، وبقيت آيات شاهدة وآثار دالة على همجية الفرنسيين وأعمالهم السيئة .

ثم دهم المعرة فئة من الصهيونيين وعلى رأسهم رجل منهم يقال له : نورس طِيبى ، أو طيبة ، فاحتل دار الحكومة ، وأخذ ما فيها من الاموال ، فاستكبر أهل المعرة ذلك ، ثم حصروه هو وأصحابه ، وقبضوا عليه وشدوا وثاقه ، وأبقوه حتى جاء جند الحكومة من حماة وحلب فسلموه إليهم ، ثم قتلته الحكومة .

ثم اعتقلت الحكومة المنتدبة جماعة من أعيان المدينة منهم المفتي ، ونقيب الاشراف ....

وخضدت شوكة المعريين حتى استسلموا للفرنسيين ، وظلوا خاضعين لسطوتهم وعدوانهم وبغيهم ، حتى خضد الله شوكتهم وأخرجهم من البلاد السورية عامة .

سورية والفرنسيون :

كان السوريون يسمعون الشيء الكثير من جور الفرنسيين وعسفهم وتعديهم على البلاد التي يستعمرونها ، ومحاولتهم القضاء على مقومات حياتهم الدينية والاجتماعية ، وأنهم لا يألون جهداً في إخراجهم عن دينهم ، ومنعهم من إقامة شعائره بطرق ظاهرة وباطنة ، وفي اخراجهم عن قوميتهم ، ومنعهم من تعلم لغتهم ، وحملهم على الطرق التي تجعلهم فرنسيين ، واستباحة أموالهم وأعراضهم واحتقارهم بصور فظيعة ، ونحو ذلك من الاعمال المنكرة الوحشية ، فكرهوا الفرنسيين بسبب ذلك كرهاً لا مزيد عليه ، وبلغ الفرنسيين ذلك عن طريق جواسيسهم .

فنقم السوريون على الفرنسيين أعمالهم وظلمهم ، وخافوا من شرهم وظلمهم ، فلما انتهت الحرب سنة ١٩١٨ م ، وأراد الفرنسيون احتلال سورية تأهب أهلها لمحاربتهم على ضعفهم وقلة عَددهم وعُدَدهم ، ثم حاربوهم ، فظفر الفرنسيون ، ودخلوا البلاد عنوة ، فلما توطدت أقدامهم فيها فرضوا على الناس ضرائب مختلفة بأسماء متنوعة ، وفرضوا عليهم مقداراً من

الاسلحة ، وجمعوا أضعاف ما فرضوه من الاموال والاسلحة ولكن ليس هناك من يراقب أو يحاسب ، وعاملوا الناس بقسوة واهانة ، فوضعوا على أبواب المساكن التي تأخر أصحابها عن دفع الضريبة جنوداً من المغاربة والسودان والسنغال للارهاب ، فخاف الناس على أرواحهم وأموالهم واعراضهم ، ثم بدأوا يسومون الناس سوء العذاب ، وأسكرتهم نشوة الظفر .

ومن استقصى أعمال الفرنسيين في سورية ، لا يرتاب في أن حكمهم لا يدوم ، وان أمانيهم ستعود بالخيبة والخزي ، وذلك لاسباب كثيرة ربما كان من أعظمها او أعظمها أمران : أحدهما مصدر السياسة التي كانوا يسوسون بها البلاد ، والثاني القائمون بالاعمال السياسية وغيرها .

أما الأمر الأول فان الفرنسيين كانوا يكرهون السوريين ، لما يبلغهم عنهم من كراهتهم إياهم ، فلما دخل الفرنسيون ظافرين وهم أصحاب طيش وحمق وغرور ، وقصر نظر في سياسة الشعوب ، اتصل بهم أكثر الذين كانوا يتصلون بهم من قبل ، وأوغروا صدورهم وملأوها بكره المسلمين وحرضوهم

على الانتقام منهم ، ودلوهم على ما يجهلون من أحوالهم وأموالهم فهب الفرنسيون إلى السلب والنهب والفتك والاذلال والانتقام ، كأنهم وحوش ضارية ، لقيت غنماً ليس لها من يحمي ذمارها ويذود عن حياضها ، ولو استطاعوا أن يمحوا المسلمين والعرب ، ويطمسوا معالمهم في يوم واحد لفعلوا .

وأما الأمر الثاني فان أكثر القائمين بالاعمال السياسية وغيرها من الفرنسيين ، ليسوا على شيء من الاخلاق الفاضلة فقلما يجد الانسان فيهم عفيفاً ، أو نزيها ، أو طاهر اليد أو الذيل ، بل كان أكثرهم أسرق من فأرة ، وأزنى من قرد وأجوع من كلبة حومل ، وأطمع من أشعب .

وكان كثير منهم من يبيع مصلحة دولته الغالية بثمن بخس يرتشي به .

مما جعل نقمة السوريين تشتد على الفرنسيين ، وتغلي مراجل الحقد في نفوسهم ، وكانوا ينتظرون فرصاً تسنح ، ليشفوا بها غللهم .

وقد ثاروا على الفرنسيين غير مرة ، ووقعت بين الثوار

والفرنسيين ومن معهم من المتطوعة معارك دامية ، قتل فيها خلق كثير من الفريقين .

ولما اعلنت الحرب الاخيرة سنة ١٩٣٩ م تحفز الفرنسيون للقضاء على السوريين ، وأعلنوا مصادرة الاموال والرجال ، فأخذ فريق من الشبان يفرون إلى بلاد الترك والعراق وشرقي الاردن وفِلَسْطين وغيرها ، خوفاً من أن يجندهم الفرنسيون فأعلن الفرنسيون أنهم يريدون مصادرة العمال ليشغلوهم في مثل أعمالهم ، لا ليجندوهم ، فهدأ روع الناس قليلاً .

ولكن الفرنسيين أخذوا ينصبون الشباك ليحولوا بين الناس وبين الفرار ، كما أخذوا يمدون أيديهم للاستيلاء على مرافق الحياة والتجارة بقوانين وضعوها ، ولكن أمرهم لم يطل ، فقد هزمهم الالمان ، واستولى على معظم بلادهم ، فلانت قناتهم في سورية ، وخفت غُلواؤهم .

ثم دخل الجيش الانكليزي سورية ، ووقع بينه وبين الجيش الفرنسي معارك ، كان الظفر فيها للانكليز ، لأنه أغرى كثيراً من رجال الحكم وقادة الجند الفرنسيين بابقائهم

في وظائفهم وترفيع رتبهم ، فأصبحوا تابعين لقيادة الجيش الانكليزي بحسب الحقيقة .

ثم أخذ يفل شباتهم ، ويخضد شوكتهم ، ويقصيهم واحداً بعد آخر ، ولكن أبقى لهم غرورهم وعجرفتهم وطماعيتهم في الاستفادة .

وكان الناس في سورية قبل دخول الجيش الانكليزي ، يسيرون بخطى واسعة نحو الفقر والفاقة ، ويتوقعون أزمة خانقة من تصرف الفرنسيين السيء ، ومما أحدثوه من الوظائف والادارات التي قبضوا بسببها على منافذ الحياة ومرافقها ، مثل مكتب القطع النادر ودوائر الاعاشة والميرة والاستيراد والتصدير ونحو ذلك ، فكان كل شيء تحت تصرفهم لا يدخل شيء إلى البلاد ، ولا يخرج شيء منها إلا بإذن منهم ومن رجالهم الذين كانوا يعملون لمصلحة أنفسهم قبل مصلحة حكومتهم .

وكانوا يأخذون حاجة الجيش من طعام وشراب وغيرهما مما في البلاد ، ويستولون على ما يجدونه فيها من المواد الاجنبية التي يحتاجون إليها ، فوقفت الاعمال ، وقلت البضائع ،

وارتفعت الأسعار ، فمنها ما زاد ثمنه عشرة في المائة ، ومنها ما زاد مائة ضعف ومائتي ضعف وأقل وأكثر .

وبعد انكسارهم واستيلاء الالمانيين على قسم من بلادهم ، أخذوا يموّنون بلادهم من سورية ، فيرسلون إليها القمح والسكر والسمن والصابون والعدس وكل شيء أمكنهم إرساله ، وكان كل واحد من جنودهم يرسل في كل بريد ما يمكنه إرساله إلى أهله من ذلك .

فازداد بذلك ضيق البلاد ، واشتدت نقمة أهلها على الفرنسيين ، وكان الانكليز على عكس ذلك ، فكانوا يستقدمون إلى البلاد ما تشتد إليه حاجتها من سكر وأرز وقمح وغيرها .

وأخذوا يفتحون طرقاً ، ويحدثون أبنية للعسكر ، فقلت بذلك البطالة ، وشبع كثير مما كانوا يأخذونه من الجنود بيعاً وهبة .

وكان الانكليزيون يحسنون معاملة الناس ، ويساعدون التجار على جلب الارزاق والبضائع في كثير من الاحيان ، فأحبهم الناس بقدر ما كرهوا الفرنسيين فشعر الفرنسيون بأن نفوذهم أخـــذ

يتقلص في البلاد ، وأن كرههم قد استحكم في قلوب السوريين عامة ، وكانت أذية رجالهم وعمالهم تشتد يوماً فيوماً ، وكانت جواسيسهم وبطانتهم توغر صدورهم على الناس ، ليتمكنوا بذلك من السلب والنهب ، فرتبوا من حمقهم خطة أرادوا أن يثبّتوا بها أقدامهم في البلاد ، ويستعيدوا سلطتهم ، فتأهبوا للشر ، ووضعوا متارس وأكياساً من الرمل في بعض الأماكن في الطرقات ، وعلى سطوح المنازل ، وعلى أبواب الأماكن العسكرية ، وفي المنعطفات وغيرها ، حتى ان من يطوف في مدينة دمشق يظن أنه في ميدان حرب .

وشعر الأهلون والحكومة الوطنية بما يكنّه الفرنسيون في صدورهم من الكيد والشر ، فوضعت الحكومة قطعاً من الدرك في بعض الأماكن ، وعلى باب دائرة الحكومة ، ومجلس النواب .

فلما كان يوم ٢٩ مايس سنة ١٩٤٥ م . بدأ الفرنسيون باطلاق النار على المارة في الشارع الممتد بين الجامعة السورية إلى سوق الأروام والمسمى بشارع النصر ، فهرب الناس إلى منازلهم واختبأوا ، وأخذ الفرنسيون يطلقون النار بصورة

متتابعة من المدافع المثبتة في أماكن مختلفة من الثكْنَة الحميدية وشارع النصر والمستشفى العسكري وطريق الصالحية وشارع بغداد وغيره .

وكانت المصفحات والدبابات تطوف في المدينة ، وهي تطلق النار على المارة والجدران والنوافذ ، وألقيت قنابل كثيرة على بيوت فدمرتها ، وقتلت من فيها ، ووقع بين الدرك السوري والجيش الفرنسي معارك ثبت فيها الدرك على قلة سلاحهم ، وامتد ذلك إلى الليلة الثانية ، فاشتدت وطأة الفرنسيين ، وأحرقوا حارات بنيران القذائف ، وقد احترقت حارات مجاورة لحارتنا ، وهي حارة الشالة ، وكادت النار تلتهم منازلنا ، وكلما أخرجنا واحداً لاطفائها رماه الجند بالرصاص .

وفي هذه الليلة أصلوا الدرك نيراناً حامية ، فاضطر إلى الفرار من أماكنه ، وقتلوا حامية المجلس النيابي ، فقطعوهم ارْبا ارْبا ، وهم أحياء .

وقامت السيارات الكبيرة التابعة للفرنسيين تطوف في الاسواق ، ويفتح رجالها مخازن التجارة ، ويملؤونها من البضائع

التي فيها ، ويرسلونها إلى لبنان فتباع فيه ، وكثر السلب والنهب من قبل الجيش وأعوان الفرنسيين وأنصارهم ، ولم يستطع أحد من الناس أن يخرج للمحافظة على رزقه وأمتعته خوفاً على حياته ، وكانت مثل هذه الحالة في حلب وحماة وغيرهما .

ثم إن رئيس وزراء بريطانيا (ونستون تشرشل) أمر قائد الجيوش الانكليزية في سورية أن يقف القتال ويمنع الفرنسيين من عدوانهم ، وكتب إلى عميد الفرنسيين في ذلك العهد[١] برقية يذكر فيها اعتداء الفرنسيين على السوريين ويأمره بأن يوعز إلى الفرنسيين بأن يكفوا عن أعمال القتل والسلب والنهب ، وقال له فيها : إننا أمرنا قائد جيشنا الجنرال باجت أن يقف القتال والتعدي بالقوة .

فأرسل هذا القائد دبابات ضخمة إلى مراكز المدافع الفرنسية ، ومراكز القوى المحاربة والناهبة ، وأمرهم بأن يكفوا فوراً عن كل عمل ، فانصاع أكثرهم للأمر ، وتمرد فريق كانوا في بعض المنازل التي يسكنونها ، أو يقيم فيها فريق من الجند ، فهددهم بضرب المنازل ، فانقادوا صاغرين .

---

(١) لعله يريد الجنرال بينيه المفوض السامي الفرنسي .

وقويت شوكة الناس عليهم ، فكانوا ينهالون على رجالهم بالسب والشتم والاهانة ، وكان القائد أو الموظف الفرنسي لا يستطيع الخروج من مكان إلى آخر ، وكانت المصفحات والسيارات الانكليزية تنقل رجالهم من مكان إلى آخر ، وتحافظ على مراكزهم ومنازلهم ، حتى تم جلاؤهم عن المدينة .

وهذه هي النتيجة المتوقعة من السياسة التي كانوا يستوحونها من خلصائهم وأعوانهم . ومن الغريب أننا كنا نسمع سب الفرنسيين ولعنهم من رجالهم الذين كانوا يعولون عليهم في سياستهم ويستوحونها منهم ، وقد كانوا يظهرون الشماتة بهم ، ويعددون من مساوئهم ما يعلمه الناس وما يجهلونه .

أما المعرة فلم يكن فيها موظفون فرنسيون ولا جنود فرنسية ، ولذلك لم يحدث فيها شيء ، وانما حدث في حماة بين أهلها وبين الفرنسيين حروب طاحنة ، وكان فريق كبير من أهل المعرة قد خرج لمؤازرة الحمويين ، واشترك معهم في القتال ، حتى جاء القائد الانكليزي فوقفه كما فعل قائد دمشق وقائد حلب وغيرهما .

صفة المعرة

رأيت كثيراً ممن كتب في تاريخ هذه المدينة ، كتب ما تلقاه من أفواه العامة ومزاعمهم ، أو مما أوحاه إليه هواه وتعصبه ، أو مما حدثته به نفسه ، أو نقل عمن لا يوثق بنقله فلم يصب شاكلة الصواب فيما كتب ، ومن هؤلاء صاحب (نهر الذهب)[1] فقد ذكر أن في المعرة غاراً يشتمل على قبر عَطاء الله بن أبي رَبَاح حامل لواء النبي (ص) ، وعطاء توفي في مكة ، ولم يُعرف أنه قدم المعرة أو مات فيها ، ولا عُرف أنه صحابي كما سيأتي .

وقد تابعه على ذلك أصحاب (مجلة العاديات) التي تصدر في حلب في العدد الأول من السنة الثانية سنة ١٣٥٠ هـ الموافقة لسنة ١٩٣٢ م .

وقد ذكر أصحابها أيضاً أن قلعة المعرة من عهد الملك

---

(١) أي كامل الغزي .

الظاهر ، وقد بينا أن بناءها تم سنة ٦٣١ هـ ، وأن الملك المظفر هو الذي بناها .

ومنهم طه حسين فقد ذكر في (ذكرى أبي العلاء) [١] أن قلعة المعرة متخربة من عهد الصليبيين ، وأنها تعرف بقلعة النعمان . ومنهم لويس شيخو فقد ذكر الاستاذ الميمني عنه : أنه قال : إن منارة الجامع من بناء عمر بن الخطاب .

وقد بينا في هذا الكتاب الصواب في كل ما ذُكر .

ونحن نصفها الآن على وفق ما رأينا ، أو نقلنا عن الثقات والمراجع الرسمية ، لنقف بالقارىء على الصواب بقدر ما استطعنا فنقول :

المعرة الآن مدينة متوسطة ، واقعة بين حماة من الجنوب ، وحلب من الشمال ، بينها وبين حماة نحو ثمانية وخمسين كيلو متراً وبينها وبين حلب نحو ثمانين كيلو متراً ، بحسب قيود وزارة النافعة السورية [٢] سنة ١٣٥٤ هـ و سنة ١٩٣٥ م .

---

(١) طه حسين : ذكرى أبي العلاء ١٢٤ (ج) .

(٢) أي وزارة الأشغال العامة السورية .

طولها وعرضها :

ذكر أبو الفداء في (تقويم البلدان) [1] أن طولها إحدى وستون درجة وأربعون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة .

ارتفاعها عن سطح البحر :

قال صاحب (ذكرى أبي العلاء) [2] : إن المعرة ترتفع عن سطح البحر نحو خمسة وستين وثلاثمائة متر ، والصواب أنها ترتفع نحو ٤٩٦ متراً على حسب قيد وزارة النافعة السورية وربما كان أكثر .

الطرق المارة بها :

كان أكثر الناس في القديم إلى انقضاء عهد الحكومة العثمانية يسيرون على طريق القوافل ما بين حلب وحماة ، فكان الانسان يخرج من حلبُ إلى خان طومان ، فسراقب ، فخان السبيل ، فالمعرة ، فخان شيخون ، فمورك ، فحماة .

---

(١) أبو الفداء : تقويم البلدان ٢٦٤ .

(٢) طه حسين : ذكرى أبي العلاء ١٢٤ .

وكان الانسان يخرج من المعرة من جنوبيها الغربي فيمر على مكان يقال له قبة الحجي ، وهو عبارة عن تل صغير يقع على يمين الخارج من المعرة ، ثم يذهب جنوباً ، فيمر شرقي حُنَاك ، إلى جهة حيش ، فخان شيخون . وسيأتي في ترجمة محمد ابن عبد الله بن محمد أخي أبي العلاء أن داره بباب حناك ، وتعرف بدار القبة ، فلعلها هي قبة الحجي ، وقد كان الناس في عهدنا يخرجون إلى استقبال الحجاج من هـــذا الطريق ، فينتظرون وصولهم إلى المعرة في هذا المكان ، وفيه آثار تدل على أن هناك كانت أبنية مرتفعة ، ثم أخنى عليها الدهر .

وفي سنة ١٣٤٤ هـ الموافقة لسنة ١٩٢٥ م شرعت الحكومة بتسوية هذا الطريق وتعبيده وتزفيته من حلب إلى تَفْتَنَاز ، ومن المعرة إلى خان شيخون ، وغيرت مخرجه من المعرة ، فأصبح يمر من شرقي المعرة إلى مرحطاط رأساً ، وهجرت المخرج الأول الذي كان يمر على قبة الحجي إلى شرقي حُنَاك .

وفي نحو سنة ١٣٦٥ هـ الموافقة اسنة ١٩٤٧ م شرعت في تعبيد طريق يصل ما بين المعرة وأريحا ، وهذا الطريق يبتدىء

من غربي المعرة ، فيمر شرقي مقبرة بني الجُندي إلى شرقي القلعة ، ويذهب إلى جهة الَمحْيا ، فيمر من شمالي عين آسية ، ثم يذهب إلى أريحا [١] .

فتح شارع أبي العلاء :

كانت المعرة تقسم إلى محلتين كبيرتين : شمالية وقبلية ، وكان يفصل بينهما من الشرق الجامع الكبير ، ثم السوق ، ثم الطريق الآخذ من السوق غرباً إلى مقبرة بني الجُندي وبني العظم ، وكل محلة تقسم إلى حارات متعددة تسمى كل حارة باسم خاص ، والحارة عبارة عن مساكن متعددة يجمعها اسم واحد كحارة الحبشة ، والحارة الغربية ، وحارة الكنيسة ، ولعلها هي التي ذكرها أبو العلاء في رسالة الغفران [٢] حيث قال : وحُدِّثت أن أبا الطيب أيام كان إقطاعه بِصَفَ [٣] ، رُؤي يُصلي بموضع بمعرة النعمان يقال له : كنيسة الاعراب ... وربما قيل لها : زقاق كذا ، مثل زقاق رازم .

(١) وقد تم تعبيد هذا الطريق وتزفيته ، وكذلك الطريق الذي يصل المعرة بادلب .

(٢) أبو العلاء : رسالة الغفران ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

(٣) في معجم البلدان لياقوت ٣ : ٤٠١ : صَفَّ ضيعة بالمعره كانت اقطاعاً للمتنبي من سيف الدولة ومنها هرب إلى دمشق ومنها إلى مصر .

وفي سنة ١٣٤٩ هـ سنة ١٩٣١ م فتح في المعرة شارع أبي العلاء ، ومبدؤه من طريق حلب ، شرقي المدينة ، يمر بين خان مراد وخان أسعد أو الشُّكْنَة ، ويمتد إلى غربي المدينة ، ويتصل بطريق أريحا الذي سبق ذكره .

وهذا الشارع جعل المدينة قسمين : قسم شمالي ، وقسم قبلي ، وقد انشئت فيه أبنية جديدة ، غيرت معالم المدينة ، وجعلتها شبيهة بالمدن الحديثة ، إلا أن الأبنية العظيمة قليلة فيه ، وقد بنيت في غربيه مدرسة ثانوية ، فقطعت امتداده نحو الغرب ، واضطرت الطريق إلى أن يلتوي وينحرف .

عدد نفوس المدينة وما ألحق بها :

بلغ عدد سكان المعرة في الاحصاء الذي عملته الحكومة العثمانية سنة ١٣١٠ (٤٥٧٧) نفساً ، وعدد نفوس المدينة والقضاء (١٨٥٧٠) نفساً ، وبلغ في الاحصاء الذي عملته الحكومة السورية في سنة ١٣٤٠ هـ الموافقة لسنة ١٩٢٢ م (٥٢٢١) نفساً .

وقد بلغ مجموع عدد نفوس المعرة وقراها بحسب قيود

الحكومة في سنة ١٣٥٩ ﻫ وسنة ١٩٤١ م (٣٦١٨٠) منه (٨٨٧٤) عدد نفوس المدينة وحدها ، وعدد الذكور منهم قريب من النصف ، وسيأتي جدول نبيّن فيه نفوس المدينة وكل قرية على حدة .

حكومة المعرة ومقرّها :

المعرة مركز قضاء تابع لولاية حلب في هذا العهد [1] ، وفيها حاكم إداري (قائم مقام) ، وقاض شرعي ، وقاض مدني ، يختلف بحسب تشكيلات الحكومة ، فتارة يسمى حاكما منفرداً ، وتارة يسمى رئيس محكمة صلح ، وتارة وتارة .

وفيها مركز للبريد والبرق من عهد الحكومة التركية ، وفيها مركز للهاتف أنشأته الحكومة السورية نحو سنة ١٩٢١ م .

وفيها بلدية ولها رئيس يعين ، وأحياناً كان ينتخب .

ولها ناحيتان في كل منها مدير ، إحداهما خان شيخون ،

---

(١) وبموجب التقسيمات الادارية المعمول بها سنة ١٩٦٣ م ، فقد صارت مدينة المعرة مركزاً لمنطقة المعرة التابعة لمحافظة إدلب .

والثانية قلعة المضيق ، وفيها قوة قليلة من الدرك ، ومن قوى البادية العسكرية .

مقرّ الحكومة فيها :

كانت الحكومة منذ القديم تقيم في دار واقعة غربي الحمّام التحتانية والسوق ، وفيها جميع دوائر الحكومة ، ثم جعلت داراً في الساحة الكبرى في المحلة القبلية محكمة شرعية يقيم فيها القاضي الشرعي وعمال المحكمة من كتّاب وغيرهم .

وفي نحو سنة ١٩٢٦ م الموافقة لسنة ١٣٤٤ هـ أنشأت الحكومة داراً لها في شرقي المدينة وفي شرقي الخان الشمالي مسامتة له .

وفي سنة ١٣٤٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٣١ م افتتحت شارع أبي العلاء الممتد من شرقي المدينة إلى غربيها ، فمر من جنوبي دار الحكومة ، وأقامت في وسطه حديقة جميلة ، وجعلت أمام دار الحكومة حديقة ، وفي الضفة التي تقابلها من الجنوب حديقة تقاربها .

والموظفون في أعمال الحكومة الملكية عامة يعملون في الدار المذكورة .

ماء المدينة :

اتفقت كلمة المؤرخين على أن أهل المعرة يشربون من الآبار ، ويسقون بعض الزرع والاشجار في البساتين من الرَّكَايا والآبار ، وأن ليس في المعرة ولا في ضاحيتها نهر جار ، إلا ما زعمه بعضهم من أن مخاضاً اسم لنهر في المعرة ، أو بالقرب منها ، وقد بينا بطلانه .

والآبار التي يستخرج أهل المعرة ماءها للشرب والاستعمال نوعان : أحدهما يجتمع ماؤه من ماء المطر الذي ينزل على سطوح الدور وساحاتها ، وبعضهم يضم إليه ما يسيل في الأزقة ويسمونه جبًّا .

وهذا الماء كله عذب ، بارد في الصيف ، حار في الشتاء ، وقد يكون فيه نوع من الدود الأحمر والعلَق .

وأكثر الآبار التي يجتمع فيها هذا الماء حديث العهد والبناء ، وفيها آبار قديمة . النوع الثاني من الآبار يتحلب ماؤه من أرض البئر ، وقد يضاف إليه ما يسيل من المطر ، ويسمون هذه الآبار بالركايا جمع رَكِيّة ، وكثير من هذه الركايا ما يكون

ماؤه ملحاً ، فيستعملونه في غير الشرب ، وهذه الركايا يكون بعضها خاصاً بأصحاب المساكن التي تكون فيها ، ويكون بعضها عامّاً ، فيخرج منها السقاؤن ماء يحملونه إلى البيوت في روايا لقاء أجر معلوم ، وفي وسع كل انسان أن يشتري قدر حاجته منه ، وفي المعرة عدة ركايا عذبة الماء يشرب منها الناس ، منها ركية الحمّام التحتانية ، وهي في أول باب السوق الغربي الشمالي المقابل للجامع ومنارته من الغرب ، وهذه الركية يخرج منها للحمام المذكورة ، ويشرب منه قسم من أهل المحلة الشمالية .

ومنها ركية العرائس ، ويقال لها : عين العرائس ، وهي شرقي المعرة ، وشمالي خان مراد ، وغربي مقام أُوَيْس ومتصلة به ، ومنها يشرب قسم من أهل المحلة الشمالية ، ومنها : ركية حمام السيد يوسف ، وهي في الزاوية الشرقية الشمالية من الساحة الكبرى في المحلة القبلية ، ومنها يشرب قسم من أهل المحلة القِبلية . ومنها : الركية المعروفة بالسبيل ، وهي واقعة جنوبي المدينة في شرقي زاوية بني الكَيّال إلى الجنوب ، وفي غربي مقام نبي الله يوشع إلى الجنوب ، ومنها يشرب قسم من أهل المحلة القبلية .

والسبيل في عرف أهل المعرة حفرة كبيرة تشبه البئر الواسعة ، تبنى حولها أربعة جدران ، وترتفع فوق الأرض كأنها غرفة مسقوفة ، ويجعل لها باب ينزل إلى وسطها منه ، يجتمع فيها ماء المطر ، فيرده أبناء السبيل فيشربون ويتوضئون ويسقون دوابهم منه ، ويأخذون حاجتهم ، وإذا أرادوا صلوا فوق ظهره ، والغالب أنهم كانوا يجعلونه في الطرق كطريق حلب وحماة ، لاغاثة أبناء السبيل ، ولذلك يسمونه سبيلاً . والسبيل أيضاً يطلق في عرفهم على مكان يصب فيه الماء ، يختلف طوله وعرضه من ذراعين إلى أكثر ، فيشرب منه المارة وأهل السوق ، وأكثر ما يكون هذا النوع في الأسواق ، يقف ثمن مائه أهل الصلاح واليسار ، وقد كان في عهدنا في سوق المعرة عدد من هذا النوع ، ويجمعونه على سُبْلان .

ومنها ركية القهوة الكبيرة : والقهوة عبارة عن مقهى في وسط المدينة ظهرت فيه ركية ماء غزيرة ، ثم جعلت طاحونة ، وركب على الركية مضخة نارية (موتور) فخرج منها ماء كثير يزيد عن حاجة الطاحونة

والمقهى ، وقد أسيل إلى بعض البيوت في أنابيب حديدية .

هذه هي أشهر الركايا العامة التي يشرب منها أهل المدينة ، وقد قدمنا الكلام على الركايا التي في البساتين ، وعلى بعض الركايا التي في الحمامات ، وسيأتي تمام ذلك .

ثم وجدت الحكومة أن الماء المستخرج من الركايا السابق ذكرها غير نظيف نظافة طبية ، ولا كاف لحاجة الأهلين ، فعزمت على جلب مياه تنبع من بطن الارض في موضع في أخريات وادي النسيم من جنوبي المعرة إلى الشرق ، وعلى رفعه إلى خزان بواسطة مضخة بخارية ، ثم توزيعه على المساجد والمساكن وغيرهما ، وفي الساعة الرابعة بعد الظهر من يوم السبت السابع من شوال سنة ١٣٥٨ ﻫ وضع الحجر الاساسي لخزان الماء المذكور ، الذي بني في طرف المدينة الجديدة من الشمال الغربي ، مقابل ضريح أبي العلاء إلى الغرب ، وفي الوقت المذكور وضع الحجر الأساسي لخزان الكهرباء الذي أعد لتنوير المدينة .

وهي الآن تنار من قوة تتولد من موتور الطاحونة التي في

المقهى الكبير ، ولكن القوة المولدة لا تكفي حاجة المدينة كلها ، وقد حضر وضع الأساسين مندوب من دمشق ، ومندوب من حلب ، ومستشار الداخلية ، وهؤلاء من الفرنسيين . وحضرت طائفة من عمال الحكومة السورية معهم ، وطائفة من أعيان المعرة [1] .

---

(١) وتقوم بلدية معرة النعمان في عام ١٩٦٢ — ١٩٦٣ م في عهد رئاسة الدكتور أكرم الخاني بالأعمال الانشائية والعمرانية التالية :

١ ـ انشاء مجارير عامة للمدينة وقد تم انشاء الفرع الجنوبي منها وبلغت تكاليفه ما يقارب الـ /٣٠٠٠٠/ ثلاثين ألف ليرة سورية ويباشر بانشاء الفرع الشمالي والفروع الداخلية قريباً وقد رصدت البلدية لهذه الأعمال ١٧٨٠٠٠ ل.س .

٢ ـ تعبيد وتزفيت ورصف الشوارع العامة بالمدينة ٦٥٠٠٠ ل.س

٣ ـ انشاء مسلخ فني وشراء سيارة لنقل اللحوم ٢٥٠٠٠ ل.س

٤ ـ تزويد المسلخ بمنفخ كهربائي لنفخ الذبائح على الطريقة الحديثة ١٠٠٠ ل.س

٥ ـ انشاء حديقة عامة ونصب لتمثال أبي العلاء فيها المقدم هدية من وزارة الثقافة والارشاد القومي ٥٠٠٠ ل.س

الجموع ٢٧٤٠٠٠ ل.س

الكتاتيب والمدارس في المعرة:

كانت الحكومة التركية في عهدها لا تُعنى كثيراً بأهل هذا القضاء، ولا يهمّها من أموره شيء، إلا أخذ الأموال من طريق الضرائب والاعانات المختلفة، وكان عمال الحكومة في ذلك العهد لا يهمهم إلا سلب الأموال من طرق الرشوة والاحتيال، وتسليط هذا على ذاك، واعانة كل على أخيه. وكانت جمهرة أهل المعرة ولواحقها فقراء، يكلفون أنفسهم فوق طاقتها من الأعمال ليشبعوا نهمة العمال.

---

٦ — تزويد مصلحة الكهرباء بمجموعة كهربائية جديدة بقوة /٤٥٠/ حصاناً ...... ٧٠٠٠ ل.س
بالإضافة إلى المجموعتين السابقتين بقوة /٢٣٠/ حصاناً و /١٢٥/ حصاناً.

٧ — تدعيم مشروع الكهرباء وتوسيع شبكته ...... ٢٥٠٠٠ ل.س

٨ — مشروع جر مياه الهوة الضخم إلى مدينة المعرة التي تبعد عن المدينة /٧/ كم والذي يستفيد منه /٣٠/ ألف مواطن من المعرة وفي ثلاث قرى محيطة بالمشروع وقد بلغت نفقاته حتى الآن ...... ٣٨١٠٠٠ ل.س

ولذلك لم يستطع أحد منهم ارسال ولده إلى مدينة أخرى ليتعلم فيها ، وقد كان في المعرة إلى نهاية سنة ١٣١٩ هـ مكاتب أو كتاتيب ، والمكتب [1] عبارة عن غرفة في مسجد أو زاوية أو بيت ، يعلم فيه أستاذٌ جماعة من الصبيان القراءة والكتابة ، وربما علم بعضهم في دكانه . وأنا قد تعلمت القراءة مع جماعة عند أستاذ يقال له : الشيخ أحمد من آل ادريس ، وكان حائكا في الصيف ، فَرّاء في الشتاء ، وأكثر من كان يعلم الصبيان في المكاتب أو الكتاتيب من العميان ، لأنهم فقراء لا يجدون مرتزقاً من غير هذا الطريق .

وقد أنشأت الحكومة التركية مكتباً رُشديا [2] جعلته ثلاثة صفوف ، وقد تخرجتُ فيه ، وكان عدد الطلاب قليلاً وعناية مديره بتعليم الطلاب أقل ، وأكثر من تعلم فيه خرج وهو

---

(١) المكتب بفتح الميم والتاء وسكون الكاف موضع تعليم الكتابة ويجمع على مكاتب ، وبعضهم يقول : كتاب بضم الكاف وتشديد التاء ويجمعه على كتاتيب ، وقد أنكر الأخير جماعة من اللغويين ، والتمس آخرون وجها لجوازه (ج) .

(٢) وقد كان هذا المكتب في جامع الشيخ عطا الله بمدينة المعرة .

لا يحسن غير القراءة والكتابة ، وكان مديره يقرىء الطلاب الكبار الفقه الحنفي والنحو والفلك ، وقد واظبتُ على دروسه هذه مدة طويلة ، وكان بعض علماء المدينة يقرىء الطلاب الكبار شيئاً من النحو والفقه والمنطق في غرفة في الجامع الكبير ، ومنهم من كان يقرىء في داره ، وكلا الفريقين يعلّم مجانا ، ولا يأخذ أجراً على تعليمه ، وقد قرأت في غرفة الجامع الملاصقة لمنارته من الشرق شيئاً من النحو على الشيخ حسن ابن الشيخ صالح رمضان ، وشيئاً من النحو والفقه الشافعي على والده الشيخ محمد صالح رمضان المعري ، وقرأت القرآن على الشيخ حسن ابن الشيخ احمد المطر في دكانه ، وعلى شيخه الشيخ عبدو الشّحْنَة في الزاوية الداودية ، وأكثر طلاب العلم بل كلهم كانوا يحتذون على هذا المثال .

ثم أنشأت الحكومة السورية في المعرة مكتبين ابتدائيين : أحدهما للذكور[1] وفيه خمسة صفوف . والثاني للاناث وفيه صفان .

ثم أنشأت مدرسة للتجهيز في الزاوية التي تقع غربي المدينة ويتصل فيها طريق أريحا بشارع أبي العلاء ، وفيها صفان

(١) وتسمى بمدرسة الغزالي وفيها الآن جناح قديم وآخر حديث وعدد طلابها في العام الدراسي (١٩٦٢ — ١٩٦٣ م) : ٤٥٨ .

وشرع في التدريس فيها نحو سنة ١٣٦٥ هـ ، ثم أنشأت صفوفاً أخر [١] وأنشأت من قبل مدرسة في خان شيخون ، وفي كَفْرَنْبل وفي التمانعة ، وفي معرة حرمة [٢] .

ولكن العناية بهذه المدارس أقل مما تستحقه ، كما تبيّن لي ذلك من احصاء وزارة المعارف .

هذه معاهد الدراسة والتعليم الحديثة في المعرة ، ولمحة من طريقتها . وأما في العهد الذي قبل سنة ١٣٠٠ هـ فلا نعلمه على التحقيق ، الا أننا نقيسه على العهد الذي أدركناه ، وقد كان في المعرة مدرسة للشافعية ، قيل : إنها بنيت زمن الملك المنصور محمد الأول أحد ملوك الأيوبيين في حماة سنة ٥٩٥ هـ ولعله المنصور بن تقي الدين ، فان صلاح الدين جعل المعرة وغيرها للمنصور سنة ٥٨٧ هـ كما قدمنا .

والمعروف في المعرة أنها مدرسة من بناء نور الدين الشهيد ،

(١) وتسمى الآن بثانوية أبي العلاء وعدد طلابها في العام الدراسي (١٩٦٢ — ١٩٦٣ م) : ٦٨٨ .

(٢) وسيأتي البيان بالمدارس التجهيزية والاعدادية والابتدائية في البحث عن منطقة المعرة .

ويسميها بعضهم المدرسة النورية ، وقد ذكرها كذلك أصحاب مجلة العاديات ، وزعموا أن على بابها كتابة من سنة ٥٧٥ هـ مع أن نور الدين توفي سنة ٥٦٩ هـ ، واستولى صلاح الدين على البلاد الشامية سنة ٥٧٠ هـ ، وجعل المعرة إلى تقي الدين سنة ٥٨٢ هـ ، ثم جعلها إلى ابنه المنصور سنة ٥٨٧ هـ .

وهذه المدرسة الموجودة الآن في المحلة القبلية ، لها باب من الشرق ينزل منه إلى ساحة المدرسة ، وعلى يمين الداخل إليها غرفة صغيرة فيها قبر ، ولها ساحة فسيحة في وسطها بئر ماء . وفي الجهة الشمالية منها غرفتان صغيرتان يتجه بابهما إلى القبلة ، يعلم فيهما الصبيان رجل مكفوف البصر . وفي الجهة القبلية غرفة كبيرة سقفها قبة مزخرفة ، وعلى قنطرة بابها حجارة ضخمة مستديرة حول القنطرة على شكل جميل ، وقد اتخذها الناس مصلًّى ، وإلى جانبها الشرقي مرحاض .

وقد كتب على عتبة بابها الخارجي جمل استطعنا أن نقرأ منها هذا :

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأ هذه المدرسة المباركة والبنية الميمونة من ماله ، ووقفها على مذهب الامام الأعظم والسيد المكرم إمام الأمة أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي الهاشمي المطلبي رضوان الله عليه ، في أيام مولانا الملك المنصور ناصر الدنيا والدين عماد الاسلام والمسلمين أبي المعالي محمد حسن [1] شاهان شاه ابن أيوب ظهير أمير المؤمنين أدام الله أيامه ، العبد الفقير إلى رحمة ربه أبو الفوارس نجا بن عبد الله بن علي بن معافا رحمه الله في سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وتولى عمارتها موفق رحمه الله .

وتحت هذه الكتابة مكتوب هذه الجملة : «الله صنعه ماهر بن علي بن قانت رحمه الله » . وسيأتي أن هذا هو الذي بنى منارة الجامع الكبير . وأخبرني رجل أن تحت قبة المدرسة فوق المحراب مكتوب هذه الكلمات : « ماهر بن علي بن قانت رحمه الله » .

وكان فيها مدرسة للشافعية أيضاً بناها الشيخ عمر بن الوردي

---

(١) قال لي بعضهم : ان المكتوب هكذا محمد بن عمر بن شاهان شاه . (ج)

في النصف الأول من المائة الثامنة ، وقد بني جامعها على مثال الجامع الأعظم في حلب .

وقد هدمتها الزلازل والإهمال ، ولم يبق منها إلا بعض جدرانها ، وكان المقامرون يجلسون فيها ، وكذلك شراب الخمر والحشاشون ، إلى أن قيض الله لها رجلاً من أهل المعرة يقال له مصطفى البلاّني ، فرممها نحو سنة ١٣١٥ هـ تقريباً ، وهي واقعة في الشرق الشمالي من المعرة مسامتة لمقام الشيخ حمدان تقريباً . وطول الباقي من هذه المدرسة عشرة أمتار ، وعرضها سبعة ، وليس في شرقيها بناء في عهدنا هذا ، ولا في جنوبيها سوى الخان ، ودار الحكومة التي بنيت حديثاً . وستأتي تتمة الكلام فيها في ترجمة بانيها .

الزوايا :

وفي المعرة زوايا ، والزاوية في اصطلاحهم مسجد يدفن فيه ، أو في غرفة فيه رجل من الصالحين ، وقد يزول القبر وتبقى بركته .

منها : زاوية بني الكيّال ، وهي في جنوبي البلدة ، وكان

الرّام [1] أمامها ، ولم يفصل بينها بناء . ثم حدثت أبنية فصلت بينهما ، وهي غربي جامع يُوشَع بن نُون (ص) وهذه الزاوية بُنيت في ربيع الآخر سنة ١١٦٢ ﻫ كما هو مكتوب على عتبة بابها ، وكتب إليّ بعض المعريين أن البناء فرغ منه في شهر ربيع الآخر سنة ١١٥٧ ﻫ على يد الحاجّ ابي بكر بن الشَّحْنَة وهو مدفون في هذه الزاوية .

ومنها : زاوية الداودية وهي في المحلة الشمالية بالقرب من الحمام التحتانية ، ومن السراي (دار الحكومة) القديمة ، ولم أعلم شيئاً من أمر هذه الزاوية ، ولا تاريخ بنائها . وقد كانت في عهدي كُتّاباً ، وقرأت فيها القرآن على الشيخ عبده ابن الشحنة ، ثم استولى عليها شيخ رفاعي الطريقة ، وقد عثر بعض الباحثين في شرقي الجبانة المعروفة بجبانة بني الجندي الواقعة غربي المدينة

(١) الرّام في عرف المعرة وضاحيتها مستنقع يجتمع فيه الماء من المطر يسقي الناس منه دوابهم ، ويستعملونه في اعمالهم ، وفي جنوبي المعرة إلى الغرب هذا الرام وإلى جانبه الشرقي رام آخر ، الأول الرام الكبير ، والثاني الصغير ، وقد أبطلتها الحكومة ، وردمتها لما يتكون فيهما من الأقذار ، ويتشر من الجراثيم الضارة كالملاريا ونحوها (ج).

على قبر مكتوب عليه بخط جميل : « عبد الكريم بن عبد الوهاب الداودي المِنْقاري في أواخر شوال سنة ٩٥٥ هـ » ، فلعل هذه الزاوية منسوبة له ، أو لأحد من أسرته .

ومنها : زاوية الشيخ العجمي ، وهذه لم أقف على شيء من أمرها ، وهي في المحلة الشمالية أيضاً ، تشتمل على ساحة صغيرة ، وفي غربيها مقابل الباب الذي يدخل إليها منه غرفة صغيرة ، وفي جنوبي الساحة مسجد في شرقيه صُفَّة فيها قبر يقال : إنه قبر الشيخ محمد العجمي ، ولا أعلم هل هو عجمي حقيقة ، أم من بني العجمي ، وهم أسرة في حلب معروفة بالصلاح ، وهذه الزاوية يصلى فيها بعض الأوقات بجماعة ، ويقام فيها الذكر على الطريقة الرفاعية بعد الجمعة ، وشيوخها من أبناء عمنا .

المساجد :

وفي المعرة مساجد كثيرة من أشهرها وأعظمها : المسجد الجامع الكبير ، وهو في وسط المدينة من الشمال والجنوب ، وفي طرفها من

جهة الشرق ، وهو الفاصل بين المحلة الشمالية والقبلية من هذه الجهة ، وفي شماليه أرض خالية من العمران يسمونها حَيْراً ، وهي وقف له ، وقد وجدت فيها رَكِيَّة ماء مقابل باب الجامع الشمالي ، وكان غربيه متصلاً بالسوق من أوله إلى آخره ، ثم هدمت البلدية في نحو سنة ١٣٥٢ ه القسم المتصل بالمنارة من السوق ، وأضافت مكانه إلى ساحة السوق فانكشفت المنارة من هذه الجهة .

وفي جنوبيه أرض على قدره أيضاً ، وقد بني أمامها سوق يسمى سوق الجامع ، فلم يقبل عليها الناس ، فهدمت في نحو سنة ١٣٤٩ ه ، حين فتح شارع أبي العلاء ، وهذه الأرض مسورة بجدار يصل بين حرم المسجد القبلي وبين الركية التي يستخرج منها الماء ، ثم يسيل في ساقية على أعلى الجدار المذكور إلى مخزن في المسجد ، فيأخذ منه الناس للوضوء .

ولهذا المسجد بابان أحدهما من الجهة الشمالية ، وهو متصل بالمنارة من جهتها الشرقية ، وهذا الباب لم يكن قديماً ، وانما يقال : إن جدي فتحه ، ولا أعلم في أية سنة فتحه ، ولكنه فتحه قبل وفاته بسنوات وكانت وفاته سنة ١٢٦٩ ه ، وإذا صح

أن جدي سليما هو الذي فتحه ، فيكون ذلك لسببين ، الأول : أن باب الجامع الأصلي من جهة السوق ، وكانت الأسواق في ذلك العهد لها أبواب تقفل كل يوم مساء ، وتفتح صباحاً ، ولا يستطيع أحد أن يدخل المسجد في هذا الوقت إلا بإذن الحراس ، وفي ذلك صعوبة على المؤذن والمتهجدين والمصلين في الغلس .

الثاني : أن جدي كان إمام هذا المسجد ، وكان لا يصل إليه بكرة إلا بواسطة الحرس ، وهذا الباب الذي فتحه قريب من باب داره ، لأنها أول دار تقع في شمالي الجامع ، فكان الجامع بعد فتحه قريباً منه ، وتسنى لمن يريد أن يأتي المسجد أن يدخله متى شاء ، من غير أن يدخل من السوق ويستأذن الحراس . وهذا الباب ينزل إليه بخمس درجات عراض : والباب الثاني ، وهو الباب العظيم من الجهة الغربية ، ينزل إليه من ساحة السوق بعشر درجات ، وقد غيرت درجاته وعرضت في نحو سنة ١٣٥٠ هـ .

وقد بني على سَمْته إلى الشمال ، أي إلى جهة المنارة ، ثلاث غرف

ليس لها منفذ الا أبوابها ؛ وفتح فوقها ثلاث نوافذ للدكاكين التي فوقها ، وأبوابها من السوق ، وقد شوهت نضرة الجامع بأبواب الغرف المذكورة والنوافذ التي فوقها .

وقد قدمنا عن ناصر خُسْرو ، وكان رأى المعرة نحواً من سنة ٤٤٠ هـ أن جامع المعرة مبني على أكَمَة قائمة وسط المدينة ، ومن أية جهة أتيته ترتقي إليه بثلاث عشرة درجة . وفي عصرنا الحاضر يرى هذا الجامع في منخفض من الأرض من أية جهة أتيته ، إلا من الشرق ، لأن أكثر ما يكون انخفاضه يظهر إذا انحدرت إليه من الشمال والجنوب والغرب ، أما الشرق فلخلوه من العمران لا يظهر انخفاضه عنه كثيراً .

والذي أعتقده أن في قول ناصر خُسْرو شيئاً من الحقيقة وأن الجامع كان مرتفعاً عن المدينة ، ولكن توالي الخراب بسبب الحروب والغارات والزلازل جعل المباني ركاماً وكان الناس حين يعودون لبناء منازلهم فقراء يعجزون عن استئصال الأبنية القديمة ، ويكتفون بالبناء على أنقاض القديم ، فجاء البناء الحادث أعلى من القديم ، وبهذا السبب صار الجامع

منخفضاً ينزل إليه بدرجات بعـــد أن كان عالياً يصعد إليه بدرجات .

وأهل المعرة إلى هذا اليوم إذا أراد أحدهم أن يبني داراً ، أو غيرها ، وعثر على بناء قديم تحت الأرض ورآه متيناً ، وضع بناءه فوقه وتوكل على الله .

ويدل على ما ذكرنا كثرة ما عثر عليه من الأبنية المختلفة ، تحت الأرض منها : أن رجلاً أراد أن يبني داراً في أرض قريبة من الجامع المذكور ، من شماليه الشرقي ، فلما كان العامل يحفر الأساس ويخرج ما يجده من الحجارة فيه ، انهار التراب في الموضع الذي كان يحفره ، فلما سكن الغبار جاء صاحب الدار وعماله ليروا سبب ذلك ، فوجدوا هُوّة عميقة ، فأدلوا إليها عاملاً ليتبين أمرها ، فوجد أن الهوة حدثت في سقف مخزن كبير فيه آنية من الفخار لوضع الماء شبيهة بما يسمّى في بلاد الشام بالشَرْبة ، وهي دقيقة الطرفين ، منتفخة الوسط ، ولها عنق طويل ، وهي مطلية بطلاء أبيض كالحُوّارَى وفيها نقوش مختلفة ، كأن كل واحد منها غرز ظفر يتألف

منه عدة صور متنوعة ، وقد أخرج قسم كبير من هذه الأواني صحيحاً وبيع للناس ، وكنت اشتريت واحداً منها وأنا صغير ، وربما كان ذلك سنة ١٣١٢ ﻫ أو بعدها بقليل ، وفي جنوبي هذا الموضع إلى الغرب ، حفر رجل آخر أساساً فانحسر التراب والرّدْم عن جزء كبير من حمّام مفروش بالبَلاط الناعم ، ووجد فيه مجاري الماء إلى الحمام .

وكلا الرجلين رمم موضع الثُّغْرة التي حدثت في أرضه وقوّاها ووضع بناءه عليها .

وسقف المخزن والحمام مساوٍ لأرض الجامع المذكور تقريباً ، وربما كان فوق هذه الأبنية قصور عالية سميت المعرة من أجلها ذات القصور ، وعثر في المعرة على كثير من مثل هذه الأبنية تحت الأرض ، وفيها الآن كثير من معاصر الزيتون تحت الأرض ، وهذا وأمثاله يؤيد قول ناصر خُسْرو .

ويؤيد هذا أيضاً أنهم لما فتحوا شارع أبي العلاء ، أراد أصحاب الحمام المعروفة بحمام الزهور إصلاحها وتغيير شكلها فهدموها ، وكانت منخفضة عن السوق التي تجاورها ، فوجدوا

تحتها مخازن ، ووجدوا تحت المخازن دكاكين صاغة مردومة ، وفيها بعض الآثار الدالة على أنها كانت دكاكين صُوّاغ .

ويكون الجامع أعلى من هذه الدكاكين ، وإن كان يتبين للناظر أنه منخفض عن الأبنية الحاضرة . وقد حدثني بذلك رجل من بني الشّحْنة من أهل المعرة سنة ١٣٦٦ هـ ، وهو الذي تعهد هدم الحمام المذكورة وبناءها .

وقد يشكل على هذا أن في بعض الجهات الشمالية والغربية والجنوبية بعض أبنية اساسها قائم على صخر تحت أديم الأرض ، وهي أعلى من الجامع .

وعلى هذا ينبغي ان يكون الجامع قائماً على أكَمَة ، كما قال ناصر خُسرو ، وما حوله قسم منه منخفض عن الجامع ، وبعد هذا قسم يختلف عن هذا ، بعضه مساوٍ له ، وبعضه أعلى منه .

ويجوز أن تكون الأمكنة العالية هي التي بنيت فوقها القصور وسميت المعرة بسببها ذات القصور .

كما يجوز أن تكون البلدة في الأصل قسمين : عالٍ ، ومنخفض ، والجامع بالنسبة للقسم الثاني عالٍ يصعد إليه بدرجات.

وفي هذا الجامع أنماط مختلفة من البناء ، ولذلك زعم بعض المؤرخين أنه عُمري ، أي بني في عهد عمر بن الخطاب وآخرون جعلوه أقدم عهداً من ذلك ، والمتأمل فيه يجد أن بناءه لم يكن في عصر واحد ، فان في الجهة الشرقية من ساحته بناء يشبه بناء الرومانيين ، وفي صحنه قبة صغيرة ، قائمة على ستة أعمدة من حجر ، تشبه البناء في عهد عمر .

ويليها إلى الشرق قبة تحتها بركة من الماء ، يتوضأ منها الشافعية ، قائمة على عشرة أعمدة من حجر ، بناؤها يشبه الأبنية المتأخرة كثيراً عن عهد عمر .

ويليها من الجنوب الشرقي قبة يسيل منها الماء إلى القبة الأولى ، وهي أصغر حجماً منها ، مستورة الجوانب ، يتوضأ منها الحنفية ، وتسمى الحنفية ، وقد كتب على وجهها الجنوبي ما يلي :

جدد هذه الحنفية المفتقر إلى رحمة ربه كيوان بك عز نصره في سنة ٩٧١ هـ ، ويلي الكتابة هذان البيتان :

غرض بونقشدن كم اولدى اياد	دعاي خير در أيدن اولسون شاد
جونكه كرد ابن سبيل خير را	دعاي كيوان بك بجواي أهل داد

والذي يفهم مما قدمنا من كلام البَلاذري وغيره ، أن أبا عبيدة صالح أهل المعرة على أن تكون كنيستهم العظمى جامعاً ، وقد ذكرنا أن ملك الروم أحرق هذا الجامع سنة ٣٥٧ هـ ، وأن الفرنجة أحرقوه سنة ٤٩٢ هـ ، ولا أعلم إن كان خرب مع المعرة من قبل الخُوارِزْمية وغيرهم ، أو خرب في الزلازل التي خربت المعرة كلها ، وهذا يدلنا على أنه غير عُمري ، وأنه ليس أقدم عهداً من عمر .

والظاهر أنه بقي منه شيء من آثار عهد عمر ، وهو القبة المذكورة ، وشيء من آثار الكنيسة ، وهو بعض حجارة في الجهة الشرقية ، وما عدا ذلك فهو يشهد لنفسه بأنه حدث في أوقات مختلفة بعد ذلك ، ولعل المسلمين أضافوا إلى الكنيسة أكثر منها ، وفي ساحة الجامع يبلغ طولها من الشرق إلى الغرب نحو (٦٠) متراً ، وعرضها من الشمال إلى الجنوب أقل من ذلك .

وفيها هذه القباب الثلاث ، وبئران أحدهما قبلي الحنفية ، والثاني شرقيها ، وحديقة بين القبة المذكورة والجهة الشرقية من الجامع ، وفي جنوبي الحديقة البئر الثانية .

والماء يسيل إلى البئرين من المطر الذي يصب في سطوح المسجد وساحته ، ومن مجرى يتكون فيه المطر الذي ينزل في الأسواق ، فينحدر في ساقية من حجارة منحوتة نحتاً بديعاً ، وكل حجر من حجارة الساقية طرفاها ، وأرضها من قطعة واحدة ، وعليها غطاء من حجر محكم الوضع ، وقد غيرت هذه الساقية ، واستعيض عنها بأخرى مؤلفة كل قطعة منها من ثلاثة أحجار ، أحدها أرض ، والآخران طرفان ، وفوقها غطاء ، وهي أقل إحكاماً من الأولى ، وذلك حين جُدد بلاط الجامع نحو سنة ١٣٤٠ هـ .

وماء البئر الشرقية شديد البرودة لشدة عمقها ، ولا يبعد أن يتسرب إليها شيء مما تمتصه أرض الحديقة ، التي يسال إليها ماء البركة مرتين في كل أسبوع ، وماء الحنفية الذي لا ينقطع ، كما لا يبعد أن يتسرب إليها شيء من مياه المراحيض المستنقعة منذ مئات السنين ، وفي كل يوم يصب فيها مقدار كبير من مياه المتوضئين وأبوالهم وفضلاتهم ، وهي لا تجري إلى مكان آخر ، ولا تزيد عما هي عليه ، ويقوي هذا الظن أن البئر

المذكورة أعمق من المراحيض والحديقة ، بأكثر من ثلاثين متراً وهي متصلة بالحديقة ، وليس بينها وبين المراحيض أكثر من خمسة عشر متراً ، وتكثر الديدان المختلفة الألوان في هذه البئر إذا قل ماؤها ، ولعل ذلك يتولد مما يحمله الماء حين جريانه إليها من الأدران والأقذار ، وقد فطن لذلك أهل الحل والعقد ، فجعلوا المراحيض تسيل إلى مجرى واحد ، وهو يسيل إلى جهة الشرق من المدينة ، من شمالي الخان .

وفي ساحة الجامع في الزاوية الغربية الجنوبية غرفتان ، قائمتان بين جدار الحَرَم القبلي وبين باب الجامع الغربي ، كان طلاب العلم في عهدنا يجلسون فيهما للمطالعة والمذاكرة ، وربما تغلب بعضهم على واحدة فاتخذها مقراً له ، ومجتمعاً لطلابه حين الدرس ، وقد زرت المعرة سنة ١٣٥٧ ﻫ فوجدت إحدى الغرفتين قد خربت ، والثانية على وشك الخراب .

وفي ساحة المسجد مصلى ، وهو صُفَّة كبيرة أمام الحَرَم الشمالي ، تمتد من شرقيه إلى غربيه ، في عرض نحو أربعة أمتار ، وفي وسطها من الجنوب شبه محراب متصل بها ، متقدم

عليها ، وهو مرتفع عن أرض الساحة بنحو ذراع ، ويصل بين هذا المصلى والبِرْكة حجارة مربعة الشكل ، موضوعة فوق البَلاط وضعا ، مفصولة بين كل حجر وآخر بمقدار نصف متر ، ينتقل عليها المتوضئون من البركة إلى المصلى ، كما يصل مثل هذه الحجارة بين البركة والحَرَم القبلي ، وينتقل عليها المتوضئون منها إلى الحرم .

وفي الجامع موضعان للصلاة أحدهما شَمالي ، والآخر قِبلي ، فالقبلي وهو أعظمها ، فيه المحراب والمنبر ، وفيه تكون الخطبة والجمعة وصلاة الظهر والعصر في زمن الصيف ، لاتساعه وبرودته ويسمونه الحَرَم ، ولهذا الحرم ستة أبواب قديمة فتحت منذ بنائه ، عرض كل واحد منها ٢٧٥ سانتيمتراً ، وباب جديد فتح في عهدنا في نحو سنه ١٣١٥ ه وهو آخرها من الشرق ، وأقلها طولاً وعرضاً ، وفيه منبر من خشب قديم عرضه ٨٠ سانتيمتراً .

وطول هذا الحرم من الشرق إلى الغرب ٥٨ متراً و ٤١ سانتيمتراً ، وعرضه من الشمال إلى الجنوب ١١ متراً و ٥٦

سانتيمتراً ، وفيه صُفتان : احداهما من الغرب ، والثانية من الشرق ، والشرقية أعلى من الغربية ، يصعد إليها بدرجات ، وقد وضعت في ناحيتها الشمالية حنفيات للوضوء نحو سنة ١٣٦٠ هـ ، وفي شرقيها غرفة صغيرة مظلمة ، وفي زاويتها الجنوبية الشرقية كوة يسيل منها الماء إلى خزان في جدار المسجد الشمالي ، بين الباب السادس والسابع الشرقي ، وفيه حنفية من الداخل ، وأخرى من الخارج يتوضأ منها ، ثم يسيل الماء من هذا الخزان إلى الحنفية التي جددها كيوان ، ثم منها إلى البِركة .

وقد رأيت جماعة من العجم يتبركون بتلك الكوة ويتمسحون بمائها ، لأن بعض الناس قال لهم : إن رأس الحسين بن علي حين ذهب به إلى الشام وضع في هذا المكان ، وبنى الصالحون عليه هذا البناء ، وأسالوا الماء إليه ، ولا شك أن هذا الرجل أراد الاحتيال عليهم ، ليأخذ أموالهم باسم الزيارة ، ولكن من الناس من أثر فيه هذا الزعم ، وجعله عقيدة راسخة .

وفي الجدار القبلي من هذا الحَرَم ، مما يلي المحراب إلى

الشرق كتابة قديمة ، أثر فيها طول العهد ، وشدة ارتفاعها ، وقلة العناية بتنظيفها ، فلم أستطع قراءتها ، فكلفت قريبا أن ينقلها ، فاستعصى عليه بعض الكلمات ، وأطاعه بعض آخر ، وهذه صورة ما أمكن نقله منها بالحرف :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ، الآمر بالعدل والإحسان الناظر بعين الرحمة إلى كل إنسان ، الموفق للعمل الصالح من نعمائه ، الذي شرف عبده محمداً ﷺ ، وبجاهه فاز ، وبعد فلما جدد مولانا ملك الأمير المعز الباقي ، كافل المملكة الحموية ، أعز الله أنصاره ، وجعل الأمانة تقام إلى المعرة المعمورة ، التي أصبحت بنعمة كفاءته معمورة ، وحبه الجامع طرفاه إلى الدين ، فطالع بأمره اللائق الشريف طالب مرضاة العزيز الغفور ....

إن أوقافه يوجد منها الآن باسم النقود بالكامل ، ولم يفضل منه ما يقوم بمصالحه ، ولم يفعل ذلك من هو بالخيرات عامل ... المرسوم الشريف بكل فعل ، وأمر منيف ، رسمه بالأمر الشريف العالي ، المؤلف السلطاني الملكي الأشرفي ، الناظر بولائه إلى

تلحيظه ببيته بمصالح الله ، وأمره عام ، أخذ الاعدا . . . .
ويحفظ معالم جهاتها برمز معناها ، فلا . . . الناظر على الاستمرار
وعهد إلى إقامة شعائر الدين الحنيفي ، باتصال جهاتها ، بمعمور
جماعاتها بنيل الجنان . . . ان من يصرف ريع وقف الجامع
المعمور بالمعرة ، فانه يجد به من العمارة من يصرف بعمل
صالح ، لا يحتاج الذم الفاحش ، والستور عمن يصرف مغالق
الخطيب والمؤذنين والقوام ، ومن يكون في درجتهم ممن يقوم
بعمارة كاملة مهما فضل ، يعود ذلك ينصرف لأناس بالنقود
من الأيتام عن الأمراء والجند المستقرين على الوقف المذكور
باسم الشونة ، فليعمل المرسوم الشريف بكل وقف له غلة ،
. بعمل بحسبه ، وبمقتضاه من غير غفلة عنه ولا خروج عن
معناه ، بعد الختم الشريف إن شاء الله تعالى ، كتب في التاسع
عشر من شوال سنة ٧٧٥ هـ خمس وسبعين وسبعمائة ، فلذلك
رسم بالأمر النعماني المشار إليه على الحجر ، ليخلد إلى يوم
المحشر ، ما أذن مؤذن ، وخطب خطيب على المنبر ، والله تعالى
الموفق إلى خير الأمور .. (وبقي سطر آخر لم تمكن قراءته) .

وقد اجتمع في هذا الأثر علتان عظيمتان ، منعنا من فهمه كله أو بعضه ، الأولى حذلقة المنشىء وحرصه على السجع السمج المتكلف ، والثانية استعصاء بعض الكلمات على الناقل وزاد ضِغثا على إبّالة كثرة أوصاف المدح ، واستعمال كلمات من مصطلح ذلك العصر يشق فهمها ، والاستدلال على غيرها وقد تقدم ما يفيد أن المعرة كانت في سنة ٧٤٥ هـ للملك الصالح بن اسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون ، فلعل هذا المرسوم صدر منه ، أو ممن يليه في الملك ، ممن لم نقف على اسمه .

وأما الموضع الشّمالي ، ويسمونه الحجازية ، وفيه تقام صلاة الجماعة في الشتاء ، لأنه أكثر دفْئاً من الحرَم القبلي ، وأصغر حجماً ، وقد كان يتصل به من جهة الشرق رواق عظيم في صدره غرفتان ، يقيم فيهما الفقراء من مهاجرة الغرب والهند والعجم وغيرهم ، ممن يمر بالمعرة فقيراً ، وباب هاتين الغرفتين يتجه إلى القبلة ، ويتصل بهما غرفة أخرى ، يتجه بابها إلى الغرب ، وكان يقيم فيها متولي وقف الجامع وجابيه ، ثم ضم جميع الرواق والغرفتين إلى الحجازية المذكورة ، وجعل

فيها محل للوضوء ، وفتح لها باب إلى القبلة من جهة الغرب في سنة ١٣١٢ ﻫ فما بعدها إلى سنة ١٣٤٧ ﻫ ، وتتصل الحجازية من جهة الغرب بباب الجامع الشمالي ، ومدخله إلى ساحة المسجد ، وفي سقف هذا الباب والمدخل غرفة تصل بين المنارة والحجازية ، يصعد إليها من الدرج الذي يصعد منه إلى المنارة ، وفي هذا المدخل عن يمين الداخل غرفة صغيرة تحت المنارة من الطرف الجنوبي .

وأما المصلى الذي في ساحة المسجد فتقام فيه في الصيف فقط صلاة الصبح والعشاءين بجماعة .

وفي جنوبي الحجازية الشرقي باب صغير ، فيه غرفة كانوا يضعون فيها الدابة ، التي يخرج عليها الماء من رَكية الجامع ، وتصب في خزان يسيل منه إلى المراحيض والمسجد ، وهذه الغرفة شمالي المراحيض إلى الغرب .

وأما منارة هذا المسجد فهي أجمل أثر عُمراني أبقاه الزمن في المعرة ، وأنفس ذخيرة حفظتها الأيام ، لتكون مثالاً يدل على مبلغ الفن العمراني في ذلك العهد ، وهي والحق يقال

بديعة الرُّوَاء ، محكمة البناء ، وليس في منارات المساجد التي رأيناها في بلاد الشام ومصر ، ما يشابهها في إحكام الصنع ، ودِقة الوضع ، الا منارة الجامع الكبير في حلب ، الا أن آثار الجِدّة والاتقان بادية في منارة المعرة ، أكثر منها في منارة حلب .

وهذه المنارة واقعة في زاوية الجامع الغربية الشمالية ، وهي منقسمة إلى ثمانية أبراج متساوية في الطول والعرض ، ارتفاع كل واحد منها نحو ثلاثة وخمسة وثمانين سانتيمترا وأحد الأبراج الثمانية مدفون أكثره في الأرض ، وفي كل برج أربع نوافذ من جهاته الأربع ، متساوية في الشكل والحجم ونوافذ كل برج مخالفة لنوافذ الأبراج الباقية في الشكل والحجم وفي أعلاها حلقق أي درابزين من حجارة كبيرة ، يحيط بأطرافها الأربعة ، وهو بديع الشكل ، دقيق الصنعة ، مثقب على نمط متشابه بديع ، وفي الوسط غرفة صغيرة ، توضع فيها المصابيح التي توقد في شهر رمضان والأيام المباركة ، لأنهم كانوا يوقدون مصابيح بزيت الزيتون يسمونها قناديل ،

ثم صاروا يوقدون مصابيح بزيت الكاز ويسمونها فوانيس ، يجعلونها صفاً واحداً يحيط بالمنارة من جهاتها الأربع ، وفوق الحلفق قبة قائمة على أربعة أعمدة ، وفي أطراف المنارة من جهاتها الأربع حجارة بارزة على قدر متساوٍ ، كالخطوط العريضة من أدناها إلى أعلاها ، ويقسم كل برج عن الآخر بمثل هذه الحجارة .

وقد كتب على قَوس النافذه (الشباك في جهتها الشرقية هذه الجملة : (صنعه قاهر بن علي بن قانت رحمه الله) ، وقد تقدم أن هذا الرجل بنى المدرسة الشافعية سنة ٥٧٥ ه ، فيكون بناء المنارة في ذلك العهد .

ويوجد مثل هذه الكتابة بعينها في البرج الثاني من جهة الغرب ، وفي أعلى المنارة من الجهة الشمالية الغربية حجر في داخل المنارة ، نقش عليه كلمات منها : (الحمد لله رب العالمين أما بعد فقد وضع هذه الشبكة المعلم ابراهيم) ، وهناك سطر آخر لم تمكن قراءته .

وفي الطرف القبلي أمام هذه الكتابة نقش هذه الكلمات (جدد هذه الشبكة العبد الفقير إلى الله تعالى الحاج خليل

ابن الحاج محمد النطار عفا الله عنه وعن المؤمنين .)

ولم أعثر على تاريخ لهذه المنارة ، ولا على شيء غير ما ذكرته ، مما أمكن الوقوف عليه لمن كلفته بقراءتها .

ولكني رأيت في مجلة العاديات ما هذه خلاصته :

(أما الجامع فهو قديم جداً ، لأن مئذنته هي من سنة ٤٢٧ هـ ، وعليها كتابات لم نجد سبيلاً إلى استطلاعاتها كلها ولكن عرفنا أن الأولى منها بقلم ريحاني ، والثانية التي في البرج الثالث هذا نصها : محمد بن قانت بن قاهر ابن علي ، والثالثة على البرج السابع ... ومما يذكره التاريخ عن هذه المئذنة أنه في عهد الصليبيين ، وعن أمرهم كان قد علق الناقوس فوقها ، وكان هذا الحكم قد أصدر في شأن مئذنة حلب أيضاً ، ثم ألغي كلا الأمرين ، ورجع الحق إلى نصابه) .

هذا ما ذكره أصحاب هذه المجلة ، والعهدة عليهم لأني لم أتول قراءة المكتوب على المنارة بنفسي ، ولم أجد تاريخاً ذكر أنها بنيت سنة ٤٢٧ هـ ، ولا علق عليها صليب .

ولكن جماعة من الفرنسيين وغيرهم توهموا أن هـذه المنارة من بناء الصليبيين، وحجتهم في ذلك النقش المرسوم على البرج الثاني ، وقد تبين أن الكتابة التي عليه ، وعلى غيره اسلامية ، عربية ، ومما لا شك فيه أنها نقشت في زمن بناء المنارة ، وقد تقدم أن باني المنارة هو الذي بنى المدرسة سنة ٥٧٥ هـ فلا مساغ للشك ، أو التوهم ، فالمنارة والجامع بوضعه الحاضر إسلاميان ، عربيان ، من أساسهما إلى راسهما ، ما عدا الجدار الشرقي الذي وراءه المراحيض فانه قديم .

ورأيت في الجزء الأول من (تاريخ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي [1]) في ترجمة الشيخ احمد بن محمد القادري الحَمَوي الجيلاني ، أنه بنى جامع المعرة في جملة ما بناه ، ولكن لم يفصل ما هو المبنى ، وكانت وفاة المذكور سنة ١٠٣٠ هـ .

أما ماء المسجد فيخرج من رَكِيّة عميقة ، يسمونها ساطورة ،

---

(١) المحبي : خلاصة الأثر ١ : ٢٩٣ (ج)

بالدلاء على دولاب شبيه بدواليب البساتين السابق ذكرها ، ويسيل في ساقية على الجدار الذي يصل بين الجامع وبين الركية ، ثم يصب في خزان كبير قبلي المراحيض إلى الغرب وهي تبلغ واحداً وعشرين مرحاضاً ، ومنه يملأ المتوضئون الماء بأباريق من فخار بواسطة حنفيتين ، ومنه يسيل إلى الحاصل الذي في جدار المسجد ، ثم إلى حنفية كِيوان ، ثم إلى البِركة ، وإذا تغير من الوسخ أسيل إلى الحديقة كما ذكرنا.

وقد أحدث المتأخرون في الجهة الشرقية الشّمالية من الحَرَم القِبْلي ، مكاناً يتوضأ منه الناس ، بدلاً من حنفية كانت في جداره بين البابين الأخيرين من جهة الشرق ، فوضعوا حنفيات متعددة يسيل منها الماء للتوضؤ ، وجعلوا تحتها ساقية على طول المحل ، ينزل عليها الماء المستعمل ، ثم يسيل إلى المراحيض .

ولهذا الجامع أوقاف كثيرة ، يقوم بها متول ، تعينه دائرة الاوقاف ، وجاب يجبي غلاتها وريعها ، ويقال : إنها كانت كثيرة ، ثم عبثت بها أيدي الخونة كغيرها من الاوقاف ، فلم يبق إلا هذا .

عدد	
٨٢	دكان في المعرة
٢٦	دار
١٧	كرم
٣٤	أرض
٤	أرض مغروسة زيتونا
٥٥	أحكار
٣٠٠	جفنة كرم في كفر قلا ، وهي مزرعة في كَفر رُوما
١	نصف بيت في كفر روما
	ربع الجب في صفة الحاكورة
	نصف حاكورة العوسجية

مسجد الشيخ عطا :

ومن المساجد المشهورة مسجد الشيخ عطا ، وهو في الجهة الغربية من منتصف البلدة ، ولم يكن في سنة ١٣١٩ ﻫ شيء من الابنية ، بينه وبين جبانة بني الجندي والمقابر الواقعه غربي البلدة ، وهو في نَشَز من الأَرض ، يحده من

الغرب طريق يمر من المحلة الشمالية من جنوبي العنبر «الأنبار» إلى المحلة القِبلية الغربية ، ومن الشمال طريق آخذ من الجبانات المذكورة إلى السوق ، ومن الشرق هذه الطريق ، وأبنية حدثت في هذا العهد وكان أمامه من جهة الشرق الجنوبي «حَيْز» يمتد إلى جهة مدفن أبي العلاء ، وليس فيه عِمارة مطلقاً ، ثم أخذ الناس يبنون فيه دورا بعد سنة ١٣١٠ هـ . وهذا المسجد يصعد إلى بابه من الشرق ببضع درجات ، يدخل منه إلى ساحة طويلة ، فيها بئر ماء ، بينها وبين الحَرَم قبر عليه شعر تركي مؤرخ سنة ١١٩٣ هـ يقال : إن فيه رجلاً باشا من الترك ويليه قبور مندرسة ، لم نعلم أصحابها ولا تاريخها ، وعن يسار الداخل من باب الساحة منارة ، منقوش عليها من الجهة الغربية كلمات ، أمكننا أن نقرأ منها هذه : «لما كان بتاريخ شهر شعبان المعظم . . بناء هذه المنارة الفقير نجم الدين سنة ٧٥٥ هـ» .

ثم يلي المنارة من الجنوب والغرب غرفة فيها قبران : أحدهما للشيخ قدور الكيّال ، والثاني لأبيه ، ثم يليها الحرم في جنوبي الساحة والقبور والغرف .

ويزعم الناس أنه فيه قبر عطاء الله بن أبي رَبَاح الصحابي وأخذ عنهم أصحاب مجلة العاديات ، فقالوا في الكلام على المعرة : وفيها جامع فيه غار يشتمل على قبر عطا الله بن أبي رباح حامل لواء النبي . . .

وهذا القول باطل من وجوه كثيرة : منها أن عطاء ولد في آخر خلافة عثمان ، وتوفي في مكة سنة ١١٥ هـ أو سنة ١١٤ هـ أو سنة ١١٧ هـ كما ذكره النووي في تهذيب الأسماء [١] ، فليس بصحابي ولا حمل لواء النبي ولا دفن في المعرة ، وليس قبره في غار ، ولا في المسجد المذكور غار أيضاً .

وأظن أن عطاء هذا هو باني المسجد ، أو رجل صالح دفن فيه ، أو كان يقيم فيه ، ويؤيد هذا أنه مشهور بمقام الشيخ عطاء ، وما عرف أن أحداً من المتقدمين يلقب أحداً من الصحابة بشيخ .

ومنها مسجد يُوشع بن نُون (ص) ، وهو في جنوبي المدينة

---

(١) محيي الدين النووي : تهذيب الأسماء واللغات ٣٣٣ (ج) .

الشرقي ، وليس في عهدنا هذا بناء في شرقيه ولا جنوبيه إلا قليلاً ، وفي كلتا الجهتين آثار أبنية في الأرض ظاهرة .

ولهذا المسجد باب من جهة الغرب يدخل منه إلى ساحة صغيرة في صدرها ، مقابل الباب صُفَّة كالإيوان ، وفي طرف الباب منارة ، وفي الجهة الشمالية من الساحة بناء يقال : إن فيه قبر يوشع ، ويليه من الجهة الغربية غرفة ، اتخذها بعض القراء البصراء مكتباً لتعليم القرآن ، وفي الجهة الجنوبية حرَم المسجد ، وبين الحرم من الجهة الشرقية والايوان مدخل إلى المراحيض ، وأمامها ساحة تشبه الحديقة ، فيها بعض شجيرات ، والناس يعتقدون أن يوشع عليه السلام مدفون في هذا القبر ، وشايعهم بعض المؤرخين الذين يتلقفون الأخبار من العامة .

وأكثر المؤرخين على أن يوشع دفن في أرض ميراثه ، قيل : في نابُلُس وقيل : في ثمنة سارح في جنوبي نابلس .

قال ابن الشِّحْنَة [1] : وفي معرة النعمان فيما زعموا قبر يوشع بن نون عليه السلام ، في مشهد هناك ، جدد عمارته الملك الظاهر غياث الدين غازي ، ووقف عليه بالمعرة وقفا

(١) ابن الشحنة : الدر المنتخب ٩٨ .

وهو يزار ، ولما خرج الملك المعظم فخر الدين توران شاه من حبس مصر ، اشترى له بالمعرة أرضا ، ووقفها عليه ، وفوق باب هذا المسجد حجر مكتوب عليه أن بانيه غياث الدين غازي سنة ٦٠٤ ﻫ .

وقال ابن سعيد المغربي في تاريخه : إن يوشع مدفون في المعرة .

وقد تقدم عن صبح الأعشى أن قبر يوشع داخل المعرة ، وقال ياقوت : وفي جانب سورها من قبل البلد [١] قبر يوشع فيما قيل ، والصحيح أنه بأرض نابلس . وقد زار المعرة الشيخ أمين الجندي الحمصي ، فلما دخل مقام سيدنا يوشع (ص) قال قصيدة يمدحه فيها مطلعها :

قلبي لشمس جمال حسنك مطلع ... افهل يرى فيه لغيرك موضع

وفيها يقول :

مالي إليك وسيلة في نيل ما ... أملته الا نبيك يوشع

ويقول :

كهف به أهل المعرة قد نجوا ... من هول كل معرة تتوقع

(١) لعله قبلي البلدة لأنه واقع في طرفها القبلي كما ذكرنا (ج) .

وقد جرت عادة المعريين في عهدنا أن يجتمعوا في هذا المسجد في أوقات معينة ، منها يوم المولد النبوي في الثاني عشر من شهر ربيع الأول من كل سنة ، فانهم يجتمعون بعد صلاة الظهر من اليوم المذكور في الجامع الكبير العمري لاستماع قصة المولد ، وبعد انتهائها فيه يجتمعون في هذا المسجد لسماعها أيضاً ، وبعد انتهائها يوزع على الحاضرين صرر فيها ملبس ، ثم ينصرفون .

ومنها : ليلة نصف شعبان من كل سنة ، فانهم يخرجون من الجامع الكبير بعد صلاة العشاء ، وهم يرفعون أصواتهم بالتهليل والتكبير في الطريق من الجامع إلى هذا المسجد ، فيزورون المقام ، ثم ينصرفون كما جاءوا إلى مقام أُوَيس القَرني [1] ، وفي يوم نصف شعبان يطبخون أرزاً ومعه طعام آخر ، ويطعمون الفقراء منه ، ويوزعون قسماً منه على الفقراء وقسماً على فريق من الأغنياء للتبرك به .

(١) هو أويس بن عامر ، من بني قَرَن ، كان أحد العباد المقدمين من التابعين ، أصله من اليمن كان يسكن القفار والرمال ، ووفد على عمر بن الخطاب ، ثم سكن الكوفة ، وشهد وقعة صفين مع علي ابن أبي طالب ، ويرجح الكثيرون أنه قتل فيها (ملخصة عن الأعلام للزركلي ١ : ٣٧٥) .

ولهذا المسجد أوقاف كثيرة ، كان ينفق عليه من رَيْعها ، ثم أصبحت نهباً مقسما بين المتولين والمتغلبين ، فلم يبق إلا النّزْر اليسير منها :

ثلث مزرعة دير دورين .

وربع فدان بيد أهالي كفر روما .

وثلث مزرعة ترنله بيد أهل كَفْر رُومَا .

جميع مزرعة كفر قنا في كفر روما .

أراضي بالخمس في كفر روما .

ثلث مزرعة معرة بيطر في قرية حاس .

ثلث مزرعة أبي مكي في قرية جَرْجَنَاز .

ثلث مزرعة معران .

فدانان في كفر يعليل ضايعة ، وهي بيد أهل جرجناز .

ربع مزرعة كفر ناول ضايعة ، وهي بيد أهل الدير .

جميع مزرعة جامع خرارين .

سدس مزرعة صهيان ضايعة .

نصف قرية تَلْ مَنّس .

أرض في بسوقلا مع أهل تل مَنّس .

ثلث مزرعة تل جراد في الرُّوج .

ثلث مزرعة داجرة في قرية معر شورين .

أرض سلم الرجم بقرب قرية معر شورين .

ثلثا مزرعة بليصا .

خمس مزرعة السقيعة قريباً من الصّرْمَان .

ثمانية فدادين في قرية كَفْرنَبل .

أرض عجم في قرية الفَطيرة .

أرض زيتون في مَعَرْ بلت .

أرض في باب إيلا .

أرض زيتون في قرية جبالا .

شجر زيتون في قرية سجنا .

أرض في قرية مَعَرْ زِيتَا .

زيتون في قرية مَعَرْ شمشة .

مزرعة رجم الصنف قرب قرية الغَدْفَة .

نصف مزرعة تل جبرين .

أرض في سته ضايعة .

بستان الزعكل في المعرة بيد بني العظم .

حقل الجورة ضايعة .

حيز في دار السلطان في المعرة ضايعة .

رابية العمود في المعرة ضايعة .

أرض وادي بنا في المعرة .

حير أبراهيم التركماني في المعرة ضائع

أرض حقل السواد بالمعرة ضائعة .

حائران في البُرَيج .

أرض قرب تل سريج .

أرض في وادي البيطار .

حصة الباسليق .

أرض في الباسليق .

حقل الشمس .

سهم الفستقة .

أرض جريا .

حائر القبو .

حوائر حارة الشمالية .

أرض عند الشيخ حمدان .

سدس ثلاث قطع .

والظاهر أن كثيراً من الأوقاف استباحها جماعة من المتغلبين، فغيروا أسماءها ، فضاعت على الوقف .

وقد رأيت كتاباً من أمير الحاج ابراهيم والي الشام مؤرخاً في ١٩ صفر سنة ١٢٠٥ ه ، إلى متسلم المعرة عبد القادر بك ، يذكر فيه أن لوقف سيدنا يوشع معيناً في بعض مزارع الميري ، في كل سنة تسعة مكاكيك حنطة بكيل الحاصل ، ويأمره فيه أن يدفعها إلى السيد محمد الجندي [1] ، وأن لا يتخلف عن دفعها في كل سنة .

ورأيت فرمانا [2] من السلطان العثماني مؤرخاً في جمادى الآخرة سنة سبع ومأتين وألف ، يتضمن أن نصف تولية وقف

---

(١) هذا جد أبي (ج) .

(٢) اي أمراً ملكياً أو سلطانياً .

سيدنا يوشع والوظيفة المرتبة لها ، وهي آقجة [1] عدد ٢ كل يوم ، انحلت عن الشيخ ياسين ، ووجهت إلى أخيه الشيخ محمد خليفة شريكه في التولية .

مسجد أويس القرني ، أو السلطان ويس :

في شرقي المدينة على بعد نحو كيلو متر منها ، قريباً من الطريق الآخذة من حماة إلى حلب مسجد أو مقام ، وهو عبارة عن ساحة قَوْراء [2] ، ممتدة من الغرب إلى الشرق تبلغ نحو (٣٢) متراً ، ومن الشمال إلى الجنوب نحو (١٧) متراً ، ويتصل بها من الغرب الركية المشهورة برَكِيَّة العَرائِس ، وفي جنوبي الساحة إيوان كبير ، في غربيه غرفة كبيرة ، يزعمون أن فيها قبر أُوَيْس القَرَني ، وفي شرقيه غرفة ثانية ، وإلى جانبها من الشرق درج يصعد منه إلى سطح الايوان والغرفتين ، وطول هذا البناء طول الساحة ، وعرضه ستة أمتار ، والباب في جدار الساحة الشمالي مقابل الايوان ، وقد مات لبعض أمراء الترك ولد ، فدفنه في هذه الساحة ، فاقتفى الناس أثره في دفن

(١) هي قطعة من النقد التركي الصغير المتداول في ذلك العصر .

(٢) أي واسعة .

الصغار ، ثم الكبار ، حتى أصبحت الساحة مقبرة مكتظة بالقبور وقد توفيت لي ابنة صغيرة فدفنتها هناك ، وأهل المعرة يعظمون هذا المقام ، ويكثرون زيارته ، وتقريب القرابين والوفاء بالنذور فيه ، لأنه في سهل فسيح يتصل به من الشرق بساتين من ورائها كروم العنب ، فيجمعون بين الطاعة والاسترواح .

وقد رأيت في تاج العروس [١] ما يفيد أن مقام أُوَيْس القَرَني بكفر الحمى بالقرب من زبيد .

والصحيح أن أويسا قتل في صِفِّين مع علي بن أبي طالب ، كما ذكره ابن حجر في كتابه الإصابة [٢] ، وابن الأثير في (أسد الغابة) [٣] على أن هذا المقام ، أو المسجد كان ولا يزال مشهوراً في المعرة بأنه مقام السلطان وِيسْ .

مسجد الشيخ همدان ، أو مقام الشيخ :

يزعم فريق من أهل المعرة أن فيه قبر الشيخ محمد الهمداني

(١) الزبيدي : تاج العروس ٣ : ٦١١ .
(٢) ابن حجر العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة ١ : ١١٨ — ١٢٠ .
(٣) ابن الأثير : أسد الغابة ١ : ١٥١ ، ١٥٢ .

وهو مسجد قائم في الجهة الشرقية الشّمالية من المدينة ، شمالي مسجد أُوَيْس القَرَني إلى الشرق ، بينهما ما يقرب من كيلو متر ، وليس بينه وبين مدرسة ابن الوَرْدي بناء في عصرنا الحاضر ، وحوله من الشمال والغرب قبور قديمة وحديثة ، وآثار أبنية قديمة ، وفي شماليه كروم ، وفيها أشجار من التين والرمان وغيرهما ، وفي جنوبيه فسحة فيها آثار قبور ينحدر منها إلى الطريق الموصلة إلى مسجد أويس ، وفي شرقيه فسحة ينحدر منها إلى طريق حلب المذكورة ، وقد كانت بعض قبور شرقي الطريق أيضاً ، فدرسها أصحاب الارضين ، وأضافوها إلى أرضيهم .

وهذا المسجد له باب صغير يتجه إلى القِبلة ، يدخل منه إلى ساحة فسيحة ، في غربيها بئر ماء قديمة ، وتنتهي الساحة من الشمال إلى الشرق بدرج يصعد منه إلى القُبة ، وهذه القبة فيها ضريح يقال : إن فيه الشيخ حمدان ، ولها نوافذ من جهاتها الأربع ، شبابيكها من حجارة محكمة الصنع ، وأمامها من الجنوب رواق على قدر القبة .

وفي جنوبيها في آخر الساحة مما يلي الباب إيوان كبير ، له نوافذ من جهاته الثلاث ، شبابيكها من حجر أيضاً ، ويلي الايوان من الشرق درج يصعد منه إلى سطح الايوان ، والايوان متقدم كله على الباب .

وهذا المسجد يتخذه المقامرون والحشاشون وأرباب الدعارة ، مقراً لهم في بعض الاحيان ، ويتخذه النساء متنزها لهن في الربيع والصيف والخريف يجتمعن فيه ويجمعن بين التنزه ووفاء النذور وزيارة القبور .

ولم أقف على شيء يبين لي حقيقة الشيخ حمدان ، وهذا المسجد .

مسجد الرهوبي :

في شمالي المدينة ، وآخر بناء منها في تلك الجهة .

جامع القيش :

جامع القنطرة :

جامع الشيخ محمد الرشيدي :

هو في شمالي المدينة الغربي ، وفي الشمال الشرقي من مصلى بني الجندي الواقع في شمال جبانتهم ، وعند المنحدر الذي ينزل

منه إلى وادي الجِنان من المدينة ، وقد كان موضعَ هذا المسجد أنقاض متراكمة مساوية للطريق ، ثم مَرّ رجل فقير بالمعرة ، وكان شديد الولوع بالتنقيب عن مقامات الصالحين ، فحفر هذا المكان ، وأزال ما كان فيه من الحجارة والتراب ، فانكشف عن ساحة صغيرة فيها قبور ، وفي جنوبيها جدار فيه محراب ، والبناء كله قديم ، محكم متقن ، وبينه وبين دور المدينة إلى الشرق نحو خمسمائة متر ، وإلى الجنوب حَيْر [1] ينتهي ببناء قديم ، فيه قُبة قديمة في دار قديمة ، يقال لها : دار الجندي ، وبابها يشبه باب الحمام أو المسجد ، ثم كشف في هذا العهد في جهة الدار الغربية عن آثار مسجد ، ووجد في غربيه قبر عبد الكريم الداودي المتقدم ذكره في الزاوية الداودية .

ولما فتحت الحكومة الطريق ما بين المعرة وأريحا ، وقع هذا المسجد شرقي الطريق الذاهب من هناك إلى جهة القلعة .

وحول هذا المسجد آثار أبنية قديمة من الجنوب والشرق والشمال ، ولا يبعد أن يكون هناك سور للمدينة وباب الجِنان .

---

(١) في الصحاح للجوهري ١ : ٣١١ : الحير بالفتح شبه الحظيرة أو الحمى .

مسجد الشيخ محمود :

هو في المحلة الشمالية ، وهو اليوم عبارة عن بقعة مستطيلة مسورة بأربعة جُدر ، محاطة بالطرق الضيقة من جهاتها الأربع في وسطها قبور ، وليس لها سقف ، ولا تقام فيه صلاة .

وقد زرت المعرة سنة ١٣٦٦ ﻫ فوجدت هـــذا المسجد متهدماً ، وقد ذهب بعض حجارته ، وسيذهب الباقي منها ، لان دائرة الاوقاف هناك لا تعنَى بالابنية العامرة ، فكيف بالمتهدمة .

جامع موسى بك :

هو في المحلة الشمالية أيضاً في الجهة الغربية .

جامع باكير أغا

جامع الشيخ خليل

جامع السيد يوسف :

هو في المحلة القبلية ، وهو جامع صغير له باب من جهة القبلة ، يدخل منه إلى ساحة صغيرة ، ينزل منها ببضع درجات إلى ساحة ، في شماليها إيوان ، وفي جنوبيها الحَرَم . وهذا المسجد تقام فيه الصلوات أحياناً . وقد بناه السيد يوسف رئيس الاسرة

التي تنسب إليه في المعرة وسيأتي ذكره .

وهذا الجامع متصل بداره العظمى من الجهة الشرقية الجنوبية .

جامع زقاق رازم

جامع الشيخ محمد المصري:

هو في المحلة القبلية ، بالقرب من التكْنَة ، في جنوبيها من الغرب ، وفيه قُبة تحتها قبر الشيخ محمد المصري ، وبجانبها غرفة فيها ضريح يقال : إن فيه عبد الله بن المغيرة ، وفيه قبور يقال : إنها لبعض الصحابة ، وهذا كله أصبح اليوم في ساحة من مسجد بناه رجل يقال له : مصطفى من بني الحمصتين ، تقام الآن فيه الصلوات غير الجمعة .

جامع المعسوسي

جامع الحابوسة

جامع الشيخ أبي بكر

جامع بني المنديل

جامع بني البم

جامع الشيخ ربيع

جامع بني الأصفر

جامع نور الأبصار

مسجد أبي العلا :

وهو في المحلة القِبلية ، في غربيه طريق آخذ من الشمال الى جنوبيه ، وغربي هذا الطريق من الشمال حَيْر ينتهي بطريق يفصل بينه وبين حير آخر يسمى الحير الكبير ، وهذا ينتهي بالجَبّانة الغربية .

وفي شمالي الحير الأول من الغرب مسجد الشيخ عطاء الله السابق ذكره ، وقد قدمنا أنه حدث فيه عُمْران في عصرنا هذا .

وفي شمالي مسجد أبي العلاء وشرقيه دور .

ولهذا المسجد باب صغير من الجهة الغربية ، يدخل منه إلى ساحة طولها من الشمال الى الجنوب نحو ثمانية أمتار وسبعين سانتيمتراً ، وعرضها من الشرق الى الغرب نحو ستة أمتار واثنين وثمانين سانتيمتراً ، وفي شمالي الساحة صُفَّة مرتفعة نحو (٣٠) سانتيمتراً واصلة ما بين الجدار الغربي والمدفن الذي فيه الباب وعرضها (١٢٠) سانتيمتراً وفيها بعض الشجيرات .

ويقابل هذا الباب الغرفة التي فيها قبر أبي العلاء ، ولها باب صغير يتجه الى الغرب ، وطول هذه الغرفة (٣،١٨) وعرضها (٢،٩٥) وفيها قبة ارتفاعها أربعة أمتار تقريباً .

وتحتها القبر وطوله (١،٢٥) وعرضه (٧٥) سانتيمتراً تقريباً وفوقه حجران قائمان مكتوب عليها بالخط الكوفي وطول التي عند الرأس متر واحد .

ويتصل بالقُبَّة من الجنوب غرفة صغيرة تزيد في طولها نحو متر عن الغرفة السابقة ، وعرضها نحو عرض الأولى ، وارتفاعها أقل بنحو متر ، وفيها شيخ بصير يقرىء الأطفال القرآن .

وفي جنوبي الساحة الأولى الخارجية مسجد طوله من الشرق الى الغرب (٦،٥٠) وعرضه من الشمال إلى الجنوب (٥،٥٥) وفي جنوبي هذا المسجد من الغرب قبر طويل مكتوب عليه بالخط الكوفي ، استطعنا أن نقرأ من المكتوب عليه سورة الإخلاص .

وفي هـــذا المسجد محراب وليس فيه منبر ، وفي جداره الشرقي باب يخرج منه إلى ساحة فسيحة ، طولها من الشمال إلى الجنوب (١١،٧٥) ، وعرضهـــا من الشرق إلى الغرب

(٦٫٣٧) وفيها قبر طوله نحو مترين ، وارتفاع شاهدته نحو متر ، وقد كان فيها قبور كثيرة ، أخذ حجارتها جيرانها وكسّروها ، وجعلوها في عمارتهم ، ولا يزال فيها القبر المذكور وآثار غيره .

وفي الساحة المذكورة بئر ماء يتوضأ منه المصلون ، وفيها شجيرات من التين والرمان .

وأصل مسجد أبي العلاء ساحة من دور أهله عليها باب قديم صغير . هكذا قال جمهور من المؤرخين .

وهذا الرسم الأول فيه صورة باب الغرفة ، وفي داخلها القبر مع شيء من الساحة الخارجية ، وباب الغرفة الثاني وشجرة في الساحة . والصور الاربع التي تليها صور الحجارة المكتوبة على قبر أبي العلاء وقد استعصي علينا قراءة بعضها ، فرغبنا إلى أحسن رجل بدمشق في عصرنا يحسن قراءة مثل هذه الآثار وهو مدير الآثار فيها ، فرسم لنا صورة ما استطاع قراءته منها وهي هكذا .

رقم (٢) الله لا إله إلا هو الحي القيوم .

رقم (٣) رحمة الله عليه .

رقم (٤) أبا العلاء بن عبد الله بن سليم ولعلها سليمان ،

وهذا الحجر هو الذي وضع فوق قبره الآن وحده .

رقم (٥) أبا العلاء بن سليمان رحمه الله تعالى . الثاني الخميس

ليال مضو .. رمضان سنة .. وثلثين وخمسمائة .

هذا ما يبنه لنا ويظهر في هذه الحجارة ؛ أن قبل لفظ الجلالة في الرقم (٢) كلمة لم تفهم .

وفي أعلى رقم (٣) كتابة على شكل نصف دائرة ، لم تمكن قراءتها .

وفي أعلى رقم (٤) كلمات محطمة لم تمكن قراءتها أيضاً ، وأظن أن كلمة سليم فيها ، وهي سليمان .

وفي الرقم (٥) كلمات عسر فهمها ، وما قيل : لفظ خمسمائة أقرب ، إلى رسم ثمانين منه ، إلى رسم ثلثين .

وهذا التاريخ على علاته بعد وفاة أبي العلاء بكثير من الزمن لأن أبا العلاء توفي سنة ٤٤٩ هـ .

فإما أن يكون هذا التاريخ لعمل القبر لا للوفاة ، ولكن ذلك غير معروف ولا مألوف ، وإما أن يكون الحجر الذي

عليه تاريخ وفاة أبي العلاء قد فقد ، واستبدل بحجر عليه تاريخ أحد أقربائه من بني عبد الله بن سليمان .

ولا يستبعد أن يكون الحجر الأصلي حطمه بعض المتورعين ، لأن المعرة أتى عليها حين من الزمن كانت تعد فيه أبا العلاء من الزنادقـــة والملحدين ، كما سيأتي في ترجمته عن ابن الوردي وغيره .

أو أن يكون الحجر الاصلي باعه أحد الرعاع الجهلة ، أو أخذه وحطمه ، وجعله في بناء داره .

وقد أخبرني بعض علماء حلب ، أنه زار المعرة ، ورأى حجراً إلى جانب قبر أبي العلاء ، فادعى أنها شاهدة قبره ، ورفع حجراً من القبر ووضعه مكانه ، ومما لا شك فيه أن ذلك الحجر الذي وضعه ليس الحجر الاصلي ، وقد فاتني أن أسأله أي حجر هو ، ولكني أعتقد أنه ذو الرقم (٥) لأن خطه مخالف لخط الحجارة الباقية ، وعلى هذا يكون هذا الحجر من قبر آخر ، والتاريخ لغير أبي العلاء .

وقد زار هذا القبر القِفطي [١] بعد الستمائة ، فرأى عليه خُبّازَى يابسة ، وهو على غاية من الإهمال ، ورآه الذَّهَبي [٢] بعد ذلك بمائة سنة ، فرآه كما رآه القفطي .

فاما أن يكون قبره كان مكشوفاً ، ثم بنيت عليه الغرفة والقبة ، وإما أن يكون رأى الخبازى في ساحته ، لأن الغرفة التي فيها القبر لا يعيش فيها نبات ، لأن الشمس لا تدخلها ، وليس لها إلا باب صغير يتجه إلى الشمال ، وأرضها مفروشة بالبلاط ، وزاره علاء الدين بن المظفر الوداعي سنة ٦٧٩ هـ

---

(١) هو علي بن يوسف بن ابراهيم القفطي . عالم ، أديب ، مشارك في النحو واللغة والفقه وعلم القرآن والحديث والأصول والمنطق والفلك والهندسة وغير ذلك . ولد بمدينة قفط بمصر ، ونشأ بالقاهرة ، ورحل إلى حلب وولي الوزارة فيها ، وتوفي بها . له تصانيف كثيرة في عدة علوم .

(ملخصة عن معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٧ : ٢٦٣ ، ٢٦٤)

(٢) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركاني الأصل ثم الدمشقي الذهبي . محدث ، مؤرخ . ولد بدمشق ، وسمع بحلب وبنابلس وبمكة من جماعة ، وسمع منه خلق كثير ، وتوفي بدمشق . له تصانيف كثيرة في الحديث والتاريخ .

(ملخصة عن معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٨ : ٢٨٩ — ٢٩١) .

فرآه قد دثر ولصق بالأرض ، وهذا يؤيد أن البناء الذي فوق القبر حادث ، وصفة البناء وأوضاعه تشهد لذلك .

وزعم صاحب (نهر الذهب) [1] أن هذين البيتين :

قد كان صاحب هذا القبر جوهرة نفيسة صاغها الرحمن من شرف

عزت فلم تعرف الأيام قيمتها فردها غيرة منه إلى الصدف

مكتوبان على قبر أبي العلاء . وهذا غير صحيح اذ ليس على القبر شيء منهما وانما هما مكتوبان في قطعة من ورق ، كتبهما استاذنا الحاج أبو بكر صدقي الديوريكي ، حين كان معلماً للمكتب الرشدي في المعرة في نحو سنة ١٣١٣ ﻫ ، وفيهما تحريف وقد صححتهما ، وكتبتهما على قطعة صغيرة بقلم رصاص في السنة المذكورة بخطي .

وقد ذكر صاحب (الروضتين) [2] هذين البيتين :

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة ثمينة صاغها الرحمن من شرف

عزت ولم تعرف الأيام قيمتها فردها غيرة منه إلى الصدف

للأمير شبل الدولة مقاتل بن عطية بن مقاتل البكري قالهما

(١) كامل الغزي : نهر الذهب ١ : ٤١٨ (ج) .

(٢) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ص ٢٦ (ج) .

في الوزير نظام الملك الحسن بن علي بن اسحق الطوسي المتوفى سنة ٤٨٥ هـ .

وذكرهما في (الكامل)[١] وروايته لؤلؤة يتيمة . عزت فلم تعرف ورواهما له الأبشيهي[٢] في (المستطرف) : وروايته لؤلؤة يتيمة عزت ولم تعرف .. فردها عندما عزت إلى الصدف .

كيفية بناء ضريح أبي العلاء الجديد :

في نحو سنة ١٣٤٤ هـ الموافقة لسنة ١٩٢٥ هـ عزمت الحكومة السورية على بناء ضريح لأبي العلاء المعري ، ثم وقفت عن العمل بسبب نشوب الثورة السورية .

فلما استقرت الأمور أثار أحد النواب هذه القضية في المجلس النيابي المنعقد في سنة ١٣٥٢ هـ الموافقة لسنة ١٩٣٣ م ، واقترح على الحكومة أن تطبع مجموعة من الطوابع البريدية باسم أبي العلاء المعري في عهد أول جمهورية سورية ، وحاول بعض النواب ممالأة للحكومة ، ارجاء البحث في هذه القضية

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١٠ : ٨٥ (ج) .
(٢) الأبشيهي : المستطرف في كل فن مستظرف ٢ : ٣٤٠ .

وتسويفها ، ولكن النواب الآخرين اشتدوا على الحكومة ، فأقرت هذا الاقتراح ، وظهرت الطوابع في سنة ١٣٥٣ ﻫ الموافقة لسنة ١٩٣٤ م ، ونقش عليها رسم أبي العلاء ، وبيعت في عهد قليل ثم فترت عزيمة الحكومة ، وقام فريق من الأدباء يطالبونها بانجاز هذا العمل ، فعهدت إلى الموسيو ايكوشار المهندس المعماري الفرنسي ، ان يضع شكلاً للقبر والبناء الذي يحيط به ، يكون على طراز المدارس الاسلامية القديمة ، فأتم ذلك في أكثر من عام ، وجعل موضعاً للمكتبة بجانب الضريح على نمط الأبنية في القرن الرابع الهجري ، بحيث يرى منها الضريح القديم .

وقد أزيلت الدور التي كانت تكتنف مسجد أبي العلاء من الغرب والشمال

وقد شرع في هدم المسجد والضريح المذكورين في ٦ آب سنة ١٩٣٨ م ، وقد زرت المعرة في ذلك العهد ، ورأيت العمال يهدمون حجارة الجدران فوق القبر ، فتتحطم الحجارة من الطرفين ، فاعلمت رئيس البلدية بذلك ، فأوصاهم بأن يغمروا القبر بالتراب حتى لا تتهشم حجارته .

وفي الساعة الرابعة بعد الظهر من يوم السبت ، وهو اليوم السابع من شوال سنة ١٣٥٨ هـ ، والثامن عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٣٩ م ، وضع الحجر الاساسي من البناء المذكور ، بحضور جماعة من الحكومة السورية ، رئيس مجلس المديرين ومدير العدلية ، ومندوب المفوض السامي الموسيو هوتكلوك ، ومستشار الداخلية الموسيو فوكنو ، ومحافظ مدينة حلب ، ومندوب المفوض فيها ، ورئيسا البلدية والنافعة ومدير الشرطة فيها وبعض رجال الصحافة .

وخطب الموسيو هوتكلوك خطبة أعرب فيها عن سروره باشتراكه في هذه الحفلة ، وذكر شهرة أبي العلاء ، وأنه كان أبدع مظهر للذكاء العربي .

ثم أذاعت دائرة المطبوعات في الجمهورية السورية في ٧ ذي القعدة سنة ١٣٥٨ هـ و ١٩ كانون الاول سنة ١٩٣٩ م بلاغاً ذكرت فيه أن قد تقرر تأسيس مكتبة في معرة النعمان خاصة بأبي العلاء ، تقام بجانب ضريحه ، وتحتوي على مؤلفاته ، وما ألف فيه في اللغة العربية وغيرها ، لتكون مصدراً يرجع

إليه من يود دراسة أدبه وفلسفته ، وأن بلدية المعرة تتقبل بالشكر كل ما يهدى إلى هذه المكتبة من كتب مطبوعة ، أو مخطوطة ، أو مجلات ، أو غيرها ، وتسجل كل كتاب باسم مهديه ، وقد أهدي لها بعض كتب من نواح مختلفة .

وقد تم بناء ضريح أبي العلاء ومسجده في سنة ، ولكن البناء جاء على شكل يمقته كل من رآه ، وينقم على مهندسه الذي رسم خططه ، والحكومة التي وافقته في البناء على شكله .

ولما أكثر الناس لوم الحكومة وانتقادها من أجله ، غيرت خريطة البناء وهدمته ، ثم بنته على شكل جديد ، رآه الناس حسناً بالنسبة للبناء السابق ، ولكنها لم تقم فيه مكتبة ، ولم تجمع كتباً .

ولعل الحكمة في ذلك هي أن الله تعالى قدر على أبي العلاء أن لا يخلو من منقص في حياته وبعد موته [1] .

---

(١) أعلن الدكتور طه حسين باسم الحكومة المصرية في المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري (سنة ١٩٤٤ م) تبرعها بألفين من الجنيهات ، فقال : ثم رأت مصر أن تكون مشاركتها في إحيـاء ذكرى أبي العلاء متصلة بشخصه وبلده ، وقد علمت أن سورية قد جددت

المهرجان الألفي لأبي العلاء :

وفي سنة ١٩٤٤ م الموافقة لسنة ١٣٦٣ هـ قرر المجمع العلمي العربي في دمشق ، إقامة مهرجان لمرور ألف سنة على ميلاد أبي العلاء المعري ، وخصصت حكومة دمشق لذلك أربعين

قبر الشيخ وأقامت إلى جانبه مكتبة ، فقررت أن تشارك في هذه المكتبة ، وكلفني وزير المعارف أن أعلن أن الحكومة المصرية تتبرع بألفين من الجنيهات لتشتري بها الحكومة السورية بعض ما تحتاج إليه هذه المكتبة من الكتب .

وقد وضع هذا المبلغ باسم المرحوم الأستاذ خليل مردم الأمين العام للمجمع العلمي العربي في أحد المصارف بدمشق ، وقد كلفني الأستاذ المرحوم بأن أبتاع مجموعة كبيرة من أمهات الكتب في الأدب واللغة والتاريخ والتفسير والحديث والفقه الخ . . . فقمت بتنفيذ ذلك ، وأرسلت الكتب إلى المعرة ، فوضعت في بناء ضريح أبي العلاء ، وانتفع بها جمهور غفير من طلاب العلم والأدب ، لما ألحق ذلك البناء بوزارة الثقافة والارشاد القومي سنة ١٩٥٨ م ، وأطلق عليه اسم المركز الثقافي العربي .

وزرت هذا المركز في كانون الثاني سنة ١٩٦٣ م ، فوجدته غاصاً بالمطالعين ، وشاهدت رئيسه السيد عبد العزيز دقـــاق يبذل الجهد لازدهار هذا المركز وتقدمه .

وقام هذا المركز بنشاط طيب في خلال عام ١٩٦٢ م ، فزادت كتبه فبلغت ٣١٧٧ ، وبلغ عدد رواد المركز ١٧١٤٣ ، وعدد الندوات والمحاضرات التي أقيمت فيه ١٤ .

ألف ليرة سورية ، ودعا المجمع جماعة من أعضائه وغيرهم ، للاشتراك بهذا الاحتفاء ، فلبى الدعوة فريق ، وتخلف فريق آخر لمعاذر مختلفة . وقد ابتدأت الحفلة في الساعة الخامسة من يوم الاثنين ٨ شوال سنة ١٣٦٣ هـ ٢٥ ايلول سنة ١٩٤٤ م في الجامعة السورية في دمشق .

فافتتح الحفلة رئيس الجمهورية السورية السيد شكري القوتلي بكلمة نوه فيها بذكر المعري ، ثم تصدى إلى الترحيب بالضيوف والثناء عليهم .

ثم قال الدوكتور طه حسين رئيس وفد وزارة المعارف في مصر كلمة في الفصول والغايات ، وقد خصص الوقت الذي بعده للسيد حسن حسني عبد الوهاب وزير القلم في تونس ، ولكنه لم يحضر .

ثم قال الأستاذ مهدي الجواهري ، ممثل وزارة المعارف في العراق قصيدة ، عدد أبياتها خمسة وثمانون بيتاً .

وتلاه المستشرق الأستاذ وليم مرسيه ممثل جامعة الجزائر ، فقال كلمة في موقف الاسلام من العالم الحيواني .

ثم قال بدوي الجبل قصيدة جمع فيها بين مدح أبي العلاء ومدح رئيس الجمهورية ، وعدد أبياتها نحو تسعين . وهي معدة للالقاء في مدينة اللاذقية ، ولكنها قدمت عن وقتها لما فيها من مدح رئيس الجمهورية ، ولتغيب أحد الخطباء وهو حسن حسني ، وقد أعيدت في اللاذقية في الزمان والمكان المخصصين بها .

وفي اليوم الثاني الثلاثاء ٢٦ ايلول سنة ١٩٤٤ م ، ابتدأت الحفلة الثانية في الساعة الخامسة في مدرج الجامعة السورية فألقى السيد احمد أمين ممثل كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ومجمع فؤاد الأول كلمة عنوانها سلطان العقل في نظر المعري وتلاه محمد اسعاف النشاشيبي من علماء القدس ، فقال كلمة عنوانها التفاؤل والاثرية عند المعري . ثم تليت قصيدة للسيد محمد البزم الدمشقي . ثم قال المستشرق الأستاذ ألفريد غليوم من جامعة اوكسفورد ، كلمة عنوانها المعري في نظر المستشرقين وقد خصص وقت للأستاذ رضا الشبيبي رئيس مجلس النواب العراقي ليقول كلمة عنوانها لزوم ما لا يلزم في الأدب العربي ، ولكنه لم يحضر من العراق .

وفي يوم الأربعاء ٢٧ ايلول سنة ١٩٤٤ م ذهبت الوفود إلى المعرة ، وقد تليت على قبر أبي العلاء في المعرء قصيدة الأستاذ معروف الرصافي العراقي ، عنوانها شاعر البشر . وقد وصل الوفد إلى المعرة في الساعة السادسة من اليوم المذكور وبعد أن استراحوا من عناء السفر ، ذهبوا إلى قبر أبي العلاء ، فابتدئت الحفلة بقراءة عشر من القرآن الكريم ، أولها «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، ثم جعلناكم شعوباً وقبائل» ثم قال الدوكتور طه حسين كلمة ابتدأها بأبيات من قصيدة أبي العلاء

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شاد

ثم تليت قصيدة الرصافي . ثم ألقى السيد مهدي البصير كلمة عنوانها على قبر أبي العلاء . ثم ذهبوا إلى مأدبة أعدها لهم السيد حكمة الحراكي ، ثم ساروا ليلاً إلى حلب .

وفي يوم الخميس ٢٨ ايلول سنة ١٩٤٤ م ابتدأت الحفلة الرابعة في مدرسة التجهيز في حلب في الساعة الخامسة . وقد خصصت أول ساعة للأستاذ أحمد حسن الزيات المصري ، ليقول كلمة موضوعها فن المعري ، ولكنه لم يحضر ، فقال

ابراهيم عبد القادر المازني ممثل الصحافة المصرية ، كلمة عنوانها بحث أدبي عن أبي العلاء المعري ..

ثم تلا الأستاذ سامي الكيالي كلمة موضوعها الاضطراب السياسي في عصر أبي العلاء وأثره في بيئته وشعره ، ثم قال الأستاذ طه الراوي ممثل وزارة المعارف العراقية كلمة موضوعها سر الخلود في شعر المعري . ثم قال الأستاذ عمر أبو ريشة قصيدة عنوانها الفيلسوف .

وفي يوم الجمعة ٢٩ ايلول سنة ١٩٤٤ م ابتدأت الحفلة الخامسة في فندق كازينو في اللاذقية . فقال الأستاذ عبد الحميد العبادي عميد كلية الآداب بجامعة فاروق الأول ، كلمة عنوانها الناحية التاريخية في أدب المعري . ثم قال الاستاذ جميل صليبا كلمة عنوانها فكرة الخير في فلسفة أبي العلاء . ثم قال الاستاذ بدوي الجبل قصيدته السابق ذكرها . ثم قال الاستاذ محمد الشريقي كلمة موضوعها أسلوب المعري . ثم قال الاستاذ أنيس الخوري المقدسي ممثل الجامعة الاميركية في بيروت كلمة موضوعها الروح العلائية في أدبنا الحديث .

وفي يوم الأحد في ١ تشرين الأول سنة ١٩٤٤ م ابتدأت الحفلة السادسة في الجامعة السورية في دمشق ، وقد كان الوقت معيناً لخمسة خطباء ، ولكن زيد عليهم أكثر من هذا العدد ، فقال الدوكتور عبد الوهاب عزام كلمة عنوانها اللزوميات متى نظمت وكيف رتبت ، ثم قرئت كلمة كنت أعددتها لهذه الحفلة ، موضوعها دين أبي العلاء ، وقد لقيت قبولاً من السامعين أكثر من كل ما قيل في هذا الاحتفاء ، لأنهم أدركوا أن أكثر الخطباء يتعمد غمز أبي العلاء ليظهر على أكتافه ، وقد ادحضت حججهم وأبطلت مزاعمهم ، وبينت لهم نواحي من أبي العلاء كانوا لا يعلمونها . ثم قال الشيخ عبد القادر المغربي كلمة موجزة من خطبة موضوعها شيخ المعرة والشيخ الدرا . ثم قال الأستاذ هنري لاووست حكمة عنوانها اختلاف الآراء في فلسفة أبي العلاء . ثم قال الأستاذ شفيق جبري قصيدة .

وختم رئيس المجمع الاحتفال بكلمة أثنى فيها على الوفود والحكومة السورية ، وانتهى الاحتفال ، وهذا الذي ذكرنا هو المقرر في برنامج الحفلة في الأصل ، ولكن القائمين بها لم يستطيعوا أن يراعوه فزادوا في كل حفلة أو نقصوا .

وقد زادوا في هذه الحفلة الاخيرة كلمة لمندوب وزارة المعارف اللبنانية ، وكلمة أخرى لجهان الموصلي ، أنكرت فيها على أبي العلاء قسوته على المرأة وارتيابه فيها ، ثم أقامت له العذر في ذلك ، وكلمة ثالثة لعارف العارف [١] .

---

(١) وبهذه المناسبة رأيت من الفائدة ادراج كلمة الدكتور جميل صليبا في وصف حفلة افتتاح مهرجان أبي العلاء فقال : لم يكد المجمع العلمي العربي يعزم على إقامة المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري ، حتى ابتدأ الاستعداد له في كل مكان . فعهد المجمع إلى لجنته الإدارية في تنظيم المهرجان وتحديد أمكنته ومواقيته وحفلاته ، فرأت أن يدوم المهرجان اسبوعاً كاملاً من ٢٥ ايلول إلى ١ تشرين الأول ١٩٤٤ م ، وان تشمل حفلاته مدن دمشق وحمص وحماة ومعرة النعمان وحلب واللاذقية . ودعا المجمع أعضاءه العاملين والمراسلين إلى الاشتراك في المهرجان ، وكلف بعضهم اعداد كلمة تلقى في الحفلات الخطابية ودعت وزارة المعارف السورية وزراء المعارف في الدول العربية . فأرسلت الدعوة إلى وزراء المعارف في مصر ، والعراق ، والمملكة العربية السعودية ، وشرقي الاردن ، ولبنان ، وتونس ، والمغرب الأقصى ، واليمن . ودعي أيضاً مجمع فؤاد الأول للغة العربية (اليوم مجمع اللغة العربية) ، ورؤساء الجامعات العربية ، وغيرها وبعض المستشرقين ، ونقباء الصحف في دمشق وحلب وبيروت والقاهرة ، وممثلو محطات الاذاعة في سورية ولبنان وفلسطين ومصر ، فلبى كثيرون منهم دعوة المجمع .

وقد عرض لي عائق منعني من الاشتراك مع الوفد في

— ولم يحن موعد المهرجان ، حتى توافد المدعوون إلى دمشق ، وحلوا ضيوفاً على المجمع ، والتقى أدباء مصر والعراق وفلسطين وشرقي الاردن وأدباء سورية ولبنان في مكان واحد ، وكان هذا الاجتماع أعظم سوق أدبية شهدتها دمشق في تاريخها .

وكان وفد مصر مؤلفاً من السادة الدكتور طه حسين ، والأستاذ أحمد أمين ، والأستاذ عبد الحميد العبادي ، والأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني ، والدكتور عبد الوهاب عزام ، والأستاذ أحمد الشائب . فقدموا إلى المجمع فور وصولهم هدية وزارة المعارف المصرية ، وهي « كتاب تعريف القدماء بأبي العلاء » الذي طبعته مصر تخليداً لذكرى المهرجان .

وكان وفد العراق مؤلفاً من السادة الأستاذ طه الراوي ، والأستاذ مهدي الجواهري ، والدكتور مهدي البصير

وحضر من فلسطين الأستاذ اسعاف النشاشيبي . ومن لبنان السادة فؤاد افرام البستاني ، والدكتور عارف العارف ، والأستاذ أنيس النصولي ، والأستاذ أنيس الخوري المقدسي ، ورئيس جامعة القديس يوسف ، والأستاذ رئيف خوري . ومن شرق الاردن الأستاذان أديب وهبة ومحمد الشريقي . ومن ايران الأستاذ عباس اقبال . ومن المستشرقين الأستاذان ألفريد غليوم وهنري لاووست . ومن القدس السيد عزمي النشاشيبي ممثلاً للاذاعة والمطبوعات ، فضلاً عن الوفود الأخرى التي مثلت الأوساط العلمية في العاصمة والمدن السورية ، ممن سيأتي ذكر أكثرهم في الخطباء .

الرحلة إلى حمص ، فحماة ، فالمعرة ، ، فحلب ، فاللاذقية ،

ولقد زار الوفود في اليوم الأول من أيام المهرجان فخامة رئيس الجمهورية ، ومجلس النواب ، ودار الحكومة . والقى الدكتور طه حسين في مجلس النواب كلمة باسم الوفد المصري ، أعرب بها عن اعتراف مصر بفضل سورية ، لاحتفائها بذكرى أبي العلاء . قال : « وكان طبيعياً أن تقوم سورية بهذا المهرجان الألفي ، فتدعو إليه سائر بلدان العالم العربي . فهي قد أعطت الأدب العربي أكبر شعرائه ولكن أعظم شاعر انساني أنتجته سورية ، وحق لها أن تفخر به على العالم كله ، هو أبو العلاء . فلا غرو إذا سبقت العالم كله إلى الاحتفاء بذكره » فرد عليه رئيس مجلس النواب السيد فارس الخوري بكلمة أشار بها إلى فضل مصر على العالم العربي بأدبائها المعاصرين ومفكريها ، الذين كان لهم أعظم الأثر في احيـــاء تراثنا الأدبي وتوجيهنا الفكري .

ثم أقام المجمع مأدبة غداء في فندق اوريان بالاس أطلق عليها اسم « المائدة العلائية » طبخ بها الطعام وعولج على شرط أبي العلاء ، لم يكن فيه لحم ولا سمن ولا بيض ولا لبن .

وكان موعد الحفلة الخطابية الأولى في الساعة الخامسة بعد الظهر في الجامعة السورية (اليوم جامعة دمشق) ، دعا إليها رئيس المجمع العلمي الأستاذ محمد كرد علي وزراء دمشق ، وعلماءها ، وأدباءها ، وأديباتها ، ووجهاءها ، وكبار موظفيها ، وأساتذتها . وأعد في بهو الجامعة للوفود وأعضاء المجمع سدة خاصة حول منبر الخطابة . وربط المنبر بمحطة الاذاعة بدمشق . واتخذت جميع الوسائل الفنية للتسجيل ـــ

ولكنني سمعت من كثير من رجال الوفد ، ومن كان معهم في

ـــ الخطب واذاعتها من محطة الشرق الأدنى . ونصبت علامة المهرجان في صدر البهو بين الأعلام السورية وأعلام الدول العربية . وعرضت آثار أبي العلاء وما كتب عنه في خزائن خاصة عند مدخل البهو ، كما عرضت بعض تماثيل وصور لأبي العلاء صنعها عدد من الفنانين وكانت صدور أعضاء الوفود وأعضاء المجمع مزينة بعلامة المهرجان ، وكانت موسيقى الدرك السوري تستقبل كبار المدعوين بأنغامها .

ولما كان موعد الحفلة أقبل فخامة رئيس الجمهورية (السيد شكري القوتلي) بحاشيته الرسمية ، فجلس على سدة المهرجان بين وفود البلاد العربية وأعضاء المجمع . وبدئت الحفلة بالنشيد السوري . وكان برنامجها على الوجه الآتي : ١ ـــ كلمة الافتتاح لحضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية (السيد شكري القوتلي) ٢ ـــ كلمة وزير المعارف (السيد نصوحي البخاري) ٣ ـــ كلمة رئيس المجمع العلمي العربي (السيد محمد كرد علي) ٤ ـــ كلمة الدكتور طه حسين رئيس وفد وزارة المعارف المصرية وكان عنوانها (الفصول والغايات) ٥ ـــ قصيدة الأستاذ مهدي الجواهري ممثل وزارة المعارف العراقية وكانت بعنوان (الفيلسوف الحر) ٦ ـــ كلمة الأستاذ أحمد الشايب مندوب جامعة فؤاد الأول (اليوم جامعة القاهرة) وكانت بعنوان أبو العلاء المعري شاعر أم فيلسوف (انتهت كلمة الدكتور صليبا المنشورة في مقدمة المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري) .

وأما الحفلة الثانية فكانت بدمشق وألقيت فيها الموضوعات الآتية : ١ ـــ سلطان العقل عند أبي العلاء للأستاذ احمد أمين ٢ ـــ التفاؤل والأثرية في كلام الشيخ للأستاذ محمد اسعاف النشاشيبي ٣ ـــ أبو العلاء ـــ

هــــذه الرحلة ، أن الجميع كانوا مسرورين جد السرور من

ـ قصيدة للأستاذ محمد البزم ٤ ـ المعري في نظر المستشرقين للأستاذ ألفريد غليوم ٥ ـ المعري وآراؤه في الاصلاح الاجتماعي للأستاذ عارف النكدي .

وأما الحفلة الثالثة فقد كانت في معرة النعمان على ضريح أبي العلاء وألقيت فيها الموضوعات الآتية : ١ ـ شاعر البشر قصيدة للأستاذ معروف الرصافي ٢ ـ على قبر أبي العلاء للدكتور مهدي البصير .

وأما الحفلة الرابعة فكانت في حلب وألقيت فيها الموضوعات الآتية : ١ ـ أبو العلاء شاعر انساني للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني ٢ ـ سر الخلود في شعر أبي العلاء للأستاذ طه الراوي ٣ ـ الفيلسوف قصيده للأستاذ عمر أبو ريشة ٤ ـ الاضطراب السياسي في عصر أبي العلاء للأستاذ سامي الكيالي .

وأما الحفلة الخامسة فكانت في اللاذقية وألقيت فيها الموضوعات الآتية : ١ ـ ناحية التاريخ من أدب أبي العلاء للأستاذ عبد الحميد العبادي ٢ ـ فكرة الخير في فلسفة أبي العلاء للدكتور جميل صليبا ٣ ـ الدهر ملك العبقرية قصيدة للأستاذ بدوي الجبل ٤ ـ أسلوب المعري ومنهاجه للأستاذ محمد الشريقي ٥ ـ الروح العلائية وأثرها في أدبنا الحديث للأستاذ أنيس المقدسي .

وأما الحفلة السادسة فكانت في دمشق وألقيت فيها الموضوعات الآتية : ١ ـ لزوم ما لا يلزم متى نظم وكيف نظم ورتب للدكتور عبد الوهاب عزام ٢ ـ شيخ المعرة والشيخ الدرا للأستاذ عبد القادر المغربي ٣ ـ دين أبي العلاء لمحمد سليم الجندي ٤ ـ اختلاف الآراء ـ

حفاوة المعريين بهم ، ومعجبين أشد الاعجاب بما رأوه من طلاقة أوجههم وألسنتهم وأيديهم .

فقد خرج لفيف كبير من المعرة فرساناً ومشاة ، إلى استقبال الوفد قبل المدينة ، فلما وصل في الساعة السادسة قبيل غروب

ـ في فلسفة أبي العلاء للأستاذ هنري لاووست ٥ ـ ذكرى أبي العلاء قصيدة للأستاذ شفيق جبري .

وهناك كلمات وردت متأخرة فألحقت بالحفلة السادسة وهي من ضحايا العقل للأستاذ أفرام البستاني ، من هو أبو العلاء للأستاذ أديب وهبة المعري والمرأة للآنسة جهان الموصلي ، أبو العلاء وأقطاب الفكر المحدثون للأستاذ عارف العارف ، كلمة الاذاعة الفلسطينية للأستاذ عزمي النشاشيبي .

وهناك كلمات بعث بها أصحابها لتنشر في كتاب المهرجان الألفي لأبي العلاء بعد أن تعذر حضورهم إلى دمشق في اسبوع المهرجان وهي : لزوم ما لا يلزم في الأدب العربي للأستاذ محمد رضا الشبيبي ، أبو العلاء المعري وعلم النحو للأستاذ ابراهيم مصطفى ، بعض ملاحظات تتعلق بحياة أبي العلاء وآثاره للأستاذ عباس اقبال ، مخطوطات أبي العلاء المعري في مكتبة جامعة برنستون للدكتور فيليب حتي ، والناس تخطب في علاك وتنشد قصيدة للشيخ كاظم الدجيلي ، والمعري والموسيقى للأستاذ فخري البارودي .

الشمس ، استقبلهم الناس بالترحيب والتحية ، وسارت الجموع أمامهم ، واستفرغوا ما عندهم من الاهازيج والالعاب والسباق على ظهور الخيل ، حتى دخلوا المدينة ، وكان الناس على حافتي الطريق وسطوح الابنية يصفقون ويرحبون ، وكان في مقدمتهم السيد حكمة الحراكي ، وهو الذي أعد لهم هذا الاحتفال الشعبي ، وتولاه بنفسه من أوله إلى آخره ، وكان أهل المدينة يشاركونه في الترحيب وكرم الوفادة .

فلما وصل الوفد إلى المدينة استراح قليلاً في دار السيد طالب الحراكي ، ثم سار ماشياً إلى ضريح أبي العلاء ، فجلسوا على المقاعد التي أعدت لهم ، وبعد أن تليت آيات من الذكر الحكيم قال الخطباء ما قدمنا ذكره ، وبعد انتهاء الحفلة ذهبوا إلى دار حكمة الحراكي ، وقد كان أعد لهم مأدبة فاخرة ما رأوا مثلها في طيب الطعام وكثرة أنواعه وكثرة مقاديرها ، ورأوا من صاحبها من جمال اللقاء وحلاوة اللسان وكثرة السرور بهم وكرم الخلق ، ما لم يروه من انسان غيره ، وصفوة القول إن سرورهم بهذه الحفلة واعجابهم بحفاوة المعريين ، وكرم

الحراكي ملأ أعينهم وقلوبهم ، وأطلق ألسنتهم بالشكر والثناء فما رأيت أحداً منهم إلا وهو يتعجب من كرم الوفادة ويثني على أهل المعرة .

ثم سار الوفد ليلاً إلى مدينة حلب ، وقد ذكر ذلك مفصلاً في الكتاب الذي وضعه المجمع العلمي وطبعه ، وسماه المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري [1] .

---

(١) قال الدكتور جميل صليبا في المهرجان الألفي لأبي العلاء ص ١٣٥ ، ١٣٦ :

ولما انتهت مأدبة الغداء غادر أعضاء المهرجان في الأصيل مدينة حماة ، فوصلوا إلى معرة النعمان في الساعة السادسة قبيل غروب الشمس . وكان نائب المعرة السيد حكمة الحراكي قد أعد لهم احتفالاً شعبياً رائعاً . فاستراحوا قليلاً في دار السيد طالب الحراكي عند مدخل المدينة . ثم ساروا إلى ضريح أبي العلاء مشياً على الأقدام والجماهير تصفق لهم وتحييهم وبلغوا القبر في العشية، يحيط بهم أهل المدينة كبارهم وصغارهم في موكب مهيب لم تشهد معرة النعمان مثله وترمقهم أعين النساء من شرفات المنازل بنظرات ملؤها الفرح . ثم أنهم جلسوا على المقاعد التي اعدت لهم حول الضريح ، وبدئت الحفلة بعشر من القرآن الكريم أوله : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير » .

الخانات :

من الأبنية الجليلة في المعرة الخان الكبير ، ويقال له : خان التكية[1] ، وهو في شرقي المعرة ، متوسط بين شماليها وجنوبيها

ــ ثم ألقى الدكتور طه حسين كلمة بدأها بتلاوة أبيات من قصيدة أبي العلاء الخالدة

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شاد

وأشار فيها إلى مذهب أبي العلاء في اعتزال الناس ، وابتغاء الوحدة وحرصه عليها قال : لقد وجد أبو العلاء أن خير ما يصنعه لنفسه في الحياة عزلة تبعده عن الناس . ولكنه لم يكد يبدأ سيرته في الاعتزال حتى أخذ الناس يسعون إليه ويلتفون حوله . فشقي في حياته بالناس . وها هو يشقى بهم بعد موته ، ويخفق في طلب العزلة . لقد سجن نفسه في بيته حباً بالزهد واعراضاً عن المجد ، فهل يرضيه أن يجتمع الناس حول قبره ويقيموا له هذه الإحتفالات لا لعمري لو ترك الأمر لأبي العلاء لما أراد شيئاً من هذه .

ولما انتهى الدكتور طه حسين من مناجاة أبي العلاء تلا السيد محمد الشريقي قصيدة للأستاذ معروف الرصافي وعنوانها : « شاعر البشر » ...

ثم القى الدكتور مهدي البصير كلمة عنوانها : على قبر أبي العلاء .

ولما انتهت الحفلة الخطابية دعي أعضاء المهرجـــان إلى مأدبة عشاء أعدها لهم السيد حكمة الحراكي ، فساروا في العتمة إلى بيته وشهدوا عنده من صنوف الكرم العربي ما يعجز القلم عن وصفه . ثم ان أعضاء المهرجان ساروا بعد ذلك إلى حلب .

(١) وهو اليوم مقر لمدرسة سعيد العاص الابتدائية .

وليس في شماليه بناء ، ولا بينه وبين طريق حلب شيء من العُمران قبل سنة ١٣٤٤ هـ ، وفي هذه السنة أنشأت الحكومة داراً لها ، جعلتها في شرقي الخان ، وعمر بعض الناس شرقي دار الحكومة ، على الطريق الآخذة إلى حلب بعض دكاكين ومقهى صغيراً ، ثم لما فتح شارع أبي العلاء بنى الناس على استقامته ، من الشرق والغرب ، ومر الشارع في جنوبيه ، والخان بناء عظيم مربع الشكل ، متقن البناء ، محكم الصنع ، يحسبه الرائي من حجر واحد ، وأن بانيه فرغ منه حين يراه ، ثم لما وقعت معركة بين الثوار ، وبين الجنود الفرنسيين الذين كانوا متحصنين فيه ، خدش الرصاص بعض حجارته ، فكسرها وشوه رونقها .

وفي وسط هذا الخان ساحة كبيرة ، وفي وسط هذه الساحة مسجد واسع ، مرتفع عن الأرض ، وفيه محل للوضوء ، وإلى جانبه مصنع للماء من حجر واحد ، ويسمونه جُرْنا ، كان يسيل إليه الماء من حمام التكية الآتي ذكرها .

وحول الساحة أروقة كبيرة ، مرتفعة عن الأرض ، ووراء

الأروقة أمكنة عظيمة ، فيها صُفَف عالية للمسافرين ، وفيها مرابط لدوابهم ، وتكاد هذه الأبنية يتصل بعضها ببعض ، وفي الجهة الشرقية منه بناء جميل ، فيه غرف متعددة ، يقال : انها كانت مقراً للحاكم وأعوانه .

وجميع ساحته وأروقته مفروش بالبَلاط ، وكذلك سطحه وقد فرش سطحه بألواح من الرصاص فوق البلاط ، ثم عبثت بها أيدي المتولين وغيرهم ، فلم يبق منها إلا النزر ، واقتلع الجنود الفرنسيون قسماً من بلاطه ، فجعلوه متارس كانوا يحاربون من ورائها ، وقد تداعى قسم منه في الجهة الشمالية الغربية ، ورمم قبل سنة ١٣١٠ هـ .

وهو على حالته الحاضرة آية خالدة ، يشهد بعظم بنائه على عظمة بانيه ، وهو وقف على أبناء السبيل ، يؤمونه متى شاؤا ، ويقيمون فيه متى أرادوا ، من غير أن يدفعوا أجراً عنهم أو عن دوابهم ، وخلف الباب غرفة يقيم فيها الحارس ، وله باب شاهق عظيم ، يتجه إلى القبلة ، وقـــد كتب فوقه هذه الكلمات :

« قد بنى هذا لوجه الله تعالى حامي دفاتر الديوان السلطانية مراد چلبي فغني منع فقيراً أو دوابه يتشتى فعليه لعنة الله والملائكة بطرق شتى سنة ٩٧٤ ﻫ » .

وإلى جانب هذا الخان من الشمال الغربي حمام يقال له : حمام التكية ، وهي أحسن الحمامات في المعرة ، وإلى جانبها الغربي الشمالي بناء عظيم ضخم ، يزعم أهل المعرة أنه كان تكية يطبخ فيها الطعام للفقراء ، وان الغريب ينزل في الخان مجاناً ، ويأكل من التكية مجاناً ، وآثار هذا البناء تدل على ذلك ، ولذلك يقال لهذا الخان : خان التكية الا أن الحمام في عهدنا هذا تؤجر كغيرها من الحمامات ، ويستوفى من داخلها الأجر ، والتكية خربة يستعملها مستأجر الحمام في بعض مرافقه ، وأما الخان فلا يزال الناس ينزلونه بغير أجر ، وله وللحمام المذكورة أوقاف كثيرة ، وقد ذهبت الايام بكثير منها ، وما بقي منها ضمته الحكومة التركية إلى أوقاف الجامع الكبير ، فهي كلها تعمر وترمم من غلة الوقف المشترك .

وماء هذه الحمام يخرج من رَكِيَّة متصلة بها ، ويسال إليه

أحياناً ماء من رَكية الجامع الكبير ، على ساقية فوق جدار عال ممتد بينهما ، تحته قناطر ، ويسمى ذلك الموضع بالقناطر ، منها : قنطرة كبرى قريبة من ركية الجامع ، يمر الناس تحتها من المحلة الشمالية إلى القبلية ، ويليها من الشرق قناطر أصغر منها ثم هدمت هذه القناطر واسيل الماء بواسطة أنابيب حديدية تحت الارض ، حين بنيت المدينة على الشكل الحديث ، أي حين فتح شارع أبي العلاء .

الخان الثاني ، أو التكية :

ويقابل خان التكية من الجهة الجنوبية ، خان آخر يقاربه في الحجم ، لا في الاتقان والرونق ، وقد بناه أسعد باشا العظم المعري ، وفوق بابه هذه الابيات ، ويقال إنها من نظم الشيخ عبد الغني النابلسي ، وهو خطأ ، لأن الشيخ توفي سنة ١١٤٣ ﻫ كما ذكره الجبرتي (١)

جزاك الله أسعد كل خير وإسعافا مع الفضل الجزيل

لما بمعرة شيدت خاناً تسامى في البناء عن المثيل

(١) عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ٢ : ٩ (ع) .

ثوابك عند رب العرش حقا　　أيا خدن الوزارة والقبول
بناؤك مثل طولك فيه أرخ　　مطل راسخ لابن السبيل
سنة ١١٦٦　　٨٩　٨٦١　٨٣　١٣٣

وفي داخله حوض ماء تحت قوس حجري ، وقد تهدم بعضه في عهد الحكومة التركية ، وقد اتخذته الحكومة العثمانية ثكنة ، يقيم فيها الجند من عهد بعيد ، وبنت بجواره من الشرق مدخراً محكما لوضع الاسلحة والمواد المتفجرة ، وبقي كذلك إلى أن جلت عن المعرة ، فأبقته الحكومة التي خلفتها على حالته ثكنة ، ولا يزال كذلك إلى سنة ١٣٥٥ ه .

وبعمل السلف والخلف ضاعت الغاية المقصودة من بنائه ، وحرم أبناء السبيل الانتفاع به ، وحرم أهل المدينة ما ينجم عن ذلك من الفوائد .

ولهذا الخان أوقاف ، يصرف على ترميمه من ريعها ، عرفت منها :

خمس دور في المعرة ، ومقهى واحد وهي القهوة الكبيرة

وخمسة دكاكين ، وأربع أرضين ومدار واحد[1] ، وله أرض بجوار خان العتيق ، موقوفة ليصب بريعها ماء في الحوض المذكور. وقد رأيته سنة ١٣٥٧ هـ ، وقد خرجت منه الجنود ، وصار سوقاً لبيع الدواب ، وهو على وشك التداعي والسقوط ، وقد بنى الناس حديثاً في شرقيه من الشمال والجنوب .

الخان العتيق :

وكان في المعرة خان ثالث أقدم عهداً من هذين الخانين ، بناه صارم الدين أزبك المنصوري الحموي المتوفى سنة ٧٣٧ هـ وعمل عنده مسجداً وسبيلا « منهلا » للماء ، وأظن أنه هو الذي كان الناس يسمونه الخان العتيق ، وقد أدركت منه بقية عامرة ، وهي من شرقيه ، ولكن لم أر أثراً للمسجد ، ولا للمنهل ، ولعلها تحت الردم ، وحول هذا الخان أربع ركايا في أطرافه الاربعة ، بُعد كل واحدة عن الاخرى نحو ثلاثين متراً فأكثر ، وهو واقع في الجهة الشرقية الجنوبية من الثُّكْنَة

(١) المدار في عرف المعريين طاحونة ، تدار بواسطة الدواب ، يطحن فيها البر والشعير ، وقد كان في المعرة عدد كبير منها ، ثم بطلت لما رأى الناس الطواحين التي تدار بواسطة الكهربائي وغيرها .

على بعد ١٥٠ متراً تقريباً ، يفصل بينهما مكان فسيح ، بعضه أخفض من بعض ، وفيه حفر وآثار أبنية قديمة ، والطريق الآخذ من حماة إلى حلب .

وكان الناس يجلسون على ظهر هذا الخان ينظرون إلى سباق الخيل في أيام العيد ، وهكذا تركته سنة ١٣١٩ هـ .

ثم زرت المعرة سنة ١٣٥٢ هـ فلم أر أثراً للخان ولا لأنقاضه ، والذي علمته من أهل البلدة أن بعض الأغنياء هدم البقية الباقية منه ، وجعل مكانه بستانا ، وبنى من أنقاضه بيتاً في البستان وبركة وغيرها ، وقد أخبرني بعضهم أنه بعد هدم الخان ظهرت رَكِيّة بجواره عذبة الماء ، ولها مجار في جدار الخان الجنوبي .

خان المنقش :

ويقال : إن في شرقي المعرة من الشمال بالقرب من مزار الشيخ القبيباتي على بعد نحو ٤٠٠ متر تقريبا ، خان يقال له : خانِ المنقش ، وأنه بقي إلى أواخر القرن الثالث عشر ، ثم تهدم ، وذهبت أنقاضه وانطمس أثره ، وأصبح أرضاً يزرع فيها القمح ونحوه .

الحمامات :

وفي المعرة في عهدنا أربع حمامات :

الأولى : حمام التكية ، وهي المتصلة بالخان ، وقد تقدم ذكرها .

الثانية : الحمام التحتانية ، وهي واقعة في وسط المحلة الشمالية من الجنوب ، تتصل من غربيها بدار الحكومة القديمة ، وبالسوق من شرقيها ، وبينها (القَمِيّم) وبابها الى الشمال ، وماؤها يستخرج من الساطورة (الرَّكيْة) المعروفة بالساطورة التحتانية ، ثم يصب في ساقية تمر من جدار القمين إلى الحمام .

وماء هذه الركية غزير ، يبيع منه مستأجر الحمام للناس بالراوية ، ويسيل بمجرى خاص إلى حوض صغير ، والرشاش الذي يتقاطر منه ربما يعود الى الركية .

وبالقرب منها مسيل للمطر الذي يجتمع من الطرق فيصب فيها ، وبقربه مجرى ماء الحمام الذي يجتمع مما يصبه المغتسلون فيها ، ولا يبعد أن يتسرب شيء منه إلى الركية .

ولذلك لا يعد ماؤها في نظر الأطباء نظيفا ، ومعظم أهل المحلة الشمالية يشربون منه .

والحمام واسع ، محكم البناء، مشتمل على براني ووسطاني وجواني فالبراني القسم الأول الذي ينزع فيه الداخل ثيابه إذا أراد الاغتسال ، وينشف فيه جسده بعد خروجه من الجواني ، وفيه يجلس صاحب الحمام وصناعه ، والجواني القسم الداخلي الذي يغتسل فيه الناس ، وفيه المقاصير التي يجلس فيها المغتسلون ، والوسطاني القسم الذي يكون بين الجواني والبراني ، وتكون حرارته متوسطة بينهما .

الثالثة : حمام الزهور . وهي واقعة في جنوبي السوق من الجهة الغربية ، وفي الشمال الشرقي من مسجد أبي العلاء .

وهي مبنية تحت الأرض ، ينزل اليها من بابها الشمالي ببضع عشرة درجة ، وهي واسعة فسيحة من داخلها .

وربما كان بناؤها مساوياً لبناء غيرها في القديم ، ولكن أحاط بها الردم من كل وجه ، فظهرت كأنها مبنية تحت الارض ، وفي احدى مقصوراتها مقام يقال : ان فيه الشيخ عنبر ، ولم أقف له على خبر ، وماؤها يستخرج من رَكية تتصل بها من الشرق .

وهذه الحمام وقف لبني الحاج يوسف ، من أسرة السيد يوسف المشهورة في المعرة ، ثم سعى بعض خصومهم فهدمتها

البلدية ، وأضافت قسما منها الى الطريق المتصل بشارع أبي العلاء ثم عمرت وجددت نحو سنة ١٣٥٨ هـ .

وقد ذكرنا في غير هذا المكان انهم حفروا تحت هـذه الحمام فوجدوا دكاكين ، ووجدوا تحت الدكاكين دكاكين صاغة .

الرابعه : حمام السيد يوسف ، وهي جزء من داره الآتي ذكرها ، وموقعها في المحلة القبلية ، وبابها الى الغرب ، وماؤها يسير بساقية من ساطورة [1] السيد يوسف الواقعة في المحلة القبلية في الزاوية الشرقية الشمالية من الساحة الكبيرة ، ومن ركية أخرى تتصل بالحمام من الجهة الشمالية داخل القمين .

ولا يوجد غير هذه الحمامات في المعرة في عهدنا ، وسمعت جماعة من شيوخها يقولون : ان الدار الواقعة في المحلة الشمالية شمالي العنبر (الانبار) الى الشرق كانت حماماً في القديم ، ثم عطلت وجعلت داراً ، وبابها يشبه أبواب الحمامات في المعرة .

وقد عثر على حمام قديم في المحلة الشمالية ، شمالي الجامع الكبير الى الشرق ، ووجد فيها مجاري الماء وغيرها وهي متهدمة ، فردمها صاحب الارض التي وجدت فيها وبنى فوقها .

---

(١) والساطورة في عرف المعريين ركية يستخرج ماؤها بواسطة دواليب تديرها دابة وأكثر ما تقال لركايا الحمامات ، ويقال : صاطورة .

وبنى السيد حكمة الحراكي حماماً جنوبي المعرة ، شرقي مسجد نبي الله يوشع (ص) الى الشمال .

المقاهي :

وفي المعرة مقاه متعددة منها ما هو أقدم منا عهداً ، ومنها ما حدث في عهدنا ، أما الأولى فمنها المقهى التحتاني ، ويقال له : القهوة التحتانية ، وهي في السوق غربي الجامع الكبير ، بابها مقابل بابه ، ولها باب ثان على الساحة التي تقع في شمالها .

ومنها المقهى المعلق ، ويقال له : القهوة المعلقة ، وهي في منتصف السوق من الشمال الغربي موازية تقريباً لباب السوق الغربي المقابل لمسجد الشيخ عطا الله ، وإنما قيل لها المعلقة أو الفوقانية لأنها مبنية فوق الدكاكين .

ومنها المقهى الكبير ، ويقال له : القهوة الكبيرة ، وهي في المحلة القبلية ، لها باب شمالي إلى السوق ، وباب قبلي إلى الساحة الكبرى التي أمامها .

وقد جعلت طاحونة يطحن فيها الدقيق على البخار ، ويستخرج منها ماء يسيل إلى بعض البيوت بأنابيب .

وأما الثانية فمنها مقهى في جانب سوق النجارين من الجنوب الغربي، وهو واقع في المحلة القبلية ، شرقي حمام الزهور إلى الجنوب .

ومنها مقهى آخر في رأس السوق القبلية ، المتصلة بالجامع من الجهة الغربية ، مقابل سوق النجارين القديمة ، وكان في عهدنا مداراً ، ثم جعل مقهى .

ومنها مقهى آخر ، وهو واقع في الابنية الجديدة التي حدثت بعد الحرب العامة ، جنوبي القناطر إلى جهة الغرب ، وهو غربي الحديقة الفاصلة بين الخان والثُّكْنة .

الأسواق والدكاكين :

وفي المعرة سوق عظيمة ، مبنية في أوقات مختلفة ، على أشكال مختلفة ، وقد كانت لسوق المعرة في القديم سبعة أبواب احدها بحذاء الدكاكين التي كانت ملاصقة لمنارة الجامع ، والثاني غربيه عند ساطورة الحمام التحتانية ، والثالث مقابل مسجد الشيخ عطا ، والرابع بقرب حمام الزهور ، والخامس يخرج منه إلى الساحة الجنوبية ، والسادس يمر من أمام الباب الشمالي للقهوة الكبيرة إلى الشرق ، والسابع قبلي الجامع مقابل

سوق النجارين ، وكانت لها أبواب تقفل بعد المغرب ، وتفتح بعد الفجر ، ولها حراس موظفون ، وحراس في وسط الاسواق ثم بطل ذلك بعد تغير العمران . والظاهر أنها مجموعة أسواق ، ضم بعضها إلى بعض ، وجعلت سوقاً واحدة ، ومنها دكاكين بنيت أمامها أروقة عظيمة ، كالسوق المتصلة بالجامع الكبير من الجهة الغربية .

ومنها أسواق مسقوفة بعقد من الحجر ، كسوق الحذاءين (الاساكفة) ، ويسميه المعريون سوق السكيفاتية ، أو الاسكافية ، وكسوق النجارين وغيرها .

وجميع الاسواق غير المسقوفة ، كان أمامها أروقة مساوية في الارتفاع لسطوحها ، ثم قامت حكومة القضاء ، أو بلديته كشف الله عن بصيرتها ، فهدمت معظم تلك الأروقة ، ثم ندمت على ما هدمت .

وقد حدثت في هذا العهد دكاكين في الجادة المنشأة حديثاً ، من طريق حلب الى مسجد أبي العلاء (شارع أبي العلاء) .

والعادة القديمة في المعرة لا يبنى دكان حتى يهدم عشرة ،

لأن فيها ما يزيد عن الحاجة ، ولذلك يقال : سوق المعرة ألف بياع ، ولا شراء . ويبلغ مجموع الدكاكين التي فيها الآن نحو ٥٠٨ تقريباً هـ ، ويوجد دكاكين في المحلات التي يسكنها الناس وهي قليلة .

الدور والمساكن :

أكثر أبنية المعرة حديث ، لأن الحروب والفتن والغارات والزلازل ، ذهبت بأكثر مبانيها ، من معابد وأسواق ومساكن بين هدم وإحراق ، وأكثر هذه الأماكن الماثلة في هذا العهد مبني بناء واهياً ، يدل على فقر بانيه ، وجهله بصنعة البناء .

وقلما وجد الإنسان بناء قديماً شاهقاً ضخماً ، إلا بعض المساجد والمعابد والخانات ، وقليلاً من الدور والمساكن .

وأعظم دار عرفتها في المعرة ، هي دار السيد يوسف كبير الاسرة التي تنسب إليه ، وهي في المحنة القبلية .

وهي دار فخمة يحيط بها الطريق ، من أطرافها الأربعة فيدخل إليها من باب في جنوبيها ، يتجه إلى الشرق ، وعلى يسار الداخل باب يدخل منه إلى ساحة فسيحة ، كانت تربط فيها الخيل في ليالي الصيف وطرفي النهار .

وفي شمالي الساحة مربط للخيل طويل عريض ، عالي السمك قلما وجد نظيره في مرابط الأمراء والملوك .

وتحته مغارة لها باب من الساحة يتجه إلى القبلة ، وباب آخر من الطريق العام من الجهة الغربية ، رِتاجه[1] حجر واحد أسود عليه كتابة ورسوم ، والناس يبالغون في طول هـــذه المغارة وامتدادها .

وعلى يمين الداخل من باب الدار بعد نحو عشرة أذرع باب يدخل منه إلى ساحة فسيحة تنتهي من جهة الشرق بمصطبة عاليه كبيرة ، وعلى يمين الداخل إلى الساحة غرفة صغيرة ، وعلى يساره غرفتان كبيرتان على قدر الساحة والمصطبة من الشرق إلى الغرب ، بابها إلى القبلة ، وهذا البناء اتخذ في عهدنا (قناقا) أي مثوى للضيوف .

ثم يسير الداخل بعد هذا الباب في دِهْلِيز فيه منعطفات ثلاثة ، ينتهي آخرها بباب قصير ، بابه حجر أسود واحـد ، وعلى يسار الداخل شُبّاك أو باب مرتفع يدخل منه إلى دار

(١) في الصحاح للجوهري ١ : ١٥١ : الرّتج بالتحريك الباب العظيم وكذلك الرتاج ومنه رتاج الكعبة ، ويقال الرتاج الباب المغلق وعليه باب صغير .

فسيحة ، فيها إيوان يتجه إلى الشمال وفيه ثلاث غرف : واحدة في صدره واثنتان في طرفيه ، ولها باب حجر أسود على الطريق الغربي ، على مساواة باب المغارة المذكورة آنفاً وفي شماليها الشرقي درج يصعد منه إلى سطح الدار الكبرى وغيرها .

والباب الذي ينتهي به المنعطف السابق ذكره ، يدخل منه إلى فسحة صغيرة مسقوفة ، في صدرها غرفة كبيرة ، وعلى يسار الداخل باب دار فسيحة ، فيها غرفتان ومطبخ وعلية ، كلها أبوابها إلي الجنوب ، وفي جنوبها الشرقي باب للدرج السابق ذكره ، وفي وسط الدرج غرفة كبيرة واسعة هي سقف لباب هـــذه الدار ، وفي الدار مغارة ينزل إليها بنحو ثلاثين درجة .

وعن يمين الداخل دِهْلِيز ، ينتهي الداخل منه إلى الدار الكبرى ، وفيها ساحة قَوْراء[1] ، في وسطها حديقة كبيرة ، في جنوبيها بئر غزير ، وعن يمين الداخل إيوان عظيم يتجه إلى الشمال ، وفي طرفيه غرفتان متقابلتان باباهما فيه ، وفوق ذلك قصور شاهقة ليس في المعرة ما يقاربها في علوها وسعة اشرافها وفي شرق الساحة وغربها ، غرف فخمة متقابلة ، وفي شمالي

(١) اي واسعه

الدار إلى الغرب باب عن يمين الداخل فيه ، يدخل منه إلى مطبخ عظيم ، يقابل الإيوان والغرفتين المتصلتين به ، وفيه محل للحطب والفحم ، وبيت للمؤنة ، وتحته محمية بعيدة الغور ، يبالغون في اتساعها وامتدادها .

وعن يسار الداخل حمام كبيرة ، متصلة بالحمام الكبرى الآتي ذكرها ، ويسيل إليها الماء منها ، وإلى خزان على بابها يأخذ الساكنون حاجتهم منه ، ويقابل الداخل باب ينتهي إلى دار فيها غرف ثلاث ، تتجه إلى القبلة ، وتتصل بها غرفة أمامها ساحة صغيرة ، في جدارها الغربي باب على الطريق العام الغربي .

وفي الطرف الغربي الشمالي من الدار الكبيرة ، دار صغيرة تشتمل على غرف متعددة ، بابها إلى الطريق العام من الشمال وفي جنوبيها داران خارجية وداخلية ، يصل بينهما باب في الجدار الفاصل بينهما ، الممتد من الشرق إلى الغرب ، في الشمالية منهما غرفتان تتجهان إلى الشرق ، وفي الجنوبية غرفة إلى الشرق ، وغرفتان إلى الشمال وغرفة إلى الجنوب ، وباب الدارين يتجه إلى الشرق على الطريق العام الشرقي .

وفي منتهى الدار الكبيرة من جهة الشرق الجنوبية ، جامع مدفون فيه السيد يوسف صاحب هذه الدار وولده اسماعيل ، وفي غربيه إلى الجنوب دار أخرى تتصل من الغرب بأول غرف مر ذكرها .

وفي الجهة الغربية من الدار الكبرى حمام السيد يوسف السابق ذكرها وفوقها القَمين .

وهذه الدار أعجوبة في ضخامة بنائها ، واتساع رقعتها ، واجتماع المرافق المختلفة فيها ، وقد كانت كلها داراً واحدة ، ولكن ذرية الواقف تقاسموها للسكن ، وتهاونوا في أمرها حتى تداعت القصور للانهدام ، وتهدم بعضها وتحطمت أدراجها ، ودب الوَهن في بنائها من جهات مختلفة ، وأعظم ما منيت به هذه الدار تقسيمها إلى دور مختلفة ، واقامة جدران يفصل بينها ، حتى أصبحت دوراً متعددة بعد أن كانت واحدة ، وتعطل أكثر ما فيها من المرافق كمربط الخيل والحمام وما شاكل ذلك ، وربما لا يجد الباحث داراً تشابهها في عظمتها واتساعها في كثير من المدن العظيمة .

وما عدا هذه الدار فأكثر دور المعرة بين قديم على وشك الانهدام ، وجديد صغير بني على قدر فهم صاحبه ، أو هواه أو طاقته ، وليس في شيء منها ما يتفق مع أمثاله في المدن المتحضرة ، أو يقوم على هندسة صحيحة مقبولة ، الا النزر اليسير من الأبنية التي انشئت بعد فتح شارع أبي العلاء .

دار النعمان :

وفي المحلة الغربية دار قديمة ، يسمونها دار النعمان ، وقد أخذت منها الأيام كل شيء حسن ، وذهبت بما فيها من عظمة ورونق ، ولم يبق الا إصطَبْل عجيب الشكل ، جدرانه من الحجارة الضخمة ، وسقفه من حجارة مبسوطة ، طول الواحدة نحو ثلاثة أمتار ، في عرض متر ونصف ، وكان فوقه بناء عظيم ، ولكنه ذهب ، وأثره يدل على عظمته ، وربما كان أصحابه في القديم كسروا حجارته العظيمة ، ووضعوها في عمائرهم ، كما يفعله أهل المعرة الآن .

وهذه الدار الآن يملكها ورثة رجل يقال له : قَسُّوم الشنديجة ، وأهل المعرة يزعمون أنهم من سلالة أسرة يقال لهم :

بنو التيس ، وكانوا من ذوي اليسار والثروة الكثيرة ، فسمع أبو العلاء المعري ذات يوم رُغاء الإبل وخُوَار البقر وثُغاء الشاة وصَهيل الخيل ونَهيق الحُمُر وشَحيج البغال ، فسأل لمن هذه الأنعام والدواب ؟ فقيل : لبني التيس ، فقال :

رزق التيوس يجيئها بسهولة   وذوو الفصاحة رزقهم مغبون[1]
إن كان حرماني لاجل فصاحتي   فامنن عليَّ من التيوس أكون

وانه سمع بما هم عليه من الغنى والسعة ، فضاق ذرعاً بما هو عليه من الفاقة والضنك فقال :

ياقاسم الرزق قد ضاقت بي القسم   ما أنت متهم قل لي من اتهم
إن اللجين قناطير مقنطرة   عند التيوس ونعلي مالها قدم
أعطيتني حكما لم تعطني وَرِقا   قل لي بلا ورق ما تنفع الحكم

وأن أحد الشعراء الورعين أجاب أبا العلاء بقوله :

لو كنت ذا حكم لم تعترض حكما   ربًّا حكيما له في خلقه حكم[2]

وينسبون لأبي العلاء مَوَاليا قاله في مثل هذا ، وهو

---

(١) ويروى مسجون .

(٢) أصل الرواية واحد مهيمن له في خلقه (ج) .

أهل الفصاحة ترى أيام مثل الحبر والتيس أصبح بدار و مال مثل التبر
إن كان منعي لاجل فهمي وكثر الخبر
هات اعطني مال واجعل طول قرني شبر

وله مواليا آخر على روي العين ، لم أذكر منه الا قوله :

هات اعطني مال واجعل طول قرني باع

وهذه الرواية وان كانت بعيدة الوقوع من أبي العلاء ، فبقدر بُعد هذا الشعر من كلامه ، فان فيها شيئاً من الطرفة ، وهي تدل مع هذا على قدم الحسد في المعرة ، وقدم التنابز بالألقاب المنكرة ، والتاريخ يعيد نفسه كما يقال : فان المال في المعرة في عهدنا ، والذي سمعناه عن العهد الذي قبله ، قلما اجتمع مع علم وفهم ، والفقراء من المعريين ينبزون ذوي اليسار بمثل هذا اللقب ، ولكنه لا يلبث أن يزول ، وأنا أعتقد أن هذه القصة باطلة وضعها حساد بني قَشُّوم ، ليلقبوهم بهذا اللقب حسداً وحقداً ، وكذلك يفعل غيرهم بمن يحسدونه على ما أتاه الله من فضله . وفي بعض الدور جدران ضخمة ، عليها أقواس من حجارة عظيمة ، وفي كثير منها أبواب من

الحجر الأسود ، ونحو ذلك من آثار الأبنية القديمة ، والناس ينسبون كل أثر من بناء ضخم إلى الرومانيين ، كما قلنا .

وكثيراً ما ظهرت تحت الأرض آثار أبنية عظيمة من مساجد ومساكن ، ولكن الناس كانوا يقتلعون حجارتها ويكسرونها ، ويجعلونها في مبانيهم ، ومنهم من كان يردمها ويردها كما كانت .

المعاصر :

في المعرة جملة من معاصر الزيتون والعنب ، وأكثرها قديم ، ومنها ما هو تحت الأرض ، وقد أهمله الناس لقلة الحاجة إليه .

منها : معصرة في جنوبي المدينة ، تقع في الجهة الشرقية الشمالية من زاوية بني الكيّال .

ومنها : معصرة غربي المدينة ، تقع في شرقي مقبرة بني الجندي إلى الجنوب ، وفيها كثير من معاصر العنب المتخذة خارج المدينة في الكروم وغيرها .

وقد قلت رغبة الناس في هذه المعاصر ، بعد اطلاعهم على المعاصر الحديثة ، التي تكون بواسطة آلات حديدية .

المياه التي هي خارج المدينة :

يقسم أهل المعرة مقارّ المياه إلى أقسام ، ويسمون كل قسم باسم يميزه من غيره ، فعندهم الجُب ، وهو البئر الذي يجتمع ماؤه من ماء المطر .

والرَكِيّة ، وهي البئر العميقة ، التي يخرج ماؤها من أرضها ، أو جدرانها ، وقد يسيل إليها شيء من ماء المطر ، وماء هذه الركايا منه ما هو عذب ، ومنه ما هو ملح كما تقدم .

وإذا كانت الركية يخرج ماؤها بدولاب تديره دابة إلى حمام أو مسجد أو غيرهما ، يسمونها ساطورة ، وبعضهم يقول : صاطورة ، كما يسمونها ركية .

فان كان ماء الركية يسيح على وجه الأرض في زمن الربيع يسمونه عيناً .

والعيون كثيرة ، منها : عين قُرَيْع ، وهي في جنوبي المعرة إلى الشرق ، معقودة بحجارة ضخمة ، يظن الناس أنها من بناء الرومان ، وهي على بعد أربعين دقيقة من بناء المعرة ، وماؤها يفيض في زمن الربيع ، فيجري على وجه الأرض إلى

مسافة بعيدة ، وقد جعلت بستاناً في عصرنا الحاضر ، ووضع فوقها دولاب لاخراج الماء والسقي ، وهي لورثة السيد عبدو اليوسفي .

ومنها : عين بَلاَّنَة ، وهي في جنوبي عين قُرَيْع إلى الغرب وهي صغيرة تجري من صخرة صغيرة ، وماؤها قليل لا يتجاوز كثيراً عن منبعها .

ومنها : عين مسَدّة ، وهي في الجنوب الشرقي من المعرة ، على بعد ساعة تقريباً ، وبناؤها واسع ، وماؤها يفيض في زمن الربيع .

ومنها : عين المَرْج ، وهي في جنوبي المعرة أيضاً ، وبناؤها عظيم ، وفمها واسع ، وماؤها يفيض في الربيع ، وقد يمر به ماء عين مسدة ويسيلان معاً .

ومنها : عين مَعْراَثا ، وهم يقولون : معراتا بالتاء المثناة ، وهي في جنوبي عين مسدة ، وبناؤها أضيق من عين المرج ، وأوسع من عين مسدة .

ومنها : عين وادي المحروق ، وهي شمالي عين معراثا إلى

الشرق ، وهذه قد يسيل ماؤها في الربيع إلى عين مسدة ، ويجريان معاً إلى عين المَرْج .

ومنها : عين الدَّير ، وهي في جنوبي المعرة الشرقي ، وبناؤها قديم ، يسيل ماؤها في الربيع للشرق الجنوبي ، حتى يصل إلى دير سمعان ، فيمر بالقرب من مدفن عمر بن عبد العزيز .

ومنها : عين وادي الحكيم ، وهي في جنوبي المعرة الشرقي ، يسيل ماؤها في الربيع ، حتى يجتمع مع ماء عين قُوَيْع في موضع يقال له : صدر الميدان .

ومنها : عين السعنة ، وهي في جنوبي المعرة .

ومنها : عين السوداء ، وهي جنوبي المعرة .

ومنها : عين الحوَّارَى ، وهي في الجنوب أيضاً .

ومنها : عين جربا ، وهي في الجنوب أيضاً .

ومنها : عين كَرِيشَان ، وهي في الجهة الشرقية من المعرة ، قريبة من وادي الضيف .

ومنها : عين التِينة ، وهي شرقي المعرة ، وقد جعل حولها بستان ، يسقى زرعه وشجره منها .

وفي زمن الربيع يجري ماء عين وادي الحكيم ، فيجتمع بماء عين قُرَيْع في صدر الميدان ، ويخالطان ماء عين المَرْج ، وما يسيل إليه من ماء العيون ، ويجتمع ذلك كله في موضع يقال له : عاقول الميدان ، ثم ينضم إليه ماء عين السعنة الذي يمر من الشرق الشمالي بعين السوداء ، ويسيل الجميع إلى العاقول ، ثم يجري هذا المجموع إلى الشمال ، فيمر بشرقي المعرة ، وإذا سال ذلك يسمونه ساقية الوَخم .

وقد تمر بالحَوّارِي القِبلية ، فينضم إليها ماؤها مع ماء غيرها ، ويأتيها من الشرق ماء عين كَرِيشان ، ثم يسيل الجميع شمالا حتى يصب في الهِرْماس بالقرب من خراب باب إيلا .

وهذه العيون ، منها ما يبلغ ارتفاع مائها السائل قدر أربع أصابع وأكثر ، وانبساطه يختلف بحسب المجرى والكثرة ، ومنه ما يبلغ نصف متر وأكثر .

ومن الناس من يزعم أن ماء عين مَسدّة ، وعين المَرْج ، من عين مَعْراثا ، وماء عين بَلاّنة من عين الدَيْر ، وماء العاقول ، ووادي الحكيم ، والحَوّاري من عين قُرَيْع .

وأهل المعرة يتشاءمون من جريان ساقية الوَخم ، ويعدونها نذير بلاء ، ومؤذن غلاء ، ويزعمون أن العام الذي تسيل فيه تكثر فيه الأمراض والعلل ، وربما كان لهذا الزعم نصيب من الصحة ، لأن ساقية الوخم تجمع الأوخام التي في طريقها ، وتنقلها إلى العيون التي تمر بها ، وتبقي قسماً كبيراً منها في مجراها وفي أطرافه ، وليس هناك حكومة تعنى بمثل هذا ، فاذا جاء الصيف انتشرت الجراثيم الفتاكة من تلك الأقذار والأوخام .

ومنها : عين الُهوتَة ، وهي في وادي الخطيب على طرف الِهرْماس من الشّمال .

ومنها : عين الزُرَيْنِيق ، وهي في الضفة الجنوبية للهرماس غربي الهوتة إلى الجنوب .

ومنها : عين العمياء ، وهي في وادي الخطيب .

ومنها : عين السلاقية ، أو السلاقيات ، وهي غربي المدينة في وادي الخطيب ، وغربي تل منصور باشا ، وقد يفيض ماؤها ، فيصب في الهرماس .

ومنها : عين المغيبين ، وقد رأيت في بعض الحجج في وقف الناصر ابن محمد المعروف بابن ست العيش ، انه وقف الركية التي ببستان الجوزة ، والركية التي ببستان المغيبين سنة ٩٥١ ه.

ومنها : عين الحمراء ، وهي في أول وادي الخطيب من الشرق ، واقعة في الجنوب الغربي من القلعة .

ومنها : عين النجار ، وهي في طرف الهِرْماس من جنوبي القلعة إلى الغرب ، وهي شمالي الحمراء .

وقد ذكر النُّوَيْري في نهاية الأرب أن الشيخ سراج الدين عمر بن مسعود المعروف بالَمحّار توفي في سنة ٧١١ ه ، وكان شاعراً ، وهو صاحب الموشحات المشهورة ، وذكر شيئاً من شعره ، منه قوله في مليح نجار :

قالوا المعرة قد غدت من فضلها   يسعى إلى أبوابها ويزار
وجبت زيارتها علينا عندما   شغف القلوب بحبها النجار

وأنا لا أستبعد أن يكون هذا الشاعر ، أراد بالنجار عين النجار التي ذكرناها ، لأن العين المذكورة يحيط بها بستان ،

يتصل ببساتين ، كأنها قطعة من الجنة ، والناس يخرجون إلى عين النجار ، للتنزه والتمتع بمناظرها الرائعة ، وربما قالوا : بستان النجار بدلاً من عين النجار .

ومنها : عين زُرَيْق ، وهي غربي المعرة ، في حافة مجرى الهِرْماس ، يفيض ماؤها مع الهرماس ، فيجريان معاً في الربيع وهي في منخفض جنوبي القلعة إلى الغرب ، وأظن أنها منسوبة إلى زريق ، وهم أسرة عريقة في العلم والفضل وستأتي ترجمة جماعة منهم .

ومنها : عين آسية ، والعامة تسميها عين الآسي ، وهي في الشمال الغربي من المعرة ، والقلعة مقابل المكان المسمى بالمَحْيَا يفصل بينهما مجرى الهرماس ، وفي شماليها الجبل ، وهي تحت الأرض ينزل إليها ببضع عشرة درجة ، وقد يفيض ماؤها في الربيع ، وفوقها بناء يصلى على ظهره ، وأظن أن ماءها يتحلب من مجرى الهرماس ، ومستنقعات الماء حوله ، لأنه يقل حين يقل الهرماس ويكثر حين يكثر .

ومنها : عين سَلْمُون ، وهي شمالي المعرة على بعد ربع ساعة .

ومنها : عين الواكفة ، وهي شمالي عين سلمون على بعد نصف ساعة .

ومنها : عين عبد الحافظ ، وهي شمالي المعرة على بعد ساعة تقريباً .

ومجموع هذه العيون الثلاث ، يقال له : وادي العين ، يفيض ماؤها في الربيع ، ويجري إلى الشرق حتى يختلط بالهرماس قرب باب إيلا .

وماء هذه العيون يدوم إلى شهرين تقريباً ، ثم يأخذ في القلة والنضوب ، وربما جف بعضها في السنوات التي يقل فيها المطر .

وقد أقيمت حولها بساتين تسقى منها ، وفيها أشجار كثيرة من المشمش والتفاح والخوخ والتين والجوز واللوز وغيره .

وأهل المعرة يخرجون إليها للتنزه في الربيع والصيف والخريف .

الهرماس :

هو سيل يجتمع من المطر الذي يصب فوق الجبال والهضاب ، ثم ينحدر إلى أودية يضاف بعضها إلى بعض .

وأول ما يجتمع فيه الهِرْمَاس واد يقال له : وادي أيوب ، بالقرب من قرية يقال لها : بسامس ، وأخرى يقال لها جوزف ، ثم يسيل إلى الوادي الكبير المعروف بوادي المغار ، بالقرب من قرية كَفْرَنبْل ، ثم يمر بالقرب من قرية حاس ، ثم يصب في رام ، قرية كفر روما ، ثم يتتبع الأودية والمنخفضات ، حتى يصل إلى غربي المعرة ، فيصب في وادي الجنان ، وهو المعروف الآن بوادي الخطيب ، وهو غربي المعرة ، فيملأ ما في جانبي مجراه من الركايا والعيون ، ويسير إلى جهة الشرق ثم يعطف إلى الشمال ، فيمر من جنوبي القلعة إلى غربيها ، ثم ينعطف حتى يجتمع بمياه وادي المحَيا ، عند عين آسية ، ويسمى هناك هرماس أبي قشة ، أو هرماس وادي بني عُلَيْم ، ثم يسيل الجميع إلى وادي العين ، ثم يخرج من هناك إلى جهة يزعم الناس أنه يسيل إلى جهة المطخ .

وقد يكون هذا السيل شديداً ، فيأخذ ما يمر به من انسان وحيوان ، وقد أخذ رفيقاً لي كان ركب فرسه ، وأراد اجتيازه عند عين الواكفة ، فغرق هو والفرس ، وتحطما من مصادمة الصخور في طريقه ، وذلك نحو سنة ١٣١٧ هـ .

وأهل المعرة يبتهجون لمقدمه ، ويبشر بعضهم بعضاً به ، لأنهم لا يرون ماءاً كثيراً جارياً على وجه الأرض غيره ، فيخرجون للتنزه والاسترواح على ضفافه ، في وادي الخطيب ، ويخرج بعض النساء فيغسلن فيه الثياب والأمتعة .

وهو لا يجري إلا في السنة التي يكثر فيها المطر ، فيملأ الرّكايا والعيون القريبة منه ، وتبقى أثارة منه إلى أخريات الربيع ، فيمرع مجراه وحافاته ، فيبتهج الناس بذلك الخِصْب ، ويبتهج الحيوان بالمرعى الممرع ، وترى الناس تخرج إليه أصيل كل يوم زرافات للتنزه ، ومنهم من يقضي سحابة نهاره ، فيطبخون ويأكلون ويلعبون ، فالهرماس موسم ابتهاج وفرح ومرح لأهل المعرة ، وقسم كبير من ضاحيتها .

وأهل المعرة يتيمنون بمقدمه ، ويعدونه بشير خِصْب ورخاء وذلك صحيح ، لأن مياه العيون والرّكايا تكثر ، فيكثر الخصب في البساتين وغيرها .

وهو سيء الأثر في الصحة العامة كساقية الوَخم ، لأنه يحمل ما في طريقه من أوساخ وأقذار وجِيَف وغيرها ، وقد

يبقى بعضها في مجراه ، وفي أطرافه ، فاذا نضب الماء عنه انتشرت الروائح الكريهة والجراثيم الضارة ، وقد يشاهد في كثير من المواطن التي يستنقع فيه الماء ، ضروب مختلفة من الدّعاميص[1] والديدان الصغيرة والكبيرة ، والناس يتسامحون في شرب الماء من تلك المستنقعات ، ويغسلون أيديهم وثيابهم منها ، حتى بعد انقطاع جريه . وقد ذكره الأمير أبو الفتح بن أبي حَصينة المعري[2] في شعره ، فقال من قصيدة :

وزمان لهو بالمعرة مونق ... بسيائها وبجانبي هِرْماسها

أيام قلت لذي المودة اسقني ... من خَندريس حُناكها وحاسِها

وقد كان بعض شعراء حلب في المعرة ، فجاء الهرماس ، فرأى ابتهاج الناس بمجيئه وخروجهم إلى مشاهدته في أول يوم من مجيئه ، وفي اليوم الثاني قل ماؤه ، ففترت أحاديث الناس عنه ، وقل خروجه إليهم ، وفي اليوم الثالث انقطع جريانه وأسف الناس لذلك ، فقال هذا الشاعر وقد انسيت اسمه .

---

(١) في الصحاح للجوهري ١ : ٥٠٦ : الدعموص دويبة تغوص في الماء والجمع الدعاميص .

(٢) ابن أبي حصينة : الديوان ١ : ٣٥٥ ، ٣٥٦ .

أصبحت أهل المعرة في ضجيج ثم نفرة
قلت ما هذا فقالوا قد أتى الهرماس مرة
ثاني الأيام أضحوا بوجوه مكفهره
ثالث الأيام أمسوا كل من يفرك أيره

الأودية :

في المعرة أودية كثيرة ، مسمى كل منها باسم مختص به .

منها : وادي العين ، وقد تقدم ذكره ، وكذلك وادي المحروق ، ووادي الحكيم .

وادي نبا .

وادي الخنازير .

ومنها : وادي الجنان ، وهو أكثرها شهرة ، وأوفرها خِصْباً وماء ، وهو واقع في الجهة الغربية ، متصل بجبل عَطّال من الشمال والغرب ، وفيه يسيل الهِرْماس ، كما ذكرنا ، وفيه بساتين كثيرة ، فيها ضروب من الشجر ، كالتفاح والخوخ والجوز والكمثرى واللوز والمشمش ، وفي طرفه الشرقي من الشمال بستان لابن عمي السيد عبد الرحمن الجندي ، فيه أربع

شجرات من الفستق ، ولا أعلم في المعرة من هـــذا الشجر غيرها ، وغير التي في دارنا إلى نهاية سنة ١٣١٩ هـ ، ثم كثر غرسه بعد ذلك .

وهذا الوادي أعظم متنزه خِصْب للناس في عصرنا ، وماء ركاياه عذب ، وهواؤه طلق ، وأهل المعرة ولا سيما المتقدمين منهم كثيرو التغني بهذا الوادي والحنين إليه ، وكان يقال له : وادي الِجنان ، ثم اشتهر بوادي الخطيب ، والخطيب هذا هو السيد محمد الجندي ، لقب بالخطيب لأنه كان خطيباً بجامع المعرة الكبير ، كان له ولدان : إسماعيـــل ، ويحيى ، فاشترى يحيى بستانا في هذا الوادي يقال له : بستان الجنان ، وهو أعظم بستان في هذا الوادي ، ثم وقف منه ستة عشر قيراطاً على نفسه ، ومن سيولد له ، ثم على زوجته أسماء بنت قريبة السيد محمد الجندي ايضا ، ثم من بعدها على أخته عائشة وبنتها سلم خان ، وعلى بنتي أخيه اسماعيل فاطمة وخديجة ، وعلى ذريتها طبقة بعد طبقة ، للذكر مثل حظ الانثيين ، ومات ، ولم يعقب ولداً ، وهذا بموجب حجة وقف صادرة من محكمة

حمص بتاريخ محرم سنة ١٢٠٦ ﻫ ، موقعة من النائب عبد الرحيم والصورة بتوقيع عبد المجيد الرفاعي ، وفاطمة بنت اسماعيل أم الشيخ أمين الجندي الحمصي الشاعر المشهور ، فتوارث الأعقاب ذلك إلى يومنا هذا ، وأنا وأخوتي منهم .

واشتهر البسُتان منذ ذلك الحين ببستان الخطيب ، ثم توسع الناس فقالوا : للوادي كله وادي الخطيب .

ومن العجيب أني رأيت حجة شرعية من محكمة المعرة في المحرم سنة ٩٥١ ﻫ ، فيها أن الشريف المدعو الناصري ابن الحاج محمد المعروف بابن ست العيش المعري ، وقف ثلاثة أرباع البستان الخراب ، المعروف ببستان الجنان ، والأرض المعروفة بأرض المجاهدية ، والركايا التي فيها ، ويحد البستان قبلة الهرْماس وشرقاً بيد أولاد الزعكل ، وشمالاً بيد ورثة المعلّم فرج ، وتمامه الجبل ، وغرباً أرض مزرعة يحيى ، وأرض المجاهدية يحدها قبلة طريق سالك ، وشرقاً بستان الزعكل ، وشمالاً الهرماس ، وغرباً بيد ورثة محمد البرجي ، على تربة الشيخ فارس ، وعلى نبي الله شيث الكائن ذلك بظاهر المعرة جهة

الغرب ، وما تحتاج إليه من فرش وتنوير وعمال ، وكذلك وقف البركة التي في بستان الجوزة ، والبركة التي في بستان المغيبين ، وبذلك تم الوقف بموجب حجة من قاضي المعرة خليل بن عبد الله .

ورأيت حجة أخرى صادرة من قاضي المعرة عبد الرحمن ابن أبي الجود سنة ١٠٢٣ ﻫ ، خلاصتها : أن السيد احمد ابن جلال الدين المعري ادعى على درويش جلبي بن نجم الدين بك المعري أن نصف الأرض المعروفة ببستان الجنان ، المحدودة قبلة الهرماس ، وشرقاً وغرباً وشمالاً ، كما تقدم الخ ... هي من وقف جده نجم الدين العجبل ، وشهد عبد اللطيف بن عبد المنعم وابراهيم بن عبيد ، أنها كلها ملك نجم الدين بك ، فحكم بذلك القاضي المذكور ، والمتداعيان والشاهدان من أهل المعرة .

ورأيت حجة أخرى خلاصتها أن أمين بن خالد الجندي باع بالوكالة عن أمه فاطمة بنت اسماعيل الخطيب ، حصصاً من بستان الجنان ، إلى فاطمة بنت عبد الرزاق الجندي ، وهي

بنت خديجة بنت اسماعيل الخطيب ، والحجة من محكمة حماة في ١٥ رجب سنة ١٢١٩ هـ ، والقاضي عبد الوهاب الكيلاني أما البستانُ المذكور في عهدنا هذا ، فمنه ثمانية قراريط لبني العظم ، والباقي ثلثاه لاعقاب الشيخ أمين بن خالد الجندي الحمصي ، والثلث الآخر لاعقاب عبد الوهاب الجندي في المعرة ، وأنا واخوتي منهم كما تقدم .

وادي المحيا :

هو في شمالي المعرة ، والقلعة إلى الغرب ، يسيل فيه ماء الهرْماس كما ذكرنا ، وامام المَحيَا عين آسية ، وهناك رَكايا اتّخذها الناس لسقي البساتين الكثيرة فيه .

والمحيا عبارة عن ساحة فسيحة جداً ، لها باب من الشّمال ، يقابل عين آسية ، وباب صغير يقابله من الجنوب ، وهذه الساحة منحدرة من الجنوب إلى الشمال انحداراً كبيراً ، وعلى يمين الداخل من الباب الشمالي باب صغير ، في داخله شبه قبر مستطيل ، يزعمون أنه قبر شيث عليه السلام ، وفي قبليه إيوان في صدره باب صغير ، يخرج منه إلى الساحة الكبرى ،

وأمام الإيوان رَكِيتان ، يزعم الناس أن شيئاً كان حائكا ، وكان وقت الحياكة يضع رجليه في هاتين الركيتين ، وقد يفيض ماؤهما في زمن الربيع فيجري على وجه الأرض . وفي جنوبي الايوان الغربي ركية في جدار الساحة الغربي ، فوقها حجارة ضخمة ، وأمام الركية غرفة فيها ثلاثة قبور ، فوقها توابيت من خشب ، وبابها يتجه إلى الشرق ، وأمام هذه الغرفة غرفة فيها قبر الشيخ فارس ، وقد اكتشفت في عهدنا ، وقبل ذلك كان الناس يظنون أنها خالية ، وهذه الغرفة والتي قبلها في آخر الساحة من الجهة الغربية إلى الجنوب ، وعلى يمين الداخل من الباب الجنوبي إيوان يتجه للشمال ، وفي شرقيه غرفة متصلة به وفي شرقيها ساحة قبور مندرسة ، ودرج يصعد منه إلى سطح الغرفة والايوان ، ثم يلي المقبرة من الشمال الشرقي غرفة بابها حجر واحد ، أسود قصير ، يتجه للغرب ، وفي داخلها أربعة قبور ، وبعضها له تابوت من خشب كالتي في الجهة الغربية ، والناس يزعمون أن هذه القبور السبعة أولاد يعقوب عليه السلام وفي وسط الساحة الكبرى ركية مسدودة بحجارة عظيمة ، ويحيط

بالمحيا من الشرق والغرب بساتين ، ومن الشمال مجرى الهِرْماس وعين آسية ، ومن الجنوب صخيرات تحيط بها بساتين أيضاً .

والمَحْيَا أحد منتزهات المعرة المشهورة ، يؤمه الناس زرافات يقضون فيه سحابة يومهم في الأكل والشرب والمرح واللعب ، ومنهم من يبيت فيه .

والرجال يعملون فيه (السيبَانة) ، وهي في عرفهم عبارة عن خروج إلى التنزه في مكان ، يقضون فيه يوماً كاملاً ، فيأكلون ويشربون ويلعبون كما ذكرنا .

وقد تخرج إليه النساء فيعملن فيه (الحِنَّاء) ، وهو في عرفهم عبارة عن خروج جماعة من النساء إلى متنزه ، يقضين فيه يومهن بين طعام وشراب وقصف ولهو وغناء وما شاكل ذلك .

وقد يكون ذلك ندرا من الرجال والنساء ، وأكثر ما يكون الحناء في المحيا ، وفي الشيخ حَمْدان ومقام أُوَيْس .

وسيأتي أن الرجال تخرج في ليلة نصف شعبان إلى المحيا ، وهم يجهرون بالتوحيد ، حتى يصلوا إليه ، ويزوروا من فيه ممن ذكرنا ، ثم يعودون كما أتوا بالتهليل والتوحيد .

فالمحيا مجمع للابتهاج والسرور ، والمرح واللهو ، والعبادة والنسك ، من الرجال والنساء ، ولا يبعد أن يكون سمي بالمحيا ، لأن الناس كانوا يجتمعون فيه ليلة النصف من شعبان ، فيحيونها فيه بالعبادة والذكر والتلاوة .

وباب شِيث أحد أبواب المعرة السبعة ، ولم أجد ما يدل على أن باب المعرة المنسوب إلى شيث في هذا المكان ، ولا استبعد أن يكون شيث محرفا عن سِياث المتقدم ذكرها .

ومنها : وادي الرماحية .

ومنها : وادي النسيم ، وهو في الجهة الشرقية من المعرة ، ويمتد من شمالي المعرة الشرقي إلى جنوبيها الشرقي .

ومنها : وادي الضيف .

الرَّام :

قدمنا ما هو المراد بالرام في عرف المعرة ، وأن فيها الرام الكبير والصغير في جنوبها ، وان الحكومة ردمتها .

رام الزيت :

وفي غربي المعرة على بعد ثلثي ساعة تقريباً مستنقع كبير ،

يقال له : رام الزيت ، يجتمع فيه ماء المطر ، وبالقرب منه موضع يقال له : حوّارَى الزيت ، وحولها ينابيع كثيرة ، وقد يفيض هذا الرّام ، حتى يتصل بماء حوارى الزيت ، وربما سالا فاجتمعا بالهِرْماس ، عند تل منصور باشـــا ، جنوبي بستان الخطيب .

التلال التي في المعرة :

منها : تل منصور باشا ، وهو غربي المدينة في أخريات وادي الخطيب من الجنوب ويحيط به الهِرْماس من الغرب والشمال ، وبساتين الهرماس التي في الضفة القبلية ، وهو عالٍ ، واسع الأرجاء ، مغمور أكثره بأشجار العنب والتين والزيتون وغيرها ، والناس يزعمون أنه كان حِصنا .

ومنها : تل الفُجْل ، والناس يكسرون الفاء ، وهو شمالي المعرة على بعد ثلثي ساعة تقريباً ، ويزعم بعض الناس أنه كان معقلاً صغيراً .

تل البِلْس ، هكذا يلفظه الناس ، وهو شمالي المعرة إلى الغرب قليلاً ، وفي شرقي القلعة من الجنوب ، وهو أصغر من

تل الفَجْل . وفي شرقيه مقبرة ، وفي شماليه إلى الشرق مقبرة يقال لها مقبرة الساطعية ، يزعم الناس أن فيها قبر سليمان الجاموس باني قلعة المعرة ، وقد قدمنا أن الساطع هو النعمان أحد أجداد تَنُوخ ، الذي زعم ياقوت أن المعرة نسبت إليه ، وان الساطع أيضاً ابن عبد الباقي بن المحسن ، من بني أبي حصين التنوخي المعري ، وقد كان من شعراء المعرة وأعيانها ، وقد مدح الملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب سنة ٦١٢ هـ ، وكانت له عنده حظوة ، فلعل هذه المقبرة منسوبة إليه ، وكذلك الأرض التي يقال لها : الساطعية ، وقد ترجمه ابن العديم في بغية الطلب وستأتي ترجمته ، والأرض المذكورة هي اليوم ملك لابن شقيقتي فضل الله بن عبد الرحمن الجندي .

ومنها : تل بَنَصْرَة ، وهو في جنوبي المعرة على بعد ساعة منها ، قريب من المكان المسمى بجدار الخضر ، وينحرف عنه قليلاً إلى الشرق .

وفي أسفله الغربي رَكية ماء يقال لها : عين السوداء ، وماؤها غير مستعذب ، وفي أسفله من الغرب أيضاً مغاور في الصخر وشكله بيضوي ، وامتداده من الغرب إلى الشرق .

وبعض الناس يزعم أنه كان قلعة أو حِصنا للمعرة ، وآخر يزعم أنه كان باباً من أبواب المعرة السبعة ، يقال له : باب النصر ، وفريق يزعم أن فيه كنزاً ، وحقيقته لا تزال سراً غامضاً لم تكشفه الأيام ، وما ذكر كله مزاعم قائمة على الظن ، وأقرب شيء منها إلى الصواب أن يكون حصناً أو معقلاً صغيراً ، ولكن ليس في آثاره الظاهرة ما يؤيد شيئاً مما ذكر .

وهو الآن مكتظ بشجر التين والعنب ، المتصل بالمعرة من الجنوب والشرق .

ومنها : تل الزعتر .

ومنها : تل الزيتون .

الجبال :

لا يحيط بالمعرة جبال شاهقة ، وانما يتصل بها من الغرب جبل يقال له : جبل عطّال ، وهو في شمالي وادي الخطيب إلى الغرب ، ومعنى عطّال في عرفهم أنه خال من الغرس والزرع ، ويتصل به من الشمال الغربي ، شمالي اَلحَيَا ، وعين آسية ، الجبل المتصل بجبل بني عُلَيْم .

القباب :

اشتهر في المعرة بعض الأماكن بقبة كذا ، والظاهر أن تلك المواضع كانت فيها قباب ، ثم قوضتها الأيام ، ولم تبق الا أسماءها :

منها قبّة الحجّي ، وهي الآن تل صغير في جنوبي المعرة إلى الغرب على بعد كيلومتر تقريباً ، والناس يزعمون أن هذا التل كان فوقه قبة يجلس الناس فيها ، لتوديع الحجاج واستقبالهم ، وبعد خراب القبة ظل الناس يجلسون فوق التل وحوله لاستقبال الحجاج إلى عهدنا هذا أي سنة ١٣١٩ ﻫ ، وآثارها الضئيلة القليلة المبعثرة ، تدل على أنهـــا كانت معقودة بالقِرْميد .

وهي الآن مغروسة بشجر التين ، وموقعها جيد ، مشرف على سهول فسيحة ، فيها كثير من الكروم والبساتين ، وعلى أكثر المعرة .

وقد كان الطريق الممتد بين حماة والمعرة يمر من شرقيها ، ثم افتتحت الحكومة طريقاً آخر شرقي هذا ، يمر بشرقي المعرة ، كما قدمنا ذلك .

وسيأتي في ترجمة أبي المجد محمد أخى أبي العلاء ، أنه لما عاد إلى المعرة بعد أن فتكت الفرنجة بأهلها ، دخل إلى داره بباب حُنَاك ، وتعرف بدار القُبّة ، وهذا الموقع يشبه أن يكون قبة الحجي ، وعلى مقربة منها .

وكان في جنوبي المعرة على بعد خمس دقائق تقريباً قبة يقال لها : قبة الشقراء ، وهي شرقي قبة الحَجّي على مسافة ثلاثمائة متر تقريباً ، ويزعم الناس أنها كانت بالقرب من مطبخ لبني العجمي ، ولكن الآن ليس هناك أثر للقبة ولا للمطبخ ، وفي محلهما الآن شجرتان ، وقد غرس فيه من عهد قريب شجر فستق وغيره .

ومنها : قبة السيد الوردي ، والناس يقولون : قبة السلاوردي وهي مدرسة ابن الوردي ، وقد سبق ذكرها .

ومنها : قبة موسى بك ، وهي قبة كان بناها موسى بك العظم في مقبرة بني العظم ، غربي المدينة ، بالقرب من مقبرة بني الجندي ، وقد تهدمت ، وباع أنقاضها رجل من بني العظم .

أسماء المحلات في المعرة :

تقسم المعرة إلى محلات ، ويقال لها : حارات ، وقد ألفوا تقسيمها إلى قسمين كبيرين : الأول المحلة الشمالية ، والثاني المحلة القِبْلية ، وتقسم إلى أربع محلات : الشمالية ، والقبلية ، والشرقية، والغربية ، وقد تلحق الشرقية بالشمالية، والغربية بالقبلية ، وهناك في محلة حارات صغيرة، والصريق الحديث الذي سمي شارع أبي العلاء ، يقسم المدينة إلى قسم شمالي ، وقسم جنوبي ، والمشهور من المحلات الآن في المحلة الشمالية .

المشهور من المحلات في الحارة القبلية :

حارة الكنيسة في المحلة القبلية الغربية ، وفيها جدار ضخم ماثل إلى الآن ، من بناء الرومانيين ، يشبه جدران الكنائس في ذلك العهد .

وقد ذكرها أبو العلاء في رسالة الغفران [١] ، حيث قال : وحدثت أن أبا الطيب أيام كان اقطاعه بصَف [٢] ، رؤي يصلي بموضع بمعرة النعمان ، يقال له : كنيسة الاعراب ، وانه

(١) أبو العلاء : رسالة الغفران ١٣٥ (ج) .

(٢) في معجم البلدان لياقوت ٣ : ٤٠١ : صف ضيعة بالمعرة كانت اقطاعاً للمتنبي من سيف الدولة ، ومنها هرب إلى دمشق ، ومنها إلى مصر .

صلى ركعتين ، وذلك في وقت العصر ، فيجوز أن يكون رأى أنه على سفر ، وان القصر له جائز .

والذي أعتقده أنه كانت في هذه الحارة كنيسة عظيمة ، ثم خربت بسبب الزلازل أو غيرها ، فأخذ الناس حجارتها ، وجعلوها في دورهم وعماراتهم ، كما فعلوا في غيرها ، ولم يبق إلا بعض الجدار المذكور .

الأماكن المشهورة في المعرة :

بحا

التنورة

الحمامات

عش الشوحا

السبع قلود : هكذا يلفظها الناس بالدال ، ولعل الصواب بالتاء جمع قَلْت ، وهو نقرة في الجبل ، يستنقع فيها الماء فيكون صافياً ، وهي تقع في غربي المعرة من الشمال في جبل ، حولها دائرة من الصخر ، وفي شمالها الغربي النواويس ، وتبعد عن المعرة نحو ثلاثة أرباع الساعة .

النواويس : والعامة تقول : النواغيص جمع ناووس ، وهو شبه غرفة ، فيها قبر قديم أو أكثر ، وهي في جنوبي المَحْيَا ، أي غربي المعرة من الشمال ، وتبعد عنها أقل من نصف ساعة ، وقد وجد منها في شرقي المعرة أيضاً .

والناس مولعون بالبحث عن النواويس ، لأنهم يجدون في بعضها أنواعاً من الحلي الذهبي ، أو الفضي ، ويجدون رسوماً وتماثيل من حجارة أو فخـــار ، ونحو ذلك من العاديات ، ولكنهم لا يعلمون تاريخ شيء منها ، ولا يستطيعون قراءة شيء مما هو مكتوب عليها ، أو في المكان التي وجدت فيه ، ولذلك يبيعونها بثمن بخس ، فيشتريها علماء الآثار وتجارها في الدول الراقية بثمن بخس .

البروج التي كانت في المعرة :

برج بني الحجال : تقدم ذكره في حوادث سنة ٤٤٠ هـ .

برج وحيدة : ذكر في حوادث سنة ٤٤٠ هـ .

الحصون التي كانت في المعرة وضواحيها :

حصن الكفير ، وهو في الجهة الشمالية من المعرة ، على بعد

ساعة تقريباً منها ، فيه أشجار كثيرة من الزيتون والتين والكرم وغيرها ، وفيه آثار أبنية عظيمة ، وقد أخبرني رجل من أهل المعرة أنه رأى الحجارين يكسرون من حجارة تلك الأبنية ، وينقلونها إلى المعرة ليبنوا بها .

وقد ذكره في شعره أبو اليسر شاكر بن عبد الله في قصيدة مذكورة في ترجمته ، منها قوله :

واذا الكفير رقيته   اجزاك عن ظهر البراق

والأبيات تدل على أنه مكان كثير الظل والشجر والثمر ، عذب الماء ، طيب الهواء ، وقد ذكر ابن الوردي في حوادث سنة ٢٠٨ ﻫ أن عبد الله بن طاهر وزير المأمون خرب حصن الكفر ، في جملة ما خربه من حصون المعرة ، كما تقدم .

حصن أرْوَنح : خربه لُؤلُؤ السيفي المتغلب على حلب ، بعد أبي الفضائل سعد الدولة بن سيف الدولة سنة ٣٩٣ ﻫ .

حصن أسْفُونا : مذكور في حوادث سنة ٤٦١ و سنة ٤٩٥ ﻫ

حصن حُنَاك : خربه عبد الله بن طاهر سنة ٢٠٩ ﻫ كما سيأتي .

حصن البَارَة مذكور في حوادث سنة ٤٩١ و سنة ٤٩٦ و سنة ٥١٣ و سنة ٥١٤ هـ.

حصن كَفَرْ رُوما : خربه لُؤلُؤ سنة ٣٩٣ هـ كما سيأتي .

حصن عار خربه لؤلؤ السيفي مع حصن اروح وكفر روما سنة ٣٩٣ هـ .

وفي سنة ٦٥٨ هـ قدم التتر على المعرة ، وخربوا قلعتها وأسوارها ، قال ابن الوَرْدي [1] : أخبرني والدي أنه رأى شِحْنة التّتَر على قلعة المعرة ، وقد سخر العوام في تخريب سورها .

وقد ذكرنا أبياتاً لبعض المعريين ، يصرح فيها بهذه الحادثة حيث يقول :

وفقا عليها قلعة منيعة ... يهدمها من هو من خربها
فغاية المفرط في سلمها ... كغاية المفرط في حربها
تحثنا في هدمها أعجم ... ونحن مكروبون من كربها
تبخل أيدينا بأرواحنا ... وتشتكي منا إلى ربها
فهذه الأرواح من جوّها ... وهذه الأجسام من تربها

(١) ابن الوردي : التاريخ ٢ : ٢٠٥ .

لما رأوها أسرفت في العلى كان علاها منتهى ذنبها[١]

وأشرنا إلى أن ما زعمه بعض المتأخرين ، من أن القلعة كانت قبل الاسلام ، أو هي من بناء الصليبيين ، أو أنها من بناء الملك الظاهر ، ونحو ذلك من المزاعم ، كله قائم على الوهم والباطل .

والذي يفهم من كلام ابن الوردي [٢] وغيره ، أن بناءها قد تم سنة ٦٣١ هـ ، وأنها هدمت سنة ٦٥٨ هـ ، فتكون مدة بقائها عامرة نحو سبع وعشرين سنة .

وسمعت من كثير من شيوخ المعرة أن حجارة القلعة اخذت منها ، وعمر بها خان أسعد باشا المقابل لخان مراد جلبي في مدخل المعرة من الشرق ، وقد كان بناء هذا الخان سنة ١١٦٦ هـ .

قلعة المعرة :

رأيت بعض المؤرخين والأدباء والعلماء في هذا العصر والذي قبله ، كتبوا في قلعة المعرة شيئاً كثيراً ، وأكثرهم لم يسلم من الخطأ فيما كتب ، فأحببت أن ألخص ما عرفته من أخبار هذه

(١) ابن الوردي : التاريخ ٢ : ٢٠٥ .
(٢) ابن الوردي : التاريخ ٢ : ٢٠٥ ، ١٦٠ .

القلعة ، وما نقلته عن الثقات والمحققين ليتبين الخطأ والصواب مما كتب فيها .

في سنة ٦٢٦ ﻫ صارت المعرة للملك المظفر محمود بن المنصور صاحب حماة . وقد استلم أمور حماة وتدبير شؤونها من قبله سيف الدين علي بن أبي علي الهذباني ، فأشار عليه ببناء قلعة المعرة ، فشرع في بنائها ، وقد تم بناؤها سنة ٦٣١ ﻫ وشحنها بالسلاح والرجال ، ونزلها في هذه السنة ، وكان بناؤها سبباً لخراب المعرة وخرابهـا معها ، لأن الحلبيين حاصروا القلعة المذكورة سنة ٦٣٥ ﻫ بعد وفاة الملك الكامل صاحب دمشق ، وكان مقدمهم المعظم توران شاه بن صلاح الدين ، ثم أخذوها ، وخربت المعرة بسببها ، وملكوها أيضاً .

وذكر المَقْريزي [١] في كتاب السلوك أن أهل حلب استنجدوا عسكراً من الخُوَارِزْمية ، واستنجدوا كيخسرو بن كيقباذ ملك الروم ، فأمدهم بخيار عسكره ، فملكوا المعرة في السنة

(١) المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك الجزء الأول القسم الثاني ص ٢٦٩ .

المذكورة أي سنة ٦٣٥ هـ، وفي سنة ٦٣٨ هـ نهبتها الخُوَارِزْمية بعد ما خربوا حلب .

وتقع قلعة المعرة في شمالي المعرة في الشمال الشرقي، من وادي الخطيب ، أو وادي الجنان ، أو حيث ينعطف الهِرْماس إلى الشمال ، فالغرب ، وفيها بقية بيوت تشبه بيوت القرى ، ولا تزال آثار الردم والهدم ظاهرة ، خلال المساكن، وحولها يسكن فيها جماعة من الفلاحين من أهل المعرة .

وحول القلعة خندق كان باطنه مفروشاً بالبلاط ، ثم اقتلعه السكان ، وزرعوا مكانه تيناً ورماناً وعنباً وغير ذلك .

وبعد سنة ١٣٧٠ هـ كان أحد الفلاحين يحرث بقعة من الخندق ، فاصطدمت سكة الحراث بحجر ، وأراد الفلاح أن يزيلها من طريق السكة ، فما استطاع ، فحاول اقتلاعها ، فانحسرت عن فجوة ، فكشف ما حولها ، فتبين له جدار مسجد تحت القلعة ، وعليه كتابة بالحروف العربية ، وبحروف أعجمية .

وقد فهم من قراءة بعض الحروف العربية على الحجر الأول الأمير عبد القادر الخديجة الجاموس السلياني سنة ٣٥٠ هـ ،

ولم يستطع قراءة ما على الحجر الثاني والثالث ، لأن حروفها غير عربية ، وفهمت أن دار الآثار تريد تحقيق هذا البناء ، ولا شك أن البحث سوف يرشد إلى آثار لها شأن عظيم في تاريخ المعرة ، وقلعتها ، وتلالها ، ومقابرها .

لأننا ذكرنا فيما سبق ان في شمالي المعرة ، وفي شرقي القلعة من الجنوب تلاً يقال له : تل البلس ، وفي شماليه إلى الشرق مقبرة يقال لها : الساطحية ، وان الناس يزعمون ان فيها قبر سليمان الجاموس باني قلعة المعرة ، وأهل المعرة يروي المتأخر منهم عن المتقدم أحاديث تدل على شجاعة سليمان الجاموس ، وقد كنت أظن أنه رجل لا حقيقه له ، وبعد العثور على اسمه في جدار الجامع الذي ظهر تحت القلعة تبين لي أنه رجل عظيم.

وصرت أظن أن القلعة التي بنيت ، وهدمها الحلبيون والخُوَارِزمية ، قائمة على أنقاض جامع أو معبد قديم ، ويجوز أن يكون بني بعد خراب القلعة ، وجعل تحتها ليكون بمنزلة قلعة صغيرة .

وهذا نص الكلمات المكتوبة فوق باب المسجد الغربي :

بناه بعد أن كان كنيسة الأمير عبد القادر الخديجة الجاموس السليمان سنة ٣٥٠ هجرية .

وفوق باب حقير لغرفة تتجه نحو الجنوب مكتوب بالأحرف اللاتينية ثلاثة أسطر وهذه هي :

1/ ΡΟΥ ΦΙΝΟϹ ΚΑΙΕΕΝΕΚΙΩΙSΠ
ΡΙϹ ΚΟϹ, ΡΟΥΦΙΝΟϹS.
2/ ΠΕΝΤΑΟΡΩΤΟΙΤΗΕΒΙΝ
ΔΤΟΥΖΛΥΕΤ ΟΥϹ.

3/ ΕΚΤΙϹΑΝΤΩϹΚϹΙΝΩ
Τ ΗΕΚΩΜΗϹ.

سور المعرة :

قال ياقوت في (معجم الأدباء) [1] : وفي جانب سورها قبل البلد [2] قبر يُوشع بن نون عليه السلام في برية فيما قيل ...

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ٤ : ٥٧٤ .

(٢) هكذا في ياقوت ، ولعله من قبلي البلد ، لأنه واقع في الجهة القبلية من البلد (ج) .

وقد تقدم عن ابن الشّحْنة أن الطلسم قريب من السور .

وسيأتي أن عبد الله بن طاهر هدم سور المعرة سنة ٢٠٧ أو سنة ٢٠٨ هـ .

وكلام صاحب الروض المعطار يدل على أن قبر يوشع داخل المدينة ، وذكروا أن صالح بن مِرْداس حاصر المعرة ، ورماها بالمناجيق ، وخرج من باب من أبوابها أبو العلاء .

وسيأتي بأن سيف الدولة مُقَلَّد بن كامل المِرداسي كتب إلى واليه أن يخرب سور المعرة ويهدمه ، وان أمير المعرة أبا الماضي أتم بناء السور سنة ٤٥٥ هـ في سنة واحدة ، وأن الصليبيين قاتلوا أهل المعرة على السور ، بعد ما عملوا برجاً يوازيه ، ثم هدموا السور والبروج .

وفي سنة ٥٢٩ هـ خرب عماد الدين زَنْكي سور المعرة .

وفي سنة ٦٥٨ هـ خرب التتر قلعة المعرة وأسوارها .

ولكن الأيام لم تدع لهذا السور عيناً ولا أثراً ، لنعلم منه موقع المدينة وحدودها على وجه صحيح .

المقابر والجبانات :

إذا مر الإنسان بطرف المعرة من الشمال أو الجنوب أو الغرب هاله ما يراه فيها من كثرة القبور القديمة والحديثة ، ونذكر قول أبي العلاء : خفف الوطء ما اظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد . وتكاد هذه القبور المنتشرة في بقاع فسيحة ، تكون أكبر من المدينة نفسها ، ولعل السبب في كثرة القبور هو أن أهل المعرة لا يدفنون ميتاً على بقايا دفين آخر ، وانما يتخذون لكل ميت قبراً يستقل به ، وذلك لأن أرض المقابر موقوفة على الغالب ، لا يدفع أهل الميت ثمنها ، ومن أراد منهم احداث مقبرة يختص بها هو وأسرته اشترى أرضاً ، وجعلها مقبرة ، وأجر الحفر والدفن قليل بالنسبة إلى بقية الأمصار الشامية كدِمَشق وحلب وغيرهما .

وقد اتخذت كل أسرة مقبرة ، يستقل بالدفن فيها أبناؤها ويسمونها جَبّانة وتربة ، فيقال مثلاً : جبانة بني الجندي ، جبانة بني العظم وهكذا .

وعادتهم في صنع القبور في هذا العهد ، أن يقيموا حجرين

طويلين ، أحدهما عند الرأس ، وهذا يكتبون عليه اسم الميت ونسبه وتاريخ وفاته ، وربما نقشوا عليه أبياتاً من الشعر ، تشتمل على ذلك ويسمونه شاهدة ومصيبة ، والثاني عند الرجلين وأعلى كل واحد منهما محفور منقوش على صورة تخالف الأخرى ، ويتميز العلماء من غيرهم ، بأن يكون في رأس الشاهدة شكل كروي تقريباً ، مخطط بخطوط منحنية ، يمثل عمامة العالم .

وللمتقدمين أنماط مختلفة في القبور ، يستطيع الباحث المدقق أن يعرف القبر في أي عصر بني .

فمن المقابر ، أو الجبانات المشهورة : المقبرة الغربية ، وفيها مقابر لأسر مشهورة في المعرة ، منها : مقبرة بني الجندي ، وهي غربي المدينة من الشمال ، ينحدر من غربيها إلى وادي الخطيب أو وادي الجنان ، وفي شماليها مصلى مفروش بالبلاط ، على رابية تشرف على الوادي المذكور ، يقال له : مصلى بني الجندي ، وفي شرقي هذه المقبرة دار قديمة فخمة ، يقال لها : دار بني الجندي ، ولها باب عظيم مبني بحجارة كبيرة ، شاهق يتجه إلى الشمال ، وليس في شماليه بناء قائم في عهدنا ، وفي هذه الدار قبة عظيمة مبنية كلها بحجارة عظيمة .

وقد افتتحت الحكومة في العهد الأخير ، طريقاً يذهب من المعرة إلى أريحا ، فيمر شرقي هذه المقبرة ، وقد أخذ منها قسم ، وضم إلى الطريق .

وبجوار هذه المقبرة إلى الجنوب مقبرة بني العظم ، وكان فيها قُبّة موسى بك ، ثم تهدمت كما ذكرنا .

وفي هذه المقبرة من الجنوب قبور يقال لها : قبور بنات النعمان .

وفي جنوبيها أيضاً قبور يقال لها : قبور شطي ، وهي غربي المعرة ، الجنوب .

المقبرة الشّمالية[1] ، وفيها أيضاً مقابر كثيرة ، منها : مقبرة الساطعية ، شرقي بيدر الجعابصة إلى الشمال ، وفيها قبور كثيرة اندرست ، وذهبت حجارتها ، ولم يبق إلا قبور قليلة .

المقبرة القِبْلية ، وفيها أيضاً مقابر كثيرة ، منها : مقبرة بني الشّحْنة ، وهي في جنوبي المعرة ، شرقي زاوية بني الكَيّال ، وفي هذه المقبرة قبور لبني الِحراكي .

ومنها : مقبرة بني السيد يوسف ، وهي في جنوبي المعرة

(١) فيها قبور قديمة وأخرى حديثة .

من الشرق ، ولما افتتحت الحكومة الطريق الجديد ، الذي يصل ما بين حماة وحلب ، جعلته يمر على هذه المقبرة ، فاندرست بذلك قبور كثيرة منه ، ومنعت تلك الأسرة من الدفن فيها .

ومنها مقبرة بني الجراكي ، وهي مقابل قُبّة الحجّي تقريباً ، ويفصل بينهما الطريق القديم ، الذي كان يذهب منه إلى حماة .

ويزعم الناس أن قبر النُّعمان بن بشير بالقرب من الحوّاري القِبْلية ، ولعل هناك كان قبر ابن النعمان ، الذي افترسه السبع وبنيت المعرة من أجله كما تقدم ، ولما فتح الطريق الجديد الآخذ إلى حماة ، عثروا على قبور كثيرة لبني العجيل ، كلها مردومة ، ويظهر أنها كثيرة ، وأن أصحابها كانوا موسرين .

ومنها : المقبرة الشرقية ، وهي في شمالي الشيخ حمدان وشرقيه ، وهي مقبرة عظيمة قديمة وحديثة ، وقد أصبح بنو الجندي يدفنون موتاهم في هذه المقبرة ، بعد ما منعتهم الحكومة من دفنهم في مقبرتهم الغربية السابق ذكرها .

المزارات :

أهل هذه المدينة أذكياء ، وأولو فطنة ونباهة ، ولكن يغلب

على العامة منهم ، وفريق من الخاصة ، سلامة الطوية ، وطهارة الضمير ، ونقاء القلب ، وابتعادهم عن العلم الذي يثقف العقول ، ويكشف عن البصائر ، وينير لها السبيل ، جعل حظهم من سلامة الصدر وافراً ، إلى حد يخيل للمدقق في أطوارهم وشؤونهم أنهم أولو غفلة وَعيّ .

ولذلك تجد بضاعة الشعوذة رائجة عندهم ، والاتجـــار بالدين أربح بضاعة في أسواق الخاصة والعامة ، ومن استعصى على كل قوة ، وتمرد على كل سلطان منهم ، متى ذكرت له الدين وما يتصل بالدين ، أسلس لك القياد ، وكان أطوع لك من ظلك ، هذا شأن من أدركناه من شيوخهم وكهولهم وشبانهم إلى سنة ١٣١٩ هـ وقد غشت أهلها في الأزمنة المتأخرة ، ظلمات بعضها فوق بعض ، من الجهل والعَسْف والإرهاق ، فأصبحوا كأنما عادت إليهم جاهليتهم الأولى ، وفقد فيهم المرشد والهادي إلى الدين الصحيح ، وفشت فيهم الطرق والدعوة إليها ، وصاروا يعتقدون في بعض الرجال ما لا يعتقدون مثله في الأنبياء ، ويفترون لهم من الكرامات ما لا يسوغ

الشرع والعقل صدور مثله عن مثلهم .

ولعل هذا الداء قديم فيهم فان أبا العلاء يشير إلى مثل ذلك بقوله :

إذا كان التقى بلها وعيا   فأعيار المذلة أتقياء

وخلاصة القول : ان المعريين كثيرو الاعتقاد بالصالحين ، وان الصالحين عندهم من المتقدمين كثيرون ، وسيأتي في العادات والمعتقدات طريقتهم في النذور والزيارات ، ومن أعجب العجب أن مدينة تنتج مثل أبي العلاء الذي كان يحكم العقل في كل شيء ، فيرتضي ما ارتضاه العقل ويأبى ما أباه ، ثم يأتي من بعده خلف ينقاد بالأحاديث الملفقة ، ويستسلم إلى الشَّعْبَذة والتُرّهات .

مقامات الأنبياء :

١ ــ مقام نبي الله شِيث (ص) وقد سبق القول فيه في الكلام على المَحيا .

٢ ــ أولاد يعقوب السبعة (ص) وقد سبق القول فيه في الكلام عن مسجده .

٣ — نبي الله يُوشع (ص) .

٤ — الخضر (ص) ، ومقامه في مكان يقال له : جدار الخضر ، وهذا المكان يقع في جنوبي المعرة على بعد ساعة منها وفيه آثار قديمة ، فيها بعض الرسوم ، وآبار ، ومغاور في الصخر ، ورَكية مطوية بالحجارة ، عمقها نحو من عشرين متراً ، ماؤها عذب ، وركية أخرى ماؤها مِلح ، وفيه نواويس كثيرة ، كانت طافحة بالآثار ، فاستخرجها الجاهلون بها ، وباعوها بثمن بخس ، وفيه مغارة لها قَوْس عظيم من الحجر ، تحته جدار عظيم ، فيه باب من الحجر الأسود ، وفيه عدد كثير من مثل هذا الباب . والناس يزعمون أن هذه المغارة مقام الخضر ، لأن فيها رسم قبر اسلامي ، والعامة ينذرون له البرغل المطبوخ بالدردار ، وهو نوع من النبات عندهم ، ويسمى ذلك الطعام المَغْمُومَة ، وكذلك كل برغل طبخ بنبات ، ومنهم من يذبح الخرفان ، وهذا النذر يسمى الحناء أيضاً ، ولا يكون إلا في زمن الربيع ، فتخرج النساء إليه ويقضين يومهن في القصف واللهو ، ثم يأكلن المغمومة ، ويعدن من حيث أتين ، فيجمعن بين القربى والنزهة ، لأن

هذا المكان محاط بشجر العنب والتين والزيتون والرمان، وهو فسيح أفيح، واسع الأرجاء، عذب الماء، طيب الهواء.

الصحابة والتابعون :

قبر عبد الله بن عمّار بن ياسر الصحابي .

قال ياقوت [١] في (معجم البلدان) : وبالمعرة قبر عبد الله ابن عمار بن ياسر الصحابي، ذكر ذلك البَلاَذُري في فتوح البلدان له .

وقال ابن العديم : في بغية الطلب ، وذكر صاحبنا ياقوت ابن عبد الله في كتابه، وقال : بمعرة النعمان قبر محمد بن عمار بن ياسر .

ولم نقف على ما ذكره ياقوت في كتاب البلاذري، ولا وقفنا على ولد لعمار اسمه عبد الله، ولا على ولد لعبد الله المذكور اسمه محمد . فلعل في هذا الاسم تحريفاً، أو حذفاً لبعض الآباء وكذلك لم نقف على أثر لهذا القبر .

وأظن أن هذا القبر لو كان حقيقياً، لما طمست معالمه،

(١) ياقوت : معجم البلدان ٤ : ٥٧٥

ولا اندرس أثره ، لأن المعريين يعنون بقبر الصالحين ، فكيف بالصحابة ، أو التابعين ، أو أحد من بينهم .

أُوَيْس القَرَني ، أو السلطان ويس : تقدم الكلام فيه في مسجد أويس أو مقامه .

الصالحون :

الشيخ عطا الله : وهو في المسجد المنسوب إليه ، وهـــذا يغلقون على شباكه خروقاً من ثياب المريض ، وينذرون له زيتاً ليوقد عند ضريحه ، ولم أوفق لمعرفة هذا الرجل ، وبعض الناس يعتقد أنه عطاء الله ابن أبي رَبَاح ، وقد بينا بطلان ذلك .

ومنهم الشيخ محمد الرشيدي : ويقال له ، الشيخ المعاليقي وهو في المسجد المنسوب إليه المتقدم ذكره ، وهذا ينذرون له (مِعْلاقاً) ، يجتمع النساء عنده إذا برىء المريض أو حضر الغائب ، ويشتوين معلاقاً ويأكلنه (والمعلاق هو جزء من الحيوان يشتمل على الكبد والرئة والقلب والمَرِيء ، وما عليها من شحم ، وهو يرادف السَحْر في قول ، فقد قال بعضهم : السحر كل ما تعلق بالحلقوم من قلب وكبد ورئة) .

الشيخ دبس ، وهو واقع في الطريق الممتد ما بين مقام الشيخ حَمْدان ، ومدرسة ابن الوَرْدي ، وهو عبارة عن بقعة صغيرة ، مسورة بجدر متهدمة ، ينذر له الناس خبزاً ودبساً وربما كان عنده مسجد فتداعى .

الشيخ محمد الهبولي ، وهو في مسجد البولي ، ولم أقف على ترجمته ، ولا ترجمة من قبله .

الجمهورية العربية السورية
وزارة الثقافة

تاريخ معرة النعمان

تأليف
محمد سليم الجندي

الجزء الثاني

حققه وعلق عليه ووضع فهارسه
عمر رضا كحالة

الطبعة الأولى ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣م

الطبعة الثانية

منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٩٤م

تاريخ معرة النعمان / تأليف محمد سليم الجندي؛ حققه وعلق عليه ووضع فهارسه عمر رضا كحالة.-ط٢.- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٤.- ٣مج في ٢؛ ٢٤سم.- (سلسلة بلادنا؛ ٥).

صدرت الطبعة الأولى ١٩٦٣

١- ١٣١ر٩٥٦ ج ن د ت ٢ - ٩٢٠ ع ج ن د ت
٣- العنوان ٤ - الجندي ٥ - كحالة ٦ السلسلة

مكتبة الأسد

الايداع القانوني . ع - ١٢٥١ / ١١ / ١٩٩٤

تاريخ معرة النعمان

الجزء الثاني - الجزء الثالث

سلسلة بلادنا

« ٥ »

بسم الله الرحمن الرحيم

العادات والمواضعات والمواسم

لكل مدينة من مدن الشام عادات ومواسم ، يتواضع أهلها عليها في أيام الفرح والحزن ، وقد يشابه بعضها بعضاً ، ومن هـذه العادات مااستبدل بخير منه أو شر منه ، ومنها ماأهمل ونحن نذكر هنا ماكان عليه أهل المعرة الى سنة ١٣١٩ هـ . وهي السنة التي هاجرت فيها الى دمشق .

العادات في الأفراح :

الولادة : إذا أوشكت مدة الحمل أن تنتهي ، أعد الزوجان على قدر طاقتيهما للمولود أنواعاً من الملابس المختلفة ، حتى اذا أخذ المرأة المخاض ، اجتمع عندها النساء من أقارب وأحباب ، وجاءت قابلة ومعها معاونة يسمونها الرَّفّادة ، تجلس خلف ظهر الوالدة حتى تلد ، فاذا ولدت أنثى اكتفت الجماعة الحاضرات بالصلاة على النبي ﷺ ، والحمد لله على ماأعطى ، وعلت وجوههن غاشية من الكآبة ، ثم تناولن الطعام المعد لهن ، وانسللن واحدة بعد أخرى ، ويسمى هذا الطعام مائدة مريم ، والعرب يسمونه الخُرْس ، وانتهى الأمر بهذا القدر .

واذا ولدت ذكراً تعالت الأصوات بالزغاريد ، وضحكت الوجوه ، وافترت الافواه وهاج وماج كل من في البيت طرباً وسروراً .

واذا بشر الزوج بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، ومنهم من لايتماسك أن يظهر حمقه وحنقه ، فيرغي ويزبد ، ويبرق ويرعد ، وربما هجر الزوجة ،

أو طلقها ؛ وإذا بشر بغلام تهلل وجهه ، واعطى المبشير بشارة جزيلة ، ثم أولم وأطعم ستة أيام ، ودعا دعوة عظمى في اليوم السابع .

وفي خلال الأيام السبعة ، يأتي تلاميذ الكتاتيب ، إلى دار الوالد ، فينشدون أناشيد ، ويأخذون صلة عليها ، يعطونها أستاذهم ، ويسمى هذا النشيد صَريفة ، لأن الأستاذ يصرفهم من المدرسة عقب ذلك ، وستأتي أمثلة منه في الأغاني الشعبية ، وبعض الناس إذا ولدت له بنت تجلد وتجمل واظهر السرور والفرح ، وأولم وأطعم ، حتى لا تغضب زوجته ، ولا يصيبها أذى بسبب سخطها .

ومن العادة أن ينقط المولود ، والنقوط في عرفهم أن يدفع قريب الوالدين ، أو صديقهما ، أو قريب أحدهما وصديقه ، قطعة ذهبية أو فضية ، أو شيئاً نفيساً ، أو نقداً للمولود ، ويكون ذلك خلال الأسبوع الأول ، والوالدة تتخذ قَشْوة ، وهي شبه كرسي مستدير مستطيل سطحه مقسم الى بيوت يجعل في واحد منها ملح ، وفي آخر ريحان ، وهو اليابس من ورق الآس يجفف ويدق دقاً ناعماً ، وفي آخر وعاء فيه زيت وكمون .

فتأتي الداية (القابلة) في كل يوم في الاسبوع الأول ، فتغسل المولود أول ولادته وتنشفه ، ثم يدهن بماء الملح ثلاثة أيام ، وتدهن حالبيه وسرته ومطاوي ركبتيه ومغابن إبطيه ونحوها بزيت وتذر عليه شيئاً من الملح والريحان .

وبعد الاسبوع الأول تدهنه في يومي الاثنين والخميس الى أربعين يوماً ، ثم تذهب بالوالدة الى الحمام ، ويسمى حمام الشَّدُود ، فتدهن جسدها بالشدود ، وهو مجموعة من فلفل وقرنفل وجوزة الطيب وقرفة وجزنبيل ونحوه ، مما هو معروف عند العطارين ، وتجلسها على البلاط الحار في الحمام ساعات ، اعتقاداً من النساء أن الحمل والوضع يوهن جسم المرأة ويضعفه ، وهذا الشدود يشده ويقويه ، ويعيده الى سيرته الأولى .

ومنهم من يعمل الشدود بعد خمسة عشر يوماً ، فيدهن جسدها ببيض وحلب وملح، وفي اليوم الرابع تدهن بالشدود كما تقدم، ويسمى الحمام الأول حمام الفسخ، والثاني حمام الشدود، وقد أخذت هذه العادة بالاضمحلال شيئاً فشيئاً.

وفي يوم الحمام يولِمُ الوالد، ويدعو القابلة وجماعة من أهله وأهل زوجته وأحبابها ، وتنتهي به حفلات الولادة .

طلوع الأسنان :

إذا بدأت أسنان الولد بالظهور دعت أمه جماعة من أهلها وأهل زوجها وجيرانها وأصدقائها في ليلة تعينها لذلك ، فيجتمعن ويقضينها في العزف والرقص والغناء والقصف ، وربما أحضرت مغنيات خاصة لاقامة حفلة .

ثم تقدم للمدعوات طعاماً مؤلفاً من سَليقة ، وهي حنطة تسلق حتى تنضج ، ثم يوضع فوقها فستق ولوز وجوز وحب رمان حلو ، ويذر فوقها شيء من السكر ، ومنهم من يزيد سنوبرا على ذلك ، ومنهم من يفرق هذا الطعام في جيرانه وخلصائه وأقربائه ، فيأكلونه في بيوتهم .

عيد ميلاده :

أخذ الشاميون من الفرنسيين وغيرهم من الغربيين ، الاحتفال بعيد الميلاد للصغار والكبار والأحياء والأموات أيضاً .

فإذا بلغ الطفل الثالثة فصاعدا من عمره دعت أمه لِداتِه من ذوي قرباها وأصدقائها وجيرتها، فاجتمعوا عنده، وهيأت لهم من اللعب مايذهل كلا منهم عن والديه واخوانه وأخدانه، حتى إذا انتهى الوقت المحدد لذلك، جاءت لهم بالأطعمة الطيبة والفواكه اللذيذة والطرف الفاخرة التي أعدتها لهم فأكلوا ، ثم أرسلت كل واحد إلى دار أبيه ، أو جاء أحد من قبل أبيه فأخذه .

وقـد يقدم بعض الاطفال هدية للمحتفل به ، إما طعامـاً من الطرف الحلوة ، أو ثوباً ، أو لعبة ، أو غير ذلك ، وهي بمثابة دين يستوفيه يوم عيـد ميلاده ، لأن رفيقه يقابله بمثل ماقدم له .

الختان :

ومتى بلغ الغـــلام سبـع سنوات فأكثر ، دعا أبوه طائفة من أهله وأصحابه ، وأولم لهم ،ومنهم من يقرأ مولداً، ومنهم من يحضر مغنين ،والعرب تسمي هذا الطعام الإعذار ، يقال : اعذر الرجل إذا صنع ذلك الطعام ، أي طعـام الختان ، وبعد أن يقوموا عن الطعـام ، يأتي الخاتن فيختن الولد ، ثم يرفضّ الجمع ، ويبقى أهل المختون وخاصته ، والعادة المألوفة أن أصحاب الأب والأم ، يقدمون له هدايا مختلفـــة ، من أرز وسمن وسكر وحليّ ونقـود وأطعمة ، وهو يقابل كل واحد منهم بمثل ما أهدى عند حدوث نعمـة له أو فرح ، وان المختون يلبس أفضل ثيابه ، ويوضع على رأسه وصـدره أنواع من الحليّ ،ويبقى ذلك مـدة أسبوع ، ويضعون له خرقة ملوثة بقطران تعلق في عنقه ، ويشمها الفينة بعد الفينة ، حتى لا يتأذى بالرائحة في زعمهم .

وكذلك يأتي طلاب الكتاتيب ،فينشدون الاناشيد ،ويأخذون الجوائز، ومن الناس من يطوف بالغلام في المدينة راكباً أو ماشياً ،وحوله أناس يغنون وينشدون ويقلّسون ، وحين يصل إلى دار أبيه يستقبل بالزغردة ، وقد أخذ الناس يكفون عن هذه العادة تدريجياً ،وصاروا يختنون الولد في اليوم السابع من ولادته ، فاستغنوا بذلك عن تعب شديد ،وانفاق كثير ،يعقبه عتاب ولوم وذم .

الختمة :

ومـتى أتم الغـلام قراءة القرآن أولم أبوه ، وأخرج الغــــلام من

الكُتّاب في حشد من الطلاب والناس ، حتى يصل إلى دار ابيه ، وبعد أن يطعم الناس ينصرفون .

والعادة المألوفة أن الناس يجتمعون في مكتب الأستاذ ، فيحضر الولد الخاتم في زينته وملابسه ، فيجلس بين يدي الأستاذ ، ويقرأ أول سورة البقرة ، فاذا وصل الى قوله تعالى ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ الآية . أخذ أحد الطلاب طاقية تكون على رأس الخاتم ، وذهب إلى أمه يبشرها بأنه ختم القرآن ، فتعطيه بشارة ، ثم يخرج الحشد المجتمع ، وفيهم من ينشد أناشيد مختلفة ، وفيهم من يلعب بالسيف والترس ، حتى يبلغوا دار أبيه ، فتستقبله النساء بالزغردة ، وبعد الطعام يقدم الأب إلى الأستاذ هدية لقاء أتعابه في تعليم ابنه .

ووالد الخاتم إن كان من أهل النسك ، أحضر جماعة يقرءون قصة المولد النبوي الشريف ، وينشدون الأناشيد المعروفة المألوفة ، وان كان من غيرهم احضر جماعة من الموسيقيين ، فينشدون حتى ينتهي الطعام ، وبعد انقضاء الطعام ، ينصرف المدعوون وتبقى أقارب الداعي وبطانته .

الزواج :

للزواج آداب وشروط معروفة ، يراعيها النساء ، ولا يشذ عنها الرجال ، فالرجل يوفد جماعة من النساء أولاً ، ليخطبوا البنت من أهلها ، فاذا رضوا أوفد رجالاً ، فاتفقوا على الصداق المعجل والمؤجل والهدايا ، وأوفد نساء يقدمن للبنت المخطوبة شيئاً من الحلي يسمونه الملاك ، (والمَلاك والإملاك التزويج) .

ثم يدعون دعوة عامة لعقد النكاح ، ويقيمون الأفراح سبعة أيام قبل الدخول وسبعة بعده .

أما النساء فتدعى الى الحمام من قبل أحد أقرباء الزوج ، أو أحبائه

أربعة أيام ، وفي الخامس والسادس من قبل الزوج ، وفي الليلة الأخيرة يُقِمن حفلة يسمينها النقشة ، لأنهن ينقشن كفي العروس بالحناء وغيره ، ويسهرن الليلة كلها في الغناء والضرب بالعُود والدُف والكُوبة (١) ، ويقدمن آخر الليل طعاماً مؤلفاً من كعك وزبيب ، وقد يزيد على ذلك الأغنياء ويسمى هذا الطعام زَقنْزُوقَة ، وفي الليلة السابعة يولم أهل الزوجة ، وبعد العَشاء والعِشاء يأتي وفد من الرجال الأعيان ، وآخر من النساء فيأخذون العروس الى بيت زوجها ، ثم يعود الرجال ، وتبقى النساء إلى الصباح ، ثم ينصرفن . والليالي الست التي قبل الزفاف تسمى كل واحدة منها تعليلة ، وأما الرجال ففي ليلة الحناء ، وليلة الحناء للرجال تقابل ليلة النقشة للنساء ، يجتمع أحباء الزوج وذوو قرباه في بيت واحد منهم ، يقضون تلك الليلة في الغناء والمَرَح والمَزَح ، وفي وسط الليل يأتون بشيء من الحناء ، فيغمس كل واحد منهم أصبعه فيه ، ومنهم من لا يفعل ذلك ، حتى يكلف أحداً من الحاضرين عملاً ، إما غناء أو رقصاً ، أو وقوفاً خارج الدار ، أو ماشاكل ذلك ، ومنهم من يطلب أحداً غائباً ، فيأتون به ، وقد يوقظونه من نومه ، والغالب أنهم يتوخون من الغائبين ذوي الحمق والحدة ، فاذا جاء كلفوه عملاً يثقل عليه ، أو يكرهه ، فيوسع من طلبه سباً وشتماً ، وقد يكافه ما طلب منه شراً ، وهم يضحكون ، ولا ينكرون من أحد قولاً أو عملاً .

ومن العجيب أن الرجل إذا طالب أو كلف أن يأتي بشيء لا يتأخر ، مهما كانت منزلته عالية ، ولقد شهدت هذه الحفلة مرة ، فلما قدم الحناء إلى شاب أبى أن يمد يده اليه ، حتى يؤتى برجل مشهور بالحمق وسلاطة اللسان ،

---

(١) في الصحاح للجوهري ١ : ٩٩ : الكوبة : الطبل الصغير المخصر .

فذهب اليه ، فبعثه من مضجعه وجاء ، فلما وقف بين يدي الطالب ، سأله مايريد ؟ فأمره أن يرقص بين يديه ، فانهال عليه بالسب والشتم حتى شفى غلته ، ثم رقص بقدر ما أراد طالبه ، فلما قدم اليه الحناء أبى الا أن يقوم طالبه ويحمل النعل بيده ، ويعوي عواء الكلاب ثلاث مرات ففعل.

ووقع كثير من أمثال هذا ، فلم يغضب أحد من آخر ولم يحنق عليه ، وانما كان كل واحد منهم يتلقى ما كلف به ، ويفعله بالقبول والرضا ، ذلك لأنهم يعلمون بحكم العادة أن الغاية من هذه التكاليف إدخال السرور الى قلب العروس وأهله والحاضرين .

وفي ليلة الزفاف يدعو أحد أقرباء الزوج أو أصدقائه إلى داره جماعة ، فيجتمعون ويقيمون حفلة جامعة يسمونها تلبيسة ، يلبس فيها العروس ثيابه ، وبعد مضي ساعات من الليل يقضونها في الأناشيد والأغاني واللعب وقراءة المولد ، يصحب العروسَ جماعة من لداته وأترابه يحيطون به كما سيأتي ، ويوقدون بين يديه المصابيح الكثيرة ، وينقسمون فرقاً ، ففريق يغني أغاني محفوظة موروثة ، وآخرون يلعبون بالسيف والترس ، ولا يزالون كذلك حتى يوصلوه الى داره ، فيدخله أبوه على عروسه ، وينصرف الباقون ، الا نفراً من خلصانه يبقون على مقربة من باب الدار ، حتى يبني بزوجته ، ويفتض عذرتها ، فيعلو هتاف النساء وزغاريدهن ، فيطلق أحد أولئك الرجال رصاصة في الفضاء ، إشارة الى أن الأمر قد تم ، وأن العروس بكر وأن زوجها أبو عذرتها ، ثم ينصرفون . وبعد طلوع الشمس يجتمعون حوله وأمامه ، ويأخذون الزوج إلى الحمام ، وقد دعاهم إليها أحد أقربائه أو أحبابه ، فيسيرون في الأناشيد والأهازيج ، حتى يدخل الحمام ويغتسل هو والمدعوون ، ثم يخرجون منها كما جاؤا إليها ،

حتى يصلوا إلى دار صديق أو قريب أعد لهم وليمة ، ويسمونها الفطور ، فاذا دخلوا الدار قلّسوا(١) ورقصوا ولعبوا بالسيوف ، واستفرغوا المجهود في إدخال السرور على العروس والحاضرين ، فاذا طعموا انتشروا ، ثم يخرجون به بعد العصر إلى بستان أو متنزه .

ثم يتوافد النساء أياماً للتهنئة ، وكذلك الرجال ، وفي اليوم السابع يقيم الزوج حفلة يدعو إليها طائفة من أهله وذويه ، وأهل الزوجة ، ويعطون الزوجة دراهم ، أو حلياً ، يسمونه نقوطاً وبذلك تختم الحفلات من الزوج ، إلى أن يمضي أربعون يوماً ، فيدعو أهل الزوجة جماعة من خلصانهم مع أهل الزوج ، ويقيمون لهم حفلة ، يسمونها ثابارة ، وبعد طعام العشاء ينصرف الناس ، ويعود العروسان إلى دارهما .

ومن أقبح العادات في الزواج أمران : الأول ماذكرناه من اطلاق الرصاص ايذاناً بالدخول ، والثاني أن الزوج في ذهابه إلى داره ليلة الزفاف ينخسه بعض أصحابه بابرة أو نحوها فيتجلد أمام الناس ولا يستطيع أن يتكلم ولا يتحرك ، وقد أخذ الناس يقلعون عن هذه العادات تدريجاً .

ونحن ذكرنا في كتابنا (العادات في بلاد الشام)(٢) شيئاً كثيراً من عادات المعرة وغيرها ، في الولادة ، والختان ، والختم ، والزواج .

الموت :

وأما العادات في الأحزان ، فهي أكثر ماتتجلى في الموت ، فاذا مات

(١) في الصحاح للجوهري: ٤٧١ :التقليس الضرب بالدف والغناء . وقيل : المقلس الذي يلعب بين يدي الأمير إذا قدم المصر .وقال أبو الجراح:التقليس استقبال الولاة عند قدومهم بأصناف اللهو .

(٢) هي رسالة لم تزل مخطوطة .

الرجل ملأ أهله الدنيا نحيباً وعويلا ، ثم يأتي جماعة فيغسلونه ويكفنونه في داره ، ثم يحملونه على النعش الثقيل فيأتون به الى الجامع الكبير فيصلى عليه ، ثم يحمل الى مقبره ، والناس يتسابقون إلى حمل الميت طلباً للثواب ، ولذلك يشترك فيه أكثر المشيعين ، فان كان شريفاً أو غنياً جاؤا إليه بجماعة من من أصحاب الطرق ، فضربوا بالمزاهر والصفّاقتين والطبول حتى ينتهي غسله وتكفينه ، ثم يصحبونه بذلك إلى المسجد ، فالمقبرة ، وهناك يقفون حلقة يذكرون الله تعالى ، حتى يوارى في التراب ، وحين يوضع في القبر يأتي شيخ فيلقنه الشهادة ، ويذكره بالله واليوم الآخر ويدعو له ، فاذا فرغ هالوا عليه التراب ، وقبل أن يدفن يأتي رجل بمال وحلي كثير في صرة ، فيطوف على الذاكرين ويعطي رجلا منهم هذه الصرة كفارة عما على الميت من الصلاة ، فيقبلها ، ثم يهبها إلى معطيها ، فيدفعها إلى آخر ، وهكذا حتى يفرغ من الحاضرين ، ويدفع لكل رجل قليلا من المال ، لقاء هبته الصرة ، ثم يردها الى أصحابها ، وهذه يجعلونها حيلة لاسقاط ما في ذمة الميت من الصلوات ، على زعم بعض الفقهاء المتأخرين ، ويسمون ذلك سقوط الصلاة ، وقد تكون قيمة الصرة الف درهم أو أكثر فيهبها للفقير ، ويهبها الفقير له ، ويعطيه درهماً ، أو أقل مقابل ذلك ، وبعد أن يتم دفن الميت ينقلب أهله وخاصته إلى دار قريب له أو صديق له ، فيتناولون الطعام عنده ، ويسمى هذا تنزيلة الميت .

ثم بعد صلاة المغرب يجتمع جماعة في دار الميت . فيقرأون القرآن ، ثم يوزع عليهم زبيب وكعك ، ثم ينصرفون . ويسمى هذا الاجتماع المقرية ، وقبل طلوع الشمس يذهب أهله الى قبره ، فيقرأ جماعة القرآن ، ثم يوزعون على الفقراء خبزاً وحلوى ، ويسمى ذلك (فتح التم) أي الفم ، والغالب أن يكون القراء من

العميان ، والظاهر أن هذه العادة قديمة في المعرة ، لأن أبا العلاء يقول :

عُميانُكُمْ قرأتْ علىَ أَجْدَاثِكُمْ ... أَتَوْكُمْ بالخَيْرِ مَنْ آتاكُمُ (١)

أَحيَاؤُكُمْ بَخِلوا عَلَيْهِمْ بالنَّدَى ... تَبَغوهُ بالفُرْقانِ مِنْ مَوتاكُمُ

ويبقى فتح التم والمقرية ثلاثة أيام وثلاث ليال ، وفي آخر اليوم الثالث يقيمون ذكراً عظيما في الجامع ، ثم يخرجون الى دار الميت ، فيطعمون ويأخذون الصدقات ، ثم ينصرفون ، ثم يفعلون مثل ذلك في اليوم السابع ، واليوم الأربعين ، وفي آخر السنة ، ويسمى ذلك الأربعينية ، والسنوية أعظم يوم يحتفل به أهل الميت بعد يوم وفاته ، ويعدون له العدة ، وذلك أنهم يدعون جماعة من أقربائهم وخلصائهم وجيرانهم وجماعة من القراء والذاكرين والأعيان ومن طبقات مختلفة .

ويهيئون لهم أنواعاً من الطعام الفاخر ، مثل كشك الفقراء وكل واشكر والنمورة والحجب بالقشطة والحجب بالفستق وما شاكلها ، ويضعون معها أفخر الفواكه الطيبة والثمار اللذيذة بحسب زمانها ، ويجعلون مع ذلك العوامة بالفستق ، وهي طعام يتخذ من عجين طري ، تكون القطعة منه بقدر الجوزة الصغيرة ويحشونها فستقاً ؛ فاذا قليت بالسمن انتفخت وصارت كالكرة ، فاذا نضجت طرحت في القطر ، وهو السكر المائع المغلي ، وهي لابد منها في طعام السنوية .

فاذا صلى الناس العشاء توافد المدعوون ، فيبتدىء القراء بقراءة آخر سور القرآن ، قصار المفصل : من سورة ألم نشرح لك الى آخر القرآن ، ويتبارى القراء في الاجادة والقراءة على السبع أو غيرها ، لأنهم في الغالب من شيوخ القراء ، فاذا

(١) اللزوميات ، ه ص ٢٣٧ وفيها : « ..وأتوا لكم... » . « أحياؤكم بخلت..»

ختموا، ودّعوا ، وأمنوا ، ابتدأ الذاكرون بالذكر قياماً وقعوداً على النمط المعروف ، وعلت أصواتهم بالصيغ المألوفة ، والمنشدون يحثونهم ، كما تحث الحداة الإبل على السير ، فاذا انتهوا دعا كبيرهم أو غيره من الشيوخ المدعوين وانتهت أعمالهم ، فيدعوهم صاحب الدار الى الموائد التي وضعت عليها الاطعمة والفواكه فيقومون اليها ، ويأكلون على قاعدة الأكل على قدر المحبة ، فاذا انتهوا غسلوا أيديهم وشربوا القهوة ، ثم ودعوا الداعي وانصرفوا ، وهو يعطي المأجورين منهم أجورهم كلا على حدة بصورة سرية ، ثم يوزع الداعي شيئاً من العوامة على الجيران والأقرباء والاخدان . وفي اليوم التالي يوزع على كل من يريد اطعامه منها ، والناس لايتسامحون بطلب العوامة ، ويعتبون على أهلها اذا لم يطعموهم .

وقد تغيرت بعض هذه العادات ، وصار للموت والجنازة آداب ونظم وقوانين لابد منها ، وقد أخذ بعضها عن الفرنجة ، وبعضها نشأ من حب التنافس والظهور واظهار الفضل على الفقراء والبائسين ، وهذه صورتها مجملة :

إذا مات الميت اجتمع أهله ، وألبسوه ثياباً متوسطة او فاخرة ، وجمعوا مايخافون عليه من السرقة من أمواله ، فاذا فرغوا من ذلك ، وَلْوَلَ النساء ، أي رفعنَ أصواتهن بكلمة (اوْلي) ، وأصلها ويلي ، فيعدنها مرات متتابعة ، وهذه نعي الميت ، واعلام بموته ، فتتوافد النساء من كل حدب وصوب ، ويشاركن نساءه في الولولة ، وكل واحدة تستفرغ مجهودها في رفع صوتها لتبرهن على أنها شديدة الحزن على الميت .

ويجتمع الرجال من أهل الميت في داره ان كان فيها متسع ، والا اجتمعوا في بيت قريب من بيته لأحد أقربائه ، أو أصدقائه يجتمع فيه أهله وذووه الى

ان تخرج الجنـــازة ، ثم يقوم فريق من أقربائه ، فيشتري جهـاز الميت ، وما يحتاج اليه بحسب العرف ، فيشتري له اكفاناً فاخرة ، وغيرها من كافور وملح وحناء وتمر ، ورمل ، وأغصان آس ، ثم يقوم فريق باحضار المغسلين والحمـالة .

فاذا فرغوا من ذلك حملوه وخرجوا من داره ، ووضعوا على نعشه قطعة من الشال الفاخر ، وعلقوا فوقها مالديه من أوسمة حكومية ، وان كان شريفاً وضعوا على مقدمة النعش عمامة خضراء كبيرة ، وان لم يكن شريفاً وضعوا ما كان يضعه في حياته .

ثم مشى موكب الجنازة يتقدمه رجل جميل الصوت ، يقول: «لا إله إلا الله وحده لاشريك له ....» ثم يأتي بعده رجل يحمل غصناً أو أغصاناً من شجر الآس ، ثم رجال تحمل أكاليل من الزهر ، يقدمها اصحاب الميت ، ثم الجماعة الذين يحملون الحناء والملح ، ثم النعش ، ثم أقرباء الميت ورجـال الدولة ان كانوا ، ثم بقية الناس .

واذا كان الميت ذا مكانة ، مشى في جنازته طـائفة من الشرطة والدرك ، منكسي بنادقها ، وقد تضرب الموسيقى أنغاماً محزنة .

واذا كان الميت رئيس حكومة أو رئيساً عسكرياً ، وُضع النعش على مدفع ومشى الناس خلفه ، وأهل الشام عامة يتنافسون في حمل الميت ، فيحمله أربعة ، ثم يجيء رجل الى أحد الأربعة ، فيقول له : آجر ، فيعطيه مكانه ، ثم يجيء غيره ، ويفعل كفعله ، ويتزاحم الناس على حمل النعش طمعاً في الثواب واظهاراً للأسف على الميت .

فاذا وصلوا الى المسجد ، صلوا عليه صلاة الجنازة ، ثم سـار الموكب

على هذا النمط ، حتى يصل الى مقبرته ويضعه في مرقده الأبدي ، ثم يقول أحد اقربائه : الصباحية في موضع كذا

والأصل في الصباحية ، ان الميت اذا دفن خرج في صباح اليوم الثاني من دفنه ، جماعة من أهله واصحابه الى المقبرة وقت الفجر ، فيزورونه ، ويقرأون عنده القرآن ، فاذا صار وقت الاسفار رجعوا الى بيوتهم ، وسميت صباحية لأنها تكون وقت الصباح ، واهل المعرة يفرقون خبزاً وحلاوة عند القبر في الوقت المذكور

ثم استثقل الناس الخروج الى المقابر في هذا الوقت ، فجعلوا الاجتماع في أقرب مسجد الى بيت الميت بعد صلاة العصر ، فيجتمع الناس ، ويقرأ قارىء شيئاً من آيات الذكر الحكيم ، ويسقى الحاضرون جُلاّباً ، وهو نقيع الزبيب ، أو الليمونآطه ، وهو عصير الليمون أو البرتقال مع السكر ، ثم يقف أهل الميت عند باب المسجد ، فيعزيهم الناس ، واحداً بعد آخر ، والمقربون منهم بالصداقة أو النسب يذهبون الى دار الميت ، فيستمعون الى قارىء ، ويشربون قهوة مرة ، ثم يعزون المصابين .

ثم جعل الناس الاجتماع بعد صلاة المغرب ، ثم اقتصروا على التعزية في البيت ، وجعلوا لها نظماً خاصة ، وخلاصة ذلك :

ان اصحاب الميت يجلسون بعد أذان المغرب في ناحية من المكان ، فيأتي المعزي فيصافحهم وقد لايصافحهم ، فيجلس في ناحية ، ثم يجيء بعده الناس أفواجاً ، وكل واحد يجلس الى جانب غيره ولا يتكلم أحد بشيء ، حتى يخيل للحاضر انه يجالس خشباً مسندة ، ثم بعد قليل يذهبون زرافات ووحداناً ، ومن المعلوم ان المراد من التعزية ، تهوين المصيبة على المصاب ،

وإيراد الشواهد والنوادر ، ليتسلى ويصبر ، وهذا معنى التعزية ، ولكن رجال هذا الزمن صاروا كالنساء في أغلب عاداتهم ، فأخذوا هذه العادة منهن .

هـذه لمحة عن نظام الجنائز المفروض على الرجال ، وهو يزداد شروطاً وقيوداً يوماً فيوماً . وأما النساء ، فخلاصة نظمها ان الميت إذا مات ، نعَينه بالولولة ، وذكرن شيئاً من مناقبه الحسنة ، وكلما جاءت امرأة أو نسوة ، جددن النعي ، حتى يمتلىء الفضاء من اصواتهن ، ويزداد ذلك إذا قـدم للغسل والتكفين ، وإذا أخرج من الدار ، ولا يخرجن الى المقابر مع الرجال ، وإنمـا ينصبن خيمة فوق القبر يجلسن فيها بعد العصر ، ويسمعن القراء الذين يحضرون للقراءة مدة ثلاثة أيام ، او اسبوع ، وبعـد خروج الجنازة تلبس زوج الميت وبناته وأخواته وكنائنه ، اثواب الحداد ، ويقمن وليمة ، يدعين اليها خاصة الخاصة ، كما يدعو اليها الرجال خاصتهم ، وربما أقام هذه الوليمة أحد أقرباء الميت ، ويسمونها تنزيلة ، وقد يقدم أحـد الاقرباء في اليوم الأول والثاني والثالث في كل يوم مرة طعام الظهر أو طعام العشاء ، ويقدم غيره طعام وقت آخر ، وإذا لم يقم به أحد ، قام أهل الميت بذلك ، ونساؤه تدعين من يشأن الى كل طعام .

وبعد خروج الميت يجلسن في محل ، ويضربن بخمرهن السود أو البيض على جيوبهن ، ويجلسن صفاً واحـداً ، ويأتي النساء لتعزيتهن في وقت معين . فاذا جاءت امرأة ، أو نسوة ، قمن على أقدامهن تكرمة لها أو لهن ، ثم يجلسن جميعاً كأنما على رؤوسهن الطير ، فلا تتكلم واحدة ، ولا تسعل ، ولا تتنحنح ، بل كأنهن خشب منصوبة ، ولا يطلن الجلوس ، فاذا خرجن من غرفة التعزية ، استقبلتهن طائفـــة أخرى من أقرباء الميت ، فيرحبن بهن ، ويدخلنهن غرفة ، يسقين فيها الدخان والقهوة ، وتـدور بينهن أحاديث فيها من كل واد عصا ،

ثم ينصرفن ، ويأتي غيرهن ، حتى تنقضي الأيام المعدودة ، وهي ثلاثة .

وأهل الميت يحدّون عليه ، ويغالون في الحداد ، فلا يقيمون أفراحا في ديارهم ، ولا يحضرونها عند غيرهم مدة سنة ، ولا يلبسون لباس زينة ولا يتزينون ، ومنهم من يزيد على ذلك ، ومنهم من ينقص ، حتى انهم يحظرون بعض الأطعمة كالكبة ، واصدقاء الميت واقرباؤه ، يراعون اهل الميت فيشاركونهم في ترك الزينة ، وعدم الحضور في محافل الافراح ، وهجر بعض الاطعمة والملابس ، واكثر الناس تشدداً ومغالاة في الحداد على الميت زوجته ، فانها تشد على جبينها عصابة سوداء ، وتختمر بخمار أسود وتلبس ثوباً أسود ، ثم امه وبناته ، وقد يتخذن اغشية سوداء للشبابيك والنوافذ .

ثم يتابعون الصدقات في مواسم معينة ، منها : يوم نصف شعبان ، وآخر يوم من رمضان ، ويوم عرفة ، ويوم السابع والعشرين من رجب ، فيطبخون ويتصدقون على الفقراء ، ويتهادون من ذلك الطعام ، واكثر مايصنعونه من الاطعمة السنبوسك ، وهو رقاق من عجين يحشى لحما وسنوبراً وبصلا ورمانا وغيرها ، ويجعل على شكل نصف دائرة ، ومستطيلا ، ثم يقلى بالزيت كثيرا وبالسمن قليلا ، ثم الارز والشاكيريّة وهي لحم وبصل يطبخ بلبن رائب ، واللبَنِـيّة وهي أرز ولحم بلبن .

ومنها يوم الاضحى ، فيضحى عن الموتى ، إن كانت لهم وصية ، كما يضحى عن الأحياء ، وهم يجمعون في الضحية بين الصدقة والهدية ، وقد يدخر بعضهم منها .

ومن اقبح العادات في الاحزان ، ان زوجة الميت وبناته حين يموت الميت ، يرفعن اصواتهن بالنحيب والعويل ، ويظهرن اشد الجزع والهلع ، ويتظاهرن انهن فقدن الصبر والشعور والعقل ، فينحنين على مال الميت

بالاتلاف ، فيحطمن الانية الزجاجية ، والصينية ، ويمزقن الاثاث الفاخر ، والسجاد النفيس والشال الغالي ، ويرقن مافي البيت من سمن وزيت ،ونحو ذلك .

وانما تفعل ذلك زوجة الميت نكاية بابنائه ، اذا كانوا من غيرها ، ويفعله ابناء الميت نكاية في زوجته ، اذا كانت غير امهن ، وقد يفعله بعض الورثة ، نكاية في بعض آخر .

العادات في العبادات :

أكثر أهل المعرة شديدو التمسك بالدين ،والمحافظة على شعائره ،لاسيما طبقة العمال ، ومن في منزلتهم ، وذلك أنهم يحاولون التقرب من الله ، والإخلاص له في العمل ، لتكون دعواتهم مستجابة ، واكثر مايدعونه من اجل كشف ماأحاط بهم من الغم والفقر ، لأن في المعرة عاملين شديدين في فقر الامة ،وهما الحاكمون والمتسلطون من أبنائها ،وهم اذناب الحكام وزبانيتهم ، فانهم متى رأوا أثر نعمة على رجل ، انتزعوها منه ، بأي طريق كان ، وعلى اية صورة كانت حتى يعود فقيرا .

وقد بلغت من العمر ستين عاما ، فما رأيت فقيرا في المعرة استغنى ودام غناه الا رجلا واحدا كان خبيراً بمداورة الشؤون ، بصيراً بمداراة الحكام وأشياعهم ، ولكنني رأيت كثيرا ممن كان غنيا فافتقر ، ثم لم يجد له من دون الله ناصرا ، ولهذا يواظب على الصلاة والصوم والصدقة والدعاء وغيرها ، وهذا الفريق كثير في المعرة ، ولذلك غلب على اهلها التنسك والتمسك بشيء من العادات الموروثة عن الاولين .

منها : يوم رأس السنة : أول المحرم ، ولهم فيه أوراد معروفة ،وأدعية

مأثورة ، ومنهم من يصوم هذا اليوم ، واكثرهم يطبخ فيه طعاما ابيض من حليب أو لبن ، تفاؤلا بان تكون السنة كلها بيضاء ، وفيها خير كثير ، يفور كما يفور الحليب أو اللبن .

ومنها : يوم عاشوراء : العاشر من المحرم ، وله أدعية وأوراد ، وفيه صوم واكتحال ، وفيه صدقات ، ولهم فيه طعام يسمى الحُبُوب جمع حب ، وهو عبارة عن حبوب متعددة من بُر وحِمَّص وفول وفاصوليا ولوز وجوز وفستق، يطبخ ذلك كله بالسكر والحليب ، أو السكر فقط ، وللفقراء بالدبس ، ثم يتهاداه الناس ، ومنهم من يطعم منه بعض الفقراء من ذوي الارحام وغيرهم .

ومنها : يوم السادس والعشرين من رجب ، يتصدقون ويطعمون فيه ، ويقرؤون في الليل بعد صلاة العشاء المعراج ، ويصومون اليوم التالي .

ومنها : يوم الرابع عشر من شعبان ، يتخذون في هذا اليوم طعاماً للصدقات ، ويسمونه حسنة يفرقونه على الفقراء قبل المغرب ، وهو من سنبوسك وغيره مما تقدم ، فاذا أذن المغرب ، وفرغوا من صلاته ، اجتمع الناس في المسجد وقرأوا سورة يس ثلاث مرات عقب كل مرة يتلى دعاء نصف شعبان المأثور ، وبعد صلاة العشاء يصلون صلاة التسابيح ، ثم يخرج الجمهور من داخل المسجد الى ساحته ، فيوحدون الله ثلاث مرات ، يبالغون فيها برفع أصواتهم ثم يخرجون فرقاً فرقاً الى مسجد نبي الله يوشع وأصواتهم متعالية بالتوحيد ، ثم يحضرون ذكرا فيه ، وفريق منهم يذهب لزيارة ضريح السلطان أويس ، ثم ضريح الشيخ حمدان ، ثم يذهب الى المتحيا فيزور من فيه ، ثم يعود ، وأصوات هؤلاء مرتفعة بالتهليل والتوحيد في الطرق والمزارات ، ثم يذهب كل

الناس الى مكان تقام فيه الاذكار الى طلوع الفجر ، ثم ينصرف كل واحد الى الجامع أو الى منزله ، ثم يصومون اليوم الثاني .

وقد حدث في ايامناحادث طريف ، وهو ان جماعة خرجوا ليلةالنصف من شعبان الى المحيا لزيارة من فيه من أبناء سيدنا يعقوب في زعمهم ،وكان ذلك في فصل الشتاء ، وكان فيهم رجل لا بساً ثياباً بيضاء، وهي من لباس الصيف بحسب العادة ، فرأى جماعة قادمين للزيارة ، فدخل الغرفة التي فيها التوابيت ، وقد أوقد فيها مصباح ، ونزل في تابوت منها ، وسكن وسكت ، فلما جاءت الجماعة خلعوا نعالهم ، ودخلوا الغرفة ، وكان بابها قصيراً جداً ، فزاروا وتمسحوا بالتوابيت ، ووقف أحدهم يدعو وهم يؤمنون على دعائه ، فقام الرجل من التابوت وخرج اليهم، فلما رأوه انخلعت قلوبهم من الخوف وتلجلج لسان الداعي ، ثم هربوا،وازدحموا في الباب، فاصيبوا بجراح في رؤوسهم ووجوههم ونسي بعضهم حذاءه ، وأصابهم مايشبه الجنون ، وذهبوا لا يلوون على احد ، فسألهم الناس ، فقالوا : ان ابن يعقوب خرج من قبره ، وجعل الناس يقولون لهم ان هذا رجل لعب هذه اللعبة ، فلم يصدقوا أحداً ، اما الرجل فانه خرج من المدفن ، واختبأ وأوصى اصحابه أن لا يخبروا أحداً بفعله خشية ان لا يصيبه أذى من أحد،ثم اعاد الناس فريقاً منهم ، واطلعوهم على المكان والتابوت ، فلم يروا شيئاً ،وهدأ بذلك روعهم .

ومنها : اليوم الأخير من رمضان يعملون فيه الحسنة ، وكذلك يفعلون في اليوم التاسع من ذي الحجة ويسمى الاول يوم وقفة الغرباء ، والثاني يوم الوقفة ويوم عرفة .

العادة في الصوم :

اذا ثبت رمضان غيّر أهل المعرة كثيرا من عاداتهم التي كانوا يدرجون عليها ايام الفطر، واتخذوا مجتمعات لهم في الليل والنهار والاسواق والجوامع.

اما الأسواق فانها كانت تفتح في ليالي رمضان، ولا تفتح في غيره، ويكثر باعة الحلاوة المصنوعة بالسمسم والجوز، وانواع الحلوى المتخذة من العجين، وتظل الاسواق مفتحة الى نحو ثلث الليـــل، وينزل الاولاد الى الاسواق زرافات ووحدانا، وقد كان هذا قبل فتح شارع أبي العلاء، امابعد فتحه، فأكثر الحوانيت يفتح الى نحو منتصف الليل.

وفي النهار كانوا يتخذون بعض الاطعمة للأطفال وغيرهم، ويكثر الناس من التردد إلى الاسواق في النهار، لاسيما بعد صلاة العصر، ويتخذون من ذلك وسيلة للتسلي، وإضاعة وقت من النهار الذي يطول على الصائمين.

والعادة التي يجري عليهاجمهور الناس، ان الرجل يستيقظ من نومه وقت الضحوة، فينزل الى السوق، ويأخذ منه حاجته من الطعام والشراب وغيرهما، ثم يذهب الى عمله في الحكومة، ان كان له عمل فيها، او الى حانوته ان كان له حانوت، فان لم يكن له عمل، ذهب الى الجامع الكبير وقت الظهر، وصلى مع الجماعة، وحضر قراءة شيء من القرآن، أو قرأ شيئاً منه.

وقد كانت العادة أن مفتي المعرة يجتمع مع أناس في المسجد بعد صلاة الظهر، فيقرأون جزءاً من القرآن في كل يوم من ايام رمضان، ويشركهم فيه من أراد، وتستمع العامة والأميون قراءة القراء، ثم ينصرفون.

فاذا قربت صلاة العصر، خرج المؤذنون ومعهم فئة من الناس الى منارة الجامع، فذكّروا، والتذكير أبيات ينشدها أحد المؤذنين، او صلوات على

النبي ﷺ يقولها أحدهم ، فاذا حان الوقت أذنوا جوقة أي جماعة ، فاذا سمعهم الناس تهافتوا الى الجامع ، لان هذا الوقت يستيقظ فيه كل نائم ، ويفرغ فيه اكثر العمال ، فاذا فرغ الامام من صلاة العصر ، وانتهى المؤذن من أوراده ، قعد أحد العلماء في المسجد ، وقرأ درساً يعظ فيه الناس ، ويعلمهم شيئاً من احكام الصلاة ، والصوم ، وغيرهما ، فيستمع اليه فريق من الناس ، ويجلس آخرون حلقات في المسجد ، فترى في كل ناحية حلقة مؤلفة من أناس ، وحدت بينهم الصداقة ، او الحاجة ، او الفراغ ، او التجارة ، او نحو ذلك ، ولا تخلو حلقة من غيبة زيد ، او الكلام في عمرو ، وانتقاد هذا والافتراء على ذاك ، ويقطعون في ذلك جزءاً كبيراً من الوقت ، لانهم يرون فيه تسلية ، ويستعذبون نهش الأعراض واثارة الفتن والشغب .

ثم يخرج معظم الناس الى السوق ، او الى ربض المدينة ليسلوا أنفسهم ، ويروحوا عنها عناء الصوم ، فاذا حان وقت الغروب ، أوى كل شخص الى بيته ، او الى المكان الذي يريد أن يفطر فيه ، فاذا حان وقت الافطار ، أشار رجل معين الى المؤذن ، فأذن وضرب المدفع ، وأفطر الصائمون .

ومما جرت به العادة الى سنة ١٣١٩ هـ ان الذي يتولى إعلام المؤذن ، بدخول الوقت لابد ان يكون من بني الجندي ، وقد كان والدي رحمه الله في العهد المذكور هو الذي يشير الى المؤذن بأن يؤذن ، واذا غاب كنت أقوم مقامه .

وبعد ان يفرغ الصائمون من الطعام وغسل الأيدي ، يصلون المغرب في بيوتهم على الأكثر ، ومنهم من يصلي العشاء في بيته ، ومنهم من يصلي التراويح في المسجد ، او في محل آخر ، لأن بعض الناس يصلون جماعة في منازلهم او في زواياهم .

وبعد انقضاء صلاة التراويح ، يتفرق النـــاس الى أمكنة مختلفة ، لأغراض مختلفة ، فمنهم جماعة يتدارسون القرآن في الجامع ، ومنهم من يذهب الى السوق ، او المقهى ، او منزل أهله ، أو اصحابه ، أو منازل الاعيان المعدة للضيوف ، وقـــد يؤلفون جمعيات للسهر في رمضان ، ويظل الناس بين نائم وساهر ، حتى يحين اذان السحور ، وهو عبارة عن اجتماع طائفة من المؤذنـين وغيرهم في منارة الجامع الكبير ، فينشد رئيسهم أبياتاً ، وبعد انتهاء كل شطر منها ، يقول الباقون : يامولاي ياحي ياحي يالله ياحي .

ومن الأبيات التي يكثر تداولها في هذا الأذان قولهم :

طرقْتُ بابَ الرَّجا والناسُ قد رَقَدوا
وقمتُ أَشكو إلى مولايَ ماأَجِـــدُ
وقلتُ يا أَمَلِـي في كلِّ نائِبَـــةِ
ومَنْ عليهِ لِكشفِ الضُّرِّ أَعتَمِدُ

الى آخر الأبيات ، ولهم لحن خاص لإنشاد الأبيات ، ورد الجماعـــة لايقولونه الا في وقت السحر .

وقبل هذا الأذان يخرج المُسَحِّر ، وهو رجل يطوف على المنـازل ، وهو يضرب بالكُوبة أي الدربكة ، ليوقظ النائمين ، وينبه الغافلين ، ويذكر الناسين والسـاهـين بأن وقت السحور قد حان ، فهو يطوف على الأبواب ، ويضرب بالكوبة ، وينشد أبياتاً في توحيد الله ، أو في مـــدح رسوله ، أو يرتجل جملا نثرية ، وكل ذلك بأنغام مخصوصة ، وألحـان معروفة ، ولا يزال يفعل ذلك حتى يؤذن الفجر ، ومن العادة أن هذا المسحر يطوف على المنازل وقت الافطار ، وهو يضرب بكوبته ، ويترنم بأناشيده ، فيعطيـــه بعض

الناس شيئاً من الطعام أو الدراهم ، وكذلك يفعل بعضهم في وقت السحر ، ويعطونه عيدية في يوم العيد .

وبعد هذا الأذان الأول يتسحر الناس ، وينام فريق منهم ، ويذهب فريق آخر الى المسجد ، وهناك جماعة مخصوصون يقرأون ورد السحر ، ويذكرون الله ويسبحون الى وقت صلاة الفجر .

وبعد هذا الأذان بساعة ، يؤذن المؤذن أذاناً ، يوحد الله فيه ، ويصلي على رسوله ، وقد ينشد أبياتاً في هذا المعنى ، وأكثر الناس يتسحر بعد هذا الأذان ، وفي بعض الأمصار يكون هذا الأذان قبل الفجر بساعة وربع ، ويمسكون عن المفطرات بعد هذا الأذان بربع ساعة فهم يمسكون حتى يؤذن الفجر ، ويسمون هذا الوقت وقت الامساك ، فاذا انقضى يؤذن أذان الفجر المشروع ، فيصلي الناس ، ثم يذهبون الى حاجاتهم من نوم أو عمل .

وتسير الناس على هذا الشكل الى أول العشر الأواخر من رمضان ثم اذا أراد أحدهم أن يعتكف لزم الجامع ليلا ونهارا ، وأرسل اليه أهله طعامه وفراشه ، فلا يخرج من الجامع الا بعد صلاة العيد ، والغالب أن يكون المعتكف من العلماء ، وقد جرت العادة أن كبراء المدينة وأعيانها يقدمون طعاماً للمعتكف من خير الطعام طيباً ونفاسة وكثرة ، فيأكل ، ويطعم آذن المسجد ، ومن فيه من الفقراء ، وقد يقدم اصحابه ، وذوو قرباه له الطعام أيضاً .

وقبل أن ينتهي الشهر بخمسة أيام أو سبعة ، يودع المؤذنون شهر رمضان ، ومعنى الوداع أن كبير المؤذنين ينشد أبياتاً ، يتحسر فيها على فراق الصوم وشهره ، ويعتذر عما فرط منه من التقصير فيه ، فاذا انتهت الابيات قال بقية المؤذنين هذه الجمل :

فودعوه ، ثم قولوا له ياشهرنا هذا عليك السلام

ويفعلون ذلك في أذان الظهر يوم الجمعة ، وفي أذان العصر ، والعشاء والسحور ، الى آخر ايام رمضان ، وعقب الاذكار التي تكون عقب الصلاة ، ثم ينوب عنه التكبير من بعد صلاة العصر ، من يوم عرفة وآخر شعبان ، وقد تشارك العامة المؤذنين في التوديع ، سواءً أكانوا في منازلهم ، أم في الأسواق ، أم في المسجد .

خصائص رمضان :

لشهر رمضان أحوال ليست لغيره من الشهور ، وهي كثيرة :

منها : تباهي الناس في الأطعمة والأشربة ، فان كلا منهم ، ينوع طعام الفطور والسحور ، ويعدده بقدر طاقته ، أو فوق طاقته ، ويعد جملة من الأشربة ، والكوامخ (١) والمشهيات ، بما لا يفعل بعضه في غير رمضان .

ومنها : كثرة الدعوات والولائم ، فان كبراء الموظفين وأعيان المدينة وبعض تجارها يتخذون ولائم يدعون اليها جماعة من اخوانهم ، وجيرانهم ، وخلصانهم ، ورؤسائهم ، ويتبارون في تكثير الاطعمة ، وتنويعها ونفاستها ، ومنهم من لو اجتمعت الجن والانس في غير رمضان على أن يأكلوا في بيته لقمة مااستطاعوا .

ومنها: المواظبة على اقامة الشعائر الدينية ، والشعور بالرحمة والعطف فانك تجد الجامع مكتظاً بالمصلين في وقت الظهر ، والعصر ، والعشاء ، وفيهم من لا يدخل المسجد في غير رمضان ، ولا يصلي فريضة ولا نافلة في غيره .

---

(١) مفردها كامخ : ادام يؤتدم به ، وخصه بعضهم بالمخللات واللفظة فارسية .

وترى اناساً يتصدقون بمال أو طعام ، وفي غير رمضان لو رأى الناس كلهم يموتون من الجوع ماسمحت نفسه لواحد منهم بدرهم ولا بلقمة .

ومنها : الاكثار من الغيبة واغراء بعض الناس ببعض ، فان اكثر الصائمين يجتمعون في المسجد قبل صلاة العصر وبعدها ، وينهشون أعراض الناس ويبهتونهم ويتقولون عليهم ما لم يقولوا لايقاع الفتنة ، فيما بينهم .

ومنها: شراسة الأخلاق ، فان اكثر الناس يملأ جوفه من السحور ، وينام الى الضحوة الكبرى ، ثم يستيقظ فترى وجهه عابساً مقطباً ، وقد احمرت عيناه ، وانتفخ ودَجاه(1) وشمخ أنفه ، وتنفج جسمه حتى كأنه زق منفوخ، وترى الشر واللؤم في أسارير وجهه ، والحمق والبذاءة والسفه تتدفق من فمه ، وقد تأهب للشر والمهاترة فاذا خاطبه أحد سلقه بلسان حديد ثم اعتذر بأنه صائم . فيلقى أهله منه مالا تحتمله الجبال الراسيات ، ويحتمل منه اصحابه وقرباؤه ما لا يحتمله الناس من البغال الشُّمس ، ثم يمنُّ على الناس بانه صائم ، وهكذا يقضي سحابة يومه ، ومن الناس من يسب ويضرب ويكسر الآنية ، ويظهر من الحمق ما لا يظهر من المجانين ، كل هذا لأنه صائم .

ومنها : خروج المسحر قبل أذان السحور ، وبعد الافطار كما قلنا .

ومنها : أذان السحور المتقدم ذكره .

ومنها : ايقاد المصابيح في منارة الجامع من قبيل المغرب الى قبيل الفجر .

ومنها : خروج الاطفال بعد الافطار وطوافهم على البيوت .

ومنها أذان الجوقة(2) في وقت العصر والعشاء .

---

(1) في الصحاح للجوهري ١ : ١٦٦ : الودج والوداج : عرق في العنق وهما ودجان

(2) في الصحاح للجوهري ٢ : ٧٢ : الجوقة : الجماعة من الناس .

ومنها : صلاة التراويح .

ومنها : ورد السحر .

ومنها : خروج الناس في أول ليلة من رمضان وفي الثانية والثالثة من منازلهم ، لتهنئة اقربائهم وأصحابهم بدخول رمضان ، وبعد انقضاء الليالي الثلاث ، تكون التهنئة بمثابة قضاء العبادة بعد فوات وقتها .

ومنها: ختم التراويح ، فيجتمعون في الجامع ليلة الثلاثين من رمضان، وبعد صلاة التراويح يجلسون حلقاً ، ويقرأ عليهم مفتي المدينة أو وكيله ابياتاً يأسف فيها على فراق رمضان ، وعلى تقصيرهم فيه ، فيما يجب ويندب من الطاعة والاخلاص ، بنغمات موروثة ، وكلما أتم أربعة أشطر ، قال الحاضرون بصوت واحد الله الله الله الدائم الله، على نغمة الابيات ، الى أن تنتهي ، ثم يدعو لهم ، ثم يخرجون الى ساحة المسجد فيهللون ، ويوحدون .

ومنها : عمل الحسنة ، في آخر يوم من رمضان ، وهي عبارة عن طعام، يعطى للفقراء ، ويتقارضه الاغنياء في اليوم المذكور ، وقد تقدم ذكره ، وكذلك يفعلون في يوم عرفة ، ويسمون الأول يوم وقفة الغرباء ، والثاني يوم الوقفة ويوم عرفات .

ومنها : دفع صدقة الفطر من الموسرين ، فيعطى منها المسحر وخادمة الحمام وبعض الجيران والاقرباء وغيرهم ، والغالب أن تدفع قبل يوم العيد .

وأكثر البلدان الشامية تجري فيها أنواع من العادات المذكورة ، وقد تزيد وتنقص .

العادة في الاعياد :

إذا أذن العصر من آخر يوم من رمضان ، ومن اليوم التاسع من ذي الحجة ، ابتدأ الناس بالتكبير ، ثم يمتد بعد صلاة المغرب الى طلوع الشمس ، في البيوت والطرق ، والمنائر ، ويبقى في المسجد الى أن يشرع الامام في صلاة العيد .

وأكثر الناس لاينامون ليلة العيد لأسباب مختلفة ، فمنهم من يقضي ليله في الصلاة ، ومنهم من يذهب الى الحمام ، ومنهم من يجلب لأهله مايحتاجون اليه من طعام ، ولباس ، وغيرهما ، ومنهم من يقضيه في البيع ، وهكذا لكل صنف من الناس عمل .

أما اعيان المدينة فيجتمع أهل المحلة القبلية مثلاً عند زعيمها ، ثم يزورون اعيان المحلة الشمالية مجتمعين ، ويهنئونهم بالعيد ، وكلما زاروا واحداً اصطحبوه معهم لزيارة غيره ، حتى يزوروا جميع الأعيان في المحلتين ، وفي يوم العيد يزور الناس موتاهم ، ويزور الاعيان رؤساء الحكومة ، ويزور بعضهم بعضاً ، ويزورهم غيرهم ، ويتزاور الاقرباء والاحباء جميعاً خلال أيام العيد الثلاثة .

وقد جرت العادة ان يعطي الرجل حين يزور غيره شيئاً من المال لخادم المزور ، أو ولده ، فاذا رد له الزيارة أعطى خادمه او ولده بقدر ماأعطى الأول .

ومن المعتاد ان الرجل يصنع ألواناً مختلفة من الطعام ، ويبسط مائدة عظيمة ، وكلما زاره أحد ، دعاه الى المائدة ، فكان عليه لزاماً أن يأكل منها بقدر مايحب صاحبها ، لان الأكل على قدر المحبة ، ولو قدر عليه ان يزور خمسين رجلا او اكثر لوجب ان يأكل من خمسين مائدة ، وهم يسرفون في اتخاذ الاطعمة ، وتنافسها وتعددها .

ولكن عادة الطعام ، بدأت بالاضمحلال ، قبل ان أهاجر من المعرة سنة ١٣١٩ هـ وأصبح اكثر الناس يقتصر على تقـــديم الملبّس والراحة والغُريّبة أو المعمول .

والملبّس حبة من فستق أو لوز ، يجعل عليها غشاء من سكر ، والراحة مركبة من سكر ونشاء ، يعالج بالطبخ حتى يصير لزجاً مرناً ومنهم من يحشوها فستقاً ، والغريبة دقيق وسكر وسمن ، تجعل أقراصاً رقيقة مثقوبة الوسط ، والمعمول يتخذ من دقيق وسكر وسمن ، ويحشى فستقاً او لوزاً ، وتجعل أقراصه مستديرة ، مقببة من الأعلى ، مبسوطة من الأسفل .

ويسمون زيارة العيد معايدة ، ويشتقون منها افعالا فيقولون : عايده ، وعايد عليه ، وذهبنا نعايد ، واذا زار أحدهم صديقاً ، ولم يجده وضع له في بيته بطاقة ، لتشعر بزيارته ، ومنهم من يرسل الى أصدقائه وأهله بطاقة او برقية يهنئه فيها برمضان او العيد اذا كانوا خارج المدينة .

وقد خرجت مع والدي ، وانا صغير الى المعايدة ، فدخلنا دار رجل بين الفقير والغني ، فلما أردنا الانصراف ، أدخلنا غرفة ، فوجدنا في أرضهـــا مائدة مفروشة على الأرض ، وعليها ألوان من الطعام من كبب ، ومحاشٍ ، وخضر مطبوخة باللحم ، وفيها أنواع من الحلو كاللوزينج(١) والكرابيج ، وغيرهما وكله من صنع صاحبة المنزل ، ولا أبالغ اذا قلت ان ما في المائدة يتجاوز عشرين نوعاً من الطعام المختلف ، وقد كلفتني صاحبة المنزل وزوجها أن آكل من جميع مافيها ، فاعتذرت وشكرت ، وهذه المائدة بقية العادة السابقة ، وكان الناس يأكلون ألواناً مختلفة في بيوت متعددة ، فيصابون بالتخمة ، فيقولون : ان طعام العيد ثقيل ، أو يقولون : فلان رفسه العيد .

---

(١) نوع من الحلوى يشبه القطائف يؤدم بدهن اللوز .

عيد الإضحى والأضاحي :

يتميز عيد الاضحى من عيد الفطر بأمور : منها : ان ثبوت عيد الاضحى يتم على الغالب قبل اليوم التاسع ، ويعلن في وقت صلاة العصر في المآذن والثكنات ، باطلاق المدافع وغيرها ، وعيد الفطر قد يتأخر ثبوته الى اليوم الثاني يوم العيد ؛ لعدم إكمال شعبان ، وعدم رؤية الهلال .

ومنها : ان التكبير يبتدئ في الاضحى بعد صلاة الصبح من يوم عرفة عقب كل صلاة ، وينتهي بعد صلاة العصر من آخر أيام العيد ، ويكون كالفطر ليلة العيد كله الى نهاية صلاة العيد .

ومنها: انه تكون الاضاحي فيه ، ويبتدىء وقتها من انهاء صلاة العيد الى آخر أيام العيد .

الاضاحي :

اختلفت كلمة العلماء في الأضحية ، فقيل : انها سنة ، وقيل : انها واجبة بشروط مبينة في كتب الفقه . وقد جرت العادة أن يضحي الرجل عن نفسه ، أو عن أبيه أو أمه ، أو موصيه ، بكبش أو أكثر . وهي تجوز من الغنم الضأن والمعز ، والبقر والابل ، ولكن أكثر الناس يضحون بالغنم ، والغالب فيهم ان يضحى في اليوم الأول .

فاذا فرغ من صلاة العيد ، احضر الجزار الى داره ، ويكون أهله قد أطعموا الضحية وسقوها ، وألبسوها أنواعاً من الحلي والزينة .فيذبحها ويقطعها ثم ينصرف ، ثم يتولى صاحبها توزيعها ، فيعطي ماطاب للاغنياء ولأهله ، ويأخذ لنفسه قسما ، وقد يعطي الفقراء مما فضل ، وعلى هذا درج اكثر الناس

في تقسيم أضاحيهم ، حتى كأنها تركة ميت ، يأخذ الغني منها بالفرض ، فينال أطيب مافيها ، ويأخذ الفقير مافضل منها بالتعصيب فينال الأعصاب والعظام المجردة ، وما أشبه ذلك .

وأهل المعرة يروون عن بعض علمائهم أن امرأة سألت عالماً عن أضحيتها ، فقالت : انني ضحيت بكبش عظيم ، فسبق الى ذهن العالم انها تريد أن تعطيه شيئاً من الاضحية ، فقال : حسناً فعلت ، ثم قالت : فاعطيت الجلد الى جدتي لتصلي عليه ، فقال : اعنت على خير ، ثم قالت : واعطيت سدس الضحية الى امي ، وأعطيت ثلثها الى أخواتي ، واخذت نصفها لي ولأولادي . فاغتاظ العالم ، لأنه يئس من ان ينال شيئاً ، فقال لها : نرجو الله ان يتقبل منك ، ثم قالت : هل اركب عليها يوم القيامة ؟ فقال : تركبين على أيري يوم القيامة .

وقد نظمت حادثة تشبه هذه وانا صغير فقلت :

يقولُ : جعلتُ أُضحيَتي سِهاماً ... فنالتْ ثُلثَها أمِّيَ العجُوزُ
ولي نصفٌ وللاخوات سُدسٌ ... وللجَـدِّ الإهابُ فهلْ تجوزُ
وقُلْ لي هلْ أجوزُ غداً عليها ... فقلتُ إذَنْ على أيري تَجوزُ

والزيارات والتهنئات والاطعمة ، تكون في هذا العيد مثل ماتكون في عيد الفطر .

العادات في الزيارات والنذور :

اذا مرض احد ، وكان عزيزا على ذويه ، أو كان غائبا عنهم ، أو كان يتوقع نعمة ، أو يخشى نقمة ، ينذرون له كبشا يذبحونه ، أو طعاما يصنعونه . في مقام رجل من الصالحين ، فإذا برىء من مرضه ، او عاد من سفره ،

او بلغ ما يأمله ، دعا اهله جماعة من اقربائهم واحبائهم ، وربما راح فريق من غيرهم معهم ، وذهبوا جميعا الى ذلك المقام للايفاء بالنذر ، فان كان في المعرة تم على الوجه الذي ذكرناه في زيارة المتمشيا ، او جدار الخضر ، او السلطان أويس اوغيرها ، وان كان بعيداً أعدوا العدد ، وهيأوا الأهب ، ثم اجتمعوا في صبيحة اليوم المعين للسفر ، فضرب الطبل ، ونفخ الزمر ، واجتمع الناس ، ثم مشوا بين لاعب بالسيف او العصا ، وبين مسابق غيره على جواده ، وبين حامل او محمل زاده ، وبين مغن باناشيد معينة ، حتى يخرجوا الى ربض المدينة .

وربما اشترك معهم اصحاب النوبة ، فيضربون بالمزاهر والطبول والصفاقتين ، ويجردون انواعا من الاسلحة ، وينشرون صنوفا من الاعلام والالوية ، فاذا جاوزوا ربض المدينة ، طووا كل ذلك ، وساروا رجالا وركبانا ، بين ذكور واناث ، حتى اذا بلغوا المقام حلوا الرحال ، وضربوا الخيام ، وذبحوا وطعموا ، واطعموا ، وذكروا وتصدقوا ، وربما اقاموا اياماً ، فاذا قضوا نسكهم هذا ، عادوا الى المعرة ، وقبل ان يصلوا الى ربضها ، يلبسون افخر الملابس ، ويركبون الخيل المسومة ، وهم مدججون باسلحتهم ، ويكتحلون ويتزينون ، ثم ينقسمون قسمين : الاول اصحاب الطرق ، وهؤلاء يضربون بالمزاهر كما قلنا ، ثم يضربون مريديهم بتلك الاسلحة ، اما في خد ، او صدر ، او بطن ، او نحو ذلك ، وربما مات بعضهم من اثر الجرح ، واحيانا يستلقي الناس على وجوههم على الارض ، فيركب الشيخ دابة ، ويدوس بها على ظهورهم ، فيتبركون بذلك ، ويستشفون به من اوجاع الظهر او الصلب ونحوها ، ويقود الدابة فوق ظهورهم احد تلاميذه ، وقد اتفق مرة أن داست الدابة فوق خصية رجل ، فكاد يموت ، ويسمى وطء الدابة على ظهور الناس

بالدوسة لأنها تدوسهم بحوافرها، ويكون اكثر الشيوخ والكهول مع هؤلاء .

الثاني : الشباب، وهؤلاء يضربون بالطبل والزمر ، ويلعبون بالسيوف والتروس، وعلى ظهور الخيل، ويهزجون، ويبرجون، ويمرجون، حتى يصلوا الى دار الناذر فيودعونه ، ويهنئ بعضهم بعضا بالسلامة ، ثم ينصرف كل الى محله وعمله، ثم يتوافد الناس على منزل الناذر، فيسلمون عليه، ويهنئونه بالسلامة، ويباركون له.

أما الأماكن التي يؤمونها من أجل ذلك، وهي خارج المدينة فكثيرة منها مقام النبي أيوب (ﷺ) .

ومنها : مقام الشيخ عيسى وهو عيسى بن عيسى بن علي بن علوان السرجاوي العليمي توفي سنة ٧٠٧هـ في جمادى الأولى، ودفن في مقام في قرية سرجة(١) من عمل ادلب .

ومنها : مقام الشيخ احمد الصياد .

ومنها : مقام الشيخ ريح ، أي الشيخ يوسف الرّوجي ، وهو في قضاء ادلب .

ومنها : مقام السلطان عمر بن عبد العزيز ، وهو في قرية يقال لها الدير كما يأتي .

ومنها : حمام الشيخ عيسى ، وهو على مقربة من العاصي .

العراضة :

ويسمون هذا الاجتماع على هذه الصورة (عَراضة) ولهـا آداب ونظم تجب مراعاتها ، منها أن محلة اذا أرادت أن تجتاز محلة أخرى ، وجب

---

(١) في معجم البلدان لياقوت ٣: ٧٠ ويقال لها سرجة بني عليم .

أن يكون ذلك برضا شبابها ، وأن يحيوا رجالاتها ، ويخفضوا الاعلام اجلالا لها ، وكذلك يفعلون بكل رجل له مكانة ، فان أخلوا بشيء من تلك العادات ثارت فتنة عمياء ، واشترك فيها رجال المحلات من شيوخ وكهول وشبان، وربما قتل وجرح فيها عدد غير يسير .

وقد شهدت عراضة وأنا صغير ، اضطرمت فيها نار الثورة والفتنة بين أهل المحلة الشمالية ، والمحلة القبلية ، احتدمت فيها الحرب بين الفريقين على مقربة من مسجد أبي العلاء الى الشمال والغرب ، واثخن عدد عظيم من الجرحى ، ثم خشيت أن يصيبني منها وابل أو طل ، وحذرني ذلك بعض الرجال، ففررت الى داري حتى وضعت الحرب أوزارها .

وهم يتبجحون بذكر هذه الفتن ويتحدثون في مجتمعاتهم عما وقع فيها ويعظمون ما ظهر من البطولة فيها ، حينا بعد آخر ، ويروي الخلف عن السلف ما فعله فلان ، وما اظهره من الشجاعة في واقعة كذا، وهذه كلها موروثة عن أهل البادية ، متأصلة في نفوس اهل المدينة .

فاذا قدر الله ان لم يقع شيء من هذا ، قامت فئة مؤلفة من بيرقدار وهو حامل اللواء ، وشيخ شباب ، وهو عميدهم الذي يرتضونه لذلك ، وجماعة ممن يلعب بالسلاح السيف والعصا ، ومعهم آخرون ينشدون ، وآخرون ينظرون ، فطافت على منازل الاعيان والموسرين ، فيقفون على باب المنزل فيضع صاحبه على سنان الرمح ، او رأس العلم خلعة ، وقد كانت في الغالب جبة ثمينة ، فاذا فرغوا من ذلك ، اجتمعوا في محل ، وجاء أصحاب الخلع ، فيدفع كل واحد شيئاً من الدراهم القليلة ، ويسمى ذلك فكاكاً ، ثم يأخذ خلعته ، ومنهم من لا يأخذها ، ثم تقتسم الجماعة هذه الاموال على سهام معروفة ، بعد

ان يأخذوا منها ماصرفوه من نفقات ، ولهم في ذلك قواعد واصول يراعونها .

واما الزيارات والنذور التي تكون في المدينة فأنواع ، والمزوورون كثيرون ، يأتي المريض ، أو يؤتى به ، الى مقام رجل من الصالحين ، فيقف على شباكه ، ويقرأ الفاتحة ، وما تيسر من القرآن ، ثم ينذر ماشاء من طعام أو ذبيحة ، أو زيت يوقد على قبره ، أو شمع أو دراهم يتصدق بها عن روحه ، ثم يأخذ قطعة من ثيابه ، فتعلق على الشباك ، ثم يذهب ، وقد يكون مثل ذلك للغريب او للسجين ، وغيرهما من ذوي العاهات ، والمحن والحاجات ، فاذا برىء المريض ؛ أو قدم الغائب ، أو قضيت حاجة الرجل ، جاؤا بالزيت أو الشمع ، الى خادم المقام ، ليوقده ، وربما أكله ، أو باعه ، وتصدقوا بالدراهم ، ونحوها ، على وفق مانذروا .

وقد ترى على شبابيك بعض الأولياء أنواعاً من الخرق مختلفة في الأزمان ، والألوان ، ولو أراد انسان ان يتتبع لاستطاع ان يعرف ماهو مرغوب فيه من أنواع الثياب ، وألوانها في كل عصر ومصر .

واما الأضرحة ، ومن فيها في داخل المدينة ، فلم اتمكن من معرفة كثير منهم ، من هؤلاء : الشيخ ويس في شرقي المدينة .

ومنهم : الشيخ حمدان

ومنهم : السلطان ويس

ومنهم : الشيخ سيف

ومنهم : الست نفيسة

ومنهم : الهبوبي

ومنهم : الشيخ محمود

ومنهم : الشيخ العنان

ومنهم : الشيخ منصور

ومنهم : محمد العجمي

ومنهم : نور الدين

ومنهم : محمد المصري

ومنهم : راعي الوز

ومنهم : الشيخ عنبر في حمام الزهور

الأغاني الشعبية :

اذا استقرى الانسان ماذكرناه من شعراء المعرة ، وهو قل من كثر ، أو قطرة من بحر ، يتعجب كيف ابتعدت هذه المدينة عن الفصاحة ، والشعر الصحيح ، وكيف تغلبت اللغة العامية ، حتى في الأغاني بين العامة والخاصة من أهلها ، فلهم في كل محفل نوع من الأناشيد ، ولهم في كل موسم نوع منها ، يحرصون فيه على رعاية القافية ، ولو أدى ذلك الى قصر ممدود ، أو عكسه ، أو ابدال حرف بغيره ، أو اهمال معجم ، أو خروج عما يقتضيه القياس الصحيح ، والغالب في أغاني الأفراح الغزل ، او مايقرب منه ، وفي الأعياد ورمضان مايتصل بالعبادة ، وفي العراضة مايشعر بالحماسة والشجاعة ، ومن هذه الأناشيد مايشبه لغة الحشكل فلا يكاد يفهمه أحد ، ولا يستطيع رده الى أصل صحيح .

فمن ذلك أناشيد الولادة ، اذا ولد لأحد غلام ذكر ، ارسل شيخ الكتّاب غلمانه الى دار المولود له ، فيدخلونها ، ويقولون بصوت واحد : صبحكم بالخير ، ولو كان الوقت غير صباح ، ويمطونها على تقاطيع معروفة ، ثم ينشدون ،

ولهم عريف يتقدمهم في الانشاد ، ويتعهدهم ، كيلا يخلوا بالوزن والقافية والنغم ، ولهذا النوع أناشيد متعددة منها :

الحمدُ للهِ عَلَى خَيْرِ ٱلسَّبَبْ   وٱلشكرُ للهِ عَلَيْنَا قَدْ وَجبْ

وكل نشيد ينشده طلاب الكتاتيب ، ويأخذون عليه هبة أو صلة ، يسمى صريفة ، لأن الشيخ يصرفهم من المكتب عقب رجوعهم اليه ، وإن كان في أول النهار أو وسطه ، وهكذا يفعل بقية شيوخ الكتاتيب ، وبعض الموسرين يعطي الطلاب والشيخ معاً .

وقد ينشدون في الولادة هذه القصيدة ، كما ينشدونها عند ختم الولد ، وفي العيد أيضاً :

سلامٌ سلامٌ سلامٌ سـلامْ   سَلامي عَلَيكُمْ فَرُدّوا السلامْ[1]
سلامي على أَهْلِ هـذا المقام   إذا جُنَّ ليلٌ وناحَ الحَمَامْ
سلامٌ عَلَيكُمْ أتيناكُمُ   نُهَنّيكمُ ٱليومَ بهذا ٱلْغُلامْ
تعيشونَ حتى ترَوا نَسْلَهُ   ويُجْلى عريساً كَبَدْرِ ٱلتمامْ
وَيُبْقيهِ رَبّي لَكُمْ شَمْعَـةً   ويجعلهُ في حفظِ خيرِ الأنام
ونقرا وندعُو لكمْ جَمعنـا   وخَتْمٌ مُباركٌ عَليكمْ تمـامْ
هنيئاً هنيئاً نشيدُ ٱلغُـلامْ   وابركُ يومٍ وأسعدُ عامْ

* * *

(١) اعتمدنا في ضبط هذه الأبيات وما يليها ما يجري به ظاهر الانشاد واللفظ لا ما تقتضيه القواعد النحوية .

فيارب سلم لنا ذا الصبي   بحرمة محمد نبي عربي

* * *

نبي بمكة وزمزم ربي   ومن معجزاته تظلله الغمام

الى آخرها وهي أربعة عشر بيتاً .

وكذلك ينشدون :

علمونا يا أحبتنا   وأجلسونا في مكاتبنا

فكلام الله يعجبنا   وبه يرفع الله منازلنا

من قرا القرآن ينجح به   وبه المولى يسامحنا

إن خير الخلق أوصى به   أحمد المختار سيدنا

وأبي ينجح ووالدتي   ثم شيخ كان يقرئنا

بشروا القرا به سعدوا   وجنان الخلد لهم سكنا

ماأحسن الصبيان إذا اجتمعوا   في المكاتب يقرؤن لنا

كبدور النور حف بهم   وكساهم بهجة وسنا

يا إلهي بالنبي العربي   زيل عنا الهم والحزنا

فشدونا تفرحون بنا   وأبشروا بالسعد فهو لنا

وامنح إلى شيخي مغفرة   وعريف ثم منشدنا

ثم نختم بالصلاة على   أحمد المختار سيدنا

فهو ذخرُ المسلمينَ غداً   وبِهِ المولَى يسامِحُنا
بعدَ هذا القولِ صلوا على   خير خلقِ الله سيدِنا

وقد ينشدون في الختمة ، في صريفة العيدين هذه الأبيات :

جِيناكُمْ جِيناكُمْ   قَصَدْنا حِماكُمْ
لَوْلا كلامُ اللهْ   ما كُنّا جِيناكُمْ

* * *

جِئناكُمْ يا أسيادِي   منْ أقصى البلادِ
فَعجلوا بالقِرى   فقد حَدَا الحادي

* * *

هذا اليوم يا أسيادِ   فيه تسعد القصادِ
ونحنُ معشرَ الأولادِ   قد علونا بالإسعادِ

* * *

يا ذا المنهلِ الصافي   جودوا بالعَطَا الوافي
عبدُكم غدا محتاجٍ   فمنوا بالإتحافِ

* * *

يا أشرفَ البرايَا   أسرارُكم خَفَايا
فأنتم أهلُ اللهِ   وسواكمْ رَعَايا

* * *

يا معشرَ الإخوانِ وعُصبةَ الرحمنِ
صبرِي بكم فاني والعمر في نقصانْ

* * *

إني بكمْ مُغرمْ ياذا العَطا الأكرمْ
منْ فاتَكمْ ينْدَمْ ولم ينلْ عَطاكُمْ
أسيادي يا أسيادي فأنتمْ للقُصّادِ
عبدُكم غَدا محتاجْ يرتجي مِنْ نداكمْ
هذا اليومْ يا أعيانْ فيه تقصدُ الإخوان
من بركم والإحسان فالقصد لا يخفاكمْ
جودوا وامنحوا الراجي مَن أتاكم محتاجِ
عبدُكم لكم راجي يحتمي في حماكُمْ
بالأخلاق الرضيةْ والهمَمِ القويةْ
يا سادةَ البريةْ ادخلوني حماكمْ

* * *

بالهاشمي المختارِ الكامِلِ الأنوارِ
أرجو الغفرانَ والفضلَ والإمدادْ

ومما ينشد عند قراءة المولد النبوي ، وقد ينشد في غيرها من المحافل الدينية قولهم :

يا راحلينَ إلى مُنى بِقيادي | هَيَّجْتُمُ يومَ الرَّحيلِ فُؤادي
سِرْتُمْ وَسَارَ دَليلُكُمْ ياوحْشَتي | ألشَّوْقُ اقْلَقَنِي وَصوْتُ الحادي

ومنها :

مَنْ نَالَ مِنْ عَرَفَاتَ نَظْرَةَ سَاعَةٍ | نالَ السُّرُورَ ، ونالَ كُلَّ مُرَادِ
فإذَا وَصَلْتُمْ سَالِمينَ ، فَبَلِّغوا | مِنِّي السَّلامَ عَلَى أُهَيْلِ الوَادي
وَتذكَّرُوا عِنْدَ الطَّوافِ مُتَيَّماً | صَباً ، ضَنَاهُ الشَّوْقُ ، والإبْعادِ

وهي واحد وعشرون بيتاً في المجموعة الحلبية ، وليست من أناشيد العامة ، وإنما هي لشاعر يقال له عبد الرحيم ، كما صرح فيها بقوله :

قُولوا لهُ عَبْدُ الرحيمِ مُتَيَّمٌ | قَدْ يَتَّم الأطفالَ والأوْلادْ

وقد تصرفت فيها العامة تصرفاً سيئاً ، فكثر فيها اللحن والتحريف .

ومما ينشد عند قراءة المولد قولهم :

صُبحُ الهُدَى مَلأ الوجودَ سُرُوراً | لما بَدَا وجهُ الحَبِيبِ مُنيرَا
أطلعتَ ياشهرَ الربيعِ مُشَرّفاً | قَمراً يَفوقُ معَ الكمالِ بُدُورا
وَتَرنَّمَ الأَطيارُ عِنْدَ وِلادِهِ | فَرَحاً وَمَالَ الْغُصْنُ مِنْهُ حُبورا

وهي خمسة عشر بيتاً .

وقد عبثت بها العامة ، فكثر فيها الاختلال في الوزن .

أناشيد الأعراس:

اذا لبس العريس ثيابه في دار احد اصدقائه ليلة الزفاف كما قدمنا ، خرج المحتفلون به ، وألفوا شبه دائرة ، يقف العروس فيها في الناحية التي يتجه منها الى داره، ووقف الى جانبيه اثنان من خلصانه، وفتحوا منديلا مطرزا بين يديه ، يمسك كل واحد منها بطرف منه ويسمى هذا المنديل جوّاري ، وأهل دمشق يسمونه شورى ، ويسمى كل واحــد منهما (سَخْدُوج) وتسير المصابيح الكثيرة بين يديه ، ثم ان كل واحد من الواقفين على جانبيه بعد السخدوجين ، يضع يده على كتف الآخر فينشدون بنغم خاص أناشيد موروثة ، فاذا مر بهم رجل وجيه ، أو مروا بمنزل وجيه ، صاح احدهم ، وهـو الذي يتولى هذه الحفلة ، مربوط ، فتقف الجماعة ، ثم ينشد احدهم مواليا فيه مايشعر بمدح من وقف لاجله ، ثم يقول كلهم : (بَرّو تاريّة فلان عشقنه دوس) ، ثم يعودون الى النشيد والسير ، حتى اذا قربوا من منزل العروس ، انشدوا بسرعة ، عرج ياحادي ..

ثم انشد احدهم مواليا ، ثم فارقهم العروس ودخل داره .

أما الأناشيد فكثيرة ، لانهم لايجتازون الطريق الا بوقت طويل ، منها:

شِفْتَ أنَا حَمُّودْ فِي سوق سارُوجه   وَالْعُيونْ اَلسُّودْ وَاَللَّفّـه عُوجه
قِلتْ لُو حَمُّودْ ياعِيني باابْنْ الخُوجه   قال لِّي مَابِحْسِنْ مَحْكُومْ عْلَيّا

دور

شفْتَ انَا حَمُّودْ ياعِيني بسوق العَصْرِ   أَبو عُيونْ اَلسُّودْ رقيقْ الخَصِرِ
قِلْت لُوحَمُّودْ شَرِّفْ عَلَىَ قَصْرِي   قالْ لِي مابِحْسِنْ محكومْ عْلَيّا

دور

ياسلام سلّمْ ياعيني سلّمْ على الغالي   والعيونْ السودْ ياعيني اشغلت بالي
قلت لوحمودْ ياعيني وقفْ قبالي   قال لي مابحسنْ ياعيني محكومْ عليّا

* * *

فاذا قال مربوط انشد احدهم مواليا، وهو أنواع منه قولهم:

أَباتْ بأبحار وأصبحْ فُوقْ جمر النّوى
ومن الحزنْ ما يسلّيني حجازْ ونوى
عقبْ النخلْ عادْ يزرعْ لي زماني نوى

* * *

شمسْ الضحى غرّبتْ بجفونْ سلمى وعصرْ
ورفاقتي الحينْ فاتوني بذاكَ العصرْ
واللّي تنودوا من الخلان صُبْحة وعصرْ
يومينْ يومْ الثلاثا على القبايح نوى

ثم يقولون جميعا :

الله عشقنه دوس

فاذا اقتربوا من العروس انشدوا :

عرّج ياحادي نحو الحمى   وانزلْ على الوادي
وادي العقيق   بلّغ أشواقي إلى الحبيب
لعندْ محمّدْ زينْ الملاح

إلى أن يقولوا :

صَلِّ يارَبِّ على النبي صَلِّ يارَبِّ على النبي طَهَ الإجانَا بالبيِّنَه
واغفر لِلْجَانا ابن الطبيب سارت أَحبابي عند اَلصَّباحِ
لعندْ مُحَمَّدْ زينْ المِلاحِ

الى آخره ، ومن أناشيدهم :

وَنَا شَرَدْ مِنّي غزالْ الوادي آآ يا عينْ
واطْلِعْتْ أَدوّر في حَلَبْ ونادِي حبيبي فينْ

إلى آخره ، ومنها :

ياوَارِدَة عَلى العِينْ يامَلاّية ياقَامْطَة الأبْيَضْ عَلى الجُورَايه
سماح يا عين
ياقامْطَة الأبيضْ على اَلتُفَّاحِ عندَ الحِليوَى رَاحِت الارواحِ
سماح يا عين

أناشيد الأعياد :

قبل أن يحل عيد الفطر ، والأضحى بخمسة أيام ، يطوف صبيان المكاتب على دور الموسرين والوجهاء ، فيدخلونها ، وينشدون أناشيد معروفة ، فيعطيهم صاحبها شيئاً ، ثم يجمعون مايأخذونه ، ويدفعونه الى شيخ الكتّاب ، فاذا فرغوا ، انصرفوا الى مابعد العيد . وهذه وسيلة لإعانة شيخ المكتب في ايام العيد ، لانه لا يستطيع الكسب ولا العمل فيها . ومن أناشيدهم في عيد الفطر :

خيرُ عَشْرٍ هَلَّ فينا | وابشرُوا ياصائمينـا
بالنَّبِي طَـهَ المُمَجَّدْ | هو غداً يشفَعُ فينـا
خيرُ خلقِ اللهِ أحمَـدْ | قدحَوَى عَقْلاً ، ودِينا
إبنُ زمزمْ والمشاعِرْ | والصَّفا والمرْوتَيْنا
أحمدُ الهـادي الممّجدْ | ألنبي طَـهَ الأمينـا
وحمـامُ الأيكِ باضَتْ | ورَآها المشْركينـا
يا إلهي بجَـلالِـكْ | أنتَ ربُّ العـالمينَ
بلغ المشتـاق زوراً | لأكرم المرسَلِـين

وهي ثلاثون بيتاً .

ومنها في عيد النحر ، وقد يضعون واحداً مكان الآخر ، فينشدون :

خيرُ عَشْرٍ هـلَّ فينـا . . . .

في كلا العيدين

والغالب انهم في العيد الكبير أي الأضحى ،ينشدون أبياتاً يذكرون فيها قصة اسماعيل الذبيح وأبيه ابراهيم ، ويذكرون الرحيل الى الحج والتشوق اليه ، وما يفعله الحجاج ، من ذلك قولهم :

صلّوا على أحمَدْ | يا حاضِرينـا | زينِ البَـرَايا | والعَـالمِينَ
حَلَبي وشامي | في كل عامٍ | زين التهامي | هُمْ طالِبينـا
يا مَنْ هوغافِلْ | شدوا المَحَامِلْ | للبدر كاملْ | طَهَ الأمينا

في شهرِ شوالْ شدُّوا لهُ الأَحمالْ وقـائلٍ قـالْ هَذَا نبينـا
شالُوا المحاملْ فوقَ ٱلقَنَـاطِرْ بحـوتِ قـادِرْ هُمْ رَائِحينَا
شَـالَوا الحُمُولْ دقُّوا ٱلطبـولْ إلَى الرسـولْ هُمْ طَالِبِينا

وهي سبعة وعشرون بيتاً .

ومنه قولهم :

يَاسَائِلي عَنْ قِصّةِ الخليلِ وما أَتـى في مُحْكَمِ ٱلتنزيلِ
لمّا رأى الخليلُ في منامِـهِ أَن يذبحَ اسماعيلَ في أَحلامِهِ
فقامَ منْ منامِـــهِ مَرعُوبا مُبْتَهِلا ودَمْعُـهُ مَسْكُوبا
وقال يابُنَيَّ قـــدْ أَراني ربُّ ٱلعُلَى ذبحَكَ في ٱلعيـانِ
فانظرْ حبيبي مَا الذي فيه الرِّضا فقال إِني صابرٌ لِمـا قَضَـــى
فحينَ فهمتْ هاجرُ ٱلعبارة طفقَتْ تبكي مِنَ الحَرَارَة
قالَ لهـــا الخليلُ كحِّليه وطيِّبيـــه ثمَّ عطِّـــريه
ولبِّسيهِ افخرَ ٱلثيـــابِ وَوَدِّعيه وَدَاعةَ الأَحبابِ
قالتْ عَلىَ مَ قدْ عزمتَ قلْ لي وَمَـا ٱلذي أَضمرتَـه أَبِنْ لي
فقـالَ إِني قـاصدُ الزِّيارة لمن إِليه تَرْبحُ ٱلتجـارة
فاسرعتْ بالولدِ الميمونِ وَدمعُها أَعمى إِلى الجفونِ

قالتْ لهُ لما سرى ياولدي أودعكَ اللهَ الكريمَ الأبدي
إلى الخليلِ ، قد بدَتْ تقولُ والنارُ في أحشائها تجولُ
باللهِ عجّلْ في رجوعِ ولَدي قرةِ عيني وحُشاشةِ كبدي
فأخذَ الطفلَ سريعاً ومَضى وترك الأم عَلى جَمْرِ الغضا
وصار يسعَى قاصداً نحوَ الجبلِ وهو مُجدٌّ مُسْرِعٌ على عَجَلِ
قال له : رأيتُ في المنامِ أذبَحُكَ اليومَ أيا غُلامي
فعند ذلكَ قالَ إسْماعيلُ : افعل بما أمركَ الجليلُ
فشُدَّني يا أبتِ وَثيقاً ولا تكُنْ يا أبتِ شَفُوقا
لاتلطخِ الدّم عَلىَ ثيابي ولا تخبّر أمي بالمُصَابِ
لأنها تبكي عَلى فِراقي وتسكبُ الدمعَ مِنَ الأماقي
فأضجعَهُ الخليلُ فوقَ الثّرىَ وعينُ إسماعيلَ تنظر وترى
فركّبَ السكينَ فوقَ الحلْقِ وقال : بسم اللهِ ربِّ الخلقِ
فانقلَبتْ في كفّه مَلْويـه لمّا رأى الرحمنُ صِدْقَ النّيّهْ
فضَجّتِ الأملاكُ في السماءِ بالذكرِ والتسبيحِ ، والدُّعاءِ
قائلةً أما ترى الخليلا يريدُ أنْ يذبحَ إسماعِيلاَ
إذا النّدا منَ العُلا أتاه أن اذبحِ الكبشَ لهُ فِداهُ

فاذبَحُوا ، ذا واجبٌ صحيحُ قدّسَهُ نَبيُّنَـا المَليحْ

واتّبعوا ٱلسُّنَّةَ في ٱلقرآنِ وأخلِصُوا ٱلنيّةَ للرحمنِ(١)

ومنه قولهم :

يابرقُ شامي بلّغْ سلامي على مُحَمَّدْ خيرالأنامِ

يابرق لَمِلمْ إنْ زرتَ زَمْزَمْ صلي وسلّمْ على ٱلتهامي

يابرق اِطلعْ في الليل والمعْ مُخْتَار اِشفع يوم الزحامِ

اِسمُه مُحَمَّدْ طـهَ المُمَجَّدْ نورُه يصعَّد عَلَى الدوام

يابرقُ ابرقْ في الليل علّقْ الله يفرقْ يوم الزحامِ

قصدي أَزورُهْ أَحظَى بنورُهْ فاحتْ عطورُهْ مسك الختامِ

شدّوا ومُدوا للإبلِ يحدو ما عادُوا ردُّوا مِنْ بعد عامِ

شدّوا المَطَايا لِخيرِ ٱلبَرَايا مُعطي ٱلعَطَايا نسْلِ ٱلكِرامِ

(١) لم اوفق الى نقل هـذه الاناشيد عمن يحفظها من اهل المرة ، ولكنني رايت مجموعة عنوانها مجموعة النشائد لاولاد المكاتب الاهلية مطبوعة في حلب ، فنقلت منها هذه القصيدة وغيرها ، وحافظت على هذا الاصل ، وان كان فيه لحن واخلال بالوزن : وانا احفظ ابياتا تزيد على هـذا الاصل ، وابياتا فيها رواية على غير هذا الوجه ، فمن الزائد قوله : وكلما ركبها تميل يدفعها عن نحره جبريل

بعد قوله : فركب السكين فوق الحلق ... ومن المروي على وجه اخر غير ماذكرناه قوله : ونزل الكبش من السما ... بدل قوله واذ الندا من الملا أتاه ..(ج).

شدوا المجارات في كل الجارات طلبوا الزيارات إلى التهامي
مما وصلنا قلبي تهنّا قال المغني نلت المرام
يانفسُ سيري إلى البشير فهو ذخيري يومَ القيام
صلي وسلّمْ على ابن زمزمْ طه المعظّمْ خير الأنام

أناشيد رمضان :

اذا دخل رمضان ، يخرج في كل ليلة بعد الافطار جماعة من صبيان المحلة يجتمعون ، ثم يطوفون على بعض الدور ، فيطرقون الابواب ، ثم ينشدون ، فيخرج لهم اصحاب الدار اما طعاماً ، او دراهم ، فيجمعونها ، ويقتسمونها بينهم ، وقد يكون ابن صاحب الدار معهم ، وهم يستحسنونها من الاطفال ، وربما شاركهم بعض الرجال في دار خاصة للتسلي والمزاح .

ومن أناشيدهم فيها :

حَاجي ياحاجي	ياصفار اقداحي
ما يلعَبْ ابن السلطانْ	إلا بالرماحِ
دولابِ دولابي	سكّرْ حلبي
دولابي قزازْ	مُحَمّلْ بالجهازْ
دولابي أبو ركبه	نط وقع في العتبي
بالله عليكِ يا أم فلان	تقومي لنا هالدولابْ

ثم ينتظرون هنيهة ، فاذا لم يخرج اليهم شيء قالوا :

الحمامه عالسطوح تعطوها والاّ بتروح

فاذا أخرج اليهم قالوا :

ليفه على ليفه صاحبة الدار نظيفه

واذا لم يخرج شيء انصرفوا الى دار غيرها ، وربما أنشدوا في بعض المواطن :

بلاطة على بلاطة صاحبة الدار ضـ...

أناشيد العراضة :

لهم في العراضة أغان مخصوصة بها ، تشتمل على شيء ، ينم على شجاعة ، أو نجدة ، ولكن بعض الفاظها قد لا يهتدى الى فهم معناه ، أو إرجاعه الى جمل صحيح ، منها قولهم :

هويّا ياولاد محارم هويّا شدوا المقارم

هويّا مقارم صيني هويّا شغل الفنيني

هويّا فتّيني بنقطه هويّا نقطه بصراع

هويّا شرب العراق هويّا عراق سود

هويّا شغل القرود هويّا ياحاجي بابا

هويّا عرني حصانك هويّا لشد واركب

هويّا عابلاد الصين

إلى آخرها

أوربما كان أصـــل البيت الاول « ياولاد محارب ، شدوا المقانب » وقد سمعت بعضاً من هذا النشيد من أطفال دمشق وشبابهم في عراضة .

طلوع الاسنان :

اذا بدأت اسنان الولد بالظهور دعت أمه جماعة من أهلها وأهل زوجها وجيرانها وأصدقائها في ليلة تعينها لذلك ، فيجتمعن ويقضينها في العزف والرقص والغناء والقصف ، وربما أحضرت مغنيات خاصة لإقامة حفلة .

ثم تقدم للمدعوات طعاماً مؤلفـــاً من سليقة ،وهي حنطة تسلق حتى تنضج ، ثم يوضع فوقها فستق ولوز وجوز وحب رمـان حلو ، ويذر فوقهـا شيء من السكر ، ومنهم من تزيد سنوبراً على ذلك ، ومنهم من يفرق هـــذا الطعام في جيرانه وخلصانه وأقربائه ، فيأكلونه في بيوتهم .

عيد ميلاده :

أخذ الشاميون من الفرنسيين وغيرهم من الغربيين ، الاحتفال بعيـــد الميلاد للصغار والكبار والأحياء والأموات ايضاً .

القرى والمزارع التابعة للمعرة

التقسيات الادارية لمنطقة المعرة (١) :

تقسم منطقة المعرة التابعة لمحافظة ادلب الى مركز للمعرة وناحيتي خان شيخون وقلعة المضيق : أما مركز المعرة فيتبعه خمسة مخافر ومائة وعشر قرى واحدى وتسعون مزرعة، ويتبع ناحية خان شيخون مخفر واحد وتسع قرى وخمس عشرة مزرعة ، ويتبع ناحية قلعة المضيق مخفر واحد واثنتا عشرة قرية وأربع عشرة مزرعة ، واتماماً للفائدة ، فصلنا ذلك بجدول يبين اسم المدينة و القرية أو المزرعة والمزارع المرتبطة بها ، والمسافة التي بين المخفر ومركز المنطقة أو الناحية بالكيلومتر ، ونوع الطريق الذي بين القرية ومركز المنطقة أو الناحية .

---

(١) أخذها المحقق عن التقسيات الادارية المطبوعة بدمشق سنة [illegible]

منطقة معرة النعمان : ناحية — مركز المعرة — مخفر المعرة

الرقم المتسلسل	اسم المدينة أو القرية أو المزرعة	المزارع المرتبطة بها	المسافات بالكيلو متر (عن) المخفر	مركز الناحية	مركز المنطقة	نوع الطريق بين القرية ومركز الناحية
١	أبو مكي		١٧	—	١٧	ترابي
٢	بسيدة		٧	—	٧	معبد
٣	التح — يتبعها :	تحتايا	١٥	—	١٥	ترابي
٤	تلدبس (تل دبس)		٢٠	—	٢٠	ترابي
٥	تل منس		٨	—	٨	معبدوترابي
٦	جرجناز — يتبعها :	مغلول	١٢	—	١٢	ترابي
٧	الحراكي		١٧	—	١٧	ترابي
٨	حران		١٥	—	١٥	معبدوترابي
٩	الداتا — يتبعها:	بابيلا — جرادة	٦	—	٦	ترابي وعر
١٠	دير سنبل[1] (دير سنبل)		١٢	—	١٢	جبلي وعر

(١) وقد صدر مرسوم اشتراعي عن رئاسة المجلس الوطني لقيادة الثورة تحت رقم ٢٥٤ بتاريخ ١٩٦٣/١١/١٢ جاء في المادة الثانية منه ما يأتي: تفصل قرى دير سنبل — شنان — ومركيا ، وتتبعها مزرعة حنتوتين عن منطقة المعرة ، وتلحق بناحية احسم التابعة لمنطقة اريحا .

الرقم المتسلسل	اسم المدينة أو القرية أو المزرعة	المزارع المرتبطة بها	المسافات بالكيلو متر (عن) المخفر	مركز الناحية	مركز المنطقة	نوع الطريق بين القرية ومركز الناحية
١١	ديرالشرقي (الدير الشرقي)	—	٦	—	٦	ترابي
١٢	ديرالغربي (الدير الغربي)	—	٨	—	٨	ترابي
١٣	الرفة	—	١٧	—	١٧	معبد
١٤	شنان(١) (اشنان)	—	١٨	—	١٨	معبد
١٥	صرمان	—	٢٠	—	٢٠	ترابي
١٦	الخدفة - يتبعها :	أبودفنة – برقة	١١	—	١١	ترابي
١٧	كفر باسين – يتبعها :	حنتوتين	١٤	—	١٤	ترابي وعر
١٨	كفر باسين – يتبعها :	بابولين (٢) مرحطاط، الوجيهة، معبدحرونة، أبوحبة	٧	—	٧	ترابي
١٩	كفررومة (كفر روما)		٥	—	٥	ترابي

(١) وقد صدر مرسوم اشتراعي عن رئاسة المجلس الوطني لقيادة الثورة تحت رقم ٢٥٤ بتاريخ ١٩٦٣/١١/١٢ جاء في المادة الثانية منه ما يأتي : تفصل قرى دير سنبل (دير سنبل) – شنان – ومركيا وتتبعها مزرعة حنتوتين عن منطقة المعرة، وتلحق بناحية احسم التابعة لمنطقة اريحا ،

(٢) وصدر قرار في ٢٤ شباط ١٩٦٤ يقضي بفصل مزرعة بابولين عن قرية كفر باسين وجعلها قرية ،

الرقم المتسلسل	اسم المدينة أو القرية أو المزرعة	المزارع المرتبطة بها	المسافات بالكيلو متر (عن) المخفر	مركز الناحية	مركز المنطقة	نوع الطريق بين القرية ومركز الناحية
٢٠	معرة النعمان (مركز المنطقة)		٠		٠	معبد
٢١	معرشماوين ـ يتبعها :	العاملية	٥	—	٥	معبد
٢٢	معرشمشة		٣	—	٣	ترابي
٢٣	معرشورين ـ يتبعها :	صوامع	٥	—	٥	ترابي
٢٤	معصران ـ يتبعها :	عيان	١٥	--	١٥	ترابي
٢٥	المرعية		٢٠	—	٢٠	ترابي
٢٦	الملية ـ يتبعها :	قراطلي	١٥	—	١٥	معبد

منطقة معرة النعمان ـ ناحية مركز المعرة ـ مخفر تل حلاوة

الرقم المتسلسل	اسم المدينة أو القرية أو المزرعة	المزارع المرتبطة بها	المسافة بالكيلو متر (عن) المخفر	مركز الناحية	مركز المنطقة	نوع الطريق بين القرية ومركز الناحية
	أبو العليج ـ يتبعها:	جب الغصب، المكسر التحتاني، المكسر الفوقاني	٨	—	٥٠	ترابي
٢	تل حلاوة ـ يتبعها :	خيرية صغيرة	٠	—	٦٥	ترابي
٣	تل حمارة ـ يتبعها :	نويبدة شرقية	١٤	—	٤٧	ترابي
٤	حوا ـ يتبعها :	نباز	١٥	—	٤٥	ترابي
٥	حوايس ـ يتبعها :	ابو حية ، مويلح صباعية ، وادي جهنم	١٣	—	٧٣	ترابي
٦	خيرية كبيرة ـ يتبعها :	رسم برجس	٣	—	٧٣	ترابي
٧	دوادية(داوودية)ـيتبعها :	ربيع الهوا ، رملة	١٣	—	٤٧	ترابي
٨	غزيلة ـ يتبعها :	رسم الخشوف	١٠	—	٥٠	ترابي
٩	مريجب الشمالي ـ يتبعها:	ثلجة، الهرش، يطوشية	٦	—	٥٢	ترابي

منطقة معرة النعمان ــ ناحية مركز المعرة ــ مخفر تل خنزير

الرقم المتسلسل	المدينة أو القرية أو المزرعة	المزارع المرتبطة بها	المسافة بالكيلو متر (عن) المخفر	مركز الناحية	مركز المنطقة	نوع الطريق بين القرية ومركز الناحية
١	ابو دالي		٧	—	٣٦	ترابي
٢	ابو عمر		٩	—	٣٤	ترابي
٣	ام الخلاخيل ـ يتبعها :	ام صهريج	١٢	—	٣٠	ترابي
٤	تل خنزير ـ يتبعها :	الفركة	٠٠	—	٤٥	ترابي
٥	تل مرق		١٥	—	٣٠	ترابي
٦	حزم ـ يتبعها :	قصر شاوي ربيعة شاوي ـ مزرعة محمد حسين عيد	١٠	—	٥٠	ترابي
٧	حمدانية		١٣	—	٣٢	ترابي
٨	خوين الكبير (خوين بن عنز)		١٥	—	٢٧	ترابي
٩	الدجاج		٧	—	٣٥	ترابي
١٠	دوما		١٤	—	٥٤	ترابي
١١	ربدة		١٠		٥٠	ترابي

الرقم المتسلسل	المدينة أو القرية أو المزوعة	المزارع المرتبطة بها	المخفر	المسافة بالكيلو متر (عن) مركز الناحية	مركز المنطقة	نوع الطريق بين القرية ومركز الناحية
١٢	ربيعة موسى		٨	—	٤٠	ترابي
١٣	الرويضة	يتبعها : ام تريكية ، باشكوي ،شطيب	١٠	--	٥٠	ترابي
١٤	الطامة		٨	--	٣٣	ترابي
١٥	الطليسية		١٠	—	٤٠	ترابي
١٦	عرفة		٧	—	٤٥	ترابي
١٧	الفرجة		١٦	—	٢٥	ترابي
١٨	القصر الابيض (روضة حوا)		١١	—	٣٤	ترابي
١٩	قصر علي		٧	—	٥٠	ترابي
٢٠	قليعات (الطويبة)	يتبعها : حكية	٤	--	٤٠	ترابي
٢١	مريجب المشهد	يتبعها : المشهد	١٠	—	٥٢	ترابي
٢٢	المشرف	يتبعها : [illegible]	-			

منطقة معرة النعمان ـ ناحية مركز المعرة ـ مخفر حزارين

الرقم المتسلسل	اسم المدينة أو القرية أو المزرعة	المزارع المرتبطة بها	المسافة بالكيلو متر (عن) المخفر	مركز الناحية	مركز المنطقة	نوع الطريق بين القرية ومركز الناحية
١	بسقلا ـ يتبعها :	الشيخ حبش	٧	—	١٠	ترابي
٢	ترملا (ترملة) ـ يتبعها : اربنبة ، فطاطرة سطوح الدير ، مشرفة شحشبو ، لويبدة ، ام نير قبلية ، ام نير شمالية .		١٢	—	٢٩	ترابي
٣	جبالا		٥	—	١٥	ترابي
٤	حاس ـ يتبعها :	ارمنايا	٨	—	٧	ترابي
٥	حزارين ـ يتبعها :	معرتصين ، (معرة الصين) ، معر جلع	•	—	١٧	ترابي
٦	دار الكبيرة		١	—	١٨	ترابي
٧	رأشا الشمالية ـ يتبعها : رأشا الجنوبية ، شورين		١٣	—	٣٠	ترابي
٨	سفوهن ـ يتبعها :	أرلا	١١	—	٢٨	ترابي
٩	فطيرة		٦	—	٢٣	ترابي
١٠	فقيع ـ يتبعها :	المشيرفة ، العجرة	٨	—	٢٥	ترابي

الرقم المتسلسل	اسم المدينة أو القرية أو المزوعة	المزارع المرتبطة بها	المسافة بالكيلو متر (عن) المخفر	مركز الناحية	مركز المنطقة	نوع الطريق بين القرية ومركز الناحية
١١	قصابية ـ يتبعها :	حورته ، بعربو	١٥	—	٣٢	ترابي
١٢	قوقفيتين (قوقفين)		١٨	—	٣٥	وعر
١٣	كفر سجنة ـ يتبعها :	شيخ دامس ركايا سجنة ، موقة ، معر تارح	١٦	—	١٦	ترابي
١٤	كفر عويد ـ يتبعها :	الحلوبي	١٤	—	٣١	وعر
١٥	كفر ثيل ـ يتبعها :	معر تمرتحس	٥	—	١٢	ترابي
١٦	كورسعة ـ يتبعها :	ملاجة	٥	—	٢٢	ترابي
١٧	كوكبة الطويلة ـ يتبعها :	كوكبة القصيرة ، فليلفل ، كفر موسى	١٠	—	٢٧	ترابي
١٨	معر تحرمة (معرة حرمة) ـ يتبعها :	الشيخ مصطفى	٧	—	١٥	ترابي
١٩	معرة تماتر (معرة ماتر) ـ يتبعها :	بسيقة	٧	—	١٢	ترابي
٢٠	معر زيتا		٧	—	١٢	ترابي

منطقة معرة النعمان ـ ناحية مركز المعرة ـ مخفر سنجار

الرقم المتسلسل	اسم المدينة أو القرية أو المزرعة	المزارع المرتبطة بها	المخفر	المسافة بالكيلو متر (عن) مركز الناحية	مركز المنطقة	نوع الطريق بين القرية ومركز الناحية
١	ابوشرجة (ابو شرجي)		١٣	—	٢٠	ترابي
٢	إعجاز		٩	—	٢٥	ترابي
٣	برتقانة		•	—	٣٧	ترابي
٤	برسة (برصة) ـ يتبعها :	تل كرسيان ، ابوجريف ، جب سمكة ، سمكة ، المدمومة	١٨	—	٢٠	ترابي
٥	برتان ـ يتبعها :	ربيعة برتان	١٤	—	٢٨	ترابي
٦	بريصة ـ يتبعها :	سرجة غربية (السرج)	٢٠	—	١٥	ترابي
٧	تل ذم		١١	—	٢٢	ترابي
٨	الجهان		١٠	—	٤٣	ترابي
٩	خوين الشعر ـ يتبعها:	خربة الحوين ، اصطبلات ، حلبان	١٨	—	٢٣	ترابي
١٠	خيارة ـ يتبعها :	ابو طعيجة	٥	—	٢٨	ترابي

الرقم المتسلسل	اسم المدينة أو القرية أو المزرعة	المزارع المرتبطة بها	المسافة بالكيلو متر (عن) المخفر	مركز الناحية	مركز المنطقة	نوع الطريق بين القرية ومركز الناحية
١١	رسم العبد		٧	—	٢٥	ترابي
١٢	زفر الكبير	يتبعها : زفر الصغير	١٧	—	٣٥	ترابي
١٣	سحال		١٨	—	٢٠	ترابي
١٤	سرجة شرقية		٧	—	٢٦	ترابي
١٥	سنجار	يتبعها : المتوسطة	٠	—	٣٣	ترابي
١٦	الشعرة		١٢	—	٢٢	ترابي
١٧	الشيخ بركة	يتبعها : الحردانة ام مويلات ، ام الملاهيل	٥	—	٣٥	ترابي
١٨	ضراع		٥	—	٣٨	ترابي
١٩	صريع		٨	—	٤١	ترابي
٢٠	الصقيعة		١٤	—	١٩	ترابي

الرقم المتسلسل	اسم المدينة أو القرية أو المزرعة	المزارع المرتبطة بها	المسافة بالكيلو متر (عن) المخفر	مركز الناحية	مركز المنطقة	نوع الطريق بين القرية ومركز الناحية
٢٣	فحيل جلاس	يتبعها : ام رجيم	٩	—	٣٠	ترابي
٢٤	فروان		١٧	—	٣٢	ترابي
٢٥	قطرة		١٤	—	٢٠	ترابي
٢٦	كراتين صغير	يتبعها : الحيصة ، مرعيا (بيرايا)	٧	—	٣٨	ترابي
٢٧	كراتين كبير		٩	—	٢٨	ترابي
٢٨	كرسنتة	يتبعها : البرج	٢٠	—	٢٠	ترابي
٢٩	كفريا		٩	—	٢٢	ترابي
٣٠	كنايس		٢٥	—	٢٠	ترابي
٣١	لويبدة شمالية (رويبدة)		١٦	—	٣٠	ترابي
٣٢	مشيرفة شمالية	يتبعها: ام تينة (تل تينة) تل خزنة	١٣	—	٢٥	ترابي
٣٣	مغارة ميرزا (مرزة)		٢٠	—	٣٥	ترابي

منطقة معرة النعمان ـ ناحية خان شيخون ـ مخفر خان شيخون

الرقم المتسلسل	اسم المدينة أو القرية أو المزرعة	المزارع المرتبطة بها	المسافة بالكيلومتر (عن) المخفر	مركز الناحية	مركز المنطقة	نوع الطريق بين القرية ومركز الناحية
١	ام جلال		١٨	١٨	٢٥	ترابي
٢	التمانعة ـ يتبعها :	سكيات، العزيزية	١٠	١٠	٣٢	ترابي
٣	حيش ـ يتبعها :	مزده	١٣	١٣	١٣	معبد
٤	خان شيخون (مركز الناحية) ـ يتبعها :	صقر ، عاس ، صالحية ، نصب ، الحميدية	٠٠	٠٠	٢٥	مزفت
٥	سكيك		٨	٨	٣٣	ترابي
٦	موقة		٥	٥	٢٠	ترابي
٧	هبيط ـ يتبعها :	كفر عين ، نقير ، عابدين ، زيتونة	١٢	١٢	٣٧	معبد

منطقة معرة النعمان ـ ناحية قلعة المضيق ـ مخفر قلعة المضيق

الرقم المتسلسل	اسم المدينة أو القرية أو المزرعة	المزارع المرتبطة بها	المسافة بالكيلو متر (عن) المخفر	مركز الناحية	مركز المنطقة	نوع الطريق بين القرية ومركز الناحية
١	باب الطاقة		٥	٥	—	ترابي
٢	تل هواش ـ يتبعها :	قيراطة ، حردانة الحميرات ، قروطية ، سحاب ، جابرية ، زعزاعية	٨	٨	٤٣	ترابي
٣	تويني ـ يتبعها :	حويجة السلة	٥	٥	—	ترابي
٤	الجماسة (الجماسية)		٩	٩	—	ترابي
٥	جماسة عديات (الشريعة)		٩	٩	—	ترابي
٦	الحويجة الشمالية		١٩	١٩	—	ترابي
٧	الحويز الشمالي (التحتاني)		١٩	١٩	—	ترابي
٨	الحويز القبلي (الفوقاني)		١٩	١٩	—	ترابي
٩	دير سنبل (ديرسنبيل) ـ يتبعها :	كاوري	٢٨	١٨	٤٣	ترابي
١٠	شهر ناز ـ يتبعها :	شير مغار ، قره جرن ، العربة	١٤	١٤	٤٠	ترابي

الرقم المتسلسل	اسم المدينة أو القرية أو المزرعة	المزارع المرتبطة بها	المسافة بالكيلومتر (عن) المخفر	مركز الناحية	مركز المنطقة	نوع الطريق بين القرية ومركز الناحية
١١	قلعة المضيق (مركز الناحية) - يتبعها :	ميدان الغزال .	٠٠	٠٠	٤٨	معبد
٢١	الكريم - يتبعها :	زور الوحل	٠٠	٠٠	٤٨	معبد

إحصاء نفوس المدينة والضاحية
ومقدار مافي كل منها من النفوس

ليس المدينة ، ولا لضاحيتها ، احصاء صحيح في القـــديم ، ولا في الحديث ، وانما كل ذلك على سبيل التقريب ، وقد كانت الحكومة التركية أحصت نفوسها فبلغت نفوس المدينة نحو (٤٥٧٧) ، وبلـــغ مجموع نفوس المدينة والقضاء نحو (١٨٥٧٠) ، أما الحكومة السورية فقد بلغ المجموع في احصائها الذي عملته سنة ١٣٤٠ ﻫ الموافق سنة ١٩٢٢ م (٢٣٢٨٥) ، وقـد زاد على ذلك وبلغ في غاية سنة ١٣٥٩ ﻫ الموافقة ١٩٤٠ م (٣٦١٨٠) كما هو مثبت في سجل الحكومة على هذا الوجه .

اسم القرية	الناحيـــة	الذكور	الاناث	المجموع
مدينة المعرة	ناحية المركز	٤٣٦٤	٤٥١٠	٨٨٧٤
قرية كفرروما	ناحية المركز	٣٧٥	٣٧٠	٧٤٥
قرية كفرنبل	ناحية المركز	١٠٤٠	١١٨٥	٢٢٢٥
قرية حاس	ناحية المركز	٣٥٩	٤٠٥	٧٦٤
قرية قوقفين	ناحية المركز	٣٢	٢٠	٥٢
قرية فليفل	ناحية المركز	١٦	٢٣	٣٩
قرية فطيرة	ناحية المركز	١٥٩	١١٣	٢٧٢

اسم القرية	الناحيــــة	الذكور	الاناث	المجموع
قرية بسقلا	ناحية المركز	١٦٢	١٥٤	٣٤٦
قرية كفرعويد	ناحية المركز	١٦٢	٢٢٨	٣٩٠
قرية سفوهن	ناحية المركز	١٠٩	٨٧	١٩٦
قرية دير سنبل	ناحية المركز	٣٧	٣٣	٧٠
قرية فركيا	ناحية المركز	١١٢	١٠٧	٢١٩
قرية طليسية	ناحية المركز	٧	٣	١٠
قرية عوفة	ناحية المركز	١١	٩	٢٠
قرية قصر شاوي	ناحية المركز	٨	١٣	٢١
قرية الريدة	ناحية المركز	٨	١٢	٢٠
قرية الرويضة	ناحية المركز	٣	٣	٦
قرية حفية	ناحية المركز	٦	٣	٩
قرية كفر باسين	ناحية المركز	٢٠	٢٣	٤٣
قرية مريجب الشمالي	ناحية المركز	٧	٩	١٦
قرية تل خنزير	ناحية المركز	١٦	١٨	٣٤
قرية ام الجلاخيل	ناحية المركز	٢٠	١٢	٣٢
قرية التيحة	ناحية المركز	٤	٩	١٣
قرية السرج	ناحية المركز	١١	١٥	٢٦
قرية حران	ناحية المركز	١	٢	٣
قرية الرفة	ناحية المركز	٢٣	٣١	٥٤
قرية الملبة	ناحية المركز	٣	٣	٦
قرية ام الملاهيل	ناحية المركز	٦	٣	٩

اسم القرية	الناحيـــة	المجموع	الذكور	الاناث
قرية ام رجيم	ناحية المركز	٨	٤	١٢
قرية ابي دالي	ناحية المركز	٢	٧	٩
قرية الفرجة(١)	ناحية المركز		١	١
قرية المتوسطة	ناحية المركز	١٥	١١	٢٦
قرية الشيخ بركة	ناحية المركز	٢٣	٣٠	٥٣
قرية سنجار	ناحية المركز	٦	٧	١٣
قرية رسم العبد	ناحية المركز	٣	٢	٥
قرية تل خزنة	ناحية المركز	٥	٥	١٠
قرية سرجة	ناحية المركز	٣	٢	٥
قرية برتقانة(٢)	ناحية المركز	١	١	٢
قرية كفريا	ناحية المركز	٢	٢	٤
قرية صيادي	ناحية المركز	٩	٨	١٧
قرية الشعرة	ناحية المركز	٤	٥	٩
قرية ابي شرجي	ناحية المركز	١١	١١	٢٢
قرية كرسنتة	ناحية المركز	١٢	١٤	٢٦
قرية صقيعة	ناحية المركز	٧	١٠	١٧
قرية صرمان	ناحية المركز	٩	١٢	٢١
قرية ابي مكي	ناحية المركز	٢٥	١٥	٤٠

(١) في البيان المقدم من قبل امين السجل المدني بالمرة تعـــد القرية المذكورة ١٤٤ ذكراً و ١٤٥ انثى .

(٢) في البيان المقدم من قبل امين السجل المدني بالمرة انها تعد ٧٥ ذكراً و ٦٠ انثى .

اسم القرية	الناحيـــة	الذكور	الاناث	المجموع
قرية حراكي	ناحية المركز	١٢	٢١	٣٣
قرية ام صهريج	ناحية المركز	٩	٨	١٧
قرية قطرة	ناحية المركز	١٧	١٧	٣٤
قرية خوين الكبير	ناحية المركز	١٤	١٨	٣٢
قرية الحدانية	ناحية المركز	٢٠	٢٤	٤٤
قرية الطامة	ناحية المركز	٤٥	١٠	٥٥
رية ربيعة برنان	ناحية المركز	٨	٦	١٤
قرية فروان	ناحية المركز	٥	٦	١١
قرية السمكة	ناحية المركز	٥	٧	١٢
قرية البرصة	ناحية المركز	٨	٣	١١
قرية ابي جويف	ناحية المركز	١٠	٧	١٧
قرية برنان	ناحية المركز	٩	١٤	٢٣
قرية ام تينة	ناحية المركز	١٠	٨	١٨
قرية المكسر	ناحية المركز	١٤	٨	٢٢
قرية تل عمارة	ناحية المركز	٩	٦	١٥
قرية الداودية	ناحية المركز	٣	٧	١٠
قرية العليج	ناحية المركز	٧	٤	١١
قرية جهان	ناحية المركز	٢٣	٢٥	٤٨
قرية غزيلة	ناحية المركز	٣	٤	٧
قرية صريع	ناحية المركز	١٣	١٥	٢٨
قرية ام ميال	ناحية المركز	١١	٢٢	٣٣

اسم القرية	الناحيـــة	الذكور	الاناث	المجموع
قرية زفر الصغير	ناحية المركز	١٥	١١	٢٦
قرية زفر الكبير	ناحية المركز	١٩	١٥	٣٤
قرية كراتين الكبير	ناحية المركز	٦	٩	١٥
قرية خيارة	ناحية المركز	٢	٢	٤
قرية اشنان	ناحيه المركز	٩٠	٧٦	١٦٦
قرية معر شورين	ناحية المركز	٣٤٢	٤٢٩	٧٨١
قرية جرجناز	ناحية المركز	٤٣٧	٤٢٨	٨٦٥
قرية تل دم	ناحية المركز	١٧	١٨	٣٥
قرية رملة	ناحية المركز	١٠	١٩	٢٩
قرية تل دبس	ناحية المركز	٤٨	٧٣	١٢١
قرية المقدفة	ناحية المركز	١٩٩	١٩٣	٣٩٢
قرية معصران	ناحية المركز	٢٦٥	٢٨٠	٥٤٥
قرية حزارين	ناحية المركز	٢٣٧	٢١٩	٤٥٦
قرية معر شمارين	ناحية المركز	١٤٢	١٦٠	٣٠٢
قرية الدانا	ناحية المركز	١٧٩	٢٣٢	٤١١
قرية تل منس	ناحية المركز	٤٠٢	٤٨١	٨٨٣
قرية الدير الغربي	ناحية المركز	٩٢	٨٠	١٧٢
قرية الدير الشرقي	ناحية المركز	١٥١	١٥٥	٣٠٦
قرية معر شمشي	ناحية المركز	١٣٩	١٢٢	٢٦١
قرية الهرتمية	ناحية المركز	٥	٢	٧
قرية الصوامع	ناحية المركز	١٠	٦	١٦

اسم القرية	الناحيــة	الذكور	الاناث	المجموع
قرية الكنايس	ناحية المركز	٢٥	٣٢	٥٧
قرية كرسيان	ناحية المركز	١٦	١٩	٣٥
قرية خوين الشعر	ناحية المركز	٥	٠	٥
قرية مغارة مرزة	ناحية المركز	٦	٢	٨
قرية قلعة المضيق	ناحية قلعة المضيق	٥١٧	٥١٠	١٠٢٧
قرية دير سنبل	ناحية قلعة المضيق	٣٥	١٠	٤٥
قرية التويني	ناحية قلعة المضيق	١٥٢	٢١٠	٣٦٢
قرية الكريم	ناحية قلعة المضيق	٤٩	٢١	٧٠
قرية جماسة	ناحية قلعة المضيق	١٢٩	١٢٥	٢٥٤
قرية عديات	ناحية قلعة المضيق	٢٤٦	٢٥٨	٥٠٤
قرية الحويز الفوقاني	ناحية قلعة المضيق	١٧٤	١٨٥	٣٥٩
قرية الحويز التحتاني	ناحية قلعة المضيق	٥١	٧٣	١٢٤
قرية الحويجة	ناحية قلعة المضيق	١٠١	٩٧	١٩٨
قرية خان شيخون	ناحية خان شيخون	٢٦٤٦	٢٦٨٠	٥٣٢٦
قرية حيش	ناحية خان شيخون	٣٧٩	٣٦٥	٧٤٤
قرية التمانعة	ناحية خان شيخون	٥٢١	٥٨٥	١١٠٦
قرية كفر سجنة	ناحية خان شيخون	٥٥٠	٦٢٠	١١٧٠
قرية الهبيط	ناحية خان شيخون	٢٨٠	٢٨٥	٥٦٥
قرية معرة حرمة	ناحية خان شيخون	٤٦٤	٤٧٩	٩٤٣
قرية جبالا	ناحية خان شيخون	١٤٦	١٥٣	٢٩٩

اسم القرية	الناحيـــة	الذكور	الاناث	المجموع
قرية معر زيتا	ناحية خان شيخون	١٢٧	١١٥	٢٤٢
قرية التح	ناحية خان شيخون	٢٤٩	٢٤٩	٤٩٨
قرية ترملا	ناحية خان شيخون	٢٧	٢٥	٥٢
قرية معرة ماتر	ناحية خان شيخون	٢٨	١٧	٤٥
		١٧٨٥٥	١٨٣٢٥	٣٦١٨٠

ولا شك أن نفوس القضاء في ناحية المركز وغيرها اكثر مما هو مدون في سجل الحكومة ، يدلك على ذلك أن بعض القرى لم يدون من أهلها الا واحد أو اثنان أو ثلاثة أو نحوها وهذا غير ممكن ، ولقد الف الناس منذ عهد الحكومة التركية أن لا يسجلوا اسماء بنيهم لاسيما الذكور ، ليخلصوهم بذلك من دفع الضرائب الشخصية ومن الخدمة العسكرية لأنها كانت اجبارية على عـــامة المكلفين ، وكانت عمال الحكومة تعلم ذلك وتغضي عنه لأمر مّا .

وقد بلغ عدد نفوس منطقة المعرة حتى ١٤ شباط ١٩٦٣م : (٥٨٥٣٧). نسمة موزعة على البلدان والقرى المذكورة في الجدول التالي [١] :

(١) اخذه المحقق عن أمين السجل المدني بمنطقة معرة النعمان .

اسم القرية أو المدينة	عـــدد الذكور	الاناث	المجموع
معرة النعمان	٨٧٢٩	٨١٣٨	١٦٨٦٧
كفر رومه (كفر روما)	٩٦٥	٨٣٥	١٨٠٠
كفر نبل	٢٧٧٨	٢٧٢٥	٥٥٠٣
حاس	٨٩٦	٨٨٧	١٧٨٣
كفر سجنة	٧١٢	٧٠١	١٤١٣
معرتحرمة (معرةحرمة)	٨٠٦	٧٦٣	١٥٦٩
جر جناز	٨٢٠	٧٥٠	١٥٧٠
معرزيته (معر زيتا)	٣١٦	٢٧٥	٥٩١
جبالا	٢٠٣	٢١٤	٤١٧
ترملا (ترملة)	٧٠	٦٢	١٣٢
معرة ماتر	١٨٧	١٧٥	٣٦٢
فلوفل	٤٣	٣٨	٨١
القطيري	٢١٠	١٣٢	٣٤٢
بسقلا	٢١٢	١٧٦	٣٨٨
كفر عويد	٢١٢	١٩٨	٤١٠
فرقلين	٩٠	٨٥	١٧٥
سفوهن	٢٠٦	١١٢	٣١٨
دير سنبل (دير سنبل)	١٠٠	٨٠	١٨٠

اسم القرية أو المدينة	عـــدد الذكور	الاناث	المجموع
معرتصين (معرة الصين)	٥	٣	٨
شنان (اشنان)	٣١٥	١٣٠	٤٤٥
فركيا	٢١٦	١٧٩	٣٩٥
تلدم (تل دم)	١٨	١٩	٣٧
تلدبس (تل دبس)	١١٧	١١٦	٢٣٣
الغدفـة	٣٠٣	٢٠١	٥٠٤
معصران	٥٨٤	٤٤٢	١٠٢٦
الداناً	٤١٥	٢٥٧	٦٧٢
حزارين	٤٢٢	٣٨٧	٨٠٩
تلمنس (تل منس)	١٣٧٥	٩٤٤	٢٣١٩
ديرالغربي (الدير الغربي)	١٨٩	١٥٩	٣٤٨
ديرالشرقي (الديرالشرقي)	٤٠٠	٣٩٠	٧٩٠
معر شمشة	١٧٣	١٥٣	٣٢٦
كفر باسين	١٠٨	٧٥	١٨٣
ابو دفنة	١٠	١٦	٢٦
حميرات	٥٦	٦٩	١٢٥
راشا	٤٢	٣٢	٧٤
الطوبية	١٩	١٨	٣٧
قليعات	٧	١٦	٢٣
القروطية	٤	٧	١١
دومـا	١٦	١٣	٢٦
حلبان	٦	٦	١٢

اسم المدينة او القرية	عــدد الذكور	الاناث	المجموع
ام مويلات	١٥	١١	٢٦
نبــاز	٢٨	٣٥	٦٣
معر شورين	٥٢٠	٥٣٨	١٠٥٨
الحقنية	١٠٠	٧٧	١٧٧
مريجب المشهد	٥٥	٥٥	١١٠
تلخنزير (تل خنزير)	١٨٠	١١٥	٢٩٥
ابو جريف	٣٤	٣٠	٦٤
ام الخلاخيل	١٤٣	١١٥	٢٥٨
قصر الابيض (القصر الابيض)	٧٥	٧٨	١٥٣
البوسة (البوصــة)	١٠٠	٧٤	١٧٤
كرسعة	٦٧	٥٠	١١٧
الحوين	١٠٠	٩٧	١٩٧
الحمدانية	١٠٠	٧٧	١٧٧
الطامة	١٠٥	٨٠	١٨٥
كرسنتة	٥٣	٣٠	٨٣
الصقيعة	١٠٠	٦٨	١٦٨
صرمان	٩٣	٥٠	١٤٣
ابو مكي	٩٠	٤٠	١٣٠
الحراكي	٨٥	٥٧	١٤٢
النبيجة	٨٨	٦٥	١٥٣
السرج	٢٦	١٠	٣٦
حران	١٠٩	١١٠	٢١٩

اسم المدينة او القرية	عـــدد الذكور	الاناث	المجموع
الرفة	١٠٢	٨٥	١٨٧
طليسية	٩٦	٨٢	١٧٨
عرفة	١٨	١٥	٣٣
قصر شاوي	٣٠	١٩	٤٩
ربدة	١٥	١٠	٢٥
ام تريكية	١٤	١٧	٣١
بليل	٩	٧	١٦
اعجاز	١٠٦	١١٠	٢١٦
كفريا	٧٢	٢٨	١٠٠
الصيادي	٤٢	٣٠	٧٢
الشعرة	٧١	٥٠	١٢١
ابو شرجي	١٠٣	١٠٤	٢٠٧
خوين الشعر	٣٩	٥٠	٨٩
كرسيان	٣٣	٣٠	٦٣
الصوامع	١٢	١٠	٢٢
مغارة مرزة	٤	٤	٨
سمكة	٥٢	٤٥	٩٧
مغر الخنطة	١٠	١٠	٢٠
الروينة	٩	٧	١٦
الدجاج	١٦٠	٧٨	٢٣٨
البرج	٧٨	٥٠	١٢٨
فحيل الجلاس	٦٦	٥٠	١١٦

اسم المدينة او القرية	عـــدد		المجموع
	الذكور	الاناث	
كراتين	٧٥	٧٠	١٤٥
خيارة	٩٥	٧٣	١٦٨
سحال	٦١	٦٠	١٢١
زفر الكبير	٣٤	٣٣	٦٧
كراتين كبير	٩٥	٧٥	١٧٠
المتوسطة	٦٥	٦٥	١٣٠
تلحلاوة (تل حلاوة)	٧٥	٦٥	١٤٠
الفرجة	١٤٤	١٤٥	٢٨٩
الدريبية	١٢	١٢	٢٤
الداوودية	٢٠	١٥	٣٥
رجم المهرة	٦٠	٦٠	١٢٠
الشيخ بركة	١٣٠	٨٥	٢١٥
سنجار	٧٥	٥٠	١٢٥
العوجة	٢٠٠	١٦٠	٣٦٠
صراع	١٠٧	١١٠	٢١٧
ام ميال	٢٤	٢٠	٤٤
رسم الصغير	٤١	٤٠	٨١
رسم الحشوف	٢٠	١٩	٣٩
المكسر	٤٠	٣٠	٧٠
تلعمارة (تل عمارة)	٣٧	٢٠	٥٧
ابو الصلح	٥٢	٤٠	٩٢
دوادية	٦	٥	١١

اسم القرية او المدينة	عـــدد الذكور	الاناث	المجموع
غزيلة	٣	٤	٧
صريع	٥٠	٤٠	٩٠
ام جلال	٢٦٦	١٠٢	٣٦٨
فروان	١١٧	١١٨	٢٣٥
البويب	٣٨	٣٠	٦٨
اصطبلات	٣٧	٢٠	٥٧
صطوح الدير	٢٣	٢٠	٤٣
رسم شاعر	١٨	١٧	٣٥
رسم برجس	٣٤	٣٣	٦٧
العريمة	٩	٨	١٧
معيصرونة	٩	٩	١٨
فطاطرة	٢٠	١٨	٣٨
ارنبة (اريلبة)	٤	٤	٨
ام صهيريج	٣٧	٢٠	٥٧
قطرة	٤١٨	٣٠٠	٧١٨
ابو دالي	٣١٠	٣٠٠	٦١٠
كنايس	٤٠٢	٣٤٥	٧٤٧
ام نير	٣٥	٢٠	٥٥
تل مرق	١٠	٨	١٨
الحزم	١٨	١٥	٣٣
شهرناز	١٠٠	٦١	١٦١
شورين	٤٩	٤٠	٨٩

اسم القرية او المدينة	عـــدد		المجموع
	الذكور	— الاناث	
صريع	٣٠	١٩	٤٩
الفقيع	٣٥	٢٤	٥٩
رسم العبد	٥٧	٤٣	١٠٠
تلحزنة (تل خزنة)	٢٣	٢٠	٤٣
السرج	٩٣	٥٤	١٤٧
بردقانة (برتقانة)	٧٥	٦٠	١٣٥
ام تينة	٥٦	٥٠	١٠٦
كوكبة	١٣٦	٩٤	٢٣٠
خيرية	٣٩	٣٢	٧١
لويبدة	١٠٦	١٠٠	٢٠٦
رجيعة برنان	٧٤	٦٠	١٣٤
برنان	٣٤	١٣	٤٧
البرصة	١٢٤	٩٢	٢١٦
هرتمية	٢٣	٢٠	٤٣
حوا	٥٩٢	٣٣٨	٩٣٠
هلبة	٧٧	٦٠	١٣٧
ام الملاهيل	٦	٣	٩
ابو عمر	١٧٠	١٦٠	٣٣٠
ام رجيم	٢٦	١٤	٤٠
المشرف	٧٥	٤٠	١١٥
تل العوجة	٤٥	٤٣	٨٨
معر شمارين	٢٤٠	١٨٣	٤٢٣
المجموع	٣١٤٤٠	٢٧٠٩٢	٥٨٥٣٢

الزراعة في منطقة المعرة

وافانا السيد احمد الشمار مراقب زراعة المعرة بلمحة موجزة عن الحالة الزراعية في منطقة المعرة فقال :

١ – عدد قرى ومزارع المنطقة ١٩٧ قرية ومزرعة .

٢ – مساحة أراضي المنطقة العامة (٢٩٨٥٢٠) هكتاراً .

٣ – « « « البعلية (٢٤١٤٤٠) هكتاراً مستثمرة :

٤ – « « « المسقية (١١٠٠٠) هكتاراً مستثمرة .

آ – لما كانت المساحات البعلية تشغل مايقارب ٩٥٪ من مجموع المساحة العامة ، وكانت الزراعة فيها تعتمد على مياه المطر ، فقد اقتصرت الزراعة في هذا القسم على زراعة الحبوب في الدرجة الأولى ، ثم على الكروم والاشجار المثمرة البعلية ، كالعنب ، والزيتون ، والتين ، وأخيراً أخذت زراعة الفستق الحلبي تحتل المكانة المناسبة في السنوات الاخيرة .

ب – الزراعة المسقوية : في المنطقة (١١) الف هكتار تقريباً ، اراضي مروية منها (٢٠٠٠) ه ، تروى من الآبار السطحية والارتوازية و(٩٠٠٠)ه تروى من نهر العاصي في قرى الغاب (ناحية قلعة المضيق) ففي القسم الأول الذي يسقى من الآبار أخذت المياه السطحية بالنضوب فجفت آبار عدة وتوقفت الزراعة المسقوية حولها خلال سنوات ١٩٥٧ – ١٩٦١م وخاصة حول مدينة المعرة ، ولم يبق إلا عدد ضئيل من هذه الآبار لسقاية مساحات ضيقة من الأرض تستغل بزراعة الخضار . اما في القسم الثاني (في الغاب) فالزراعة الرئيسية فيه هي زراعة القطن السقي ، وفي كلا القسمين تضخ المياه بواسطة المحركات (الموتورات) .

تركيب تربة المنطقة الحكمي : يغلب على معظم اراضي المنطقة لون الحمرة (لون ترابة شرقي البحر الأبيض المتوسط) اما تركيبها فهي اما كلسية طينية (في القسم الشرقي) او رملية طينية في بقية المواقع ماعدا قسم الغاب إذ انها هناك طينية كلسية .

متوسط كمية المطر السنوية في المنطقة :- يبلغ المعدل السنوي لكمية الأمطار الهاطلة اكثر من (٣٥٠) مم ،ولو دققنا في الجدول المرفق لكميات الأمطار خلال العشر السنوات التالية لوجدنا ان المعدل الوسطي لهذه السنوات العشر (٤١٨) مم ، وتتناسب كميات المحاصيل الزراعية في المنطقة مع كميات الأمطار الهاطلة .

المساحات المزروعة بالحبوب في كل عام : تختلف بين ٥٠–٦٠ الف هكتار زراعة بعلية بالقمح والشعير والعدس والجلبان . وتكون محاصيلها متناسبة دائماً مع كميات الأمطار الهاطلة زيادة او نقصانا .

٢ – **القطن** : المساحات المزروعة هي حوالي (١٠٠٠٠) هكتاراً منها (٤٥٠٠) هكتار سقياً و (٥٥٠٠) هـ . بعلاً ،بلغ محصولها في عام ١٩٦٢ (٩٠٠٠) طن .

٣ – **الكروم والأشجار المثمرة** : وأهمها الاشجار التي تعيش بعلاً كالزيتون والتين والعنب والفستق الحلبي ،ويقدر عدد أشجارها بحوالي (١٣٠٠٠٠٠) شجرة موزعة كالآتي :

العنب (٥٨٧٠٠٠) شجرة ، التين (٤١٣٠٠٠) شجرة ، الزيتون (٢١٤٠٠٠) شجرة ، الفستق الحلبي (٧٥٠٠٠) شجرة ، يضاف الى هذه الاعداد حوالي (١٠٠٠٠٠) شجرة مثمرة اخرى من اللوز والرمان والمشمش وبقية أصناف الأشجار المثمرة الأخرى .

٤ – **تربية الماشية** : نظراً لوجود المراعي المناسبة في المنطقة سواء كان في القسم الغربي منها (المنطقة الجبلية او الوعرية) او في القسم الشرقي منها والمجاور للبادية ووجود بعض العشائر المستوطنة التي مازالت تعتمد في معيشتها على تربية الماشية بشكل جعلها من الموارد الرئيسية الهامة لبعض قرى المنطقة . وقد بلغ عدد رؤوس الماشية في هذا العام في المنطقة بكاملها (١٣٠٠٠٠) رأس من الغنم والماعز ، يقدر محصولها بـ (١٠٠) طن من الصوف المغسول و (٢٠٠) طن من السمن العربي و (٥٠٠٠) طن من الجبن . هذا بالاضافة لما تنتجه من خراف وجداء للذبح وتوفير اللحوم .

المشاريع الزراعية الحكومية في المنطقة

لا يوجد مشاريع زراعية حكومية خاصة بمنطقة المعرة ،سوى ما يصيب القرى التابعة للمنطقة في الغاب من إصلاحات مشروع الغاب العام من أعمال التجفيف والري والاستصلاح الذي تقوم به الدولة منذ عام ١٩٥٧م ولا زالت الاعمال فيه مستمرة .

وهناك مشروع جديد اقامته الدولة في قلعة المضيق هو اقامة محطة لتجارب تربية الأسماك . وقد باشرت هذه المحطة فعلا بتربية اصناف معينة من الاسماك الجيدة ،استوردت من خارج المنطقة وقد نجحت تربيتها ، وتكثيرها باطلاق فراخها في انهر الغاب ، لتتكاثر فيه وستزاد مساحة أحواض التجارب في المستقبل عما هي عليه الآن . هذا بالاضافة لاحداث مدرسة خاصة بجانب هذه المحطة ، لتعليم وتدريب الطلاب على اصول تربية الأسماك وتكاثرها بالطرق الفنية الحديثة . وستقوم هذه المدرسة قريباً بافتتاح أبواب التدريس فيها .

لمحة موجزة عن اعمال مصلحة زراعة المعرة

يشتغل في مصلحة زراعة المعرة ثلاثة موظفين وهم :

١ – مراقب الزراعة : ويقوم باعمال الارشاد الزراعي ، واعمال الاحصاء الزراعي ، ومراقبة زراعة المحاصيل الحقلية والبساتين .

٢ – مراقب الوقاية : ويقوم باعمال الاشراف على مكافحة الحشرات والامراض الزراعية والآفات الضارة بالمزروعات ، اضافة للاشراف على ادارة المركز الزراعي بالمعرة .

٣ – مراقب الصحة الحيوانية : ويقوم باعمال معالجة المواشي والحيوانات المصابة بالأمراض السارية والعادية ، وتلقيح قطعان الماشية والابقار والدواجن ضد الامراض السارية . كما يشرف على اعمال الذبح في مسلخ بلدية المعرة .

تولي المصلحة كل اهتمامها لتحسين حالة المزارعين الاقتصادية ، وذلك بارشادهم لاتباع أفضل الطرق الحديثة المفيدة ، سواء في اعمالهم الزراعية ، أو في تربية الماشية والدواجن ، فهي تقدم لهم اللقاحات الوقائية لماشيتهم ضد الأمراض السارية مجاناً ، كما تقدم لهم احسن اصناف الغراس المثمرة المطعمة والغير المطعمة ، بقيمة رمزية بسيطة ، لتشجيعهم على الغرس في هذه المنطقة ذات التربة الجيدة والاقليم المناسب لغرس الاشجار المثمرة ، كما أخذت تقيم التجارب في حقول وبساتين العديد من المزارعين في قرى المنطقة ، لمعرفة أفضل انواع العلاجات المبيدة للحشرات والامراض ، وافضل أنواع الاسمدة المناسبة للتربة في زراعتها البعلية ، ويقوم موظفو المصلحة كل منهم ضمن نطاق عمله بجولات في كل شهر في قرى المنطقة ، للاطلاع على حالة المزروعات والاشجار المثمرة والكروم ، والماشية والدواجن ، وارشاد إصحابها لأفضل الطرق الحديثة المتبعة .

احمد الشعار : مراقب زراعة المعرة

قائمة بكميات الأمطار الهاطلة في منطقة المعرة خلال عشر سنوات

العام الزراعي	كمية الامطار الهاطلة (ميلمتر)
١٩٥١ — ١٩٥٢	٤٠٩
١٩٥٢ — ١٩٥٣	٦٠٨
١٩٥٣ — ١٩٥٤	٥٥٠
١٩٥٤ — ١٩٥٥	٢٨٤
١٩٥٥ — ١٩٥٦	٤٩٢
١٩٥٦ — ١٩٥٧	٣٥٧
١٩٥٧ — ١٩٥٨	٣٢٩
١٩٥٨ — ١٩٥٩	٢٩٢
١٩٥٩ — ١٩٦٠	٢١٩
١٩٦٠ — ١٩٦١	٢٦٤
١٩٦١ - ١٩٦٢	٣٧٧

احمد الشعار

مراقب زراعة المعرة

الاصلاح الزراعي في منطقة المعرة

كتب السيد حجازي حجازي كلمة موجزة عن الاصلاح الزراعي بمنطقة المعرة فقال :

ان مساحة اراضي الاصلاح الزراعي في منطقة المعرة الزراعية حوالي أربعة ملايين دونم، جميعها بعلية ، آلت اليه ، اما استيلاء ، أو من أملاك الدولة. وهذه الاراضي موزعة في /٣٦/ قرية ، بموجب شهادات تمليك ، ومؤجرة في /٥٨/ قرية ، وأن قسم الاصلاح الزراعي بالمعرة يقوم ببحث القرى ، وتوزيعها على المستحقين ، وتنظيم عقود الايجار ، وتأمين عمليات الفلاحة والزراعة وشراء البذار اللازم ، ومكافحة الأمراض والحشرات والآفات ، ومنع الرعاة من التعدي على المزروعات ، وحسم المنازعات والتعديات ، وجني المحصولات وتسويقها ، وحساب ذمم الفلاحين ، وتحصيلها ، وارشاد المنتفعين والمستأجرين ، الى الطرق الزراعية الفنية الحديثة ، واحلالها محل الطرق الزراعية القديمة ، واقامة المشاريع الريفية وتغذيتها ، ومحو الامية في القرى ، وقد قام بواجبه بالاستيلاء على أغلب المساحات الزائدة عن الحد القانوني ، وبتوزيع بعضها ، وتأجير البعض الآخر ، وتحمل نفقات الفلاحة ، وقيمة البذار والمبيدات الحشرية ، وتكاليف مشاريع السجاد التي أقامها في ١٨ قرية ، والخياطة والتطريز وشغل الابرة في ٦ قرى ، ومحو الأمية في ٢١ قرية ، ونقل البذار الى جميع القرى ، وقيمة الغراس المثمرة والصيصان ذات السلالات العالمية النقية ، بشكل ديون على الفلاحين لحين الموسم ، وانشاء الجمعيات التعاونية الزراعية في ٢٠ قرية ، كل ذلك في سبيل رفع مستوى الفلاح المادي والاجتماعي والزراعي والثقافي .

حجازي حجازي

رئيس قسم الاصلاح الزراعي بالمعرة

الواردات والنفقات في منطقة المعرة

كتب مدير مال المعرة الكلمة التالية فقال :

الواردات : تبلغ واردات منطقة المعرة السنوية قرابة نصف مليون ليرة سورية ، غالبيتها حصيلة عن المواشي ، إذ إنــــه يوجد في منطقة المعرة مايقارب الـ /١٥٠/ الف رأس ماشية ، بمجموع رسومها تزيد عـن ثلاثمـائة الف ليرة سورية ، كما أن رصيد بقية الضرائب المباشرة من مسقفات ، وتمتع ، ودخل ، وعرصات يبلغ خمسين الف ليرة سورية ، بالاضافة لبقية الواردات من الضرائب والرسوم الغير المباشرة .

النفقات : تقارب نفقات المنطقة سنوياً التي تصرف من صندوق مالية المعرة مبلغ /٥٥٠/ الف ليرة سورية ، واغلبها رواتب موظفي التربية والتعليم ، إذ أن مجموع الرواتب الـــتي تدفع لموظفي التربية والتعليم سنوياً يبلغ أربعمائة الف ليرة سورية .

التربية والتعليم بمنطقة المعرة

ان الناظر في جدول مديرية التربية والتعليم بادلب يرى أن عدد الطلاب في المدارس يقارب السدس من مجموع سكان منطقة المعرة ، واتماماً للفائدة نثبته أدناه .

(الذكور)

اسم المدرسة	عدد طلابها	اسم المدرسة	عدد طلابها
ثانوية ابي العلاء	٦٨٨	معر زيتا	٤٢
اعدادية كفرنبل	٦٠	الفطيرة	١٥٥
اعدادية خان شيخون	١٦٥	الهبيط	١٨٢
ام جلال	٥٨	سنجار	٥٥
الغزالي	٤٥٨	سعيد العاص	٤١٥
كفرومة	١٣٥	غدفة	٦٩
تل هواش	٣٠	معصران	١٦٢
الحويجة	٦٢	سحال	٣٥
موشمارين	٣٣	كفر سجنة	١٦٧
كفر باسين	٤٠	قلعة المضيق	٣٧٣
النعمان	٣٥١	تل خنزير	٦١
كفر عويد	١٣٥	التمانعة	٢٤٢
الشريعة	١٨٩	جرجناز	٢٣٢

اسم المدرسة	عدد طلابها	اسم المدرسة	عدد طلابها
خان شيخون الثانية	٣٦٦	التويني	٨٤
معر تحرما	٢٦٠	الشطيب	٢٣
ابن الوردي	٣٠٥	الطامة	٦٠
ـوشورين	٣٨	كفر نبل ابتدائي	٥٠٢
حيش	١٥٠	حاس	١٥٠
قوقفين	٤١	خوين الكبير	٤٧
معر تماتر	٧٠	حزارين	٦٧
دير الشرقي	٤٥	الحويز	١٠٥
ابو دالية	٤٧	تلمنس	٢٨٥
النيحة	٤٥	اعجاز	٦٦
صريع	٣١	الحزم	٦٨
سفوهن	٥٤	حواء	٢٧
قطرة	٤٠	الدانا	٤٠

(الاناث)

اعدادية بنات المعرة	٩٨	بنات كفر نبل	٥٢
قلعه المضيق	٤٣	بنات معر تحرما	٥٠
بنات المعرة	٥١٥	بنات جرجناز	٢٣
بنات خان شيخون	١٩٥		

عدد الطلاب	٨٢٠٧
عدد الطالبات	٩٧٦
المجموع العام	٩١٨٣

أسماء القرى التابعة لمعرة النعمان

ابو جُوَيْف :

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ١٧ : الذكور ١٠ ، والاناث ٧

ابو دالي :

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ٩ : الذكور ٢ ، والاناث ٧

ابو شرجي :

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ٢٢ : الذكور ١١ ، والاناث ١١

ابو العليج :

قرية من عمل المعرة ، عدد أهلها ١١ : الذكور ٧، والاناث ٤

ابو مكي :

قرية من عمل المعرة ، عدد أهلها ٤٠ : الذكور ٢٥ ، والاناث ١٥

أسفُونا [١] :

تقدم في حوادث ٤٦١ و ٤٩١ هـ انها قرية من قرى المعرة ، فيها حصن بناه حسين بن كامل الكيلابي ، ثم خربه .

(١) وفي معجم البلدان ١ : ٢٤٩ : اسفونا بالفتح ثم السكون وضم الفاء وسكون الواو ونون وألف اسم حصن كان قرب معرة النعمان بالشام .

ومن قرى المعرة الآن قرية يقال لها : سفوهن غربي المعرة ، على بعد اربع ساعات ، واهلها ١٩٦ نفساً :الذكور ١٠٩ ، والاناث ٨٧ ، وارضوها جبلية ، وهي في قمة جبل ، وبالغرب منها تل فيه آثار قلعة ، ولا يبعد ان تكون اسفونا ، وقد اكتشف فيها المنقبون صندوقاً من حجر فيه منطقة من ذهب ، على عقودها بعض الرسوم العادية ، وقد بيع الواحد منها بخمسين ديناراً ذهبا .

اشنان :

قرية غربي المعرة ، فيها قناة ، يقال : انها كلدانية ، يجري ماؤها الى البساتين ، واهلها (١٦٦) نفساً : الذكور منهم (٩٠) ، والاناث (٧٦) .

أفامية :

وبعضهم يسميها فامية بغير همزة ، وقد ذكرها ابو العلاء بالهمز في قصيدة يمدح بها أميراً ، يقال له :حسن ، ويشير الى ارتفاع حصنها ومناعته ، وذلك حيث يقول :

وَلَوْلاكَ لَمْ يَسْلَمْ أَفَامِيَةَ الرَّدَى
وَقَدْ أَبصَرَتْ مِنْ مِثْلِهَا مَصْرَعَ الرَّدِي[1]
فَأَنقَذْتَ منها مَعْقِلاً هَضَبَاتُهُ
تَلَفَّعُ مِنْ نَسْجِ السَّمَاءِ وَتَرْتَدِي

(١) شروح سقط الزند : ق ١ ص ٣٦٠ - ٣٦٢ :
وفيها : « ... تلفع من نسج السحاب ... » . و « ... بقيه مبقى ... » .

وَحِيـــداً بِثَغْرِ المُسلِمينَ كأَنـهُ
مُبَقّىً بِفيـهِ مِنْ نَواجِـــذِ أَدْرَدِ

وذكرها بعض شعراء المعرة قبل ذلك بغير همز بقوله :

جَازَتْ هَزِيمَتهُ أَنهَارَ فَامِيةٍ إِلى البُحَيْرةِ حتىّ غَطَّ في مَاهَا

وقد تقدم هذا البيت في حوادث سنة ٢٩٠ هـ (١) .

وقال ياقوت في معجم البلدان : مدينة حصينة من سواحـل الشام ، وكورة من كور حمص ، ويسميها بعضهم فامية بغير همزة ، وقرأت في كتاب ألفه يحيى بن جرير المتطبب ، فقال فيه : بنى سلوقوس في السنة السادسـة من موت الاسكندر اللاذقية ، وسلوقية ، وأفامية ، وبَارَوّا ، وهي حلب .

وقـال ياقوت : في المشترك : أفامية : مدينة عظيمة ، قديمـة ، على نشزٍ من الارض ، لها بحيرة حلوة ، يشقها النهر المقلوب .

وكانت مدينة أفامية على عهد السلاقسة خلفاء الاسكندر ، من المدن الكبرى ، كما تشهد بذلك اقوال المؤرخين ، وآثارها الخالدة الى اليوم(٢) .

فقد ذكر الهمذاني(٣) : انه كان فيها ملعب ، يعـد من البناء المذكور في العالم ، وكان مستقراً للجيش الرومي ، وفيها زرائب ، واصطبلات ، تؤوي (٣٠٠) فيل و (٣٠٠) جـاموس و (٣٠,٠٠٠) حصان ، ترعى في سهلها الخصيب ، وترد ماءها العذب النمير ، وكان فيها حصن من امنع الحصون ، وقد دكه بومبيس .

---

(١) الجندي : تاريخ معرة النعمان ١ : ١٠٨

(٢) محمد كرد علي : خطط الشام ٥ : ٢٥٧ (ج)

(٣) الهمذاني : مختصر كتاب البلدان ١٧٦

وفيها الى اليوم آثار شارع ، يمتد من الباب الشمالي ، وعلى جانبيه سوار وعمد مختلفة الاشكال والحجوم ، وتبلغ نحو (١٨٠٠) سارية ، يرجع عهدها الى آخر حكم الرومانيين .

ولا يزال كثير من الأبواب قائماً ، وهناك خرب اخرى لم تكشف بعد .

وقد عد ابن خُرْدَاذْبَه (١) من عجائب البنيان ملعب فامية ، وتَدْمُر ، وبَعْلَبَك ، ولُدّ ، وباب جَيْرُون .

وقيل : افتتحها المسلمون سنة ١٤ هـ ، وسكنها قوم من قبيلتي عَذْراء و بَهْراء

وفي سنة ١٣٥٨ هـ الموافق سنة ١٩٣٩ م كان السيد كاظم الداغستاني قائم مقام في معرة النعمان ، فذهب الى أفامية وتفقد أمورها ، وسأل مدير البعثة الأثرية البلجيكية التي تشرف على اعمال الحفر والتنقيب عن الآثار في أفامية ، عن بعض الامور المتعلقة بتاريخ هذه المدينة ، وكتب ماعلمه منه في مقال نشرته مجلة الحديث وخلاصة ماجاء فيه :

ان هذه البعثة منذ عشر سنوات ، تتابع الحفر والتنقيب في فصل الخريف ، في مدينة أفامية الممتدة ، فوق السهل المنبسط ، بجانب قلعة المضيق المشرف على مستنقع الغاب ، في وادي العاصي من عمل معرة النعمان ، وقد وفقت الى الوصول الى نتائج علمية وتاريخية ، وأخرجت من التراب مجموعة من الفسيفساء البديعة الألوان ، وبعض التماثيل والأحجار الأثرية التي عرضت في متحف حلب ، وان المتحف الملكي في بروكسل ، أخذ يعد بهواً مستقلاً لمدينة أفامية ، وان البعثة المذكورة عادت الى عملها في هذه السنة ، واستمرت في الحفر في مدينة أفامية التي بلغت مساحتها (٢٥٠) هكتاراً .

---

(١) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ١٦١

وقد كشفت عن طريق عام يحتوي على صفين من الأعمدة ، بأروقة مزدوجة ويخترق المدينة من الشمال الى الجنوب ، على طول كيلو مترين، وعرض ثلاثة وعشرين متراً ، ومعابد وثنية ومسيحية ، واستحكامات عسكرية، وأقنية ذات خزانات كبيرة ، وشبكة لمجاري المياه .

وان الخراب الذي اكتشف في هذه السنة ، تجاه قلعة المضيق، ظهر فيه بقايا مسرح أفامية الروماني العظيم ، مع ساحته الكبرى ، ذات الطبقات المتعددة ، المحاطة بصف من أعمدة الرخام ، مع المدرج العظيم الذي شيدت مقاعده من الحجارة الفخمة ، وكان يجلس فيه ألوف في أيام الأعياد . ويظن ان المركز الرئيسي للمدينة كان موقعه فوق الصخرة القائمة في قلعة المضيق ، التي أصبحت الآن قرية ، آهلة بالسكان ، يتعذر الحفر والتنقيب فيها .

تاريخ بنائها : الفرس والاسكندر

ان تاريخ أفامية قديم جداً ، فقد بنى جنود الاسكندر المكدوني على أرضها ، التي كانت تسمى بالفارسية « فارناخيس » مدينة سموها « بيلا »، وذلك في سنة ٢٨٦ قبل المسيح .

عهد ملوك سورية

ثم وسع ملك سورية سيلو كوس فيكتور الأول، أحد قواد الاسكندر هذه المدينة ، الى جهة الأرض المنخفضة عن قلعة المضيق ، واطلق عليها اسم أفاميا ، وهو اسم زوجه التي كان يحبها كثيراً .

وقد أصبحت هذه المدينة بعد ذلك عاصمة احدى مقاطعات سورية الشمالية الأربع ، ومركزاً لجيش الملك الذي كان يجمع فيها خمسمائة فيل للحرب

وثلاثين الف فرس عتيق ، وثلاثمائة حصان للنزاء ، وكان يحفظ فيها خزينة الجيش والأموال والعتاد المعد للحرب .

وكانت ملوك سورية يقصدون هذه المدينة ، ويقيمون فيها ، وفيها توج الملك انطوخيوس السادس في سنة ١٤٥ قبل المسيح ، والتجأ اليها قاتل هذا الملك « ديوادرت تريفون » وبقي فيها حتى حاصره فيها انطوخيوس السابع وقتله فيها .

العهد الروماني

ثم جاء بعد ذلك العهد الروماني ، واجتاح سورية بومبه في السنة ٦٩ قبل المسيح ، وقد دل الاحصاء الذي وضعه الحاكم الروماني سولبيسيوس كرنوس في السنة الخامسة بعد المسيح ، على ان عدد سكان مدينة أفامية بلغ في ذلك العهد (١١٧٠٠٠) نفس ، ودخلتها الديانة المسيحية بعد ذلك ، وفيها أبرشية ، يرجع تاريخها الى القرن الأول بعد المسيح .

ثم أخذ ملوك الرومان يزيدون في عمران هذه المدينة ، على طرازهم الفني وكان للسوريين القدماء من سكان البلاد يد كبيرة في عمرانها .

وأعمدة هذه المدينة تشبه أعمدة تدمر ، في انها تحمل تماثيل فخمة ، تدل نقوشها على اهتمام الملكين الرومانيين لوسيان فروس ، وانطونان بهافي القرن الثاني .

العهد البيزانتي

ثم جاء بعد ذلك عهد افامية البيزانتي الحافل بالكنائس وبالنقوش ذات الألوان البديعة من الفسيفساء ، واكثرها يشتمل على تواريخ معينة تعد من الوثائق التاريخية .

وفي سنة (٤٥٠) افتتح أفاميـــة ملك الفرس خيسرويس ، فنهب وسلب ماشاء .

العهد الاسلامي

ثم استنقذها البيزانطيون ،وظلوا فيها ، حتى افتتح المسلمون بلادسورية سنة ٦٣٦ ميلادية الموافقةلسنة ١٤ للهجرة ، وظلت في أيدي المسلمين حتى جاء الصليبيون ، فاستولى عليها أمير انطاكية طانكريد في سنة ١١٠٦ ميلادية ، ثم استرجعها نور الدين سنة ١١٤٩ م .

وأصابها زلزال عظيم في سنة ١١٥٧ م فخرب القسم الأعظم من أبنيتها، ثم أصابتها هزة أرضية في سنة ١١٧٠ م فقضت عليها ، وقد ظلت حصونهاالقوية باقية كما كانت .

عهد المماليك

وفي القرن الثالث عشر (ب.م) استولى المماليك على هذه البقاع ، وجعلوا حول المدينة القديمة سوراً قوياً ، لايزال ظاهراً حول الجهة التي تقوم عليهاالآن قرية قلعة المضيق .

وقد ذكر غيره ان بين كل عمود وآخر من أعمدة الطريق ، نحو ثلاثة أمتار ، وان قطر العمود ١٢٠ سانتيمتراً ، وان قناة الماء الكبيرة محمولة على قناطر ضخمة ، تدخل المدينة في نفق ، فيه أنابيب ضخمة من حجر ، قطرهامن الداخل ٥٠ سنتيمترا ،ومن الخارج ٩٠ سنتيمتراً ،وهي كلهامن الحجر الصلد المحفور ، حتى زواياها ومتعرجاتها ، ويتفرع منها قساطل من فخار .

وان قلعتها فوق التل الكبير العالي ، وكان يحيط به خندق عظيم .

وفي شمالي القلعة برج ، على وجهه القبلي كتابة فيها اسم الملك الظاهر غازي صاحب حلب تاريخها سنة ٦٠٤ هـ ، وفي قبليه باب كبير يدخل منه الى القلعة ، عليه كتابة فيها اسم الملك الناصر يوسف صاحب حلب تاريخها سنة ٦٥٤هـ وبقربه برجان متقاربان ، وظاهر هذا البرج يدل على انه عربي .

الحوادث التي طرأت على أفامية

وقد تقدم ذكر شيء منها ومن غيرها . في سنة ٣٣٨ هـ ، احترق حصن أفامية ، وكان بيد المغاربة ، وضعف ، فنازله الدوقس في ثلاثين الفاً ، وحاصره سبعة أشهر ، وأشرف على أخذه فدفعه عنه صمصامة والي دمشق من جهة المغاربة فاتفقوا ، فقتل الدوقس ، وقتل من عسكره أربعة عشر الفاً ، وأسر منهم خلق ، وكسروا ، بعد ان ظهروا (١) .

وفي سنة ٣٣٩ هـ ، خرج بسيل ملك الروم فنزل على أفامية ، وجمع عظام القتلى وصلى عليها ، ودفنها ، وفتح شيزر بالامان لقلة رجالها (٢).

وفي سنة ٣٥٩ هـ ملك الروم أنطاكية ، وقصدوا حلب ، فصالحهم قرعونة على عشرة قناطير ذهبا ، عن حق الارض ، وعن خراج حلب والمعرة وأفامية ، وغيرها ، وقد تقدم ذلك في حوادث سنة ٣٥٩ هـ .

وفي سنة ٣٦٦ هـ خرج يانس ابن شقيق ملك الروم في جيوش عظيمة من النصرانية ، كان جناح الجيوش في عقاب الرُوج ، والآخر في الفرزل من علاة معرة النعمان ، ونزل على افامية ، ثم رحل ففتح بعلبك (٣) .

---

(١) ابن الوردي : التاريخ ١ : ٢٨٤ (ح)
(٢) ابن الوردي : التاريخ ١ : ٢٨٤ (ج)
(٣) ابن الوردي : التاريخ ١ : ٣٠٢ (ج)

وفي سنة ٣٨٢ وقع القتال بين منجوتكين والحمدانيين على أفامية، فانهزم الحمدانيون، وقتل واسر جماعة منهم (١).

وفي سنة ٣٨٣ عاد منجوتكين من دمشق، ونزل على أفامية، فسلمها اليه وفاء خادم سيف الدولة.

وفي سنة ٣٨٤ منجوتكين الى حلب، فحصرها، واقام عليها ثلاثة عشر شهرا، فقلت الاقوات فيها، وعاد صاحب حاب الى مراسلة ملك الروم والاستنجاد به، فلما قات الأقوات آلى العزيز على نفسه أن يمد عسكره بالميرة، من غلاّت مصر، فحمل مائة الف ثليس (٢) في البحر الى طرابلس، ومنها على الظهور الى افامية، فكان يوقع للغلمان بجراياتهم، وقضيم دوابهم، الى أفامية، على خمسة وعشرين فرسخا، فيمضون ويقبضونها، ويعودون بها، وبنى واصحابه الحمامات، والخانات والاسواق.

وذكر ابن الأثير (٣): أن الدوقس صاحب الروم، نزل على حصن أفامية، فاخرج ارجوان الخادم الذي كان يدير دولة الحاكم بأمر الله، حُبَيْش بن الصَّمْصامة (٤) في عسكر ضخم، فسار الى أفامية، فصافّ الروم، فانهزم هو واصحابه، ماعدا بشارة الإخشيدي، فانه ثبت في خمسمائة فارس،

---

(١) محمد كرد علي : خطط الشام ١ : ٢٣٧ (ج)
(٢) الثليس قفيزان، والقفيز ثمانية مكاكيك (ج)
(٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ٩ : ٩ ، ٥٠ (ج)
(٤) حبيش بن محمد بن صمصامة القائد المغربي، ابن اخت ابي محمود الكتامي امير امراء جيوش المغرب ومصر والشام. ولي دمشق من قبل المصريين، وهو جبار سفاك، وقد توفي سنة ٣٩١ هـ تبيين كذب المفتري لابن عساكر ص ٢٥٦، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٠٤ وقد ذكره ابو العلاء في رسالة الغفران ص ١٦٩ فقال: وهو الذي حث والي حلب على قتال البطريق المعروف بالدوقس في بلد أفامية (ج).

ونزل الروم الى سواد المسلمين يغنمون مافيه ، والدوقس واقف على رايته ، وبين يديه ولده ، وعدة غلمان ، فقصده كردي يعرف باحمدبن الضَّحَّاك من اصحاب بشارة ، ومعه خشت فظنه الدوقس مستأمنا فلم يحترز منه ، فلما دنا منه حمل عليه ، وضربه بالخشت ،فقتله ،فصاح المسلمون قتل عدو الله ،وعادوا ونزل النصر عليهم ، فانهزمت الروم ، وقتل منهم مقتلة عظيمة .

وفي سنة ٣٨٨ ه وقعت النار في أفامية ، واحترق ماكان فيها من الاقوات ، فسار ابو الفضائل بن سعد الدولة صاحب حلب في عسكر الحلبيين ،وقاتلها مدة ، ثم رجع عنها لما سار اليها دوقس أنطاكية ، وحاصرهم هذا أشد حصار ، فاستنجد الملايطي المقيم بها ، بجُبَيْش بن الصَّمْصامة بدمشق ، فسار اليه في عساكر ضخمة ، ونشبت الحرب بينهم ، فظهر عليه الدوقس ، وقتل من رجاله كثيراً ، واخذت البادية سواد عسكر المغاربة ، وبلغت الهزيمة بَعْلَبَكّ ثم قتل الدوقس ، وغلبت الروم ، وقتل منهم زهاء ستة آلاف ، واسر أبناء الدوقس ، وجماعة من رؤساء عسكره ، وحملوا الى مصر ، فأقاموا بها عشر سنين ، ثم فودي بهم ، ورجعوا الى بلاد الروم .

وذكر في حوادث سنة ٤٢٢ ه : أن الروم ملكت قلعة أفامية فيها ، وسبب ذلك ان الظاهر خليفة مصر ، سير الى الشام الدزبري وزيره ، فملكه ، وقصد حسان بن المُفَرج الطائي ، فألح في طلبه ، فهرب منه ، ودخل بلد الروم ولبس خلعة ملكهم ، وخرج من عنده وعلى رأسه علم فيه صليب ،ومعه عسكر كثير،فسا الى أفامية فكبسها وغنم مافيها ، وسبى اهلها ، واسرهم ، وسير الدزبري الى البلاد ليستنفر الناس للغزو .

وذكرنا في حوادث سنة ٤٧٩ ه (١) أن الامير نصر بن علي صاحب

---

(١) ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر ٢ : ١٩٧ .

تشيزر دخل في طاعة السلطان مَلِكشاه بن الب ارسلان السلجوقي ، وسلّم اليه أفامية .

وذكر في حوادث سنة ٤٨٥ ﻫ أن تاج الدولة تتش ، لما عاد من بغداد في هذة السنة ، نزل على حمص ، وبها خلف بن ملاعب الكلابي صاحبها ، وكان الضرر به وباولاده عظيما على المسلمين ، لانهم كانوا يقطعون الطريق ، فحصر البلد ، وملكه ، وأخذ ابن مُلاعِب وولديه ، وسار الى عِرْقَة(١) ، فملكها عنوة ، وسار الى قلعة أفامية ، فملكها ، وكان بها خادم للمصريين ، فنزل بالأمان فأمنه .

وفي سنة ٤٩٣ ﻫ سار بيمند الفَرَنجي صاحب أنطاكية الى قلعة أفامية ، فحصرها ثم رحل عنها كما تقدم ، ولما ابعد تتش خلف بن ملاعب عن حمص ، ذهب الى مصر ، فلم يلتفت اليه ، فاقام بها ، واتفق أن المتولي لافامية من جهة الملك رِضْوان ، ارسل الى صاحب مصر ، وكان يميل الى مذهبهم ، يستدعي منه من يسلم اليه الحصن ، وهو من أمنع الحصون .

وطلب ابن ملاعب منهم أن يكون هو المقيم به ، وقال : انني ارغب في قتال الفَرَنْج ، وأوثر الجهاد ، فسلموه اليه ، وأخذوا رهائنه ، فلما ملكه خلع طاعتهم ، فارسلوا اليه يتهددونه بما يفعلونه بولده الذي عندهم ، فاجابهم اني لا انزل من مكاني ، وابعثوا الي بعض اعضاء ولدي حتى آكله ، فأيسوا من رجوعه الى طاعتهم ، واقام بأفامية يخيف السبيل ويقطع الطريق ،

---

(١) في معجم البلدان لياقوت ٣ : ١٥٣ : بلدة في شرقي طرابلس بينهما اربعة فراسخ وهي آخر عمل دمشق وهي في سفح جبل بينها وبين البحر نحو ميل وعلى جبلها قلعة لها . وقال ابو بكر الهمذاني : عرقة بلد من المواصم بين رفنية وطرابلس .

واجتمع عنده كثير من المفسدين ، فكثرت أمواله ، ثم ان الفرنج ملكوا سرمين من عمل حلب ، وأهلها غلاة في التشيع ، فتفرق أهلها ، وذهب قاضيها الى ابن ملاعب ، فاقام عنده ، فاكرمه واحبه ووثق به ، ثم كتب القاضي الى ابي طاهر المعروف بابن الصائغ ، وهو من اعيان اصحاب الملك رضوان ، ووجوه الباطنية ودعاتهم بأنه يريد للفتك بابن ملاعب ، وأن يسلم أفامية الى الملك رضوان ، فأتى ابن ملاعب اولاده ، وكانوا قد تسللوا اليه من مصر ، وقالوا له : قد بلغنا عن هذا القاضي كذا وكذا ، والرأي أن تعاجله وتحتاط لنفسك ، فاحضره ابن ملاعب فاتاه ، وفي كمه مصحف ، واخبره ابن ملاعب بما بلغه عنه ، فقال له : ايها الأمير قد علم كل أحد اني اتيتك خائفا جائعا ، فامنتني ، واغنيتني ، وعززتني ، فان كان بعض من حسدني على منزلتي عندك سعى بي اليك ، فخذ جميع مامعي ، وأنا اخرج كما جئت .

وحلف له على الوفاء ، والنصح ، فقبل عذره وأمنه ، ثم عاود مكاتبة ابن الصائغ ، وأشار عليه ان يوافق رضوان على إنفاذ ثلثمائة رجل من أهل سرمين ، وينفذ معهم خيلا من خيول الفرنج ، وسلاحاً من أسلحتهم ، ورؤساء من رؤوس الفرنج ، يظهرون الى ابن ملاعب انهم غزاة يشكون من رضوان وأصحابه ، وانهم فارقوه ، فلقيتهم طائفة من الفرنج ، فظفروا بهم ، ويحملون جميع مامعهم اليه ، فأنفذهم ابن الصائغ الى ابن ملاعب ، فلما بلغوا أفامية بما معهم ، قبل ذلك منهم ، وأنزلهم في ربض أفامية ، وأمرهم بالمقام عنده ، فلما كان بعض الليالي قام القاضي ، ومن معه في الحصن من أهل سرمين ، بعد ان نام الحرس ، ودلوا الحبال الى أولئك القادمين ، وأصعدوهم جميعهم ، وقصد فريق منهم أولاد ابن ملاعب ، فأحس بهم ، فقال : من أنت ؟

فقال : ملك الموت جئت لقبض روحك ، فناشده الله، فلم يرجع عنه وقتله، وقتل أصحابه ، وهرب ابناه فقتل أحدهما ، والتحق الآخر بأبي الحسن بن مُنْقِـذ صاحب شَيْزَر ، فحفظه لعهد كان بينهما .

وسمع ابن الصائغ بخبر أفامية ، فسار اليها ، وهو لا يشك انها له ، فلما رأى القاضي قال له : ان وافقتني وأقمت معي فبالرحب والسعة ، ونحن بحكمك ، والا فارجع من حيث جئت فأيس ابن الصائغ منه .

وكان لابن مُلاعب ولد بدمشق عند طُغتكين ، غضبان على أبيه، فولاه طغتكين حصناً على ان يحفظ الطريق ، فلم يفعل ، وأخذ يقطع الطريق، ويسلب القوافل ، فأرسل اليه يطلبه ، فهرب الى الفرَنْج ، واستدعاهم الى حصن أفامية، فأقاموا عليه شهراً يحاصرونه ، فجاع أهله ، وملكه الفرنج ، وقتلوا القاضي المتغلب عليه ، وابن الصائغ ، وهو الذي أظهر مذهب الباطنيـــة في الشام ، وقيل : ان ابن الصائغ قتله رئيس حلب ابن بديـع سنـــة ٥٠٧ هـ بعد وفاة رضوان ، وكان استيلاء الفرنج هذا على أفامية سنة ٤٩٩ هـ (١) .

وفي سنة ٥٠٥ هـ جهز السلطان محمد عسكراً فيه الأمراء مَوْدُود صاحب الموصل ، وسقمان صاحب تبريز، وايلبكي وزَنْكي ابنا برسق ، ولهما همـذان ، وما جاورها ، واحمديل وله مَراغة ، وغيرهم، الى قتال الفرنج بالشام ، فلما وصلوا الى حلب ، أغلق الملك رِضْوان أبوابها ، ولم يجتمع بهم ، فرحلوا الى المعرة ، ثم افترقوا ، وبقي مودود ، وطغتكين في معرة النعمان ، ولمـــا سمع الفرنج بتفرق عساكر المسلمين ، طمعوا ، واجتمعوا بعد اختلافهم ، وساروا الى أفامية ، فجاء سلطان بن مُنْقِذ صاحب شيزر الى مودود ، وطغتكين ، وهوّن

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ١٠ : ١٧٠ (ج)

عليهما أمر الفرنج ، فرحلا الى شَيْزر ،ونزل الفرنج بالقرب منهم ، فضيق عليهم عسكر المسلمين الميرة ، ولزوهم [1] بالقتال ، فلما رأوا قوة المسلمين ، عادوا الى أفامية ، وتبعهم المسلمون ، فخطفوا من أدركوه في ساقتهم وعادوا الى شيزر ، وذلك في ربيع الاول من سنة ٥٠٥ هـ [2] .

وفي سنة ٥٠٩ هـ [3] جهز السلطان عسكراً كثيراً ، وجعل مقدمهم الأمير بُرسق بن برسق صاحب همذان ، ومعه جماعة من الأمراء ، وعساكر الموصل والجزيرة ، وأمرهم ان يقاتلوا ايلغازي وطغتكين ، لأنهما عصيا عليه ، فاذا فرغوا منهما قصدوا بلاد الفرنج ، وأمرهم ان يسلموا الى الأمير قرجان صاحب حمص كل بلد يفتحونه ، ففتح برسق حماة وسلمها اليه ، فضعفت نيات الأمراء عن القتال ، وثقل عليهم ان يسلموا البلاد التي يفتحونها الى قرجان ، وكان ايلغازي ، وطغتكين وشمس الخواص ، وهو الامير لؤلؤ مقدم عسكر حلب ، قد ساروا الى انطاكية ، واستجاروا بصاحبها روجيل ، وسألوه ان يساعدهم على حفظ مدينة حماة ، وأقاموا بقلعة أفامية نحو شهرين ،ثم عاد ايلغازي الى ماردين ، وطغتكين الى دمشق ، والفرنج الى بلادهم ، وكانت أفامية وكَفَرْ طاب للفرنج ،فحصر المسلمون كفرطاب ، وفتحوها عنوة ، وساروا الى أفامية فرأوها حصينة ، فعادوا عنها الى المعرة .

وفي سنة ٥١٧ هـ ، سار الامير محمود بن قراجه صاحب حماة ،الى حصن أفامية ، فهجم على الرَّبَض بغتة ، فأصابه سهم من القلعة في يده ، فاشتد ألمه ،فعاد

---

(١) لز يلز لزاً ولززاً ولزازاً الشيء بالشيء :شده ، وألصقه ، والزمه به .

(٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ١٠ : ٢٠٥ (ج).

(٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ١٠ : ٥٠٩ (ج).

الى حماة وقلع الزج [١] من يده ثم عمّلت [٢] عليه فمات منه ، واستراح أهل عمله من ظلمه وجوره [٣] .

وفي سنة ٥٤٥ هـ فتح نور الدين محمود بن زنكي حصن أفامية ، حصره وبه الفرنج ، وقاتلهم ، وضيق عليهم ، فاجتمع من بالشام من الفرنج ، وساروا نحوه ليرحلوه عنه ، فلم يصلوا الا وقد ملكه ، وملأه ذخائر وسلاحاً ورجالا وجميع مايحتاج اليه ، فلما بلغه سير الفرنج اليه ، رحل عنه ، وقد فرغ من أمر الحصن ، وسار اليهم يطلبهم ، فحين رأوا ان الحصن قد ملك ، وعزم نور الدين على لقائهم ، عدلوا عن طريقه ، وعادوا الى بلادهم ، وراسلوه في المهادنة [٤]

وفي سنة ٥٥١ هـ انهدم برج من بروج أفامية بسبب الزلزال .

وفي سنة ٥٥٢ هـ خربت أفامية بالزلزال الذي وقع في الشام ، وخربت بسببه بلدان كثيرة فقام نور الدين وتداركها بعمارتها وعمارة أسوارها ، وكان يغير على الفرنج ليشغلهم عن قصد البلاد ، وقد هلك خلق كثير تحت الردم .

وقد تقدم ان صلاح الدين في سنة ٥٨٧ هـ أنعم على ابن أخيه بحماة والمعرة ، وأفامية ، وغيرها .

ولما توفي صلاح الدين الايوبي سنة ٥٨٩ هـ كانت منبج وافامية وكفر طاب وخمس وعشرون ضيعة من المعرة بيد عز الدين ابراهيم بن محمد بن عبد

---

(١) الزج : هنا نصل السهم ، والزج الحديدة في أسفل الرمح . والجمع زججة وزجاج :

(٢) عمل الجرح : تقيح ، والتهب .

(٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر ٢ : ٢٣٧ (ج)

(٤) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ١١ : ٦٧ ، ابو الفداء : المختصر في تاريخ البشر ٣ : ٢٢ ابن الوردي : التاريخ ٢ : ٥٠ ، ابو شامة : الروضتين حوادث ٥٤٤ هـ (ج).

الملك بن المُقَدَّم ، وظلت في يده الى ان توفي سنة ٥٩٧ هـ فصارت لأخيه شمس الدين عبد الملك بن محمد بن عبد الملك بن المقدم ، وفي هـذه السنة سار الملك الظاهر صاحب حلب الى مَنْبِـج ، فملكها ، وعصى عبد الملك بن المقدم بالقلعة فحصره ، ونزل بالأمان فاعتقله . ثم سار الى المعرة ، واقطع بلادهـا واستولى على كَفَرْ طاب ، ثم سار الى أفامية ، وبها قَرَاقوش نائب ابن المقدم ، وأرسل الملك الظاهر ، فأحضر عبد الملك بن المقـدم من حلب ، وكان معتقلا بها ، وأحضر أصحابه الذين اعتقلهم معه ، وضربهم امام قراقوش ليسلم أفامية ، فامتنع قراقوش ، فأمر الملك الظاهر بضرب عبد الملك ، فضرب ضربا شديداً ، وجعل يستغيث ، فأمر قراقوش ، فضربت النقارات على قلعة فامية ، لئلا يسمع أهل البلد صراخه ، ولم يسلم القلعة ، فرحل عنها الملك الظاهر (١).

وذكر ابن الاثير (٢) في حوادث سنة ٥٩٧ هـ ان الملك الظاهر صاحب حلب وأخاه الملك الأفضل ، عزمَ على أخذ دمشق من الملك العادل ، ثم اختلفت نياتهما ، ثم عادا الى تجديد الصلح مع العادل ، واستقر الصلح على ان يكون للظاهر منبج وأفامية وقرى معينة من المعرة ، ورحـلوا عن دمشق اول المحرم سنة ٥٩٨ هـ .

وذكر ابو الفداء في حوادث سنة ٥٩٨ هـ (٣) ، ان قراقوش نائب عبد الملك بن المقدم بفامية ، أرسل الى الملك الظاهر يبذل له تسليم أفامية بشرط ان يعطي عبد الملك المذكور اقطاعا يرضاه ، فأقطعه الملك الظاهر الرَّاوَنْدان (٤)

---

(١) ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر ٣ : ٩٩ (ج)
(٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ١٢ : ٩٧
(٣) ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر ٣ : ١١
(٤) في معجم البلدان لياقوت ٢ : ٧٤١ : الراوندان : قلعـة حصينة ، وكورة طيبة ، معشبة ، مشجرة ، من نواحي حلب .

وكفرطاب ، ومفردة المعرة ، وهي عشرون ضيعة معينة من بلاد المعرة ، وتسلم أفامية .

وفي سنة ٦٦٤ هـ رحل الملك الظاهر بيبرس من دمشق الى حماة ، ثم الى أفامية ، فالتقى عساكره ، وقد عادت منصورة في بلاد سيس[١] ، وأمر بتسليم الأسرى ، ثم عاد الى الديار المصرية [٢].

قال البيهقي[٣]: تنازع رجلان بباب الجسر احدهما من العظماء ، والآخر من السوقة ، فقنّعه[٤] الرجل ، فصاح السوقي : واعمراه ذهب الاسلام ، فأخذ الرجل وكتب بخبره الى المأمون فدعاه ، وقال : ما كانت حالك ؟ فأخبره ، وأحضر خصمه ، وقال له : لم قنعت هذا ؟ فقال : ياأمير المؤمنين هذا رجل معاملي ، وكان سيء المعاملة ، وكنت صبوراً على ذلك منه ، فلما كان في هذا اليوم مررت بباب الجسر فأخذ بلجام دابتي ، وقال لا أفارقك حتى تخرج الي من حقي ، فقلت له : اني أبادر الى باب اسحق بن ابراهيم ، فقال : والله لو جاء اسحق ومن ولى اسحق مافارقتك ، فما صبرت حين عرض بالخلافة ان قنعته ، فصاح واعمراه ذهب الاسلام منذ ذهب عمر ، فقال : للرجل ماتقول ؟ قال كذب علي ، وقال : الباطل ، فقال الرجل : لي جماعة يشهدون على مقالته ياأمير المؤمنين ، فان أذنت لي أحضرتهم ، وقال المأمون للرجل من أين أنت ؟ قال : من أهل فامية ، فقال : اما ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول : من كان جاره نبطياً ، واحتاج

---

(١) في معجم البلدان لياقوت ٣ : ٢١٧ : سيسية ، وعامة اهلها يقولون : سيس : بلد هو اليوم اعظم الثغور الشامية بين انطاكية ، وطرسوس ، على عين زربة وبها مسكن ابن ليون سلطان ملك الناحية الارمني.

(٢) ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر : ٤ : ٩ ، ٤ (ج)

(٣) البيهقي : المحاسن والمساوئ ٢ : ١٤٩ (ج)

(٤) قنع رأسه بالسيف ، او العصا : غشاه به ،، وقنعه خزية وعارا : ألبسه اياهما.

الى ثمنه فليبعه ، فان كنت انما طلبت سيرته فهذا حكمه في أهل فامية (١) ، ثم أمر له بألف درهم ، وأمر صاحبه ان ينصفه .

قلعة المضيق

هي قرية في داخل الحصن ، فيها كثير من الدور المبنية ، من حجارة السور والأبراج والخرب ، يبلغ سكانها١٠٢٧ الذكور ٥١٧،الاناث ٥١٠، واهلها ينزلون في كل يوم منها الى مزارعهم ومراعيهم، وشربهم من الينابيع التي في سفح التل .

وفي خارج الحصن بالقرب من بابه القبلي ، جامع صغير ، مستطيل الشكل ، في وسطه قبة ، وفي غربيه مئذنة جميلة ، وفي أسفل الجامع خان عظيم خرب .

وقد كانت هذه القرية من اعمال جسر الشغر ، ثم في سنة ١٣٥٢ ه الحقت بقضاء معرة النعمان ، وجعلت قاعدة لناحية ، والحقت بها القرى التي تقدم ذكرها .

أما سبب تسميتهابقلعة المضيق ، فلم اعثر على نص يدل عليه ، ولا على الزمن الذي سميت فيه به ، ولكن ذكر ابن القلانسي (٢) . أن الجبل الذي تقوم عليه قلعة المضيق يعرف بالمضيق ، فقد قال عند ذكر الوقعة التي كانت بين الروم وبين ُحبَيْش بن الصَّمْصامة حول أفامية سنة ٣٨٧ ه ، وكانت الوقعة في مرج أفيح يطيف به جبل يعرف بالمضيق ، لايسلكه الا رجل في أثر رجل ، ومن جانبه بحيرة أفامية ونهر المقلوب .

(١) ومن المراجع الاثرية والتاريخية عن افامية رسالة اصدرتها مديرية الاثارالعامة بدمشق سنة ١٩٦٢ م تحت عنوان مدينة افامية الأثرية (قلعة المضيق).

(٢) ابن القلانسي حمزة بن أسد توفي سنة ٥٥٥ ه (ج)

بحيرة فامية

قال شيخ الربوة [1] : بحيرة كبيرة يدخلها العاصي ويخرج منها ، ولها سكر يصاد فيه نوع من السمك ، شبيه بالحيات يسمى انكليس ، لحمه شبيه بالألية المشوية ، وللناس فيه رغبة عظيمة ، يحمل اليهم داخل البحر في المراكب ضمانه في السنة نحو ثلاثين الف درهم .

سهل الغاب

يبلغ طوله نحو ستين كيلو متراً ، وعرضه نحو عشر كيلو مترات ، هـذا عدا جوانب السهول المتصلة به ، وسفوح الجبال التي تحيط به ، وتبلغ مساحته نحو سبعين الف هكتار .

وفي هـذا السهل بحيرتان كبيرتان ، احداهما : بحيرة أفامية ، والثانية البحيرة الشمالية ، ويصل بين هاتين البحيرتين زقاق تمر فيه المراكب والزوارق.

ويخترق هـذا السهل نهر العاصي ، وماء العيون والينابيع التي تصب عليه .

وفي اطراف الغاب كثير من الينابيع الغزيرة ، والعيون الثرارة ، منها نبع عين الطاقة الواقـع بقرب قلعة المضيق ، فقد قال المهندسون : انـه يعطي في الثانية الواحدة مترين مكعبين .

وان نهر العاصي عند اتصاله بهذا السهل ، بالقرب من قرية شيزر يقدر بثمانية عشر مترا مكعبا ، ثم يصير عند خروجه من السهل عند قريـة قرقور سبعة وعشرين مترا ، عدا مايضيع من المياه، وهذه الزيادة تكون من

(١) شيخ الربوة : نخبة الدهر ص ٢٠٥ (ج) .

ينابيع الغاب، ومجموع هذه المياه يشكل مستنقع الغاب الذي تنتشر فيه جراثيم الملاريا وغيرها، فيفتك في النفوس فتكا ذريعا، والذي تتصل به سهول اخرى كسهل الرُّوج، والارضين التي تبتدىء من قرية شَيْزَر، ويقدر مايصلح منها للاستغلال بتسعين الف هكتار.

وارض الغاب ترتفع عن سطح البحر مائتي متر فقط، وفي غربيها جبال النصيرية، وقد انشيء طريق بين قلعة المضيق وخان شيخون، طوله اثنان وعشرون كيلو متراً، وذلك بعد الحاقها بالمعرة.

الاسماك في منطة الغاب:

يكثر السمك المسمى بالصلور في هذه المنطقة، ويدوم موسم اصطياده فيها اربعة أشهر ونصف، أولها شهر تشرين الثاني الى منتصف آذار.

ويباع هذا السمك في البلاد السورية على هذا الوجه.

في المائة	
٣٠	في مدينة حلب
١٠	في مدينة حماة
٤٥	في مدينة حمص
١٠	في مدينة دمشق
٣	في مدينة زحلة
٢	في مدينة بيروت
١٠٠	

وقد لخصت هذا من تقرير رفعه الى الحكومة وكيل قائم مقام المعرة في تشرين الأول سنة ١٩٤٠م

مشروع الغاب في عام ١٩٦٣ :

كان هذا العام حافلاً باخبار هذا المشروع الحيوي وأعماله ، رأينا من الفائدة نشر ذلك مسلسلاً حسب الزمن :

استقبل المهندس جميل معلا الأمين العام لوزارة الزراعة ، السيد ديبولد رئيس بعثة خبراء منظمة التغذية والزراعة في دمشق ، يرافقه خبيران من خبراء المنظمة ، وقد بحثوا في هذه المقابلة البرنامج التنفيذي لمشروع استغلال اراضي الغاب وتكثيفه ، ذلك المشروع الذي سيساهم فيه الصندوق الخاص لهيئة الأمم المتحدة ، بما يقرب من ٧٠٠ الف دولار ، وستعاون وزارتا الاصلاح الزراعي والزراعة في تنفيذه .

ويشمل هذا المشروع استقدام ١٢ خبيراً في فروع الزراعة والري ، وتقديم تجهيزات للمشروع ، بما يقرب من ١٠٠ الف دولار ، وتقديم (٦) منح تدريبية لموظفي وزارة الاصلاح الزراعي ، كما يشمل المشروع اقامة مزرعة نموذجية في الغاب ، تطبق فيها أحدث الأساليب الزراعية ومختلف الدورات لاستغلال أنسب اراضي الغاب الثمينة الخصبة (١) .

واحتفل ظهر أمس في ١٧ حزيران ١٩٦٣ في وزارة الاصلاح الزراعي ، بتوقيع الاتفاقية المعقودة بين الجمهورية العربية السورية والصندوق الخاص الأمم المتحدة ، ومنظمة المعونة الفنية ، بشأن الاستثمار النموذجي لمنطقة الغاب .

وقد وقع الاتفاقية نيابة عن الحكومة السورية السيد شبلي العيسمي وزير الاصلاح الزراعي ، ووقعها الدكتور مارا ممثل مجلس المعونة الفنية ومدير برامج الصندوق الخاص .

---

(١) جريدة بردى بدمشق ٢٤ آذار ١٩٦٢ م .

وتقضي هـذه الاتفاقية بأن يساهم الصندوق الخاص بما قيمته ٦٨٣٨٨٠ دولاراً ، مع الحكومة السورية ، للعمل على تنفيذ هذا المشروع ، الذي قدرت تكاليفه ١٤٠٤٢٠٠ دولار = ٥٣٣٥٩٦٠ ليرة سورية ، كما نصت هذه الاتفاقية على أن تتم مساهمة الصندوق الخاص عن طريق تزويد المشروع بعدد من الخبراء في التربية ، وتصريف المياه والري ، والبستنة ، وتكاثر الحيوانات والهندسة الزراعية ، والتخطيط الاقتصادي ، وتقديم عـدد من المنح الدراسية في الري والهندسة الزراعية ، وصيانة التجهيزات ، والاقتصاد الزراعي ، كما أن هـذه المساهمة تتضمن شراء لوازم وتجهيزات بما قيمته ١٢٦٢٠٠ دولار = نصف مليون ليرة سورية تقريباً .

ويعتبر هـذا المشروع والمشاريع الحيوية بالنسبة للاقتصاد السوري ، احـدى الدعامات لزيادة الثروة القومية ، وخاصة اذا علمنا أن المشاريع التي تبغي زيادة المساحة المروية ، او زيادة غلة الارض ، هي دوماً في مقـــدمة عوامل الرواج الاقتصادي الشامل في البلاد (١) .

وقد وضعت اتفاقية استثمار منطقة الغاب موضع التنفيذ ، وقـد عقد لذلك اجتماع قبل ظهر ١٨ حزيران ١٩٦٣م في مكتب المـدير العام لوزارة الاصلاح الزراعي ، حضره المهندس جميل معلا الامين العام لوزارة الزراعة ، وعدد من اعضاء مجلس المعونة والصندوق الخاص للامم المتحدة ، وذلك للبحث في وضع الاتفاقية القائمة بشأن الاستثمار النموذجي لمنطقة الغاب موضع التنفيذ (٢).

---

(١) جريدة بردى بدمشق — السنة الثامنة عشرة — العدد ٢٩١٤

(٢) جريدة بردى بدمشق العدد ٢٩١٥

وتحدث مدير مؤسسة المشاريع الكبرى المهندس لطفي الخاص في ١٢ تموز ١٩٦٣ م فقال : ان المشروع يجزأ الى جزئين : الأول ، وهو سد العشارنة الذي بلغت تكاليفه ٢١ مليون ليرة سورية ، وسينتهي العمل به بعض مضي شهرين فقط ، حيث ينجز من كامل المشروع حوالي ٦٠ ٪ بالمائة وسينتهي العمل في كامل المشروع بعد سنتين ، وقال : انه قد مضى على مشروع الغاب ١٣ سنة [1] .

وجاء في جريدة الثورة بدمشق في عددها المؤرخ في ١٣ تموز ١٩٦٣ م : ان مشروع الغاب الذي تبلغ تكاليفه ١٨٠ مليون ليرة سورية ، صرف منها حتى الآن ١١٠ ملايين ليرة سورية من الاموال الوطنية ، وقد بوشر بتنفيذ المشروع عام ١٩٥٥ م ، ويتضمن عمليات التجفيف على اساس اتصال احدى الاقنية ، طولها ١٢٠ كم ، واقنية ثانوية طولها ١٥٠ كم ، بلغت تكاليفها ١٩ مليون ليرة سورية ، بالاضافة الى فتح شبكة من الطرقات بلغت تكاليفها ٢٢ مليون ليرة سورية ، أما السدود التي اقيمت فقد بلغت تكاليفها ٦٠ مليون ليرة سورية ، وهي سد الرستن ، وسد محردة ، وسد العشارنة ، وهناك شبكة اقنية بطول ٤٠٠ كم ، بلغت تكاليفها ٢٥ مليون ليرة سورية ، أما ماتبقى من المشروع فهو اتمام عمليات اقنية الري والصرف التي تحتاج الى ٣٥ مليون ليرة سورية ، انتهت دراستها الاولية .

وقد صرح مدير فرع الغاب بأن المساحات المزروعة زراعة صيفية في الغاب ، بلغت ١٥٠ الف دونم ، بالاضافة الى الأملاك الخاصة والعامة ، وقال : ان عمليات حصاد المحصول الشتوي ، أي الحبوب قد تمت في أكثر مناطق الغاب ،

---

(١) جريدة الثورة بدمشق – العدد ١٢ .

أما المحاصيل الصيفية فانها تبشر بانتاج وفير جداً ، ويقدر ان يزيد المردود لاحتمال في الزراعات المبكرة بنسبة عشرة بالمئة ، عما كان عليه في السابق .

ثم وصفت جريـــدة الثورة المذكورة موكب رئيس مجلس الوزراء (السيد صلاح الدين البيطـار) سيره الى قامة المضيق ، حيث زار هناك احواض تربية الاسماك على اختلاف انواعها ، واستمع الى ايضاحات خبير الاسماك عن التجارب التي تجري في الاحواض للتعاون بين وزارة الزراعة ومنظمة الزراعة والاغـذية الدولية ، وبيّن الخبير ان التجارب التي جرت حتى الآن كانت ناجحة وتبشر بأحسن نتائج ويمكن ان تسد بعد وقت قصير حاجة البلاد من الاسماك .

ثم انتقـــل رئيس مجلس الوزراء ومرافقوه الى المركز الاجتماعي في الشريعة ، وتفقد أقسامه التي تتألف من وحـــدات صحية واجتماعية وزراعية وثقافية ، واستمع الى ايضاحات مدير المركز عن نشاط المركز والخـدمات التي يقدمها الى ابناء الغاب .

ثم توجـه رئيس الوزراء الى منطقة العشارنة حيث زار السد التحويلي المهيأ لتوزيع المياه على الاقنية الرئيسية الممتدة على جانبي الغاب وفي منتصفه ، وأبدى رئيس مجلس الوزراء اعجابه بهذا المشروع الذي يروي مساحات كبيرة من اراضي منطقة العشارنة (١).

وبعد ذلك توجه رئيس مجلس الوزراء ، الى منطقة الغاب ، التي ينتظر أن يبلغ صافي الربح منها ، بعد تنفيذ قسم كبير من مراحل المشروع ، مايقارب من الـ ٥٠ الى ٦٠ مليون ليرة سورية ، والجدير بالذكر ان الاراضي التي

---

(١) جريدة الثورة بدمشق – السنة الاولى – العدد ١٣

نتجت عن المشروع تستثمر من قبل الفلاحين واقاربهم حالياً ،وينتظر أن توزع هذه الاراضي عند انتهاء المشروع على الفلاحين .

وتابع الموكب سيره بعد ذلك فقـام الاستاذ البيطار بزيارة احواض تربيـة الاسماك ،ثم استمع الى ايضاحات خبير الاسماك عن التجارب التي تجري في الاحواض ،وذلك اعتماداً على اتفاقية بين وزارة الزراعة ،ومنظمة الاغـذية العالمية ،بتقديم المعونة الفنية اللازمة (١) .

وبلغ مردود منطقة الغاب من المحصولات الزراعية في عـام ١٩٦٣ م كما قدرته الدوائر الرسمية المختصة ٨٠ مليون ليرة سورية ، بالرغم من ان المساحات المزروعة فيه لم تتجاوز ٣٠٠ الف دونم .

وذكرت المصادر ذاتها المبالغ التي صرفت لاستصلاح منطقة الغاب ،قد بلغت حتى الآن ٢٣٠ مليون ليرة سورية (٢) .

ونشرت جريدة الثورة في عددها الصادر في ٣١ آب ١٩٦٣ ، فقالت : ويعتبر مشروع الغاب اكبر المشاريع الانمائية التي تنفذها مؤسسة المشاريع الكبرى حالياً ،ويشمل منطقة الغاب نفسها ،و نطقة طار العلا ـ العشارنة ، وهو يستصلح ٣٥٠ الف دونم ، كانت عبارة عن مستنقعات ،وفيه سدود تخزينية ،وتحويلية ، وتنظيمية ، وهو يؤمن شبكات الري والصرف والطرق وأحواض السمك .

وأنجز القسم الاكبر من المشروع ، كسد الرستن ومحردة والعشارنة ، ومعظم شبكات الري والصرف ، ومحطات التوليد ، وشبكات الطرق ،وأحواض تربية الاسماك ، والجسور ، ويستمر الان العمل لاتمام المشروع بكامله.

---

(١) جريدة الثورة بدمشق - العدد ١٤

(٢) جريدة الثورة بدمشق - العدد ٢٩ المؤرخ في ٢٩ تموز ١٩٦٣ م

وأصدر المجلس الوطني لقيادة الثورة في ٤ ايلول سنة ١٩٦٣ م مرسوماً بتنظيم استثمار اراضي الغاب ، وقد حدد المرسوم المساحة التي يرخص باستثمارها بين ٢٠و٣٥ دونما سقياً ، أو بين ٤٠و٧٠ دونماً بعلياً ، كما نص على أسس جديدة للاستثمار أهمها :

١ ـ ان يكون من مواطني الجمهورية العربية السورية بالغاً سن الرشد .

٢ ـ ان تكون مهنته الزراعة ، أو حاملا لشهادة زراعية .

٣ ـ ان يستثمر الأرض بالذات .

٤ ـ الا يكون منتفعاً بأراضي الاصلاح الزراعي .

٥ ـ الا يكون مالكا لأرض زراعية ، او مستأجراً لأراضي أملاك الدولة ، أو الاراضي المستولى عليها ، بحيث اذا اضيفت اليها الارض المرخص له بها ، لايزيد مجموعها عن الحد المنصوص عليه في المادة الخامسة منهذا المرسوم .

ونص المرسوم ايضاً على ان تكون الأولوية في التوزيع ، لمن هو اكثر عائلة ، وأقل مالاً حسب الترتيب التالي :

آ ـ للمرخصين في منطقة الغاب منذ أربع سنوات فأكثر بصورة مستمرة ، الذين لايملكون أية أرض زراعية ، وليس لهم دخل آخر .

ب ـ لأبناء قرى منطقة الغاب الذين لايملكون أية أرض زراعية ، وليس لهم أي دخل آخر .

ج ـ لباقي المرخصين السابقين منذ أربع سنوات بصورة مستمرة .

د ـ لباقي أبناء قرى منطقة الغاب .

هـ ـ لأبناء القرى المجاورة (١).

---

(١) عن جريدة الثورة بدمشق في عددها المؤرخ في ١١ ايلول ١٩٦٣ - العدد ٨٢ .

وصريح المهندس لطفي الخاص رئيس مجلس ادارة مؤسسة المشاريع الكبرى في ٢٩ تشرين الاول ١٩٦٣ م فقال : ان تتمة الأعمال الكبيرة في مشروع الغاب، سوف تطرح اليوم بالمناقصة لانهاء هذا المشروع الحيوي الهام ، وجعل أراضيه بكاملها مهيأة للاستثمار في المواسم المقبلة .

٢٨٠ الف دونم تروى بالراحة : وأضـــاف ان مجموع الاراضي التي ستستفيد من الأعمال الجديدة ، وتصبح مروية بالراحة يبلـغ ٢٨٠ الف دونم ، وهي اكثر من نصف اراضي مشروع الغاب ، وفي نفس الوقت يستمر العمل في مشروع العشارنة الذي يوشك على الانتهاء .

وستتم الأعمال في القناة (ج ١) للمرحلتين الثانية والثالثة ، مع الأقنية والمصارف الثانوية ، والطريق الرئيسي بين مرداش وعين الناعور ، والاعمال الصناعية .

تأمين المواصلات للنقل : ويبلغ طول القناة الرئيسية ٣٠ كيلو متراً ، وطول أقنية الري الثانوية ٧١ كيلو مترا ، كما يبلغ طول المصارف الثـــانوية ١٠١،٥٠٠ كيلو متر ، أما طول الطريق الرئيسي فيبلغ ٢٥ كيلو متراً ، وتروي هذه الأعمال اكثر من مائة الف دونم ، وتؤمن لها المواصلات للنقل ..

تنفيذ المرحلة الثالثة : وقال : وفي نفس الوقت سوف يشرع بالمرحـــلة الثالثة ، من أعمال القناة (ج ٢) مع الأقنية والمصارف الثانوية للمرحلتين الثانية والثالثة مع الاعمال الصناعية .

اقنية ومصارف وطرق المرحلة الثانية : ويبلـغ طول القناة الرئيسية في هـــذا المشروع ١٣،٣٨٠ كيلومتراً ، وتبلـغ اطوال الاقنية والمصارف والطرق في المرحلة الثانية كما يلي : الاقنية الثانوية ٩١ كيلو متراً ، والمصارف الثانوية ١١٤،٤٠٠ كيلو متراً ، والطرق ١٧ كيلو متراً .

ارواء ٧٠ ألف دونم : أما في المرحلة الثالثة فيبلغ طول أقنية الري الثانية ٣٠،٤٠٠ كيلو متراً ، والمصارف الثانوية ٥٠ كيلو متراً ، والطرق الثانوية ٧،٥ كيلومترات ،وتروي هذه القناة أكثر من سبعين الف دونم .

الشروع بتنفيذ القسم الثاني : واضاف السيد الخاص بأن القسم الثاني من المرحلتين الثانية والثالثة في اعمال القناة (ج ٣) ، مع الاقنية والمصارف الثانوية ، والطريق الثانوي ، من عين الطاقة حتى قرقور ، والاعمال الصناعية الملحقة بها ،سوف يتم الشروع بها في نفس الوقت .

ارواء ٩٠ الف دونم : ويبلغ طول القناة الرئيسيه (ج ٣) ٢٥ كيلو متراً ، وتتضمن اعمالها ١٤٨ كيلو متراً من الاقنية الثانوية ، و٩٦ كيلو متراً من المصارف الثانوية ، ويبلغ طول الطريق ٣٦ كيلو متراً ، وهذه القناة مع اعمالها تروي أكثر من تسعين الف دونم .

تعميق مجاري المصارف : ويتضمن العمل في المشروع المقبل تعميق مجرى المصرف آ- والمصرف ب -١٢٠سنتيمتراً ، ويبلغ طول ماسيعمق في المصرف آ- ٣٥ كيلو متراً ، وفي المصرف ب - ٢٨ كيلو متراً .

وأضاف رئيس مجلس ادارة مؤسسة المشاريع الكبرى قائلاً : ان هذه المشاريع المتواصلة سيرافقها انشاء طرق اضافية ، من الاسفلت بعرض خمسة امتار ، ويبلغ طولها ٣٥ كيلو متراً .

وستبذل اجهزة المؤسسة الجهد الكبير ، حتى تكون هذه الاعمال تامة في اقرب وقت مستطاع ، فيصبح مشروع الغاب تاماً بكامله ، وتصبح جميع المنطقة منتجة تعطي وتدر الخير .

وقد تقرر مبدئياً انتخاب منطقتين الغاب ، مساحة كل منهما ٢٥٠٠ دونم ، الاولى في عين الناعور ، والثانية في مرج الكريم ، وسيبدأ العمل في المنطقة الاولى قبل نهاية العام الحالي (١٩٦٣ م) لاستثمارها ، وتوزيعها على اساس نموذجي(١).

وطرحت مؤسسة المشاريع الكبرى في مناقصة دولية في ٣١ تشرين الأول ١٩٦٣ م اعمال اكمال شبكات الري والصرف في مشروع الغاب ، لمساحة تزيد عن ٢٨ الف هكتار ، وسيتم تنفيذ العمل خلال اعوام ٦٤ و ٦٥ و ١٩٦٦م ، وقد حدد برنامج التنفيذ ، بشكل يستفاد معه في بداية كل موسم ، من ري جزء من الاجزاء التي تم تنفيذ اعمالها ، أما استثمار المشروع بكامله فسيتم في ري عام ١٩٦٧ م ، وتصبح عندئذ مساحة الاقسام المروية في المنطقة ٤٤ الف هكتار.

وان مشروع انشاء اقنية الري والصرف في سهل طار العلا ـ العشارنة ، قد انتهى ، وسيبدأ باستثماره في موسم ري عام ١٩٦٤ م ، وتزيد مساحته عن ٢٠ الف هكتار .

وان مناطق التنفيذ الجديدة قد قسمت ، حسب الموقع الجغرافي والطبيعي لها ، فضلاً عن مراعاتها تسهيل عمليات الدراسة والتنفيذ ، وتبلغ مساحات هذه الاقسام كما يلي:

المنطقة الاولى ٧١٥٠ هكتاراً ، الثانية ٦٦٣٦ ، الثالثة ٥٩٩٣ ، الرابعة ٩٥٧٦ ، والخامسة ٦٣٣٧ ، السادسة ١٣٥٥ ، السابعة ٢٧٧٧ ، والثامنة ٧٠٥٢ هكتاراً .

أما طول الاقنية الرئيسية التي ستنفذ فيبلغ ٦٦ كيلو متراً ، وطول الاقنية الثانوية ٣٦٦ كيلو متراً ، وطول المصارف الثانوية ٣٦١ كيلو متراً (٢).

(١) جريدة الثورة بدمشق ـ العدد ١٢١
(٢) جريدة الثورة بدمشق - العدد ١٢٣

وتحدث السيد شبلي العيسمي وزير الاصلاح الزراعي في ٩ تشرين الثاني ١٩٦٣م فقال :

بدأت الوزارة بالتعاون مع الصندوق الخاص للامم المتحدة ، بتنفيذ مشروع تنمية الغاب زراعيا . وتبلغ تكاليف هذا المشروع الذي حددت مدة تنفيذه بثلاث سنوات حوالي مليون ونصف المليون دولار ، اي مايعادل حوالي خمسة ملايين ونصف المليون ليرة سورية ، ويهدف هذا المشروع الى تطوير منطقة الغاب زراعيا ضمن الحدود التالية :

١ ـ استثمار منطقة محدودة بشكل نموذجي ، على احدث الطرق الزراعية لتكون قدوة لبقية المناطق .

٢ ـ اجراء تجارب وابحاث تتلاءم مع منطقة الغاب .

٣ ـ تدريب الفنيين العاملين في الغاب على احدث طرق الاستثمار .

٤ ـ ايفاد بعض الموظفين الى الخارج للتدرب على النواحي الزراعية المختلفة التي تهم الغاب .

هـذا مع العلم أن معظم الابحاث التي يجري تطبيقها في منطقة الغاب يمكن أن يستفاد منها مستقبلا في منطقة سد الفرات .

أما بالنسبة للمشاريع الاخرى التي تقوم الوزارة بتنفيذها في منطقة الغاب فهي كثيرة ، ونكتفي بان نذكر منها مشروعي محطة تربية الابقار في جب رملة ، وانشاء المستودعات اللازمة للحاصلات الزراعية .

محطة تربية الابقار : لما كان من المسلم به ان أي نهضة زراعية لايمكن أن تقوم في بلد ما دون أن يرافقها توسع في تربية الحيوان يدخل في تخطيط

وتنظيم الدورات الزراعية ، بالحفظ للأرض خصبها ، وللانتاج تنوعه وتوازنه ، بالاضافة الى ما تدره من ربح وفير ، اذا احسن اختيارها من بين الانواع الحيوانية الملائمة ، وتوفرت لها اسباب الرعاية والتربية الحديثة .

لهذه الاسباب فقد خصص لمشاريع الثروة الحيوانية ، وتصنيع منتجاتها نصيب وافر في برنامج الاصلاح الزراعي ، وكان من جملة هذه المشاريع : انشاء محطات للابقار في كل من حميمة و كتيان والغاب ودير الزور ، ولقد تم اختيار موقع جب رملة في الغاب ، كمكان ملائم لاقامة محطة لتربية الابقار خصص لها مساحة ـ ٣٠٠٠ ـ دونم من الاراضي المروية لزراعتها بالاعلاف الخضراء ، وتأمين ما تحتاجه الابقار من هذا الغذاء الضروري للحفاظ على صحتها ، وزيادة انتاجها من الحليب .

وقد انشئت المحطة على ارض مساحتها ـ ٣٥٠،٠٠٠ ـ متر مربع تحتوي على المباني التالية :

١ ـ السور الخارجي مع غرفتين للحرس على المدخل

٢ ـ حظيرتان تتسعان لمائتي رأس من البقر ، مع توابعها ، مثل الحظائر للعجول الكبيرة ، وغرف الولادة ، ومعازل للعجول الصغيرة ، وملاعب وامداس عادية ، علما بأن التصميم الاساسي للمحطة يسمح لها بالتوسع التدريجي لزيادة استيعابها حتى ـ ٦٠٠ ـ رأس من البقر .

٣ ـ مستودعات للتبن والمواد العلفية الاخرى ، مع غرف تجهز آليا لخلط العلف وتوزيعه .

٤ ـ عيادة بيطرية كاملة تشتمل على عيادة الطبيب والمختبر وغرفة المعاينة والمشرحة ، وغرف لعزل الحيوانات المريضة .

٥ ـ المسجد وبناء الادارة ، ويشتمل على ـ ١٠ ـ غرف لمكاتب الموظفين .

٦ ـ مستودع المحروقات والمراكب ، الذي يتسع لـ ١٠ سيارات وآلات زراعية متنوعة .

٧ ـ خزان المياه وسعته ـ ٥٠ ـ متر مكعب مع تمديدات الشبكة المائية .

٩ ـ دار سكن لمدير المحطة ، وهي عبارة عن فيلا من طابقين .

١٠ ـ مركز لتوليد القوة الكهربائية للانارة .

١١ ـ سكن للعمال المتزوجين ، ويشتمل على ١٢ وحدة سكنية تتألف كل واحدة من غرفتين ومنافع ، يقطنها عامل مع عائلته .

١٢ ـ سكن للعمال العازبين ، ويشتمل على ٦ وحدات سكنية تتألف كل منها من ثلاث غرف ومنافع ، يقطنها ثلاثة عمال .

١٣ ـ سكن للموظفين يتسع لثمانية موظفين عازبين .

١٤ ـ مظلات تقي الابقار حرارة الشمس والامطار ، هذا ويجري الآن تنفيذ الاعمال المتبقية الضرورية لتشغيل المحطة وتتضمن :

١ ـ تعبيد وتزفيت الطرق الداخلية ، التي تبلغ مساحتها ٥٠،٠٠٠ متر مربع ، وتصل جميع الابنية ببعضها بعضاً .

٢ ـ تركيب محركات الماء، ومولدات الانارة، وتمديد الشبكة الكهربائية الخارجية ، وتنوي الوزارة انشاء مصنع للحليب مجهز باحدث الآلات الفنية ، استطاعته اليومية ـ ١٥ ـ طنا من الحليب ، وتحويله الى مشتقات معقمة سهلة الحفظ والنقل ، كما تنوي الوزارة انشاء سكن للطبيب البيطري ، وآخر لمدير معمل الحليب والموظفين الآخرين ، كما ستنشيء مركزا للحلابة الآلية اسوة بالمحطات الحديثة العالمية ، ومن المنتظر الانتهاء من بعض الاعمال التي لم تنته بعد ، والمباشرة بتشغيل المحطة في نهاية هـذا العام (١٩٦٣ م) بعد أن يتم تجهيزها بالمعدات والادوات الضرورية وتستورد لها الابقار من العروق العالمية وتبلغ التكاليف الكاملة لمباني المحطة مبلغ ـ ٥،٢ ـ مليون ليرة سورية.

الأقسام الزراعية

لقد انشأت الوزارة في منطقة الغاب ـ ٤ ـ اقسام زراعية في الكريم وشطحة وعين الكروم والجيد ، ويتألف كل منها من اربع غرف ومنافع . كلفت الوزارة مبلغ ـ ١٠٧ ـ آلاف ليرة سورية .

وقد بنيت هذه الاقسام كمراكز لمناطق الاصلاح الزراعي البعيدة عن الفروع ، ولتوزيع العمل وسهولة الاشراف والارشاد ، وغير ذلك من الاعمال الزراعية ، وستبني الوزارة اقساما اخرى في الاعوام القادمة لهذه الغاية .

المستودعات

انشأت الوزارة في المنطقة ايضا ـ ١٧ ـ مستودعا ، مساحة كل منها ـ ٢٠٠ ـ متر مربع ، كلفت ـ ١٨٠ ـ الف ليرة سورية ، وذلك في المناطق التالية :

المنطقة	العدد
الكريم	٣
الرصيف	٢
الجيد	٢
عين الكروم	٢
شطحة	٢
تل زجرم	٢
قسطون	٢
جورين	٢

هذا وان الوزارة عازمة في العام القادم (١٩٦٤م) على بناء مستودعات في مناطق اخرى لاستيعاب حاصلات الاراضي وحفظها (١).

ووافقت لجنة البحوث والدراسات بوزارة الاصـلاح الزراعي في ١٧ تشرين الثاني سنة ١٩٦٣م على اقتراح لجعل منطقة الغاب منطقة ادارية واحدة، للاسباب الآتية: ان منطقة الغاب تتبع ثلاث محافظات: هي ادلب - اللاذقية - حماة - وان الاجراءات الادارية المتخذة من قبل كل منها تكون احيانا مختلفة بالرغم من وحدة المنطقة، وان جعل منطقة الغاب وحدة ادارية لها مركز معين مسؤول عن المنطقة، يسهل على المواطنين من ابنائها حل مشاكلهم عن طريق مراجعة سلطة ادارية واحدة في مكان واحد (٢).

وأدلى المهندس السيد لطفي الخاص رئيس مجلس ادارة مؤسسة المشاريع الكبرى بتصريح في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٩٦٣ م، فقال: ان العمل يسير

(١) جريدة الثورة بدمشق - السنة الاولى - العدد ١٣١

(٢) جريدة الثورة بدمشق في عددها المؤرخ في ١٨ - ١١ - ١٩٦٣م - العدد ٠٤

سيراً حسناً ، وان المؤسسة طرحت اعمال إكمال شبكات الري والصرف في الغاب في مناقصة عالمية ، وهي تشمل مساحة تزيد عن ٢٨ الف هكتار ، يتم تنفيذها خلال ثلاث سنوات ، وعندئذ تصبح المساحة المروية في المنطقة ٤٤ الف هكتار .

وقال : ان أقنية الري والصرف في سهل طار العلا ـ العشارنة يعتبر في حكم المنتهي ، وان الاستثمار سيبدأ في موسم ري عام ١٩٦٤م ، وتزيد المساحة المستثمرة عن ٢٠ الف هكتار .

وقال : ان العمل قد قسم الى ثمانية اقسام حسب الموقـــع الجغرافي والطبيعي لكل قسم ، ويبلغ مجموع مساحة هذه الأقسام اكثر من ٢٨ الف هكتار .

وقال : ان طول الأقنية الثانوية ٢٦٦ كيلو متراً ، اما شبكات الصرف فيبلغ طولها ٣٦١ كيلو متراً .

وتسير اعمال شق الطرق الى جانب اعمال شبكات الري والصرف ، وسينفذ من الطرق ماطوله ١٢٣ كيلو متراً ، وقال : انه من المتوقـــع ان يتم ذلك في مستهل العام القادم ١٩٦٤ م (١) .

---

(١) جريدة الثورة بدمشق ـ العدد ١٤٣

أم تينة

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ١٨ : الذكور ١٠ ، والإناث ٨

أم اميال

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ٣٣ : الذكور ١١ ، والإناث ٢٢

أم الخلاخيل

قرية من عمل المعرة : عدد سكانها ٣٢ : الذكور ٢٠ ، والإناث ١٢

أم رجيم

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ١٢ : الذكور ٨ ، والإناث ٤

أم صهريج

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ١٧ : الذكور ٩ ، والإناث ٨

أم الهلاهيل

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ٩ : الذكور ٦ ، والإناث ٣

بَبيلا ،اوبابيله ،او باب ايلا

هي الآن خربة ومزرعة لقرية الدانا ، تقع في شرقها ، جيدة التربة ، وفيها آثار قديمة ، ذهب اكثرها .

البارة

قال ياقوت : بليدة وكورة من نواحي حلب ، وفيها حصن ، وهي ذات بساتين ، ويسمونها زاوية البارة ، (١) وفي تاريخ سلاطين مصر والشام وحلب تأليف ابراهيم مغلطاي .

البارة من عمل المعرة أخذها صنجيل بالأمان ، ثم غدر بهم ، وعاقبهم ، وأخذ أموالهم وذلك سنة ٤٩١ هـ ، ثم أخذ بغدوين حصن زورا غربي البارة وأهلها الأولون من بهراء [٢] وفيها خرب واسعة ، وفيها شوارع عديدة ، وبيوت منها على راوية فان برشم بقايا خمس او ست كنائس وبيع ، وفي ضواحيها بيوت مهملة عملت من الحجر ، وما فيها من مصانع ومعابد وبيع وقصور ، يرجع عهده الى القرن الخامس والسادس ، وفي قلعتها حجارة عليها حروف يونانية ، والباقي من آثار خربها يدل على انها كانت مدينة عظيمة في القديم ، ويقال : انها كانت في سعة حلب .

وقد افتتحها نور الدين سنة ٥٤٦ هـ [٣] ، بعد أسر صاحبها جوسلين .

والآثار الماثلة من هذه البلدة ، تدل على انها كانت واسعة ، تمتد في ساحة وسطها واد مستطيل ، تكاد تبلغ مساحتها اربعة كيلو مترات .

وانها منقسمة الى حيين : احدهما في الغرب ، وفيه آثار كنيستين كبرى وصغرى ، وثانيهما في الجنوب ، وفي كل منهما اثار مدرسة ومعبد يشرف على احداهما حصن ، يقال له : حصن ابي سفيان ، فيه برج كبير ، وحوله اربعة ابراج . وبين الحيين نشز من الأرض ، عليه قصر له طبقتان ، يسمى قصر سوباط .

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ١ : ٤٦٥

(٢) في معجم قبائل العرب لكحالة ١ : ١١٠ : بهراء بن عمرو بطن من قضاعة من القحطانية .

(٣) ابن الوردي : التاريخ ٢ : ٥٠ (ج) .

اودير سوباط

له حديقة ، فيها مدفن فوق أعمدة ، وبين القصر والقرية ساحة كبيرة تحيط بها أعمدة .

وفي الجنوب مقبرة ، فيها قبور عليها كتابة يونانية ، وثلاثة مبان مربعة الشكل على كل منها هرم ، وفي داخلها نراويس .

وفيهـا كثير من الآثار العظيمة الرائعة ، الطافحة بالنقوش البديعة نقراً وطلاء .

وقدعثر على كتابة عربية فيها البسملة ، وبعدها الملك لله وحده ، كتبه سلطان بن معد رجب سنة ٧٧٠ ﻫ

برتقانة

قرية من عمل المعرة ، عدد اهلها ٢ : الذكور ١ ، الاناث ١(١)

البرصة

قرية من عمل المعرة ، عدد اهلها ١١ : الذكور ٨ ، والاناث ٣

بَرْنان

قرية من عمل المعرة ، عدد اهلها ٢٣ :الذكور ٩،والاناث ١٤

بْسَقْلا

بسكون الباء والقاف وفتح السين ، هكذا تقولها العامة، قرية من عمل المعرة عدد اهلها ٣١٦:الذكور ١٦٢ ، والاناث ١٥٤

---

(١) في البيان المقدم في ١٤ / ٢ / ١٩٦٣ من قبل امين السجل المدني بالمعرة: انها تعد ٧٥ ذكراً ، و٦٠ انثى .

تيو مَلّة

قرية من قرى المعرة ، تابعة ناحية خان شيخون ، عدد سكانها ٥٢ : الذكور ٢٧ ، والاناث ٢٥

التسح

قرية في جنوبي المعرة الشرقي ، يشرب اهلها من ماء الركايا ، وفيها سعن يجري في الشتاء والربيع ، ثم ينقطع ، واكثر زراعتها الحنطة والشعير ، وعدد نفوس اهلها نحو ٤٩٨ ، نصفها ذكور ، ونصفها اناث ، وكلهم مسلمون .

تل خزنة

قرية من عمل المعرة ، عدد اهلها ١٠ : الذكور ٥ ، والاناث ٥

تل خنزير

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ٣٤ : الذكور ١٦ ، والاناث ١٨

تـل دَبَس

بفتح الدال والباء ، قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ١٢١ : الذكور ٤٨ والاناث ٧٣

تل دَمْ

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ٣٥ : الذكور ١٧ ، والاناث ١٨

تل عماره

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ١٥ : الذكور ٩ ، والاناث ٦

تل مَنّس

بفتح الميم وتشديد النون وفتحها وسين مهملة ، كما في ياقوت(١) ، حصن

(١) ياقوت : معجم البلدان ١ : ٨٧١ ، ٨٧٢

قرب معرة النعمان ، قال ابن المهذب المعري في تاريخه : قدم المتوكل الى الشام في سنة اربع وأربعين ومائتين ، ونزل بتل مَنّس في ذهابه وعودته[1] .

وقال السيوطي[2] : التلمنسي بفتحات وتشديد اللام والنون ومهملة الى تل منس حصن قرب المعرة .

وفي المسالك والممالك لابن خُرْداذبه[3] : من اقاليم حِمْص ، اقليم معرة النعمان ، واقليم كَفَرْ طاب ، واقليم تل مَنّس .

وتل منس قرية من قرى حمص ، ينسب اليها المسيّب بن واضح بن سرحان السُّلَمي المتوفى بها سنة ٢٤٧ هـ ، وقد ترجمه ابن حَجَر في لسان الميزان[4] .

وقد تقدم ان باب تل منس أحد ابواب المعرة ، لأنه يخرج منه الى جهتها .

وتل منس الآن قرية من عمل المعرة ، على بعد ساعة منها ، ونفوس أهلها ٨٨٣ : الذكور ٤٠٢ ، والاناث ٤٨١ ، وأهل المعرة يقولون : تل مِنّس بكسر الميم والنون المشددة ، وهي جيدة التربة ، وتلمنس كانت مساكن إياد[5] .

وقد تقدم في سنة ٤٧٢ هـ ان تاج الدولة تُتُش السلجوقي حاصر تل منس ، ولم يظفر بطائل منها ، وفي سنة ٤٩٣ هـ أخذ الفرنج من كَفَر طاب الى الحَضَر ، ومن حلب غرباً ، سوى تلمنس ، فان اصحاب جناح الدولة كانوا بها .

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ١ : ٨٧١

(٢) السيوطي : لب الالباب في تحرير الانساب ص ٥٤

(٣) ابن خرذابه : المسالك والممالك ص ٧٥

(٤) ابن حجر العسقلاني : لسان الميزان ٦ : ١٥٧ – ١٥٨

(٥) انظر معجم قبائل العرب لكحالة ١ : ٥٢ – ٥٥

وقد عثر في هذه القرية على آثار زجاجية ، وأبنية قديمة ، وظاهر ماتقدم يدل على انها كانت حصناً حصينا .

التانعة :

قرية تبعد عن المعرة نحو اربع ساعات ، وهي في الجنوب الشرقي من خان شيخون ، والحمدانيـــة ، وشرقي كَفَر طاب الى الشمال ، وبينها وبين خان شيخون نحو عشرة كيلو مترات .

تمنع كنت اظن انها التانعة ، ثم اخبرني بعض شيوخ المعرة انها غيرها ، وهي واقعة بين التح والتانعة ، خربة على بعد ثلاث ساعات من المعرة ، وأربع ساعات من التانعة .

وذكر الطبري في حوادث سنة ٢٨٣ هـ ان القاسم بن سيما ، حضر وقعة القرمطي في تمنع من بلاد المعرة .

وقد تقدم في حوادث سنة ٢٩١ هـ[١] ان عساكر الخليفة المكتفي ، التقت بالقرامطة في تمنع ، وهي من عمل المعرة ، على الطريق الآخـذة من حماة الى حلب .

وقال ابو الفـــداء : هي قرية من بلاد المعرة على الطريق الآخذة من حماة الى حلب .

أما تمنع فلا أعلم كيف ضبطها . وأما التانعة فالعامـة تلفظها بفتح التاء والميم وكسر النون وفتح العين ، وليس فيها حرف مشدد ، وعـــدد نفوسها ١١٠٦ : الذكور ٥٢١ ، والاناث ٥٨٥ .

---

(١) وانظر تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٤٧ ، وتاريخ معرة النعمان ١ : ١٠٨

التويني

قرية من قرى المعرة تابعة ناحية قلعة المضيق ، عــدد سكانها ٣٦٢ : الذكور ١٥٢ ، والاناث ٢١٠

التيحة

قرية من قرى المعرة ، عدد سكانها ٩ : الذكور ٤ ، والاناث ٥

جبالا

لم اقف على ضبطها ، والعامة تلفظها بسكون الجيم والباء واللام المفتوحتين وهي من القرى التابعة ناحية خان شيخون ، وعدد نفوس اهلها ٢٩٩ : الذكور ١٤٦ ، والاناث ١٥٣

جَوْجَنَاز

قرية في شرقي المعرة ، على بعد ساعتين منها جيدة التربة مخصبة ، يبلغ عدد اهلها نحو ٨٦٥ : الذكور منهم ٤٣٧ ، والاناث ٤٢٨

الجماسيـة

قرية من قرى المعرة الغربية ، تابعة ناحية قلعة المضيق ، عدد سكانها ٢٥٤ : الذكور ١٢٩ ، والاناث ١٤٥

جَهْنَيان

قرية من عمل المعرة ، عدد اهلها ٤٨ : الذكور ٢٣ ، والاناث ٢٥

حاس

بالسين المهمله : قرية من قرى المعرة ، تبعد عن كَفَرْ رُوما نحو نصف ساعة ، وقد ذكرها شعراء المعرة ، منهم : الامير ابو الفتح الحسن بن أبي حَصينة ، بقوله :

أَيّامَ قلْتُ لِذي المَوَدةِ اسقِني

مِنْ خَنْدَرِيسِ حُناكِها أَو حَاسِها (١)

وذكرها شرف الدين شيخ الشيوخ بقصيدة ، هنأ بها الملك المنصور صاحب حماة ، لما اعاد اليه قطز المعرة من ايدي الحلبيين فقال :

طربت برجعتها اليك كأنمـــا

سكرت بخمرة حاسها اوحيشها (٢)

وفيها آثار ابنية قديمة ، وقد عثر على بناء كامل تحت الارض ، ووجد فيه مائـدة من الرخام ، وفيها اثار برج و كنيستين ، ومدافن ، منها ما ينزل اليه بدرجات ، ومنها ما هو فوق الارض ، ولكل منها باب له مصراعان من الحجر الاسود المنقوش ، وعتبات الابواب منقوشة أيضــاً ، نفوس اهلها ٧٦٤ : الذكور ٤٠٥ ، والاناث ٣٥٩

الحديثة

قال ياقوت في المشترك (٣) : من قرى معرة النعمان ،وهي الان مزرعة قرب قرية التح من اراضي كفر باسين

حوّان

قرية من عمل المعرة،عدد سكانها ٣ :الذكور ١ ، والاناث ٢

---

(١) ابن ابي حصينة : الديوان ١ : ٣٥٦

(٢) ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر ٣ : ٢٠٦ (ج)

(٣) ياقوت : المشترك وضعا والمفترق صقعاً ص ١٢٣

حزارين

قرية من قرى المعرة الغربية، عدد سكانها ٤٥٦ : الذكور منهم ٢٣٧ ، والاناث ٢١٩

حفية

قرية من قرى المعرة ، عدد سكانها ٩ : الذكور ٦ ، والاناث ٣

الحَمْدانِيَّة

قرية من قرى المعرة ، على الخط الحديدي ، الممتد بين حلب وحماة ، عدد سكانها ٤٤ : الذكور ٢٠ ، والأناث ٢٤

حُنَاك

بالضم ، وآخره كاف ، كما ضبطه ياقوت ، والعامة في عهـــدنا تقوله بسكون الحاء ، هو حصن كان بمعرة النعمان ، خربه عبد الله بن طاهر في سنة ٢٠٩ هـ فيما خرب من حصون الشام ؛ لما عصى نصر بن شَبَث ، فلما ظفر به ، خرب الحصون لئلا يطمع غيره في مثل فعـــله ، وشعراء المعرة يكثرون من ذكره في غزلهم ، قال الامير ابو الفتح الحسن بن أبي حصينة :

أيامَ قلتُ لِذي المودَّةِ اسْقِني
مِنْ خَنْدَرِيسِ حُناكِها أَوحاسِها [1]

وسيأتي في شعر أبي المجد محمد أخي أبي العلاء قوله :

يَا مَغَانِي ٱلصِّبَا بِبابِ حُنـاكِ
لا بِبَابِ ٱلْغَضَا ، وَوَادي الأَرَاكِ

(١) انظر ماسبق ص ١٣٤ .

وقد ذكرنا في حوادث سنة ٢٤٥ ﻫ ، ان كنيسته الكبرى سقطت في الزلزال في السنة المذكورة ، وهو في جنوبي المعرة من الغرب ، على بعد ساعة تقريباً ، ولم يبق من آثاره إلا جدار من حجارة ضخمة مرتفع بضعة أذرع ، وهو الان مزرعة لأهل كفر روما ، فيه شجر تين وعنب وغيرهما .

حَنْدُوَثى

بالفتح ثم السكون ودال مهملة مضمومة وثاء مثلثة مقصورة ، كما ضبطها ياقوت [١] ، وهي قرية من قرى معرة النعمان ، ينسب اليها جماعة ،منهم الحسين بن احمد ، ومحمد بن اسمعيل كما سيأتي .

ولا اعلم لها أثراً الآن،وأهل المعرة يطلقون كلمة حَنْتُوتين على مزرعة قريبة من المعرة في الجهة الشمالية الغربية ، على بعد ساعة منها ، يقطنها قوم من أهل قرية دير سنبل ، ويزرعونها ، وهم نحو ثلاثين رجلاً .

وفي شعر ابن الوردي ، ورد لفظ حندوتين في قوله :

وَعَصْرَ شَبَابٍ فِي سِيَاثَ قَطَعْتُهُ
وفي أرضِ حَنْدُوتين في ذلكَ الْفَضَا[٢]

وربما كان أصلها حندوثين ، فحرفها النساخ الى حندوتين ، وحرفها العامة الى حنتوتين ، وابدال الدال بالتاء ، والتاء بالثاء كثير في لغات العامة ، ولا يبعد ان يكون أصل الجميع حندوثى .

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٣٤٧

(٢) ديوانه ط الجوائب ص ٣٢١ وفيه « ... شباب في سباب ... »

الجويجة

قرية من قرى المعرة تابعة ناحية قلعة المضيق ، عدد سكانهـا ١٩٨ : الذكور ١٠١ ، والأناث ٩٧ .

الحويز التحتاني

قرية تابعة ناحية قلعة المضيق ، عدد سكانهـا ١٢٤ : الذكور ٥١ والأناث ٧٣ .

الحويز الفوقاني

قرية تابعة ناحية قلعة المضيق ، عدد سكانها ٣٥٩ : الذكور ١٧٤ ، والأناث ١٨٥ .

حيش

بكسر الحاء وسكون الياء آخرها شين معجمة ، كما يلفظها الناس : قرية من قرى المعرة ، تقع في منتصف الطريق بين المعرة وخان شيخون في مستوى من الأرض الى جانب تل . وقد ذكرها الشيخ شرف الدين شيخ الشيوخ في قصيدة مدح بها الملك المنصور ، حين ظفر بجماعة من التتر حيث يقول :

وَكَذَا المعرَّةُ إذْ ملَكْتَ قِيادَها   دهشتَ سُروراً سَارَ في مدْهوشِهَا
طَرِبتَ برجْعتِها إليــكَ كأنّما   سكِرتَ بخَمرةِ حَاسِهاأوْ حِيشِها

وقد خرج منها جماعة من الفضلاء ، مثل قاسم بن محمد الحيشي ، ومحمد ابن أبي بكر الحيشي ، وغيرهما ممن سنذكرهم .

وذكرها الشيخ الرواس بقوله :

زُرْ حِيشَ لاتَـلْوِ النِّياقَ لِحَاسَا   وانْتَجِلِ مِنْ مِضْمارِهَا نِبْرَاسَا

وفي سنة ١٣١١هـ سعى الشيخ أبو الهدى الصيّادي لدى الحكومة ، فبنى مسجداً وتكية في هذه القرية ، كما تقدم ، وهي الآن من القرى التابعة ناحية خان شيخون ، وعدد نفوس أهلها ٧٤٤ : الذكور منهم ٣٧٩ ، والأناث ٣٦٥ .

خان شيخون

قرية واقعة على الطريق الآخذة من المعرة الى حماة ، وهي الآن مركز مدير ناحية ، ونفوس أهلها ٥٣٢٦ : الذكور ٢٦٤٦ ، والاناث ٢٦٨٠ ، وهي من أعظم قرى هذا القضاء في هذا العصر ، وزعم صاحب نهر الذهب [١] أن اسمها في القديم خالس .

وفي شرقيها خان كبير قديم ، ربما كان من عهد المماليك ، وهو على وشك التداعي ، وفي شماليها تل عظيم ، وقد جاء رجال اثريون فحفروا في هذا في سنة ١٣٤٩ هـ ، فوجدوا تحته اطلال بلدة ، يقال : إن بناءها يرجع الى عشرة قرون من الميلاد ، وتحتها اثار ابنية مصرية من عهد تحوتمس الثالث ، قبل خمسة عشر قرنا قبل الميلاد . وتحت جميع ذلك اثار اربع مدن من الدور الحديدي ، يرجع بناؤها الى عشرين قرناً قبل الميلاد ، على ما زعموا .

وفي غربي خان شيخون طريق تسير فيه السيارات الى قلعة المضيق ، عن طريق الهبيط ، وكفرنبودة ، طوله نحو ٢٥ كيلو متراً .

وفي هذه القرية مدرسة للحكومة ، وأهلها كانوا يشربون من ركية فيها ومن مياه المطر ، الذي كان يجتمع في البركة الكبيرة التي فيها ، وكانوا يبيعون الماء لابناء السبيل ، ثم حفروا ابارا فخرج فيها الماء ، فكثر حتى اكتفوا ،

(١) كامل الغزي . نهر الذهب في تاريخ حلب ١ : ٤٢١

وصاروا يعطون المارين حاجاتهم منه ، بدون مقابل ، واهلها اهل جد ونشاط ، ومنها ابو الهدى الصّيادي كما سيأتي .

خُوَيْن الشَّعر

بضم الخاء وفتح الواو وسكون الياء وفتح الشين وسكون العين ، قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ٥ ذكور(١) .

خوين الكبير

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ٣٢ : الذكور ١٤ ، والاناث ١٨ .

خيارة

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها اربعة : الذكور ٢ ، والاناث ٢

الدّانا

قرية من قرى المعرة في شماليها ، سيأتي تحديدها في ترجمة علي بن نجم الدين ابن العجيل ، وان نصفها وقف له ، وهي على بعد ساعة من المعرة ، وعدد نفوس أهلها ٤١١ : الذكور ١٧٩ ، والاناث ٢٣٢ ، وأهلها مشهورون بالشجاعة والقوة والمروءة وغلظ الطباع وقلة الفطنة ، وأكثر أراضيها جبلية ، وفيها كثير من شجر الزيتون ، وفيها آثار مبانٍ قديمة ، منها : كنيسة ، وفيها قبور لأحدها هرم ، وباب كبير ، وباب ايلا قريبة منها .

الداوودية

قرية من عمل المعرة ؛ عدد سكانها ١٠ : الذكور ٣ ، والاناث ٧

دَيْر سَمْعان

اختلفت كلمة المؤرخين في ضبط هذه الكلمة ، وتعيين موقعها ، فقال ابن

---

(١) في البيان المقدم في ١٤/٢/١٩٦٣ من قبل امين السجل المدني بالمعرة : انها تعد ٣٩ ذكراً و ٥٠ أنثى .

الشحنة (١) : وبدير سمعان – من قرى معرة النعمان، ويعرف بدير النقيرة، لأن الى جانبه قريه تسمى النقيرة، على وزن كبيرة – قبر عمر بن عبد العزيز في حائر صغبين ، والى خلف ظهره قبر الشيخ ابي زكريا يحي بن منصور ، وكان مقيما بالمسجد الذي بهذه القريـة يعبد الله ، حتى ادركه الاجل ، فدفن في الحائر ، وفيه يقول الشريف الرضي من ابيات :

دِيرَ سمْعان لاعَـدَتْكَ ٱلْعَوادي

خَيْرُ ميْتٍ مِنْ أَهْلِ مَرْوانَ مَيْتُكْ[٢]

وقال ياقوت[٣]: دير سمعان بكسر السين وفتحها ، وهو دير بنواحي دمشق في موضع نزهة وبساتين محدقة به ، وعنده قصور ودور ، وعنده قبر عمر بن عبد العزيز (ض) . وقال فيه بعض الشعراء يرثيه من ابيات :

قَدْ غَيَّبُوا في ضَريحِ ٱلتربِ مُنْفَرِداً

بِدَيْرِ سَمْعَانَ قِسْطاسَ الموازينِ[٤]

وذكر ابياتا للشريف الرضي .

وقال كثير :

سَقَى رَبُّنا مِنْ دَيْرِ سَمْعَانَ حُفْرَةً

بِها عُمر الخيراتِ رَهْناً دَفِينَها[٥]

---

(١) ابن الشحنة : الدر المنتخب في تاريخ حلب ص٩٩

(٢) ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٦٧١

(٣) ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٦٧١

(٤) ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٦٧١

(٥) ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٦٧١

ثم قال : (١) ودير سمعان ايضا بنواحي حلب بين جبل بني عُليم والجبل الأعلى ، وقال ايضا : ودير مرّان ايضا على الجبل المشرف على كَفَر طاب قرب المعرة ،يزعمون أن فيه قبر عمر بن عبد العزيز (ض) ، وهو مشهور بذلك يزار الى الآن .

وقال ايضا : ودير النَّقيرة في جبل قربَ المعرة يقال:إن فيه قبر عمر بن عبد العزيز ، والصحيح انه في دير سمعان كما ذكرناه ، وبهذا الموضع قبر الشيخ ابي زكريا يحيى المغربي ، وكان من الصالحين يزار في ايامنا عن نحو سنة ٦٠٠ هـ .

وقد تقدم ان السلطان صلاح الدين زار الشيخ زكريا حيا سنة ٥٨٤ هـ في مشهد عمر بن عبد العزيز . وفي زبدة الحلب (٢) : وتوفي عمر بن عبد العزيز بدير سمعان من ارض معرة النعمان يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة ١٠١ هـ .

وقال الذهبي (٣): وفيها (سنة ١٠١ هـ) في رجب توفي عمر بن عبد العزيز بدير سمعان من ارض المعرة .

وفي القاموس(٤) : ودير سمعان بالكسر موضع بحمص دفن به عمر .. وفي تاج العروس(٥) : ودير سمعان كسحبان قرية بدمشق ، وبها دفن عمر .. ، وهي مجهولة الآن لايعرف لها أثر ، ثم قال : ودير سمعان موضع بالمعرة ، يقال : فيه قبر عمر بن عبد العزيز ، والاول الصحيح .

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٦٧٢
(٢) ابن العديم : زبدة زبدة الحلب من تاريخ حلب ١ : ٤٦
(٣) الذهبي : العبر حوادث ١٠١ هـ (ج)
(٤) الفيروز ابادي : القاموس المحيط مادة سمع (ج)
(٥) الزبيدي : تاج العروس مادة دير

وقال السمعاني : وقبر عمر .. بسواد المعرة في موضع يقال له : دير سمعان .

وذكر غــيره ان القبر الذي في دير النقيرة للشيخ أبي زكريا يحيى المتوفى نحو سنة ٦٠٠ هـ ، وقد زاره صلاح الدين ، في عــودته الى حلب سنة ٥٨٤ هـ . وكان حياً مقيما في مشهد عمر ، ونقل أبو الفداء[١] عن جمال الدين ابن واصل : انه قال : والظاهر عندي ان دير سمعان هو المعروف الآن بدير النقيرة من عمل معرة النعمان ، وان قبره هو هذا المشهور ، وكان موته بالسم .

وقال ابن الوردي في تاريخه[٢] : أقول اني رأيت كتاب تاريخ لابن المُهَذّب المعري عن حياة أبي العلاء ، يذكر فيه ان هـذا الدير المذكور اسمه دير سمعان ، ولقد زرت قبره مراراً بالدير فرأيت عنده كتاباً كبيراً يشتمل على اخباره الحسنة وسيرته الجميلة .

وقال ابن بطوطة في رحلته سنة ٧٢٥ هـ بعــد ان ذكر المعرة : وبخارجها على فرسخ منها قبر امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، ولا زاوية عليه ، ولا خدم له ، وسبب ذلك انه وقع في بلاد صَنْف من الرافضة ارجاس يبغضون العشرة من الصحابة ، ويبغضون كل من اسمه عمر ، وخصوصاً عمر بن عبد العزيز لما كان في فعله من تعظيم علي ، وأهل المعرة يسمون هذا المكان الدير الشرقي ، والسلطان عمر .

وتبعد هذه القرية عن المعرة نحواً من عشرة كيلو مترات ، وهي شرقي المعرة . وعدد نفوس اهلها ٣٠٦ : الذكور ١٥١ ، والاناث ١٥٥ .

---

(١) ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر ١ : ٢٠١ (ج)
(٢) ابن الوردي : التاريخ ٢ : ١٨٢ (ج)

ولعل اقرب الاقوال الى الصواب ان قبر عمر بن عبد العزيز في دير سمعان المسمى بالدير الشرقي .

وقد سألت صديقاً لي من علماء السريان عما يعلمه من دير سمعان ودير النقيرة ؟ فأرسل الي كتابا اول جاء فيه : اننا وجدنا اسم دير النقيرة في كتاب سرياني مخطوط محفوظ في خزانة المتحف البريطاني بلندن رقم ١٤٦٢٩ AD على ما يأتي :

أنا القسيس سرجيس ورئيس دير النقيرة الكائن في كورة أفامية ، وقعت هذه الرسالة راضياً بكل ماذكر أعلاه ، وذلك في ٢٩ ايلول سنة ٨٨٦ يونانية (٥٨٥ م) .

وأرسل لي كتابا ثانيا جاء فيه : انه وجد في تاريخهم السرياني ماهو أصرح وأفصح في موطن وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز وهو :

في سنة ١٠٣١ يونانية الموافقة لسنة ٧٢٠ ميلادية مات عمر في بلد (اي كورة) أفامية في دير ايقرونتا : النقيرة ، وملك بعده يزيد بن عاتكة ابن عبد الملك اربع سنوات ، ومأخذه من تاريخ سرياني مختصر من سنة ٣٠٨ ي الى ٨١٩ م ألفه راهب من دير قرتمين في طور عبدين ونشر في باريس سنة ١٩٢٠ م .

ومن مجموعة أ . سميث شذور التواريخ ، نشرها بروكس المستشرق الانكليزي سنة ١٩٠٣ م عنوانها تاريخ لمؤلف مجهول الى سنة ٨٣٥ عن نسخة في المتحف البريطاني تحت رقم ١٤٦٤٦

وذكر انه علم من ترجمة ثاودريطس الانطاكي اسقف قورش المؤرخ المتوفى عام ٤٥٨ انه ترهب في دير النقيرة في كورة افامية ، وان هذا الدير انشئ في أواخر المائة الرابعة في أقل تحديد ، وانه جاء في الأدب اليوناني

لبطرس باتيفول ، ان الدير كان في نواحي أفامية والأرجح انه كان في جنوبي انطاكية وشمالي افامية ، هذا ماوجد في التواريخ السريانية .

دير سنبل

والعامة تلفظه دَرْسَنْبِل ، قرية من قرى المعرة في غربيها الى الشمال ، على بعد ساعة منها ، وهي جبلية ، وفيها كثير من الآثار القديمة ، والمباني الخربة والمدافن السالمة ، وعلى بعض الآثار تواريخ ترجع الى نحو ٤٠٠ و ٥٠٠ ميلادية وعدد نفوس أهلها ٧٠ : الذكور منهم ٣٧ ، والأناث ٣٣ .

دير سنيل

قرية من قرى المعرة الغربية ، تابعة ناحية قلعة المضيق ، عدد سكانها ٤٥ : الذكور ٣٥ ، والأناث ١٠ .

الدير الشرقي

هو دير سمعان المعروف السابق ذكره .

الدير الغربي

قرية تبعد عن المعرة نحو عشرة كيلو مترات في شرقيها ، وعددنفوس اهلها ١٧٢ : الذكور منهم ٩٢ ، والاناث ٨٠

الربدة

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ٢٠ : الذكور ٨ ، والاناث ١٢

ربيعة برنان

قرية من عمل المعرة ، عدد اهلها ١٤ : الذكور ٨ ، والاناث ٦

الرُّفَّة

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ٥٤ : الذكور ٢٣ ، والاناث ٣١

رَمْلَــة

بفتح الراء واللام وسكون الميم ، قرية من عمل المعرة ، عدد اهلها ٢٩ : الذكور ١٠ ، والاناث ١٩

رسم العبد

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ٥ : الذكور ٣ ، والاناث ٢

الرويحـة (١)

في شمالي المعرة ، وهي اطلال تـدل على انها كانت بلدة عظيمة ، فيها ابنية ضخمة ، من جملتها اربعة اقواس عالية ، يقال: ان احد الرعاة اسقط حلقة من احدها ، فاذا هي من ذهب

الرويضـة

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ٦ : الذكور ٣ ، والاناث ٣

زِفْر الصغير

قرية من عمل المعرة ، عدد اهلها ٢٦ : الذكور ١٥ ، والاناث ١١

زِفْر الكبير

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ٣٤ : الذكور ١٩ ، والاناث ١٥

السرج

قرية من عمل المعرة ، عـدد سكانها ٢٦ : الذكور ١١ ، والاناث ١٥ وفي شمال البارة من الغرب خربة ، يقال لها : سَرْجيلّة ، فيها آثار أبنيــة

---

(١) كامل الغزي : نهر الذهب في تاريخ حلب ١ : ٤٢٠

كثيرة ، منها : حمامات ، ومسرح ، واقنية ماء ، وكنائس ، ودور ، وقد كشف جماعة من الألمان عن موضع فيه رقعة واسعة من الفسيفساء ، فأخذوها ، ويقال : انها على غاية من الروعة .

سَرْجَة

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ٥ : الذكور ٣ ، والاناث ٢

السمكة

قرية من عمل المعرة ، عدد أهلها ١٢ : الذكور ٦ ، والاناث ٦

سنجار

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ١٣ : الذكور ٦ ، والاناث ٧

شَحْشَبُو

قال في نهر الذهب[١] : جبل شحشبو نسبة الى قرية في طرفه الجنوبي في قضاء المعرة ، ويمتد جبل شحشبو من الجنوب الى الشمال ، فيمر على غربي المعرة وسَرْمين ، ثم يأخذ غربا ، ويتصل بجبال الاناضول .

والظاهر ان هذه القرية كانت قديماً من عمل كَفَرْ طاب ، فقد قال ابن الشحنة : وفي كفر طاب قرية يقال لها : شحشبو بفتح الشينين المعجمتين بينهما حاء مهملة ساكنة ، ثم موحدة مضمومة ، قتل الاسكندر ، وقيل : انه مات بها ، ونزع ما في جوفه ، ودفن وصبر جسده ، وحمل الى أمه ، وقد ذكر ارباب التواريخ انه مات بحمص ، ولا يستبعد ذلك ، فان كفر طاب كانت من اعمال أفامية .

(١) كامل الغزي : نهر الذهب في تاريخ حلب ١ : ٢٤

وقال الشيخ علي بن أبي بكر الهروي: شحشبو قرية من اعمال افامية بها قبر الاسكندر ، ويقال : ان امعاءه هناك وجسده بمنارة الاسكندرية ، وقيل : انه مات ببابل .

الشعرى

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ٩ : الذكور ٤ ، والاناث ٥

الشيخ بركة

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ٥٣ : الذكور ٢٣ ، والاناث ٣٠

صَرِيّع

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ٢٨ : الذكور ١٣ ، والاناث ١٥

الصَرْمَان

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ٢١ : الذكور ٩ ، والاناث ١٢

الصَفّ

قرية من قرى المعرة كان اقطعها سيف الدولة ابا الطيب المتنبي

الصُقَيعَة

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ١٧ : الذكور ٧ ، والاناث ١٠

الصَوامِع

بفتح الصاد والواو وكسر الميم ؛ قرية من قرى المعرة ، عدد اهلها ١٦ : الذكور ١٠ ، والاناث ٦

الصَيادي

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ١٧ : الذكور ٩ ، والاناث ٨

الطّامّة

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ٥٥ : الذكور ٤٥ ، والاناث ١٠

طلبسية

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ١٠ : الذكور ٧ ، والاناث ٣

عديات

من قرى المعرة الغربية ، تابعة ناحية قلعة المضيق ، عدد سكانها ٥٠٤ : الذكور ٢٤٦ ، والاناث ٢٥٨

العَلاة

ذكر ياقوت (١) انها كورة كبيرة من عمل معرة النعمان من جهة البر ، تشتمل على قرى كثيرة ويطؤها القاصد من حلب الى حماة .

وانما سميت بالعلاة ، لأنها تعلو على البقاع التي في شماليها وشرقيها ، وتمتد من سَلَمْيَّة الى الحمراء ، وتل حلاوة ، والحرايق (الحرايج) ، وينتهي طرفها الشمالي عند الآكام المشرفة على مطخ تِنَّسْرين ، والسهول التي حول قرى العَوْجة وزِفْر ومغارة ، وينتهي طرفها الجنوبي عند الآكام المطلة على الطريق الممتد بين حماة وسلمية ، اما طرفها الغربي فيمتد الى مايقرب من الطريق الآخذ من حلب الى حماة .

وفي الجهة الشرقية منها : جبال ، منها : جبل الحوايس ، وجبل الفانات ،

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ٣ : ٧٠٩ ، ٧١٠

وجبل كيتلون ، وجبل كاسون ، وفيها تلال كثيرة ، منها : تل شميميس ، وتل خنزير ، وتل المقطع ، وتل العَوْجاء ، وتل الذيب ، وتل القراطي ، وتل عمارة ، وفي الشمال منها رجم ، يسمى رجم صراع .

وتربتها في الجهة الغربية حمراء ، وفي الشرقية صفراء ، وهي خصبة ، واكثر مايزرع فيها الحنطة ، وهي جيدة .

وتشتمل هذه الكورة على قرى كثيرة ، كانت في القديم كلها من عمل المعرة ، كما قال ياقوت ، ولكن في هذا العهد سنة ١٣٦٠ هـ تقسم الى قسمين : العلاة الشمالية ، او علاة المعرة ، لأن قراها تابعة لقضاء المعرة ، والعلاة الجنوبية ، اوعلاة سلمية ، لان قراها تابعة لقضاء سلمية ، والقسم الشمالي في غربيه قرى كثيرة ، منها ماهو تابع لناحية خان شيخون .

ومن القرى المشهورة فيه التابعة لقضاء المعرة : التح ، وتلمنّس ، وجَرْجَنَاز ، والحَمْدانيّة ، والتَمَانِعة ، والحُوَيْن الكبير ، وخان شيخون ، والدير الشرقي ، وتل مرق ، ومَعَر شورين ، ومعصران ، وفيه قرى مشهورة كبيرة هي من عمل حماة اليوم .

وليس في كورة العلاة على سعتها عيون كبيرة جارية ، لأن ارضها بركانية ، ولكن فيها بعض اودية تسيل في الربيع ، وتجف في الصيف ، مثل وادي الشطيب ووادي سمقة ، وفيها عيون صغيرة في بعض القرى ، كالطّامة والهلبة ، وفي بعض آخر اقنية قديمة مردومة ، وقد كشف بعضها ، وانتُفع بمائها ، وأما القسم الشرقي من العلاة الذي هو من اعمال المعرة ، ففيه قرى صغيرة ، كانت كلها ملكاً للقبائل التي تقيم في تلك الاصقاع ، كقبائل

الموالي[1] ، والحديدية[2] ، وبني خالد[3] ، والعقيدات[4] .

وسبب تملكهم هذه القرى ان الحكومة العثمانية ارادت تحضير هؤلاء البدو ، واسكانهم ، فاشتغل فريق منهم بالفلاحة ، والزراعة ، وتركوا سكنى الخيـــام وبيوت الشعر ، واستعاضوا عنها بسكنى الدور ، والقباب ، فملكتهم الحكومة تلك القرى ، ولكنهم بعد قليل من الزمن أخذوا يبيعونها الى رجالات حلب والمعرة وحماة ، ويعودون الى عيش البادية ، ورعي الشياه والابل ، ولم يبق في ايديهم الا قليل منها .

وفي هذا الزمن تقيم الموالي وافناؤهم في قرى قَطَشْرَة والبريصة والسَّرْج ، وسحال ، والفرجة ، والمشيرفة ، واللويبدة ، ونحوها . .

وتقيم الحديدية في قرى الطوبجي ، والربـــدة ، والحزم ، وعرقة ودُوَّمة ، وغيرها .

وفي العلاة خربات كثيرة ، وأطلال مبانٍ مختلفة المقادير ، منها ماهو قبل الاسلام .

وقـد اشتهرت فيها أماكن بالقصور ، منها : قصر الابيض ، وقصر تل الذهب ، وقصر الشاوي ، وقصر ابي سمرة ، وما شاكلها ، وليس لهذه القصور طلل ولا رسم ، وانما لها اسم فقط .

ومنها : موضع يقال له : اصطبل عنتر ، وهو في شمالي جبل الحوايس ،

---

(١) من قبائل الشام الكبيرة انظرها في معجم قبائل العرب لكحالة ٣ : ١١٥٥ - ١١٥٧

(٢) من قبائل الشام الكبيرة انظرها في معجم قبائل العرب ١ : ٢٥٢ - ٢٥٤

(٣) من اغنى عشائر الشام واشهرها انظرها في معجم قبائل العرب ١ : ٣٢٥ - ٣٢٦

(٤) من أكبر عشائر الشام عدداً وأوسعها منزلاً تتألف من فرق عديدة انظرها في معجم قبائل العرب ٢ : ٧٩٨ - ٨٠٠

مبني على أكمة ، وله ساحة متوسطة ، وفي جانبه الغربي جدران غرفة ، متداعية الاركان ، حجارتها ضخمة ، وبابه يتجه نحو القبلة ، وعلى طرفيه عضادتان ضخمتان فوقها عتبة ، ويقال : ان هـذا الاصطبل كان حصناً وبناؤه نحو سنة ٥٥٧ ميلادية .

عوفة

قرية من قرى المعرة ، عدد نفوسها ٢٠ : الذكور ١١ ، والاناث ٩

الغَدْفَة

بفتح الغين والفاء وسكون الدال ، قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ٣٩٢ : الذكور ١٩٩ ، والاناث ١٩٣

غزيلة

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ٧ : الذكور ٣ ، والاناث ٤

الفرجة

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ١ الذكور ... ، والاناث ١ (١)

الفَرْزَل

ناحية من نواحي معرة النعمان في العَلاة ، وقد ذكر ابن الشِّحْنَة(٢) : أن الملك العادل نور الدين محمود ، وقف اثني عشر فدانا من مزرعة الفرزل من المعرة ، على البيمارستان الذي بناه في حلب في باب أنطاكية بالقرب من سوق الهواء ، وتسمى الآن الحراكي نسبة الى الشيخ عبد الله الحراكي ، لانه مدفون فيها ، وعدد نفوس اهلها ٣٣ : الذكور منهم ١٢ ، والاناث ٢١ .

---

(١) في البيان المقدم في ٤ - ٢ - ١٩٦٣ م من قبل السجل المدني بالمعرة : تعد القرية المذكورة ١٤٤ ذكراً و ١٤٥ انثى .

(٢) ابن الشحنة : الدر المنتخب في تاريخ حلب ص ٢٣١ .

القطيرة

قرية غربي اسفوهن ، قال في نهر الذهب : ذكر في بعض التواريخ أن اهلها معروفون بالشر وشراسة الأخلاق ، وعدد سكانها ٢٧٢ : الذكور منهم ١٥٩ ، والاناث ١١٣ .

فيركتيا

قرية في شمالي المعرة على بعد ساعة منها ، وعندها بناء ضخم يعرف بدار الملك ، واهلها ٢١٩ : الذكور منهم ١١٢ ، والاناث ١٠٧

قَرْوَان

قرية من عمل المعرة ،عدد سكانها ١١ :الذكور ٥ ،والاناث ٦ .

فليفل

قرية غربي اسفوهن ، على رأس تل ، فيها اثار ، وأعمدة حجرية ضخمة ، عدد سكانها ٣٩ : الذكور منهم ١٦ ، والاناث ٢٣ .

القانا

قال ابن الشحنة [1] : جدد فتح الدين بن الشحنة حائطاً لتربة قطليجا الحموي في حلب ، وكان لها وقف ، وهي حصة بقرية القانا من عمل المعرة ، فاستولى عليها بعض العوام ، وضاعت مصلحة التربة ، ولا اعلم شيئاً من خبر هذه القرية .

وحدثني بعض المعريين ان القانا الآن مزرعة ، فيها اثار قرية بين الدير وكَفَرْ باسين ، فيها ركية ماء على طريق كفر باسين ، فلعلها هي أو محرفة عن غيرها .

---

(١) ابن الشحنة : الدر المنتخب ص٢٣٥ (ج) .

قصر شاوي

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ٢١ : الذكور ٨ ، والاناث ١٣ .

قَطْورَة

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ٣٤ : الذكور ١٧ ، والاناث ١٧ .

قلعة المضيق

تقدم ذكرها في أفامية .

قُوْقفِين

بضم القاف الاولى وسكون الثانية وكسر الفاء بعدها ياء ساكنة هكذا تلفظها العامة ، قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ٥٢ : الذكور ٣٢ ، والاناث ٢٠ .

كرانين الكبير

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ١٥ : الذكور ٦ ، والاناث ٩ .

كَرْسَنْتَة

قرية من قرى المعرة ، عدد سكانها ٢٦ : الذكور ١٢ ، والاناث ١٤ .

كِرسْيان

بكسر الكاف والراء وسكون السين ، قرية من عمل المعرة ، عدد أهلها ٣٥ : الذكور ١٦ ، والاناث ١٩ .

الكويم

قرية من قرى المعرة الغربية ، تابعة ناحية قلعة المضيق ، عدد سكانها ٧٠ : الذكور ٤٩ ، والاناث ٢١ .

كفر باسين

عدد سكانها ٤٣ : الذكور منهم ٢٠ ، والاناث ٢٣ .

كَفَرْ روما

قرية من قرى المعرة ، وكانت حصناً مشهوراً ،خربه لؤلؤ السيفي المعروف بالجراحي المتغلب على حلب ، بعد أبي الفضائل سعد الدولة بن سيف الدولة في سنة ٣٩٣ ﻫ . وهي تبعد عن المعرة نحو ساعة الى جهة الغرب ، وماؤها من الركايا ، وأرضوها خصبة ، وعدد أهلها ٧٤٥ : الذكور منهم ٣٧٥ والأناث ٣٧٠ .

وقد تقدم ان بغدوين أخذها بالسيف سنة ٥١٣ ﻫ ، وقتل جميع من فيها(١).

كفر عويد

وبعضهم يقول عويت ، بفتح العين وكسر الواو بعدها ياء ساكنة ،من قرى المعرة ، عدد سكانها ٣٩٠ : الذكور ١٦٢ ، والأناث ٢٢٨ .

كفر سِجْنَى

وبعضهم يقول كفر سجنة ، والسين مكسورة والجيم ساكنة والنون مفتوحة في القولين ، وهي قرية تابعة ناحية خان شيخون ، وعدد سكانها ١١٧٠ : الذكور منهم ٥٥٠ ، والاناث ٦٢٠ .

كَفَرْ نبيل(٢)

قرية عظيمة غربي المعرة على بعد ساعتين منها ، وفي سنة ٤٢٠ ﻫ

(١) الجندي : تاريخ معرة النعمان ١ : ١٠٣ .

(٢) في معجم البلدان لياقوت ٤ : ٢٩١ : كفر نبو النون قبل الباء الموحدة موضع ونبو اسم صنم كان فيه ، وهو موضع قرب حلب فيه آثار ، وفيه قبة عظيمة باقية يقولون : انها قبة للصنم .

هب أهل الغرب من ضياع المعرة وأفامية ،و كَفْتَرْ طاب ، الى كفر نبل وكان اهلها نصارى ، فأوقعوا بالمسلمين ، واكثروا القتلى فيها ، ثم رحلوا الى بلد الروم سرا ، فأعطوهم هناك قرية كما تقدم ، وفيها كثير من اشجار التين والزيتون ، وعدد اهلها ٢٢٢٥ : الذكور منهم ١٠٤٠ ، والاناث ١١٨٥ .

واهلها اكثر الناس نشاطا ودُؤوبا على العمل ، وحرصاً على اقتناء الثروة من طريق العمل ، وهم يسايرون الزمن في اختيار ما هو أروج من انواع الزرع ، فعندهم انواع من التين الجيد ، وكان عندهم نوع من البطيخ الاصفر جيّد جدا ، ثم رأوا ان نوعاً منه يسمى القاوون اكثر رواجا في الاسواق ، فاخذوا يزرعونه ويتصرفون في معالجته وزراعته ، حتى خرج عندهم نوع من أجود انواعه ، واعذبها طعما واطيبها ريحاً .

واهل هذه القرية يحرصون على أن تكون جميع حاجاتهم من صنعهم ، ولذلك نجد لديهم مطاحن ، ومعاصر ، ومناسج ، وما شاكل ذلك ، واكثرهم اغنياء ، لبقون في صناعتهم ، بارعون في تجارتهم ، وقد أخذوا في العهد الاخير يشترون من أراضي القرى المجاورة لهم ، ويضمونها الى قريتهم .

كفريا

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ٤ : الذكور ٢ ، والاناث ٢ .

الكنايس

بفتح الكاف وكسر الياء ، من قرى المعرة ، عدد أهلها ٥٧ : الذكور ٢٥ ، والاناث ٣٢

المتوسطة

قرية من عمل المعرة ، عدد أهلها ٢٦ : الذكور ١٥ ، والاناث ١١

مويجب الشمالي

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ١٦ : الذكور ٧ ، والاناث ٩.

مَعْرَاثا الرُّبْدِيّة

قال ياقوت في المشترك (١) : هي قبلي معرة النعمان،على الجادة الآخذة الى حماة ، منها عمر بن هوبر ، والعامة تكسر الميم في أولها وتجعل الثاء تاءً .

وقال في المعجم(٢) : معراثا عدة قرى من قرى حلب والمعرة ، ووصفها بالربدية ، يشعر بان هناك معراثا غيرها .

مَعَرْزِيتا

قرية من عمل المعرة تابعة ناحية خان شيخون ، عـــدد سكانها ٢٤٢ : الذكور ١٢٧ ، والاناث ١١٥

معر شمارين

قرية من عمل المعرة ذكرها في المشترك(٣) ، وعـــدد سكانها ٣٠٢ : الذكور ١٤٢ ، والاناث ١٦٠

معر تمشى

قرية من عمل المعرة ذكرها ياقوت بالسين المهملة في آخرها ، والعامة تلفظها شيناً ، عدد سكانها ٢٦١ : الذكور ١٣٩ ، والاناث ١٢٢

---

(١) ياقوت : المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ص ٤٠٠

(٢) ياقوت : معجم البلدان ٤ : ٥٧٣

(٣) ياقوت : المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ص ٤٠١

مَعَر شورين

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ٧٨١ : الذكور ٣٤٢ ، والاناث ٤٣٩

معرة بيطر

قال في المشترك [١] انها من نواحي المعرة ، وأظن انهـــا الآن تابعة لقرية حاس .

معرة حيزمة

قرية بالقرب من كَفَرْطاب ، كما في المشترك [٢] ، وهي تابعة ناحية خان شيخون ، عدد سكانها ٩٤٣ : الذكور ٤٦٤ ، والاناث ٤٧٩ .

معرة الصين

هي الآن مزرعة في الجهـة الغربية ، من قرية كفر نبل ، على بعد ساعة منها .

معرة عوب

قال ياقوت [٣] : انها من نواحي المعرة .

معرة عَلْيا

قال ياقوت[٤] : انها من بلدة المعرة ، ولا تعرف الآن ، ويقال : ان بقرب سَرْمين قرية يقال لها : معرة عليا .

---

(١) ياقوت : المشترك وضعا والمفترق صقعا ص ٤٠١
(٢) ياقوت : المشترك وضعا والمفترق صقعا ص ٤٠١
(٣) قال ياقوت في المشترك ص ٤٠١ : معر تسرب من نواحي المعرة .
(٤) ياقوت : المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ص ٤٠١ .

معرة ماتير

بكسر التاء المثناة ؛ قرية تابعة ناحية خان شيخون ، عدد سكانها ٤٥ : الذكور ٢٨ ، والاناث ١٧ .

معصران

قرية من عمل المعرة : قال في نهر الذهب(١) : عند الكلام على وقف محمد باشا ابن جمال الدين سنان المعروف بوقف ابراهيم خان ، نسبة الى السلطان محمد بن ابراهيم خان : ان من جملة الوقف المذكور ثلث قرية معصران في قضاء المعرة ، وعدد سكانها ٥٤٥ : الذكور ٢٦٥ ، والاناث ٢٨٠

مغارة مرزة

من عمل المعرة ، عدد أهلها ٨ : الذكور ٦ ، والاناث ٢

المكسر

قرية من عمل المعرة ، عدد أهلها ٢٢ : الذكور ١٤ ، والاناث ٨

الهبيط

قرية من قرى المعرة تابعة ناحية خان شيخون ، عدد سكانها ٥٦٥ : الذكور ٢٨٠ ، والاناث ٢٨٥

الهَرْتَميَّة

بفتح الهاء والتاء وسكون الراء وكسر الميم وتشديد الياء المفتوحة ، من قرى المعرة ، عدد سكانها ٧ : الذكور ٥ ، والاناث ٢

الهُلْبَة

قرية من عمل المعرة ، عدد سكانها ٦ : الذكور ٣ ، والاناث ٣

---

(١) كامل الغزي : نهر الذهب في تاريخ حلب ٢ : ٥١٩ (ج)

اسماء المزارع والاماكن المشهورة في المعرة

البرج

موضع في الجهة القبلية من المعرة .

البُرَيْج

شرقي الكفير على بعد ساعة من المعرة .

تل الحصن

مزرعة في الجهة القبلية من دير سمعان ، فيها تل ، وعين ماء تجري في أكثر الاماكن .

دورين

مزرعة بقرب حَنْدُوثين .

مرحطاط

مزرعة بصحراء المعرة من الجنوب على بعد نحو ساعة منها ، فيها عين ماء ، وبعض آثار قديمة ، تدل على أن هناك كانت أبنية طمست معالمها الايام ، والفتن والحروب ، وهي على الطريق الاخذ من المعرة الى حماة على الجانب الأيسر .

بيوت المعرّة وأُسرها

قد انتهى الكلام فيما يتعلق بالمعرة ، وضواحيها ، وأريافها ، من الناحية الدينية ، والسياسية ، والعقلية ، والاجتماعية ، بقدر مااستطعنا العثور عليه ، وان كان اقل مما كنا نتمنى من الاستقصاء ، والاستقراء وانزر مما كنا نتوقع من حيث الترتيب ، والتسلسل .

والآن نتكلم على بيوت المعرة ،وأسرها المعروفة ،في القديم ،والحديث ، واعلامها المشهورين من علماء ، وقراء ، ومحدثين ، وشعراء ، وكتّاب ، وادباء ، وامراء ، ووزراء ، وعمال في الحكومة ، وتجار وغيرهم ، بقدر ما تيسر لنا الاطلاع عليه من ذلك كله .

وقد اشرنا فيما سبق الى ما كان يعترضنا من تشابه الاسماء ، والكنى والنسب ، وتقارب بعضها من بعض ، وما كنا نعانيه من المشاق والصعوبة لتمحيص الحقيقة ، بعد الرجوع الى مظانٍ مختلفة .

فكثيرا ما كنا نجد في ترجمة رجل انه «معري» ،ثم يتبين لنا انه مغربي» ،كما نرى ذلك في ترجمة ابي القاسم الوزير المغربي ، فقد جاء في تاريخ ابن عساكر المطبوع في دمشق ، انه المعري» وهو خطأ ، وجاء في التاريخ المذكور في ترجمة

رشا بن نظيف المعري ، ولم أر من نسبه الى المعرة غيره ، فالصواب انه المقرىء وامثال هذا كثير ، بين الفاظ المعري والمصري والمقري واشباهها .

واشرنا الى قلة المظانّ والمصادر التي حاولنا ان نستخدمها ، والى ندرة ماعثرنا عليه فيها ، وهذا اضطرنا في كثير من المواطن الى أن نقتصر على كنية الرجل ، او لقبه ، أو نسبه ، لأننا لم نجد غير ذلك .

وبعد هذا وغيره ، فقد دوّنا ماتسنى لنا العثور عليه من أخبار الأسر المشهورة في المعرة ، في القديم والحديث ، ومن أخبار الرجال المشهورين فيها ، وعزونا اكثر ما اوردناه الى المصدر الذي اخذناه منه ، ليسهل الرجوع اليه ، على من يريد التثبت ، والتمحيص ، والتوسع في معرفة شيء لم يجده فيما كتبناه .

وقد ذكرت طائفة من الأسر التي اعرفها الآن في المعرة ، وربما كان فيها من الأسر الكريمـــة من لا يقل عمن ذكرته في الفضل والنبل ، وكرم الأصل ، ولكنني لم اذكرها لعدم معرفتي اياها ، أو لنسيانٍ أو خطأٍ .

ومثل عملي هـذا يتطلب إقامة طويلة في المعرة ، لاستقصاء الحوادث والاخبار ، في أحوال الافراد والاسر .

ولوصف بعض الاماكن وصفا تاما ، عن مشاهدةٍ ، وعيـــانٍ ، وقد هممت بذلك كثيرا ، ولكن الايام لم تسامحني به ، ولم تعطني قياداً له ، والمرء لايدرك كل مايتمناه ، ومالا يدرك كلّه لايترك كله (١) .
وقد رتبت الأسر المشهورة على حروف الهجاء ، وقفيت على اثرها بسرد الرجال مرتبة اسماؤهم على حروف الهجاء ايضا ، ليسهل الوقوف على من يراد منهم .

---

(١) وصواب المثل : مالا يدرك كله ، لايترك جله .

الأسر المشهورة في المعرة في القديم والحديث

في المعرة كثير من الأسر العريقة في الشرف ، المشهورة في التاريخ في القديم والحديث ، وقد انقرض بعضها من المعرة ، إما بسبب هجرة جهلت بسببها نسبتهم ، واما بسبب ظهور فرع من أسرة نسب اليه بنوه ، ونسبت نسبته الى قبيلته أو أسرته ، وأما بغير ذلك من الاسباب التي تمحى بها النسبة او تبدل .

وهناك فريق من المتقدمين والمتأخرين ادّعى لغير ابيه ، وأدخل نفسه في عداد اسرة ليس منها ، وقد كثر هذا في المتأخرين في اخريات عهد الدولة العثمانية،حين كانت تستثني الشرفاء من الخدمة في الجندية ، ومن بعض التكاليف التي كانت ترهق بها الرعية ، وازداد هذا حين ظهر ابو الهدى ، وادعى انه ينتسب الى الصياد، فالرفاعي ، فكثر الانتساب الى آل البيت النبوي ، لأن الشريف في ذلك العهد قد يستثنى بما ذكرنا ، وقد ينال عطاء مرتباً في كل شهر ، وقد ينال رتبة ، أو وساماً ، أو منصباً في الحكومة ،او ما شا كل ذلك ، من المنافع ،وقد كان السلطان عبد الحميد الثاني يوافق على ذلك كثيراً ، حتى كاد معظم أهل المعرة وضاحيتها ، يكونون من الاشراف ، وتفشى هذا الداء في غير المعرة من البلدان الشامية ، والعراقية ، والمصرية وغيرها .

فلما خلع عبد الحميد ، ومات ابو الهدى ، ماتت هذه الدولة ، دولة الاكتساب بالانتساب،وكسدت تلك البضاعة ، وقد افضى توقع هذه المنافع الى ان ادعى الشرف في النسب من لاصلة له به ، وحرمها كثير ممن اشتهروا بالنسبة الى آل البيت ، منذ اجيال ، لانهم لم يبذلوا ماء وجوههم في طلبها من طريق ابي الهدى ، او غيره .

وانا سنذكر هنا اسماء من وقفنا عليه من الاسر المتقدمة ، ومن عرفناه من المشهورين من المتأخرين ، سواء ذكرنا احداً من افرادها ام لا ، ونبين الى اي اصل تنتمي كل اسرة بقدر ما انتهت اليه معرفتنا .

بنو ابي حصين

اسرة مشهورة بالعلم والشعر ، وهم ينتسبون الى اسحم بن الساطع التنوخي ، ورأيت كثيرا من المؤرخين من ينسب الرجل منها الى ابي الحصين ، أو ابي حصينة ، ولم أر من فرق بينهما ، وليس لهم الآن عقب يعرف بهذه النسبة .

بنو أمير الشام

وقد تحرفها العامة فيقولون : مير الشام ، وقد ترجمنا من رجالها موسى باشا ، وذكرنا غيره ، في رجال الطائفة ، ولا يزال فريق من اعقابهم في المعرة الى هذا العصر ، يقال لهم : بيت مير الشام ، ولكنهم غير اغنياء .

بنو ابي هاشم

ذكرنا طائفة منهم ، وهم كتّاب ابي العلاء ، وليس لهم عقب الآن .

بنو ابن البارد

ذكرنا جماعة منهم ، ولا عقب لهم الآن .

تَنُوخ

ذكر المؤرخون في نسب أبي العلاء المعري انه أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن احمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن انور بن اسحم بن أرقم بن النعمان[1] بن عدي

---

(١) وهو الذي يقال له : ساطع الجمال ، وسمي بذلك لجماله ، وكان طويلا وسيما (ج).

ابن غَطَفان بن عمرو بن بريح بن جذيمة بن تَيْم الله[1] بن أسَد بن وَبَرة بن تَغْلِب ابن حُلوان ، بن عِمران ، بن الحاف بن قُضاعة ، وهو لقب ، واسمه عمرو بن مالك بن عمرو ، بن مُرَّة بن زَيْد ، بن مالك ، بن حِمْير ، بن سَبا ، ابن يَشْجب ، بن يعرب ، بن قَحْطان ، وهو مجتمع قبائل اليمن.

وذكر ابن العديم : ان بني الساطع هم المشهورون بالشرف والرياسة والفضل ، وان بيوت المعرة منهم ، وهم يرجعون الى اسحم ، وعدي ، وغَنْم ، اولاد الساطع كما سيأتي .

ولما كان مرادنا من تنوخ من كان يسكن المعرة ، وضواحيها منهم ، وكنا لانعلم شيئاً ممن كان منهم فيها قبل الاسلام ، وكانت بيوت المعرة منهم ترجع الى الساطع ، جعلنا القول فيمن عرفناه من هذا النسب ، من عهد ابي العلاء ، وما يقاربه ، لأن من جاء بعده من التنوخيين ، يرجع الى من ذكر فيه .

وقد اختلفت أقوال العلماء في هذا النسب اختلافاً شديداً ، يجعل بين الباحث وبين الحقيقة ، عقبات صعبة المرتقى ، ونحن مضطرون الى بيان شيء من هذا ، ايضاحاً للحق ، وإنارة لسبيله ، فنقول :

تضاربت أقوال المؤرخين في هذا النسب من وجوه كثيرة :

١ — منها ان بعضهم جعل سليمان واحداً ، كياقوت في ارشاد الأريب[2].

٢ — ومنهم من جعل ارقم بن انور بن اسحم كياقوت[3] والصفدي[4].

---

(١) وهو تيم اللات ، وقد قالوا : تيم اللات مجتمع تنوخ بأسرها (ج) .

(٢) ياقوت : ارشاد الاريب ١ : ١٦٢

(٣) ياقوت : ارشاد الاريب ١ : ١٦٢

(٤) الصفدي : الوافي بالوفيات (مخطوط) ٦ : ٥٢

٣ - ومنهم من جعل انور بن ارقم بن أسحم كصاحب الخريدة [١]، والبلدان، وابن العديم.

٤ - ومنهم من جعل بريح بن خزيمة، كياقوت [٢] وصاحب الخريدة [٣].

٥ - ومنهم من جعل مالك بن مرة، كصاحب التاج.

ومنهم من خالف في غير هذا، وقد آثرنا رواية صاحب الوفيات [٤]، لانها موافقة لرواية ابن العديم، إلا في جعل أسحم بن ارقم، وهما اكثر من كل من كتب في هذا الموضوع تحريا، وتثبتا، وروايتهما موافقة لرواية السمعاني والعيني في الأكثر.

وكان من الحق ان نتم الكلام في تنوخ ثم نرتقي الى قضاعة فمن فوقه، ولكننا آثرنا ان نقدم الكلام في قضاعة، ونحقق نسبه ونسب قحطان معه، لان معرفة تنوخ تتوقف على معرفة قضاعة ومن فوقه، حتى لانحيل على مجهول.

قُضاعة

القضاعة: بضم القاف بعدها ضاد مفتوحة غير مشددة في الأصل، اسم كلب الماء، او كلبة الماء. والفهد وبه لقب عمرو بن مالك، وقيل: لقب به لانقضاعه عن قومه مع امه، أي انقطاعه عنهم، وقيل: هو من القضع بمعنى القهر.

فاذاً قضاعة: لقب عمرو بن مالك، وقد اختلف في نسبه، فقيل: انه من حِمْيَر، كما ذكرنا، وقيل: انه من مَعَدّ بن عدنان، وهذه جملة من اقوال العلماء في ذلك:

---

(١) العماد الاصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر ٢ : ٧
(٢) ياقوت: ارشاد الاريب ١ : ١٦٢ وفيه: بريح بن حزية
(٣) العماد: الخريدة ٢ : ٧، وفيها بريح بن حذية
(٤) ابن خلكان ١ : ٤١

ذكر صاحب التاج : انه من حِمْيَر ، ثم قال : وتزعم نُسّاب مضر : انه قُضَاعة بن مَعَدّ بن عدنان ، والصواب هو الاول ، كما في العبـــاب ، وقال ابن ماكُولا : هو الاكثر والاصح [1] .

وقــال ابن اسحق : ولد معد بن عدنان اربعة نفر : نزار بن معد ، وقضاعة بن معد ، وكان قضاعة بكر معد الذي به يكنى فيما يزعمون .

ثم قال : فامه قضاعة فتيامنت الى حمير بن سبأ [2] .

وقال ابن هشام : فقالت اليمن وقضاعة ، قضاعة بن مالك بن حمير ، وقال عمرو بن مُرّة الجُهَني : وجُهَيْنَة من قضاعة .

يا أيها الدَّاعي ادعُنا وأبشر وَكُنْ قُضَاعِيّاً ولا تنزّر [3]

نَحْنُ بَنُو الشَّيْخ الهجانِ الازهَرِ قُضـاعةَ بنِ مالك بنِ حِمْيَر

وروي رجزه على وجه آخر وقــال السهيلي [4] فاما قضــاعة فاكثر النسّابين ، يذهبون الى ان قضاعة هو ابن معد ، وهو مذهب الزبيريين، وابن هشام،وفي تاج العروس،وفي المقدمة الفاضلية،واكثر العلماء على انه : قضاعة بن معد بن عدنان ، وان مالك بن مرة ، زوج أمّه ، فنسب الى زوج امه،وهي عادة عند العرب معروفة بينهم .

وقال ابو جعفر بن حبيب النسّابة : لم تزل قضاعة في الجاهلية والاسلام

---

(١) الزبيدي : تاج العروس ٥ : ٤٧٠ .

(٢) السهيلي : الروض الانف ١ : ١٧ (ج)

(٣) تنزر : أصلها تتزر : تنتسب لنزار ،وهو نزار بن معد اخو قضــاعة ، انظر معجم قبائل العرب لكحالة ٣ : ١١٧٨ .

(٤) السهيلي : الروض الانف ١ : ١٥ (ج) .

تعرف بمعد حتى كانت الفتنة بالشام بين كَلْب ، وَقَيْس عَيْلان ، أيام مروان ابن الحكم ، فمالت كلب يومئذ الى اليمن ، وانتمت الى حِمْيَر استظهاراً منهم بهم الى قيس .

وذكر ابن الاثير في الانساب هذا الاختلاف ثم قال : ولهذا قال محمد بن سلام البصري النسَّابة لما سئل : أنزار اكثر ام اليمن ؟؟ فقال : ان تمددت (١) قضاعة ، فنزار اكثر وان تيمنت فاليمن .

وفي نهاية الأرب (٢) : واما مالك بن حمير فمن ولده قضاعة ، وهم قضاعة بن مالك ، بن مرة بن عمرو ،بن زيد بن مالك ، بن حمير البطن المشهور على ما نذكره . وقيل : انها من ولد معد بن عدنان ،وفي ذلك يقول القائل :

أبوكمْ مَعَدٌّ كانَ يُكنى بِبِكرِه ... قُضاعةَ مَا كنَّى به مَنْ تَجَمْجَمَا

وقال زهير :

قُضاعِيَّةٌ أو أُختُها مُضَـرِيَّةٌ ... يُحرَّقُ في حَافَاتِها الحطَبُ الجَزْلُ

فقد جعل قضاعة ومضر اخوين .

وقال الكُمَيْت يعاتب قُضاعة في انتسابها الى اليمن :

عَـلامَ نَزَلْتُمُ مِنْ غَيْرِ فَقْرٍ ... وَلاضَـرّاءَ مَنْزِلَةَ الحَميلِ

الحميل : المسبيّ لانه يُحْمَل من بلد الى بلد .

وقال ابن قُتَيْبة (٣) : وولد مالك بن حمير قضاعة بن مالك،وقال:

---

(١) تمددت : انتسبت الى معد .

(٢) النويري : نهاية الأرب ٢ : ٢٩٤ (ج)

(٣) ابن قتيبة : المعارف ١ : ٣٤ (ج) .

ابن عساكر [1] في ترجمة زهير بن عمرو بن مرة .. القضاعي الجُهَني : وكانت لأبيه صحبة ، وقال ابوه : كنت عند النبي (ص) جالسا ، فقال : من كان ههنا من معد فليقم ، فقمت ، فقال : اجلس ، فجلست ، فقلت : ممن نحن ؟ فقال : انتم ولد قضاعة بن مالك بن حمير ، النسب المعروف غير المنكر .

قال عمرو : فكتمت هذا الحديث ، حتى كان ايام معاوية بن ابي سفيان . فبعث الي فقال : ياعمرو هل لك ان ترقى المنبر وتقول : ان قُضَاعة ابن مَعْد بن عدنان ، وانا اطعمك خراج العراقين [2] ، فقلت له : نعم ، قال فنادى ، فاجتمع الناس ، فجاء حتى صعد المنبر فقال :

ايها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني ، فانا عمر بن مُرّة ، وان معاوية دعاني الى ان اقول : ان قضاعة بن معد بن عدنان ، الا ان قضاعة هو ابن مالك بن حِمْير النسيب المعروف غير المنكر .

ثم نزل عن المنبر ، فقال له معاوية : ايه عنك ياغدر ! ! ايه عنك ياغدر ! ! فقال عمرو ، هوما رأيت ياامير المؤمنين ، قال : فجاء زهير بن عمرو فقال : ياابه ! ما كان عليك لو اطعت امير المؤمنين ، واطعمك خراج العراقين ، فانشأ عمرو يقول :

لَواني أَطَعْتُكَ [3] يا زُهَيْرُ كَسَوْتَني في النّاسِ ضاحيَةً رِداءَ شَنارِ
قحطانُ والدُنا ، الذي نُدعى لَهُ وأَبُو خُزَيمةَ خِنْدِفُ بنُ نزار

---

(١) ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ٥ : ٣٩٢ (ج) .
(٢) في الاصل عراقين (ج)
(٣) كذا في الاصل ولعل اصله انا لو اطعتك ، او انا ان اطعتك وبذلك يستقيم الوزن (ج)

أضَلاَلُ لَيْلٍ سَاقِطٍ أوائه[1] في النّاسِ أغدر امْ ضَلالُ نهار

أتَبيعُ والّدَنا الذي نُدْعى لَه بأبي معاشرَ عائبٍ مِبْوار[2]

تلكَ التّجارةُ لاتَبوءُ بِمثْلِها ذَهَبٌ يُباعُ بآنُكٍ وإبار

وقال السهيلي [3] : ولما تعارض القولان في قضاعة ، وتكافأت الحجاج ، نظرنا فاذا بعض النسّابين ، وهو الزبير قد ذكر مايدل على صدق الفريقين ، وذكر عن ابن الكلْبي أو غيره : أن امرأة مالك بن حمير ، واسمها عكبرة ، آمت منه ، وهي ترضـــع قضاعة ، فتزوجهـا معـد ، فتبناه وتكنى به ، ويقال : بل ولدته على فراشه ، فنسب اليه ، وهو قول الزبير كما نسب بنو عبد مَناة بن كِنانة ، الى علي بن مسعود ، بن مازن ، بن الذئب الأسدي ، لانه كان حاضن ابيهم ، وزوج أمهم ، فيقال لهم : بنو عـــلي الى الآن . . الى أن قال : وهذا كثير في قبائل العرب .

ثم قال : ومما عوتبت به قُضاعـة في انتسابهم الى اليمن ، قول أعشى بني تَغْلِب ، وقيل : هي لرجل من كَلْب ، وكلب من قضاعة .

أَزَنَّيْتُمْ عَجوزَكُمُ وكانتْ قـــديماً لايُشَمُّ لها خِمارُ

عَجوزٌ لَوْ دَنا مِنْها يَمانٍ للاقى مِثْـــلَ مالاقى يَسارُ

---

(١) هكذا في الاصل

(٢) مبوار كمصباح : مبالغة من البوار : الهلاك

(٣) السهيلي : الروض الانف ١ : ١٦ (ج)

يريد يسار الكواعب ، الذي هم بين فخصينه ، ثم اورد بعـد ذلك ابياتاً لبعض شعراء حمير في قضاعة وهي :

مَرَرْنا على حَيٍّ قُضاعةَ غُدْوَةً ... وَقَدْ أَخَذُوا في الزَّفْنِ والزَّفَنَانِ
فقلتُ لهمْ : مابالُ زَفْنِكُمُ كَذَا ... لِعُرْسٍ تُرى ذا الزَّفْن او الخِتانِ[١]
فقالوا : أَلا إِنّا وَجَدْنا لنا أَباً ... فقُلتُ : لِيَهْنِئْكُمْ ، بأيِّ مكانِ؟
فقالوا : وَجَدْناهُ بِجَرْعاءِ مالكٍ ... فَقُلْتُ : إذاً ما أُمُّكُمْ بِحَصَانِ
فما مسَّ خُصْيَا مالكٍ فَرْجَ أُمِّكُمْ ... ولا بانتَ مِنْهُ ٱلْفَرْجُ بالمُتَدانِ
فقالوا : بلَى واللهِ حتى كأَنَّما ... خصياه[٢] في بابِ اَسْتِها جُعَلانِ

وقال القلقشندي[٣] : ولحمير بقايا ، موجودون الى الآن . ومنهم[٤] غالب قضاعة ، وقضاعة بن مالك ، ين عمرو ، بن مرة ، بن زيد ، بن مالك ، ابن حمير ، وذهب بعض النسّابة ، الى ان قضاعة ، من العدنانية الآتي ذكرهم ، قـال السهيلي : والصحيح ان امّ قضاعة وهي حكرة (عكبرة) مات عنها مالك بن حمير ، وهي حامل ، فتزوجها معـد بن عدنان ، فولدت قضاعة على فراشه ، فتبناه ، فنسب اليه ، قال المؤيـد صاحب حماة : وكان قضاعة مالكاً لبلاد الشحر ، وقبره بجبل الشحر موجود ، ولقضاعة بقايا الى الآن ينسب اليهم .

---

(١) الخنان : بزنة كتاب : الختان
(٢) كذا في الاصل (ج)
(٣) القلقشندي : صبح الاعشى ١: ٣١٥ (ج)
(٤) كذا في الاصل (ج)

هذه طائفة يسيرة من أقوال العلماء في أصل قضاعة ، والجمع بين هذه الاقوال المتضاربة وتحصيل الحقيقة منها اصعب من عقد شعيرة .

قَحْطان

وكذلك اختلفت كلمة القوم في قحطان ، فقيل : انه عابَر بن شالخ ، ابن ارفخشد ، بن سام ، بن نوح ، وهو أبوحي من اليمن بل ابو اليمن .

وقال ابن الكَلْبي : عابر هو هود النبي (ص) ، وقيل بخلاف ذلك .

ومن النسّابين ، من جعل قحطان من ولد اسماعيل ، ثم قال : وولد قحطان هم العرب المتعربة ، وهم الذين نطقوا بلسان العرب العاربة ، وسكنوا ديارهم ، فاعقب قحطان من ولده يعرب ، واعقب يعرب من ولده يَشْجُب ، وهو من ولده سَبَأ ، وهو ابو حِمْير[1] ، و كَهْلان [2] ، القبيلتين العظيمتين هكذا قال الزبيدي في تاج العروس[3] .

وقال المُبَرِّد[4] : ومن زعم ان قضاعة من بني مالك بن حمير وهو الحق : فالنسب الصحيح في قحطان الرجوع الى اسماعيل ، وهو الحق ، وقول المبرزين من العلماء ، انما العرب المتقدمة من اولاد عابَر ، ورهطه عاد وطسم[5] ،

---

(١) بطن عظيم من القحطانية ، انظر معجم قبائل العرب لكحالة ١ : ٣٠٥ ، ٣٠٦

(٢) شعب عظيم من القحطانية ، انظر معجم قبائل العرب ٣ : ١٠٠٢

(٣) الزبيدي : تاج العروس ٥ : ٢٠١

(٤) المبرد : الكامل ٤ : ١٩٨ (ج)

(٥) في معجم قبائل العرب ٢ : ٦٨٠ طسم قبيلة من العرب العاربة ، كانت ديارها اليمامة وما حولها الى البحرين وقد انقرضت .

وجَدِيس (١) ، وجُرْهُم(٢) ، والعماليق (٣) .

فاما قحطان عند اهل العلم ، فهو ابن الهَمَيْسَع بن تَيْمَن ،بن نَبْت ، ابن قيذار ، بن اسماعيل (ص) فقد رجعوا الى اسماعيل ا هـ .

وقال في الروض الانف : اما قحطان فاسمه مهزم ، ثم قال : وقحطان اول من قيل له : ابيت اللعن ، واول من قيل له : عم صباحاً ، واختلف فيه فقيل : هو ابن عابر ، وقيل:ابن عبد الله،اخو هود ، وقيل:هو هود نفسه... ومن جعل العرب كلها من اسماعيل ، قالوا فيه هو ابن تيمن ، بن قيذار ، ويقال : هو ابن الهميسع ، وتفسير الهميسع الصَّرّاع .. ابن يمن الذي سميت به اليمن . ثم ذكر اقوالا كثيرة ، منها ان يمن هو يعرب بن قحطان ..

وذكر غيره كثيراً من الاقوال المتضاربة ، وليس لدينا من الوثائق والادلة التي تفيد اليقين حتى نحكم على احد القولين بالبطلان ، حكماً جازماً ، وعلى الثاني بالرجحان حكماً يقينياً .

تَنُوخ

يقال : تنخ في المكان تُنُوخاً ، وتَنَّخ تتنخيا ، اقام به فهو تانخ ، ومُتَتَنِّخ أي مقيم،ومنه سميت تنوخ ، كصبور ، ومن شدد النون فقد اخطأ، وقد قال جمهور من المؤرخين : وتنوخ قبيلة من اليمن ، سموا بذلك ، لانهم

---

(١) في معجم قبائل العرب لكحالة١ : ١٧٢ : جديس قبيلة من العرب العاربة البائدة، كانت مساكنهم اليمامة والبحرين

(٢) في معجم قبائل العرب ١ : ١٨٣ : جرهم بطن من القحطانية كانت منازلهم - أولاً اليمن ، ثم انتقلوا الى الحجاز ، فنزلوه ، ثم نزلوا بمكة واستوطنوها

(٣) في الاعلام للزركلي ٥ : ٢٦٣ : عملاق أو عمليق جد جاهلي قديم من العرب العاربة بنوه العمالقة ، وكانوا ببابل ، فغلبتهم عليها الفرس فانتقلوا الى تهامة بالحجاز ، ثم تفرقوا في الحجاز والبحرين وعمان والجزيرة والشام .

اجتمعوا وتحالفوا ، فاقاموا في مواضعهم، وقال في تاج العروس [١] : قال ابن قُتَيْبَة في المعارف : تنوخ، ونَمِر [٢] ، وكَلْب ثلاثتهم اخوة ، والذي رأيته في المعارف قوله في ص ٣٤ : وولد مالك بن حِمْير ، قُضَاعة ، ومن قبائل قضاعة ، كَلْب بن وَبَرة .. ثم قال : ومنهم رُفَيْدة [٤] ومَصَاد [٥] ، وبنو القَيْن [٦] ، وسُلَيْح [٧] ، وتنوخ [٨] .

وقال في ص ٣٦ : فاما مازن ، فهم غَسَّان [٩] ، وغسان ماءٌ نسبوا اليه ، ومنهم بنو جَفْنَة [١٠] ، رهط الملوك ، وآل العَنْقاء [١١] ، وآل المحرّق [١٢] ، وتنوخ ، وكَعْب [١٣] ، رهط جَبَلة بن الأيْهَم .

وفي صبح الأعشى [١٤] في الكلام على احياء قضاعة السبعة : الحي

---

(١) الزبيدي : تاج العروس ٢ : ٢٥٤
(٢) انظر معجم قبائل العرب لكحالة ٣ : ١١٩٣
(٣) انظر معجم قبائل العرب ٣ : ٩٩١
(٤) انظر معجم قبائل العرب ٢ : ٤٤٠
(٥) انظر معجم قبائل العرب ٣ : ١١٠٢
(٦) انظر معجم قبائل العرب ٣ : ٩٧٤
(٧) انظر معجم قبائل العرب ٢ : ٥٤٠ ، ٥٤١
(٨) انظر معجم قبائل العرب ١ : ١٣٣ ، ١٣٤
(٩) في معجم قبائل العرب ٣ : ٨٨٤، ٨٨٥ : غسان شعب عظيم اختلف في نسبته، فقالوا : غسان ابو قبيلة باليمن، وهو مازن بن الازد ، وقالوا : غسان اسم ماء نزلوا عليه قوم من الأزد فنسبوا اليه .
(١٠) انظر معجم قبائل العرب ١ : ١٩٧
(١١) انظر معجم قبائل العرب ٢ : ٨٤٨
(١٢) انظر معجم قبائل العرب ٣ : ١٠٤٧
(١٣) انظر معجم قبائل العرب ٣ : ٩٨٥
(١٤) القلقشندي : صبح الاعشى ١ : ٢١٨ (ج)

السابع جرم[1] ، ثم قال وعد صاحب حماة في تاريخه منهم ، تنوخ ثم قـال : والتحقيق ماقاله ابو عبيد ، انهم ثلاثة ابطن من القحطانية ، نزار ، وأحلاف أسد وغطفان ، قال : وسموا بذلك ، لانهم حلفوا على المقام بمكان بالشام ، والتنخ المقام .

قـال ابن سعيد : ومن الناس من يطلق تنوخ على الضجاعمة[2] ودوس[3] الذين تتنخوا بالبحرين ، قال صاحب حماة : وكان بينهم وبين اللخميين[4] ملوك الحيرة حروب ، ولتنوخ بقايا بالمعرة من بلاد الشام فيما ذكره الحمداني .

وذكر في نهاية الارب[5] : ان من قضاعة ثلاثة بطون وهم عمران بن الحاف ، بن قضاعة ... ثم ذكر ان من ولد عمران حلوان ، ومن ولد حلوان تغلب ، ومن ولد تغلب ، وبرة ، ومن وبرة أسد ، ومن أسد تنوخ ، وهو مالك ، بن زهير ، بن عمرو ، بن فهم ، بن تيم الله[6] ، بن أسد ، وإلى تنوخ هذا ينسب كل تنوخي ، وإليه يرجع ابو العلاء المعري الشاعر .

وقال السمعاني : تنوخ اسم لعدة قبائل اجتمعوا قـديماً بالبحرين ، وتحالفوا على التوازر[7] والتناصر ، واقاموا هنـاك فسموا تنوخا ، والتنوخ الاقامة ، وجماعة منهم نزلوا معرة النعمان .

---

(١) انظر معجم قبائل العرب لكحالة ١ : ١٨٢
(٢) انظر معجم قبائل العرب ٢ : ٦٦٥
(٣) انظر معجم قبائل العرب ١ : ٣٩٤ ، ٣٩٥
(٤) انظر معجم قبائل العرب ٣ : ١٠١١ ، ١٠١٢
(٥) النويري : نهاية الارب في فنون الادب ٢ : ٢٩٥ (ج)
(٦) تيم اللات
(٧) لغة في التآزر

وذكر اليعقوبي نحوا من هذا .

وذكر البكري ان قضاعة بن معد ، ورث من ابيه جُدة، وسكن بها اولاده ، الى ان قال خزاعي في امرأة من ربيعة بن نزار شعراً ، وكان يتعشقها ، فتفاقم الأمر ، وغا الشر ، فاجتمعت نزار على قضاعة وقهروهم ، فظعنوا منجدين ، فسارت تيم اللات بن أسد عن قضاعة ، مع قبائل نحو البحرين ، حتى وردوا هجر ، ولكن اجلوا منها ايضاً ، ولما نزلوها قالوا للزرقاء[1] بنت زهير الكاهنة ماتقولين ؟ قالت : سعف وأمان وتمر والبان خير من الهوان ، ثم انشأت تقول .

وَدِّعْ تِهَامَةَ لاوَدَاعَ مُخَالِقٍ بِذِمَامَةٍ[2] لكِنْ قِلىً وَمَلَامِ
لاتَتْرُكَنْ هَجَراً مقامَ غَرِيبَةٍ إنْ تَعْدَمي مِنْ ظَاعِنِينَ تِهَامِ

قالوا فما ترين يازرقاء ؟ قالت : مقام وتنوخ ، ماولد مولود وانقضت[3] فروخ ، الى ان يجيء غراب أبقع ، أصمع ، انزع ، عليه خلخالا ذهب ، فطار فألهب ، ونعق فنقب ، يقع على النخلة السحوق ، بين الدور والطريق ، فسيروا على وتيرة ، ثم الحيرة الحيرة .

قالوا : فبينما القوم في مجلسهم ذات يوم ، اقبل هذا الغراب كما وصفته الزرقاء ، فارتحلوا الى الحيرة فبنوا فيها المنازل[4] واتخذوها داراً ، ثم عدت

---

(١) وتلقب بزرقاء اليمامة ، واليمامة في البحرين : يضرب بها المثل في حدة النظر ، والرؤية من بعيد . قال احدهم :
اعرني طرف زرقاء اليمامه لأبصر ماورا تلك الغمامة

(٢) في الاغاني بذمامه .. لاتنكري هجرا .. ان تعدمي ... (ج)

(٣) وفيها واللقت (ج)

(٤) اول بناء الحيرة

عليهم عوادٍ ، واصابتهم صروف ، فتفرق جمعهم ، واستقرت طائفة منهم في الشام ، وكانت لهم المعرة .

وقال ابن شبّة : ثم ظعنت قضاعة كلها من غور تهامة منجدين ، غير بعضهم ممن تنخ بالبحرين ، وانتشر سائرهم في البلاد ، فوجدوا بلاداً في اطراف الشام ، وغيرها .

وقال القلقشندي[1] : تنوخ حي من اليمن القحطانية ، وذكر المؤيد صاحب حماة : انهم من قضاعة ، وقال ابو عبيد : هم ابطن نزار ، والاحلاف ، وفهم ، سموا بذلك لأنهم حلفوا على المقام بمكان الشام ، والتنخ : المقام .

ثم قال : وانهم تتنخوا على مالك[2] بن زهير بن عمرو بن فهم بن تيم الله ابن أسد ، بن وبرة ، بن تغلب ، بن حلوان ، وعم مالك ، بن نصر ، ومن الناس من يطلق تنوخ على الضجاعمة ، ودوس الذين تنخوا بالبحرين ، وقد ذكر الحمداني : ان المعرة من بلاد الشام ، هي صليبة تنوخ ، بمعنى ان فيها جمعهم المستكثر ، وهي مجتمعة من عدة بطون .

وقال ابن العديم في الانصاف والتحري : تيم اللات ، وقيل : تيم الله ، وهو مجتمع تنوخ باسرها ، وانما سموا تنوخ لانهم تنخوا بالشام ، وقيل بالحيرة ، التنخ : هو المقام في الموضع ، يقال : تنخ في الامر ، أي رسخ فيه فهو تانخ .

(١) القلقشندي : نهاية الارب (مخطوط) ق ٨٤ / ٢

(٢) في الاصل ملك (ج)

وكانوا أقاموا على مالك ، بن زهير ، بن عمرو بن فهم بن تيم اللات ، ونزلوا معه الحيرة فاختطوها،وبنوا فيها الابنية ، وعمروها ، وهم أول من عمر الحيرة ، ونزلها ، وكان لهم قوة وبأس ، كثيرة ، فغزاهم سابور الاكبر ملك فارس في جيوش عظيمة ، فقاتلوه قتالا شديدا ، ولم تزل الحرب بينهم اياما ، فلحقت بسابور جيوشه ، وأمراؤه ، فضعفت تنوخ عن مقاومته ، وانكشفت ، فسار معظمهم ، ومن فيه نهوض منهم ، الى الضَّيْزَن[1] بن معاوية التنوخي الى الحَضْر ، فاقاموا به وملكوا ماجاورهم من البلاد ، وأجلوا سائر الامم عنها الا من أدى اليهم الجزية ، فاشتدت شوكة تنوخ ، وعظم بأسهم .

فملكوا عليهم الساطع ، وهو النعمان بن عدي ، وانما سمي الساطع لجماله وبهائه ، وكان طويلا ، وسيما جسيما ، جوادا شجاعا ، فملك عليهم برهة ، وكانت له حروب ووقائع مع ملوك الفرس ، وشن الغارات على السواد ، فسميت تنوخ يومئذ الدَّواسر[2] لما ظهر من شدتهم وبأسهم[3] ،

---

(١) قال السهيلي في الروض الانف ج ١ ص ٥٦ ماخلاصته : الساطرون بالسريانية ، وهو الضيزن بن معاوية ، قضاعي من العرب الذين تنخوا بالسواد فسموا تنوخ ، وهم قبائل شتى ، وهو صاحب الحضر ، والحضر حصن عظيم بين دجلة والفرات ، وكان من ملوك الطوائف ، يبلغ ملكه اطرار الشام ، قتله سابور ، واستباح الحضر ، وقتل كثيراً من قبائل قضاعة ، وسيأتي تمام ذلك .

(٢) والدواسر هي من القبائل النجدية المعاصرة التي تتجول في نجد ، وتدخل العراق . وتمتد منازلها من وادي الدواسر الى الحوطة جنوبي الرياض (معجم قبائل العرب لكحالة ١ : ٣٩٢ ، ٣٩٣)

(٣) وقد تقدم ان ياقوت قال : ان المعرة تنسب الى النعمان هذا ، ورد عليه ابن العديم (ج) .

ثم قال . ولما هلك الساطع ، تفرقت كلمة تنوخ ، وتشتت امرهم ، وتنازعوا الرآسة بعده .

ثم ان ملك الفرس غزا الروم ، فاذرع فيهم القتل ، وسبى الذراري ، وخرب العمائر ، فانفذ ملك الروم الى تنوخ ؛ وكانت اقرب القبائل اليه ، في ذلك العصر ، فاستنجدهم على ملك الفرس ، فانجدوه ، وقاتلوا معه قتالا شديدا ، ثم سألوا ملك الروم ان يتولوا حرب الفرس ، منفردين عن جند الروم ، لتظهر له طاعتهم وغناؤهم ، فاجابهم الى ذلك ، فقاتلوا الفرس ، وظفروا بهم ، وقتلوهم قتلا ذريعا ، وابلوا بلاء عظيما ، فاعجب بهم ملك الروم ، وفرق فيهم الدنانير ، والثياب ، وقربهم ، وادناهم ، وأقطعهم سورية وما جاورها من البلاد ، الى الجزيرة ، وهي مدينة بقرب الأحص (١) على جانب البرية ، واليها ينسب اللسان السورياني ، هذا منتهى امرهم في الجاهلية .

وقال في الاغاني ماخلاصته : كان بدء تفرق بني اسمعيل بن ابراهيم ﷺ عن تهامة ، ونزوحهم عنها ، وخروج من خرج منهم عن نسبه ، ان خرجت قضاعة ، وسبب خروجها عنهم ، ان خُزَيْمة بن نَهْد ، بن زيد ، من ولد الحاف ، بن قُضاعة بن مَعْد ، علق فاطمة بنت يذكر ، وهو عامر ابن عنترة ، بن اسد ، بن ربيعة ، بن نزار بن معد ، فشبب بها ، وخطبها من ابيها ، فلم يزوجه اياها ، ثم اخرج اباها ليأتي معه بقرظ ، فقتله ، فلما عاد سئل عنه ، فقال : فارقني وما ادري اين سلك ؟

(١) في معجم البلدان لياقوت : ١ : ١٥١ : الاحص كورة كبيرة مشهورة ، ذات قرى ، ومزارع بين القبلة وبين الشمال من مدينة حلب قصبتها خناصرة مدينة كان ينزلها عمر بن عبد العزيز

فوقع بين قضاعة ونزار شـــر ، ولكن لم يصح على خزيمة شيء عنـــدهم يطالبون به ، ثم قال خزيمة هذين البيتين :

فتاةٌ كأنَّ رُضابَ ٱلْعَصيرِ بفيها يُعَلُّ بـــهِ الزَّنْجَبيلُ
قَتَلْتُ أَبَاهَـــا عَلَى حُبِّها فتبخلُ ان بَخِلَتْ أَو تُنيلُ

فعلمت نزار ان خزيمة قتل يـذكر ، فقاتلوا قضاعة فهزمت ، وقتل خزيمة ، وخرجت قضاعة متفرقين ، وقد كانت بين مكة والطائف .

وسارت تَيْم اللآت ، بن اسد ، بن وَبَرَة ، بن تَغْلِب ، بن حُلْـوان ، ابن عمران ، بن الحاف ، بن قضاعة ، وفرقة من بني رُفَيْـــدة ، بن ثور بن كلب ، بن وبرة ، وفرقـــة من الأشعريين ، نحو البحرين ، حتى وردوا هَجَر ، وبها يومئذ قوم من النبط ، فنزلت عليهم هذه البطون ، فأجلتهم ، ولما نزلوا هجر ، قالوا للزرقاء بنت زهير ، وقالت لهم ماتقـــدم في كلام البكري ، من شعر ، ونـــثر ، فسميت تلك القبائل تنوخ ، لقول الزرقاء : مقام وتنوخ ، ولحق بهم قوم من الأزْد ، فصاروا الى الآن في تنوخ ، وخرجت فرقة من بني حلوان ، بن عمران ، بن الحاف ، بن قضاعة ، يقال لهم : بنو يزيد ، فنزلوا عَبْقَر[1] من ارض الجزيرة فنسج نساؤهم الصوف ، وعملوا منه الزرابي فهي التي يقال لها : العبقرية ، وعملوا البرود التي يقال لها : البريدية[2] (لعلها اليزيدية) .

---

(١) انظر معجم البلدان لياقوت ٣ : ٦٠٦ ، ٦٠٧

(٢) هكذا جاءت في الاغاني ، وفي القاموس ، والتاج ، وغيرهما : تزيد بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة ، والبرود التزيدية (لعلها اليزيدية) ، وهي برود فيها خطوط حمر يشبه بها طرائق الدم . (ج) .

وسارت سُلَيْح، بن عمرو، بن الحاف، بن قضاعة، يقودها الحدرجان. ابن سَلَمة، حتى نزلوا فِلَسْطين، على بني أُذَيْنة بن السميذع من عاملة.

وسارت أسلم بن الحاف، وهي عُذْرة ونَهْد، وحَوْتكة (١)، وجُهَيْنة (٢)، والحرث بن سعد حتى نزلوا من الحِجْر الى وادي القرى، ونزلت تنوخ بالبحرين سنتين، ثم اقبل غراب في رجليه حلقتا ذهب، فسقط على نخلة في الطريق، فنعق نعقات، ثم طار (٣) كما تقدم، فذكروا قول الزرقاء، فارتحلوا، حتى نزلوا الحيرة، فهم أول من اختطها، منهم مالك ابن زهير.

واجتمع اليهم لما ابتنوا المنازل ناس كثير، من سقاط القرى، فاقاموا بها زمانا، ثم اغار عليهم سابور الاكبر، فقاتلوه، فكان شعارهم يومئذ، ياآل عباد الله، فسموا العباد، وهزمهم سابور، فصار معظمهم ومن فيه نهوض منهم الى الحضر، من الجزيرة، يقودهم الضَيْزن بن معاوية التنوخي، فمضى حتى نزل الحَضْر، وهو بناء بناه الساطرون الجرمقاني، فاقاموا به، واغارت حِمْير على بقية قُضاعة، فخيروهم بين ان يقيموا على خراج يدفعونه اليهم، او يخرجوا عنهم، فخرجوا، وهم: كلب، وجرم، والعلاف، وهم بنو زبان، بن تغلب بن حلوان، وهو أول من عمل الرحال العلافية، وعلاف لقب زبان، فلحقوا بالشام، فاغارت عليهم بنو كنانة بن خزيمة، بعد ذلك

---

(١) في معجم القبائل لكحالة ١ : ٣١٦ : بطن من أسلم بن الحاف بن قضاعة من القحطانية.

(٢) في معجم قبائل العرب ١ : ٢١٦ : جهينة بن زيد حي عظيم من قضاعة من القحطانية.

(٣) من الروايات التي تحتاج الى تمحيص. وقد تكون اقرب الى اسطورة.

بدهر، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وانهزموا، فلحقوا بالسماوة[1]، فهي منازلهم الى اليوم .

الزمن الذي نزحت فيه تنوخ الى العراق والشام

لم اعثر على نص تاريخي موثوق به، يدل على الزمن الذي نزحت فيه قضاعة عن تهامة، ولا على الزمن الذي نزلت فيه تنوخ في بلاد العراق، والشام وغيرهما .

ولكننا نستطيع من تاريخ الحوادث، والوقائع، والرجال الذين كانوا فيها، ان نعين الزمن، ولو على سبيل التقريب .

قال وستون[2] : وقد كان قنصلا لبروسيا في دمشق، وفتش عن الخطوط القديمة، ونسخ منها مائتين وستين خطاً، من صخور جبل الصفا، ونشر بعضها في كتاب سنة ١٨٦٠ ميلادية، مثبتاً ان تلك الخطوط انما كتبتها قبائل العرب السبئيين، الظاعنين الى سورية، وقد انقسموا الى فصيلتين، ظعنت احداهما الى مابين النهرين، فأقامت هناك مملكة الحيرة، وتتالى ملوكهم فيها .

واقامت الفصيلة الاخرى في سورية في عصر ولادة سيدنا عيسى ﷺ واحتلت انحاء دمشق، وسمي اهلها تنوخيين، واستقطع بعض رؤسائهم

---

(١) في معجم البلدان لياقوت ٣ : ١٣١ : قال ابو المنذر : انما سميت السماوة لأنها ارض مستوية لا حجر بها، وبادية السماوة التي هي بين الكوفة والشام قفرى اظنها مسماة بهذا الماء .

(٢) الدبس : تاريخ سورية ٤ : ١٤٤ (ج)

الرومانيين ، فولوهم على بعض الاعمال ، وعقب هؤلاء قبيلة الصالحيين ، وعزا الى امرائها بناء بُصْرى[1] في حَوْران سنة ١٠٦ م ، واعانوا الرومانيين على محافظة الصحراء ، ثم جاءت على اثرهم في اواخر القرن الثالث فصيلة من بني أزْد ، وسموا غسّان ، نسبة الى ماء نزلوا عليه ، وكانت منهم دولة اتفقت مع الرومانيين ، وتولت جميع البلاد التي في عبر الاردن الى ظهور الاسلام .

وهذا يؤيد ماذهب اليه ابو الفداء حيث قال في تاريخه[2] : ملوك غسان ، كانوا عمالاً على عرب الشام ، وأصل غسان من اليمن ، من بني الازد ، ابن الغَوْث ، نزلوا على ماء في الشام[3] يقال له : غسان ، فنسبوا اليه ، وكان ابتداء ملكهم قبل الاسلام ، بما يزيد على اربعمائة سنة ، وقيل : أكثر ، وكانت قبلهم في الشام قبيلة ، يقال لهم : الضجاعمة ، وقد قدمنا عن القَلْقَشَنْدي ، ان بعض الناس يطلق تنوخ على الضجاعمة .

وقدمنا ايضاً ان سابور اغار على تنوخ ، وهم في الحيرة بعد ان اختطوها ، وكان سابور مابين ٣٠٩ و ٣٧٩ م .

وسيأتي عن ياقوت : ان كثيراً من تنوخ كرهوا المقام بالعراق ، وان يدينوا لازدشير بن بابك ، وهذا كان مابين ٢٢٦ و ٢٤١ م ، فلحقوا بالشام ، وانضموا الى من فيها من قضاعة .

---

(١) في معجم البلدان لياقوت ١ : ٦٥٤ : بصرى بالضم والقصر من اعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً ، ذكرها كثير في اشعارهم .

(٢) ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر ١ : ٧٦

(٣) في نهاية الارب ج ٢ ص ٣١١ : وغسان ماء بسد مأرب باليمن . وقيل : بالمشلل نزلوا به ، فنسبوا اليه . وفي صبح الاعشى ج ١ ص ٣١٩ عن العبر : وهو على القرب من بلاد اليمن (ج)

وقال هنري شارل الفرنسي : العَصْر وهي قلعة ، وموطن سياسي ، لأصحاب الاقطاعات من العرب في بلاد الفرس ، في القرن الثالث ، جعله في معسكر الحيرة ، ونزله قبيلتان : التنوخيون الرحل ، أو انصاف الرحل ممن يشتغل بالزراعة قلّت او كثرت ، وأصلهم من قضاعة ، وهم اصحاب بيوت شعر ، او مظال ، بين الحيرة والأنبار ، والعبّاد وهم اهل مدر ، اصلهم من تميم ، ولَخْم ، أو يزد .

وقال أيضاً : وكان في شرقي بادية سورية قبائل التنوخيين ، لاسيما العباد ، وهم نصارى الحيرة ، عاصمة الملوك اللّخميين ، وهم على الغالب انصاف رحل ، فلاحون ، وقبائل متبدية .

والذي يظهر مما تقدم ، ان تنوخ هم الذين عمروا الحيرة ، واختطوها ، وبنوا فيها المنازل ، وانها لم تكن من قبل ، وفي كلام ياقوت مايدل على انها كانت قبل ذلك ، وهذه خلاصة كلامه في معجم البلدان (١) : الحيرة : مدينة كانت على ثلاثة اميال من الكوفة ، على موضع يقال له النجف ، كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية من زمن نصر ، ثم من لَخْم النعمان وابائه ، وسميت الحيرة ، لأن تبّعاً الأكبر لما قصد خراسان خلف ضعفة جنده بذلك الموضع ، وقال لهم : حيروا به ، أي أقيموا به ، أو لأن دليله لما بلغ هذا الموضع ضل وتحير ، وذكر اسباباً اخرى لتسميتها في عهد ازدشير والاردوان ملك النبط ، وبخت نصر ، في زمن مَعْد بن عدنان ،

(١) ياقوت : معجم البلدان ٣ : ٣٧٦ (ج) .

ثم قال : وكان بنو معد نزولاً بتهامة وماوالاها ، ففرقتهم حروب وقعت بينهم فذهب مالك وعمرو ابنـا فَهْم بن تَيْم الله ، بن الحاف بن قُضاعة ، ومالك ابن الزمير(١) بن عمرو ، بن فهم ، بن تيم الله في جماعة من قومهم ، والحيقان ابن الحيوة ، بن عمير بن قَنَص بن مَعَدّ بن عدنان ، في قَنَص(٢) كلها ، ثم لحق به غَطَفان ، بن عمرو ، بن طمثان ، بن عوذ مَناة ، بن يَقْدُم بن أفْصَى ، ابن دُعْمِي بن إياد (٣). فاجتمعوا بالبحرين ، وتحالفوا على التنوخ ، وكانوا بذلك الاسم كانهم عمارة من العمائر ، وقبيلة من القبائل .

ودعا مالك بن زهير ، بن عمرو ، بن فَهْم ، جَذيمة الابرش ، بن مالك ابن فَهْم ، بن غَنْم ، بن دَوْس (٤) ، بن عدنان . . بن عبـد الله ، مالك ابن نصر ، بن الأزْد ، الى التنوخ معه ، وزوجه اخته لميس بنت زهير ، فتنخ جُذَيْمة ، وجماعة من كان بها من الأزد ، فصارت كلمتهم واحدة ، وكان اجتماع القبائل بالبحرين ، وتحالفهم ، ازمان ملوك الطوائف ، الذين ملّكهم الاسكندر عند قتله دارا ، فلما ظهر ازدشير على ملوك الطـوائف ، وهزمهم طمع عرب البحرين في ريف العراق ، واغتنموا ماوقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف ، وكان اول من طلع على العجم ، حيقان في جماعة من قومـه ، فوجدوا الارمانيين الذين بناحية المَوْصِل ومايليها يقاتلون الاردوانيين ، وهم

---

(١) كذا في الأصل ولعله زهير (ج) .

(٢) في معجم قبائل العرب ج٣ ص ٩٦٧ انتشر ولده بالحجاز ،فوقعت بينهم وبين بني ابيهم حرب ، وتضايقوا في البلاد ، واجدبت لهم الارض ، فساروا نحو سواد العراق.

(٣) في معجم قبائل العرب لكحالة ١ : ٣٨١ : قبيلة من إياد ، من العدنانية .

(٤) في معجم قبائل العرب ٣ : ٨٩٤ : غنم بن دوس بطن من الازد ، من القحطانية .

ملوك الطوائف ، فاجتمعوا عليهم ودفعوهم عن بلادهم الى سواد العراق ؛ فصاروا بعد اشلاء [1] في عرب الأنبار ، وعرب الحيرة ، فهم أشلاء قَنَص بن مَعَدّ ، منهم كان عمرو بن عدي ، بن نصر بن ربيعة .. بن لَخْم ، ومن ولده النعمان بن المنذر .

ثم قدمت قبائل تنوخ على الاردوانيين ، فانزلوهم الحيرة التي كان قد بناها بخت نصر ، والأنبار ، واقاموا يدينون للعجم الى أن قدمها تبع ابو كرب فخلف بها من لم تكن له نهضة ، فانضموا الى الحيرة واختلطوا بهم ، فصار في الحيرة من جميع القبائل من مَذْحِج [2] ، وحِمْيَر [3] ، وطَيّىء [4] ، وكلب [5] ، وتميم [6] ، ونزل كثير من تنوخ الانبار ، والحيرة ،

(١) سأل عمر بن الخطاب جبير بن مطعم عن النعمان بن المنذر انه من ولد من هو فقال : كان من اشلاء قنص بن معد . أراد من بقايا اولاده وكأنه من الشلو القطعة من اللحم لأنها بقية منه . وبنو فلان اشلاء في بني فلان أي بقايا فيهم وأصل الشلو بقية الشيء (ج) .

(٢) في معجم قبائل العرب لكحالة ٣ : ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ : بطن من كهلان من القحطانية ، كان اغلبهم يسكنون اليمن ، ومن منازلهم : يبنون ، ونزلوا الحيرة .

(٣) بطن عظيم من القحطانية . وبلاد حمير في اليمن : شبام ، وذمار ، وزمع وغيرها ، وسكن قسم من حمير في الحيرة .

(٤) قبيلة عظيمة من كهلان ، من القحطانية ، كانت منازلهم باليمن ، ثم نزلوا سميراء وفيد في جوار بني أسد ، ثم غلبوهم على اجأ وسلمى ... وبعبارة اخرى فقد ملأوا السهل والجبل حجازاً وشاماً وعراقاً ، ثم اضطرت الى الجلاء عن جنوبي فلسطين ، فهبطت مصر
(معجم قبائل العرب ٢ : ٦٨٩ _ ٦٩٢)

(٥) بطن من قضاعة ، من القحطانية ، كانوا ينزلون دومة الجندل ، وتبوك ، واطراف الشام ، ونزل خلق عظيم على خليج القسطنطينية
(معجم قبائل العرب ٣ : ٩٩١ ، ٩٩٢)

(٦) قبيلة عظيمة من العدنانيين ، كانت منازلهم بارض نجد ، دائرة من هنالك على البصرة واليمامة ، حتى يتصلوا بالبحرين ، وانتشرت في العذيب من ارض الكوفة ، ثم تفرقوا في الحواضر (معجم قبائل العرب ١ : ١٢٦ - ١٣٣)

الى طف (١)الفرات ، وغربيه ، الا انهم كانوا بادية ، يسكنون المظال ، وخيم الشعر ، ولا ينزلون بيوت المدن ، وكانت منازلهم فيما بين الأنبار ، والحيرة ، فكانوا يسمون عرب الضاحية .

واول من ملك منهم في زمن ملوك الطوائف ، مالك بن فَهْم ، ابو جذيمة بن مالك ، وكان من افضل ملوك العرب رأياً وحزماً ، وهو اول من اجتمع له الملك بارض العرب ، وغزا بالجيوش ، وكانت دار مملكته الحيرة ، والأنبار ، وبقة(٢) الى القُطْقُطانة(٣) وما وراء ذلك ، وهو صاحب الزبّاء(٤) ، وقصير(٥) ، ولما مات صار ملكه الى ابن اخته ، عمرو بن عدى ، بن نصر اللخمي ، وهو اول من اتخذ الحيرة منزلا من الملوك ، واول ملوك هـذا البيت ، وكان لا يدين لملوك الطوائف ، ولا يدينون له ، ثم لما قدم ازدشير ابن بابك ، وقهر ملوك الطوائف ، واراد الاستبداد بالممالك ، كره كثير من

---

(١) الطف بالفتح والفاء مشددة وهو في اللغة ما اشرف من ارض العرب على ريف العراق ... والطف طف الفرات اي الشاطىء ، والطف ارض من ضاحية الكوفة في طريق البرية (معجم البلدان لياقوت ٣ : ٥٣٩)

(٢) بقة : بالفتح ، وتشديد القاف ، موضع قريب من الحيرة ، وقيل : حصن كان على فرسخين من هيت كان ينزله جذيمة الابرش ملك الحيرة .
(معجم البلدان لياقوت ١ : ٧٠٢)

(٣) بالضم ثم سكون ثم قاف اخرى مضمومة وطاء اخرى وبعد الالف نون وهاء ورواه الازهري بالفتح ، موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف .
(معجم البلدان لياقوت ٤ : ١٣٧)

(٤) ملكة ذات عقل ورأي ودهاء وحكمة وحزم وشدة بأس مع جمال ، ملكت على الشام والجزيرة من قبل الروم بعد قتل ابيها عمرو بن ظرب
(اعلام النساء لكحالة ١ : ٤١٩ - ٤٢٨)

(٥) انظر ترجمته في الاعلام الزركلي ٦ : ٤٣ ، ٤٤ .

تنوخ المقام بالعراق ، فلحقوا بالشام ، وانضموا الى من هناك من قضاعـة ، وجعل كل من احدث من العرب حدثاً اخرج الى ريف العراق ، ونزل الحيرة ، فصار ذلك على اكثرهم هجنة .

فأهل الحيرة ثلاثة اصناف : الاول تنوخ ، وهم كانوا اصحاب المظال ، وبيوت الشعر ، ينزلون غربي الفرات ، فيما بين الحيرة والأنبار ، فما فوقها ،

والثلث الثاني : العبّاد ، وهم الذين سكنوا الحيرة ، وابتنوا فيها ، وهم قبائل شتى ، تعبدوا لملوكها ، واقاموا هناك .

والثلث الثالث : الاحلاف ، وهم الذين لحقوا باهل الحيرة ، ونزلوا فيها ، ممّن لم يكن من تنوخ الوبر ، ولا من العباد ، الذين دانوا لازدشير ، فكان أول عمارة الحيرة في زمن بخت نصر ، ثم خربت الحيرة بعد موته ، وعمرت الانبار ، خمسمائة سنة ، وخمسين سنة .

ثم عمرت الحيرة ، في زمن عمرو بن عدي ، باتخاذه اياها مسكنا ، فعمرت الحيرة خمسمائة سنة ، وبضعا وثلاثين ، الى ان عمرت الكوفـة ، ونزلها المسلمون .

وقد اكثرنا من نقل النصوص حتى خرجنا الى حد الاطالة ، وغايتنا من ذلك أن نبين مافي اقوال المؤرخين ، والعلماء ، من التضارب ، والاضطراب ، ومايعانيه الباحث في تحقيق هذه القضية ، وأشباهها ، على مافيها من تناقض ، وان في اقوالهم مايشبه الاساطير القائمة على الخيال والوهم ، وان فيها نواة من الحقيقة ، لكن يشق على الباحث اماطة مايحيط بها من الاوهام ، والاخيلة .

فقد رأينا اختلاف العلماء في قحطان ، وفي قُضاعة ، وفي تَنُوخ ، وفي مساكنها ، وفي الحيرة ، وغير ذلك .

ورأينا بعضهم يحكم على كل تنوخ ، بما هو خاص بقبيلة واحدة منها، والذي يمكننا الأخذ به على سبيل التقريب ، لنتمكن من ربط الحوادث وترتيبها بقدر الطاقة ، ولنتبين من هم تنوخ الذين سكنوا في سورية ، وفي المعرة خاصة، هو ان قحطان من ولد اسماعيل ، وان قضاعة من ولد اسماعيل ، وان تنوخ من قضاعة ، وان تَيْم الله ، أو تيم اللات ، مجتمع تنوخ ، وانهم تنخوا واقاموا على مالك بن زهير ، بن عمرو بن فهم ، بن تيم اللات .

وان مساكن قضاعة كانت بين مكة والطائف ، ثم لما وقعت الحرب بين قبائل قضاعة بن مَعدّ ، وقبائل نزار بن معد ، بسبب قتـــل خُزَيْمة ، يذكر بن عَنَزة ، لأنه أبى أن يزوجه ابنته فاطمة ، خرجت قضاعة متفرقة.

فسارت تَيْم اللاّت ، مع غيرها ، حتى نزلوا بالبحرين نحو سنتين ، ثم تحالفوا على التنوخ وأقاموا على مالك بن زهير ، وقيل : تنخوا بالشام ، وقيل: بالحيرة ، لما نزلوها مع مالك ، لأنها عمـرت في عهـــد بخت نصر ، واشتدت شوكتهم ، فغزاهم من سابور الاكـبر ، فضعفوا عن مقاومته ،فسار معظمهم ، الى الضَّيْزن بن معاوية القضاعي ، صاحب الحَضْر(١) فأقاموا بـه ، وملكوا ماجاورهم من البلاد ، فملكوا عليهم الساطع ، وهو النعمان بن عدي ، فلما مات، تفرقت كلمة تنوخ ، وتنازعوا الرآسة بعده .

وان فريقاً منهم قاتل الفرس مع ملك الروم ، ثم تولوا حـرب الفرس منفردين ، فظفروا بهم ،فاقطعهم ملك الروم سورية ، وماجاورها من البلدان.

---

(١) الحضر بالفتح ثم السكون وراء ، والحضر في اللغة التطفل ، واما الحضر الذي هو ضد البدو فهو بالتحريك، والحضر اسم مدينة بازاء تكريت في البرية بينها وبين الموصل والفرات

(معجم البلدان لياقوت ٢ : ٢٨١ ، ٢٨٢) .

وان فريقا منهم كره المقام بالعراق ، فلحقوا بالشام ،ونزل فريق منهم حاضر حلب،وقنسرين ،والمعرة،وفلسطين،وغيرها في اوقات مختلفة قبل الاسلام بقرون كثيرة ، وان المعرة كانت صلبية تنوخ ، وأهلها ينتسبون الى النعمان ، ابن عدي الملقب بالساطع .

وانهم ينتسبون الى تيم اللات ، وهم من سكان الخيام والوبر ، ويدلنا على هذا ، أن ابا العلاء قد استعار من القاضي ابي القاسم التنوخي جزءاً من شعراء تنوخ في الجاهلية ، كان جمعه ابوه ، فلما سافر ابو العلاء من بغداد ، تركه عند عبد السلام البصري ، ليرده الى القاضي التنوخي . وقد ذكره في السقط بقوله من قصيدة :

سألتُهُ قَبْلَ يَوْمِ ٱلسَّيْرِ مَبْعَثَـهُ

إليكَ ديوانَ تَيْمِ اللآتِ ما لِيتا (١).

وبقوله من قصيدة ثانية :

وَحَمْلَكَ ٱلشِّعْرَ مِنْ أَشعارِ طائفـةٍ

وَحْشِيَّةٍ مِنْ تَنُوخٍ تُنْكِرُ الجُدُرا

قَوْمٌ من الوَبَرِيِّين الّـذينَ غَنُوا

في البيدِ يَبْنُونَ في أَرْجَائِها الوَبَرا (٢).

---

(١) شروح سقط الزند ، ق ٤ ص ١٦٤٣ .
(٢) شروح سقط الزند ، ق ٤ ص ١٧٣٨ .

تنوخ بعد الاسلام

ذكرنا فيما سبق خلاصة ماوقع الينا من احوال تنوخ ، منذ تنَّخت الى نهاية امرها في الجاهلية .

واما تنوخ في عهدالاسلام، وما بعده، فانهم كانوا يقطنون في الاماكن التي سبق ذكرها ، فلما جاء الاسلام ، قدموا مع ابي عبيدة بن الجراح (ض)، وكانوا اشد من معه من العرب شوكةً ، واكثرهم عدداً ، فنزلوا قِنَّسْرين ، ومَنْبِج ، وسورية ، وحماة ، ومعرة النعمان ، وكَفَرْ طاب ، وغيرها من بلاد الاسلام ، وتغلبوا عليها ، وكانوا على دين النصرانية ، فامتنعوا من اداء الجزية ، وقالوا : مانؤدي مايقع عليه اسم الجزية ، وكانوا أولي قوة وبأس، فلما سار عمر (ض) الى الشام ، قدموا عليه فقال : ما اقنع منكم الا بالدخول في الاسلام،او السيف،وامهلهم سنتين،ثم الزمهم مايلزم اهل الذمة من الجزية، فابوا عليه،وقالوا : خذ المال منا على اسم الصدقة،دون اسم الجزية،فابى عمر، ثم اجابهم الى ان يأخذها على اسم الخراج،فاستجاب له قوم منهم،واقاموا بديارهم .

وكان منهم اجداد ابي العلاء ، واجداد بني الفضيص ، ولاة قنسرين .

وأسلم بعضهم في ايام ابي العلاء ، وبعضهم في ايام المهدي بن المنصور ، ودخل قوم منهم الى بلاد الروم مع جَبَلَة بن الايهم . هذا ملخص ماقاله ابن العديم ،في (الانصاف والتحري) ، وهو يدل على ان تنوخ جاؤا مع ابي عبيدة ، ونزلوا البلاد السابق ذكرها بعد الاسلام ، وهو يخالف ماتقدم من نزولهم في بلاد الشام ، قبل الاسلام ، ويمكن ان يقال : انهم كانوا في بلاد الشام ، ولما جاء ابو عبيدة ، انضموا اليه ، وكانوا معه كلهم ، اوبعضهم ، او ان فريقا منهم جاء من غير بلاد الشام ، وصحب ابا عبيدة ، او ان فريقا منهم ممن كان يسكن

الخيام جاء معه وقال البلاذري (١) : ان ابا عبيدة ، بعد فراغه من ارض اليَرْموك ، وحِمْص ، اتى قِنَّسْرين ، وعلى مقدمته خالد بن الوليد ، فقاتل اهل مدينة قنسرين ، ثم لجأوا الى حصنهم وطلبوا الصلح ، فصالحهم ابو عبيدة على مثل صلح حمص ، وغلب المسلمون على ارضها ، وقراها ، وكان حاضر قنسرين لتَنُوخ ، مذ اول ما تنخوا بالشام ، نزلوه وهم في خيم الشعر ، ثم ابتنوا المنازل ، فدعاهم ابو عبيدة الى الاسلام ، فاسلم بعضهم .

ثم قال : وكان بقرب مدينة حلب حاضر ، يدعى حاضر حلب يجمع اصنافاً من العرب ، من تنوخ وغيرهم ، فصالحهم ابو عبيدة على الجزية ، ثم اسلموا بعد ذلك ، فكانوا هم واعقابهم مقيمين فيه الى وفاة امير المؤمنين الرشيد .

ثم ان ذلك الحاضر ، حاربوا اهل مدينة حلب ، وأرادوا اخراجهم عنها ، فكتب الهاشميون من اهلها الى جميع من حولهم من قبائل العرب يستنجدونهم ، فكان اسبقهم الى انجادهم واغاثتهم العباس بن زُفَر الهلالي فاجلى اهل ذلك الحاضر عن حاضرهم ، وذلك في ايام فتنة محمد بن الرشيد ، فانتقلوا الى قنسرين ، فتلقاهم اهلها بالاطعمة والكسى ، فلما دخلوها ارادوا التغلب عليها ، فاخرجوهم منها ، فتفرقوا في البلاد ، فمنهم قوم بتَكْريت (٢) قد رأيتهم ، ومنهم قوم بأرْمينيّة ، وفي بلدان كثيرة متباينة .

ولم ار من ذكر أن التنوخيين المقيمين في المعرة ، رحلوا عنها في ذلك العهد أو قبله أو بعده .

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ١٥٢ (ج)

(٢) تكريت : بفتح التاء والعامة يكسرونها ، بلدة مشهورة بين بغداد والموصل (معجم البلدان لياقوت ١ : ٨٦١)

مزايا تنوخ في الجاهلية

لم نعثر على نصوص تجمع ما لهذه القبيلة من المناقب ، والمآثر ، وانما استطعنا ان نقف على شيء يسير مجمل في اضعاف كلام المؤرخين ، ويظهر للمتأمل فيما اسلفناه امور ، الاول : ان تنوخ بجملتها قومٌ أولو بأس شديد ، ونجدة ، وشجاعة ، فقد حاربوا الفرس منفردين ، غير مرة ، حتى جاءهم سابور ، بقضه ، وقضيضه ، فضعفوا عن مقاومته .

ثم استنجد بهم ملك الروم ، فاشتركوا معه في حرب الفرس ، ثم طلبوا ان يحاربوا منفردين ، فقتلوا الفرس قتـــلًا ذريعاً ، فاعطاهم ملك الروم اموالا جزيلة ، واقطعهم بلاداً واسعة ، كما تقدم .

وانهم بعد انكسارهم في حرب سابور ، ساروا الى الضَّيْزَن بن معاوية ، فاقاموا في الحضر ، وملكوا ماجاورهم من البلاد ، وأجلوا اهلها عنها ، الا من أدى اليهم الجزية ، ولهم وقائع كثيرة ، ذكرنا طرفاً منها فيما سبق . وكان شعارهم في الحروب في الجاهلية (واصل) وقد اشار الى ذلك ابو العلاء بقوله :

فشعاري قاطع وكان شعارا   لتنوخ في سالف الدهر واصل

الثاني : انهم ذو أنفة ، وحمية ، فكانوا يأبون ان يقيموا على ضيم ، وان يخضعوا لسلطان اجنبي ، ولذلك كانوا كلما سنحت لهم فرصة ، اجتمعوا على رجل منهم ، او ملكوا رجلا منهم ، والتفوا حوله .

كما فعلوا في الضيزن ، وفي الساطع ، وهو النعمان بن عدي ، فقد

كانت له وقائع مع ملوك الفرس ، وشن الغارات على السواد ، وسميت تنوخ يومئذ الدواسر ، لما ظهر من بأسها وشدتها .

وقد اسلفنا الكلام في جُذَيْمة وأبيه ، وابن اخته عمرو بن عدي ، اللَّخْمي وغيرهم من الملوك الذين تتنخوا .

وذكرنا ان كثيراً من تنوخ ، كرهوا ان يدينوا لملك الفرس ، فنزحوا الى بلاد الشام .

الثالث : ان فريقاً منهم كانوا يحبون الحضارة ، فكانوا حيث ينزلون يختطون الخطط ، ويبتنون المنـــازل ، سواء أكان ذلك في العراق ، ام في الشام ، وان ماتعاقب على منازلهم من الفتن والحروب ، والآفات الطبيعية ، طمس كثيراً من معالمهم .

وكان فريق منهم يؤثر الاقامة في البادية ، تحت الخيام ، والمظال ، لما فيها من التحرر ، من قيود الحضر ، ولأن فيها مجالا أوسع ، لاظهار النجدة ، والجود والانفة ، وقد قال ابو العلاء في مدح رجل من بني الفصيص التنوخي :

الموقـــدون بنجد نار بادية لا يحضرون وفقد العز في الحضر

الرابع ان فيهم شعراء كثيرين ، ولكن تبـدل الاسماء والكنى ، في بعض البطون ، جعل الناس يجهلون ان قائل هذا الشعر تنوخي ، لانتساب قائله الى غير تنوخ ، وان القاضي التنوخي جمع ديواناً من اشعار تنوخ في الجاهليـة ، وقد ذكرناه فيما سبق ، ولكننا لم نعلم من امره شيئاً . وهذا ماعلمناه من مزايا تنوخ في الجاهلية .

مزايا تنوخ بعد الاسلام

واما مزايا تنوخ بعد الاسلام ، فقد ضن علينا التاريخ بمعرفة كل رجالها النابغين في الفضل ، والادب ، والشجاعة ، والأنفة ، وغير ذلك من الصفات المحمودة ، في كل عصر ، ومصر ، ولكننا عرفنا بعض رجالها ، الذين نبغوا في العراق ، وفي حلب ، والمعرة ، وحماة ، وحمص ، والشام ، ولبنان ، وهم كثيرون .

ونحن نجتزىء الآن بذكر من عرفناه من التنوخيين الذين كانوا في المعرة، وما جاورها ، لما بينهم من القرابة في النسب ، ونعتقد ان من لم نعرفه منهم اضعاف مانعلمه ، ونقتصر على ماوصفهم به ابن العديم في الانصاف والتحري حيث قال :

وتنوخ من أكثر العرب مناقب وحسباً ، ومن اعظمها مفاخر وأدباً ، وفيهم الخطباء ، والفصحاء ، والبلغاء ، والشعراء .

وهم يرجعون الى بطنين : الساطع[1] ، والحر ، وبنو الساطع هم المشهورون بالشرف والسؤدد ، والرياسة ، والشجاعة ، والجود ، والفضل ، وبيوت المعرة منهم ، وهم يرجعون الى اسحم بن الساطع ، وعدي بن الساطع ، وغنم بن الساطع .

فبنو سليمان ، وبنو ابي حصين ، وبنو عمرو ، ينتسبون الى اسحم بن الساطع ، وبنو المهذّب ، وبنو زُرَيْق ، ينتسبون الى عدي بن الساطع ، وبنو حواري ، وبنو جهير ، ينتسبون الى غَنْم بن السّاطع ، وجهير بن محمد

(١) انظر عنه في معجم ما استعجم للبكري ٢ : ٥٧٨ ، ومعجم البلدان لياقوت ٢ : ٤ ٠ ٢ .

التنوخي ولي معرة النعمان، وأكثر قضاة المعرة ، وفضلائها، وعلمائها، وشعرائها، وادبائها من بني سليمان بن داود بن المُطَهَّر ، وقد ظلت الفتيا فيهم ، نحو مائتي سنة. وذكر في ترجمة سالم بن عبد الجبار: انهم كانوا على مذهب ابي حنيفة.

هذا ماقاله ابن العديم ، وهو قول مجمل كما رأيته وسترى في رجال تنوخ الذين ذكرناهم في هذا الكتاب، تفصيل ذلك ، ويتبين لك ان فيهم امراء وولاة ، وقضاة ومفتين ، وعمداء وعلماء محققين ، وشعراء مفلقين ، ومن يُعَدُّ رجل الدهر ، او احد رجال الدهر ، ونحن على مثل اليقين ، ان ماعرفناه منهم قل من كثر وقطرة من بحر ، ولو اتيح لنا الاطلاع على كل نابغ من هذه القبيلة ، لرأينا ما لايصدقه العقل ، او يحصره النقل .

بنو جعباص

قوم كانوا يشتغلون بالفلاحة والزراعة ، ماتوا كلهم ، الا امرأة كان لها اجير يقال له : ناصيف، فوضع يده على عقارها ، ثم ماتت بكراً ، ولهم بيدر يقال له : بيدر الجعابصة ، وكانت الكفير ملكا لهم ، هكذا سمعت من بعض شيوخ المعرة .

بنو جلبات

اسرة تنتسب الى تنوخ ، ذكرنا بعض رجالها ، ولا يعرف لهم عقب الآن .

بنو الجندي

هي الاسرة التي انتسب اليها ، وهم ينتسبون الى العباس عم النبي (ص) ولهم اعقاب كثيرة ، في المعرة ، وحماة، وحمص ، وحلب ، ودمشق ، وعمّان،

والاستانة ، ومصر ، وغيرها ، وفيهم الفتيا على مذهب الامام ابي حنيفة ، منذ عهد بعيد ، الى هذا اليوم ، وقد ولي منهم جماعة كثيرون ، اعمالاً للحكومات في عصور مختلفة ، في الاستانة ، ومصر ، ودمشق ، وحمص ، وغيرها ، وقد ذكرنا طرفاً من ذلك .

بنو جهير

ينتسبون الى غَنْم بن السّاطِع التنوخي، ذكرنا بعض رجالها، ولا عقب لها الآن .

بنو الحراكي

ينتسبون الى علي بن ابي طالب ، ولهم اعقاب في المعرة ، وحمص ، وفيهم نقابة الاشراف ، منذ عهد بعيد ، الى هذا اليوم ، وسيأتي تفصيل ذلك ، فيمن ترجمناه من رجالهم .

بنو حواري

ينتسبون الى غنم بن الساطع التنوخي ، ولا اعلم عقبا لهم . وقد ذكرنا بعضا من رجالهم ، وكان في المعرة امرأة يقال لها بنت حواري ، ولكني لا اعلم هل تنسب الى هذه الاسرة ، ام الى غيرها، وهو الظاهر والاقرب الى الواقع.

بنو خُشّان

أسرة كبيرة ، يغلب على ابنائها الشجاعة ، وفيهم التاجر ، والزارع ، والشاطر ، والعالم ، والورع .

بنو الخطيب

اشتهر بالنسبة الى الخطيب جماعة ، منهم: اسماعيل ، ويحيى ، ولدا محمد

الخطيب ، واقف بستان الجنان ، في المعرة ،الشهير ببستان الخطيب ، وقد نسب اليه الوادي كله ، فقالوا : وادي الخطيب ، وهو من بني الجندي .

واشتهر بالنسبة اليه جماعة من اهل قرية كَفَرْ نَبَل ، من عمل المعرة ، وقد خرج من هذه الاسرة جماعة من العلماء والصلحاء .

بنو الحمرة

اسرة معروفة ، فيهم العالم ، والتاجر ، وقد نبغ منهم جماعة في الفقه ، منهم رفيقي في طلب العلم الشيخ قَدّور ، وهو امين الفتوى في هذا العهد .

بنو دَحْرُوج :

أسرة وجيهة ، فيهم الموظف ، والزارع ، والشجاع الباسل .

بنو الدويدة :

اسرة مشهورة ، ذكرنا جماعة من شعرائها ، ولا عقب لها الآن .

رجال الطائفة :

ليست الطائفة اسرة معينة ، وانما كانت مرتزقة وقف علي بن نجم الدين ابن العجيل ، تسمى رجال الطائفة ، ولا يزال بقية اعقابهم في المعرة ، وسيأتي ذكر جماعة منهم .

بنو زريق :

أسرة كبيرة ، ينسبون الى عدي ابن الساطع التنوخي ، ذكرنا طائفة من رجالها ، ولا اعرف لهم عقبا .

بنو السابق :

ينسبون الى تنوخ كما سيأتي ، ولا اعرف لهم اثراً في المعرة .

بنو سليمان :

ينسبون الى سليمان بن داود بن المُطَهَّر المنسوب الى أسعم بن الساطع التنوخي ، وهي اسرة ابي العلاء .

بنو الشلح :

أسرة كبيرة ، يشتغلون في التجارة وغيرها .

بنو الشَّحْنَة :

اسرة كريمة في المعرة ، خرج منها جماعة من العلماء المحققين ، وقد مر عليهم زمن كانت فيهم الفتيا في المعرة ، ثم اتَّكل المتأخرون منهم على احساب ابائهم ، فابتعدت جمهرتهم عن العلم ، وقل عددهم في المعرة .

وقد خرج رجل منهم يقال له : محمد بن صالح بن يوسف ، شمس الدين الحلبي ، بن برهان الدين ، وكان محمد هذا يقال له : قَرْمُوش ، تلفظ القاف بين الكاف والجيم ، فنسب اليه ابناؤه وحفدته .

وكانت لديهم مكتبة حافلة ، بكتب الفقه ، والنحو ، وغيرها ، وعليها كثير من التحقيق والتقرير ، والشرح ، لجماعة منهم ، وقد رأيت بعض هذه الكتب ، وتخرج جماعة منهم بالعلوم في الازهر ، في مصر ، ولبعضهم تآليف ، منها : حاشية على شرح ابن عقيل في النحو ، وحاشية على المنهاج لزكريا الانصاري ، وشرح شواهد القطر ، لرجل منهم يقال له: الشيخ اسماعيل ، وله شروح وتقارير ، على الجامع الكبير ، والصغير للسيوطي ، وكتاب في الفلك ، وشرح القطوف الدانية . ومنها : كتاب في المعاني ، والبيان ، والبديع ، لرجل منهم يقال له : الشيخ محمد . ومنها : رسالة في الصرف للشيخ محمد قرموش ،

موجود اولها . وكتاب في علم القرآن ، للشيخ سليمان الحافظ ، من اولاد شمس الدين ، وهو موجود عند اعقابه ، وكتاب في فقه الامام الشافعي ، لعائشة بنت احمد الشحنة ، وهو موجود ايضا .

ومما يؤسف ، ان هذه الاسرة على كثرة من نبغ فيها من العلماء ، رجالاً ونساءً ، لم اقف على ترجمة واحد منهم ، وقد كانت لديهم مكتبة عظيمة ، فعبثت بها ايدي الجهال ، وذهبت شذر مذر ، منها ما بيع بابخس ثمن ، ومنها ماضاع ، او ذهبت به العارية ، ففقد بسببه مالهذه الاسرة من مناقب محمودة ، وآثار جميلة ، كل ذلك لانقطاع الصلة مابين اعقابها ، وبين العلم ، وقد ادركت شيخا منهم يقال له : الشيخ عبده ، من القراء الناسكين ، كان يعلم الصبيان في مسجد الداودية ، وتخرج به بالقراآت عدد كبير ، وقرأت عليه مدة طويلة ، وكان يصوم الدهر ، وتوفي قبل سنة ١٣١٩ هـ .

بنو الصَّيَّادي:

ينسب الى احمد الصيّاد جماعة كثيرون ، منهم بنو الشيخ موسى ، وسيأتي ذكرهم ، ومنهم بنو الشيخ حسن وادي ، وهؤلاء لايسلم لهم بهذه النسبة غيرهم ، كما ترى في ترجمة ابي الهدى الصيادي .

بنو العجيل:

اسرة قديمة وجيهة ذكرنا منها علي بن نجم الدين بن ناصر ، ابن العجيل ، صاحب الوقف الذي تسمى مرتزقته برجال الطائفة ، وفي الجهة القبلية من المعرة مقبرة يقال لها : مقبرة بني العجيلي ، وهي غربي الطريق الآخذ الى حلب ، وحدثني بعض المعريّين انه رأى نحو اربعين قبرا ، منها قسم مدفون تحت الارض .

· بنو عربو

كان علي بن جانبولاذ أول من رأس عشيرة الأكراد ، الجانبولاذية في نواحي كِلِّز (١) ، ثم صارت الزعامة من بعده الى حسين باشا ، وهو اكبر أعقاب ابن جانبولاذ ، فولي امارة كلز ، ثم لما جعل سنان باشا قائداً عاماً لجهات الشرق ، عزل نصوح باشا عن حلب ، وولي مكانه حسين باشا ، فامتنع نصوح عن تسليم حلب اليه ، بحجة انه من رؤساء العشائر ، لا من امراء الدولة ، ثم ورد الامر اليه من الاستانة بتسليمها ، فسلمها اليه .

ثم لما قتل حسين باشا سنة ١٠١٤ هـ ، ثار ابن اخيه عليّ بن جانبولاذ ابن قاسم الكردي ، على الدولة ، وشق عصا الطاعة ، والتف حوله كثير من العربان ، والأكراد ، فولته الحكومة حلب ، فازداد عتواً ، ثم حارب الامير يوسف بن سيفا حاكم طرابلس ، فغلبه ، وصالحه ، على مال ، ثم صاهره ليكون ظهيرا له ، ثم حارب امراء الشام ، وحصرهم في القلعة ، وقتل كثيراً من عسكرهم ، ثم صالحهم على مال كثير ، بعد ان اخذ اموالهم ، ثم عاد الى حلب ، وقسم الاموال على عساكر المشاة والفرسان ، ومنع وصول الاموال الى الاستانة ، فارسلت الدولة العثمانية السردار مراد باشا ، لتأديبه ، فالتقى الفريقان في سهل الرُّوج ، (٢) بقرب المعرة ، وانكسر ابن جانبولاذ ، وفر الى كلز مسقط رأسه ، فتبعه مراد باشا ، واستصفى امواله ، فجاء الى حلب ، ثم فر منها ، فقبض

---

(١) كلز بكسر أوله وثانيه وآخره زاء وهي قرية من نواحي عزاز .
(معجم البلدان لياقوت ٤ : ٢٩٩)

(٢) في معجم البلدان ٢ : ٨٢٨ : الروج بالضم والجيم كورة من كور حلب المشهورة في غربيها بينها وبين المعرة .

اهلهـا على نحو الف رجل منهم ، فلما جاءها مراد باشا ، سلموهم اليه ، فقتلهم ، وقتل رجاله ، الذين كانوا محاصرين في القلعة بعد ان امنهم .

ثم فر ابن جانبولاذ الى الاستانة ، فالتجأ الى داود باشا احد الوزراء ، فسعى له عند السلطان ، فعفا عنه ، وارسله الى جهة طمشوار ، في حدود العجم ، فاقام نحو سنة ، ثم عاد الى شنشنته ، (١) من الظلم والتعدي ، فهم الناس بقتله ، ففر الى جهة بلغراد ، والتجأ الى علي باشا بن القاضي ، فحبسه في القلعة خوفا عليه من اهل طمشوار ، فلما عاد مراد باشا الى الاستانة ، اشار على علي باشا بقتله ، فقتله ، في سنة ١٠٢٠ هـ .

وقد ذكر المحبي (٢) : ان ابن جانبولاذ كان يعرف بابن عربو ، وكان امير لواء الاكراد بحلب ، ولي حكومة المعرة ، وكلس ، وعزاز ، وذكر (٣) ان عليا قتل نحو سنة ١٠٢٠ هـ ، وارسل رأسه الى السلطان ، وذكر مقتل علي ، وغيره ، بصورة مفصلة ، فليراجع .

وفي المعرة الآن قوم يعرفون بابن عربو ، يزعمون انهم ينسبون الى ابن جانبولاذ ، ولم ار ذلك لأحد من المتقدمين ، والناس امناء على انسابهم .

بنو العظم

اسرة معروفة في المعرة ، وقد خرج منها وزراء ، وشعراء ، وغيرهم ، وقد ذكرنا جملة منهم .

---

(١) الشنشنة : الخلق ، والطبيعة .

(٢) المحبي : خلاصة الاثر ٣ : ١٣٥ (ج)

(٣) المحبي : خلاصة الاثر ٣ : ١٤٠ (ج)

بنو علوان

اسرة معروفة في المعرة ، وقد كانت لهم وجاهة ، ولهم منزل (قناق) يختلف اليه الزائرون ، والضيوف .

وقد ولي منهم جماعـــة القضاء في المعرة ، كما نرى في حوادث سنة ١٢٦٧ هـ ، ولكن الايام جارت عليهم في عهدنا ، فاخملت ذكرهم .

بنو القاق :

بنو القاق اسرة وجيهة في المعرة ، ينتسبون الى رجل يقال له : محمـد القاق ، خلف ثلاثة اولاد : الاول أمين ، ولد له قاسم ، ومحمد الملقب بلحلح ، والثاني محمد ، وهذا ولد له احمد وعلي ، وولد له احمــــد ، محمد علي ، ومحمد ، ويوسف ، وهذا الأخير ولد له حمدو ، وعبد القادر ، او قدّور ، ويقال لهم : بنو الخمرة كما تقدم ، والثالث محمد الذكرة ، وهـذا ولد له ابراهيم ، ولكل من هذه الفروع اعقاب في المعرة ، منهم من ينسب الى لحلح ، ومنهم من ينسب الى ربيع بن قاسم ، ومنهم من ينسب الى يوسف ، وهكذا ، ولهم ذرية في غير المعرة ، وكلهم ينتهون الى محمـد القاق ، وهذا يرتقي بنسبه الى سيدنا الحسين بن علي ، ابن ابي طالب ، كما كتب الي بذلك احد الاعقاب المذكورين .

بنو المحلول :

اسرة مشهورة في المعرة الآن ، رجالهـا من شيوخ الطريقة الرفاعية ، يقيمون الاذكار في اوقات معينة ، وقد اطلعت على نسب لهذه الأسرة ، فرأيت فيه : ان محمد بن احمـد بن ابي بكر بن ابراهيم بن زين العابدين بن علي بن عبد الله الحراكي بن محمد بن علي بن الحسن بن ابي القاسم بن علي بن عبـد الله

ابن عمران بن موسى بن يحيى بن عبد الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق .

وابراهيم ، اول من لقب بالمحاول ، حسبما ظهر لي من كتابة ابي السعود على نسبهم ، وقد نسخت ذلك من نسخة كتب عليها محمد ابو الوفا البكري ، العثماني ، الحموي ، سنة ٩٥٦ هـ ، ورأيت لديهم فرماناً(١) من السلطان محمود ، مؤرخاً في اواسط ذي القعدة سنة ١٢٣١ هـ ، يقضي باعفاء السادة : احمد وسعيد ، وعبد القادر، ومصطفى ، وصادق ، والسيد ابراهيم ، من الرسوم الاميرية ، والتكاليف الشاقة ، وفيهم من عد في رجال الطائفة .

بنو مَطَر :

اسرة مشهورة في المعرة ، خرج منها جماعة من القراء والعلماء ، منهم : الشيخ حسن ، بن الشيخ احمد ، واخوه مصطفى ، وقد قرأت القرآن على الشيخ حسن ، وقد توفي نحو سنة ١٣٢٣ هـ .

بنو المعمار :

اسرة معروفة في المعرة ، نبغ من ابنائها جماعة من العلماء ، وفيهم من عد من رجال الطائفة ، ولهم اعقاب في المعرة الآن ، يعملون في التجارة والزراعة .

بنو المُنَجّا :

اسرة كريمة تنسب الى تنوخ ، واصلها من المعرة ، وقد سكنت دمشق ، ونبغ منها جماعة من العلماء ، وقد ذكرنا عدداً من رجالها ، ولا يعرف لهم عقب الآن ، ومنهم فاطمة بنت علي بن محمد بن احمد بن محمد بن عثمان بن اسعد بن المنجا ، شيخة ابن حجر العسقلاني .

---

(١) عهد السلطان الولاة

بنو المُنَجِّم:

اسرة قديمة ذكرنا طائفة من ابنائها ، ولا عقب لهم الآن .

بنو المِنْفاخ:

اسرة كريمة ذكرنا جماعة منهم ، ولا يعرف لهم عقب الآن .

بنو المُهَذَّب:

اسرة قديمة ينسبون الى عدي بن الساطع التنوخي ، وقد نبغ منهم منهم عدد كبير من المؤرخين والشعراء ، والعلماء ، والقضاة ، وذكرنا جمله منهم ، ولا يعرف لهم عقب الآن .

بنو الشيخ موسى:

اسرة مشهورة في المعرة ، من رجال الصلاح ، وشيوخ الطريقة الرفاعية .

وهم ينسبون الى الشيخ احمد الصياد ، ويقال لهم : بنو الشيخ موسى الصيادي ، وقد رأيت لديهم فرماناً سلطانيا ، مؤرخا في شعبان سنة ١٠٨١ هـ ، يتضمن استثناء قرية متكين المملوكة اقطاعا ، للسيد موسى بن احمد الصيادي ، بموجب فرمان آخر ، من رسوم الحزم والجناية ، ورسم الفرس ، والعيد ، والجارية ، والبشائر ، وغيرها ، ولهم عقب في المعرة ، يحترفون بالتجارة وغيرها .

بنو الوَرْدي:

اسرة قديمة في المعرة ، خرج منها علماء ، وشعراء ، وقضاة ، وقد ترجمنا طائفة منهم ، وهم ينسبون الى ابي بكر الصديق (ض) ، ولا يعرف لهم عقب الآن .

بنو السيد يوسف ، او بنو اليوسفي

اسرة مشهورة في المعرة ، ينسبون الى السيد يوسف ، وقد كان من سراتها ، واصحاب الثروة فيها ، وله دار عظيمة ، وصفناها فيما سبق ، وله اوقاف كثيرة في المعرة ، وحماة ، من دكاكين وطراحين ، وحمامات ، وغيرها .

وقد ولد له نحو اثني عشر ذكرا ، وست اناث ، وولد لابنه عبد الرحمن تسعة ذكور ، وانثى ، ونمت فروعه حتى بلغت سنة ١٣٣٥ ﻫ نحوا من اربعة وسبعين ذكرا ، وست وسبعين انثى ، وخرج من اعقابه المذكورين ، جماعة من الشعراء ، والادباء ، وآخرون تولوا مناصب مختلفة ، في الحكومة ، منهم : عمر بن عبد الرحمن ، كان متسلما في المعرة مدة طويلة ، ولا يزال اعقابه الى اليوم ، فيهم الشاعر ، والموظف ، والتاجر ، والزارع ، ونحو ذلك ، وهم ينسبون الى العباس بن عبد المطلب ، وستأتي ترجمته .

وقد رأيت لديهم صورة نسب قديمة ، مؤرخة في سنة ٦٢٤ ﻫ ، وصورة اخرى منقولة عنها ، سنة ٨٦٧ ﻫ وخلاصتها ان السيد محمد ، (احد اجداد السيد يوسف المذكور) ابن السيد محمد ، بن محمد ، بن عثمان ، بن نزار ، بن محمد ، بن مسلم ، بن قاسم ، بن علي ، بن نزار ، بن فرح ، بن حسن ، ابن موسى الهادي ، بن محمد المهدي ، بن محمد ، بن علي ، بن عبد الله ، بن العباس ، ابي الخلفاء .

وهذ الصورة موقعة من قضاة معرة النعمان ، وقد قوبل مافيها ، وصحح ، وحكم بثبوته ، السيد شمس الدين محمد ، بن حمزة ، بن عبد الله الجون المدني المالكي ، في ١٢ ذي القعدة سنة ٧٠٧ ، بشهادة عبد الوهاب ، بن محمد بن يعقوب المؤذن ، بالحرم النبوي الشريف .

وحكم بصحتة ، احمد بن مزاحم الحسيني الحاكم بيثرب ، بشهادة ابراهيم ابن عبد الرحمن ، بن صالح ، الساكن بدار الرصاص خادم الحرم ، وغالي الموساوي ، بدار الرصاص، وايضا ابو الفتح محمد ، بن محمد الانصاري ، امام الحرم النبوي ، الحاكم الشافعي ، وثبتت صحته عند ابي عبد الله ، محمد بن عبد الحسينى ، المعروف بابن بركة ، وكان ذلك في حضرة السيد الشريف ، السلطان السيد علي بن محمد بن حسن بن حماد ، سلطان مدينة يثرب ، وشهد بذلك عباس بن نبهان ، وابو الفتح السيد حسن بن محمد زين العابدين المدني الحسيني ، والسيد صالح بن علي الحسيني المدني ، وعبد القائم بن حسن بن محمود الحسيني ، الشهير بابن نميلة .

وثبت ذلك لدى ابي اليمن محمد بن نور الدين ابي الحسن علي النويري الشافعي القرشي ، الحاكم بمكة المشرفة .

وعند السيد محمد الحوك المالكي ، اقضى القضاة بيثرب ، في ١٣ ذي الحجة سنة ٧٠٧ هـ .

وفيها شهادات : السيد ابي القاسم احمد بن عبد الله الهاشمي ، الامام بمكة ، نعمان بن علي البكري بمكة ، جعفر بن حسن بن محمد الحسيني بمكة ، محمد بن زيد العلوي الحسيني بمكة ، علي بن عون بن محمد المالكي خادم الحرم الشريف المكي ، ابو الفرج بن وهبان المؤذن بمكة ، احمد بن اسمعيل بن محمد المؤذن بالحرم المكي ، عبد الله بن صالح بن الفضل العباسي المكي ، وانا انتمي الى هـذه الاسرة من جهة امي ، نظيرة بنت شريف بن محمد بن عبد الرحمـن ابن يوسف .

هذا ماوقفنا عليه ، وما تذكرناه من اسماء الأسر المشهورة في معرة النعمان ، التي استطعنا الوقوف على شيء من اخبارهم ، وآثارهم . وقد طوينا ذكر أسر لهم تتسن لنا معرفتهم في الماضي والحاضر .

وسنبدأ بترجمة الرجال الافراد الذين وفقنا الى معرفتهم ، وكلما عثرنا على واحد جديد اضفناه الى موضعه ، مرتبين ذلك على حروف المعجم ، ليكون الوقوف عليه اسهل ، فنقول :

ابراهيم بن اسمعيل بن ابراهيم بن ابي اليسر التنوخي :

قال في الدرر الكامنة(١) : سمع من السخاوي ، وابن ابي جعفر ، وغيرهما ، وحدث ، ومات في جمادى الاولى سنة ٧٠٢ هـ .

ابراهيم بن الحسن البليغ المعري :

ذكر ابن العديم ، فيمن قرأ على أبي العلاء المعري ، أبا العباس احمد ابن خلف ، الممتع ، وابن اخت الممتع ، ابراهيم بن الحسن البليغ ، وكلاهما من المعرة ، وفي اعلام النبلاء(٢) ، خرج الى بعادين ، والعافية (وهما من متنزه حلب) البليغ المعري المذكور ، في وقائع الفرنج في نصر بن صالح ، مع اقوام من اهل حلب ، فتعب فانشد :

يافُرْجَـةَ مامرَّ بي مِثْلُها ... عَدِمْتُ فِيها ٱلعِيشَةَ الرّاضِيهْ
زُرْتُ بعـادين ولكنّني ... عَدِمْتُ في ٱلعـافيةِ ٱلعَافِيَهْ

---

(١) ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة ١ : ١٨ (ج)
(٢) راغب الطباخ : إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٣ : ٢٤٥ (ج)

أبو اسحق ابراهيم بن شاكر ابي اليسر التنوخي ، المعروف بالبهاء ، وبهاء الدين :

ولد سنة خمس وستين وخمسمائة بدمشق ، ودرس الفقه على مذهب الشافعي ، وتولى الخطابة بالمصلّى ، وسيَّره الملكُ العادل ابو بكر بن أيوب ، رسولاً الى حلب والمَوْصِل ، وغيرهما .

وكان المترجم ، فاضلاً ، أديباً ، محدثاً ، كاتباً بليغاً . سمع من العلماء العظام ، كأبي اليُمْن الكِنْدي ، وأبي حفص بن طَبَرْزَد ، ومن أبيه شاكر ، وأسامة بن مُرْشد ، وغيرهم ، وروى بالاجازة عن شُهْدة ، وحدث بشيء يسير من مسموعه ، وكتب عنه . وولي قضاء المعرة في صباه خمس سنين ، فقال :

وَلِيتُ الحُكْمَ خَمْساً ، وهي خَمْسٌ ... لَعَمْري في الصِّبا والعُنْفُوانِ

فلَمْ تَضَعِ الأعادي قَدْرَ شاني ... ولا قالوا : فلانٌ قَدْ رَشاني

ونسب بعضهم هذين البيتين الى القاضي أبي يعلى عبد الباقي بن ابي حصين ، كما يأتي في ترجمته ، وتوفي في دمشق في منتصف المحرم من سنة ثلاثين وستمائة ، في يوم الاحد ، ودفن في يوم الاثنين ، في سفح جبل قاسيون .

وهو والد تقي الدين اسماعيل الآتي ذكره .

وتجد ترجمته في الانصاف والتحري ، ومرآة الجنان ٤ : ٦٩ ، وشذرات الذهب ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ، ج ٤ ص ٢٣٩ .

ابو السَّمْح ابراهيم بن عبد الرحمن بن جعفر بن عبد الرحمن التنوخي المعري

ذكر ابن عساكر في تاريخه ، انه كان فقيهاً حنفياً ، واجتاز بدمشق عندما توجه الى بيت المقدس .

وروى من طريقه عن عبد الله بن عمر مرفوعاً : ان الله يحب أبناء الثمانين ، وكان من الشعراء ، قال في خواجه بزرك :

أَجْرَيْتَ طِرْفَ المُلْكِ في سَنَنِ العُلا
مُتَصاعداً كالكوكب المتحادرِ
وَجَرَى وَرَاءَكَ مَعْشَرٌ فتعثّروا
دُونَ الغُبارِ فَلاَ لَعاً للعاثرِ

وقد توفي في شَيْزَر سنة ٥٠٣ ﻫ .

ابراهيم العظم

لم أقف على شيء من ترجمته ، غير اني رأيت قطعة في تاريخ أعيان حلب ، في القرن الثاني عشر ، ولم اعرف صاحبها ، ذكر فيها ترجمة اسمعيل باشا العظم بن ابراهيم المذكور وبعض بنيه ، ثم رأيت في اعلام النبلاء ، ج٦ص٤٨١ هذه الترجمة منقولة عن تاريخ ابن ميرو ، وهي مقاربة جداً للقطعة .

وفي كليهما ان ابراهيم هذا كان جندياً ، سكن في معرة النعمان ، وهو جد البيت الشهير بالعظم .

وقد جرى لأهل المعرة وقائع مع التركمان ، التي ترد الى جبلها شتاءً ،

فجرح ابراهيم في بعضها ، وحمل الى بلدته ، وتوفي من تلك الجراح ، ولم اعلم سنة مولده ، ولا وفاته .

وقد أعقب ، اسمعيل باشا ، وسليمان باشا ، وستأتي ترجمة كل منهما .

ابراهيم بن اسمعيل باشا العظم

ولي طرابلس قبـــل ان يمتحن والده ، وذهب معه الى خانيـة ، وولي بها بعض المحال ، وولي صيدا مراراً ، ثم عزل عنها ، وتوفي سنة ١١٥٩ هـ ، وهو برتبة روم أيلي ، في مدينة حماة .

الشيخ العابد ابراهيم بن عيسى بن عبد السلام

ذكر ابن الوردي(١) في تاريخه ان ابن شيخه هذا ، كان من عباد الأمة ، وكان يعرف الشاطبية والقراآت ، وله يد طولى في التفسير ، وزهادته مشهورة ، وكان يحترف بالنساجة ، ثم تركها ، واقبل على العبادة والصيام والقيام ، ونسخ كتب الرقائق وغيرها ، فأكثر ، ووقف كتبه على زوايا ، وأماكن ، وهو من اصحاب الشيخ القدوة مهنا الفوعي ، وكان داعيـاً الى السنة ، وتوفي في أوائل رجب سنة ٧٣٩ هـ .

أبو الفضل ابراهيم المعري :

نقل له في إعلام النبلاء ، أبياتاً من الشعر ، وهي على مافيها من التحريف ، تدل على اجادة في الشعر ، منها قوله من قصيدة يمدح شبل الدولة نصر بن صالح المقتول سنة ٤٢٩ هـ :

أُصُولُكَ في ٱلْعُلى تَحْكي ٱلْفروعَا   وَقَدْرُكَ لَمْ يَزَلْ قَدْراً رَفِيعا

(١) ابن الوردي : التاريخ ٢ : ٢٢٥

بَلَغْتَ مَدَى العُلى فِينَا فَطِيماً وأَحْرَزْتَ النّدى طِفْلا رَضِيعا

ومَنْ يكُ للمُلوكِ أَبوهُ شمساً يكنْ قمراً يُشاكِلُها طُلوعا

ومَنْ يرى[1] للورى جدواه غَيْثاً فَذَا يَكنِ الرَّبِيعُ به رَبِيعَا

ومنها :

وما حَلَبُ التي ٱفْتَخَرَتْ وعَزَّتْ بِهَيْبَتِهِ بَلِ الدُّنْيا جَميعَا

إذا رَكِبَ الأَمِيرُ أَبو عَلِيٍّ تَرَجَّلَتِ المُلوكُ لَهُ خُضُوعا

وقوله من قصيدة يمدحه بها أيضاً :

وأَنتَ مَنْ شَهِدتْ صِيدُ المُلوكِ لَهُ بأَنَّ رُتْبَتَهُ تَعْلو على الرُّتَبِ

يُعْطِي مِنَ ٱلعَيْنِ دُرّاً هَانَ قَدْرُهُما هَوَانَ غَانِيَةٍ تَخْتَالُ في الخَبَبِ

ولا يُبالي إذا صحَّ الثناءُ لَهُ أَن يغتدي جسم ما يَحْويه ذَا وَصَبِ

كَأَنَّما يَدهُ مِنْ جُودِها خُلِقَتْ[2] أَلاّ يكفَّ لهَا كفٌّ عَلَى نَشَبِ

أَخُو الحُرُوبِ الّتِي مَا انْثَنَى أَبَداً يَعُمُّ أَعْدَاءَهُ بالوَيْلِ والحَرَبِ[3]

---

(١) كذا في الاصل (ج) .

(٢) كذا في الاصل (ج) ولعلها حافت اي اقسمت والتصحيف قريب بين خلقت وحلفت .

(٣) راغب الطباخ : اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ١ : ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ١ : ٣٢٦ ، ٣٢٧ .

ابراهيم بن عبد الرحمن المعري :

قال فيه الباخرزي : هو في الفضلا ، من أوساط الجمهور ، والوسط خير الأمور ، ولو لم يكن باع الفضل للأوساط منبسطا ، لما قال الله تعالى. وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، وهو من مدّاح الصاحب ، قصده بهذه القصيدة :

قَدْ ظَهَرَ الحقُّ وبانَ الهُدى   لِمَنْ لهُ عينانِ أو قَلْبُ
مِثْلَ ظُهورِ الشَّمْسِ في حُجْبِها   إذْ رُفِعَتْ عن نورِها الحُجْبُ
بالمَلِكِ الأعْظَمِ مُسْتَبْشِرٌ   شَرْقُ بِلادِ اللهِ والغَرْبُ
أَقْطارُها تَرْتَجُّ مِنْ ذِكْرِهِ   وَجَيْشُه ضاقَ به الرَّحْبُ
فإنْ تَدُرْ للحرْبِ يوماً رَحىً   فَهْوَ لَها مِنْ دُونِهِم قُطْبُ

وخدم الحضرة النظامية ، متيمماً بشفتيه صعيد ترابها ، مستلذاً لما يقطفه من جنى جنابها :

قد مَرَّ نَقْدُ أَيادِيه بِكُلِّ يدٍ   ومَرَّ نَشْرُ مَعالِيه بِكُلِّ فَمِ

وله :

حَيِّ الدِّيارَ برامةِ الجَرْعاءِ   فَهناكَ أَهلُ مَوَدَّتي وصَفائي
أيَّامَ كُنتُ بها مقيماً ناعماً   أَختالُ بَيْنَ ضَراغِمٍ ، وظِباءِ
حورٌ نَواعِمُ ماوُسِمْنَ بِرِيبةٍ   مابينَ كاملةٍ إلى عذراءِ
يُخْجِلْنَ بَدْرَ التَّمِّ في غَلَسِ الدُّجى   ويَذُرْنَ نورَ الشَّمْسِ كالجوزاءِ
خُذْها إليكَ قصيدةً من ناظمٍ   زَهراءَ مِثْلَ الرَّوْضَةِ الزَّهْراءِ

" وسمع قول العميد القهستاني في الأتراك وهو :

لأجلِ التَّرْكِ ما يُدْعَوْن تُرْكاً ... فَهُمْ تُرْكٌ وواحــدُهُمْ تَروكُ
كَذاكَ الفِعْلُ واحـدُه فَعولٌ ... أليسَ الضِّحْكُ واحدُهُ ضَحوكُ

فأجابه بقوله :

ألاَ ياعائبَ الأتراكِ جَهْلاً ... فليسَ إلى مَعَـايبِهِمْ سُلوكُ
تَلوكُ القَوْلَ إفحاشاً وهُجْراً ... أتدري لاأبالَكَ ماتَلوكُ ؟
كَفى الأتراكَ أنَّ الناسَ طُرّاً ... رَعَايَاهُمْ ، وأنَّهُمُ المُلوكُ[1] !!

ابراهيم المعري :

ذكره في الضوء اللامع ، ج ٧ ص٢٧٣ ، في شيوخ الشمس ، محمد بن صلاح بن يوسف الحموي ، الشافعي ، الموقع .

ابراهيم بن علي بن ابراهيم الخطيب المعري :

قرأ على أبي العلاء ، وكتب معظم كتبه ..

أبو العلاء ابن أبي الندى المعري :

هكذا ورد ذكره مكنى ، ولم اعرف اسمه ، كان شاعراً ، فقيهاً ، ذكر له صاحب الحكماء ، من الشعر قوله :

لاَ غَرْوَ إنْ كانَ مَنْ دُوني يفوزُ بِكُمْ
وانْثَنَى غَمُّكُمْ بالوَيْلِ والحَرَبِ

(١) ولم أر له شيئاً في غير دمية القصر ص ٦٢ (ج)

يَدنو الأراكُ فَيُمْسِي وَهْوَ مُلْتَثِمٌ
ثغْرَ الفتَاةِ ، ويُلْقي العودَ باللَّهَبِ

وذكره ابن سعيـــد في كتابه عنوان المرقصات ، والمطربات ، في شعراء المائة السادسة ، وعد من المرقص ببنيه المتقدمين ، ولكن الثاني هكذا. « يدني الأراك فيضحي وهو يكرع في . .

وقد ذكره صلاح الدين الصفدي في الغيث المنسجم

ابو الهـدى الصيّادي

ولد في قرية خان شيخون ، من قرى المعرة سنة ١٢٦٦ ﻫ ، وقرأ القرآن على الشيـخ محمود بن طه المعري ، ثم تعلم الكتابة ، وحفظ شيئا مـن المتون ، واشتغل بتحصيل الفقه ، والحـديث ، والتفسير ، وكتب الأدب ، وآلاتها ، وكتب الحكمة النظرية ، وفن القيافـــة ، وفنونا كثيرة يطول شرحهــا ، ثم اكب على علم التصوف ، وحفظ من كلام القوم ، ومنظومهم مايربو على مئة الف بيت ، وأخذ الخلافة في الطريقة الرفاعية ، باجازة من والده حسن من الشيـخ علي خير الله ، في حلب ، ثم سلك هذه الطريقة على يـد محمد بهاء الدين الرّواس ، حين اجتمع به في بغداد سنة ١٢٨٣ ﻫ ، وبعد رجوعـه من العراق جعل نقيبا للاشراف في جسر الشغر ، وبعد قليل صار نقيبا للاشراف في حلب ، ثم في سنة ١٢٩٤ﻫ ، قربه السلطان عبد الحميد الثاني العثماني ، وانعم عليه برتبة قضاء العسكرين ، ولم يثن ذلك عزمـه عن التأليف والتصنيف ، فقـد ألف اكثر من ستين كتابا ، ورسالة ، ونظم اربعة دواوين من الشعر ، وخلف

اناسا كثيرين في الطريق من اقصى المغرب الى اقصى الهند ، وعمر مراقد كثيرة لأجداده ، وزوايا ومساجد ، وقد أفرده جماعة من خلفائه بالترجمة ، ورزق من الاولاد الذكور ، حسن خالد ، واحمد سراج الدين .

هذه خلاصة ترجمته التي ذكرها بنفسه ، في كتابه ذخيرة المعاد ، في ذكر السادة بني الصياد ، الذي اتم تأليفه سنة ١٣٠٦ هـ ، وطبع في مصر سنة ١٣٠٧ هـ .

والمعمرون من اهل المعرة وضاحيتها ، ينكرون نسبة هذا البيت الى الصياد ، أو الرفاعي ، ويزعمون انهم لم يعلموا من امرها شيئا قبل أن تسمو مكانة ابي الهدى ، وان أباه حسنا كان شيخا أميا فقيراً ، يطوف في المعرة وضواحيها ، فيقرأ على قطعة من السكر للوقاية من لسع العقرب والحية ، وكان يأخذ عن كل واحدة درهما أو نصف درهم ، وكان ينال من صدقات الاعراب وغيرهم ، وكان الناس يجودون عليه ، ويرقى المرضى ، والصرعى ، واولي العاهات ، وربما صحب ابنه ابا الهدى في بعض رحلاته وهو صغير ، فلما شب عني بتعلم ضرب المزهر ، فحذقه ، وكان حسن الصوت ، فجعل يختلف الى منازل الاشراف والكبراء ، من اهل المعرة ، وحماة ، وحلب ، ويتعرف اليهم .

ثم زاد على ذلك ، فكان اذا رأى رجلا اجتاز بقرية خان شيخون ، وعليه سيما الوجاهة ، أو أبهة الإمرة ، تلقاه ورحب به ، واستدعاه الى منزله ، واكرم وفادته ، ثم ذهب الى الجسر فاقام حينا من الدهر ، ثم تدرع حتى صار نقيبا للاشراف فيها ، ثم نقيبا للاشراف في حلب ، ثم اتصل بالسلطان عبد الحميد ، ونال منزلة عالية عنده ، ولقد رأيت فارس بن احمد القطيني ، وهو ممن ولد ونشأ في خان شيخون ، ثم سكن المعرة ، وقد لقيته فيها سنة ١٣٥٧ هـ ،

وكان عمره زهاء ثمانين سنة ، فسألته عن حقيقة امر ابي الهدى وقومه ، فقص علي خبره ، ثم تفرس في إنكار بعض مايقوله ، فقال لي : كأنك تشك فيما اقول ، أو تظن اني اتحامل على الرجل ؟ اعلم يا اخي انني اعلم انني بين الحياة ، والموت ، وانا الى الموت اقرب ، ومعاذ الله ان اختم حياتي بحديث مفترى على رجل قد مات ، فوثقت لقوله ، وكان خلاصة ماقاله لي :

ان علي بن خزام ، واخاه حسينا ، كانا من عرب الدبس ، من ألحاق بني خالد ، وكانا يرعيان غنما في خان شيخون .

وان حسن بن علي ، سمي وادياً لأنه ولد في واد ، يقال له: وادي الخنازير ، بين التمانعة والخان ، وكان راعيا ايضا في خان شيخون .

وان حسنا هذا تزوج امرأة ، يقال لها: صليح ، كانت زوجة لرجل يقال له : عليوي المَجُّو ، من عرب السماطية ، من الحاق الموالي ، وكان عليوي راعيا ، فولدت منه ابنة سماها خَلُّوَرة ، ثم ولدت ابا الهدى، فقرأ القرآن على الشيخ محمود بن طه المعري ، ثم لما شب وترعرع ، ربأ بابيه عن الترعية ، فاخذ له طريقا عن الشيخ رجب ، من قرية كفر سجنى ، فصار درويشا على اميته ، وكان يقرأ على قطع السكر للعقرب ، والحية ، كل واحدة بقرش ، وكان هو وابوه يطوفان في مضارب العربان ، يأخذان صدقاتهم ، ثم طمحت نفس أبي الهدى للظهور ، فاخذ يعد جمعية للافساد في داره، وكان احمد القطيني والد المحدث بهذا الحديث رئيسا للبلدية في حماة في ذلك العهد ، فكتب الى ولده الثاني عبد الرحمن أن يهدم دار ابي الهدى ، وهي قبة من لبن ، ويطرده من القرية ، ففعل ، وذهب هو ووالده الى جسر الشغر ، لانه كان قد تزوج امرأة

يقال لها : حليمة بنت محمد قبر ، من قرية كفردبين، من قرى الجسر ، فجمع هناك شيئا من الأغنام ، يعيش من البانها واصوافها .

ثم ذهب الى حلب ، واتصل بمفتيها الشيخ بهاء الدين ، وسأله ان يسعى له ليكون نقيبا للاشراف في الجسر ، ولم تكن هذه الوظيفة في ذلك العصر لان اهلها كانوا نصيرية ، فسعى له ، ووافقت الحكومة على ذلك لمصلحة سياسية ، ثم بعد ان ولي النقابة ، ذهب الى بغداد بعد أن أخذ نسبا من الشيخ محمد البغدادي ، وادعى انه من ذويه ، ثم ذهب الى الاستانة ، وبواسطة عبد المجيد الخرضجي ، اتصل بآصف باشا ، ومدحه بابيات ذكر منها قوله :

. . . . . مُقِرٌّ بالهُدى مُتْحِفْ
فبالإحسَانِ والحُسْنَى جَزَاكَ اللهُ ياآصفْ

ثم بسببه ولي نقيبا للاشراف في حلب ، فجاء اليها ، ولم يطل مكثه فيها وانما عاد الى الاستانة ، ثم بسبب الخرضجي اتصل ببهرام آغا مربي السلطان عبد الحميد ، وبسببه اتصل بالسلطان .

وذكر لي ان اباه حسنا ، تزوج امرأة يقال لها : شمس بنت بكور الحوري، من قرية معرزيتا ، وكان ساكنا في خان شيخون ، ناطوراً للكروم فيها ، وذلك في حياة صليح ام ابي الهدى ، فولدت له ولدين : عبد الرزاق ، ونور الدين،ثم تزوج خلُّودة بنت ابراهيم المعراتي،من اهل الخان،وكان حائكا، فولدت منه مصطفى ، وهذا منحته الدولة رتبة بالا ، وهي اعظم رتبة بعد الوزارة .

هذه خلاصة ماقاله هذا الرجل الذي ولد وعاش اكثر عمره في خان

شيخون ، وقضى بقيته في المعرة ، وحدثني عن وجود أبي الهدى في دمشق ، فضرب صفحا عنه ، ورأيت في مذكرات محمد كرد علي ج ١ ص ٢٤٢ ماخلاصته :

ان أباه كان مع تجار شاميين يقيمون في خان في استانبول ، وكانوا مؤتلفين يشتركون في النفقة والسمر ، وكان يغشاهم درويش شاب اسمر اللون، جهوري الصوت ، تبدو أمارات الذكاء عليه ، وله جدائل أي ضفائر شعر يرخيها على ظهره ، ويعتم بمئزر ، ويكتسي عباءة ، وقفطانا ، ويضرب بالدف، وينشد أشعاراً على طريقة القوم ، وما كان يشاركهم في النفقة ، وانما كانت مهمته أن يسليهم بأناشيده كل ليلة ، وهذا الفتى هو محمد بن حسن وادي المعروف بأبي الهدى الصيادي الرفاعي ، وليد قرية خان شيخون من عمل حلب .

وفي بعض الليالي ، بحث هؤلاء الجماعة فيمن هو أفضل من مشى على الأرض بعد رسول الله ﷺ وأخذ كل واحد يصرح بما يراه ، فقال ابو الهدى، ان نقطة واحدة أهريقت من دماء آل البيت أفضل من كل من مشى على الأرض بعد الرسول ﷺ فقال له بعضهم فأين اذاً يا جاهل ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وكبار الصحابة ، والأئمة ، ولطمه احدهم على وجهه ،وحاول ان يزيده صفعاً، فحيل بينهما ، فانقطع عن مجلسهم حينا من الزمن ، وعرضت لبعض الشاميين قضية اقتضت ان يكلم بشأنها ناظر الضبطية ، فانتدب الجماعة هذا المحدث بهذا الحديث ، فذهب الى الناظر واستأذن، فلما رفعت له ستارة البهو رأى ابا الهدى قاعدا في صدر المجلس ، والناظر جالس بين يديه جلسة الصغير مع الكبير ،قال: فتقدمت بأدب نحو ابي الهدى اسلم عليه أولاً ، وأظهرت اني أحاول تقبيل يده، فانتصب قائماً وعانقني بلهفة ، وسألني عن صحتي واعمالي ، والتفت الى الباشا ناظر

الضبطية ، فقال له : اني من أعيان دمشق وتجارها ، واني أديب فصيح ، وأثنى علي ثناء عظيما ، ثم تكلمت في المسألة التي جئت من أجلها ، فقضيت في الحال.

قال : وقد علمت ان السبب في تقدم ابي الهدى هذا التقدم السريع ، هو ان امرأة ناظر الضبطية هذا أصيبت بمرض أعيا الأطبة ، وكان يحبها حباً جماً ، فتوسل بكل ما يستطيع لمداواتها ، واشفائها عن يد الأطباء، فلم يفلح ، ثم وصف له ابو الهدى ، وما يطيب به من تمائم وحجب وعوذ ، وما يقرأ من أدعية وعزائم ، ورقى ، فاستدعاه ليطبب زوجته بما عنده ، فداواها ، فبرئت بعد ايام ، فعظم مقامه عند الناظر ، وشاع ذكره في دار الملك وغيرها .

ثم بعد ايام اصيبت احدى حظيات السلطان عبد الحميد الثاني ، بعارض يشبه ما أصاب امرأة الناظر ، فعرض الوزير على الملك ما كان من ابي الهدى في مداواة زوجه ، وحببه اليه ، فاستدعاه السلطان لمداواة حظيته ، فبرئت بعد ايام ، فكان ذلك فاتحة عهد لاتصال ابي الهدى بالسلطان .

وقد كان احد خلصائه الذين يأمنهم على سره ، ويفضي اليهم بشعوره ، وكان مستشاراً له في المعضلات والامور الجسام ، وكان لا يفارقه زمنا طويلا ، وكان نافذ الكلمة ، عند عبد الحميد ، فيشير عليه بنصب زيد ، وعزل عمرو ، فيفعل حتى الوزراء والصدور .

وقد كان السلطان يخشى على سلطانه في البلاد العربيـــة من الوهابيين ويحذر ان يتغلب عليه صاحب هذه الدعوة .

فاتخذ ، اي السلطان ، من ابي الهدى صارفاً يصرف الناس عن النظر الى هذا المذهب ، وشاغلا يشغلهم عنـه ، ففتح بابه لكل طالب ، وأصاخ بسمعه الى كل قاصد ، فكان الناس يؤمونه من كل حدب وصوب ، لقضاء حاجاتهم ،

وجر مغانهم ، ودفع مغارمهم ، وكان ابو الهدى يبذل ماله ، وقلما رجع احد من قاصديه بالخيبة ، وكان السلطان يساعد على تحقيق رغائبه .

ومن دهاء ابي الهدى انه بلغ مابلغ من علو المنزلة عند السلطان ، وكبراء الدولة ، وأصاب من الاموال ماأصاب ، ولكن ذلك كله لم يؤثر في خلقه ، ولا غير شيئاً من خطته .

وانما اتخذ في جانب داره التي كان يقابل بها الوزراء والكبراء زاوية ، كان يجتمع فيها جماعة من اهل الطريق يقيمون الذكر فيها في كل اسبوع مرتين ، وكان هو ينزل الى الزاوية ، فيشارك الذاكرين ، ويضرب بالمزهر ، وينشد ، كما كان يفعل ذلك قبل ان ينال هذه الحظوة .

ويقول قوم جالسوا الشيخ : انه كان يستهوي جليسه ، بلطف حديثه ، وسعة ادبه ، ودماثة خلقه ، وانه كان شديد العطف على العرب ؛ ويقال : انه كان يحفظ كثيراً من الشعر ، وينسب كثيراً من الشعر الى شيخه الرواس ، ويقول : ان هذا الشيخ بغدادي الاصل ، درس في الازهر ، وزار أباالهدى في خان شيخون ، فأعطاه الطريق ، ودفع اليه شعره ، ولقنه سره .

وان أبا الهدى بنى بعد ذلك على قبر الرواس زاوية ، في بغداد تكريماً له ، كما بنى امثالها في بلاد الشام ، على قبور جماعة من الرفاعيين ، اما الشيخ الرواس : فيقال انه اجتاز بالمعرة ، وصلى العصر في مسجدها الجامع ، الى جانب رجل استشعر قلبه انه من اهل الصلاح ، وبعد الصلاة اجتمع به ، واخذ عنه الطريق ، وهذا الرجل من ابناء عمنا في المعرة يقال له : الشيخ احمد الجندي ، وقد ذكره أبو الهدى في شيوخه ، وهذه القصة رأيتها في كتاب للرفاعية ، منذ

خمسين عاماً ، قريبة مما ذكرت وقد يجوز ان تكون فيها زيادة او نقص ، وأكثر الناس يزعمون ان الرواس شخص موهوم لا حقيقة له، اخترعه ابو الهدى واضاف اليه اقوالا واعمالا .

وقد كنت ممن يقول بهذا القول ، وبدأت في قصيدة فقلت في مطلعها :

أَرى الرَّواسَ كالعَنْقاءِ حالاً   فَكَذِّبْ مَنْ أَضافَ لهُ مَقالاً

ثم بدالي فامسكت عن هذا القول لجواز ان يكون رجلا حقيقياً .

وقد رأيت لبعض الكتاب في سيرة ابي الهدى : ان حياته مع السلطان عبد الحميد الثاني : كانت حياة مرشد ناصح ، ولم تكن صلته به صلة متجسس ، يحرق غيره ليستضيء بنوره ، او يستدفىء بناره .

وقد دلت على هذا تقاريره التي عثر عليها ، في جملة ماعثر عليه من اضبارات السلطان بعد خلعه .

وأكد العارفون انه ماخاطبه في مدة اتصاله به الا فيما يعود بالنفع على الدولة .

ويقال : ان كبير الاتحاديين، اي حزب الاتحاد والترقي، لما اطلع هو وجماعته على اوراق ابي الهدى ، اخذتهم دهشة ، مما فيها من الاخلاص والنصح ، فقال لجماعته اكتموا الأمر ولا تنشروها ، فانكم اذا فعلتم غير هذا اعليتم منزلة أبي الهدى في نفوس الناس ، وربما عاد القوم فقدسوه ، وتبركوا به .

ومن يستقري أحوال أبي الهدى ، يتبين له ان الرجل ما كان يقترب من سياسة السلطان ، وحكومته ، ولا يدخل فيما لا يعنيه ، وكان اكبر همه ، أن يكثر حوله الانصار ، والاشياع ، والمريدون ، والحلفاء ، وان يفيد كل

واحد منهم بما استطاع من مال أو وسام ، أو اعفاء من العسكرية ، أو تعمير مدفن او تكية ، او ماشاكل ذلك ، واقصى امانيه نشر دعوته ، وتغلب الطريقة الرفاعية واصحابها على غيرهم من اصحاب الطرق .

وكان ابن رقته ، لايحسب حساباً لغده ، ولذلك لما مات لم يخرج في تركته شيء يعتد به ، بالنسبة للمكانة التي كان احرزها في الدولة .

ويزعم فريق من الناس : ان زوجاته ، واهلهن جمعوا ما كان في داره من ذخائر ، واعلاق كريمة ، واخرجوها من بيته ، قبل موته بأيام ، واودعوها عند معارفهم ، فلما اخذه الاتحاديون ، وفعلوا به مافعلوا ، لم يكن في داره شيء يعتد به من النفائس ، والاشياء التي لها شأن .

واما منزلة ابي الهدى في العلم فان له رسائل نسبت اليه ، وهي تدل على انه شدا شيئا من العربية ، والفقه ، والتصوف ، وليس فيما رأيته من رسائله مايدل على تبحره في علم ديني او الدنيّ .

واما شعره فقد اطلعت على ديوان له ، وهو يشبه شعر العلماء ، والمتصوفة ، وكنت رأيت بخط يده قصيدة من نظمه ، مدح بها عم والدي امين الجندي ، مفتي المعرة والشام ، مطلعها :

وردُ المحبةِ راحَ يحمـــلُ ياسمين
وجبينها بقصيدتي كسى اللجين

وتنشر الطي الخفي مـــن الجوى
بنشور مدحي ذات صدر الكاملين

مصباح صبح سما للسيادة شمسها

عين العيون ومصدر المتصدرين

فلم اشأ أن اذكرها هنا لئلا يقال اني تعمدت ايرادها لأدل به على ان الرجل بعيد عن معرفة الشعر ، ولأنه يستعين بها على غربته ، ولعل شعره استقام بعد ذلك لكثرة الممارسة ، والحظ ينطق الابكم ، ويسمع الاصم . على اني ذكرت بعضا من هذه القصيدة في ترجمة امين الجندي .

وصفوة القول ان ابا الهدى كان اريباً محنكا ، وباقعة(١) بعيد النظر في الامور ، طامحاً الى ان يبقي ذكراً خالدا ، وحديثاً حسناً بعده .

فسلك الطريقة الرفاعية ، وفتح ابوابه لرجالها ، وللمنتسبين الى الرفاعي ، فتهافت الناس عليه تهافت الذباب على الشراب ، وانتحل هذه النسبة كثير من الادعياء ، لأنه كان يسعى لدى الحكومة لكل من قصد اليه ، فاما أن يجعل له راتبا واما ان يسعى له برتبة ، او وسام ، او وظيفة ، واما ان يقضي له حاجة عمه من اجلها ، فكان النـــاس يتوافدون الى منزله ، زرافات ووحداناً من عرب وغيرهم ، وقلما انقلب انسان عنه من غير ان يظفر ببغيته ، وربما اعطى اناسا من ماله ، واذا رأى شاعراً ، او كاتبا ، او عالماً ، بالغ في الحفاوة به ، وانجاز حاجته ، فجعل الشعراء يتسابقون في مدحه ، ويغالون في سرد مناقبه ، والكتّاب يضعون المقالات في الصحف ، او يؤلفون رسائل في فضائله ، وفضائل اهل بيته ، وربما وضع العلماء رسائل فنسبوها اليه ، ولقد استطاع بهذا الاسلوب المحبوب ان يملك القلوب ، والالسن ، والاقلام ، وان يفهم الناس عامة أنه

---

(١) في الصحاح للجوهري ١ : ٥٧٧ : الباقعة : الداهية .

صاحب الكلمة النافذة في الدولة ، واراد ان يفهم السلطان ورجال الدولة ، ان له مكانة في البلاد العربية ، لاسيما حلب ، وحماة ، والمعرة ، وانه قابض على ناصية الكبراء والاشراف فيها ، فاتخذ صنائع من طبقات مختلفة من ابنائها ، وتزوج طائفة من بنات الاعيان فيها ، مثل بنت نورس باشا الحراكي في المعرة ، وبنت عبد الحميد بك العظم من حماة ، وبنت مرتضى افندي الكيلاني ، وبنات بدرخان ، وبنت اشرف بك بن ويسي باشا ، وفي هؤلاء البنات من لم تكن هي واهلها راضين عن هذا الزواج ، ولكن حرص ابنائهن على المنفعة ، وخوفهم من فواتها ، ومن شر ابي الهدى ، حملهم على ان يقدموا بناتهم طائعين ، مع ما استطاعوا من مال ، ورياش .

فعظم في عيون رجال الدولة ، والناس معا ، وخشي بأسه الصغير ، والكبير ، واستطاع ان يبني من مال الدولة كثيراً من التكايا والزوايا ، والاضرحة في حماة ، والمعرة ، وغيرهما ، وان يخصص مرتبات لموظفين فيها ، مابين قيم ، وآذن ، وامام ، وغير ذلك ، كل هذا من مال الدولة .

وخلاصة القول : اننا اذا ارتبنا في صحة نسبه ، فلا يمكننا ان نرتاب في ذكائه ، وأدبه ، ودهائه ، وجوده ، واخلاصه لمليكه ، فقد استطاع ان يهيمن على السلطان ، واعيان دولته ، فكانوا جميعاً يأتمرون بأمره ، وينفذون رأيه ، وقد بلغني ان الصدر الاعظم خليل رفعة باشا ، كان يزور ابا الهدى في كل يوم في عهد صدارته في منزله ، فاذا دخل قبل يده ، وطلب دعاءه ، فيعطيه الشيخ ورقة فيها مطالب مختلفة ، اما استثناء رجل وأسرته من الخدمة العسكرية ، واما تولية رجل منصباً كبيراً ، او صغيرا ، واما إعطاء رجل راتبا ، او رتبة ،

او نحو ذلك ، فيقبلها ، ويقول : سمعاً وطاعة ، ثم ينصرف الى مقره ، فيأمر الوزراء بانفاذها كل بما يتعلق به .

ولم يدع احداً من ذوي قرباه، او خلصانه، او المتزلفين اليه، الا سعى له بواحدة ، او اكثر مما ذكر .

ولذلك كاد اكثر الناس يكونون رفاعيين في ظاهرهم ، والسنتهم ، وكانوا يقيمون الأذكار ، وينشدون فيها الاشعار التي قيلت في مدحه ، ومدح أبيه ، واجداده ، مثل قولهم في مدح أبيه :

الحَسَنُ الصَّيَّادي — نَسْلُ الرَسُولِ الهَادِي
سُلالة الرفاعي — وكوكب الأمجادِ

وكانت مجامع الاذكار ، يثنى فيها عليه ، وعلى آبائه اكثر مما يذكر الله فيها ، لأن له في كل بلد ارصاداً ، وعيوناً ، ودعاة ، وخلفاء ، وخلصاناً .

وقد اشتط اقرباؤه ، واصفياؤه على الناس ، وتجاوزوا على حقوقهم ، واشتد اذاهم عليهم ، فنقم الناس عليه ، وعليهم ، وحسده الاتراك على ما له من الحظوة ، ونفوذ الكلمة عند السلطان ، واضغن عليه من لم يلب طلبه ، او نكب بسببه .

فلما كانت سنة ١٣٢٦ﻫ ، سنة ١٩٠٨ م ، ثارت جمعية الاتحاد والترقي ، وتغلبت على السلطان عبدالحميد، وانتزعوا السلطة من يده ، وقبضوا على اتباعه ، واصفيائه ، ومزقوهم كل ممزق ، وكان ممن أصابه رشاش من أذاهم ابو الهدى ، فقد نهبوا داره ، وشتتوا انصاره ، واوسعوه اهانة وسباً ، وأذاقوه من النكال والبؤس في ساعة واحدة، أضعاف ما أصابه من السعادة والترف ، في جميع أيامه

الغابرة ، وقد مات من شدة الضرب ، ودفن في التكية ، التي ابتناها في بشكطاش في الاستانة ، وانطوى معه ذلك الحسب الذي كان هو أساسه ، وانطفأ النسب الذي كان هو نبراسه ، وكان الهبوط بقدر الصعود ، فسبحان من لا يزول ، ولا يحول .

وقد أخذ أهل ازواجه امواله ، منذ قبض عليه ، قبل أن يموت ، ولم يدافع أحد من اعوانه ، ولم يبكه أحد من مخلصانه ، بل كان كثير منهم في عداد الشامتين ، وقد كثر الشامتون بموته ، لحسدهم ، وحقدهم على ذوي قرباه وعليه من اجلهم ، لأنه كان ينصرهم ، ولو كانوا ظالمين .

وأنا اذكر حادثة مؤلمة ، وهي أن احد اقربائه ، قتل رجلاً عمداً ، على مشهد من اهل القرية ، فلما رؤيت القضية في المحكمة في المعرة ، ثبت القتل عمداً بشهادة الجم الغفير ، وأرادت المحكمة تبرئة القاتل ، بناء على اشارة وردت اليها ، وكان ابن عمي سعيد بن صالح الجندي عضواً في المحكمة ، فلم يوافق على التبرئة ، فهدد من قبل اشياع ابي الهدى واعوانه ، فلم يعبأ بذلك ، فوردت برقية من الاستانة بنقل الدعوى الى محكمة حلب ، وبعد أيام حكمت ببراءة القاتل ، وامثال هذه الحوادث كثيرة ، وكان كثير من المتغلبين ، ينهبون الناس ، ويحتمون به ، فيمنعهم ، على أن هذا وامثاله ، لا يبخسه حقه من الذكاء ، والدهاء كما قلنا .

وقد أعقب ولدا اسمه حسن خالد ، ولم يكن مثل ابيه في الذكاء ، والدهاء ، ولم ينل حظوة في الحكومة التركية ، وانما كان رئيسا للوزراء في شرقي الأردن ، وقد توفي نحو سنة ١٣٥٠ هـ .

واما اخوه عبد الرزاق ، فقد وجهت عليه الدولة رتبة قاضي عسكر ، وهي اكبر رتبة علمية ، وكان عامياً مبتذلا ، لم يسر سيرة يحمد عليها ، وانما كان لايتحاشى من مجالسة الرعاع ، في مجالس الشرب ، وغيرها .

وقد جعل في عهد الدولة السورية نقيباً للاشراف في حلب ، الى أن مات سنة ١٣٥٨ هـ ، وكان يحب ان يمدح ، ويعظم ، فكان في حياة اخيه ، يزور حمص ، وحماة ، والمعرة ، وحلب ، وكان الناس يتنافسون في اكرامه ، والاحتفاء به من اجل اخيه ، وكانوا يقيمون له الاذكار ، فيقف في رأس الحلقة يرشد الذاكرين ، ويطرب حين يسمع مدحه ، ومدح ابيه ، واخيه ، واجداده ، مع ذكر الله .

وصفوة القول : ان هـــذا البيت كان ابو الهدى أساسه ، ونبراسه ، فلما مات ، تقوض ، وانهار ، وبدل ضياؤه ظلاما حالكا ، وذهب كل مجد كان أسسه ، كما ذهبت دولة الطريقة الرفاعية ، التي كان اذكى مصباحها ، وفلق اصباحها ، وقد بنى لأبيه مقاماً ، في مدينة حلب ، ودفنه فيه سنة ١٣١٢ هـ وهو غربي قبلية مسجد الزاوية ، تحت القلعة قرب باب محلة الطون بغا .

والناس مختلفون في أبي الهدى ، فمنهم من يجعله علماً في العلم ، والتقى وحسن السيرة ، ومنهم من ينسب اليه أموراً يأباها العلم والتقى ، وأنا لااستطيع الجزم بأحـــد الأمرين ، لأني سمعت كلام محب له يتزيد في حديثه ، ومبغض لايتقيد بالحقيقة ، ولكني قلت ماسمعت ، ولا يعلم حقيقة ذلك الا الله تعالى .

وانما أطلت القول فيه ، لأن ظهور مثل هذا الرجل من مثل هذا البيت ، وهذه البيئة ، بمثل هذا المظهر العظـــيم ، جدير بأن لايحرم التاريخ شيئاً من خبره .

ولأني رأيت النـاس في أمره على طرفي نقيض ، وأظن انه لو وفق الى اختيار اتباعه ، وخلصانه ، من خيرة الناس ، لكان أمره الى غير ما كان ، ولاعترفوا بما كان له من جميل ومعروف بعد مماته ، ولكنه اتخذ اناساً كانوا يحبونه لأجل الفائدة التي يتوقعونها منه ، فلما يئسوا منها قلبوا له ظهر المجن ، فكانوا معه ما كان الدهر معه ، فلمـا صار الدهر عليه صاروا عليه مع الدهر ، وهذه عاقبة كل انسان يشتري لصداقته الخسيس من الناس ، بثمن بخس (١) .

أبو بكر ابن ابي بكر الحيشي ابن نصر بن عمر ، بن هلال ، بن معدي ، ابن زيد ، بن ابي يزيد ، بن عشائر .

ينتهي نسبه كما وجد بخطه الى زيد الخيل الصحابي الجليل الشيخ المحدث تقي الدين الحيشي الأصل ، الحلبي ، الشافعي ، البسطامي الخرقة .

قال ابن الحنبلي : ادركته وقد عمر ، وعلى رأسه تاج البسطامية ، وفي وجهه نور السادات الصوفية . نقل ذلك الغزي في الكواكب السائرة الا أنـه قال : الحبثي الأصل (والصواب الحيشي نسبة الى حيش قرية من قرى المعرة) .

---

(١) انظر عنه المصادر الاتية : جميل العظم : السر المصون ١١٢ ، مقدمة كتاب تنوير الابصار لأبي الهدى الصيادي ، الكتاني : فهرس الفهارس ١ : ١١٤ – ١١٥ ، الفاسي : رياض الجنة ٢ : ١٤٤ ، الزركلي : الاعلام ٦ : ٣٢٤ – ٣٢٥ ، جرجي زيـدان : تاريخ آداب اللغـة العربية ٤ : ٢٩٥ ، سركيس : معجم المطبوعات ٣٥٣ – ٣٥٦ ، محمد كرد علي : المذكرات ١ : ٢٤٢ – ٢٤٦ ، مجاهد : الاعلام الشرقيـة ٣ : ١١٧ – ١١٩ ، سامي الكيالي : الحركة الادبية في حلب ١١٣ – ١٣٤ ، ومجـلات المقتبس ١ : ٣٥٦ ، المنار ١ : ٥٩٨ – ٦٠١ ، ٣ : ٤٧١ – ٤٧٣ ، الهلال ١ : ٣٠٥ – ٣٠٩ ، الحديث ٢٤ : ٢٥ – ٣٦ ، والضاد ٢٣ : ٣٨١ – ٣٨٦

Brockelmann ; g 11 : 506 , s, 11 : 868 ,869

ثم قـــال في الكواكب[1] : وحدثني والدي بالحديث المسلسل بالاولية .

وذكره السخاوي[2] في الضوء اللامع : وقـــال : ولد في سنة ٨٤٨ ﻫ في مستهل جمادى الاولى بحلب ، ولازم والده في النسك ، وقرأ وسمع على ابي ذر ابن البرهان الحافظ ، وتدرب به في كثير من المهمات ، بل وتفقه به وبالشمس البابي ، إمام الجامع الكبير بحلب ، وبغيرهم . وأجـاز له ابن حجر ، والعَلَم البُلْقيني، وغيرهما، وزار بيت المقدس، وحج سنة ٨٨٦ ﻫ وجاور، ولازم الشمس السخاوي، وحمل عنه مؤلفاته، وتوفي في رجب سنة ٩٣٠ ﻫ .

ابو بكر بن عمر بن مظفر بن عثمان بن ابي الفوارس المعري ، ثم الحلبي ، شرف الدين ابن الشيخ زين الدين ، ابن الوردي :

قال القاضي علاء الدين في تاريخه : كان كثير الهجاء ، ويستحضر كثيراً من الحلبيين ، وماجرياتهم مع حسن المنـــادمة ، وطيب المحاضرة ، واطراح التكلف في المآكل ، والملبس ، وتفقه بأبيه ، وغيره ، وتعانى الأدب ، وباشر تدريس البهائية بدمشق ، وناب في الحكم ، ونظم ، ونثر ، ومات في ربيع الاول سنة ٧٨٧ ﻫ بحلب .

احمد بن ابراهيم بن اسمعيل بن ابراهيم بن ابي اليسر التنوخي :

سمع من الفخر علي ، وابن الزين ، وزينب بنت مكي[3] ، وغـيرهم ، وحدث ، ومات في جمادى الاولى سنة ٧٤٣ ﻫ كما قال في الدرر الكامنة .

---

(١) نجم الدين الغزي : الكواكب السائرة بمناقب اعيان المئة العاشرة ١ : ١٢٣

(٢) السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ١٢ : ٧٤

(٣) هي زينب بنت مكي بن علي الحراني : محدثة حدثت باجزاء من الحديث النبوي وقرىء عليها عدد منها، وأخذ عنها جماعة ، وتوفيت في ١٢ شوال سنة ٦٨٨ ﻫ (اعلام النساء الكحالة ١ : ٥٢٤ – ٥٢٦)

نجم الدين ابو العباس احمد ، بن ابي الفضل اسعد بن حلوان ، المعروف بابن العالمة :

سيأتي الكلام فيه في ترجمة أسعد بن حلوان المعري .

احمد بن حسن القطيني :

اصله من البييرة من عمل حارم ، انهزم ابوه عبد الله البابلسي ، والتجأ الى قرية الدانا ، ثم هاجر الى خان شيخون ، وصار ابنه احمد وجيها في القرية ، وكان دالي باش ، أي رئيس مائة خيال ، يحافظ طريق حماة حلب .

وقد ولد له عبد الرحمن ، وفارس ، وكانا من وجهاء الخان ، ثم هاجر فارس الى المعرة ، وأقام فيها الى ان مات سنة ١٣٥٨ هـ وله عقب فيها .

وأما عبد الرحمن فقد اجلته الحكومة الى قرية مورك ، وكفر زيتا بسعي ابي الهدى ، لأن احمد بن عبد الرحمن قتل رجلا من أهل الخان ، وبعد موت ابي الهدى ، عادوا الى الخان ، ولهم عقب فيه .

احمد بن الحسين بن المؤمل المعري :

روى عنه ابن عساكر في ترجمة مهنا .

أحمد بن أبي بكر بن محمود ، الأصيل العريق ، بدر الدين ابن قاضي القضاة ، تقي الدين الحموي ، ثم الحلبي ، الشافعي ، المشهور بابن المعري .

ناظر أوقاف الحرمين الشريفين بحلب ، كان ذا حشمة ، ورياسة ، وملبس نفيس ، وشكل بهي ، وذكاء عجيب ، واستحضار جيد لفوائد اصولية ، وفرعية ، غير انه انحاز الى القاضي علاء الدين الحنفي ، قاضي حماة الشهير بقرا قاضي ، وفتش معه اوقاف حلب ، واملاكها ، وداخله

في امور السلطنة ، لما صار كاتب الابل ، وناظر الأموال السلطانية ، وصارت له عنده الكلمة النافذة ، وهرع اليه الناس من اجل ذلك ، وقربت منيته ، فصلى معه الجمعة بحجارية جامع حلب ، فلما قتله اهلها قتلوه معه شهيدا ، في سنة ٩٣٣ هـ (١) .

ومن العجيب أن قصابا ، يسمى الملوخية ، شق بطنه ، وأخذ من شحمه شيئاً في يده ، والناس يرونه رأي عين ، ولم يمكن احدا من امساكه ، لتعزيره او اهلاكه ، ثم سحب الى تلة عيشة ، بالقرب من الضاحية ، ليحرق ، فتداركه اهله ، وسحبوه ، فخلصوه ، وغسلوه ، وكفنوه ، ودفنوه على عجل ، وهم على وجل ، بمقبرة اقربائه .

احمد بن ابي بكر الشيخ شهاب الدين ابو النجيب ، ابن الشيخ القدوة ، تقي الدين الحيشي ، الحلبي :

توفي سنة ٩٤٣ هـ قال ابن الحنبلي : وبموته انقرض الذكور من بيت الحبيشي بحلب ، هكذا اورده صاحب الكواكب السائرة (٢) ، ويرى بعض المعاصرين ان الصواب ، الحيشي ، نسبة الى حيش ، وهي قرية من قرى معرة النعمان الجنوبية ، كما تقدم .

أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي :

أفردت ترجمته بكتاب مستقل ، وهنا أذكر ما لابد من معرفته :
ولد في المعرة سنة ٣٦٣ هـ وجدر في السنة الرابعة من عمره فذهب

(١) راغب الطباخ : إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٥ : ٤٦٣ (ج)
(٢) نجم الدين الغزي . الكواكب السائرة في مناقب اعيان المئة العاشرة ٢ : ١٠٢ .

بصره ، وطلب العلم على أبيه ، وعلماء بلده ، ورحـل الى بغداد سنة ٣٩٩ هـ ، وبعد أن عاد الى المعرة لزم بيته ، ورغب عن أكل الحيوان ، وما تولد منه . وله تآليف كثيرة في الأدب ، والنحو ، والعروض ، والحديث .

وأشهر كتبه من المنظوم :لزوم مالايلزم،وسقط الزند،ومن المنثور: الفصول والغايات ، ورسالة الغفران ، وهذه التي وصلت الينا واطلعنا عليها ، أما مجموع كتبه فيناهز مائتي كتاب .

وزعم المؤرخون أنه رحل الى انطاكية ، واللاذقيـة ، وطرابلس ، ولكن لم نجد دليلا قاطعاً يؤيد شيئاً من هذه الرحـــل ، والثابت رحلته الى حلب ، وبغداد .

وزعم آخرون أنه قرأ العلم في حلب ، وبغداد ، وغيرهما ، ولم يثبت ذلك بدليل صحيح ، والثابت أنه قرأ على أبيه ، وعلى جماعـــة من علماء بلده .

وزعم اناس انه غير مؤمن والصقه كل فريق بدين او مذهب ، فقيـل : انــه ملحـــد ، أو زنديق ، أو كافر ، أو برهمي ، او منكر للحشر ، أو مستخف بالكتب ، والرسل ، أو شيعي أو درزي ، أو مزدكي ، او قائل بقدم العالم ، والنجوم ، وقيل : غير ذلك .

وكل هذه المزاعم قائمة على الشبه ، والظنون ، والحق أنه مسلم سني ، ولكنه كان حراً في تحقيقه العلمي ، لا يحب أن يقلد غير عقله .

أما ثقافته العلمية فلا نعلم شاعراً يساويه ، أو يقاربه ، في كثرة ما كان يعلم من الفنون ، الشرعية ، واللسانية ، والعقلية .

فقد قرأ القرآن بروايات كثيرة ، وكان عالما بالتفسير ، والحديث ، واللغة ،والنحو ، والصرف ، والفقه ،والفرائض،والمنطق ، والفلك ،والموسيقى ، وكثير من اقسام الفلسفة ، وغيرها . وكان في حفظ اللغة ، وغريبها آيـة عظمى ، وكان اقـدر الناس على التصرف بمفردات اللغة ، واستخدام الجناس ، والمطابقة ، والمقابلة ، وغيرها من صناعة البديـع .

وكتابه لزوم ما لا يلزم ، يدل على علم واســـع ، وعقل راجح ، وتفكير عميق ، ورأي حر ، وتحقيق في المسائل ، ودقة في الاحكام ، فوق مافيه من البراعة في الصناعة الشعرية .

وسقط الزند ، يدل على قدرة في سبك الجمل ، وتأليفها ، وبراعة في افراغ المعاني العظيمة ، في الالفاظ القليلة ، كما يدل على خيال واسع ،وقريحة مطاوعة ، وقدرة فائقة على الابتكار والاختراع ، ولو جاءنا شعره وافرا ، لرأينا اكثر مما رأينا .

وكتبه النثرية على قلة ما انتهى الينا منها ، تدل على مثل مايدل عليه شعره من غزارة العلم ، وسعة الخيال ، واحكام التأليف ، وكثرة مايحفظه من كلام المتقدمين ، وامثالهم ، وحكمهم ، وطرائف الاخبار ، فكل كتاب من كتبه خزانة جامعة لفنون شتى .

ولو اتيح لنا الاطلاع على كل ما كتبه لرأينا علما فوق مانظن ، وأدبا اوسع مما نتخيل ، وقدرة على التصرف في فنون القول اعظم مما نعتقد .

وحسبك دليلا على سعة اطلاعـــه في اللغة ، ان تلاميذه ، وضعوا له كلمات من عند انفسهم ، خلال كلمات عربية صحيحة ، وقرأوها عليه ،فكان اذا

مرت به كلمة منها استعادها ، وامرهم ان يتركوها ، حتى انتهوا ، ثم سألهم عنها ، فبينوا له انهم وضعوها ليختبروه .

وانه غيّر بيتي النمر بن تولب من قافيتهما الى جميع حروف الهجاء ، وأنه انتقد الشعراء الفحول ، والأئمة الاعلام ، في رسالة الغفران ، وانه ذكر في رسالة الملائكة ، ومقدمتها من المباحث اللغوية ، والصرفية ، مالا نجده في كتاب غيرها . واما معرفته بالتاريخ فانه تواضع في قوله :

مـا كانَ في هَذهِ الدُّنْيَا بَنُو زَمَنٍ
إلا وَعِنْديَ مِنْ أَخبـارِهِمْ طَرَفُ

لان الواقف على كتبه يعلم انه كان تاريخاً ، واسعاً ، ناطقاً ، وانه كان عنده من اخبار ابناء الازمنة ، اطراف واسعة لا طرف واحد .

ومثل هذا النابغة الفذ ، والعلامة المنقطع النظير ، في تعـــدد نواحيه العلمية ، وكثرة آثاره فيها ، لايمكن للانسان أن يستوعب اخبـاره ، ويستوفي القول في آثاره ، وما تركه من التراث العلمي ، والادبي ، في صفحات معدودة ، وكلمات محدودة .

ولذلك خصصنا كتاباً مستقلا (١) ، ذكرنا فيه جملة من اخباره ونشأته ، وتعلمه ، وتعليمه ، واستوفينا طرفاً من نوادره ، وذكائه ، وأتينا على شيء من حياته ، من مبدأ شبابه ، الى أن فارق الدنيا سنة ٤٤٩ هـ .

وبينا قيمة آثاره في الادب العربي ، ومواطن العبقرية ، في نظمه ونثره ،

---

(١) وقد نشره المجمع العلمي العربي بدمشق بتحقيق الاستاذ عبد الهادي هاشم بعنوان (الجامع في اخبار ابي العلاء وآثاره) وقد صدر منه جزآن .

واشرنا الى ماخطأ الناس فيه من جهة الطعن في دينه ، ومعتقده ، وربما جاوز هذا الكتاب الف صفحة ، وهو يحتاج الى مثل ذلك ، او اكثر(١).

ابو العلاء ، احمد بن ابي اليسر شاكر :

ولد سنة أربع او خمس وخمسين وخمسمائة ، وروى عن والده ابي اليسر ، وعن الحافظ أبي القاسم الدمشقي .

---

(١) انظر ترجمته في سير النبلاء للذهبي (مخطوط) ، الوافي بالوفيات للصفدي (مخطوط) ، وفي المطبوعات الآتية: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٤ : ٢٤٠ — ٢٤١ ، ياقوت : معجم الادباء ٣ : ١٠٧ — ٢١٨ ، ابن خلكان: وفيات الاعيان ١ : ٤١ — ٤٢ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٩ : ٢٢٢ ، ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٨٤ — ١٨٨ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٥ : ٦١ — ٦٢ ، القفطي : انباه الرواة ١ : ٤٦ — ٨٣ ، الانباري : نزهة الألبا ٤٢٦ — ٤٢٧ ، اليافعي : مرآة الجنان ٣ : ٦٦ — ٦٩ ، ابن الأثير : اللباب ١ : ١٨٤ ، الباخرزي : دمية القصر ٥٠ — ٥٢ ، ابن حجر : لسان الميزان ١ : ٢٠٣ — ٢٠٨ ، السيوطي : بغية الوعاة ١٣٦ — ١٣٧ ، مختصر دول الاسلام ١ : ٢٠٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٣ : ٢٨٠ — ٢٨٢ ، ابن شهبة : طبقات النحاة واللغويين ١٦٩ — ١٨١ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ٣ : ٣٠٤ ، احمد تيمور : ابو العلاء المعري ، عبد العزيز الراجكوتي : ابو العلاء وما اليه ، طه الراوي : ابو العلاء في بغداد ، أمين الخولي : رأي في ابي العلاء ، تعريف القدماء بأبي العلاء ، بين ابي العلاء المعري وداعي الدعاة الفاطمي ، حسين فتوح : عقيدة ابي العلاء ، اويديكي اسهاقيان : عروج ابي العلاء ، عبد الله العلايلي ، المعري ذلك المجهول ، المهرجان الالفي لأبي العلاء المعري ، عباس العقاد : رجعة ابي العلاء : احمد الطرابلسي : النقد واللغة في رسالة الغفران ، حامد عبد القادر : فلسفة ابي العلاء مستقاة من شعره ، عمر فروخ : حكيم المعرة ، يوحنا قاخوري : ابو العلاء المعري فيلسوف الشعراء ، كامل الكيلاني : على هامش رسالة الغفران ، طه حسين : تجديد ذكرى ابي العلاء ، يوسف داغر : ٣٥٠ مصدراً في دراسة ابي العلاء

Nicholson: Encyclopédie de l'Islam 1 : 77-79

واما المقالات التي نشرت عن ابي العلاء فكثيرة جداً انظرها في معجم المؤلفين لكحالة ١ : ٢٩١ — ٢٩٤ .

وكتب عنه ابن العـــديم صاحب تاريخ حلب، وتوفي في شهر ربيع الاول ، سنة ثمان وثلاثين وستمائة في المعرة .

ذكره ابن العديم في الانصاف، وذكره صاحب الدارس ج ١ ص ٢٠٠ ولقبه صفي الدين من النسخة المخطوطة .

أحمد ، بن حماد ، بن سعيد :

وهو الذي روى ملتقى السبيل عن ابي العلاء، وفي نسخة الاسكوريال احمد بن كمال .

ابو العباس ، احمد بن خلف الممتع :

ذكره ابن العديم فيمن قرأ على ابي العلاء ، وقد تقدم انه خال ابراهيم ابن الحسن البليغ ، وهما من المعرة ، وقد ذكره ابو العـــلاء(١) ، فقال : « وسيدي الشيخ ابو العباس الممتع ، في السن ولد ، وفي المودة أخ، وفي فضله جد ، أو أب، وانه في ادبه، لكما قال تعالى: وما لأحد عنده من نعمة تجزى » .

أحمد عز الدين الصيّاد :

ولد رحمه الله في أم عبيدة سنة ٥٧٤ هـ ، وسلك على يد أخيه أبي الحسن عبد المحسن، وتفقه ، وتلقى علم التفسير ، والحـــديث ، من الشيخ عبد المنعم الواسطي ، وكان من أهل النسك ، والصلاح ، كثير الخشوع ، قليل الكلام، قيل: انه لم يرفع طرفه الى السماء قط ، حياءً من الله تعالى .

خرج من العراق سنة ٦٢٢ هـ الى الحجاز ، وبنى في المـــدينة المنورة رباطاً ، بالقرب من سقيفة الرصاص ، وهو الرباط المعروف برباط الرفاعي .

(١) ابو العلاء المعري : رسالة الغفران ص ١٧٤ (ج)

وأخذ عنه الطريق ابن نميلة الحسني ، حاكم المدينة ، وعبــد الكريم الرافعي القزويني ، وعلم الدين السخاوي ، وتاج الدين الاربيدي ، وغـيرهم . ودخــل مصر سنة ثمانية وثلاثين وستمائة ، وأقام في المسجد الحسيني ، وحضر مجلسه ، وحلقة ذكره ، جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب ، وبنى رباطاً في مصر ، وهو الرباط الذي دفن فيه ولده علي ابو الشباك ، في سوق السلاح في محلة السباع.

ثم رحل في سنة ثلاث و أربعين وستمائة ، الى بلاد الشام ، ونزل متكين ، وهي قرية من أعمال معرة النعمان ، وتزوج بها بأم الخير ، خضراء بنت الشيخ علوان ، فأعقب منها صدر الدين علياً ، وشمس الدين محمداً ، وعبد المحسن ، وموسى الكبير ، وأحمد ابا بكر .

وأعقب من زوجته ابنة عمه رقية عبد الرحيم ، ومن زوجته بدرية خاتون حفيدة الملك الأفضل ملك مصر ، السيد عليا أبا الشباك فجملة بنيه ستة ، وتوفي سنة ٦٧٠ هـ ، ودفن في رباطه في متكين ، وقبره يزار ، والناس يعتقدون فيه اعتقادا كبيراً ويروون له الكرامات ، وينشدون ابيـاتاً في مدحه مع ذكر الله ، منها ماهو عامي أو قريب من العامية كقولهم في حلقات الذكر :

صياد يا صياد يا صيادي يابو علي يا صاحب الامداد

أما نسبه من جهة أبيه ، فهو أحمد بن عبد الرحيم بن سيف الدين عثمان ابن حسن بن محمد عسلة بن علي الحازم بن أحمد المرتضى بن علي المغربي الاشبيلي ، ابن رفاعة الحسن المكي بن مهدي بن محمد بن الحسن بن القاسم بن الحسين الرضي ابن احمد بن موسى الثاني بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

واما نسبه من جهة امــه ، فهو ابن زينب بنت الشيخ احمد الرفاعي الكبير بن علي بن يحيى نقيب البصرة بن ثابت بن علي الحازم السابق ذكره هذا ماذكره أصحاب الطريق ، والنسب .

وفيه أنه ولد له بعـــد نزوله في متكين ، ولدين كل منهما اسمه علي ، وقـــد نقلته عن كتاب ذخيرة المعـاد ، والروض البسام ، لأبي الهدى وغيرهما .

وأما متكين في عهدنا هذا ، فهي قاع صفصف ، ليس فيها من العمران الا الرباط ، ولولا اعتقاد أهل البادية ، والقرى ، بالشيخ الصياد ، لدكوا معالمه ، وطمسوا آثاره ، وهو في موقـع فسيح الأرجاء ، يشتمل على ايوان يفصل بين غرفتين ، في احداهما مرقد الشيخ .

الى جانب الاولى ، حجرة صغيرة ، وبالقرب منه مصنع يجتمع فيه الماء ، من المطر ، وقد دفن عبد الرحمن بن خزام بن عبد الكريم بن محمد بن علي بن أحمـد الصياد في قبة مخصوصة به ، خلف قبة جده من الشمال ، حين هاجر الى الشام سنة ٨٣٩ هـ .

واصحاب الطريقة الرفاعية من أهـل المعرة ، يخرجون في الغالب ، في زمن الربيع من كل عام ، الى زيارة الصياد ، بعد أن يعدوا العدد والأهب ، ويذيعوا ذلك ، ثم يعينون يوما ، فيخرجون من الربط ، والزوايا ، وهم يضربون بالمزاهر ، والطبول ، والصفاقتين ، وينشرون الاعلام المنسوبة الى الأولياء ، والصالحين ، كعلم الرفاعي ، والجيلاني ، والصيّاد ، وغيرها ، فاذا بلغوا ربض المـدينة ، أمسكوا عـــن الضرب ، ولفوا الأعلام ، وساروا مشاة وركباناً ، حتى اذا

قاربوا قرية من القرى التي في الطريق ، أو على مقربة منه ، خرج شيوخ تلك القريـة ، ومن كان قريبا منها ، لاستقبالهم ، بالضرب بالمزاهر ، والطبول ، والصفاقات، ونشروا الأعلام ، وقابلهم شيوخ المعرة ، حتى اذا اقترب الفريقان حيا بعضهم بعضا ، ثم استداروا حلقة واحدة ، وتباروا في ضرب المزاهر ، والسلاح المعروف عندهم ، حتى تكل عزائمهم ، ثم يسيرون معا ، أو يودعهم شيوخ القرية ، فاذا مروا بقرية اخرى ، كان مثل ما كان في الأولى .

فاذا بلغوا رباط الصياد ، واستراحوا قليلًا ، توافـدت مشايخ القرى القريبة ، من الرباط ،وهم يضربون بالمزاهر ، وغيرها . فيخف لاستقبالهم شيوخ المعرة على نحو ربـع ساعة ، ثم يعودون جميعاً الى الرباط وهكذا . ثم يذبحون النذر ، والقرابين التي يجلبها أهل المعرة ، وغيرهم . ثم بعد ان يطعموا العَشاء، ويصلوا العشاء ، يتحلقون حلقة واحدة في الإيوان فيجلس الشيوخ المسمون بالخلفاء في الصدر ، وأمامهم الضاربون بالدفوف ،وغيرها. ثم يتسابقون في ذلك حتى تكاد المسامع تستك ، ثم يشرعون في ذكر الله على الأصول والنغمات المعروفة عندهم ،وهم جالسون ،ثم يقومون ، ويأخذهم الوجد،ويريد كل شيخ أن يظهر مريديه من البراعة في ضرب السلاح ، مالا يستطيع غيرهم ان يظهره ، ويشتد الضرب وترتفع الأصوات ، وتزبد الأشداق ، وتسمع من أصوات الذاكرين ، مـالا يتفق مع أدب من يذكر الله ، والله جليس الذاكر ، أما السلاح الذي يتداوله أصحاب الطريقة الرفاعية ،ومنهم هؤلاء الزوار فله أسماء عندهم ، منها: السيف وهو معروف ، ومنها: الشيش ، وهو قضيب من حديد ، محدد الرأس ، في أسفله كالدائرة ، وقد يكون غلظه إصبعاً فأقل منها ، وطوله قامة انسان ، وقد يزيد وينقص ، وهذا يدخلونه في البطون ، والصغير منه يدخلونه في البطون ، والخدود والأثداء ونحوها .

ومنها الرَّحمانيّة ، وهي أطول من الشيش ، وأغلظ ، ومنها الدَّبُّوس وهو أقصر من الرحمانية ، والغالب ان طوله لا يتجاوز ذراعاً ، وله في رأسه كرة كبيرة من خشب بقدر جمجمة الانسان ، فيها حبال من زرد من حديد ، ورأسه الثاني دقيق ، فاذا أراد الضرب ، فتله بين يديه حتى ينتشر الزرد الذي في رأسه ، ويصير كأنه دائرة من زرد ، ثم يرسله الى جهة السماء ، ثم يتلقاه بعينه ، أو رأسه ، أو فمه ، أو نحوه .

منها اللشت ، وهو قضيب من حديد ، شبه الصفيحة ، يحمى في النار حتى يصير لونه كلونها ، ثم يطفئه الشيخ ، أو المريد بلسانه .

وقد شهدتُ هذه الزيارة نحو سنة ١٣١٧ هـ فصحبت الشيوخ من المعرة ، الى المعرة ، ورأيت من أعمالهم ما يضحك ، ويبكي ، فمن رجل يلحس النار او الحديد المحمى بلسانه ، حتى تطفأ ، وآخر يجأ بطنه ، او شندوته بشيش ، وثالث يتلقى الدبوس بعينه ، او دماغه ، ورابع وخامس ...

والعادة عندهم ان المريد ، او التلميذ اذا أراد أن يضرب بالسلاح ، قدمه أولاً الى شيخه ، فيرصده له ، ثم يطوف به على الشيوخ واحداً بعد واحد فيرصدونه ، والرصد هو أن يمر السلاح بين شفتيه ، ويبله بريقه ، فمتى فعل ذلك بطل تأثير السلاح في اعتقادهم ، بمعنى انه اذا دخل في الجسم وخرج ، لا يسيل الدم منه ، ولقد رأيت في هذه الزيارة رجلاً مسناً لم يبلغ درجة عالية في الطريقة ، أي لم يبلغ ان يكون خليفة ، فكان يعلي الدبوس الى سقف الإيوان ، ويتلقاه مرة بعينه ، واخرى بفمه ، وثالثة برأسه ، وكان يضرب غيره من المريدين في بطونهم ضرباً يراه الرائي شديداً ، فلا يخرج منه دم ، فاذا ضرب المريد نفسه ، ونزع السلاح من صدره ، او بطنه ، ثار الدم ، أو سال .

فلما انفض الجمع سألته عن ذلك،فقال : ان هذا الدبوس الذي تراه بعد فتله يرتفع الى السقف ،ثم يعود ساقطاً مع ثقله بما اتصل به من الزرد ، لو نزل على صخرة لفلقها ، فما بالك بالعين او غيرها ، ولكني أتلقاه بيدي،وأقبض عليه قبل أن يمس العين ، او البطن ، فلا يصيبهما . وكذلك اذا ضـــربت بالشيش أقبض عليه من عند رأسه،وأوهم أني ضربت به ، ولكنه لا يمس الجلد،وانما تمسه يدي ، وهذا أمر يحصل من كثرة المعالجـــة ، والممارسة ، فاطمأنت نفسي إذ علمت الحقيقة . ورأيت رجـلا ضرب بطنه ، فسال الدم منـه ، فقـــام هذا الرجل وبلّ يده بريقه ، ثم وضعها قليلاً على مسيل الدم ، ثم رفعها ، فانقطع الدم ، وكثير من يقتل نفسه بهذا السلاح ، او يقتله غيره .

وكان أحمد الصياد شاعراً ، يذكرون أنَ من شعره قصيدة أنفذها الى أمير كَفَرْطاب ، حين اكثر التعدي على اشياعه وأتباعه ، وهي :

أَتجْهَلُ أَنـّ المَجْـــدَ نحنُ مَنارُهُ
وعُصْبَتُـه العُظْمى العَزيزُ قَديمُهـــا

ومـا مرَّ في دَوْرِ الـبَرِيّة أُمّـــةٌ
عَلى الحـقّ إلا كَانـَ مِنّا عَظيمُهـا

بِنـا طَيْبَةٌ نالَتْ فَخـــاراً ومَكّـةٌ
وَعـزّ مَقـاما حِجْرُهـــا وحَطِيمُهـا

وكَمْ فئةٍ حازتْ بِنا نِعْمَةَ الهُدى
وعُوفِيَ مِنْ زَيغِ الشكوكِ سَقيمُها

طَوائفُ سَادَاتِ الرِّجالِ وإن علتْ
فمنّا شَريفُ النَّبعَتَينِ كَريمُها

وهي طويلة ، اجتزأنا منها بهذا القدر ، ويزعمون أنها وصلت للأمير وتلاها ، فلما بات ليلته في داره ، وقعت عليه وعلى أهله ،فلم ينج منهم أحد ، فسبحان العالم بالحقيقة .

ابو اليقظان أحمد بن علي ، بن احمد التنوخي ، المعري

أديب ، كان شاعرا محسنا ، وقد عمر سبعا وتسعين سنة ، وانتقل بأولاده الى حلب ، حين هجم الفرنج على المعرة ، سنة ست وتسعين ؟ سمع من ابي العلاء المعري ثلاث قصائد ، رواها عنه حفيده محمد بن مؤيد بن احمد ، وتوفي سنة بضع وثلاثين ، وقد ذكره الذهبي فيمن توفي في عشر الاربعين وخمسمائة ، ونقل ذلك عنه في اعلام النبلاء (١) وقد تقدم أن الفرنج استولوا على المعرة سنة ٤٩٢ هـ فلعل هنا تحريفا والاصل بعد ان هجم او سنة اثنين وتسعين .

وقد نقل ابن العديم عنه : ان ابا العلاء لزم منزله ، عند منصرفه من بغداد سنة ٤٠٠ هـ وسمى نفسه رهن المحبسين لزومه منزله وذهاب عينيه .

(١) راغب الطباخ : اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٣ : ٢٢٨ (ج)

ابو نصر أحمد بن علي بن الحسن بن ابي الفضل الكَفَرْطابي ، المعري :

كان عالما فاضلا ، راسخاً في علم الحديث ، روى عن جماعة من الافاضل ، ذكر ياقوت في المعجم (١) منهم ابا بكر بن عبد الله ، بن محمد الجاني ، وعبد الوهاب الكلابي ، وروى عنه علي بن طاهر النحوي ، ونجاء العطار ، وعبد المنعم ابن علي بن احمد الوراق ، وابو القاسم المسيّب .

وذكر ابن عساكر : انه روى من طريقه عن أنس بن مالك انه قال : قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ليجيئن الفقير متعلقاً بجاره الغني ، يقول : يارب سل هذا لم أغلق بابه دوني ، ومنعني فضله .

وروى أيضا بالسند الى حُذَيْفَة حديث (لا يدخل الجنة قتات) .

وتوفي في جمادى الآخرة سنة ٤٥١ هـ .

أبو الفضل أحمد بن علي ، بن عبد اللطيف المعري ، المعروف بابن زُرَيْق :

ذكر ابن العديم في الانصاف ، انه قرأ على ابي العلاء ، وروى عنه سبعة اجزاء ، خرجها من حديث أخيه أبي الهيثم . وأنه قرأ من خطه مولد ابي العلاء سنة ٣٦٣ هـ ، وذكره ابن عساكر في ترجمة مالك بن عمارة (٢) .

ابو الحسن أحمد ، بن محمد ، بن الدويدة ، المعري (٣) :

لم أقف على ترجمة واسعة تحيط بأشعاره واخباره ، ولكن ماعثرت

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ٤ : ٢٩٠

(٢) ابن عساكر : تاريخ دمشق ج ١٦ (مخطوط)

(٣) هكذا ورد في وفيات الاعيان ، ومعاهد التنصيص ، وفي الفوات : ابن الزويدة وفي نهر الذهب ابن الزبيدة ، وفي ابن عساكر : ابن الدويره ، وكذا في غرر الخصائص الواضحة فآثرنا الدويدة لانها رواية الكثيرين كياقوت وابن عساكر في موضع آخر (ج)

عليه من ذلك ، يدل على انه شاعر فحل ، حاضر البديهة ، كثير الفكاهة، محب للدعابة ،فيه سلاطة ، ذكر في فوات الوفيات ، ان رجلا من المعرة يلقب بالزقوم ، كان رذلا وفيه رجلة ، فقدم الى حلب ، فطلب خبز جندي ،فأعطي ذلك ، وجعل من اجناد المعرة ، فلما وصـــل اليها نظم ابن الدويدة هذه الابيات :

أَهْلُ المَعَرَّةِ تَحْتَ أَقْبَحِ خُطَّةٍ وبِهِمْ أَنَاخَ الخَطْبُ وهْوَ جَسِيمُ
لَمْ يَكْفِهِ تأميرُه ابنَ حَصِينَةٍ حَتّى تجنَّد بَعْـــدَهُ الزَّقوم
ياقومُ قد سَئِمتْ لذاكَ نفوسُنا يافومُ أَينَ التُّرْكُ ؟ أَينَ الرّومُ ؟

فاشتهرت الأبيات في المعرة وحلب ، وسمعها الأمير ابو الفتح بن أبي حَصينة ، فأتى باب ابن الدويدة ، واستفتحه ، ففتح ، وقال له : الآن والله عندي الزقوم ،وقال لي : والله مابي من الهجو مابي ،من كونك قرنتني بابن أبي حصينة ، فقال له الأمير ابو الفتح قبحك الله ! وهذا هجو ثان ! .

وفي وفيات الأعيان ، في ترجمة ابن حَيُّوس : أن جماعة من الشعراء اجتمعوا على باب الأمير نصر بن محمود ، بن شبل الدولة نصر بن صالح بن مَرْداس ، وامتدحوه ، وتأخرت صلته عنهم ، ثم نزل الأمير نصر بعد ذلك الى دار بولص النصراني ، وكان من عادة الأمير أن يغشى منزله ، ويعقد مجلس الأنس عنده ، فجاءت الشعراء الذين تأخرت جوائزهم الى باب بولص ، وفيهم الشاعر ابوالحسن احمد بن محمد بن الدويدة المعري ، فكتبوا ورقة فيها ابيات اتفقوا على نظمها ، وقيل : نظمها ابن الدويدة ، والأبيات المذكورة هي :

عَلَى بابِكَ المحْروسِ منّا عِصابةٌ ... مَفاليسُ فانظُرْ في أُمورِ المفاليسِ
وقدقَنِعَتْ منكَ الجماعةُ كلُّها ... بِعُشْرِ الذي أَعْطَيْتَ لابن حَيُّوس[1]
وما بَيْنَنَا هَذَا التَّفـاوتُ كلُّه ... ولكنْ سَعيدٌ لا يُقاسُ بِمَنْحوسِ

فلما وقف عليها الأمير نصر أطلق لهم مائة دينار، وقال : والله لو قالوا بمثل الذي أعطيت لابن حيوس لأعطيتهم مثله، وذكر العماد الكاتب في الخريدة أن هذه الأبيات من نظم أبي سالم عبد الله بن الحسن بن احمد بن محمد بن الدويدة وكان يعرف بالواقي .

وفي ابن عساكر[2] أن الحـاكم محمد بن النعمان ، ارسل أبا محمد الحسن بن العباس الحسيني ، قاضي دمشق ، رسولا الى أمير حلب ، فقال فيه ابن الدويدة :

رأى الحاكمُ المنصورُ غايةَ رُشْدهِ ... فأَرسَلَهُ للعـالَمينَ دَليـلَا
أَتى مَاأَتى اللهُ العـليُّ مَكانُهُ ... فَأَرسَلَ مِنْ آلِ الرّسولِ رَسُولا

وذكر له ياقوت[3] : بيتين في المشط الأبيض والمشط الاسود وهما :

كُنْتُ استعملُ السَّوادَ من الأمْ...شَاطِ

والشَّعْرُ في سَـوادِ الدّياجـي

---

(١) في عجز البيت خلل عروضي ، ويستقيم اذا صار : بعشر الذي اعطيته لابن حيوس
(٢) ابن عساكر : تاريخ دمشق ٤ : ١٨٦ (مخطوط) (ج)
(٣) ياقوت : معجم الادباء ٢ : ١٩٥ (ج)

أتلقى مِثْلاً بمِثْلٍ فلمّا
صَارَ عَاجاً سَرَّحْتُهُ بِالْعَاجِ

وعده ابن سعيد في عنوان المرقصات والمطربات ، في شعراء المائة الخامسة ، وأورد من قوله :

جَنَبوا الجيادَ إلى المَطِيِّ فَغَادَروا ... بالبِيدِ سَطْراً من حُروفِ المُعْجَمِ
فترى بـه عَيْناً بِوَطْأَةِ حَافِرٍ ... وترى بِهِ هَاءً بِوَطْأَةِ مَنْسِمٍ

وأورد له في معاهد التنصيص (١) هذين البيتين :

كأنَّ الشقائقَ والأُقْحُوانَ ... خُدودٌ تقبِّلُهُنَّ الثُّغورُ
فهاتيكَ أَخْجَلَهُنَّ الحَيَا ... وَهَاتِيكَ أَضْحَكَهُنَّ السُّرورُ

ونسبها في عنوان المرقصات الى السابق المعري ، كما ترى في ترجمته وفي غرر الخصائص (٢) ، أودع بعض التجار عند قاضي معرة النعمان وديعة ، وغاب عنها مدة فلما جاء طالبه بها ، فانكرها ، فتشفع اليه برؤساء بلده في ردها ، فلم يزالوا به حتى أقرّ بها ، وادعى أنها سرقت من حرزه ، فاستحلفه فحلف ، فعمل فيه ابن الدويرة (ابن الدريدة)الشاعر المعري أبياتا منها :

لا يَصْدُقُ القاضِي الخَؤونُ إذا ادَّعى
عَدَمَ الوَديعةِ مِنْ حَصينِ المُودَعِ

---

(١) عبد الرحيم العباسي : معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ١٧٨ (ج)
(٢) جمال الدين الوطواط : غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائص الفاضحة ٥٨ (ج)

إنْ قـال : قَـدْ ضَاعتْ فَيصْدُقُ إنها
ضَاعتْ ولـكنْ مِنْكَ يعني لو تعي
أَو قَـال : قـد وَقَعَتْ فَيَصْدُقُ إنها
وقعتْ ولكنْ مِنْهُ أَحْسَنَ مَوْقِـعِ

ابو الحسين أحمد ، بن محمد المعري ، الملقب بالقنوع :

من رجال القرن الخامس ، وقد ذكره الثعالبي (١) وروى له ابياتاً في خاص الخاص (٢) ، وذكر ابن عساكر (٣) : ان ابراهيم بن احمد بن الليث أبا المظفر الأزدي كاتب الأمير وهودان بن محمد بن علان الروادي ، قـدم دمشق سنة ٤٣٢ هـ والف رسالة ذكر فيها مارآه في طريقه ، ومن لقيه من العلماء والأدباء ، ومما ذكره فيها ابيات للقنوع المعري ، وكان قد لقيه بالمعرة ، وذكر انه رضي من دنياه بسد الجوع ، ولبس المرقوع ، ولهذا لقب بالقنوع ، ومن شعره المليح المطبوع :

أرَى الإِدْلَالَ دَاعِيةَ الدَّلَالِ   أَبى لي حُسْنُ صَبْرِي أَنْ أُبالي
تَصَدّى للصُّدورِ وَكان قِدْماً   عَلَى حالِ اتّصالٍ مِنْ وِصالي
وقـال : سَلَوتُ مَتّها غرامي   ولستُ وإنْ سَلاَ عنّي بسالِ
نَوَيْتُ عِتَابَه لَمَّـــا التقَينا   ولكنّي بَـدا لي إذْ بَـدَا لي

(١) الثعالبي : تتمة اليتيمة ١ : ٧ (ج)
(٢) الثعالبي : خاص الخاص ص ١٥٠ (ج)
(٣) بدران : تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ١٦٢ (ج)

وقال الثعالبي في تتمة اليتيمة : كان يلقب بالقنوع لانه قال يوماً في كلام له : قد قنعت والله من الدنيا بكسرة ، وكسوة . ووصف بعض العمال، فقال: ماهو الا مـــاء كدر ، وعود دعر ، وقفل عسر ، وانشدني ابو يعلى محمد بن الحسن البصري ، قال انشدني القنوع لنفسه مُلحاً وغرراً ونكتاً ، وطُرفاً ، وكان قد استكثر منه ، وروى جل شعره عنه، فمن ذلك قوله :

رُبَّ همٍّ قطعْتُهُ في دُجى اللَّيْـ...ـلِ بهجْرِ الكرى ووصْلِ الشَّرابِ
والثُّريَّا قدْ غرَّبتْ تطْلُبُ البدْ رَ بسيْرِ المُــروَّعِ المُرْتابِ
كزَليخا وقدْ بدَتْ كفُّها[1] تطْ...ـلُبُ أذيالَ يُوسُفٍ بالبـــابِ

وقوله في الغزل :

ومُجَرِّدٍ أبـــداً عــلى قلبــي حُسامَيْ مُقْلَتيْهِ
جِسْمي على حــالَيْنِ مِنْ حَــذَرٍ مُقيمٌ في يَــدَيْهِ
فاذا أمِنْتُ الخَــوفَ منـــه بَقيتُ في خَــوفٍ عليْهِ

وقوله في رئيس جالس على بركة مع ندمائه :

قُلْ للرئيس أبي الرضاءِ محمَّدٍ قولَ امرىءٍ يوليه حُسْنَ ولاءِ
من حول بِرْكتِكَ البَهيَّةِ سادةُ[2] الـ قُرّاءِ والعلمـــاءِ والشُّعراءِ

---

(١) في خاص الخاص بدت كذبا (ج)
(٢) في خاص الخاص : سادة الادباء والشعراء والظرفاء (ج)

لو أنصفوك وهمْ قيامٌ أشبهتْ[1]   أشخاصهمْ أمثالها في المـــاءِ

أي لقاموا على رؤسهم كما يتراءون في الماء

وقوله في قوم بنوا مسجداً في محلته :

يامَنْ بنى مَسْجِداً ضِرارا   والبخلُ منـــه يليه لُومُ
لو كانَ اسلامُكمْ قـــديماً   كان لكمْ مَسْجِدٌ قـــدِيمُ

وقوله في بعض العدول :

يابنَ عليّ قـالوا ولَوْ صَدَقوا   لكُنْتَ تَجْري مجراهُ في الخُلُقِ
دينُـك ذا لو كشف[2] باطنه   أَرقُّ مِنْ طَيْلَسانِكَ الخَـلقِ

ابو اليقظان احمد بن محمد بن حوارى المعري :

عده ابن العديم فيمن قرأ على ابي العلاء ، وقد تقدم ذكر ابي اليقظان احمد ، بن علي ، بن احمد التنوخي ، وزمانه مقارب لهذا ، ولعل هـذا احمد ابن علي من احفاد احمد بن محمد سمي باسمه ، وكني بكنيته ، وهـذا كثير في التنوخيين ، ويقرب ذلك من الصواب ، ان وفاة احمد بن علي متأخرة ، وانه سمع ثلاث قصائد من ابي العلاء .

احمد بن مدرك ، بن علي بن محمد ، بن عبد الله ، والد ابي العلاء المعري :

لم اقف على ترجمته ، وستأتي ترجمة ولده ابي المشكور صالح .

(١) في خاص الخاص : لو انصفوك وهم لديك لاشبهت (ج)
(٢) كذا في الاصـــل ، ولعله « كشفت » (ج) قلت : ولا يتزن البيت الا بالذي قدّر المؤلف .

الكمال اسحق ، بن احمد المعري ، الشافعي ، المفتي ، تلميذ ابن الصلاح :

قال في مرآة الجنان [1]: كان اماماً ، بارعاً ، زاهداً ، عابداً . وتوفي بالروحانية سنة ٦٥٠ هـ .

اسحق ، بن عبد الرحمن ، بن حسن ، بن محمد الجندي الكبير[2] :

ولد ونشأ في المعرة ، وتخرج بوالده في علمي الشريعة ، واللسان ، وكان مهاباً جليل القدر ، ولي الامامة ، والخطابة ، في الجامع الكبير العمري في المعرة ، اكثر من ستين سنة ، وقد رأيت فرماناً من السلطان مصطفى مؤرخاً في آخر ربيع الثاني سنة ١١٤٨هـ يقضي بتوجيه امامة الجامع المذكور عليه ، وفرماناً آخر مؤرخاً في اواسط شوال سنة ١١٦٨هـ يقضي بتعيينه اماماً في الجامع المذكور باقچه عدد ٢ عن كل يوم ، وقد اصابه مرض مزمن ، فأقام ولده عبد الوهاب مقامه في حياته ، وقد عمر زهاء مائة سنة ، وعلى هذا يقضي ان تكون وفاته بعد سنة ١٢٢٠ هـ .

---

(١) اليافعي : مرآة الجنان ٤ : ١٢٠ (ج)

(٢) هكذا وجدته في صورة النسب التي عند اقاربنا في حماة ، وفي الصورة التي في دمشق ، وفي الصورة التي عندنا ، وهي نسخة عن التي في المعرة ، وفي الارجوزة التي نظمها امين الجندي ، عم والدي ، وضمنها نسبه وتاريخ ولادته ، وهي موجودة في ديوانه المخطوط ، وهو في مكتبتي وليس منه غير هذه النسخة ، وقد ذكر في مقدمته : ان نسبه كان مضبوطاً عندهم ، في درج ممهور ، من نقباء الاشراف في الدولة العثمانية ، ومصدق عليه ممن كان في ذلك الوقت من شرفاء مكة ، وعلمائها وعلماء المدينة ، وغيرهم ، وفقد في عام ستة وخمسين حين نهبت المعرة ، وبقيت منه صورة كتبها بخطه عند عمه احمد بحلب ، وانه اراد بنظمه بقاءه محفوظاً ، كيلا ينقطع ، وكتبه في محلات عديدة ...

وكذلك رأيتها في الصورة المنسوخة عن التي كانت عند عمه ، وقد كان كتبها له اخوه محمد ، ولكني رأيت فرماناً من السلطان مصطفى ، مؤرخاً في اواخر شهر ربيع الآخر سنة ١١٤٨ هـ ان عبد الرحمن بن الشيخ محمد تنازل عن وظيفته النظارة على وقف الجامع العمري ، لولده اسحق الذي كان يستحق عليها اقچه كل يوم ، ورايت على ظهر كتاب ، كتبه عبد الرحمن بن محمد الجندي ، بن عبد الرحمن البكفالوني بلداً سنة ١١٠١ هـ فعلى هذا يجب ان يكون اسحق ، ابن عبد الرحمن بن محمد بن حسن الجندي ، فتأمل (ج).

موفق الدين أبو الفضل ؛ أسعد بن حلوان المعري:

ذكر في طبقات الاطباء أن اصله من المعرة ، واشتغل بصناعة الطب ، وتمهر فيها ، وتميز في اعمالها ، وخدم الملك الاشرف موسى ، بن ابي بكر أيوب في الشرق ، وبقي في خدمته سنين ، وانفصل عنه . وكان أسعد حكيما بارعا ، وعالما منفردا في صناعته ، وقد توفي سنة ٦٤٢ هـ في حماة ، ولم اقف على شيء من آثار هذا العالم الفاضل ، ولكن ذكر ابن أبي أصيبعة كتبا كثيرة لنجم الدين ، أبي العباس احمد بن أبي الفضل اسعد بن حلوان ، وكان نجم الدين يعرف بابن العالمة ، لأن امه كانت عالمة بدمشق ، وتعرف ببنت دهين اللوز ، وقد ولد في دمشق سنة ٥٩٣ هـ وكان حادّ الذهن ، مفرط الذكاء فصيح اللسان ، لا يجاريه احد في البحث ، واشتغل على الحكيم مهذب الدين ، عبد الرحيم بن علي بصناعة الطب ، حتى اتقنها ، وكان متميزا في العلوم الحكمية ، قويا في المنطق ، فاضلا في العلوم الأدبية ، شاعرا مترسلا ، جيد التأليف ، عارفا بالضرب بالعود ، حسن الخط ، خدم بصناعة الطب الملك المسعود ، صاحب آمد فاستوزره ، ثم نقم عليه ، فاخذ جميع ماله ، فأتى دمشق وأقام بها ، واشتغل عليه جماعة في صناعة الطب ، وكان حديد المزاج ، قليل المداراة والاحتمال ، وكان الناس يحسدونه على فضله ، ويقصدونه بالأذية ، فقال :

وكنتُ سَمِعْتُ أَنّ الجنّ عندَ اُسـ ... ـتراقِ السَّمْعِ تُرْجَمُ بالنّجوم
فلمّا أنْ عَلَوْتُ وصِرْتُ نَجْماً ... رُميتُ بكُلِّ شَيْطانٍ رجيمِ

وخدم الملك الاشرف صاحب حمص مدة ، وتوفي في ثالث عشر ذي القعدة سنة ٦٥٢ هـ ، وله كتب كثيرة مذكورة في طبقات الاطباء (١) .

(١) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء ٢ : ٢٦٥ ، ٢٦٦ (ج) ، وانظر ايضا معجم المؤلفين لكحالة ١ : ١٦٢ .

الوزير أسعد باشا بن اسماعيل باشا، الشهير بالعظم :

لم اقف على شيء من ترجمتـــه الا على قطعة خطية ، رأيتها عند بعض الوراقين ، وهي مطابقة لما عزاه في اعلام النبلاء الى ابن ميرو ، ومنها يتبين أن مولده في معرة النعمان سنة ١١١٧ هـ ، وأنه صار متسلماً لوالده بالمعرة وحمـاة ، وامتحن معه ، ثم أفرج عنهما، وأمرا بالذهاب الى خانية ، فاستعفى لعلة كانت به، فعفي عنه ، وبقي عنـد عمه سليمان الوزير في طرابلس ، ثم أنعمت عليه الدولة وعلى عمه المذكور ، بالكانة حماة مناصفة ، وذهب اليها ، وسار بها سيرة حسنة ، وعمر بها خانات ، و حمامات ، وبساتين ، ودوراً ، ليس لذلك كله نظير في البلاد الشامية ، ثم انعمت عليه الدولة بطوخين برتبة روم أبلي ، وصار جرداويا لأمير الحاج علي باشا الوزير ، ابن عبدي باشا الوزير سنة ١١٥٣ هـ . ثم بعد عوده ولي صيدا فضاق بها ذرعا ، فاستعفى ، وطلب حماة منصباً ، بعد ان كانت مالكانة له ولعمه ، فوجهت له منصباً ، ودخلها سنة ١١٥٤ هـ ،وبذل الاموال الى أن جعلها مالكانة له ، بعنـاية الوزير بكر باشا ، وفي سنة ١١٥٦ هـ ولي دمشق ، وإمرة الحاج لموت عمه سليمان ، وحج بالحجيج اربع عشرة حجة ، وعزل عن دمشق وإمرة الحاج بالوزير حسين باشا مكي ، وولوه حلب ، فـــدخلها أوائل جمادى الآخرة سنة ١١٧٠ هـ وبعد ستة أيام من وصوله اليها عزل ، وولي مصر فاستعفى، فقرّ بحلب الى اوائل سنة ١١٧١ هـ ثم عزل في محرمها ، وولي سيواس فرحل اليها، ودخلها في اواخر ربيع الاول، ثم في الثامن من رجب تلك السنة ، وصل الأمر العالي عن يد محمد آغا رئيس البوابين في الباب العالي ، بالقبض على صاحب الترجمـــة ، ونفيه الى جزيرة اقريطش (كريد) ونسبوا اليه ماوقع بالحجيج ، وأخرج من سيواس الى نحو الجزيرة ، فقتل بمدينة انقرة ، في الليلة الخامسة من شعبان من السنة المذكورة في داخل الحمـام ، وكان ملازما للصلاة بالجماعة ، وكثرة الطواف ، وزيارة روضة سيد الانام في تردده الى الحرمين.

وأعقب بنتاً زوجها بعد وفاة والدها ، عمها سعد الدين الوزير من ابن عمها محمد باشا الوزير .

ورأيت في رسالة[1] : الوزراء الذين حكموا دمشق ص٧٩ طرفاً من اخبار اسعد باشا . خلاصتها : انه دخل الشام في شعبان سنة ١١٥٦ هـ[2] وكان ذا عقل وتدبير ، وحج ثلاث حجج ، وما تعرض لأحد بظلم ، فاحتقره رجال الانكشارية ، وطمعوا فيه ، ففطن لذلك ، واحتال ، فادخل عسكره الى القلعة ، وصوب المدافع على سوق ساروجا ، وهدم بعض بيوتها ، وامر اعوانه أن يأخذوهم ، من كل جانب ، فلاذوا بالفرار ، وتبعهم رجاله ، فظفروا باناس منهم ، وكلما ظفروا بواحد جاؤا به الى الوزير فقتله ، حتى قتل منهم نحو مائة رجل ، ودبغ رؤوسهم ، وارسلها الى الدولة .

ونهبت عساكره اكثر من خمسمائة بيت ، وانه قتل فتحي افندي ابن القلاقني دفتر دار الشام ، واستصفى امواله ، وقتل بطانته واعوانه .

ثم عدل ، ورفع المظالم ، وعمر عمارات كثيرة ، وصار له اوقاف ، واملاك لم يكن مثلها لوزير قبله ، وعمر له (سرايا) لم يكن بدمشق احسن منها ، وعمر قلعة المدائن .

---

(١) رسالة الوزراء الذين حكموا دمشق هي رسالة كالكناش وضعها رسلان بن يحي القاري الشاغوري الدمشقي ، ذكر فيها اسماء الوزراء من خلافة السلطان سليم ، الى سنة ١٢٦٢ هـ ولم نعلم ترجمته ، واساوبه عامي ، وقد حقق هذه الرسالة وطبعها في دمشق السيد صلاح المنجد الدمشقي ، سنة ١٩٤٩م ١٣٦٨ هـ مع رسالة اخرى سيأتي ذكرها . (ج)

(٢) في الاصل ١١٦٥ ، وهو خطأ مناقض لقوله حج اربع عشرة حجة وعزل سنة ١١٧٠ وللنصوص الاخرى (ج)

وذكر مؤلف الباشات والقضاة في دمشق (١): ان اسعد باشا دخل دمشق يوم الاحد، الرابع والعشرين من شعبان سنة ١١٥٦ هـ ، وحج بالركب، وكانت حجة عظيمة من كل الوجوه ، وكانت الوقفة الجمعة .

وقد ذكر غيرهما : ان الوزير اسعد باشا ؛ بنى داراً عظيمة قرب جامع بني امية ، لصيق محلة الدهيناتية ، في سوق العطارين بالبزورية ، سنة ١١٦٣ هـ وانفق عليها امـوالا عظيمة ، قيل : انها اربعمائة كيس، في كل كيس خمسمائة قرش ، وهذا اجر العمال فقط ، واما الخشب والبلاط والتراب ، وغيره فكله من رزقه ، ومن بساتينه ، وقيل : ان في داخل الدار اماكن عديدة ، كل واحد فيها لا يشبه الآخر .

وجميعها مدهونة بماء الذهب ، والفضة ، واللازورد ، والبلاط الرخام العظيم ، حتى قيل : ان ليس مثلها في ملك بني عثمان ، حتى قصور الملوك منهم ، وكان عدد العمال الذين اشتغلوا في الحريم ، ثمانمائة فاكثر ، واقاموا سنتين ، فلم يتم عملهم .

---

(١) الباشات والقضاة في دمشق فصل من تاريخ كبير . تبلـغ ابوابه اربعة وسبعين، ومؤلفه محمد بن جمعة المقار ، الحنفي، القادري ، الشاذلي، الدمشقي ، يظهر انه ادرك نهاية القرن الحادي عشر ، لانه ذكر وفيات في سنة ١٠٩٨ هـ ، وتوفي بعد منتصف القرن الثاني عشر ، لانه ذكر حوادث في سنة ١١٥٦ هـ ، وقرأ على شيوخ كثيرين .

وقد رتب تاريخ الباشات والقضاة حسب السنين ، فانه يذكر اسم الوالي والقاضي وسنة دخوله دمشق ، وعزله ، والحوادث التي حدثت فيها من وفيات وغيرها .

ويظهر انه كان ضعيفاً في العربية ، لان لغة الكتاب اقرب الى اللغة العامية منها الى اللغة الفصحى ، نظير لغة رسالة الوزراء الذين حكموا دمشق ، وقد طبعها وحققها السيد صلاح المنجد في دمشق سنة ١٣٦٨ هـ ١٩٤٩ م (ج) .

وعمر اسعد باشا في دمشق قاسارية (خانا) في البزورية ، ينسب اليه، وليس في دمشق مثلها في سعتها ، وزخرفة واجهتها ، وطراز بنائها .

وعمر جسر الكسوة ، وعرضه ، واقـــام الخزانات ، والابراج على طريق الحاج .

وفي المكتبة الظاهرية في دمشق مخطوط ، فيه حوادث يومية للبديري الحلاق (١) ، تحت رقم ٣٧٣٧ ، وفيه طرف من اخبار اسعد باشا ، مدة توليه الحكم في دمشق ، ووضع السيد صلاح المنجد (رسالة عن قصر اسعد باشا العظم) في دمشق وطبعها في بيروت سنة ١٩٤٧م ، وفي ص١١ منها تجد صورة كافية في التعريف بالقصر المذكور .

أسعد بن ابراهيم المعري

ذكر ابن منظور في نثار الازهار في الليل والنهار ، من شعر اسعد المذكور هذين البيتين :

وَقَدْ ذَابَ كُحْلُ اللَّيْلِ في دَمْعِ فَجْرِهِ
إلى أن تَبَدّى الصُّبْحُ كاللِّمَّةِ الشَّمْطا
كأَنَّ الدّجَى جَيْشٌ مِنَ الزِّنْجِ نافِرٌ
وَقَدْ أَرْسَلَ الإِصْباحُ في إِثْرِهِ القِبْطا (٢)

---

(١) وقـــد نشرته الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالقاهرة سنة ١٩٥٩ م تحت عنوان حوادث دمشق اليومية بتحقيق الدكتور احمد عزت عبد الكريم .

(٢) هذا المعنى تداوله الشعراء كثيراً ، قال ابن معتوق :

حتى بـــدا كسرى الصباح ، وادبرت قـــوم النجاشي ، عن عساكر قيصر

أسعد ، ويسمى محمد بن المُنَجّا ، بن بركات ، بن المُؤمّل التنوخي، المعري ثم الدمشقي ، الحنبلي ، القاضي ، وجيه الدين ابو المعالي ، ويقال في ابيه ، ابو المنجا ، وفي جده ابو البركات .

ولد سنة تسع عشرة وخمسمائة ، وسمع بدمشق ، من أبي القاسم نصر بن أحمد ، بن مقاتل السُّوسي ، وببغداد من أبي الفضل الارموي ، وأبي العباس المايداي ، وغيرهم ، وتوفي سنة ٦٠٦ هـ كما قال في الشذرات [١].

وهو واقف الوجيهية ، التي برأس باب البريد ، وهي مدرسة قريبة من مدرسة الخاتونية الجوانية ، وبها خلاو كثيرة ، ولها وقف كثير اختلس .

قال المنذري : وتفقه ببغداد على مذهب الامام احمد . وقال الذهبي : ارتحل الى بغداد ، وتفقه بها ، وبرع في المذهب ، واخذ الفقه عن الشيخ عبد القادر الجيلي ، وغيره ، وتفقه بدمشق على شرف الاسلام عبد الوهاب ، ابن الشيخ أبي الفرج ، وأخذ عنه الشيخ الموفق ، وروى عنه جماعة ، وقال ناصح الدين بن الحنبلي : كان ابو المعالي ابن المنجا يدرس في المسمارية يوما ، وانا يوما ، ثم استقلّيت بها في حياته ، وكان له اتصال بالدولة وخدمة السلطان ، وأسن وكبر ، وكف بصره في آخر عمره ، وله تصانيف منها : كتاب الخلاصة في الفقه ، والعمدة والنهاية في شرح الهداية في بضعة عشر مجلداً

وسمع منه جماعة منهم : الحافظ المنذري ، وابن خليل، وابن البخاري،

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب ٥ : ١٩،١٨

وتوفي ثامن عشر ربيع الاول ، ودفن بسفح قاسيون بدمشق ، رحمـــه الله تعالى [١] .

وقال النعيمي : دار القرآن الوجيهية ، قبـلي المدرسة العصـرونية والمسرورية ، وغربي الصمصامية ، التي شمال الخاتونية . . . قال السيد شمس الدين الحسيني في ذيله على العبر ، في سنة احدى وسبعمائة : (توفي) الشيخ وجيه الدين محمد ابن عثمان بن المنجا التنوخي ، رئيس الدماشقة ، عن احدى وسبعين سنة . . . وهو واقف دار القرآن المذكورة آنفاً ، وقال الصفدي في الوافي : وجيه الدين بن المنجا ، محمد بن عثمان الامام . . ابو المعالي التنوخي الدمشقي ، ولد سنة ثلاثين وتوفي سنة ٧٠١ هـ وسمع من ابن اللتّي حضـــوراً ، ومن جعفر الهمداني ، ومكرم وسالم بن صصري ، وحضر ابن المقير [٢] ، ودرس بالمسمارية ... وأنشأ داراً للقرآن الكريم بدمشق ، وتوفي بدار القرآن [٣] . وفيما ذكره الصفدي نظر" لأنه قال ولد سنة ٦٣٠ هـ ، ثم قال وسمع من ابن اللتّي حضورا ، ومن . ومن . . .

وقد ذكر في الشذرات [٤] : ان ابن اللتي أبا المنجا عبد الله بن عمر . . . توفي سنة ٦٣٥ هـ ، وان مكرم بن محمد بن حمزة الدمشقي ، توفي في السنة المذكورة ، وان جعفر الهمداني توفي سنة ٦٣٦ هـ ، وسالم توفي سنة ٦٣٧ هـ

---

(١) وانظر الذهبي : سير النبلاء ١٣ : ٩٩ ، ١٠٠ ، (مخطوط) ابن رجب ذيل طبقات الحنابلة ٢٦٥ ، ٢٦٦ (مخطوط) والنعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ٢ : ١١٤ ، ١١٦ .

(٢) النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ١ : ١٧ (ج).

(٣) في شذرات الذهب لابن العماد ٥ : ٢٢٣ : هو علي بن الحسين بن علي البغدادي ، توفي سنة ٦٤٣ هـ

(٤) ابن العماد : الشذرات ٥ : ١٧١

وابن المقير سنة ٦٤٣ هـ ، فكيف يتأتى لوجيه الدين ان يحضر ، وهو ابن خمس سنوات ، او ست ، او سبع ؟ على أن صاحب الشذرات (١) ، ذكر محمد بن عثمان في حوادث سنة ٧٠١ هـ ، فقال : وفيها (توفي) الشيخ وجيه الدين محمد بن عثمان ، ابن أسعد بن المنجا ، ابو المعالي التنوخي الحنبلي ، اخو الشيخ زين الدين بن المنجا ، ولد سنة ٦٣٠ هـ ، وسمع من جعفر الهمداني ، والسخاوي ، وخلق ، وكان شيخاً عالماً ، كثير المعروف والصدقات ، والتواضع للفقراء ، موسعاً عليهم ، موسع عليه ، بنى بدمشق دار قرآن معروفة به ، قريبة من المدرسة الخاتونية ، الحنفية الجوانية ، ودرس في اول عمره بالمسمارية ، والصدرية ، ثم تركها لولده ، فمات في حياته ، وولي نظر الجامع فأحسن فيه السيرة ، وعلى هـذا يكون محمد بن عثمان ، حفيداً لأسعد السابق ذكره .

وذكر في الشذرات (٢) أيضاً ، شرف الدين أبا عبد الله محمد ، بن المنجا بن عثمان ، بن اسعد بن المنجا ، التنوخي ، الدمشقي ، وانه ولد سنه ٦٧٥ هـ ، وتوفي سنة ٧٢٤ هـ .

وذكر ايضاً في سنة ٦٥٧ هـ (٣) : نجم الدين أبا طاهر ابراهيم بن محاسن ، ابن منجا التنوخي

وذكر فيها (٤) صدر الدين أبا الفتح اسعد بن عثمان بن المنجا التنوخي واقف المدرسة الصدرية بدمشق .

---

(١) ابن العماد : الشذرات ٦ : ٣ (ج)
(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ٦ : ٦٥
(٣) ابن العماد : شذرات الذهب ٥ : ٢٨٨
(٤) ابن العماد : شذرات الذهب ٥ : ٢٨٨

وذكر في سنة ٦٩٥ هـ (١) : زين الدين أبا البركات المنجا ، بن عثمان ابن اسعد بن المنجا التنوخي ، وانه دفن في تربة بيت المنجا بسفح قاسيون بدمشق .

وقال في الدرر الكامنة (٢) : محمد بن المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا بن بركات بن مؤمل التنوخي شرف الدين بن ابي البركات التنوخي المعري الأصل ، ثم الدمشقي الحنبلي ، ولد سنة بضع وسبعين ، وسمع من ابن علان ، والفخر ، وابن الواسطي ، وغيرهم ، وكان معروفاً بالدين والعلم والمروءة وعلو الهمة وقضاء الحقوق ، ومات في شوال سنة ٧٢٤ هـ .

وذكر في الشذرات كثيرا من هذه الاسرة . منهم :

علاء الدين ابو الحسن ، علي ، بن الشيخ زين الدين ، بن المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي ، الحنبلي قاضي القضاة .

ولد في شعبان سنة ٦٧٣ هـ وسمع الكثير من ابن البخاري وخلق ، وولي القضاء ، وحدث بالكثير ، قال ابن رجب : قرأت عليه جزءاً فيه الاحاديث التي رواها مسلم في صحيحه ، عن الامام أحمد بسماعه الصحيح من أبي عبد الله محمد ، بن عبد السلام بن أبي عصرون ، باجازته من المؤيد ، وتوفي في شعبان سنة ٧٥٠ هـ ودفن بسفح قاسيون (٣) .

(١) ابن العماد : شذرات الذهب ٥ : ٤٣٣ .
(٢) ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ٤ : ٢٦٦ .
(٣) ابن العماد : شذرات الذهب ٦ : ١٦٧ .

وفي سنة ٧٥٤ هـ توفي صدر الدين محمد بن علي بن أبي الفتح بن أسعد بن المنجا (١)

وفي شذرات الذهب (٢) : توفي فيها (سنة ٧٧٨ هـ) علاء الدين علي ، ابن محمد ، بن أحمد ، بن محمد ، بن عثمان ، بن أسعد بن المنجا الكبير ، الصالح الحنبلي ، سمع صحيح البخاري من وزيره ، وسمع من عيسى المطعم ، وغيره ، وحدث فسمع منه الشيخ شهاب الدين بن حجى وقال : هو من بيت كبير ، ورجل جيد ، وهو اخو الشيخة فاطمة بنت المنجا ، شيخة ابن حجر العسقلاني ، التي اكثر عنها ، عاشت بعده بضعا وعشرين سنة ، حتى كانت خاتمة المسندين بدمشق ، توفي في ربيع الآخر عن ثمان وستين سنة ، فتكون ولادته سنة ٧١٠ هـ وهو غير الاول .

وفيها ايضا في سنة ٨٠٠ هـ (٣) ، توفي علاء الدين علي ، بن صلاح الدين محمد ، بن زين الدين محمد ، بن المنجا ، بن محمد ، بن عثمان ، الحنبلي ، التنوخي ، قاضي الشام .

وما ذكرناه يدل على أن هذه الاسرة أنجبت عدداً كبيراً من العلماء ، والمحدثين (٤) .

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب ٦ : ١٧٦ .

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ٦ : ٢٥٧ — ٢٥٨ .

(٣) ابن العماد : شذرات الذهب ٦ : ٣٦٥ .

(٤) ومنهم : شهاب الدين ابو العباس ، احمد بن اسعد بن علي بن محمد بن محمد بن منجا بن أسعد التنوخي ، الصالحي ، الدمشقي ، الحنبلي . عالم ، شاعر . ولد في ١٧ صفر ، سنة ٨٢٧ هـ وتوفي في ١٥ جمادى الاولى سنة ٩٠٨ هـ . له كتاب المقيدة نظماً في نحو سبعمائة بيت (عن الكواكب السائرة للغزي ١ : ١٣١ ، ١٣٢ ، ومختصر طبقات الحنابلة لجميل الشطي ص ٧٤) .

تقي الدين أبو محمد اسماعيل ، بن ابراهيم ، بن أبي اليسر شاكر ، بن عبد الله التنوخي :

ولد سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، وروى عن الخشوعي[1] ، فمن بعده وله شعر جيد ، وبلاغة ، وفيه خير ، وعدالة ، وقد توفي في السادس والعشرين من صفر سنة ٦٧٢ هـ ، وكان كاتباً منشئاً ، متميزاً في صناعة الانشاء ، كتب للناصر داوود ، وكان جده كاتب الانشاء لنور الدين ، وهو من بيت كتابة وجلالة ، وعلم ، ورياسة ، ولي بدمشق نظارة المارستان ، ومشيخة أم الصالح ، ومشيخة الزاوية ، بدار الحديث الاشرفية ، وعدّه الذهبي كبير المحدثين ومسندهم ، وروى عنه قاضي القضاة نجم الدين بن صصري ، وابن العطار ، وابن تيمية ، وأخواه ، وابن ابي الفتح ، وقد قرىء عليه الجزء الثاني من تاريخ ابن عساكر ، بجامع دمشق سنة ٦٧١ هـ[2] .

سأله أبو حفص بن أبي المعالي ، أن يحل أبيات ابن الرومي وهي :

وحديثُها السّحرُ الحَلالُ لوَأنّـه ... لم يَجْنِ قتلَ المُسْلمِ المُتحَرِّزِ
إنطالَ لمْيُمْلَلْ،وإنهِيَأوجزت ... ودّ المحدَّثُ أنّها لم تُوجَزِ
تَرَكُ العُقولِ ، ونُزْهَةٌ ما مثلُها ... للمطمئنّ وعُقْلَـةُ المُسْتَوْفِزِ

فقال : وحديثها : الحديث ، لا كالحديث عذب فهو الماء الزلال ، وأسكر فأشبه العتيق الجريال ، واستملى من غير مال ولا ملال ، وشغل عن

---

(١) لعلها الخشوفغني نسبة الى خشو فغن من قرى الصغد بما وراء النهر .
(٢) راجع الجزء الاول من تاريخ ابن عساكر ص ٦٤٤ طبع المجمع العلمي العربي في دمشق (ج)

عذر واجب من الأشغال ، وجنى من قتل المسلم المتحرز ماليس بحلال ، وصادت بشركه النفوس ، ومالت الى وجهه ، وجهة الأعناق والرؤوس ، فهو نزهة العيون ، وعقال العقول ، والموجز الذي ود المحدّث أن يطول :

حديثٌ حديثُ الروضِ فتّحَ نَوْرُهُ
فَمَنْ نَوْرُهُ قَدْ زادَ في السمع والبصرْ

يخرّونَ للأذقانِ عندَ سَماعِهِ
كأنهمُ مِن شيعةٍ ، وَهْوَ مُنْتَظَرْ

يَلذُّ به طولُ الحديثِ لسامرٍ
ولا يعتريهِ مِنْ إطالتِهِ ضَجَرْ

به طُرَفٌ الطّرْف تُجنى ، وعقلة
لعاقد رَكْبٍ قد سَبَقْنَ إلى سَفَرْ

هِيَ البدرُ فاسْمَعْ ماتقولُ فانّه
غريبٌ ، وحَدِّثْ بالرواية عن قَمَرْ

وكتب على لسان سيف الدين بن مُقَلّد الكامل بن شاور الى الملك الأشرف ، وكان أبطأ عليه عطاؤه ، رقعةً مضمونها يقبل الأرض بين يدي الملك الأشرف أعز الله نصره ، وشرح ببقائه تنفيس الدهر ، وصدره ، وينهي أنه وصل الى باب مولانا كما قال المتنبي :

حَتّى وَصَلْتُ بنفسٍ ماتَ أكثرُها ... وَليتَني عِشْتُ منها بالذي فَضَلا

ويرجو ما قاله في البيت الآخر :

أرجو ندكَ ،ولا أخشى المطالَ به | يَامَنْ إذا وَهَبَ الدُّنيا فقد بَخِلا

فأعطاه صلة سنية ، وأحسن قراه ، ورتب له ما كفاه .

وكتب الى القاضي بدر الدين السنجاري :

لولا مواعيدُ آمالٍ أعيشُ بها | لَمُتُّ ياأهلَ هذا الحيِّ مِنْ زَمَنِ
وإنَّما طِرْفُ آمالي بِهِ مَرَحٌ | يجري بِلوَعْدِ الأماني مُطلَقَ الرَّسَنِ

ومن شعره :

لَيْلي كَشَعْرِ مُعَذِّبي ، ما أطْوَلَهْ | أَخفَى الصَّباحَ بِفَرعِهِ إذْ أَسبَلَهْ
قِصَصي بِنَمْلِ عِذارِهِ مكتوبةٌ | يا حُسْنَ ما خطَّ الجمالُ وأجْمَلَهْ
والله لاأهملتُ لامَ عِذارِهِ | ياعاذلي ماكلُّ لامٍ مُهْمَلَهْ
اقرأ على قلبي ، سباني حُبُّهُ | فالذارياتُ لِمَدْمَعٍ قد أهمَلَهْ
آياتُ تَحْريمِ الوِصالِ أظنُّها | بِطَلاقِ أسبابِ الحياةِ مُرَتَّلَهْ
ثَبَتَ الغرامُ بحاكمٍ من حُسْنِهِ | وشهادةِ الألحاظِ وهْيَ مُعَدَّلَهْ
إنْ أبْعَدَتْهُ يَدُ النَّوى عن ناظري | فَلَهُ بقلبي إن تَرَحَّلَ مَنْزِلَهْ
بالعادياتِ قد اعتدى عنِّي ضحىً | وبدا له في كل قلب زَلْزَلَهْ
شَمْسُ النفُوسِ لِبَيْنِه قد كُوِّرَتْ | والنَّارُ في الأحشاءِ فيه مُشَعَّلَهْ

وقال رحمه الله : ركبني دين فوق عشرة آلاف درهم، وبقيت في قلق، فرأيت والدي في النوم ، فشكوت له ثقل الدين ، فقال : امدح النبي (ص) فقلت: أعجز عن مدحه (ص) . فقال: امدحه يوف دينك ، فقلت وأنا نائم :

أَجِدِ المَقَالَ وجِدَّ في طُولِ المدى فَعسَاكَ تَظْفَرُ أَو تَنَالُ المَقْصِدا
هِيَ حَلْبَةٌ للمَدْحِ ليسَ يَجوزُها بالسَّبْقِ إلاّ مَنْ أُعينَ وأُسْعِدا

وانتبهت فأتممت القصيدة فوفى الله ديني تلك السنة .

ومن شعره دوبيت :

يَا أَحْمَدُ إنَّ فَتْرَةَ الأَجْفَانِ نُبِّئْتَ مِنْها في آخِرِ الأَزْمَانِ
والمُعْجِزُ مِنْكَ وَاضِحُ البُرْهَانِ تُحْيِي بِالوَصْلِ مَيِّتَ الهِجْرانِ[1]

الوزير اسماعيل باشا العظم :

رأيت ترجمته في قطعة التاريخ التي تقدم ذكرها في ترجمة ولده أسعد ، وهي مقاربة لما ذكره في إعلام النبلاء [2] ، وقد جاء فيها أن ابراهيم والد اسماعيل هـذا كان جنديا سكن في معرة النعمان ، وهو جد هذا البيت الشهير بالعظم ، وكان لأهل المعرة مع التركمان التي ترد الى جبلها شتاء ، وقائع ، جرح في بعضها ابراهيم المذكور ، وحمل الى بلدته ، وتوفي من تلك الجراحات ، كما تقدم في ترجمته .

---

(١) ونجد ترجمته في شذرات الذهب لابن العماد في سنة ٦٧٢ هـ وفي فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ١ ص ١٢ ، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج ٧ ص ٢٤٤ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ٤ ص ٢٧٢ (ج) .

(٢) راغب الطباخ : إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٦ : ٤٨١ ، ٤٨٢

وقد اعقب اسماعيل هذا ، وسليمان باشا الوزير ، وموسى ، ومحمدا ، وفارسا ، وكلهم أعقب ماخلا محمدا [1] .

ولد اسماعيل في المعرة قبل السبعين وألف ، ونشأ بها [2] وصار حاكما في بلده ، ثم في حماة ، وانعمت عليه الدولة العثمانية برتبة (طوخين) رتبة روم أيلي ومالكانة حماة وحمص والمعرة عليه وعلى أخيه سليمان ، ومنصب طرابلس عليه ، وسر عسكر الجردة ، ثم بعد عوده من الجردة سنة ١١٣٨ هـ ، تولى الشام وإمرة الحاج بالوزارة ، وحج ست سنوات ، وفي السادسة قعدت للحرب معه طائفة حرب بين الحرمين في إيابه ، فلم يدخل المدينة المنورة ، بل توجه على طريق ينبع البحر الى آبار الغنم ، وكتب الشريف وأهل المدينة بهذا الشأن الى الدولة ، فعزلته ، وامتحن سنة ١١٤٣ هـ ، وحبس في قلعة دمشق ، واستأصلوا أمواله وأموال ذويه ، ثم أفرج عنه سنة ١١٤٤ هـ ، وولي خانيه (في كريد) فذهب اليها ، وتوفي فيها سنة ١١٤٥ هـ [3] وقد أعقب

---

(١) في اعلام النبلاء : وكلهم تولى الوزارة ماعدا محمدا ، ولم يذكر فارسا في أولاده ، والحق ماذكرناه (ج)

(٢) قال رسلان القاري في رسالة الوزراء الذين حكموا دمشق ص ٧٧ في ترجمة اسماعيل باشا : وكان فلاحا من المعرة وخازن القوت على المسلمين ، وفيها : في غاية جمادى الاولى ورد قبوجي من حضرة السلطان محمود بضبط مال اسماعيل باشا ودفعه الى القلعة ، فضبط ماله ، ووضعوه في القلعة (ج)

(٣) في الأعلام للزركلي ١ : ٣٠٢ ، نقلا عن بحث لعيسى اسكندر المعلوف : اسماعيل (باشا) بن ابراهيم العظم . اول من دخل الشام من هذه الاسرة . اصله من قونية . انتقل ابوه الى بغداد ، وجاء هو الى دمشق فسكنها الى ان توفي فيها . واعقب ثلاثة اولاد : سعد الدين باشا ، وأسعد باشا (ومن نسلهما آل العظم في دمشق وحماة) وابراهيم باشا (وسلالته في معرة النعمان) .

ابراهيم، وأسعد، وسعد الدين، ومصطفى، وكلهم تولى الوزارة ماعدا الاول (ابراهيم)، كما تقدم في ترجمته، وأعقب بنتين، زوج احداهما في حياته من ابن اخيه مصطفى بن فارس، فولدت له محمدا، وهو ولي صيدا بالوزارة سنة ١١٧٦هـ، وكان مولده في دمشق، ولذا لم أذكر ترجمته مع أنها جديرة بالذكر.

أبو الفضل اسماعيل بن أبي الوقار المعري.

أصله من المعرة، وأقام بدمشق، وسافر الى بغداد، وقرأ على أفاضل الأطباء من أهلها، واجتمع بجماعة من العلماء بها، وأخذ عنهم، ثم عاد الى دمشق، وكان متميزاً في صناعة الطب، علمها وعملها، كثير الخير، محمود الطريقة، حسن السيرة، وافر الذكاء، وكان في خدمة السلطان نور الدين محمود بن زنكي، وكان يعتمد عليه في صناعة الطب، وكان لا يفارقه في السفر والحضر، وله الحظ الوافر والانعام الكثير.

وتوفي مع الملك العادل نور الدين، وهو في حلب في العشر الأول من شهر ربيع الاول سنة ٥٥٤ هـ(١).

السيد اسماعيل الكيالي:

لا أعلم من أمره شيئاً، إلا انه من ذرية الشيخ اسماعيل الكيالي دفين الترنبة، وهي قرية على مقربة من سرمين، وقد هاجر الى المعرة نحو سنة ١١٣٠ هـ هو وأخوه عبد القادر، ودفنا في زاوية بني الكيالي التي سبق الكلام فيها، وانها بنيت سنة ١١٦٢هـ

(١) وترجمته في طبقات الاطباء ج ٢ ص ١٦١ (ج)

وأهل المعرة يعتقدون فيهما الصلاح والولاية ، وهما من بيت اشتهر بالعلم والتقوى والزهد ، وله فروع كثيرة في حلب ، والمعرة ، وادلب ، وحماة ، ودمشق وغيرها .

وجدهما اسماعيل بن علي مُهَذّب الدولة بن السيد عثمان سيف الدين .. الى آخر ماتقدم في نسب الصيّاد .

هذا ماحدثني به نقيب الأشراف في ادلب السيد طاهر الكيالي .

أمين بن محمد بن عبد الوهاب الجندي :

هو عم أبي رحمهما الله ، ولد في معرة النعمان سنة ١٢٢٩ هـ ، وقد أرخ ولادته بعض الشعراء بقوله من أبيات : (غلام مفلح) .

هذا الشطر من ابيات أظن أنها من نظم الشيخ مصطفى الكردي الحلبي ، وهي :

جاءَ السُّرورُ فَمَا لَنَا لا نَفْرَحُ والوَقْتُ أَضْحَى بالتَّهاني يَسْمَحُ
والروض فاح مُعَبِّقًا إِذْ جاءَه يُهْدي شَذاهُ للقُلوبِ فتَمْرَحُ
لِقُدُومِ مَوْلودٍ زكيٍّ صالحٍ من نَسْلِ قَوْمٍ للمكارمِ أَصلحُ
ذاكَ الأمينُ مُحَمَّدٌ من قد رَجا أَهْلوهُ مذْ سَمَّوهُ فيه سَيَنْجَحُ
من أَهْلِ بيتٍ طُهِّرتْ أنسابُهمْ وعَدتْ(١) بهمْ رُتَبُ الكمالِ تَفَتَّحُ
لاَ زالَ مَحْفُوفاً بعيْنِ عِنايةٍ يُمسي بخيرٍ ثمَّ فيه يُصْبِحُ
ناديت يا بشرايَ لمَّا أَعْلَنوا بقدومهِ أَرِّخْ غُلامٌ مُفْلِحُ

(١) لعلها وغدت بالغين

نشأ في حجر والده ، وتلقى عنه العلوم الشرعية واللسانيـة ، وقرض الشعر ، وهاجر معه الى حمص لما جعل مفتياً فيها سنة ١٢٤١هـ ، ثم عاد الى المعرة سنة ١٢٤٨ هـ ، فلما كانت سنة ١٢٥٣ هـ ، قلد القضاء في المعرة .

ولقي جماعة من أفاضل عصره وأدبائه ، كالشيخ وفا الحلبي ، والشيخ أمين بن خالد الجندي الحمصي ، وله معهما مساجلات ومحاضرات .

وفي سنة ١٢٦٠ هـ ، سافر مع والده الى حلب ، بأمر من والي الشام رضا باشا ، لارجاع الفلاحين النازحين من حماة والمعرة ، ثم اشتكى متسلم المعرة الى الوالي على والده ، فطلبه الى الشام ، ولما ذهب والده الى دمشق ، بقي بعده ستة عشر يوماً ، ثم تألب عليه الناس ، وأرادوه على موافقتهم في الشكوى من أبيه وقريبه ، فخرج من المعرة يوم الاثنين التاسع من ذي الحجة سنة ١٢٦١ هـ وبات ليلته في قرية يقال لها : كفرزيتا ، وفي اليوم الثاني صلى بأهلها صلاة العيد ، ثم ذهب الى حماة ، فحمص ، وأقام بها عشرة ايام ، ثم ذهب الى دمشق إجابة لطلب أبيه ، ونقيب المعرة الذي صحب أباه من المعرة الى دمشق ، فوصل الى دمشق يوم السبت الثامن والعشرين من ذي الحجة من السنة المذكورة ، وأقام مع أبيه الى منتصف صفر سنة ١٢٦٢ هـ ، ثم جاء فرمان من السلطان يحتم عليه البقاء مع أبيه في دمشق ، ثم ورد فرمان من السلطان عبـد المجيد مؤرخ في اول المحرم سنة ١٢٦٣ هـ ، يتضمن العفو عن امين ووالده ، والاكتفاء بمدة نفيهما البالغة تسعة أشهر ، فرجع مع أبيه الى المعرة ، ودخلاها في غرة ربيع الاول سنة ١٢٦٣ هـ ، وأعيد الى منصب القضاء في المعرة ، وأعيـد أبوه الى الافتاء . وقد ذكر في مقدمة ديوانه : انه نزل حين كان في دمشق في دار حافظ محمد بك العظم ابن عبد الله باشا العظم والي الشام الأسبق ، وانه لم ير

غيره ولا مروءة من احد غيره من جميع الدمشقيين ، ولما كان العشر الأخير من شهر رمضان سنة ١٢٦٤ هـ ، استخلفه أبوه في قراءة الدرس عنه الى أن توفي أبوه في الرابع عشر من شوال من السنة المذكورة ، فأجمع الناس على انتخابه مفتياً بدلاً من أبيه ، وكتبوا مضبطة ، وإعلاماً شرعياً ، أرسل الى الآستانة ، فحضر له المنشور من شيخ الاسلام احمد حكمة عارف بذلك ، ثم وجهت عليه نظارة النفوس في المعرة .

وفي أوائل المحرم سنة ١٢٦٦هـ وردت اليه كتب من احد احبائه من امراء دمشق ، يذكر له فيها : أن المشير أمين باشا يبحث عن رجل عالم ، ذكي ، يحسن اللغة التركية ، ليعينه كاتباً للعربي في الفيلق ، وان جميع احباء المترجم ذكروه عند المشير ، فأمرهم أن يرغبوه في الحضور الى دمشق ، فاعتذر الى صديقه هـذا عن قبول ذلك مرات ، فكتب المشير الى الاستانة ، فصدرت ارادة سلطانية بتعيين المترجم في هذه الوظيفة ، فخرج من المعرة في اليوم الخامس عشر من ربيع الاول من السنة المذكورة ، وهو عازم على الاستقالة ، لأن المعريين كرهوا مفارقته ، وكتبوا محضراً طلبوا فيه إبقاءه في بلده ، فلم يصادف طلبهم أذناً صاغية .

ودخل دمشق في غرة جمادى الأولى ، والتقى بالمشير ، والأمير الذي دله عليه ، فرحب به وآنسه ، وأنزله في حجرة كاتب ديوانه ، وأراه من اللطف والحفاوة ما سحر لبه ، وخلب قلبه ، فرضي المقام عند المشير ، وجعل يقرئه النحو والصرف واللغة العربية ، ويقرأ معه كتب التصوف ، وكان المشير مولعاً بكتب الشيخ محيي الدين بن عربي ، وله براعة في الحساب ، والهندسة ، والمنطق ، والحكمة ، وكان على غاية من النبل والفضل ، وكان يؤثر المترجم على

خاصته وخلصانه ، حتى كان منه بمنزلة الروح من الجسد ، ولا يسمح بمفارقته إياه

ثم توفي المشير هذا سنة ١٢٦٧ هـ ، فدفنه في مقام الشيخ محيي الدين ابن عربي، ونظم تاريخ وفاته، وهو المنقوش على حجرة قبره الآن، ثم هم بالذهاب الى الآستانة ليستقيل، فلم يمكنه رئيس الفيلق والمأمورون ، حتى عين محمد باشا القبرسي مشيراً للشام ، فقربه ، ونال عنده حظوة لم تكن لغيره ، وخرج معه الى حوران، والجيدور(١)، لمحاربة الدروز، ومكثا شهرين في مرحلة الكتيبة ، ثم عين محمد واصف باشا مشيراً للشام، بدلاً من القبرسي ، فكانت منزلة المترجم عنده أعلى مما كانت عند سلفه ، وفي هذه الأثناء وقعت الحرب بين الدولة العثمانية والموسقوف (روسيا) ، فنظم ارجوزة ، ضمنها اسماء اهل بدر ، وفيها دعاء للسلطان بالنصر ، فقدمها المشير المذكور الى الاستانة ، وأنهى له بطلب مولوية دورية ، وفي سنة ١٢٧٣ هـ وجهت على المترجم رتبة أزمير المجرده في ٩ رجب من السنة المذكورة ، وكان المشير في الشام اذ ذاك عبد الكريم باشا ، ثم عين مشيراً لأرزنجان ، وعين المترجم كتخدا ، وكاتب ديوان له ، فمكث معه فيها قريباً من أربعة اشهر ، ثم استأذنه بالانصراف ، فأذن له ، فذهب الى طرابزون ، ونزل في البحر الاسود الى الاستانة ، فدخلها في اليوم العاشر من المحرم سنة ١٢٧٤ هـ ، فلبث فيها خمسة أشهر ، ثم عاد الى بيروت ، فدمشق ، وكانت وظيفته كتابة العربي في فيلق دمشق ، لم تزل في عهدته ، ثم لما عاد محمد باشا القبرسي الى الصدارة ، استأذنه المترجم في الشخوص الى الاستانة ، لوعد كان بينهما ، فأذن له ، فشخص اليها ، فدخلها في منتصف جمادى الأولى سنه ١٢٧٦ هـ ، وبعد وصوله بقليل عزل الباشا من

(١) في معجم البلدان ٢ : ١٧٣ : من نواحي دمشق فيها قرى وهي في شمالي حوران.

الصدارة ، ولم يبلغ المترجم حاجته ، فعاد الى دمشق بعد مالبث هناك أربعة أشهر ، وثابر على وظيفته الاولى .

وفي هـــذه السنة وقعت حادثة بين النصارى والدروز في الجبل وامتدت الى دمشق ، وقدم فؤاد باشا ناظر الخارجية مأمورا مستقلا فوق العادة باصلاح سورية ، فعين المترجم عضوا في مجلس فوق العادة ، ثم عينه مفتيا في دمشق ، وورد له المنشور من شيخ الاسلام سعد الدين افندي ، وذلك في منتصف جمادى الاولى سنة ١٢٧٧ هـ ، وأرخ ذلك زيور بك قاضي الشام بقوله :

أيدي تبريك ايدك قاضي بان تاريخ
مجد له أولدي أمين العلما مفتي شـــام

وارخه محمود افندي الحمزاوي الدمشقي بقوله من قصيدة طويلة :

فَجِئْتُكَ رَاجي أُؤَرِّخُ لأَجي لقَدْ زَانَ فَتْوىَ دِمَشْقَ أَمِينُ

وفوض أمانة الفتوى الى سعدي افندي العمري ، وضم اليه الشيخ علاء الدين نجل العلامة السيد محمد أمين عابدين صاحب «حاشية رد المحتار على الدر المختار» ، والشيخ محمد افندي البيطار الميداني ، وعين الشيخ صالح افندي بن الشيخ محمد متولي قطنا كاتبا للفتوى .

ثم توفي سعدي افندي العمري ، وصرف الشيخ محمد البيطار لأمور نسبت اليه ، ثم ضمت القدس وصيداء الى سورية ، وعين واليا عليها راشد باشا ، فاختلت الأمور في عهده ، واضطربت الأحوال ، فتخلف المترجم عن الحضور الى المجلس ، فاتخذ ذلك أولو الأغراض والحساد وسيلة لاغراء الوالي بـه ،

ووجدوا نفاقا لبضاعتهم في سوقه ،فانهى الى الاستانة يطلب عزله ، وعين بدلا منه محمود افندي الحمزاوي السابق ذكره ، وحضر له المنشور في منتصف رمضان سنة ١٢٨٤ ﻫ ، فكانت مدة اقامته مفتيا سبع سنوات وخمسة أشهر ، وأما الشيخ علاء الدين والشيخ صالح فقد أبيا ان يقوما بامانة الفتوى ، فعين الشيخ محمد البيطار بدلا منهما ، ثم انتخب المترجم.وعين عضوا لمجلس الشورى في الاستانة ، الذي كان يرأسه مدحت باشا ، وكان الوالي يكتم عليه ذلك ، حتى أنفذ اليه رشدي باشا وزير المالية كتابا يعلمه فيه بالامر ، فذهب الى الاستانة في يوم الاحد الخامس عشر من ربيع الأول سنة ١٢٨٥ ﻫ ، واصطحب معه الشيخ علاء الدين ، والشيخ صالح المتقدم ذكرهما ، وبلغ مدينة بيروت في يومه ، وابحر في يوم الثلاثاء الى الاستانة ، فبلغها في يوم الخامس والعشرين من ربيع الاول ، ونزل في دار وزير المالية ، وبعد اسبوع حضر الى المجلس ، وخير في أية دائرة يقيم ، فاختار الدائرة الملكية ، فقدم على جميع اعضائها ، وفي اليوم السابع والعشرين من شوال من السنة المذكورة ، وجهت عليه رتبة مولوية مكة ، وفي غرة ذي القعدة من السنة هذه،وجه اليه الوسام المجيدي من الرتبة الثالثة .

ثم عين هو والشيخ علاء الدين عضوين في لجنة تأليف مجلة الأحكام الشرعية، ثم توفي ولده محمد زكي، وعمره ست وعشرون سنة في دمشق، فاضطر الى أن يحضر الى دمشق ، فأقام فيها أربعة أشهر ، ثم عاد الى الاستانة ، وأقام في محلة أيا صوفية ، واستقدم أسرته من دمشق ، وفي رمضان من سنة ١٢٨٧ﻫ عصى على الدولة العثمانية امير جبل عسير محمد باشا ابن عائض ، وحشد كثيراً من قبائل العرب ، وحاصر الحديدة ، وهي مركز المتصرفية ، فصدرت ارادة سلطانية بسوق فرقة من العساكر من الاستانة، تحت رياسة رديف باشا الفريق،

وأن يذهب معه المترجم قومسيرا وقاضياً مع الفرقة المذكورة ، فتاخر عن السفر لمرض عاقه عن ذلك ، وبعد أن قتل الامير المذكور ، ورد اشعار من امير مكة ، ومن والي الحجاز بسوء حال علي باشا شريف الحلبي متصرف اليمن ، وفيه يلح بارسال مأمور من طرف الدولة الى الحجاز واليمن ، لتحقيق أحواله وأحوال غيره ، فانتخب مجلس الوكلاء المترجم لهذه الوظيفة ، وصدرت الارادة السلطانية ، القاضية بتوجهه الى اليمن ، وجعل له خرج طريق خمسة وسبعون الف قرش فوق راتبه ، ثم عين فوق ذلك رئيساً لمجلس تشكيل ولاية اليمن وجعل له راتب لقاء ذلك عشرة آلاف قرش ، فأرسل أهله الى الشام ، وجعل يتلكأ عن السفر ، لأنه غير راغب فيه ، فتذاكر مجلس الوزراء بتوجيه رتبة الوزارة عليه ، وتعيينه والياً على جدة بدلاً من واليها خورشيد باشا ، لنفرة أهل الحرمين منه وتمردهم عليه ، وفي خلال ذلك توفي الصدر الأعظم عالي باشا ، وخلفه ناظر البحرية محمود نديم باشا ، فاخبر ناظر الداخلية المترجم ، ان لم يبق حاجة لذهابه الى اليمن ، فاطمأن ، وبقي مثابراً على وظيفته عضواً في مجلس الشورى ، ولكن أمد ذلك لم يطل ، ففي اليوم الخامس من رجب جاءه كتاب يذكر فيه : ان الارادة السلطانية صدرت بصرفه من مجلس الشورى ، مع ثلاثة من العلماء ، وستة من الوزراء ، فعقد النية على الشخوص الى دمشق ، ثم أخبره الصدر ان الارادة السلطانية صدرت بتعيينه لليمن ، فاعتذر ، وتقاعس أياماً ، فصدرت ارادة قطعية بلزوم ذهابه الى اليمن ، فركب السفينة يوم الخميس في الثامن عشر من شهر شعبان ، ووصل الى جُدّة في العاشر من شوال ، وذهب من وقته الى مكة ، فوجد عند قرية حَدّة(١) الشريف هاشم ، وشيخ المطوفين ،

---

(١) في معجم البلدان لياقوت ٢ : ٢٢١ : حدة منزل بين جدة ومكة من ارض تهامة في وسط الطريق .

وجماعة آخرين، ينتظرون قدومه، من قبل شريف مكة عبد الله باشا، فدخل مكة وقت الفجر، وأنزل في دار الضيافة، ثم ذهب الى الحرم فصلى وطاف، وذهب الى دار الشريف، فزاره، ثم عاد الى منزله، وفي اليوم الثالث زاره الشريف، وأعطاه الكتب التي وردت اليه من الصدر، ثم كتب الى أحمد مختار باشا والي اليمن ومشيرها يسأله عن كيفية شخوصه اليه، فورد اليه الجواب يستحثه على سرعة شخوصه الى القُنْفُذة ليسيرا معاً الى الحديدة، واذا تأخر لا يجد سفينة، فشخص في اليوم الخامس من ذي القعدة الى جدة.

هذا مالخصته من ترجمته التي كتبها بخط يده في مقدمة ديوان شعره، وقد فقد مابعد هذا، ومزق من يد أثيمة.

وله رسالة كتب فيها رحلته الى اليمن، ذكر فيها مالقيه في البر والبحر، وقد عثرت عليها، وفيها يذكر وصوله الى جدة كما في هذه المقدمة، وما بعدها مفقود بمزق.

وقد أخبرني والدي رحمه الله: أن عمه المترجم لما بلغ اليمن، رأى أن أعمال العسف والارهاق والقتل والارهاب ونحوها، مما كان يفعله الجند العثماني لايفضي الى عاقبة تحقن فيها الدماء، وتتوطد قدم الدولة، ويسود السكون والطمأنينة، فركب ذات يوم ومعه عريف من الجند، حتى جاوز العسكر، فرأى قرويا من تلك الديار، فسأله عن اقرب مكان اليه، وعن رؤساء ذلك الاقليم، فدله على قرية قريبة فيها رجل عالم من بني الأهدل، أنسيت اسمه، فذهب الى القرية، واجتمع به، وفاوضه مليا في أمر اصلاح اليمن، وعلم من حديثه أنهم يعتقدون في الترك انهم من الروم، لايدينون بالاسلام الا تقية، لما كانوا يرونه من عمال الحكومة من الاعمال المنكرة

والعسف ، والجور ، والانهماك في الملاذ ، والمجاهرة بالفسوق ، والاحتيال لاقتناص الأموال من الرعية ، من أي وجه كان ، الى غير ذلك من العقائد التي كانت تؤيدها أعمال العمال ، فكشف المترجم شبهته واقنعه ان الحكومة اسلامية ، ولا يسوغ الحكم عليها جميعا بالمروق من الدين ، لشذوذ بعض رجالها عنه ، فاطمأنت نفس الشيخ الى قوله بعد أن اختبر علمه بالفقه والتصوف ، وثبتت لديه معرفته بالحديث وغيره من علوم الدين واللغة ، وكان أمير الجبل اطوع لهذا الشيخ من بنانه ، واتبع له من ظله ، فتعهد الشيخ أن يزوره في المعسكر على أن يكون في ذمته وخفارته ، فضمن له السلام والراحة ، ثم زاره ليلا فلما قرب الفجر أوعز المترجم الى قواد المعسكر أن يأمروا الجند أن يؤذنوا ويصلوا جماعة ، ولا يقصروا بشيء من الشعائر الدينية ، فلما سمع الشيخ الأذان سأل المترجم عنه ، فأخبره بان الجيش يؤذن لصلاة الفجر ، ثم خرج به فطاف في ناحية من المعسكر ، فسره مارآه من معرفتهم الشعائر الاسلامية ، وبعد الصلاة ، ودعه وانصرف ، فشيعه الى خارج المعسكر ، وتعهد له أن يأتي بالامير في الليلة القابلة ، ليريه مارأى ، على أن يكونا في خفارته ايضاً ، فقبل وجاء بالامير ليلا هو والشيخ ، وانتظره بعيدا عن المعسكر طائفة من رجاله وجنده ، فرأى أكثر مما رأى الشيخ قبله ، واقنعه المترجم بذلاقة لسانه وقوة برهانه ، فتغير اعتقاده في الحكومة ، وقدم الطاعة للدولة ، وتعهد أن يقدم ماعليه من الاموال اقساطا ، وحقنت تلك الدماء الطاهرة بحكمة المترجم ، وحصافة رأيه .

ولكن عمله هذا لم يرق لبعض رجال الحكومة الذين لا يرضيهم الا اهراق الدماء ، وسلب الاموال ، واستحياء النساء ، وما شاكل ذلك من

الفظائع والمنكرات ، فكتبوا الى الاستانة أن المترجم عربي والاميرعربي ، وقد كادا للحكومة بهذه الطاعة ليصرفا الجند ، ثم يعود الامير وجماعته لما كانوا عليه من الفتن والحروب ، فلقي ذلك من رجال الدولة أذنا صاغية .

ولم يكد المترجم يصل الى الاستانة حتى رأى في وجوه القوم تنكراً، وفي نفوسهم ازورارا عنه ، ثم تبين لهم بعد البحث والتحقيق أن ذلك افتراء عليه ، لأن رجال الحكومة في اليمن لم يوفقوا الى مثل ماوفق اليه المترجم، فأرادوا أن يلصقوا به هـــذه التهم لينال العقاب ، بدلا من الثواب ، ثم ان الحكومـــة اكبرت عمله هذا ، وعينته رئيسا لديوان التمييز في دمشق نحو سنة ١٢٨٩ ﻫ ، وبقي في دمشق الى ان توفي .

وقد كان رحمه الله حوّلا قلّبا ، أريبا جلدا على نوائب الدهر ، يقظا، حذرا ، حصيف الرأي ، ثاقب الفطنة ، حاضر البديهة ، محكم الجواب ، فياض القريحـة . ذكر في إعلام النبلاء (١) نقلا عن مجموعة جميل افندي الجابري : ان رشدي(٢)باشا الشرواني عين والياً على دمشق سنة ١٢٧٩ ﻫ ، وكان مفتيها امين افندي الجندي ، وكانت بينهما مودة وصحبة ، ثم كتب الشـــرواني الى دار الخلافة بلزوم عزل امين افندي من منصب الافتاء ، واسدائـــه الى الشيخ محمود افندي الحمزاوي بدون سبب ، وبعد ان تم الحال على ذلك ، وجد الباشا في محفل عظيم فيه كثير من افاضل دمشق ووجهائها ، وفيهم أمين افندي الجندي فاخرج الباشا ورقة فيها هذا البيت :

---

(١) راغب الطباخ : إعلام النبلاء ٧ : ٢٧٦ (ج)
(٢) تقدم انه راشد (ج)

إنّ الأفَاعِي وإنْ لانَتْ مَلامِسُهــا
عِنْدَ التَقَلُّبِ في أنيابِهــا العَطَبُ[1]

وطلب من الحاضرين تخميسه ، وكان يقصد من ذلك ان يقف على بداهة كل منهم بحسب الظاهر ، وأن يبكت امين افندي في الباطن ، فنظم كل منهم ماسامحته به قريحته ، واما أمين افندي ، فاعتذر بقلة بضاعته ، واشتغال باله ، فلم يقبل اعتذاره ، وألح عليه الحاضرون بتخميسه ، ولما لم يجد بداً منْ ذلك كتب ارتجالاً :

لاتَغْتَرِرْ بِلَيــالٍ نَامَ حارِسُهــا
ولا بِدَوْلَةِ فِسْــقٍ أنتَ فارِسُهــا
واحذَرْ أُسودَ الوغى يوماً تُدانِسُها
إن الأفاعي وان لانَتْ ملامسُهــا
عِنْدَ التَقَلُّبِ في أنْيَابِها العَطَبُ

ثم أعطى الباشا الورقة ، فلما قرأها خجل خجلًا زائدا ، وندم على مافرط منه ، وقد سمعت هذه القصة من جماعة من دمشق .

وسمعت من جماعة أن المترجم كان ينظم القصيدة الطويلة بدون مهل ، وفي ديوانه كثير من الأبيات التي قالها ارتجالا .

وله مواطن كثيرة تدل على شجاعته ، ورباطة جأشه غير ماتقدم ،

(١) البيت منسوب لعنترة بن شداد العبسي الجاهلي . انظر ديوانه ط ص ٩٢ .

منها : انه هجا ابراهيم باشا المصري بقصيدة مثبتة في ديوانه ، فلما بلغته أحفظته، وجد في طلبه ، وبث له العيون والأرصاد، فأختبأ في دار مفتي حلب، وأظن انه عبد الرحمن افندي المدرس ، ولا يعلم احد أين هو إلا رجل كان يأخذ كتبه الى ابيه بالمعرة ، ويأخذ كتب ابيه اليه ، فلما أعيت الحيلة ابراهيم باشا، ارسل الى أبيه يتوعده إن لم يسلم ابنه اليه حين قدومه الى المعرة ، وكان ابوه لا يعلم مقره ، فكتب اليه كتابا يعلمه بذلك ، فخف الى المعرة واختفى ، حتى قدم ابراهيم ، ونزل خارج البلدة ، وضرب له فسطاط عظيم ، ثم دعا اعيان البلدة ، ورجال الحكومة الى مجلسه ، فحضروا ، وفيهم المترجم وابوه ، فجلسا عن يمين الباشا .

فدخل رجل من أهل المعرة ، كان خلف المترجم في وظيفته ، بعد فراره واختفائه ، وقدم الى الباشا رقيعة ، فلما أتم قراءتها سأل المترجم عن صاحب الرقيعة ومكانته وسيرته ، فأثنى على سلفه ، واستعطف الباشا عليه ، وحضه على بره وإكرامه ، فاستشاط غضباً ، ووثب قائماً ، وقال له : هذا الرجل يوغر صدري عليك ، وعلى ابنك ، وانت تستعطفني عليه ، ثم القى اليه الرقيعة ليقرأها ، فقرأها ، فاذا بصاحبها يذكر الباشا بقصيدة الهجاء ، ويصمه هو وأباه بانحيازهما للدولة العثمانية ، ولم يدع نقيصة إلا ألصقها بهما ، ولا خصلة تثير السخط إلا نسبها اليهما ، فلما فرغ من قراءتها عاد الى استعطاف الباشا مرة ثانية ، ففكر ملياً ، ثم قال له : أين ابنك ؟ فقال : هذا هو ، فقال له الباشا : يا أمين قم الى منصبك ، فقد عزلت هذا الدنس ، وأمر بسجنه ، ومعاقبته ، فرجاه المترجم وأبوه ألا يؤاخذه على عمله ، فعفا عنه ، ولم ينل المترجم منه إلا البر والعطف ، وجعل نفسه كأنه لا يعلم من أمر الهجاء شيئاً ، ثم ارفض الجمع ، وقد أكبروا حلم الباشا وسعة صدره وعفوه وعقله .

وكان مدة حياته مخلصاً للدولة العثمانية ، وتقلد وظائف مختلفة ، منها ماتقدم ذكره ، ونال رتباً عالية ، آخرها رتبة استانبول ، ولكن اتفق وصول الأمر بها عقب موته بايام ، ونال أوسمة كثيرة ، ورأيت فرمانا من السلطان عبد المجيد مؤرخاً في غرة ربيع الاول سنة ١٢٧٢ هـ ، يتضمن توجيه ربع قيراط من فراشة الروضة المطهرة ، وصكا من خطيب وامام المحراب النبوي حافظ حسين الفراش بالحرم ، مؤرخا في ذي الحجة سنة ١٢٦٧ هـ ، يذكر فيه ان ربع قيراط فراشة الحجرة المعطرة والروضة المطهرة ، وجهت على المترجم ، محاولة عن والده مفتي المعرة ، مختومة بخاتم هذا نصه : الراجي شفاعة سيد المرسلين بري زاده محمد يحيى شيخ الفراشين بالحرم النبوي سنة ١٢٦١ هـ

والظاهر انه ضاق ذرعاً في آخر حياته بما لقيه من بعض الولاة والعمال، وإصاختهم الى الوشاة والسعاة ، فعمد الى شق عصا الطاعة ، وألف جمعية في دمشق كان هو رئيسها ، وقد انضوى اليها عدد كبير من علماء دمشق وسراتها، وبعض قناصل الدول ، وكانت غايتها انشاء حكومة وطنية ، وفي آخر ليلة من اجتماعهم قرروا الخروج في القضية من القول الى الفعل ، فأصبح المترجم ميتاً ، قيل : انه اعتراه فالج حاد ، وانحل ذلك العقد الذي كان واسطته ، وذلك في سنة ١٢٩٥ هـ ، هكذا سمعت من بعض شيوخ دمشق الذين كانوا يتجاهلون هذه القضية ، ويحاولون كتمها خوفاً من الحكومة التركية .

وقد ولد له أولاد كثيرة ، لم يعمر منهم غير كمال وزكي ، اما الاول فقد ولد سنة ١٢٦٢ هـ ، ومات عقيما سنة ١٢٨١ هـ ، واما الثاني فقد ولد سنة ١٢٥٩ هـ ومات حين كان ابوه في الاستانة سنة ١٢٨٥ هـ ، وقد ولد لزكي ولد سماه أمينا سنة ١٢٨٢ هـ ، وتوفي سنة ١٣١٩ هـ عقيما ، وبموته انقرض فرع جده أمين .

اما آثاره العلمية والادبية فقد ترك ديوان شعره بخطه ، وفيه مدح للنبي -ﷺ- واصحابه ، وطائفة من الملوك ، والوزراء ، وشيوخ الاسلام ، والعلماء ، والاعيان ، وهجاء ، ورثاء ، وتواريخ الولادة ، والوفاة ، والابنية ، والوظائف ونحوها ، وغزل ، ونكات ، وتخميس لامية الطغرائي ، وغيرها .

وفي الجملة نظم الشعر في الأغراض التي يتداولهـا الشعراء في عصره ، وشعره كما قال الأصمعي في شعر أبي العتاهية : كساحة الملوك فيها الجوهر ، والذهب ، والتراب ، والنوى .

وله قصة مولد نظم ، وارجوزة سماها (نصائح الغلمان) وشرح رسالة الشيخ رسلان الدمشقي في التصوف ، التي أولها « ايها الانسان كلك شرك خفي » ونظم اسماء اهل بدر ، ونظم علم الحال بعد ترجمته الى العربية ، ومجموعة فتاوى لازالت مسودة ، وهي في مكتبتي ، وله كتاب ترجمة فضائل الشام في اللغة التركية .

وهذه الآثار كلها محفوظة في مكتبتي ، وله مجاميع فيها من كل شيء ، ولكنني لم أطلع عليها لانها عند ابناء عمنا في المعرة ، وقد ضنوا بها علينا ، وان كنا نحن أهلها .

وقد مدحه في حياته طائفة من الفضلاء ، والعلماء ، والشعراء ، الشاميين ، وغيرهم .

منهم : السيد محمد أسعد العظمي ، مدحه بموشح أوله :

أَجُفُونٌ أَمْ سُيوفٌ تُنْتَضى وَسِهامٌ أَمْ لِحاظُ الأَعْيُنِ
كُلُّ مَنْ عايَنَها وَجْداً قَضَى فَهِيَ أَسْبابُ البَلا والمِحَنِ

وبقصيدة مطلعها :

هاتي حديثهُمُ صَبا يَبْرين فَمِنَ الجوى خَبَرُ الهوى يَبْرِيني

ومنهم : السيد عبد الغني الرافعي الطرابلسي ، مدحه بقصيدة مطلعها :

وَفَتْ بِوُعودِ القُرْبِ مَنْ كانَ طالباً
وَلَمْ تلوِ في وَصْلِ المُحِبِّ مطَالبا

وبقصيدة أبياتها نحو ستين بيتاً مطلعها :

لاحَ في الخدِّ لامة أولواءُ مَا لِقَلْبِي عن الحبيبِ التواءُ

ومنهم : السيد محمد خالد الأتاسي المفتي بحمص ، مدحه بقصيدة مطلعها :

بَدَتْ فَأَذَّنَ داعي الأُنْسِ في الأُمَمِ
هَيْفاءُ تَسْحَبُ ذَيْلَ العِزِّ عَنْ أَمَمِ

وبأخرى مطلعها :

مَطِيَّةَ آمالِ الغريبِ المُشَرَّدِ
دَعِي العَسْفَ اذْ لَيْسَ العَسوفُ بِمُهْتَدِ

ومنهم : السيد محمود الحمزاوي ، مدحه بقصيدة مطلعها :

إليكُمْ مُنْتَهى رُتَبِ الكمالِ بَنِي العبّاسِ يا أَهْلَ المَعَالي

ومنهم : السيد عبد الله أبو النصر الطرابلسي ، مدحه بابيات اولها :

هذا مقامُ إمامٍ للّهِ فيهِ عِنايهْ

وبأبيات مطلعها :

إنّ الذي عمّ الأنامَ نَوالُـــهُ ... جَمعَ الفضائلَ في ابنِ عمِّ المصْطَفى

ومنهم : نقيب اشراف حمـاة السيد نوري الكيلاني ، مدحه بقصيدة تاريخها سنة ١٢٧٧ هـ مطلعها :

صُبحُ الهَناءِ بَدَتْ بدُورُ سُرورِهِ ... فَمحَا دُجا الأَتْراحِ نورُ ظهورِهِ

ومنهم : السيد أبو السعود غازي ، مدحه بقصيدة مطلعها :

رُسُلٌ بلَحْظَيْهِ للعُشّاقِ كَمْ سَحَروا ... مَعْ أنّهمْ آمنوا فيها وَمَا كَفَرُوا

ومنهم : السيد محمد الأزهري ، مدحه بقصيدة مطلعها :

تُخْفي الهوى والوَجْدُ عَنْكَ يُبينُ ... وتَصونهُ وَعَلَيْكَ نَمَّ أنينُ

ومنهم : السيد سليم الحصني ، مدحه بقصيدة مطلعها :

حَلَفْتُ نَعَمْ حَلَفْتُ ولا أَمينُ ... بأنَّ السَّبْقَ أَحْرَزَهُ أَمينُ (١)

وهنأه بالبرء من مرضه بقصيدة مطلعها :

الحمدُ للهِ زالَ الهمُّ والسَّقَمُ ... وَقَدْ تخطّى إلى أعدائِكَ الأَلَمُ

وكتب اليه ابياتاً مطلعها :

يَا سيّداً حارَ العُقولُ بِوَصْفهِ ... يا طيّباً وَلَهُ الثَّناءُ الطَّيِّبُ

(١) أمين في الشطر الاول : من مان يمن أي كذب. وأمين في الشطر الثاني: اسم الممدوح ، وقد جانس الشاعر بينهما .

ومنهم : السيد مرتضى الحسيني ، مدحه بقصيدة مطلعها :

طَلَعَتْ عليكَ بطَلْعةٍ وجبين | كالشمسِ في الإشراقِ والتَّكوِينِ

ومدحه أبو الهدى الصيادي ، حين قدم دمشق بقصيدة ، مطلعها :

وَرْدُ المَحَبَّةِ رَاحَ يَحْمِلُ ياسَمِينْ | وَجَبِينُها بِقَصِيدتي كُسِيَ اللُّجِينْ

وفيها يقول :

هُو دُرُّنا المُخْتارُ والمَوْلَى الذي | بِجَنابِه سُدْنا فلَمْ نَخْشَ المَشِينْ
عَمِرَتْ به الفَتْوى ومُذْ تَمَّتْ به | تَرَكَ الظَّواهرَ آخِذُ الأصلِ المكينْ
أَهْدَيتُه بقصيدةٍ أَرْجُو بها | جَبْري وحُسْنَ قَبولِ أدنى المادحينْ
شخصٌ لسيِّدنا الرفاعي يَنْتَمي | وبِكَ النَّزيلُ وأنتَ كنزُ النازلينْ
وَهُوَ القَوِيُّ على عبارةِ مَدْحِكُمْ | وعلى خِزانةِ حُسْنِها أَبداً أَمينْ

والقصيدة ثمانية عشرة بيتا كلها على هذا النمط .

وقد عثرت بين اوراقه ـ رحمه الله ـ على كثير من القصائد، والمقطعات ، والموشحات ، والقطع النثرية ، التي تتضمن مديحه

وكان من المفيد جداً أن انقلها كلها او معظمها ، لأن في نقلها فائدة عظيمة للأدب ، لأنها بمجموعها تمثل صورة تامة عن حالتي النظم والنثر في ذلك العصر ، وتشعر بحالتيه في العصر الذي قبله ، والذي نحن فيه ، وتبين لنا مثلاً صحيحاً من انحطاط الشعر ، وانصراف الشعراء فيه عن ابتكار المعاني الرائعة ، والاخيلة الطريفة ، الى الاشتغال بالأمور التافهة من الصناعة البديعية .

ويدلنا دلالة واضحة على ضعف الملكات العربية الصحيحة الفصيحة ، وعلى تفشي اللحن الفاحش في شعر العلماء ، فضلاً عن غيرهم ، وعلى جهالتهم في العروض والقوافي ، فان الشاعر يسهل ما لايجوز تسهيله ، ويثبت همزة الوصل حيث يجب اسقاطها ، ويقصر الممدود ، ويفك المدغم ، ويرتكب الشيء الكثير من هذا القبيل ، حتى يستقيم له الوزن ، او القافية . وأغرب مارأيته في هذه القصائد والموشحات قصيدة قال صاحبها في مطلعها مايأتي :

« بما تجاسر الحقير على معاطاته نظم هذه القصيدة الحميني[1] ، وهو شعر خارج عن اوزان الشعر ، وبجوره المعروفة ، ولا يعذب الا باللحن ، والألفاظ الضعيفة الاصطلاحية ، وسمي الشعر الملحون ، فأحببنا أن يطلع عليه الماجد الهمام ... محمد أمين أفندي » وأطال في مدحه ثم قال : وهي :

اِحْنا خرجْنا من ذاك المحل السئيم خرجه بالسلامه

في اللطف اندرجنا من فضل الكريم الرحيم لانخشا[2] ملامه

كم في الحبس شفنا مِهْوالَهْ تفيض الحَليم وأَبصَرْنا وخامه

ماقط انزعجنا للأمرِ المُهيل العظيم مالموجب علامه

ثم اورد ثماني قطع على هذا النمط ، كل قطعة مؤلفة من اربع قطع وكل واحدة من هذه الأربع مركبة من ثلاثة اشطر على ثلاث قواف ، وكل ثلاثة اشطر على قافية واحدة ، واما الرابع فقد التزم في الاول النون مع الالف ، وفي الثاني الميم قبلها ياء ، وفي الثالث الميم قبلها الف ، وبعدها هاء كما ترى :

(١) هكذا رسمها في الاصل (ج) .
(٢) كذا في الاصل (ج) .

بالمولى المكمَّلْ مَنْ في القلب حُبُّه مكين مَحْمُودُ السجايَا
الشَّهْم المفضلْ السَّامي محمَّــد أمينْ مِفْرَاس الخبايَا
فِينَا قـدْ تَحَمَّلْ مِن اشْيَا تُشِبر الكَمين مِنْ هذي القضايَا
خَـلا الهمّ عنَّا والغيرَه طِباعُ الكريم قَطْعاً والشَّهامه

فقد التزم في الشطر الاول من الابيات الثلاثة اللام ، وفي الشطر الثاني النون ،وفي الثالث الياء ، والتزم نا في اول البيت الرابع ،والباء والميم في ثانيه ومَهْ في ثالثه ،ومضى على هذه الوتيرة في القصيدة كلها ،وهي تسع قطع كالقطعة المذكورة ، واللحن فيها كثير .

ومن اغرب مارأيت في هذه القصائد ايضا ، أن شاعرا مدح السيد أمين الجندي بقصيدة مطلعها :

سَنَا ذَوِي الفَضْل في الأَقْطَارِ قَدْ لَمَعَا
فِمنْهُ أَصْبَحَ نَهْجُ الحَــقِّ مُتَّبَعَا

ومدحه شاعر آخر بقصيدة هذا مطلعها ،وكلتاهما بغير تاريخ ،ولذلك لم نمكن معرفة السابق من السارق ، واسم احدهما عبد الغني وابيات قصيدته واحد وعشرون بيتا ، واسم الثاني أحمد ،وقصيدته خمسة عشر بيتا ،وقد اتفقا في اكثر الابيات بغير تغيير مطلقا ،وفي بعضها قليل من التغيير ، واسلوب الشاعرين اسلوب فقيه ،لأن في النظمين تورية ببعض اسماء كتب الفقه ، كالدر ،والبحر ،والكنز والدرر ، والوقاية ، والمختار ، والتوضيح ، والتصريح ، والهداية .

وقد كنت سمعت من والدي رحمه الله أن شاعرا من العلماء، مدح عمه السيد أمين المترجم بقصيدة ، أظنها تهنئة بمولود ، واظن ان مطلعها قوله :

أَبْشِرْ بِطَلْعَةِ مَنْ سُرَّتْ بـه البَشَرُ
وَطِيبُ رَيّاهُ في الآفاق مُنْتَشِرُ
ياصاحِ ليستْ أُوَيْقاتُ الهنا هِمَماً
لاباجتهادٍ ولا بالجِـدِّ تُنْتَظَرُ
إنَّ السَّعَادةَ وَعْدٌ مِنْ مُسَخِّرِها
ورُبَّما نالَهَا مَـنْ لَيْسَ يَنْتَظِرُ

فلما انشده اياها طربَ الحاضرون لقوله ، وأعجبوا بجودة شعره ، ولما فرغ من انشادها ، دفع اليه عمه المترجم دينارا عثمانيا ذهبا ، فنظر فيه الشاعر نظرة احتقار ، واستقلال ، فأنشده عمه من هذه القصيدة ابياتا، افهمه بها ان القصيدة ليست من شعره ، وان غيره سبقه في مدحه بها ، وان حيلته اتضح أمرها ، وافتضح بها ، فاخذ الدينار ، وولى .

هذا ماعلق بذهني من هـذه الحادثة ، وربما كان فيها شيء من الزيادة ، أو النقص .

وبعد هذا فقد وجدت في مدح المترجم ، انواعا من النثر ، والنظم ، من موشحات ، وازجال ، ومطرز ، ابتدأ في أول كل بيت بحرف من هذه الجملة (امين افندي الجندي) فجعل أول البيت الأول همزة ، والثاني ميما ،

والثالث ياء ، والرابع نونا ، وهكذا . ومطرز يتألف من مجموع حروفه أول شطر من ابيات القصيدة، وهو « ياأمين الله في الخلق الأمان » ، ورأيت قصائد لم يبين اسم قائلها ، وقصائد لم اتمكن من قراءة اسماء اصحابها، وقصائد لم أستطع قراءتها ، لانها مكتوبة بخط مغربي، او بخط لا يقرأ ، ومنها ماهو تهنئة بمنصب الفتيا ، او تهنئة بمولود ، او صوم ، او عيد ، او إبلال من مرض ، او نحو ذلك ، ولولا خشية الاطالة لاوردتها كلها ، واستخرجت منها صورة كاملة تمثل حالة الشعر والشعراء في القرن الثالث عشر .

ولما توفي رثاه كثير من الشعراء والعلماء ، منهم : الشيخ طاهر المغربي رثاه بقصيدة منها قوله :

كفى عِبْرةً منْ حادِثِ الدّهْرِ ماطَوى
وَسَوْفَ ترَى طيَّ الرّواسِي ولَوْ طوَى
وَهَلْ أبصرتْ عَيْنايَ في النّاسِ سيّدا
وذَا صَولَةٍ في دَهْرِهِ ثُمَّ مــــاثوى

ومنها :

وَلَو كَانَ يُنجِي المجدُ أَنْجَى منَ الرَّدى
أَمينَ العُلا الجُنْدِي الذي الفَضْلَ قدْ حوَى
هُمامٌ غَـــدَا في عَصْرِهِ مُتَفَرِّدا
رَوَى مِنْ مَعَالي مَجْدِهِ كلٌّ مَنْ رَوَى

الى أن يقول :

فقَالَ الرجا للعَفْو والبِشْرِ أَرِّخُوا

هَناءُ أَمينِ المَجْـــدِ في جَنَّةٍ ثوَى

ورثاه السيد الكيلاني بخمسة أبيات آخرها :

لبــــا[1] ونـــالَ مؤرِّخَا في جَنَّةِ الْخُلْدِ الهَنَـــا

ورثاه أسعد العظم بخمسة أبيات آخرها :

فَحُزْتَ نَعيماً أَرِّخُوهُ مؤبَّداً

فِمنْ جَنَّةِ الأُولَى إلىَ جَنَّةِ الأُخْرَى

ورثاه الشيخ محمد الهلالي بأربعة أبيات آخرها :

حِينَ نَادَاهُ بتَارخِ الوَفَا جَنَّةُ المَأْوَى أُعِدَّتْ لِلأَمينْ

ورثاه السيد عبد الغني الجندي بخمسة أبيات آخرها :

لِوَفَاتِه قَدْ صَاحَ تارِيخٌ وَفَا قدِمَ الأَمِينُ وَزُخْرِفَتْ جَنَّاته

وللمترجم شعر جميل ، منه قوله في ثقيل لقي منه نصباً في سفر :

وَلو أنَّ للإِنسانِ في الأرضِ جَنَّةً

مُخَصَّصَةً دونَ الأنامِ لِنَفْسِهِ

---

(١) كذا في الاصل (ج) .

وَمَالاً وأَوْلاداً وَعِزّاً وَرِفْعَـــةً
وَتَاجاً عظيمَ القَـــدْرِ من فَوق رأسِه
وَتَخْشاهُ سُكّانُ الملا وتُجِلُّهُ
ملوكُ الورَى والأُسْدُ تَعْنو لبأسِه
وكانَ قَريرَ العَيْنِ حالَ شَبابِهِ
مُعافىً منَ الأسقامِ زاهٍ[1] بعِرْسِه
لمَا عادَلتْ تلكَ المَسرّاتُ ساعةً
يُصاحِبُ فيها غيرَ أبنـــاءِ جنسِه

وقوله من أبيات :

وَقَالوا دمشقُ الشّامِ في الأرضِ جَنّةٌ
فقلتُ نَعَـــمْ حُفَّتْ إذاً بالمَكَارِه
وفيها مِن الوِلْدانِ والحُورِ مَنْ إذا
تَلَطَّفَ ظَرْفاً ســـالَ ضِمْنَ إزاره
وقالوا : وأنهارٌ بهـا قَـدْ تَدَفّقَتْ
فقلت ويَسْقي بعضُهُمْ زَرْعَ جاره

(١) كذا في الاصل (ج)

وقالوا : لهـا أهلٌ فقلتُ أهِلّةٌ

يُجَمّـــلُ كلٌّ منهمُ في دثارِه

وكم سيِّدٍ منْهم يُشار لذاتـــه

لِيدري به في النّاسِ من لم يُـــدارِه

بُحورٌ فحـــدِّثْ من لَقِيتَ بعظْمِها

صُدورٌ وكلٌّ زانَ مَجْلسَ دارِهِ

يُلاقُونَ بالبُشْرَى ويَلْقَوْنَ بالنَّدى

فَيَنْقَلِبُ الآتي لهمْ غـــيرَ كارِه

سأُثْني عَلَيهمْ مـا بَقِيتُ وإنّني

أُحَدِّثُ عن رَهْطٍ بمـا في خبـاره[1]

القاضي جـابر بن ابراهيم بن علي بن فرج بن شمس الدين بن وادع التنوخي. القضاعي، الشافعي ، القاطن بجبل الاعلى من معاملة حلب [2] .

ولي نيابة القضاء به ، وكان شاعراً ماهراً ، عارفاً بالعروض والقافية ، وطرف من النحو ، ملماً بكثير من متن اللغة ، ونوادر الشعراء ، وأشعار العرب .

(١) وانظر : الحسيبي ، مجموعة ٦٣/١ ، عام ٦٦٨ ؛ ظاهرية (مخطوطة) ، عبدالرزاق البيطار حلية البشر ، ادهم الجندي : اعلام الادب والفن ١ : ٣١ ـ ٣٤ ، جميل الشطي : روض البشر : ٥٤ ـ ٥٦ ، اديب تقي الدين : منتخبات التواريخ لدمشق ٢ : ٦٤٣ ـ ٦٤٥

(٢) نقل في إعلام النبلاء للطباخ ترجمته عن در الحبب ، وفيها شيء من التحريف والسقط ، فاختصرنا منها ذلك (ج) .

وحافظاً لكثير من مقامات الحريري ، وكان يحضر بمجلسه العلامة الموصلي ، فيسأله أن يسرد عليه شيئاً منها ، ليذاكره في عباراتهـا ولغاتها ، وكان حسن الخط ، فصيح اللسان، ويزعم انه من ذرية أخي ابي العلاء المعري ، وكان متهما بانحلال العقيدة ، بل باعتقاد مايوجب الكفر .

وقد كتب اليه بعض أعيان حلب لأمر وقع بينهما: السلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى ، وأطاع الملك الأعلى ، وان كان بالجبل الأعلى وله شعر كثير ، منه قصائد نظمها على حروف الهجاء ، وسماها بالعقد العالي، في مدح الكمالي ، وأهداها الى قاضي القضاة كمال الدين محمـد الشافعي ، وجعل الأول منها قوله :

طابَ الزمانُ وراقتِ الصَّهْباءُ ... وَشَدَتْ على أوْرَاقِهَا الوَرْقاءُ
وَأدَارَهَا السَّاقي عَلَيْنا في الدُّجى ... كَانتْ لِدَاءِ القَوْمِ نِعْمَ دَوَاءُ
سَاقٍ لَهُ وَجْهٌ حَكَى بَدْرَ الدُّجى ... وَطلا الغَزَالِ وَمُقْلَةٌ كَحْلَاءُ
يَرْنُو الى النُّدَمَا فيُسْكِرُ طَرْفَهُ ... غُنْجاً وَلاَ شُهْدٌ[1] وَلاَ إغْفَاءُ
كَالبَدْرِ حَازَ بِكَفِّهِ شَمْسَ الضُّحَى ... في فِتْيَةٍ تَحْكِيهِمُ الجَوْزَاءُ
فَاشْرَبْ وَلاَ تَدعِ السُّرورَ بِهَا فَقَدْ ... غَفَلَ الوُشَاة وغابتِ الرُّقَبَاءُ
سَمَا وَقَدْ مَدَّ الرَّبيعُ بِسَاطَهُ ... مِنْ بَعْدِ ما قَدْ جَادَتِ الأَنْواءُ
حَاكَتْ بِهَا أَيْدِي الزَّمانِ زخارِفاً ... فَيُرى بِهَا الصَّفْراءُ والحَمْرَاءُ

---

(١) كذا في الاصل ولعله سهد (ج) .

يَزْهو بأزْهَارٍ تَخَالَفَ نَوْرُهَا ... يَصْبُو إليها القَلْبُ والحَوْبَاءُ
وإذَا تَضِنُّ الغَادِيَاتُ بِوَبْلِهَا ... مِنْ كَفِّ قاضِيهَا يَسُحُّ نَدَاءُ
أَعْني كَمالَ الدِّينِ ذَا الفَخْرِ الذي ... شَهِدَتْ به الأَمْواتُ والأَحْيَاءُ
الشَّافِعِيِّ التَّاذفيّ وَمَنْ غَدَتْ ... تُمْحَى بِهِ البُؤسَاءُ وَالضَّرَّاءُ
البارعُ الشَّهْمُ الهُمَامُ وَمَنْ بِهِ ... صُلِحَ الوَرَى واستبت[1] الأشْيَاءُ
تَلْقَى طِبَاعَ الخَيْرِ فِيهِ غَزِيرَةً ... زِينَتْ بِهِ الغَبْرَاءُ والشَّهْبَاءُ
ذُو هِمَّةٍ تَعْلُو الكَوَاكِبَ رِفْعَةً ... لَيْسَتْ تُنَالُ وَلاَ لَهُ أَكْفَاءُ
وَلَهُ المُرُوءَةُ وَالفُتُوَّةُ وَالوَفَا ... وَفَضَائِلٌ وَمَنَاقِبٌ وَسَخَاءُ
هُوَ كَامِلٌ في كُلِّ فَنٍّ عَالِمٌ ... وَلَهُ التُّقَى وَفَصَاحَةٌ وَذَكَاءُ
كَمُلَتْ مَنَاقِبُهُ الحِسَانُ وَغَيْرُهُ ... كَمُلَتْ بِهِ الضَّرَّاءُ والفَحْشَاءُ
شَتَّانَ مَابَيْنَ اللِّئَامِ وَبَيْنَهُ ... وَبِضِدِّهَا تَتَمَيَّزُ الأَشْيَاءُ
لاَ زَالَتِ الأَيَّامُ تَخْدمُ سَعْدَهُ ... مَا عُوقِبَ الأَنْوَارُ والظَّلْمَاءُ

وله فيه مدائح كثيرة جداً منها قوله من قصيدة مطلعها :

هَوِيتُ غَزَالاً جَعْدُه وَجَبِينُهُ
وَجفانُه والجِيدُ جِيماتُ أرْبَعُ

(١) كذا في الأصل (ج) .

وَحُمْرَةُ خَـــدَّيْهِ وَجَوْهَرُ ثَغْرِهِ
وَسَابِعُهَا جِـــيمُ العَجِيزَةِ تَتْبَعُ

كَجِنْحِ دُجًى والفَجْرُ والجَفْنُ يُنْتَضَى
جِرازاً لِقَتْلي والجِـــدَايَة تَتْلَعُ

وَجُـــورِيُّ وَرْدٍ والجُمَانُ مُنَظَّماً
وَأَمْوَاجُ لُجٍّ هَائِجٍ تَتَـــدَفَّعُ

ومن جملتها :

سَوَاءٌ عَلَى المَحْبُوبِ إِنْ صَدَّ أَوْ وَصَلْ
وإِن مَرِضَ الصَّبُّ المُعَنَّى وَإِنْ نَصَلْ

أَقَلْبُكَ مِنْ قَيْنٍ شَديـــدِ قَسَاوَةٍ
عَلَى العَاشِقِ المِسْكِينِ أَمْ قُدَّ مِنْ جَبَلْ

تَقَرَّحَ جَفْنِي مِنْ دُمُوعِي وَمُهْجَتِي
بِهَا مِنْ غَرَامٍ فِيكَ جَمْرٌ قَدِ اشْتَعَلْ

فُتِنْتُ بِبَـــدْرٍ كُلُّ مَافِيهِ فَاتِنٌ
مِنَ الشَّعْرِ والخَدِّ المُؤَثَّرِ والمُقَلْ

وَجَعْدٍ وجيدٍ والنُّهودِ وَصَدْرِهِ
كَلَوحٍ مِنَ البلَّوْرِ والخَصْرِ والكَفَلْ
أَقُولُ لَهُ صِلْني فَيَضْحَكُ هَازِئاً
وَلاَ يَنْثَني نَحْوِي فَيُدْرِكُني الخَجَلْ
فَقُلْتُ لِقَلْبي دَعْ هَوَاكَ وَسِرْ بِنَا
إلَى مَنْ لَهُ فَخْرٌ وَمَجْدٌ قَدِ اكْتَمَلْ

وهي طويلة، وذكر ذات مرة مراتب الشعراء، فقال: ان اشعرهم الخنذيذ، ثم الملفق(١)، ثم الشاعر، ثم الشويعر، ثم الشعرور، فانشده بعضهم في نظم مراتبهم:

مَرَاتِبُ نُظَّامِ القَوَافي تَفَاوَتَتْ
وَكُلُّ فَصِيحٍ مِنْهُمُ فَهْوَ مَشْكُورُ
فَأَشْعَرُهُمْ خِنْذِيذُهُمْ ثُمَّ مُلْفِقٌ(٢)
فَشَاعِرُهُمْ ثُمَّ الشُوَيْعِرُ شُعْرُورُ

وتوفي في جمادى الاخرة سنة اثنتين واربعين وتسعمائة. عفا الله عنه (٣)

---

(١) كذا ولعله مفلق (ج).
(٢) كذا ولعله مفلق (ج).
(٣) انظر الغزي : الكواكب السائرة ٢ : ١٣٠ ، ١٣١ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٨ : ٢٤٨ .

جابر بن زيد بن عبد الواحد بن عبد الله بن سلمان :

ذكر القفطي أنه كتب باذن عم أبيه ابي العلاء اجازة منه للشيخ ابي الحسن يحيى بن محمد الرازي الكرداني بالجزء الثاني من ذكرى حبيب في المحرم سنة ٤٤٨هـ .

وقال ابن العديم : ان زيدا له ولد اسمه منافر ، فلعله محرف عن جابر وذكر مرة اخرى انه شاكر ، وسيأتي عن بغية الطلب ، والظاهر ان جابراً هذا كان يكتب لعم ابيه .

وقد قال ابن العديم : انه وقف بخطه كتبا من تصانيف عم ابيه ابي العلاء ، تدل على فضله وحسن نقله ، وليس له عقب في المعرة ولا غيرها .

جعفر بن احمد بن صالح بن جعفر بن سليمان بن داود بن المُطَهَّر :

يجتمع نسبه مع أبي العلاء ، في سليمان بن داود ، وكان من اعيان كتابه ، وكتب الكثير عنه ، وقرأ عليه كثيراً من كتب الأدب ، وروى عنه ، وخطه على غاية من الصحة والضبط ، على ماذكره ابن العديم في الانصاف .

جعفر بن علي بن المُهَذَّب التنوخي ، المعري :

ذكره في الانصاف في جملة من روى عن ابي الحسن سليمان بن محمد بن سليمان بن احمد ، وسليمان هذا توفي بحمص سنة ٣٧٧ هـ ، وجعفر هذا هو الذي رثاه ابو العلاء بقصيدته الرائعة التي يقول في مطلعها :

أَحْسَنُ بالواجِدِ مِنْ وَجْدِهِ صَبْرٌ يُعِيدُ النَّارَ في زَنْدِهِ(١)

(١) شروح سقط الزند : ق ٣ ص ١٠٠٦ ، ١٠٠٧

وفيها يقول :

فَلْيَذْرِفِ الجَفْنُ عَلَى جَعْفَرٍ إِذْ كَانَ لَمْ يُفْتَحْ عَلَى نِدِّهِ

ويدل قول ابي العلاء فيها :

فَيَا أَخَا المَفْقُودِ فِي خَمْسَةٍ كَالشُّهْبِ مَا سَلاَّكَ عَنْ فَقْدِهِ

على أن له أخـــا ، وخمسة من الأولاد ، ولقد رأيت لبعضهم أن جعفراً توفي نحو سنة ٤٣٥ ﻫ .

جَهير بن محمد التنوخي :

ذكر ابن العديم في الانصاف : انه ولي معرة النعمان ، وان بني جهير ينتسبون الى غنم بن الساطع التنوخي .

وقد تقدم في حوادث سنة ٢٨٨ﻫ(١)، ان لؤلؤا والي المعرة ، غلام وصيف بن صوراتكين ، امير حمص ، حفر خندقاً على المعرة ، وان جهيراً المذكور حاصرها هو وبنو كنانة ، ثم انصرف عنها ، ولم يستطع فتحها بعد حرب طويلة

ابو علي الحسن بن زَمَّام بن يوسف بن يعقوب الحَدِيثي (٢) :

كان من أهل العلم والأدب والبلاغة ، واليد الباسطة في الانشاء ، والخط الحسن ، كتب بخطه الكثير ، وسمع الحديث ، وقرأ الأدب والعلوم العقلية ، وله شعر جيد ، مولده نحو سنة ٥٨٧ ﻫ بحلب ، كما قال ياقوت في المشترك (٣).

---

(١) الجندي : تاريخ معرة النعمان ١ : ١٠٧

(٢) نسبة الى الحديثة قرية من قرى المعرة (ج)

(٣) ياقوت : المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ص ١٢٣

الامير أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أحمد بن عبد الجبار بن أبي حصينة التنوخي المعري :

وبنو حصين ينسبون الى اسحم بن الساطع التنوخي كما تقدم(١) . قال السمعاني ، وبيت ابي حصين التنوخي كلهم فضلاء شعراء ، منهم : الإمام البيان (٢) التنوخي ، وابو المجد ، وابو العلاء ، وابو صالح ، وابو المعالي ، التنوخيون .

هكذا جاء في كتاب الانساب ، ولعل الأصل الامام ابو البيان . وأما ابو المجد ، وابو العلاء ، وابو صالح ، فهم من تنوخ ، وليسوا من بيت ابي حصين ، كما تقدم ، وكما يأتي .

والظاهر ان ابا الفتح ولد في المعرة قبل سنة ٣٩٠ هـ ، وفيها تثقف ، وتعلم ، وقال الشعر ، ثم اتصل بملوك حلب وأمرائها من بني مرداس ، ونال حظوة لديهم ، وراج شعره في مجالسهم وأبهائهم .

ولم تساعفني الأيام بالوقوف على تفصيل نشأته ، ولا على اول اتصاله بالملوك والأمراء ، ولا على اسبابه ، ولا على حقيقة ثقافته ، ولا عرفت شيوخه في العلم والأدب ، ولا المواطن التي تعلم بها .

وإنما عثرت على طرف من أخباره ، وطرف من أشعاره مبعثرة في بطون الكتب والتواريخ ، فالتقطتها ، وأوردتها(٣) .

وهذا القدر القليل يدل على ان هذا الأمير أمير في الشعر ، وهو أول شاعر نال الإمارة بشعره وآخر شاعر نالها ، وقد نالها بجدارة واستحقاق .

---

(١) الجندي : تاريخ معرة النعمان ٢ : ١٩٥

(٢) ذكره السمعاني في الانساب ق ١١٠/٢ : بأبي البيان

(٣) نشر المجمع العلمي العربي بدمشق ديوانه في مجلدين بتحقيق الدكتور محمد اسعد طلس في سنتي ١٩٥٦ - ١٩٥٧ م ، ومؤلف تاريخ المعرة توفي سنة ١٩٥٥ م

لأن في أبياته الـــتي رأيناها ، أدلة واضحة ، تدل على انه شاعر مفلق ، جمع في شعره قوة التأليف الى جمال الديباجة ، وطلاوة العبارة ، والابداع في التشبيه، والاجادة في الاستعارة والكناية، وروعة الخيال، واحكام الأمثال والحكم.

وقد كان مجودا في كل غرض من أغراض الشعر ، مبدعاً في كل فن من فنون الأدب، وله في كل نوع أبيــات منقطعة النظير في روعتها وحسن نغمتهــا وجمال معناها وحلاوة مبناها ، من ذلك قوله في الغزل :

جُنِنَّا بالحِسَانِ البِيضِ دَهْراً … وَإنَّ هَوَى الحِسَانِ هُوَ الجُنُونُ[1]

تَنَاسَيْنَ العُهودَ فَلاَ عُهودٌ … وأَلْوَيْنَ الدُّيُونَ فَلاَ دُيُونُ

كَأَنَّ أُمَامَةَ حَلَفَتْ يَميناً … لَنَا أَنْ لاَ يَصِحَّ لَهَا يَمِينُ

وقوله :

تُعَاتِبُني أُمَامَــــةُ في التَّصَابِي … وَكَيْفَ بِهِ وَقَدْ فَاتَ الشَّبَابُ[2]

نَضَا مِنِّي الصِّبَا وَنَضَوْتُ مِنْهُ … كَمَا يَنْضُو مِنَ الكَفِّ الخِضَابُ

وقوله في قصيدة يمدح بها محمود بن نصر بن صــالح بن مرداس، لما ملك حلب في شعبان سنة ٤٥٢ هـ .

كُفِّي مَلاَمَكِ فَالتَّبْرِيحُ يَكْفِينِي

أَوْ جَرِّبِي بَعْضَ مَا أَلْقَى وَلُومِينِي[3]

(١) ابن أبي حصينة : الديوان ١ : ٣٦٢

(٢) ابن أبي حصينة : الديوان ١ : ٣٤٨

(٣) ابن ابي حصينة : الديوان ١ : ٣٦٦ / ٣٦٧

بِرَمْلِ يَبْرِينَ أَصْبَحْتُمْ فَهَلْ عَلِمَتْ
رِمَالُ يَبْرِينَ أَنَّ الشَّوْقَ يَبْرِينِي
أَهْوَى الحِسَانَ وَخَوْفُ اللهِ يَرْدَعُنِي
عَنِ الهَوَى وَالعُيُونُ النُّجْلُ تُغْوِينِي
مَابَالُ أَسْمَاءَ تُلْوِينِي مَوَاعِدَهَا
أَكُلُّ ذَاتِ جَمَالٍ ذَاتُ تَلْوِينِ
كَانَ الشَّبَابُ إِلَى هِنْدٍ يُقَرِّبُنِي
وَشَابَ رَأْسِي فَصَارَ اليَوْمَ يُقْصِينِي
يَاهِنْدُ إِنَّ سَوَادَ الرَّأْسِ يَصْلُحُ لِلدُّنْيَا وإِنَّ بَيَاضَ الرَّأْسِ لِلدِّينِ

وله في باب المدح آيات رائعة ، وصور بديعة ، احتذى فيها على مثال أبي الطيب المتنبي ، في جزالة اللفظ ، وقوة الاسلوب ، وابتكار المعاني ، وروعة الخيال .

وهذه طائفة من مدحه : نقل ابن الوردي[١] عن ابن المُهذَّب المعري في تاريخه ، انه قال : خرج في سنة ٤٢١ هـ ارمانوس ملك الروم ، ومعه ملك البلغر وملك الروس ، والالمان ، والخزر ، والأرمن ، والبلجيك ، والفرنج الى حلب ، فقاتلهم شبل الدولة نصر بن صالح بن مِرْداس (وكان هذا قد ملك

(١) ابن الوردي ، التاريخ ٢ : ٣٤١ (ج)

حلب سنة ٤٢٠ هـ بعد قتل ابيه صالح) ، فهزمهم الى اعزاز، وكانوا ستمائة الف مقاتل ، فقتل ، وغنم منهم مالا يحصى ، وأسر جماعة من أولاد ملوكهم ، فقال في ذلك ابو الفتح المترجم قصيدة طويلة ، وأنشده إياها بظاهر قِنّسرين [1] مطلعها :

دِيَارُ الحَيِّ مُقْفِرَةٌ يَبَابُ   كَأَنَّ رُسُومَ دِمْنَتِهَا كِتَابُ [2]
نَأَتْ عَنْهَا الرَّبَابُ وَبَاتَ يَهْمِي   عَلَيْهَا بَعْدَ سَاكِنِهَا الرَّبَابُ

ومنها قوله :

إِلَى نَصْرٍ وَأَيُّ فَتىً كَنَصْرٍ   إِذَا حَلَّتْ بِمَغْنَاهُ الرِّكَابُ [3]
أَمُنْتَهِكَ الصَّلِيبِ غَدَاةَ ظَلَّتْ   حُطَاماً فِيهِمُ السُّمْرُ الصِّلَابُ
جُنُودُكَ لَا يُحِيطُ بِهِنَّ وَصْفٌ   وَجُودُكَ لَا يُحَصِّلُهُ حِسَابُ
وَذِكْرُكَ كُلُّهُ ذِكْرٌ جَمِيلٌ   وَفِعْلُكَ كُلُّهُ فِعْلٌ عُجَابُ
وَأَرْمَانُوسُ كَانَ أَشَدَّ بَأْساً   وَحَلَّ بِهِ عَلَى يَدِكَ العَذَابُ
أَتَاكَ يَجُرُّ بَحْراً مِنْ حَدِيدٍ   لَهُ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ عُبَابُ
إِذَا سَارَتْ كَتَائِبُهُ بِأَرْضٍ   تَزَلْزَلَتِ الأَبَاطِحُ وَالهِضَابُ

---

(١) في معجم البلدان لياقوت ٤ : ١٨٤ : قنسرين بكسر اوله وفتح ثانيه وتشديده ؛ وقد كسره قوم .
(٢) ابن الوردي : التاريخ ٢ : ٣٤١ وانظر ديوانه ١ : ٣٤٧
(٣) ابن الوردي : التاريخ ٢ : ٣٤١

فَعَادَ وَقَدْ سَلَبْتَ المُلْكَ عَنْهُ ... كَمَا سُلِبَتْ عَنِ المَيتِ الثِّيَابُ
فَمَا أدْنَاهُ مِنْ خَيْرٍ مَجِيءٌ ... وَلاَ أقْصَاهُ عَنْ شَرٍّ ذَهَابٌ
فَلاَ تَسْمَعْ بِطَنْطَنَةِ الأعَادِي ... فَإِنَّهُمُ إِذَا طَنُّوا ذُبَابُ
وَلاَ تَرْفَعْ لِمَنْ عَادَاكَ رَأساً ... فَإِنَّ اللَّيْثَ تَنْبَحُهُ الكِلاَبُ

ولما امتدح نصر بن صالح بحلب ، قال له : تمنَّ ، فقال : أتمنى ان أكون أميراً ، فجعله أميراً يجلس مع الأمراء ، ويخاطب بالأمير ، وقربه ، وصار يحضر مجلسه في عداد الأمراء ، ثم وهبه مكانا في حلب ،قبل حمام الواساني ،فعمله داراً ، وعرضها ، وزخرفها ، ونقش على دائرة الجلفق — الدرابزين — هذه الأبيات :

دَارٌ بَنَيْنَاهَا وَعِشْنَا بِهَا ... فِي دَعَةٍ مِنْ آلِ مِرْدَاسِ[1]
قَوْمٌ مَحَوْا بُؤْسِي وَلَمْ يَتْرُكُوا ... عَلَيَّ فِي الأَيَّامِ مِنْ بَاسِ
قُلْ لِبَنِي الدُّنْيَا ألاَ هَكَذَا ... فَلْيَفْعَلَنَّ النَّاسُ بِالنَّاسِ

فلما تم بناء الدار ، أقام دعوة ، واحضر اليها نصر بن صالح ، فلما أكل الطعام ، وقرأ الأبيات ، قال له : ياأمير ، كم أنفقت في بناء هذه الدار ، قال : يامولاي لاأعلم ، فان هذا الرجل تولى بناءها ، فسأل البناء ، فقال : ألفي دينار

(١) في الوفيات ج ٢ ص ١٤ : ان هذه الابيات لابن حيوس .. ثم قال: والصحيح انها للأمير ابي الفتح وروايتها فيها . في نعمة من آل ... قوم نفوا بؤسي . على الأيام، الا هكذا فليصنع الناس مع الناس .انظر ديوانه ١ : ٣٦٠ .

مصرية ، فأحضر من ساعته ألفي دينار مصرية ، وعمامة مذهبة ، وحصانا بطوق من ذهب ، وثوبا أطلس ، وقال له :

قُلْ لِبَني الدُّنيا ألاَ هكَذَا ... فَلْيَفْعلنَّ النَّاسُ بالنَّاسِ

سبب اشتهاره وتقدمه :

وذكر ابن الوردي (١) : ان سبب شهرة أبي الفتح وتقدمه ، انه وفد رسولا الى حضرة المستنصر ، من قبل الامير تاج الدولة بن مرداس سنة ٤٣٧هـ ومدح المستنصر بقوله :

ظَهَرَ الهُدَى وَتَجَمَّلَ الإسْلاَمُ ... وَابْنُ الرَّسولِ خَليفَةٌ وَإمَامُ (٢)
مُسْتَنْصِرٌ باللهِ لَيسَ يَفُوتُهُ ... طَلَبٌ وَلاَ يَعْتَاصُ عَنْهُ مَرَامُ
حَاطَ العِبَادَ وَبَاتَ يُسْهِرُ عَيْنَهُ ... وَعُيُونُ سُكَّانِ البِلاَدِ نِيَامُ
قَصْرُ الإمَامِ أَبِي تَميمٍ كَعْبَةٌ ... وَيَمينُهُ رُكْنٌ لَهَا وَمُقَامُ
لَوْلاَ بَنُو الزَّهْراءِ مَاعُرِفَ التُّقَى ... فِينَا وَلاَ تَبعَ الهُدَى الأَقْوامُ
يَا آلَ أَحْمدَ ثُبِّتَتْ أَقْدَامُكُمْ ... وَتَزَلْزَلَتْ بِعِدَاكُمُ الأَقْدَامُ
لَسْتُمْ وَغَيْرَكُمُ سَوَاءٌ أَنْتُمُ ... لِلدِّينِ أَرْواحٌ وَهُمْ أَجْسَامُ
يَا آلَ طَهَ حُبُّكُمْ وَوَلاَؤُكُمْ ... فَرْضٌ وإنْ عَذَلَ الوُشَاةُ وَلاَمُوا

---

(١) ابن الوردي : التاريخ : ١ : ٣٦٥

(٢) ابن الوردي : التاريخ : ١ : ٣٦٥ وانظر ديوانه ١ : ٣٤٥.

ومدحه سنة ٤٥٠ هـ ، ثم أنجز له وعده بالتأمير ، فاستلم في سنة ٤٥١هـ ، من بين يدي الخليفة المستنصر العلوي ، صاحب مصر السجل بتأميره في ربيع الآخر ، فلما أنجز له وعده ، قال فيه من قصيدة (١) :

أَمَّا الإِمَامُ فَقَدْ وَفَى بِمَقَالِهِ ... صَلَّى الإِلهُ عَلَى الإِمَامِ وآلِهِ
لُذْنَا بِجَانِبِهِ فَعَمَّ بِفَضْلِهِ ... وَبِبَذْلِهِ وَبِعَفْوِهِ وَبِمَالِهِ
لاَ خَلْقَ أَكْرَمُ مِنْ مَعَدٍّ شِيمَةً ... مَحْمُودَةً في قَوْلِهِ وَفِعَالِهِ
فَاقْصِدْ أَمِيرَ المؤْمِنِينَ فَمَا تَرَى ... بُؤساً وَأَنْتَ مُظَلَّلٌ بِظِلاَلِهِ
زَادَ الإِمَامُ عَلَى البُحُورِ بِفَضْلِهِ ... وَعَلَى البُدُورِ بِحُسْنِهِ وَجَمالِهِ
وَعَلاَ سَرِيرَ المُلْكِ مِنْ آلِ الهُدَى ... مَنْ لاَ تَمُرُّ الفَاحِشَاتُ بِبَالِهِ
النَّصْرُ والتَّأْيِيدُ في أَعْلامِه ... ومكارمُ الأَخْلاقِ في سِرْبَالِهِ
مُسْتَنْصِرٌ باللهِ ضَاقَ زَمَانُهُ ... عَنْ شِبْهِهِ ونَظِيرِهِ ومِثَالِهِ

وكان الذي كتب له سجل التأمير ، وسعى في مصالحه ، ونهض به ، الشيخ ابو علي صدقة بن اسماعيل بن فهد الكاتب بحضرة المستنصر ، فشكر أبو الفتح سعيه في قصيدة منها قوله :

قَدْ كَانَ صَبْرِي عِيلَ فِي طَلَبِ العُلاَ ... حَتَّى اسْتَنَدْتُ إِلَى ابْنِ اسْمَاعِيلاَ (٢)
فَظَفِرْتُ بالخَطَرِ الجَلِيلِ وَلَمْ يَزَلْ ... يَحْوِي الجَلِيلَ مَنِ اسْتَعَانَ جَلِيلاَ

(١) ابن الوردي : التاريخ ١ : ٣٦٦ وانظر ديوانه ١ : ٣٠٣ .
(٢) ابن الوردي : التاريخ ١ : ٣٦٦ وانظر ديوانه ١ : ٣٤٤ .

لَوْلاَ الوَزِيرُ أبُوعَليٍّ لَمْ أَجِدْ   أَبداً إلىَ الشَّرَفِ العَليِّ سَبيلاَ
إنْ كَانَ رَيْبُ الدَّهْرِ قَبَّحَ مَا مَضَى   عِنْدِي فَقَدْ صَارَ القَبِيحُ جَميلاَ
وَأَجَلُّ مَا حَصَلَ الرِّجالُ صِلاتِهم   لِلراغِبينَ العِــزَّ وَالتبْجِيلاَ
اليَوْمَ أَدْرَكْتُ الذي أَنَا طَالِبٌ   وَالأمْس كَانَ طِلابُهُ تَعْلِيلاَ

ولما توفى بدران بن المُقَلَّد صاحب نَصيبين سنة ٤٢٥هـ ، ولي مكانه ولده قريش ، فوصل ابن ابي حصينة ابتداء منه ، فانفــذ اليه قصيدة طويلة مطلعها :

أَبَتْ عَبَرَاتُهُ إلاَّ انْهِمَالاَ   عَشيَّةَ أَزْمَعَ الحَيُّ ارْتِحَالاَ (١)
أَجِدَّكَ كُلَّمَا هَمُّوا بِنَــأْيٍ   تَرَقْرَقَ مَاءُ عَيْنِكَ ثُمَّ سَالاَ
تقاضينــا مواعــد أُم عَمرو   فَضَنَّتْ أنْ تُنيلَ وَأَنْ تُنَالاَ
وَسَارَ خَيالُـهَا السَّارِي إِلَـيْنَا   فَلَوْ عَلِمَتْ لَعَاقَبَتِ الخَيَالاَ

ومنها :

إذَا وَصَلَتْ رَكَائِبُنَا قُرَيْشاً   فَقَدْ وَصَلَتْ بِنَا البَحْرَ الزُّلاَلاَ
فَتىً لَوْ مَدَّ نَحْوَ الجَوِّ باعاً   وَهَمَّ بِأَنْ يَنَالَ الشُّهْبَ نالاَ
إذَا انْتَسَبَ ابْنُ بَدْرَانٍ وَجدْنَا   مناسبه العَلِيَّةَ لاَ تُعَــالَى

---
(١) ابن ابي حصينة : الديوان ١: ٣٦٥

تَطولُ بها إذا ذُكرتْ معدٌّ   وتُكسب كلَّ قيْسي جمالاَ
أَيَا عَلَمَ الهُدَى نجوى محبٍّ   يُحِبُّكُمُ اعْتِقَاداً لاَ انْتِحَالاَ
مَنَنْتَ فَلَمْ تُجَشِّمْنِي عَنَاءً   وَجُدتَ فَلَمْ تُكَلِّفْنِي سُؤَالاَ
إذَا عَدِمَ الزَّمانُ مُسَبِّباً   فَسَاقَ اللهُ للدُّنْيَا وَبَالاَ [1]

وامتدح عطية بن صالح بن مِرْداس الذي ملك حلب سنة ٤٥٤ هـ ثم أخرجه منها ابن اخيه محمود ؛ فملك الرَّقَّة ، بقصيدة جيدة ، منها قوله :

سَرَى طيفُ هِنْدٍ والمَطِيُّ بِنَا تَسْرِي
فَأَخْفَى دُجَى لَيْلٍ وأَبْدَى سَنَا فَجْرِ [2]
خَلِيلَيَّ فُكَّانِي مِنَ الهَمِّ وارْكَبَا
فِجَاجَ المَوَامي الغُبْرِ في النُّوَبِ الغُبْرِ
إلَى مَلِكٍ مِنْ عَامِرٍ لَوْ تَمَثَّلَتْ
مَنَاقِبُهُ أَغْنَتْ عَنِ الأَنْجُمِ الزُّهْرِ
إذَا نَحْنُ أَثْنَيْنَا عَلَيْهِ تَلَفَّتَتْ
إليْهِ المَطَايَا مُصْغِيَاتٍ إلَى خُبْرِ

(١) ديوانه ص ٣٦٥-٣٦٦ وفيه : « ... للدنيا الوبالا » .
(٢) ديوانه ص ٣٥٠ - ٣٥٢ .

وَفَوقَ سَرِيرِ المُلْكِ مِنْ آلِ صَالِـحٍ
فتىً وَلَدَتْهُ أُمُّـــهُ لَيْلَةَ القَدْرِ
فَتىً وَجْهُهُ أَبْهى مِنَ البَدْرِ مَنْظَراً
وأَخلاَقُهُ أَشْهَى مِنَ المَـاءِ والخَمْرِ
أَبَا صَالِـحٍ أَشْكُو إِلَـيْكَ نَوَائِـباً
عَرَتْـنِي كَمَا يَشْكُو النَّبَاتُ إلى القَطْرِ
لِتَنْظُرَ نَحْـوِي نَظْرَةً إِنْ نَظَرْتَهـا
إِلَى الصَّخْرِ فَجَّرْتَ العُيُونَ مِنَ الصَّخْرِ
وَفِي الدَّارِ خَلْفِي صِبْيَةٌ قَدْ تَرَكْتُهُمْ
يُطِلُّونَ إِطْـلالَ الفِرَاخِ مِنَ الوَكْرِ
جَنَيتُ عَلَى رُوحِي بِرُوحِي جِنَايَةً
فَأَثقَلْتُ ظَهْرِي بالذي خَفَّ مِنْ ظَهْرِي
فَهَبْ هِبَةً يَبْقَى عَلَيْكَ ثَنَاؤُهَــا
بَقَاءَ النُّجُومِ الطَّالِعَاتِ التي تَسْرِي

فلما فرغ من إنشادهـا ، أحضر الامير أسد الدولة عطية القاضي ،

والشهود ، وأشهد على نفسه تمليك ابن ابي حَصينة ضيعة من ملكه ، لها ارتفاع (١) كثير ، واجازه واحسن اليه ، فاثرى وتمول .

وقال يمدح شبيب بن وثاب (٢) بن جعفر بن سابق بن هيـاج النميري سنة ٤٥٣ هـ :

أَتَجْزَعُ كُلَّمَا خَفَّ القَطِينُ ... وَشَطَّتْ بِالخَلِيطِ نَوىً شَطُونُ (٣)
وَهُمْ صَرَمُوا حِبَالَكَ يَومَ سَلْعٍ ... وَخَانَكَ مِنهُمُ الثِّقَةُ الأَمِينُ
وَمَا أَسِفُوا عَشِيَّةَ بِنتَ عَنْهُمْ ... فَتَأْسَفَ أَنْ يَشِطُّوا أَوْ يَبِينُوا
تَسَلَّ عَنِ الحِسَانِ وَكَيفَ يَسْلُو ... وَبَيْنَ ضُلُوعِهِ الداءُ الدَّفِينُ (٤)
وَفِي الأَظْعَانِ مِنْ جُشَمِ بنِ بَكْرٍ ... ظِبَاءٌ حَشْوُ أَعْيُنِهَا فُتُونُ
عَلَيْهِنَّ الهَوَادِجُ مُطْبِقَاتٌ ... كَمَا انْطَبَقَتْ عَلَى الحَدَقِ الجُفُونُ
كَأَنَّ قُدُودَهُنَّ قُدُودُ سُمْرٍ ... مُثَقَّفَةٍ بِهِنَّ جَفاً وَلِينُ (٥)
تَهَفْهَفَتِ الصُّدورُ (٦) فَهُنَّ لُدْنٌ ... وَأُفْعِمَتِ الرَّوَادِفُ وَالبُطُونُ

---

(١) في معجم متن اللغة لأحمد رضا ٢ : ٦٢١ : ارتفعت الضيعة بكذا أي اعطته من الخراج.
(٢) هكذا جاء في ابن عساكر ومن غيره شبيب بن جعفر ، ومنيع هذا خال محمود صاحب حران استنجده محمود (ج)
(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ١٨٧ ، وديوان ابن ابي حصينة ص ٣٦٢ - ٣٦٤. وشطون : بعيدة .
(٤) في الديوان : « وكيف تسلو وبين ضلوعك ... » .
(٥) في الديوان : « بهن حفاً ولين » بالحاء المهملة .
(٦) هكذا جاء في ابن عساكر وغيره والاحسن أن يقال الخصور بدلاً من الصدور (ج)

أَلاَ إِنَّ الحَوَائِنَ قَدْ تَحِينُ[1] جَلَبْنَ لَنَا بِرَامَةَ كُلَّ حَيْنٍ

كَمَا مَاسَتْ مِنَ الأَيْكِ الغُصُونُ عَشِيَّةَ مِسْنَ غَيْرَ مُصَنَّعَاتٍ

مَرِيعٍ فَالْتَقَى عِينٌ وَعِينُ وَعَنَّ لَهُنَّ سِرْبُ مَهاً بِوَادٍ

وَلاَ حَبْلٌ يَمُدُّ[2] بِهِ مَتِينُ كِلاَ الشَّرْبَيْنِ لَيْسَ لَهُ وَفَاءٌ

ضَنَنْتَ[3] لِمَنْ عَلَيْكَ وَكَيْفَ يُرْجَى

زَوَالُ يَدٍ وَصَاحِبُهَا ضَنِينُ

جُنِنَّا بِالحِسَانِ البِيضِ . . .

الأبيات الثلاثة المتقدمة وبعدها :

وَشَابَتْ بَعْدَ حِنْكَتِهَا[4] القُرُونُ أَغَيٌّ بَعْدَ مَاذَهَبَ التَّصَابِي

فَإِنْ تَشْكُرْ فَمَحْقُوقٌ قَمِينُ وَعِنْدَكَ يَابْنَ وَثَّابٍ جَمِيلٌ

وَعَزَّ بِهِ حِمَاكَ فَلاَ يَهُونُ فَتَىً أَوْلاَكَ مَكْرُمَةً وَفَضْلاً

وَمِثْلُكَ مَنْ يَذُبُّ وَمَنْ يَصُونُ[5] أَبَا الزَّمَّامِ صُنْتَ عَلَيَّ جَاهِي

---

(١) الحين : الهلاك . والحوائن : مفردها حائنة وهي المصيبة .

(٢) ويروى حبل يشد (ج)

(٣) ويروى : « ضنيت » (ج) وفي الديوان : « ضنينات عليك ... » .

(٤) لعل الاصل حلكتها أي سوادها على انهم قالوا اسود حانك واسود حالك (ع).
وفي الديوان : « حلكتها »

(٥) في الديوان : « أبا الزماع ... »

وَرَاعَيْتَ الذي رَاعَى شَبيبٌ سَقَتْ مَثْوَاهُ سَارِيَةٌ هَتُونُ
وَلَوْلاَ أَنْتَ لاَتَّسَعَتْ خُرُوقٌ عَلَى مَا في يَدِي وَجَرَتْ شُؤُونُ
وَلَكِنْ أَنْتَ لي وَزْرٌ مَنِيعٌ وَحِصْنٌ أَسْتَجِيرُ بِهِ حَصِينُ

ولقـــد كانت له اليد الطولى في باب الرثاء ، لأنه كان يجمع اللوعة على المفقود إلى تعـداد مآثره ومناقبه ، ويفرغ ذلك في صور رائعة ، وقوالب بارعة ، ويفيض عليها من عواطف الحزن والحرقة ، حتى يملك القلوب ، ويحزنها على الميت الراحل ، ثم لا يلبث ان يسرها بما كان له من الخلال المحمودة ، وبمـا خلفه من الآثار الفاضلة ، والذكريات الخالدة .

وقـــد توفي ابو كامل زعيم الدولة بَرَكَة بن المُقَلَّد بن المُسَيَّب بتكريت في سنة ٤٤٣ هـ ، فرثاه بقصيدة طويلة منها قوله :

مِنْ عَظِيمِ البَلاَءِ مَوْتُ العَظِيمِ لَيْتَني مِتُّ قَبْلَ مَوْتِ الزَّعِيمِ (١)
يَا جُفُونِي سُحِّي دَماً أَوْ فَحُمِّي صَحْنَ خَدِّي بِعَبْرَةٍ كَالْحَمِيمِ
بَعْدَ خِرْقٍ مِنَ المُلُوكِ كَرِيمٍ مَا زَمَانٌ أَوْدَى بِهِ بِكَرِيمِ (٢)
جَعْفَرِيِّ النِّصَابِ مِنْ صَفْوَةِ الصَّفْوَةِ في الفَخْرِ والصَّمِيمِ الصَّمِيمِ (٣)
يَا أَبَا كَامِلٍ بِرَغْمِيَ أَنْ تُشْـ ـقِيكَ سُكْنَى التُّرابِ بَعْدَ النَّعِيمِ

(١) ديوانه ص ٣٦٧ – ٨
(٢) الخرق : المبالغ في السخاء
(٣) في الديوان : « ... صفوة الصفوة والفخر في الصميم ... » .

أَوْ تَبِيتَ القُصُورُ خَالِيَةً مِنْ ... لِكَ وَمِنْ وَجْهِكَ الوَضِيءِ الوَسِيمِ
وانْقِرَاضُ الكِرَامِ مِنْ شِيَمِ الدَّهْـ ... رِ وَمِنْ عَادَةِ الزَّمَانِ اللَّئِيمِ
قَدْ بَكَتْ حَسْرَةً عَلَيْهِ المَذَاكِي ... وَشَكَتْ فَقْدَهُ بَنَاتُ الرَّسِيمِ (١)
تَشْتَكِي غَيْبَةَ الزَّعِيمِ إلَى اللـــهِ فَتَشْكَى إلى رَؤُوفٍ رَحِيمِ

ولما مات مُعْتَمَد الدولة ابو مَنيع قرواش بن المُقَلَّد بن المُسَيَّب العقيلي صاحب المَوْصل في سنة ٤٤٤ هـ ، رثاه بقصيدة منها قوله :

أَمِثْلُ قِرْوَاشٍ يَذُوقُ الرَّدَى ... يَاصَاحِ مَا أَوْقَحَ وَجْهَ الحِمَامْ (٢)
حَاشَا لِذَاكَ الوَجْهِ أَنْ يَعْرِفَ البُؤْسَ وَأَنْ يُحْثَى عَلَيْهِ الرَّغَامْ
وَلِلْجَبِينِ الصَّلْتِ أَنْ يُسْلَبَ البَهْجَةَ أَوْ يُعْدَمَ حُسْنَ الوِسَامْ
يَاأَسَفَ النَّاسِ عَلَى مَاجِـــدٍ ... مَاتَ فَقَالَ النَّاسُ مَاتَ الكِرَامْ
غَيْرُ بَعِيدٍ يَا بَعِيدَ المَدَى ... وَلاَ ذَمِيمٍ يَا وَفِيَّ الذِّمَامْ
زُلْتَ فَلاَ القَصْرُ بَهِيٌّ وَلاَ ... بَابُكَ مَعْمُورٌ كَثِيرُ الزِّحَامْ
وَلا الخِيَامُ البِيضُ مَنْصُوبَةٌ ... بُورِكْتَ يَا نَاصِبَ تِلْكَ الخِيَامْ
قُبْحاً لِدُنْيَا حَطَّمَتْ أَهْلَهَا ... وَآخَذَتْهُمْ باكْتِسَابِ الحُطَامْ

(١) المذاكي : الخيل القوية . وبنات الرسيم : النياق .
(٢) ديوانه ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .

تَأْخذُ مَاتُعْطِي فَمَا بَالُنَا ... نُكْثِرُ فيما لاَ يَدُومُ الخِصَامْ

يَاقَبْرَ قِرْواشٍ سُقِيتَ الحَيَا ... وَلاَ تَعَدَّتْكَ غَوادي الرِّهَامْ[1]

قَضَى وَلَمْ أَقْضِ عَلَى إِثْرِهِ ... إنِّي لَمِنْ مَعْرُوفِهِ ذُواحْتِشَامْ

أَقولُ شِعْراً والجَوىَ شَاغِلِي ... يَا عَجَباً كَيْفَ اسْتَقَامَ الكَلاَمْ

ولما توفي قريبه ابو العلاء المعري احمد بن عبد الله بن سليمان سنة ٤٤٩هـ رثاه بهذه القصيدة :

العِلْمُ بَعْـــدَ أَبِي العَـلاءِ مُضَيَّعُ
والأَرضُ خَالِيَةُ الجوانبِ بَلْقَعُ[2]

أوْدَى وَقَدْ مَلأَ البِـــلادَ غَرَائِباً
تَسْرِي كمَا تَسْرِي النُجُومُ الطُلَّعُ

مَاكُنتُ أَعْلَمُ وَهْوَ يُودَعُ في الثَّرَى
أنَّ الثَّرَى فيـــهِ الكَواكِبُ تُودَعُ

جَبَلٌ ظَنَنْتُ وَقَـدْ تَزَعْزَعَ رُكْنُهُ
أنَّ الجِبَـــالَ الرَّاسِيَاتِ تُزَعْزَعُ

---

(١) في الصحاح للجوهري ٢ : ٢٩٢ : الرهمة: ما الكسر المطرة الضعيفة الدائمة والجمع رهم ورهام .

(٢) تاريخ ابن الوردي ١ : ٣٥٩، وديوان ابن ابي حصينة ص ٣٧٣ - ٤. والبلقع: الارض المقفرة الخالية من كل خير ونبات .

وَعَجِبْتُ أَنْ تَسَعَ المعَرَّةُ قَبْرَهُ
وَيَضِيقَ بَطْنُ الأَرْضِ عَنْهُ الأَوْسَعُ

لَوْ فَاضَتِ الْمُهَجَاتُ يَوْمَ وَفَاتِهِ
مَا اسْتُكْثِرَتْ فِيهِ فَكَيْفَ الأَدْمُعُ

تَتَصَرَّمُ الدُّنْيَا وَتَأْتِي بَعْدَهُ
أُمَمٌ وأَنْتَ بِمِثْلِهِ لاَ تَسْمَعُ (1)

لاَ تَجْمَعِ المَالَ العَتِيدَ وَجُدْ بِهِ
مِنْ قَبْلِ تَرْكِكَ كُلَّ شَيْءٍ تَجْمَعُ

وَإِنِ اسْتَطَعْتَ فَسِرْ بِسِيرَةِ أَحْمَدٍ
تَأْمَنْ خَدِيعَةَ مَنْ يَغُرُّ وَيَخْدَعُ

رَفَضَ الحَيَاةَ وَمَاتَ قَبْلَ مَمَاتِهِ
مُتَطَوِّعاً بِأَبَرِّ مَا يُتَطَوَّعُ

عَيْنٌ تُسَهَّدُ لِلْعَفَافِ وَلِلتُّقَى
أَبَداً وَقَلْبٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَخْشَعُ

---

(١) في الديوان : « ... ويأتي بعده ... » .

شِيَمٌ تُجَمِّلُهُ فَهُنَّ لِمَجْدِهِ
تَاجٌ وَلَكِنْ بِالثَّنَاءِ يُرَصَّعُ

جادَتْ ثَرَاكَ أَبَا العَلاَءِ غَمَامَةٌ
كَنَدَى يَدَيْكَ وَمُزْنَةٌ لاَتُقْلِعُ

مَاضَيَّعَ البَاكِي عَلَيْكَ دُمُوعَهُ
إِنَّ الدُّمُوعَ عَلَى سِوَاكَ تُضَيَّعُ

قَصَدَتْكَ طُلاَّبُ العُلُومِ وَلاأَرَى
لِلْعِلْمِ بَاباً بَعْدَ بَابِك يُقْرَعُ

مَاتَ النُّهَى وَتَعَطَّلَتْ أَسْبَابُهُ
وَقَضَى التَّأَدُّبُ وَالمَكَارِمُ أَجْمَعُ

وله قصائد مطوّلة جعل منها معرضا عرض فيه صورا من براعته في اغراض مختلفة من اغراض الشعر ، منها : قصيدة مدح بها ثابت بن ثمال بن صالح بن مير ْداس الملقب بعز الدولة . وقد كان ملك حلب سنة ٤٣٤هـ الى سنة ٤٤٠ ﻫ ، وقد حاربه المصريون ، ثم نزل لهم عن حلب سنة ٤٤٩ ﻫ .

وهذه القصيدة ذكر فيها الديار ، ودمنها ، وعرصاتها ، وسكانها ، ثم ذكر دمشق ،وجامعها ، وبانياسها ، وغيره من اماكنها ، وشبيبة قضاها فيها ، وتصدى الى حمص وميماسها ، والمعرة وهرماسها ، ثم وصف الخمر وصفا رائعا ،

وتحسر على ايام صبوته ونعيمها ، ثم اورد ابياتا مـــن الحكمة ، هي غاية في جودتها ونبلها ، ثم اجتاز منها الى المدح ، ولم نطلع على جميع هـذه القصيدة ، وانما اثبتنا منها ما رأيناه .

وهذا هو كما رواه ابن ابنه ابو المظفر نصر بن الحسن :

لَوْ أَنَّ دَاراً أُخْبَرَتْ عَنْ نَاسِهَا ... لَسَأَلْتُ رَامَةَ عَنْ ظِبَاءِ كِنَاسِهَا[1]
بَلْ كَيْفَ تُخْبِرُ[2] دِمْنَةٌ مَا عِنْدَهَا ... عِلْمٌ بِوَحْشَتِهَا وَلاَ إِينَاسِهَا
مَمْحُوَّةُ العَرَصَاتِ يَشْغَلُهَا البِلَى ... عَنْ سَاحِبَاتِ الرَّيْطِ فَوْقَ دِهَاسِهَا
بِيضٌ إِذَا انْضَاعَ النَّسِيمُ مِنَ الصَّبَا ... خِلْنَاهُ مَا يَنْضَاعُ مِنْ أَنْفَاسِهَا
يَاصَاحِبَيَّ سَقَى مَنَازِلَ جِلَّقٍ ... غَيْثٌ يُرَوِّي مُمْحِلاَتِ طِسَاسِهَا
فَرِوَاقَ جَامِعِهَا فَبَابَ بَرِيدِهَا ... فَمَشَارِبَ القَنَوَاتِ مِنْ بَانَاسِهَا
فَلَقَدْ قَطَعْتُ بِهَا زَمَاناً لِلصِّبَا ... وَاللَّهْوُ مُخْضَرٌّ كَخُضْرَةِ آسِهَا
قَبْلَ النَّوَى وَسِهَامُهُ مَشْغُولَةٌ الأ ... فْوَاقِ لَمْ تَبْلُغْ إِلَى بِرْجَاسِهَا
مَنْ لِي بِرَدِّ شَبِيبَةٍ قَضَّيْتُهَا ... فِيهَا وَفِي حِمْصٍ وَفِي مِيمَاسِهَا
وَزَمَانِ لَهْوٍ بِالمَعَرَّةِ مُونِقٍ ... بِسِيَاثِهَا[3] وَبِجَانِبَيْ هِرْمَاسِهَا

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ١٨٧ ، وابن ابي حصينة: ديوانه ص ٤ ٣٥ - ٧ .
(٢) تسأل (ج) .
(٣) في تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ١٨٧ بشبابها وغيره بسباتها (ج) .

أَيَّامَ قُلْتُ لذي المودَّةِ اسْقِني   مِنْ خَنْدَرِيسٍ حُنَاكِهَا أوْ حَاسِهَا
حَمْرَاءَ تُغْنِينَا بِسَاطِعِ لَوْنِهَا   في اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ عَنْ نِبْرَاسِهَا
وَكَأَنَّمَا حَبَبُ المِزَاجِ إذا طفَا   دُرَرٌ تَرَصَّعُ في جَوَانِبِ طَاسِهَا[1]
رقَّتْ فما أدري أكأسُ زُجاجِها   في جِسْمِها أمْ جِسْمُها في كاسِها
وكأنَّما زَرْجُونَةٌ جَاءَتْ بِها   سُقِيتْ مدام[2] التِّبْرِ عند غِرَاسِها
فَأَتَتْ مُشَعْشَعَةً كَجِذْوَةِ قابِسٍ   راعَتْ أكُفَّ القَوْمِ عِنْدَ مَسَاسِها
للهِ أيامُ الصِّبا ونَعِيمُها   وزَمَانُ جِدَّتِها ولِين مراسِها
مَالي تعيبُ البيضُ بيضَ مَفَارِقي   وسَبِيلُها تَصْبُو إلى أجْنَاسِها
نورُ الصَّباحِ إذا الدُّجُنَّةُ أظلَمتْ   أبهى وأحسنُ مِنْ دُجى أغلاسِها
إنَّ الهوى دَنَسُ النفوسِ فليتَني   طَهَّرْتُ هَذي النفسَ مِنْ أدْنَاسِها
ومَطَامِعُ الدُّنيا تُذِلُّ ولا أرى   شَيْئاً أعزَّ لمُهْجَةٍ مِنْ يَاسِها
مَنْ عَفَّ لَمْ يُذْمَمْ ومَن تَبِع الخَنا   لم تخلِهِ التَّبِعاتُ مِنْ أوْكَاسِها
زَيِّنْ خِصالَكَ بالسَّماحِ ولا تُرِدْ   دُنيا تراكَ وأنتَ بعضُ خِسَاسِها
وإذا بنيتَ من الأمورِ بَنِيَّةً   فاجعلْ فعالَ الخيرِ بدْءَ أساسِها[3]

(١) في الديوان: « الـ ... درٌ ».
(٢) «مذاب» (ج).
(٣) لم يرد هذا البيت في ديوانه.

وَمتَى رأَيتَ يَدَ امرِئٍ مَمْدُودةً تَبْغي مُواسَاةَ الجميل فو سها

خَيْرُ الأَكُفِّ الفَاخِراتِ بجُودِهَا كَفٌّ تَجُودُ وَلَوْ عَلى إِفْلاَسِهَا[1]

تلقَى المذَمَّةَ مثلَمَا تَلْقَى العدى فَيكُونُ بذلُ المالِ خَيْرَ تُراسِهَا[2]

أَمَّا نزارٌ كُلُّها فَكَرِيمَةٌ لَكِنَّ أَكْرَمَها بَنُو مِرْدَاسِها[3]

ومن شعره قوله :

ولمَّا التَقَيْنَا لِلْوَدَاعِ وَدَمْعُها
وَدَمْعي يَفيضَانِ الصَّبَابَةَ والوَجْدا[4]

بَكَتْ لُؤلُؤاً رَطْباً فَفَاضَتْ مَدامعِي
عَقيقاً فَصار الكلُّ في جِيدِهَا عِقْداً[5]

وروى له ياقوت [6] هذه الابيات :

لَجَّ برقُ الأَحَصِّ في لَمَعَانِهْ فتذكَّرْتُ مِنْ وَرَاءِ رعَانهْ

---

(١) في الديوان :
« خير الاكف السابقات بجودها كف تجود عليك في افلاسها »

(٢) لم يرد هذا البيت في الديوان .

(٣) في الديوان : « أما نزار فكلها لكريمة ... » .

(٤) هكذا رواها ياقوت ورواها ابن خلكان ج ٢ ص ٥٢ « ولما وقفنا للوداع وقلبها وقلبي يفيضان » (ج)

(٥) ويروى في نحرها عقدا . وفي البيتين على كل رواية ادخال أل على كل وهو غير جائز على الصحيح فتأمل (ج) .

(٦) ياقوت : معجم البلدان ١ : ١٤٠ (ج) .

فَسَقَى الغَيْثُ حيثُ يَنْقَطِعُ الأو عس مِنْ زَنْدِهِ وَمَنْبِتِ بانِهْ
أَوْ ترَى النَّوْرَ مثلَ مَانشَرَ البَرْ دُ حَوالي هِضَابِهِ وقِنَانِهْ
تَجْلِبُ الريحُ مِنْهُ أَذْكَى مِنَ المِسْـــكِ إذَا مَرَّتِ الصَّبا بمَكانِهْ

وروى له الثعالبي في خاص الخاص هذه الابيات :

وأخٍ مَسَّه نُزُولي بقرحٍ مثلَما مَسَّني مِن الجُوعِ قرْحُ[1]
بتُّ ضَيْفاً لهُ كَمَا حَكَمَ الدَّهْـرُ وفي حُكْمِهِ عَلى الحُرِّ قُبْحُ
فبداني يَقولُ وهْوَ من السَّكْـرَةِ بالهَمِّ طَافحٌ لَيْسَ يَصْحُو
لِمْ تغَرَّبْتَ قلْتُ قالَ رسُولُ اللـــهِ والقَوْلُ منْهُ نُصْحٌ ونُجْحُ
سَافِرُوا تغْنَمُوا فقَالَ وقدْ قا لَ عَلَيْهِ السلامُ صُومُوا تَصِحُّوا

وذكر صاحب بدائع البدائـــه [2] : أن الأمير أبا الفتح بن أبي حصينة السُّلَمي ، وأبا محمد عبد الله بن محمد بن سعد الخَفَاجي الحلبي [3] ، اجتمعا عند الأمير سديد الملك ابي الحسين علي بن المُقَلَّد بن نصر بن مُنْقِذ الكيناني ، فتفاوضوا في فنون الأدب . فقال ابن حَصينة :

قَمَرٌ إنْ غَابَ عَنْ بَصَري . . . .

(١) عبد الملك الثعالبي : خاص الخواص ص ١٦٠ وفيه "قرْحُ" .
(٢) علي بن ظافر الازدي : بدائـع البدائه ص ١٢٠ (ج) .
(٣) اديب ، شاعر . ولد سنة ٤٢٢ هـ ، وتوفي سنة ٤٦٦ هـ . من آثاره : ديوان شعر ، وسر الفصاحة . انظر معجم المؤلفين لكحالة ٦ : ١٢٠ .

فقال الخفاجي : فَفُؤَادي حد مَطْلَعِهِ

فقال ابن أبي حصينة : لَسْتُ أنسَى أَدْمُعي وِلهاً

فقال الخفاجي : خُلِطَتْ في فَيْضِ أَدْمُعِهِ

فقال سديد الملك :

قُلْتُ زُرْني قَالَ مُبْتَسِماً طَمَعٌ في غَيْرِ مَوْضِعِهِ

وقد ذكر ابن العديم : أن أبا العلاء جمع شعر الأمير أبي الفتح ، وشرح مواضع منه في ثلاث مجلدات، واوردنا في ترجمة ابي العلاء قطعة من هذا الشرح.

ومن ديوانه نسخة في مكتبة اسكوريال ، ولم نعثر على شيء غير ما أثبتناه ، وهذا القدر كاف في الدلالة على أن الأمير شاعر مفيق ، ومبدع مجيد ، وقد عثر على نسخة من ديوانه ، فاخذ المجمع العلمي في دمشق صورتها الشمسية ، واخذ يعدها للطبع (١) .

وقد اختلف في وفاته وموضعها ، فقيل: سنة ٤٥٦ هـ ، وقيل: سنة ٤٥٧هـ في سَرُوج ، (٢) وقيل : في حلب ، وهو الراجح .

وتجد طرفا من اخباره وأشعاره في ابن عساكر (٣) ، ، والانصاف ، والنجوم الزاهرة (٤)، وعنوان المرقصات والمطربات (٥) ، ووفيات الاعيان(٦)،

---

(١) نشره المجمع العلمي العربي بدمشق في سنتي ١٩٥٦ـ١٩٥٧م بتحقيق الدكتور محمد اسعد طلس في مجلدين .

(٢) في معجم البلدان لياقوت ٣ : ٨٥ : بلدة قريبة من حران من ديار مضر.

(٣) بدران : تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ١٨٧ ، ١٨٨ .

(٤) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٥ : ٧٥ (ج) .

(٥) ابن سعيد المغربي : عنوان المرقصات والمطربات ٤٦ ، ٤٧ .

(٦) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٢ : ١٤ (ج) .

وفوات الوفيات (١) ، وتاريخ دول الاعيان (٢) ومعاهد التنصيص (٣) ، وتاريخ ابن الوردي (٤) ، وإعلام النبلاء (٥) ، ودائرة المعارف (٦) .

ابو سعيد الحسن بن اسحق بن بلبل المعري ، قاضي المعرة (٧)

رحل في طلب الحديث الى دمشق ، وبيت المقدس ، والكوفة ، وسمع في كل منها من جماعة ، وكان يقول : الايمان قول وعمل ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، والقرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود ، والخير والشر من الله ، وان الله يرى يوم القيامة ، لا يشكون في رؤيته ، ولا يضامون في رؤيته ، وأن نبينا محمداً – ﷺ – يعطي الشفاعة في المذنبين من أمته (٨) .

وقد ذكر ابن العَديم : ان أباالعلاء روى عن جدته أم سلمة بنت الحسن ابن اسحاق بن بلبل وأن أباه عبد الله روى عن ابي سعيد الحسن المذكور وسيأتي ذلك في ترجمتيهما .

---

(١) ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ١ : ١٢٢ (ج) .

(٢) تاريخ دول الاعيان في شرح قصيدة نظم الجمان ٤ : ٦٨ (ج) .

(٣) عبد الرحيم العباسي : معاهد التنصيص ص ٢١٣ (ج) .

(٤) ابن الوردي : التاريخ ١ : ٣٥٩ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

(٥) راغب الطباخ : إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٤ : ١٨٨ – ١٩١ .

(٦) وانظر محسن الامين : اعيان الشيعة ٢٦ : ٢٧٣ – ٢٨٤ ومقالة مصطفى جواد في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٣٢ : ٥٣٣-٥٣٩ ٦٨١ ٦٨٤ .

(٧) فقيه ، اصولي ، محدث . اصله من نيسابور ، وسمع بمصر من النسائي والطحاوي وبحلب والكوفة والري . وتولى قضاء معرة النعمان اربعين سنة ، وتوفي عام ٣٤٨ هـ . من آثاره : الرد على الشافعي فيما يخالف فيه القرآن .

(٨) وتجد ترجمته في ابن عساكر ج ٤ ص ١٥٤ ، وفي الانصاف والتحري (ج) وانظر ترجمته في الجواهر المضية للقرشي ١ : ١٩٠ ، وتاج التراجم لابن قطلوبغا ص ١٧ .

حسن بن محمد الجندي الكبير :

هو ـ فيما أظن ـ أول من قدم الى معرة النعمان، وجد الأسرة الجُنْدية فيها، وقد كان ـ رحمه الله ـ نادرة في ذكائه وعلمه وفطنته، وهو ابن محمد الجندي صاحب الشهرة، وجد هذا البيت، ومحمد هذا ابن أحمد، وأحمد هذا خلف ثلاثة بنين: محمدا الملقب بالجندي المذكور، ومحمدا الملقب بوفا، ولهذا ذرية، وبقي من نسله بقية ينتسبون اليه، ويشتهرون به في حماة وحمص، ومحمدا الملقب بالجوهري، وأحمد هذا ابن ابراهيم بن ياسين الكفالوني، المولود في شهر رجب سنة ٩٤٩ هـ وقد كان رحمه الله علامة عصره، ونسيج وحده في العلم والفضل والتقوى، أخذ عن الشيخ احمد القُصَيْري ابن الشيخ عبد الرحمن، وصار من خلفائه المقربين، وتوفي بقرية بكفالون، وله فيها ضريح يزار ويتبرك به، وله ولد آخر اسمه عمر، ولد وتوفي في القرية المذكورة.

وياسين(١) ابن ابراهيم بن عبد الله بن عبد الكريم بن السيد احمد شهاب الدين الزيني، السائح المكي الأصل، والدار، والمنشأ، وانما سمي سائحاً، لأنه ساح عشرين سنة، ودخل مصر وبلاداً كثيرة، وحج الى بيت الله الحرام حججاً كثيرة، ثم أتى دمشق، وأقام بها سنة، ثم رحل الى حلب، وأقام بها سنة، ثم خرج الى قرية يقال لها بكفالون، من عمل سرمين (وهي الآن من عمل ادلب)، وسكن فيها، وتزوج، وولد له، وتوفي فيها سنة ٨٦٨ هـ.

---

(١) ذكر المرحوم امين الجندي عم والدي، في هامش ديوانه المخطوط، عند ذكر نسبه الذي نظمه: ان من ياسين هذا لنا اقارب في مدينة حلب لايعرف وصلهم به، وما بعده غير مضبوط عنده. وهذا خطأ، لأنهم ينتسبون الى ياسين الجندي الآتي ذكره، أما ياسين هذا فقد كان قبل ان يلقب ابن حفيده بالجندي، فتأمل، والاول مدفون في تربة بني الجندي في المعرة سنة ١١٥٦ هـ، وهذا لانعلم مدفنه، ولا تاريخ وفاته، وبينهما اكثر من قرن على اقل تقدير (ج).

وهو ابن السيد عبد الله بن الامير السيد يوسف ، وهـذا كان يقيم في بلادالأزد في نواحي فَتْق[1] ، ويتردد الى مدينة السلام وهو ابن الامير عبد العزيز ابن الخليفة المنتصر بالله أبي جعفر منصور ، ابن الخليفة محمد ابي نصر الظاهر بالله ، ابن الخليفة الناصر لدين الله أحمد أبي العباس ، ابن الخليفة المستضيء بالله الحسن أبي محمد ، ابن الخليفة أبي المظفر يوسف المستنجد بالله ، ابن الخليفة أبي عبد الله محمد المقتفي لأمر الله ، ابن الخليفة أبي العباس أحمد المستظهر بالله ،ابن الخليفة عبد الله المقتدر بالله ، ابن محمد الذخيرة المعتصم بالله ، ابن عبد الله القائم بأمر الله ، ابن الخليفة ابي العباس أحمد القادر بالله ، ابن الأمير اسحق ، وهـذا لم يل الخلافة ، ابن الخليفة أبي الفضل جعفر المقتدر بالله ، ابن الخليفة ابي العباس احمـد المعتضد بالله ، ابن أبي أحمد طلحة الموفق الناصر لدين الله ، ابن الخليفة جعفر المتوكل على الله ،ابن الخليفة ابي اسحق محمد المعتصم بالله ، ابـن الخليفة هرون الرشيد بالله ، ابن أبي عبد الله محمد المهدي،ابن الخليفة ابي جعفر عبد الله المنصور ، ابن أبي محمد علي السجاد ، ابن حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله ابن أبي الفضل العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ، ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيـــة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

لخصت هذا من صورة لنسب الشيخ ياسين الموجودة لدينا، المحكوم بصحته حكما شرعيا ، صادرا من حاكم مكة المشرفة أبي اليمن السيد محمد بن نور الدين أبي الحسن القوعي ، الشافعي ، القرشي الهاشمي .

---

(١) في معجم البلدان لياقوت ٣ : ٨٥٠ ــ ٨٥١ : قرية بالطايف ، وقال : قرأت بخط بعض الفضلاء الفَتْق من مخاليف الطايف بفتح الفاء وسكون التاء .

ومن قاضي القضاة السيد محمد بن السيد حسن الحول ، المالكي ، بمدينة يثرب ، على ساكنها افضل الصلاة والسلام ، بشهادة السيد موسى بن السيد عبد الرحمن الحسيني المكي .

والمحكوم بصحته ايضا حكما صادرا من قاضي القضاة الشيخ كمال الدين ابي اسحاق بن ابراهيم ابن قاضي القضاة فتح الدين أبي البشرى عبد الرحمن ابن كمال الدين أبي الفضل محمد بن الشِّحْنَة ، الحاكم بمدينة حلب ، بشهادة محمد ابن أبي صالح الحلبي ، ومحمد بن احمد الانصاري المكي ، والسيد موسى الحسيني المدني ، ومحمد بن مصطفى المكي ، ومصطفى بن محمد المكي ، وعبد الرحمن وعبد الوهاب ابني مصطفى المكي ، ومحمد حجازي المكي ، ومن صورة النسب الموجودة لدينا في دمشق ، وقد نظم العلامة أمين الجندي عم أبي ، المتقدم ذكره ، هذا النسب ، وانتهى به الى آدم ، وهذه هي صورته :

الحمدُ للهِ القَديمِ الأَحدِ — مِنْ غَيْرِ والدٍ لَهُ أَوْ وَلَدِ
أَوْجَدَ آدَماً مِنَ الترابِ — لِحِكْمَةٍ تُدْرَكُ بالألبَابِ
وَمِنْهُ حوّا زَوْجَةً قد خَلَقَا — وَبثَّ مِنْهُمَا أُناساً فِرَقاً
وأَرْسلَ الرسْلَ إليهمْ مِنْهُمْ — فَأَفْضَلُ النَّاسِ حَقيقَةً هُمُ
وَخَيْرُ كُلِّ الأنْبياءِ يَافَتَى — وَالرُّسْلِ مَنْ في خَتْمِهِمْ لَقَدْ أَتَى
مُحَمَّدُ المختارُ أَشرَفُ المَلاَ — مَنْ كَانَ خَلْقُهُ عَلَيْهِمْ أَوّلاَ
فَهْوَ رَسُولُ الأنْبياءِ والرُّسُلْ — وَبَدْرُهُ بينَ الأَنامِ قَدْ كَمُلْ

وَشرْعُهُ قَدْ نَسَخَ الشَّرَائِعَا وَعَمَّ بَعْثُهُ بِـهِ المَشَارِعَا

أمتهُ قَـدْ جاءَ خَيْرُ أُمة وَقَومهُ في النَّاسِ خَيْرُ عِتْرَة

مِنْ آلِ إسْمَاعِيلَ أهْلِ النَّسَبِ طِراز كلِّ فَدْفَدٍ وَسَبْسَبِ

القُرَشِيُّ الهَاشِميُّ المَكِّي مَحَا بِسَيْفِهِ ظَلَامَ الشِّرْكِ

فَهْوَ خُلَاصَةُ الأيامِ طُرّا وَسَيِّدُ الآفَاقِ بَرّا بَحْراً

صَلَّى عَلَيْـهِ ربُّنَا تَعالَى وَعَمَّ صَحْبَهُ بِهَا والآلاَ

وَبَعْدُ فَالبَحْثُ عَنِ الأنْسَابِ قَالَ بِهِ جمعٌ مِنَ الأنْجَابِ

مسْتَأْنِساً بقولِ طَهَ الهادي في خيرِ مَوْقِفٍ وَخَيْرِ نَادِ

أنا النبيُّ الهاشميُّ لاَ كَذِبْ أَنَا مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ

وَبعضُهُمْ قَالَ بِمَنْعِهِ وَذَا مِنْ مُحْكَمِ التنزيلِ نَصّاً أُخِذَا

وَكُلُّهُمْ جاءَ بِمَا قَدْ أوْسَعَا وليسَ لِلإنسَانِ إلاَّ مَاسَعَى

وَحَاصِلُ الأَمْرِ بأنَّ الرَّجُلاَ يَلْزَمُهُ في ذَاتِهِ انْ يَكْمُلاَ

مِنْ غيْرِ أَنْ تعْتَبرَ الأنْسَابَا وَمَنْ رَأَى أَفْعَـالَهُ أَعَابَا

إِذِ الأنَامُ كلُّهُمْ مِنْ طِـينِ والشرَفُ الأَعْظَمُ حِفظُ الدِّينِ

وبعْـدُ فالعِلْمُ والآدَابُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْخُلَهَا إعْجَابُ

وَإن يكُنْ ذا نَسَبٍ عَرِيقِ فَهوَ أجلُّ ذلكَ الفَرِيقِ
وَقَدْ يغطي الشخصُ بالمعارفِ نسبه في أكـثرِ المَوَاقِفِ
والعـلمُ حقًّا فضلُه يَزيدُ فذاكَ سلمَانُ وَذا يَزيدُ
والغَبنُ كُلُّ الغَبْنِ للإنسانِ خَسارةُ العُلُومِ والإيمانِ
فنسألُ اللهَ تمَامَ النِّعْمَه ومِنَنًا تَشْمَلُنَا ورَحْمَه
وَقَدْ أرَدْتُ أنْ أعُدَّ نَسَبي للحفْظِ لا للفَخرِ يَاذا الأدَبِ
وَإنني أَحقَرُ مِنْ أنْ أذْكَرَا أوْ أنْ أكونَ في الوَرَى مُوقَّرَا
لكنْ بقدرِ طَاقَتِي أَقُولُ والعفوُ من ذي هِمَّةٍ مَأْمُولُ
وَنبتَدِي الآنَ بِمَا قَصَدْنا وَمَا بِذا الأرْجَازِ قَدْ أرَدْنا
فَأشْرَفُ الأنْسَابِ مَاكانَ إلى خَيرِ النَبيِّينَ الكرامِ أَوْصَلا
وَإنَّني بحمـدِهِ تَعَالَى بِلَقَبي وإسمي وَجَدْتُ فَالاَ
مُحَمَّدٌ اسمي الأمينُ لَقَبي كَذَا أَتَى مُحَمَّدٌ اسمُ أبي
وَمولدي أرِّخْ غُلامٌ مُفْلِحُ في وَقْتِهِ حَكاهُ حَبْرٌ صالِحُ
مَسكَنُنَا مَعَرَّةُ النُّعْمانِ وَمَعْدِنُ السَّخاءِ والإيمانِ
وَوَالدي المذكورُ مُفتِيها وَمَنْ غَدا عَلى شرعِ النَّبي مُؤتَمَنْ

كَمْ نَشَرَ العِلْمَ بِهَا وَعَلَّمَا   وَقَامَ بالإصْلاحِ لَمَّا سُلِّمَا
إليهِ في مَحْفَلِهَا يُشَارُ   وَهْوَ بِهَا للكُلِّ مُسْتَشَارُ
يَنصَحُ للدِّينِ ولِلْوُلاَةِ   وللرَّعَايا سائرَ الأوْقاتِ
وكانَ بالصَّلاحِ غيرَ مُتَّهَمْ   وَفِي جميعِ القُطْرِ بَدْراً وَعَلَمْ
مُدَرِّسٌ في الدوْلَةِ العليّة   خليفةٌ للسَّادَةِ الصُّوفِيّة
يَخْدِمُ سَبْعَةً مِنَ الطَّرائِقِ   في رُتْبَةِ الإرشادِ والحَقائِقِ
عَلَيْهِ جُزْءٌ مِن فَراشَةِ الحَرَمْ   وَرَوْضَةِ المختارِ أشرفِ الأمَمْ
والِدُهُ كانَ إماماً صَالِحَا   خَطيبَ قَوْمِهِ وفيهِمْ ناصِحا
يُعْرَفُ بالعابِدِ لِلْوهَّابِ   أبُوهُ اسْحَقُ(١) بِلا ارْتِيابِ
كَذا أبُوهُ عابِدُ الرَّحْمَنِ   وَحَسَنٌ(٢) أبُوهُ بالإعْلانِ
وَالِدُهُ مُحَمَّدُ الجُنْدِيُّ   وَذِكْرُنا الآنَ بِذا مَحْكِيُّ

---

(١) قال الناظم : ومن اسحاق المرقوم لنا اقارب ، بنو عم في معرة النعمان ، منهم في وقتنا السيد مصطفى ، وبنوه محمد واحمد وعبد الغني . ومحمد له امين . واحمد له مصطفى . ومصطفى الاول هو ابن ابن اسحق ، ابوه عبد الرحمن ابن اسحق . وعمي ابن عبد الوهاب اسمه احمد وبنوه محمد وصالح واسماعيل ، ولم أذكر هؤلاء لشهرتهم (ج) .

(٢) قال الناظم : ومن حسن بن محمد الجندي المذكور لنا أقارب متمكنون في حماة ، يعرفون ببيت الشيخ فتوح ، اسم جدهم لا اعرف من فرقه لأذكره اه (ج) .

وَهْوَ ابنُ احْمَدَ بنْ إبراهيما — أبوهُ يسن[1] غَدا كَرِيماَ

قُطْبٌ لَقَدْ شَرَّفَ بِكَفَالُونَا — إذْ كانَ في أَرْجائِها مَدْفُوناَ[2]

بِقُرْبِ إدْلِبٍ وَفِيها قَوْمُ — مافي انْتِسابِهِمْ إلَيْهِ لَوْمُ

شُهْرَتُهُمْ بالجَوْهَرِيِّ تعرفُ — وَهُمْ بِأَثْوابِ الصَّلاحِ شُرِّفُوا

هُمْ بَنُو أَعْمامِنَا بِلاَ خَفَا — وَكُلُّنا غَدَا بِذا مُعْتَرِفاَ

ثُمَّ أَبو يسن إبراهيمُ — وَهْوَ ابنُ عَبْدِ اللهِ يَافَهِيمُ

والِدُهُ عَبْدُ الكَرِيم الزَّيْنِي — أَبُوهُ أَحْمَدٌ شِهابُ الدِّين

يُعْرَفُ بالمكيِّ وَالسَّوّاحِ — وَهْوَ الذي جاءَ لِذي النَّواحي

---

(١) قال الناظم : ومن ياسين هذا لنا أقارب في مدينة حلب، لاعرف وصلهم بنا، الا من هذا ، وما بعد غير مضبوط عندي (ج) .

(٢) قال الناظم: قوله قطب لقد شرف بكفالونا... وهذا اخذته من ظهر كتاب موجود. عندنا محرر بخط الوالد .. ان الشيخ ياسين هذا يعرف بالبكفالوني، لاقامته في بكفالون ودفنه بها. ثم قال انه خرج عام ستين الى بكفالون، لزيارة مقامه فأخبره بعض اهل القرية : ان الشيخ المدفون هناك يعرفونه بالبغدادي . وان اسمه احمد. وبعد عودته الى المعرة أخبره بعض اقاربه ان المدفون في بكفالون هو احمد شهاب الدين الآتي ذكره، وقد قيل هذا القول ثم قال: واظن ان تعريفه بالبغدادي، لانه آخر الأمراء العباسيين، وهم بغداديون سكنى، وولاية، بل بغداد عباسية تنسب اليهم... واما الشيخ ياسين فان مقامه في تربتنا، خارج معرة النعمان من الغرب ، وهذا اقرب الى القبول .

ولكن سيتضح مما يأتي ان ياسين اسم لأشخاص متعددين، وان كلا منهم يقال له : ياسين الجندي، فهم من حفدة ياسين البكفالوني، الذي كان قبل اشتهار هذه الأسرة بالجندي أو بني الجندي فتأمل ... (ج)

اِبنُ الأَميرِ وهْوَ عَبْدُ اللهِ ‏ ابنُ الأَميرِ يُوسُف ذِي الجَاهِ

والدُهُ عَبْـــدُ العَزيزِ السَّامِي ‏ وَهْوَ ابنُ منْصُورِ الأَميرِ النَّامِي

وَهْوَ أَبُو جَعْفَرِ الخَليفَةِ ‏ مُنْتَصِرٍ باللهِ دُونَ خِيفَةِ

ابنُ مُحَمَّدِ الأميرِ الظَّاهِرِ ‏ وَهْوَ ابنُ أَحْمَدَ الأَميرِ النَّاصِرِ

ابنُ الأميرِ حَسَنِ الخَليفَةِ ‏ أَبِي مُحَمَّدٍ جَمَالِ الكُوفَه

ابنُ الأميرِ يُوسفَ المسْتَنْجِدِ ‏ باللهِ وَهْوَ ابنُ الفَتَى مُحَمَّدِ

خَليفَـــةٌ يَقْفُو لِأَمْرِ اللهِ ‏ ابنُ الأميرِ أَحْمَدَ المُبَاهِي

وَهْوَ ابنُ عَبْدِ اللهِ والمقْتَدِرُ ‏ لَقَبُـــهُ وَفَضْلُهُ لاَ يُحْصَرُ

خَليفَةٌ أَبُوهُ بالذَّخِـــيرَةِ ‏ مُحَمَّدٌ يُعْرَفُ بَيْنَ الخِيرَةِ

وَهْوَ ابنُ عَبْدِ اللهِ أَعْنِي القَائِمَا ‏ للهِ بالأَمْرِ وَكَانَ رَاحِمَا

ابنُ الأميرِ أَحْمَـــدَ الخَليفَهْ ‏ شهرَتُـهُ بقَـادِرٍ مَعْرُوفَه

وَهْوَ ابنُ اسْحَاقَ بنِ جَعْفَرْ وَذَا ‏ أَبُوهُ أَحْمَدٌ وَعَنْهُ أَخَـــذَا

ابنُ الأَميرِ طَلْحَةَ بنِ جَعْفَرِ ‏ ابنِ مُحَمَّدٍ سِرَاجِ الأَعْصُرِ

يُعْرَفُ بالمعْتَصِمِ الكَرَّارِ ‏ والأَسَدِ الغضَنْفَرِ المِغْوَارِ

وَهْوَ ابنُ هَرونَ الرشيدِ مَنْ غَدَا ‏ بنورِهِ في الخَافِقَيْنِ يُهْتَدَى

خليفةٌ قامَ لهذا الدِّينِ   بالنَّصْرِ والتأييدِ والتمكينِ
وَهْوَ ابنُ مَنْ لُقِّبَ بِالمَهْدِيِّ   مُحَمَّدٍ ذي المَشْهَدِ السَنِيِّ
وَهْوَ ابنُ عَبْدِ اللهِ والمنصُورُ   لَقبُهُ وَهْوَ بِهِ مَشْهُورُ
عَمَّرَ بَغْدَاداً كَمَا قَدْ أَرَّخَا   أَيَّامُه كَانَتْ عَلَى النَّاسِ رَخَا
ابنُ مُحَمّدٍ وَذَا بالكَامِلِ   مُلَقَّبٌ في سَائِرِ القَبَائِلِ
ابنُ عَلِيٍّ وَهْوَ ذُو الثَّفِنَاتِ   لَقَبُـــه السَّجَّادُ أَيضاً آتِ
وَهْوَ ابنُ عَبْدِ اللهِ بحرِ[1] الأمَّة   سِرَاجُهَا في كُلِّ مُدْلَهِمَّةِ
وَهْو ابنُ عَمِّ المصطَفى العبَّاسِ   مَنْ كانَ شمساً في خلالِ الناسِ
وَكانَ يُستَسقى بِهِ الغَمامُ   وَلِحماهُ يَلجَـــأُ الأنامُ
وَمَدْحُهُ قَدْ جاءَ في القُرْآنِ   وَكَمْ حديثٍ صَحَّ في ذا الشّانِ
وَهْوَ مِن اصْحاب العباء مره   وَكَمْ تحامى المُصْطَفى وَسرّه
مَسَكَهُ بيدِهِ الشَّرِيفَــه   في ملاءٍ صِفَاتُهُ مُنِيفَـــهْ
وَقالَ هـذا دُونَ شَكٍّ عَمِّي   صِنْوُ أبي وَهْوَ دَمي وَلحْمي
فَمَنْ يُواليهِ فَقَـــدْ وَالاَني   وَمَنْ يُعاديهِ فَقَدْ عَادَاني

(١) حبر (ج)

وَحِفْظُ حُرْمَتي بِحِفْظِ حُرْمَتِه   وَأَشْهَدَ اللهَ عَلَى مَقَالَتِه
وَلَو أَرَدْتُ ذِكرَ مَا قَدْ وَرَدَا   في مَدْحِهِ لَطَالَ ذَلكَ المَدَا
لَكنني اختصرتُ واختِصارِي   لاشكَّ فيهِ بُلْغَةٌ للقَارِي
وَلنرجعِ الآنَ الى ذِكْرِ النسبْ   وَعَدِّ هاتِيكَ الجُدودِ والعَرَبْ
وانْ يكنْ ذلك أمرٌ مشتَهِرْ   لَكنْ على السالِكِ أنْ يَقْفُو الأثَرْ
فاسْمعْ هُديتَ سُبُلَ الرشادِ   وَمِنْ هُنا أشْرَعُ بالمُرادِ
فَوالِدُ العباسِ عَبْدُ المُطَّلِبْ   وَهْوَ ابنُ هَاشِمٍ إليهِ قد نُسِبْ
والدُهُ عبدُ منافِ بنِ قصَيّ   ابنُ كلابِ مُرَّة لَهُ أبيّ
وَهْوَ ابنُ كَعْبِ بنِ لؤيٍّ يافَتى   أبوهُ غالبُ بنُ فِهْرٍ ثَبَتَا
وَقيلَ إنَّ ذَا قريشٌ وَعَلَى   أصحِّ الاقوالِ بَنُوهُ الأَصْلا
وَهْوَ ابنُ مالكٍ أبوهُ النَّضْرُ   ابنُ كِنانةٍ كِرامٌ طُهْرُ
ابنُ خُزَيمَةَ الذي أبوهُ   مُدْرِكَةٌ كَذاكَ حَرَّرُوهُ
والدهُ إلياسُ جَدُّهُ مُضَرْ   ابنُ نزارِ بنِ مَعَدٍّ الغُرَرْ
وَهْوَ ابنُ عدنانَ وهذا آخِرُ   مَاصَحَّ في الأنسابِ وَهْوَ ظاهِرُ
وَبَعْدَهُ فاتْرُكْ مَقَالاً زُوراً   وَكُنْ عَلى مَا قُلْتُهُ مَقْصُوراً

وفي الحَديثِ كَذبَ النَّسَّابُ ... مَا فَوْقَ عَدْنانٍ وَمَا أَصابُوا
لكنني أذكُرُه اسْتِطْرَادَا ... لِيَسْتَفِيدَ مِنْهُ مَنْ أرَادَا
وَلَيْسَ مَقْطُوعاً بِهِ لِما سَبَقْ ... وَإنمـا عَلَيْهِ جَمْعٌ اتّفَقْ
وَجَاءَ في أكثره اخْتِلافُ ... وَسَرْدُهُ في مِثْلِ ذا إنصافُ
وَإنـنِي أذكرُ بِاخْتِصارِ ... كَيلاَ يطولَ فَيَمَل القَارِي
أقولُ عَدْنانُ أَبُوهُ أُدُّ ... وَأُدَدُ يَتْلُوهُ إذْ يُعَدُّ
وأُدَدُ ابنُ اليَسَعِ المُحْتَرَمْ ... ابن الهُمَيْسَعِ الكريم العَلَم
ابنُ سلامانَ بنِ نَبْتِ بنِ حَمَلْ ... وَهْوَ ابنُ قيذارَ بِلا بَسْطِ جُمَلْ
وهوَ ابنُ اسْماعيلَ نخبةِ العَربْ ... وقُطْبِ مِحْرابِ المَعالي والرتبْ
ابنُ الخليلِ وَهْوَ ابراهيمُ ... صَلّى عليهِ رَبُّنا الرَّحيمُ
أَبُوهُ تارَاحُ وَقيـل آزَرُ ... كِلاهُما شَخْصٌ وَلا تَغايُرُ
وَهُوَابنُ تاجورِبنِ ساروغٍ كَمَا ... رَأَيْتُهُ بِخَطِّ بعض العُلَمَا
فَرغو بنُ فالغٍ بنِ شالحِ ... أَلحِقْ بِهِ أَرْفَخشَذْفي الرَّاجِحِ
وَهْوَ ابنُ سامِ ابنِ نوحٍ النَّبي ... وَهْوَ ابنُ لامخٍ كما في الكُتُبِ
ولامك ولكّ أَسماء ذا ... فإنْ تجدْ أَحدها لا تَنْبذا

واسم أبيهِ متوشلح الى | أنوش أعني نجلَ شيثٍ وَصلا
وَشيثُ ابنُ آدمٍ أبي البَشَرْ | وَزَوْجُهُ حوّا كما قَدِ اشْتَهَرْ
وَإنَّ ذا أقْرَبُ مارأيتُهُ | وَعَنْ ذوي التاريخ قدرَوَيتُهُ
فاحْفَظْهُ غيْرَ جازمٍ بصِحّتِه | واقصرْ إذا سُئلتَ عَنْ تلاوتِه
وَإنَّني أستَغْفرُ اللهَ فَلا | يَبْعُد أنَّ في مَقالي زَلَلا
ثُمَّ الصَّلاةُ والسَّلامُ الأبدي | عَلى النَّبيِّ الهاشميِّ مُحمَّدِ
أفضلِ أَهْلِ الأرضِ والسَّماءِ | وَأَشْرَفِ الجُدُودِ والآباءِ
وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الكِرامِ | والحَمْدُ في المَبْدَإِ وَالخِتامِ

من عانى صناعة الشعر يعلم ان نظم الاسماء ، على سبيل التتابع ، أمر ليس بالسهل ، لان منها مايستعصي على وزن الشعر ، ولا يمكن اخضاعه ، إلا بتغيير او تحريف ، ومنها مايلجىء الشاعر الى الخروج عن سنن الفصاحة .

وقد رأينا في هذا النسب ان الناظم ، اضطر الى تغيير عبد الوهاب وعبد الرحمن ، بعابد الوهاب وعابد الرحمن ، كما اضطر الى اتمام بعض الأبيات بأوصاف لاحاجة اليها ، لولا القافية والوزن ، ووقف على الاسم المنصوب المنون بالجزم ، وصرف مايمنع من الصرف ، ومنع من الصرف مالايوجد فيه مانع منه ، وقطع همزة الوصل ، ووصل همزة القطع ، وسكن المتحرك في مثل الثمنات ، وارتكب غير ذلك من الضرورات ، وعذره في ذلك كله ماذكرناه .

وقد أردنا أن نبين أقرباءنا في كل بلد ، وموطن اتصالنا بهم واتصالهم

بنا ، لأني رأيت كثيراً من أبناء هذه الأسرة ، لا يعرف الجد الذي يجمعه بذوي قرباه ، حتى ان الناظم رحمه الله غاب عنه ، معرفة أقربائنا في حماة وحلب ، كما سنبينه فيما يأتي :

أقرباؤنا في أنطاكية :

وفي أبي نصر محمد الظاهر بالله بن الناصر أحمد أبي العباس ، يجتمع نسبنا مع أقربائنا في أنطاكية ، لأن الظاهر ولد له جعفر المنصور، جدنا السابق ذكره، وولد آخر يسمى شرف الدين ، ويلقب باقبال ، كان أمير الجيش، وهذا ولد له محمد ، وهذا ولد له علي الكردي ، قيل له ذلك ، لأنه أقام في بلاد الكرد مدة ، وهذا ولد له محمود ، وهذا ولد له حسن ، وهذا ولد له عمر ، وهذا ولد له عبد الرحمن ، وهذا ولد له الشيخ شهاب الدين القُصَيْري ، وهذا ولد في قرية بقرب أنطاكية سنة ٩٠٤ هـ ، وتوفي سنة ٩٦٣ هـ ، وقد كان عالماً فاضلاً ، تقياً ورعاً ، وللناس فيه اعتقاد كبير ، في حياته وبعد موته ، وله مقام يؤمه الزوار من كل حدب وصوب .

وقد ولد له الشيخ محمد ، وهذا ولد له عبد اللطيف ، وهذا ولد له طه ، وهذا ولد له حسن ، وهذا ولد له عبد الغني ، وهذا ولد له محمد ، وهذا ولد له اسماعيل ، وهذا ولد له أحمد الملقب بقوجه شيخ ، وهذا ولد له عبد الرحمن ، وهذا ولد له الشيخ محمد قوشجي ، وهذا ولد له محمد رشيد ، وهذا ولد له محمد ، وهذا ولد له مصطفى .

نقلت هذا من نسخة استقدمتها من انطاكية ، ولا يزال لهذا الفرع ذرية في انطاكية ، منهم في عهدنا هذا ، وهم الآن يعرفون ببني القصيري ، منهم

مصطفى بك القصيري ، الذي عين وزيراً للزراعة في الجمهورية السورية،ومدحة بك بن رشيد ، وكان رئيساً للمعارف في انطاكية ، حين كانت تابعة للجمهورية السورية ، ثم أخذها الترك سنة ١٩٣٨م ، الموافقة سنة ١٣٥٧ هـ ، وقد رأيت فرمانا مؤرخاً في محرم سنة ١٠٦٥ هـ ، يقضي باعفاء سلالة الشيخ احمد القصيري المقيمين في قرية بكفالون من التكاليف الأميرية ، ورأيت صورة من هـــذا النسب فيها زيادة ونقص واختلاف في الترتيب عما ذكرته .

أقرباؤنا في ادلب :

قلنا : إن احمد ولد له ثلاثة بنين: محمــد الجندي ، ومحمد وفا ، ومحمد الجوْهري،والجوهري ولد له علي ، وولد لعلي عبد الرحمن ، وولد لعبد الرحمن عبد القادر ، وولد لعبد القادر محمد صلاح الدين ، وهو من رجال العلم،ولا يزال أبناؤه في ادلب يعرفون ببني الجوهري الى هذا اليوم .

أقرباؤنا في حمص :

ولـّد محمد الجندي الكبير حسنا ، وهو جد هذه الاسرة في المعرة ، كما تقدم ، وله ولد آخر اسمه احمــد ، وهذا ولد له محمد جد الاسرة الجندية في حمص .ولد محمد هذا في المعرة،ونشأ في حجر والده ، فرباه ، وأدبه،وعلمه، ودربه ، فكان باقعة (١) أريبا ، وقلد أمورا هامة .

وفي سنة ١١٤٠ هـ استدعاه اسماعيل باشا العظم الى دمشق ، بعد أن عين واليا عليها ، وعينه محافظا للحج الشريف ، وأقام بها مدة ، ثم استقال من

(١) أي داهية من الدواهي .

محافظة الحج ، لتقدمه في السن في عهد والي دمشق سليمان باشا أخي اسماعيل باشا العظم ، فأقاله وعينه متسلما على مدينة حمص سنة ١١٤٦ هـ ، وهي السنة التي ولي فيها دمشق سليمان باشا المذكور أول مرة ، وهو أول من هاجر الى حمص، وله فيها وفي ضواحيها آثار عظيمة ،منها : بناء قلعة تلبيسة ، واقامة الجند فيها لحفظ الطريق ، من عرب البادية ، وبناء جامع فيها ، وتخصيص مايحتاج اليه من النفقات من وقفه الخاص في حمص ، وبناء حمام في جانب القلعة المذكورة .

ومنها جر الماء من بحيرة قطينة الى حمص، وهي المعروفة الآن بالساقية، ثم جر قسما منها الى الجامع الكبير في حمص ، وبنى بركة كبيرة في صحنه ،ثم بنت ابنته المصلى بجانب البركة المذكورة ، بعد وفاة ابيها بسنة ، ومنها جر الماء الى جامع البازرباشي، وكثير من الاماكن الخيرية. وله الوقف المشهور بوقف بني الجندي الكبير، وقفه على ذريته ، وجعل قسما منه لفقراء أسرته ، من غير المستحقين ، ولأعمال البر، وقفه سنة ١١٧٠هـ .

وقد ولد لمحمد هذا ولدان: عبد الرزاق، وخالد، أما عبدالرزاق فقد ذكر صاحب سلك الدرر (١) انه ولد سنة ١١٥٠ هـ ، ونشأ في كنف والده ، فأدبه، وثقفه ، وأخذ الادب عن الشيخ عمر الإدلبي نزيل حمص ، فكان أديبا ذكيا، حاذقا بصناعة الشعر ،محبا للمذاكرة، ومجالسة العلماء والادباء، والمساجلة والمطارحة .

وكان من ندمائه الاديب عثمان المعري البصير الشاعر ، وكان عبد الرزاق حصيف الرأي، حسن التدبير، طويل الباع في السياسة ، وولي حكومة قلعة تلبيسة من قبل الحكومة ، بعد وفاة أبيه ، الى أن قتل ، وولي حكومة

(١) المرادي : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ٣ : ١٦ (ج) .

حماة وحمص حتى إذا كانت سنة ١١٨٩ هـ ، اراد حاكم حمص وقتئذ عبد الرحيم بك العظم ، ان يذهب الى عرب الموالي ، فذهب معه عبد الرزاق ، لأنه حاكم قلعة تلبيسة ، ومعهما شرذمة من الجند ، فوقعت بينهما وبين العرب حرب ، فأخذتهم العرب ، وسلبتهم حتى ثيابهم ، ثم جاء بدوي فطعن المترجم برمح في رقبته ، فقتله ، واسروا حاكم حمص ، فجاء أهل قرية هناك ، فحملوا المترجم الى حمص ، وذلك في اليوم الحادي والعشرين من ربيع الثاني سنة ١١٨٩ هـ ، ودفن في تربة بني الجندي في حمص، المقابلة لجامع خالد بن الوليد .

أما الحكومة فقد استصفت أمواله ، وباعت كتبه وأثاث بيته ، ثم عينت مكانه مسعود بك بن سعيد باشا الصدر ، فلم يتمكن من ضبطها ، ثم وجهت لأولاد المترجم فجاؤا الى دمشق ، وفرغوها لأخيه (١) ، فأصبح حاكماً للقلعة .

ثم قام عثمان ابن المترجم باعمال ابيه ، فعزل ، واستبدلته الحكومة برجل من اهل حمص من بني الجندلي ، فأغار عثمان بخيله ورجله ، وجماعته من جند الحكومة على اعدائه ، فثأر لنفسه ، ثم افتتح حمص عنوة سنة ١٢١٦ هـ ، بعد أن حاصرها ، وقد ذكر ذلك ابن عمه الشيخ امين ، الشاعر المشهور ، بقصيدة غراء ، يقول في مطلعها :

اللَّيثُ يُعرَفُ بَأسُهُ وَثَبَاتُهُ   إنْ أَبطَأَتْ أَو أَسرَعَتْ وَثَبَاتُهُ

---

(١) هكذا جاء في سلك الدرر ولعل الأصل فوجهت الى ابن المترجم ، وفرغتها له ، لأنه لم يكن له من الأولاد الذكور ، غير ابن واخته ، وهو عثمان (ج) .

وفيها يقول بعد أن سرد أبياتاً محكمة من الحكمة :

وَزِنِ الرِّجَالَ فإنَّ في أفْرَادِهَا ... مَنْ لا تُزَانُ بألْف ذات ذَاتُهُ
إن الزّمانَ إذَا خَلاَ عَنْ سَيّدٍ ... لَمْ تُخْشَ في أَبنائِهِ سَطَوَاتُهُ
وَسَمِيٌّ ذي النُّورَين سَيِّدِهِ الذي ... في النَّاسِ لا تَخفَى عَلَيْكَ سِمَاتُهُ
يَاخَاطِبَ العَلْيَاءِ ضَلَّ بكَ السُّرَى ... أقْصِرْ حِبَالَ رَجَاكَ فهي فَتاتُهُ

. . .

لا تُطْمِعَنَّكَ فِيهِ كَثْرَةُ صَفْحِهِ ... عَنْ آلِ حِمْصَ فَفِيهِمْ عصَبَاتُهُ
لَمّا عَلَيْهِ بَغَتْ بِهِ سُفَهَاؤُهَا ... والبَغْيُ أَقربُ مَاتُرَى آفَاتُهُ
واسْتَبْدَلُوهُ بِجَنْدَلٍ مِنْ بَعْدِ مَا ... قَامَتْ بِهِمْ نَفَقَاتُهُ وَصِلاتُهُ
أَفضَى رَوَاحِلَهُ إلى وَادِي الحِمَى ... فاسْتَقْبَلَتْهُ كُمَاتُهُ وَحُمَاتُهُ
مِنْ بَعْدِ ذاكَ سَرَى لِمَعْهَدِ جِلَّقٍ ... فتَهَلَّلَتْ فَرَحاً بِهِ وَجَناتُهُ

. . .

وَتحرَّكَتْ هِمَمُ الوَزيرِ كَمَا جرَتْ ... في مِثْلِهَا مَعَ مَنْ بَغَى عَاداتُهُ
فَتَجَهَّزَتْ لِقِتالِهِمْ بِعَسَاكِرٍ ... حَجَبَتْ سَنَا شَمْسِ الضُّحى رَايَاتُهُ

. . .

حَتّى ارْتمَتْ حِمْصُ بنارِ حِصَارِهِ ... واسْتَمْطَرَتْها بالرَّصاصِ رُمَاتُهُ
وَهُناكَ للشَّهْبَاءِ وَلَّى جَنْدَلٌ ... يَعْدُو وَوَلّتْ خَلْفَهُ خذلاَتُهُ

فَسَلِ الكَثيبَ بِحَيِّ حِمْصٍ إذْ غَدَتْ

تَرْثِي لأَحْياءٍ بِــهِ أَمْواتُــهُ

وَعلى يَدَيْهِ مِنَ الإِلَهِ لَقَدْ جرَى

فَتْــحٌ مُبينٌ أَرَّخَتْ خَيْراتُـهُ .

سنة ١٢١٦ هـ

ولعبد الرزاق شعر كثير ، وكان مولعا بالتشطير فقد شطر قصيدة عمر بن الفارض التي أولها :

قَلْــبي يُحدِّثُني بأنَّكَ مُتْلفي

رُوحِي فِداكَ عَرَفْتَ أمْ لمْ تَعْرِفِ[١]

وشطّر قصيدة كعب بن زهير التي اولها :

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ

مُتَيَّمٌ إثْرَهَــا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ[٢] .

وله مساجلة مع الشيخ محمد سعيد السُّوَيْدي البغدادي ، والشيخ عثمان البصير المعري ، ثم الحمصي ، وقد ذكر ذلك كله المرادي [٣] .

(١) ابن الفارض : الديوان ص ٦٥ .

(٢) الحسن بن الحسين السكري : شرح ديوان كعب بن زهير ص ٦ .

(٣) المرادي : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ٣ : ١١ (ج) .

وقد ولد لعبد الرزاق عثمان كما تقدم ، وولد لعثمان حسين ، ومحمد .

أما حسين فقد ولد له اربعة بنين : عبد الرحمن ، وعبد القادر ، وعبد الله ، وعبد الرزاق ، ونائلة وهي جدتي أم والدي .

وولد لعبد الرحمن حافظ ، وصالح ، وحسين ، ونجيب .

وولد لحافظ محمد علي ، وعبد الرحمن ، وراغب ، ومحيي الدين ، واحمد شكري ، ونورس .

وولد لمحمد علي ، توفيق ، وعبد الفتاح ، وعبد العزيز ، وأبو الهدى .

وولد لعبد الرحمن ، هاشم ، وحيدر ، وعبد النافع .

وولد لراغب ، رجاء الدين ، وسراج الدين .

وولد لمحيي الدين ، نبيه ، وحاتم .

وولد لنورس ، حافظ ، ورامي .

وأما صالح فمات عقيما ، وولد لحسين ، رشيد ، وهذا ولد له حسين .

وولد لنجيب ، عبد السلام ، وماجد .

وأما عبد القادر ، فولد له أسعد ، وولد لأسعد ابراهيم ، وعبد الجبار ، وعبد القادر .

وأما عبد الله بن الحسين فقد ولي إمارة حمص ، ومدحه الشيخ أمين الجندي بقصيدة يقول فيها :

والصبح أنوارُه بالبشْرِ ساطعةٌ ... كأنّها وجهُ عبد الله إذ مُدحا

نجلُ الحسينِ الذي قد تمّ سؤددُه ... من جدِّه عابدِ الرزّاقِ واتّضحا

إلى شريفٍ رحيبِ الصّدر يقظته ... من بالنّوالِ على أقرانِه رَجحا

الى ان قال :

جاءتْ تهنّيكَ عنّي بالإمارة في حمصٍ وتقصدُ بحراً بالنّدى طفحا .

وولد لعبد الله هذا شريف ، وهذا ولد له عبد الله ، وعبد الكريم ، فعبد الله مات ، وعبد الكريم ولد له محمد ، واحمد ، وعز الدين ، وعبد الجليل .

واما عبد الرزاق فولد له رضا ، وحسني ، وعبد الهادي .

وولد لرضا ، عبد الرزاق ، وزهير ، وطارق .

وولد لحسني قحطان

وولد لقحطان ، المعتز بالله .

واما محمد بن عثمان بن عبد الرزاق ؛ فقد رثاه الشيخ أمين بأبيات أشار فيها الى ماأصابه في حوران وأربد(١) والنجاة(٢) مطلعها :

بمُحَمّدٍ يرجو النّجَاةَ محمدا السّيّدُ الجنديُّ الأَبَرُّ الفاضلُ

وقد ولد له سليمان ، ويوسف .

أما يوسف فقد ولد سنة ١٢٤٥ هـ وأرخه الشيخ أمين بقصيدة آخرها :

بلْ وَمَا بِالهَنَاءِ والعِزِّ وافَى لَكَ أرِّخْ غُلامُ سعْدٍ يحبُّ

وولد لهعثمان ، وهذا ولد له محمد ، وطاهر ، وعبد الحميد ، وعبد المجيد ، وعبد الستار ، وعبد الحسيب ، وعبد الحليم ، وعبد الباقي .

وأما سليمان فانه ولد له مصطفى ، ومحمد ومحمود ، وسعيد ، وعارف ، وفياض .

---

(١) انظر معجم البلدان لياقوت ١ : ١٨٤

(٢) انظر معجم البلدان لياقوت ٤ : ٣٥٠

وولد لمصطفى ولد اسمه أديب ، وولد لأديب ولد اسمه مصطفى ،وولد لمحمود ، صبحي ، وبدوي ، ولبدري محمود ، وولد لمحمد ابو الخير ، وسليمان ولطفي ، وصادق ، وعزة ، وجودة ، ورفعة ، وأدهم ، وخالد .

وولد لسعيد ، منير ، ووصفي ،وناظم ،وعمر ،وابوالسعود ،وابوالنصر .

وولد لناظم ، غسان ، ولأبي النصر ، وليد

وولد لعارف ، صبري .

وولد لفياض ، علاء الدين ، ورسمي ، وزكريا ، وعبد الكافي .

وولد لأبي الخير [1] بهجة ، وموفق ، وعبد الغفار ، وولد لسليمان ، رفيق ، وجميل .

وولد لموفق ، فريد . ولعبد الغفار ، ابو الخير .

وولد للطفي ، نسيب ، ومنذر ، وزيد ومأمون .

وولد لعزة ، محمد ، ومجاهد .

وولد لرفعة ، عدنان .

وولد لأدهم ، عمر .

وأما خالد بن محمد اخو عبد الرزاق ، فقد ولد له اربعة أولاد: الأول الشيخ امين الشاعر ، المشهور بجودة شعره ، وغزارة معرفته بالموسيقى وعلمه ، توفي سنة ١٢٥٧ هـ ، وله ديوان مطبوع ، طافح بالقصائد الجيدة ، في اغراض متعددة ، وفيه كثير من القدود ، والاعاريض . والموشحات ، والمواليا ، ونحوها ، وهو لم يستوعب شعره كله [2] وقد رثاه كثير من الشعراء ، منهم عم أبي امين الجندي مفتي المعرة ، ودمشق .

---

(١) توفي ابو الخير سنة ١٣٥٨ هـ (ج)

(٢) وقد تولى طبعه رجل من العامة ولذلك جاء طافحا بالأغلاط والتحريف .

وولد للشيخ أمين محمد ، وهذا ولد له ستة : وهم سعد ، وسعيد ، وعبد الغني ، وكامل ، وأمين ، واسماعيل .

أما سعد فولد له محمد ، ونوري .

وأما سعيد فولد له عادل ، والسائح .

وأما عبد الغني فكان شاعراً مجيدا ، وولد له أمين .

وأما أمين بن محمد فولد له محمد علي ، ورضا .

ومحمد علي ولد له محمد ، وماهر .

الثاني من اولاد خالد بن محمد ، سليم ، وهذا ولد له خالد ، ومحمد ، ومصطفى .

وولد لمحمد هاشم ، وسليم ، وابوالنصر ، وزهري ، وعبد الواحد ، وابو الهدى .

وولد لمصطفى ، عادل ، وعبد الغفار ، ومحمد .

الثالث من اولاد خالد بن محمد حسن ، وهذا ولد له ولدان :

محمود ، ونجيب ، أما محمود فقد ولد له محمد وحسن ، وولد لحسن محمود وولد لمحمود حسن وعدنان .

واما نجيب فقد ولد له حسن ، وولد لحسن نجيب ، وشفيق ، ومحمد

الرابع من اولاد خالد بن محمد ، وهذا ولد له نعمان ، ومحمد .

اما نعمان فولد له خالد ، وولد لخالد نعمان ، وعبد الوحد ، وولد لنعمان خالد ، وغالب ، وبدر ، ونائف .

واما محمد بن محمد بن خالد ، فقد ولد له انيس ، وصفا ، ومحمد ، وولد لأنيس ، فيصل ، وزيد ، وولد لصفا عبد الجواد .

ولا تزال هذه الأعقاب في حمص الى هذا العهد .

اقرباؤنا في حماة :

ذكرنا فيما سبق أن محمد الجندي ، صاحب هـــذا اللقب ، وجد هذا البيت ، ولد له حسن ، وهو أول من هاجر الى المعرة ، وله اولاد .

منهم : عبد الفتاح ، وقد ولد لهذا عبد الغني الملقب بغنوم ، ومات هذا عقيما في دمشق سنة ١٢١٨هـ .

وولد له محمد ، وهذا هاجر الى حماة ،ومات في دمشق سنة ١٢٢٠هـ .

اما محمد بن عبد الفتاح ، فله ولدان : احدهما محمد ، والثاني حسن .

أما محمد بن محمد المتوفى سنة ١٢٩٠ هـ فقد ولد له عيسى ، وهذا ولد له حمدو ، وأحمد ، ومحمود ،وعبد القادر ، وعبد الكريم .

وولد لأحمد عبد السلام ، وعبد الرحمن ، وعبد المنعم ، وولد لمحمود عبد الغني .

وولد لعبد القادر ، مهدي ، ومأمون ، والرشيد ، والمعتصم ، وولد لعبد الكريم نزار ، وياسر ، ووليد ، وبسام .

وأما حسن بن محمد فقد توفي سنة ١٢٨٥هـ ، وولد له عبد القادر ، ومحمد .

وولد لعبد القادر المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ ، محمد ، وعبد الرزاق .

وولد لمحمد هذا المتوفى سنة ١٣٥٨ هـ عبد القادر ، وبشير ، وابراهيم ، وهشام .

وأما محمد بن حسن الثاني فقد توفي سنة ١٣٠٩ هـ ، واعقب حسنا ، وحسينا ، وعبد الله ، وعبد الفتاح .

وتوفي حسن الثالث ، وقد أعقب نجيبا ، ورائفا ، وسالما ، وتوفيقا ، وشريفا ، وكاملا .

وأما عبد الله فقد أعقب عبد الغني .

وأما عبد الفتاح فقد اعقب محمدا ، وعبد الحميد .

ولا يزال هذا الفرع في حماة الى هذا العهد ، وهم يعرفون ببني الشيخ فتوح ، أو بالفتوحي الجندي .

أقرباؤنا في حلب :

ومن أولاد حسن بن محمد الجندي الكبير ، عبد الرحمن(١) ، وهذا أعقب ولدين احدهما : اسحق ، والثاني محمد ، وهذا سكن حلب ، وولد له ولدان : احدهما ياسين ، والثاني عبد القادر .

أما ياسين فقد أعقب محمدا ، وهو أعقب عبد الله ، وهو أعقب محمدا المتوفى نحو سنة ١٣١٢ هـ عقيما بالمعرة ، وبه انقرض هذا الفرع .

وأما عبدالقادر فقد أعقب أحمد ، وهو أعقب عبد القادر ، وهو أعقب كاملا ، وهذا كأبيه وجده مقيم في حلب ، ثم رحل الى الآستانة ،لعمل تجاري ، وهو البقية الباقية من هذا الفرع ، وقد توفي فيها سنة ١٣٦٥ هـ .

أقرباؤنا في المعرة ، وهم أصل هذه الشجرة :

قلنا : ان لعبد الرحمن بن حسن بن محمد الجندي الكبير ، ولدين أحدهما : محمد جد الفرع الحلبي المتقدم ذكره ، والثاني اسحق ، وهو جد الجنديين في المعرة ، ودمشق ، وقد قدمنا ترجمته ، وقد ولد له ثلاثة بنين : الاول حسين ، وقد توفي في المعرة سنة ١١٩٨ هـ ، والثاني عبد الرحمن ، والثالث عبد الوهاب .

---

(١) قدمنا في ترجمة اسحق انه ابن عبد الرحمن ابن الشيخ محمد (ج) فراجعه في تاريخ المعرة للجندي ٢ : ٢٥١ .

أما عبد الرحمن فقد ولد له مصطفى ، وهذا ولد له ثلاثة بنين : محمد ، وعبد الغني ، وأحمد .

اما محمد فقد ولد له أمين ، وهذا ولد له محمد ، ومصطفى ، وطاهر ، وقد ماتوا جميعا ، وانقرض هذا الفرع ، وكان آخرهم موتا قبيل سنة ١٣١٥هـ .

واما عبد الغني ويقال له : الشيخ غنوم ، فقد ولد له هاشم ، وفارس ، وعبد الله ، وعبد القادر ، ومصطفى ، وقد ماتوا جميعا .

وولد لفارس سعيد .

وولد لعبد الله عارف ، واحمد .

واما مصطفى فانه هاجر الى طرابلس ، واقام فيها ، وله فيها ذرية ، منهم : بشير ، وزكريا ، ويحيى .

واما أحمد بن عبد الرحمن فقد كان ذا نسك وتقوى ، من أكابر شيوخ الطريقة الرفاعية ، وقد ذكره الشيخ الرواس ، وابو الهدى افندي الصيادي في مؤلفاتها كثيرا ، وقد توفي في المعرة سنة ١٢٧٨ هـ. وقد ولد له مصطفى ، وهذا درج على طريقة والده ، وتوفي في المعرة سنة ١٣١٠ هـ. وولد له احمد وخير الدين (١) ، وعبده ، ومحمد .

أما أحمد فقد ولد له مصطفى ، وعبد الرزاق ، وحسن .

واما خير الدين فقد ولد له سعدي ، وكامل ، ومجيب ، ومات سعدي نحو سنة ١٣٣٤ هـ في حياة ابيه ، واعقب فوزي .

واما عبدو فولد له محمود ، واما محمد فقد ولد له لطفي .

(١) توفي سنة ١٣٥٨ هـ (ج) .

ولا يزالون الى هذ اليوم من شيوخ الطريقة الرفاعية، يقيمون الاذكار على منهاج اهلها ، وقد توفي جد هذا الفرع عبد الرحمن في حياة ابيه اسحق ، فكفل حفدته المذكورين ، ولذلك يقال لهم : اولاد الشيخ اسحق، والثالث من اولاد إسحق عبد الوهاب ، وهو جد جدي ، وستأتي ترجمته ، وقد ولد له ولدان : احمد ، ومحمد .

اما احمد فقد ولد في المعرة سنة ١٢١٦ ﻫ ، وهاجر الى حلب سنة ١٢٤٧ ﻫ ، واشتغل بتحصيل العلم على الشيخ محمود المرعشي ، في المدرسة الرضائية ، ثم واظب على الشيخ عبد الرحمن المدرس ، ثم عاد الى المعرة سنة ١٢٦٤ ﻫ ، وتوفي فيها بعد تسعة اشهر .

وقد ولد له صالح ، واسماعيل ، وفاطمة ، وهذه تزوجها جدي سليم.

اما صالح فستأتي ترجمته وقد ولد له ثلاثة بنين ، وبنتان : فالبنون ، أحمد ، وسعيد ، وعبد الرحمن ، اما احمد فقد ولد في المعرة سنة ١٢٦٨ ﻫ ، ونشأ في حجر ابيه نشأة صالحة ، وولي الافتاء في المعرة سنة ١٣١٠ ﻫ بعد ابيه ، وتوفي في مدينة حمص سنة ١٣٢٢ ﻫ ، ودفن في مقبرة بني الجندي فيها ، المقابلة مقام سيدنا خالد بن الوليد ، وكان قاصدا زيارتنا في دمشق ، وكان رحمه الله دمث الاخلاق ، لين الجانب ، كريم اليد ، وكان له مواقف في ايام القحط في المعرة ، لا ينكرها عليه احد ، وقد نال من الحكومة وساماً عثمانيا ، وقد ولد له سعدي ، واسعد ، وحسين .

اما سعدي فقد ولد في المعرة سنة ١٢٨٨ ﻫ ، وطلب العلم فيها ، وولي وظائف كثيرة ، ثم ولي الافتاء في المعرة بعد ابيه ، الى ان توفي سنة ١٣٣٦ﻫ ،

وكان وسيما ، جميل الهيئة ، لطيف الحـــديث ، حسن المفاكهة ، وعليه رتبة فراشة الحرم سنة ١٣٣٢ هـ ، ومنحته الدولة الوسام المجيدي العثماني ، وقد ولد له خمسة بنين: توفيق، وعارف ، وحسيب ، وبديع، والمعتصم ، وولد لتوفيق سعدي ، ولعارف هشام ، وفاروق ، وفرج ، ولبديع فاتح .

وأما أسعد فقد ولد في المعرة نحو سنة ١٣٠٢ هـ ، ونشأ في حجر والده ، ثم ولي الافتاء في المعرة بعد أخيه .

وقد ولد له نزار ، وبدر ، ومأمون ، وعبد الاله ، ونجاح ، وجمال ، ووليد ، وسمير ،وتوفي سنة ١٣٦٦ هـ .

وولد لنزار ، أسعد ، وعزام .

وأما حسين فقد ولد في المعرة نحو سنة ١٣٠٦ هـ ، وولد له احمد سنة ١٣٣٠ هـ ، وناصر نحو سنة ١٣٣٩ هـ . وولد لأحمد ، نجاتي .

وأما سعيد بن صالح فقد ولد في المعرة سنة ١٢٧١ هـ ، وطلب العلم على جماعة من شيوخها ، وقلد وظائف كثيرة في المحكمة البدائية والشرعية ، في عهد الحكومة التركية والسورية ، وتوفي في المعرة سنة ١٣٣٧ هـ .

وقد أعقب أربعة بنين ، واربع بنات ، منهن زوجتي صالحة .

أما البنون فهم حسن ، وبهاء الدين ، وعزة ، ومصطفى .

أما حسن فقد ولد في المعرة سنة ١٣٠٦ هـ ، وولي وظائف متعددة فيها ، في المحكمة والمالية ، وآخرها كان محاسباً في املاك الدولة في حلب ، ثم أحيل على التقاعد سنة ١٩٣٣ م ، وقد ولد له خمسة أولاد ذكور ، هم : سامي ، وهذا توفي سنة ١٣٥٧ هـ ، ومطيع ، وسعيد ، وعبد الحليم ، وعبد المعين ، ولؤي ،

وتوفي في حلب في ٢٢ من جمـــادى الآخرة سنة ١٣٧٢هـ الموافق ٧ آذار سنة ١٩٥٢م .

وأما بهاء الدين فقد ولد في المعرة سنـة ١٣١١ هـ ، وولي في المعرة وغيرها وظائف كثيرة ، منها رآسة الكتاب في المحكمة الشرعية في المعرة ، وانطاكية ، ثم في حلب . وله من البنين : رشدي ، وصلاح الدين ، وساطع ، وحسان ، وبسام ، وتوفي سنة ١٣٦١ هـ في حلب ، ونقل جثمانه الى المعرة .

وأما عزة فقد ولد في المعرة نحو سنة ١٣١٦ هـ ، وتوفي فيها شـــابا سنة ١٣٤٦ هـ ، ولم يعقب سوى ابنتين .

وأما مصطفى فقد ولد في المعرة سنة ١٣٢٠ هـ ، وولي فيها وظائف ، ثم عين في محكمة الاستئناف في حلب ، وله من البنين : غسان ، ورضوان ، وصفوان ، ووضاح .

وأما عبد الرحمن بن صالح فقد ولد في المعرة سنة ١٢٨٩ هـ ، وتزوج بشقيقتي الكبرى فاطمة ، وولد له منها ، فضل الله سنة ١٣٢٥ هـ ، وشكري في سنة ١٣٣١ هـ ، وزكريا في سنـــة ١٣٣٨ هـ ، فكلهم ولد في المعرة ، وقد هاجروا الى دمشق ، ثم عادوا الى المعرة .

وأما اسماعيل بن أحمد فقـــد ولد في المعرة سنة ١٢٤٥ هـ وتوفي فيها سنة ١٢٨٦ هـ ، وكان حسن الخط ، وولد له راغب ، وهذا توفي سنة ١٣٣٦هـ ، وعقب نوري المولود سنـــة ١٣٠٦ هـ ، وقد توفي نوري سنة ١٣٦٣ هـ ، [illegible]

واما محمد بن عبد الوهاب فستأتي ترجمته ، وقد ولد له ولدان : أحدهما

أمين، مفتي المعرة ودمشق، وقد تقدمت ترجمته[1] ، والثاني سليم ، وهو جدي وستأتي ترجمته .

اما امين فقد ولد له اولاد كثيرة منهم : زكي ولد سنة ١٢٥٩ هـ ، وتوفي سنة ١٢٨٦ هـ ، ومنهم كمال المولود سنة ١٢٦٢ هـ ، والمتوفى سنة ١٢٨١ هـ، ومنهم مختار ، وحسن ، وحسين ، وغيرهم ، ولم يعقب احد منهم إلا والده زكي ،فانه ولد له امين سنة ١٢٨٢ هـ ، وهذا مات عقيما سنة ١٣١٩ هـ وبه انقرض هذا الفرع كما تقدم ، وهو الذي مدحه الشيخ محمد الهلالي بقصيدة غراء ، أرخ فيها وفاته سنة ١٣٠٥ هـ،بقوله :

حبذا سعد به كان القران

خلافاً لمن توهم غير ذلك .

واما سليم جدي فستأتي ترجمته ، وقد تزوج ثلاث نساء : احداها مريم بنت الشيخ حسين الخطيب من كَفَرْ نَبُل ، ولم يعش لها من الاولاد الا نائلة ، وقد تزوجها ابن عمه صالح بن احمد ، وولد له منها بنت اسمها فاطمة ، ثانيتها فاطمة بنت عمه احمد السابق ذكرها ،وقد ولد له منها ولد اسمه ابو السعود سنة ١٢٧٢ هـ ، وتوفي صغيرا .

وثالثتها نائلة بنت حسين بن عثمان بن عبد الرزاق الجندي الحمصي ، وولد له منها والدي محمد تقي الدين سنة ١٢٦٩هـ وتوفي سنة ١٣٣٢ هـ في دمشق كما يأتي في ترجمته .

وقد تزوج ابنة عمه امين،وولد له منها ولد ، سماه شفيقاً سنة ١٢٩١هـ، وقد أرخ ولادته عبد الغني الجندي الحمصي بقوله : من آخر قصيدة :

يا حَبَّذَا ناداكَ تاريخٌ حَلَا أَبشِرْ باقبالِ الشفيقِ محمدِ

ثم توفي هو ووالدته ، وتزوج بعدها والدتي نظيرة بنت شريف بن

(١) الجندي : تاريخ معرة النعمان ٢ : ٢٦٨ - ٢٩١

محمد اليوسفي المعري، وولد له ثلاثة بنين: انا اكبرهم سنا ، واخي امين ، واخي مصطفى ، وخمس بنات : فاطمة ، ونائلة ، وأمينة ، وجميلة ، ولطفية .

اما انا فقد ولدت في المعرة في الليلة الثامنة والعشرين من شهر رمضان سنة ١٢٩٨ هـ، ثم هاجرت مع والدي الى دمشق سنة ١٣١٩ هـ ، وفيها تزوجت صالحة بنت سعيد بن صالح بن عبد الوهاب ، وهو الجد الجامع بيني وبينها . في سنة ١٣٢٤ هـ ، واولادي كلهم منها، وهم : محمد نجم الدين المولود سنة ١٣٢٦هـ، ومحمد تاج الدين، المولود في سنة ١٣٣١ هـ، ومحمد ضياء الدين المولود سنة ١٣٣٤هـ، ومحمد بدر الدين المولود سنة ١٣٣٩ هـ ، ومحمد شمس الدين المولود سنة ١٣٤١هـ ، وحياة المولودة سنة ١٣٤٣ هـ ، وكلهم مولودون في دمشق ، إلا ضياء الدين فانه ولد في المعرة .

وقد تزوج نجم الدين أمينة بنت حسيب الكيالي ، من اهل يافا المقيم في دمشق سنة ١٣٥٧ هـ ، في شهر جمادى الاولى ، وولد له ولد ، سماه هيثما في ٢٩ شعبان سنة ١٣٥٨ هـ ، وتوفي في ٢٧ محرم سنة ١٣٦٠ هـ ، وولد له ولد آخر اسمه نبيل في مدينة حمص في ١٨ مايس سنة ١٩٤١ م ، وولد له عزيز سنة ١٣٦٨ هـ ،في ٦ آب سنة ١٩٤٩ م ، وعاصم في سنة ١٣٧٠ هـ ،في ٢٣ مايس سنة ١٩٥١ م، وتزوج تاج الدين نعمة بنت خليل القوتلي ، من أهل دمشق في ليلة الاثنين ليلة ٢٦ شعبان سنه ١٣٦١ هـ ، وولدت له بنت سماها طرفة في ٢٢ رمضان سنة ١٣٦٢ هـ في ٢٦ ايلول سنة ١٩٤٣ م ، وولد له ولد سماه أسامة سنة ١٣٦٥ هـ ،في ١٣ آذار سنة ١٩٤٥ م .

وتزوج ضياء الدين نجاح بنت زكي التميمي ، وولد له : معن في الساعة ١٢،٤٥ بعد نصف ليلة الجمعة في ٢٦ رجب سنة ١٣٧٢ هـ في ١٠ نيسان سنة ١٩٥٣ م.

وتزوج بدر الدين رجاء بنت عادل العسلي .

وأما أخي أمين فقد ولد في المعرة سنة ١٣٠١ ه وهاجر مع والده الى دمشق ، وولد له عصام الدين نحو سنة ١٣٢٢ ه ، ثم توفي امين في دمشق سنة ١٣٤٦ ه ، وتوفي ابنه فيها سنة ١٣٤٧ ه عقيما ، وبه انقرض هذا الفرع .

واما أخي مصطفى فقد ولد في المعرة سنة ١٣١٨ ه ، وهاجر الى دمشق مع والده ، ودخل مدرسة التجهيز ، ثم الطب ، وخرج منها طبيباً .

وقد ولد له محمد منذر سنة ١٣٤١ ه ، وزهير سنة ١٣٤٣ ه ، وكلاهما ولد في دمشق ، ودلال ، وسهيل ، وزياد في مدينة حمص . وقد توفي مصطفى سنة ١٣٦٦ ه في دمشق ، وتوفي زهير في دمشق سنة ١٣٦٨ ه .

وقد أطلت الكلام في هذه الاسرة ، لا لأتبجح بذكر رجالها ، وأقول ماقاله الفرزدق لجرير :

أُولئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ   إِذَا جَمَعَتْنَا يَاجَرِيرُ المَجَامِعُ[١]

وإنما رأيت فريقاً من أبنائها ، أقصاهم الاغتراب عن ديارهم عن معرفة أقربائهم ، وكاد طول العهد يقطع كل صلة وآصرة بينهم ، وبين ابناء عمهم ، ورأيت كثيراً ممن ينتسب الى الجندي في البلاد الشامية ، وغيرها ، يدخل نفسه في عداد ابنائها ، وليس منهم في شيء ، و كثيراً من ابنائها من يدخل في

---

(١) عبد الله الصاوي : شرح ديوان الفرزدق ٢ : ٥١٧

نسبة من ليس منه ، ورأيت كثيراً من اقربائنا من يجهل اتصاله ببني عمه ، لكثرة الاسماء المتشابهة في هذه الاسرة في العصر الواحد .

فلخصت ماذكرته هنا ، من صور النسب عندنا وعند اقربائنا ، في المعرة ، وحماة ، وحمص ، وغيرها ، واضفت الى ذلك ماعثرت عليه في الكتب ، والحجج ، والفرمانات ، والاوامر ، والقبور وغيرها ، وجعلت للنسب شجرة يتبين كل فرع منها في موضعه ، ليسهل الحاق كل فرع باصله ، ومعرفة من كان من هذه الشجرة من غيرها ، وان كان هذا العمل خارجا عن موضوع هذا الكتاب من بعض الوجوه .

ولست اعتقد اني أحطته بجميع افراد هذه الاسرة في جميع الأصقاع ، فان كثيرا من الناس يعتقدون انهم منها ، ولكني اعلم موضع الصلة بيننا وبينهم ، ومن هؤلاء جماعة في الاستانه ، ومصر ، واليمن ، وبيروت ، وصهيون ، وعمان ، ودمشق ، وغيرها ، وان كثيراً من أهل المعرة من هذه الاسرة لم اعرف اتصالهم بنا ، لأنهم مالوا منذ زمن بعيد ، والحوادث التي انتابت المعرة ، والكوارث التي أصابت هذه الاسرة ، افقدتنا كثيراً من الوثائق والانساب والحجج والفرمانات وغيرها ، مما لو اطلعنا عليه لما جهلنا أحداً من ابناء عمنا .

ولكننا وضعنا منهاجاً جامعاً ، لما تفرق من ابناء الاسرة مانعاً من دخول غيرهم فيها ، ليحتذي على مثاله ابناء الجيل الحاضر ، والجيل المستقبل ، كيلا يصيبهم ماأصابنا ، وهذه هي الشجرة الجامعة لمن اعرفه ، من الجنديين في الماضي ، والحاضر في دمشق ، وغيرها .

هذه الشجرة ذكرت فيها اسماء من عرفتهم، من ابناء الاسرة الجندية في بلاد الشام وغيرها ، ولم اذكر فيها الا من ثبت لدي اتصاله باحـــد من رجالها ، وهناك عدد كبير ينتسبون الى الجندي في سورية وغيرها ، ولكنني لم اهتد الى معرفـة الجامـع بيننا وبينهم ، والناس امناء على انسابهم ، كما يقال ، ولكن ادخال رجل في اسرة يحتاج الى دليل يؤيـــده ، واليك امثلة من ذلك .

في دمشق ثلاث اسر ينتسبون الى الجندي ، ومنهم من يجعل نسبه الجندي العباسي ، وهؤلاء لم اتمكن من معرفـــة الجد الذي يتصل بنا ، ويجمع بيننا .

وفي بيروت ايضا اسرة تنسب الى الجندي ، وهـؤلاء ايضا لم اعرف موضع الاتصال بهم ، وفي سلمية اسرة تنتسب الى الجندي ماعرفت الجد الجامع بيننا وبينهم .

وفي الحفة : صهيون اسرة تنسب الى الجندي ، وقد كتب لي احدهم ان جدهم حسين باشا الجندي من معرة النعمان ، كان قائدا عسكريا ، فاستوطن صهيون ، وذلك منذ ثلاثمـائة سنة ، وتولى الحكم فيها حتى مات ، فخلفه ابنه مصطفى ، وكان حاكما لمقاطعة صهيون وغيرها ، وخلف أولاداً كثيرة ، وولتهم الحكومة مناصب مختلفة في صهيون وغيرها ، ولهم اعقاب كثيرة يتجاوز عددهم خمسمائة نفس ، ومنهم موظفون في اعمال الحكومة ، ولهم كلمة مطاعة ، وفيهم الفتيا في الحفة . ولكني لم استطـع معرفة حسين باشا ، ولا اتصاله باجدادنا ،

وفي تل كلخ ايضا قوم ينسبون الى الجندي ، ويقولون انهم مـن جندية المعرة .

وفي مصر قوم يعرفون ببني الجندي منهم : عبد الهادي باشا وزير الاوقاف ، وقد حدثني احد اصدقائي ان الباشا اخبره بان جده من سورية ، وهاجر الى مصر منذ قرن ونصف .

وفي عمّان قوم يعرفون ببني الجندي ، ولهم مكانة عالية ، ومناصب رفيعة في حكومة شرقي الاردن .

ورأيت ضابطا في الجيش الفرنسي ، من اهل تونس يقول : إن جده من جندية سورية ، وإنه هاجر الى تونس منذ زمن طويل ، وله اسرة كبيرة في تونس ، وهؤلاء كلهم ، لم اتمكن من معرفة الجد الذي يصلنا بهم .

ابو حمزة الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمرو بن سعيد بن محمد بن داود بن المطهر التنوخي :

ذكر صاحب الجواهر المضيئة : أنه مات قبل الأربعمائة ، وفي الوفيات انه كان قاضي مَنْبِج .

وكان فقيهاً على مذهب الإمام أبي حنيفة ، راوياً للحديث ناسكا ، وكان بينه وبين أبي العلاء المعري ، خلة وصداقة ، منذ عهد الصبا ، وقد توفي شاباً ، وهو الذي رثاه أبو العلاء بقصيدته التي يقول فيها :

غَيْرُ مُجْدٍ في مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي ... نَوْحُ بَاكٍ وَلاَ تَرَنُّمُ شَادِ

ويقول :

قَصَدَ الدَّهرُ منْ أَبي حَمْزَةَ الأوَّ ... ابِ مَوْلَى حِجىً وَخِدْنَ اقْتِصَادِ

وَفَقِيهاً أَفْكَارُهُ شِدْنَ لِلنُّعْـ ... ـمَانِ مَا لَمْ يَشِدْهُ شِعْرُ زِيَادِ

وَخَطِيباً لَوْ قَامَ بَيْنَ وُحُوشٍ عَلَّمَ الضَّارِيَاتِ بِرَّ التقَادِ
رَاوِياً للحَدِيثِ لَمْ يحوج المعْ رُوفُ مِنْ صِدْقِهِ إلَى الإسْنَادِ
أنفقَ العُمْرَ نَاسِكاً يَطْلُبُ العِلْ مَ بِكَشْفٍ عَنْ أَصْلِهِ وانْتِقَادِ

ويقول :

كُنْتَ خِدْنَ الصِّبَا فَلَمَّا أَرَادَ الْ بَيْنَ وَافَقْتَ رَأْيَهُ في المُرَادِ
وَخَلَعْتَ الشَّبَابَ غَضّاً فَيَالَيْ تَكَ أَبْلَيْتَهُ مَعَ الأَنْدَادِ

وفي تاريخ بغداد : انشدنا القاضي ابو القاسم علي بن المحسن ، قال : انشدنا ابو العلاء المعري لنفسه ، يرثي بعض اقاربه :

غير مجدٍ في ملتي واعتقادي(٢)

وذكر ابياتاً من القصيدة . وهذا يؤيد انها قيلت قبل الاربعمائة ، لأن أبا القاسم اجتمع بأبي العلاء في بغداد ، وذلك سنة ٤٠٠ هـ ، وما قبلها .

ابو عبد الله الحسين بن أحمد بن أبي جعفر الحندوثاني :

تقدم ان حَنْدُوثا قرية من قرى المعرة . وقد ذكر ياقوت (٣) أن الحسين قرأ كتاب الجمهرة لابن دريد على ابن خالويه . وسيأتي له ذكر مع محمد ابن اسماعيل الحندوثاني .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٢ : ٥٥٢ (ج)
(٢) والقصيدة طويلة أوردها الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٤ : ٢٤٠ ، ٢٤١ .
(٣) ياقوت : معجم البلدان ٢: ٣٤٧

الحسين بن عبد الله بن أبي حصينة المعري :

الظاهر انه اخو الامير ابي الفتح الحسن بن أبي حصينة الذي تقدم ذكره، وقد كان الحسين شاعرا فاضلا ، قدم دمشق ، وحضر وفاة القاضي ابي يعلى حمزة بن الحسين بن العباس الحسيني ، فرثاه بقصيدة منها :

هَوى الشَّرَفُ العَالي بموْتِ أَبي يَعْلَى
وَلاَ غرْوَ إنْ جلَّتْ رَزِيَّةُ مَنْ جَلاَّ

سَيَصْلَى بِنَار الحُزْنِ مَنْ كَانَ آمناً
بِهِ إنَّهُ في الحشْرِ بالنَّار لا يَصْلَى

تَحلَّتْ بِهِ الدُّنيَا فحلَّ بِهِ الرَّدَى
فَعطَّلَهاَ مِنْ ذلكَ الحَلْيِ مَنْ حَلَّى

فَقَدْنَاهُ فَقْــدَ الغَيْثِ أَقْلَعَ وَبلُهُ
عَن الأرْض لَماَّ أَمَّلَتْ ذلكَ الوَبْلاَ

لَقَدْ فَلَّ مِنْهُ الدَّهرُ حَــدَّ مُهَنَّدٍ
تَركْنَا بِهِ في كُلِّ حدٍّ لَهُ فَلاَّ

فَلَسْتُ أُبالي بَعْــدَهُ أَيَّ عَاثِرٍ
مِنَ النَّاسِ أَمْلَى اللهُ مُدَّتَهُ أَمْ لاَ

تَقِلُّ دُمُوعي والهمومُ كَثِيرَةٌ
كَذاكَ دُخانُ النارِ إن كَثُرَتْ قَلاَّ

وآنفُ أنْ أبكي عَلَيْهِ بِعَبْرةٍ
إذَا لَمْ يكنْ غَرْباً مِنَ الدَّمعِ أوسَجْلاَ

والقصيدة طويلة ، وكلها من هذا النمط ، وهو شعر عُلوي ، يدل على أن صاحبه ممن ضرب بسهم وافر من الشعر والأدب (١) .

القاضي أبو يعلى حمزة بن عبد الرزاق بن أبي الحصين المعري :

كان رحمه الله من الشعراء المبرزين ، والعلماء الأعلام ، ومن شعره هـذه القصيدة التي رثى بها مُقَلَّد بن مُنقِذ الكناني الملقب بمخلص الدولة والد ملوك شَيْزَر المتوفى سنة ٤٣٥ هـ ، وهي :

أَلاَ كُلُّ حيٍّ مُقْصدَاتٌ مَقَاتِلُهْ وَآجلُ مايُخْشى مِنَ الدَّهْرِ عَاجِلُهْ
وَهَلْ يَفْرحُ الناجِي السَّلِيمُ وَهَذِهِ خيولُ الرَّدَى قُدَّامَهُ وَحَبَائِلُهْ
لَعَمْرُ الفتَى إنَّ السَّلامَةَ سُلَّمٌ إلى الحَيْنِ والمغْرورُ بالعَيْشِ آمِلُهْ

(١) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤ : ٣٠٥ ، وفي خطط الشام لمحمد كرد علي ٣ : ٣٤ : من شعراء القرن الرابع الحسين بن عبد الله بن حصينة المعري المتوفى سنة ٣٢٧هـ فتأمل (ج) .

فيسلَبُ أثوابَ الحَياةِ معَارَهَا ويقضى غريمَ الدين من هُوَ مَاطِلُهْ

مَضَى قَيْصَرٌ لمْ تغنِ عَنْهُ قُصورُهُ وَجُنْدِلَ كِسْرَى مَا حَمَتْهُ جَنَادِلُهْ[1]

وَمَا صَدَّ هلكاً عن سليمانَ ملكُهُ وَلاَ منعتْ عَنْهُ أَبَاهُ سَرَابِلُهْ

وَلَمْ يَبْقَ إلا مَنْ يَرُوحُ ويَغْتَدِي عَلى سَفَرٍ ينأى عَنِ الأَهْلِ قافِلهْ

وَمَا نَفَسُ الإنسانِ إلاَّ خُزَامَة بأيْدِي المَنَايَا والليالي مَرَاحِلُهْ

فهل غَالَ بَدّاً مخلصَ الدَّوْلَةِ الرَّدَى وَهَلْ تَنْزَوِي عَمَّنْ سِوَاهُ غَوَائِلُهْ

ولكنَّهُ حَوْضُ الحِمَام فَفَارِطٌ إليهِ وتالٍ مُسْرِعاتٌ رَوَاحِلُهْ

لَقَدْ دَفَنَ الأقوامُ أَروَعَ لَمْ تَكنْ بمدْفُونةٍ طولَ الزَّمانِ فَضَائِلُهْ[2]

فَفيهِ سَحَابٌ يَرْفَعُ المحلَ هدْبُهُ وَبحْرُ نَدَى يَسْتَغْرِقُ البرَّ سَاحِلُهْ

كَأَنَّ ابنَ نصْرٍ سَائِراً في سَرِيرِهِ حَيَاءٌ مِنَ الوَسْمِيِّ أَقشَعَ هَاطِلُهْ

يَمُرُّ عَلى الوادي فَتُثْنِي رِمَالُهُ عَلَيْهِ وبالنَادِي فتبكي أرَامِلُهْ

سَرَى نعشُهُ فوقَ الرِّقَابِ وطالَمَا سَرَى جودُهُ فوقَ الرِّكاب ونائلُهْ

أنَاعِيَهُ إنَّ النفوسَ مَنُوطةٌ بِقَوْلِكَ فانظرْ مَا الذي أنتَ قائِلُهْ

---

(١) في الوفيات بجادله (ج)

(٢) سقى جدثا هالت عليه ترابه اكفهم طل الغمام ووابله هديه (ج)

بفيكَ الذي لَمْ تدرِ مَنْ حلّ بالثّرى جَهِلْتَ وَقَدْ يستَصْغِرُ المرءَ جَاهِلُهْ

هُوَ السيّدُ المهْتَزُّ للتمِّ بــذْرُهُ وللجُـودِ عِطْفَاهُ وللطَّعْنِ عَامِلُهْ

أَفَاضَ عُيونَ الناسِ حتى كأنَّمَا عيونُهُمْ مِمَّــا تَفيضُ أَنَامِلُهْ

فَيَاعَيْنُ سُحِّي لاتشحِّي بِسَائِلٍ عَلىَ مَاجِدٍ لَمْ يَعرِفِ الشحَّ سَائِلُهْ

مَتَى سألُوهُ المالَ تبْـدو بَنانُهُ وإنسألوه الضَّيمَ تبْدو عَوامِلُهْ

وَكَمْ عَادَ منْـهُ بالخسارِ مُقَنَّعٌ وَكَمْ نالَ قانعٌ مايُحَـاوِلُهْ

لَهُ الغَلَبُ الماضِي(١) عَلىَ كُلِّ بَاسِلٍ يُجَالِدُهُ أَوْكُلِّ خَصْمٍ يُجَـادِلُهْ

مَجَالِسُهُ فِي رَوْضَـةٍ طَلُّهَا النـدَى وَلكِنَّه فِي المَجْدِ مَاتَ مُسَاجِلُهْ

فَياعُمْرَهُ إنى قصـرتَ وَلَمْ تَطُلْ مَنَـازِلُهُ بلْ كَفُّهُ بَلْ حَمَائِلُهْ

جَرتْ تَحْتَهُ العَلْيَاءُ مِلءَ فرُوجِهَا إلى غَايةٍ طَالَتْ عَلى مَنْ يُطَاوِلُهْ

فَمَا مَاتَ حَتَّى نالَ أقصَى مُرَادَهُ كَمَا يَستَسِرُّ البَدْرُ تمّتْ مَنَازِلُهْ

فَتىً طَالَمَا يَعْتَادُهُ الجَيْشُ عَافِياً فَيُنْزِلُهُ أَوْ عَـادِياً فيُنَازِلُهْ

صَفُوحٌ عَنِ الجَانِي وَصفْحَةُ سَيْفِهِ إذَا هِيَ لَمْ تَقْتُلْهُ فالسَّيفُ(٢) قَاتِلُهْ

---

(١) القاضي (ج)

(٢) فالصفح (ج)

وَأَدْمَى عسيب الطرف بَعْدَكَ هلبه … وعَادَته أَنْ يقذفَ الدَّمَ كَاهِلُهْ

فَياطَرفَهُ مَا كَانَ عجزكَ حَامِلاً … أَذى صَارِمٍ لوْ أَنَّ ظهرَكَ حَامِلُهْ

لَقَدْ كَثُر الملبوسُ بَعْدَ مُرَوَّعٍ … جرَتْ بِبَيَانِ المشكلاتِ شَواكِلُهْ

إِذا ظَنَّ لا يُخْطِيءُ كأَنَّ ظنُونَهُ … على مَا يُظنُّ الناسُ عَنْهُ دَلاَئِلُهْ

فَلاَرَحَلتْ عَنْهُ نوَازِلُ رَحْمَةٍ … ضُحَاهُ بِهَا مَوْصُولَةٌ وأَصَائِلُهْ

وَرَوَّى ثَرَاهُ مَنْهَلُ العَفْوِ في غَدٍ … فَقَدْ روَّتِ العَافِينَ أَمسِ مَنَاهِلُهْ

قَضَى اللهُ أَنْ يَرْدَى الأَمِيرُ وهَذهِ … صَوَافِنُهُ مَوْصولَةٌ[2] وَنوَاصِلُهْ

وَكُلُّ فَتىً كَالبَرْقِ إِبْرِيقُ غِمْدِهِ … إِذَا شَامَهُ أَوْ كَالذُّبَابَةِ[3] ذَابِلُهْ

فَلَيْتَ ظُبَاهُ صلَّتِ اليَوْمَ خَلْفَهُ … فظَلَّتْ عَلَى غَيْرِ الصِّيَامِ صَوَاهِلُهْ

بَنِي مُنْقِذٍ صَبْراً فإِنَّ مُصَابَكُمْ … يُصَابُ بِهِ حَافي الأَنامِ وَنَاعِلُهْ

لَقَدْ حلَّ حَتَّى كُلُّ وَاجِدِ لَوْعَةٍ … إِذَا لجَّ فيها لَيْسَ يُوجَدُ عَاذِلُهْ

إِذَا صَوَّحَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ فَأَنتُمُ … بَنِي مُنْقِذٍ رَوْضُ النَّدَى وَخَمَائِلُهْ

---

(١) فالصفح (ج)

(٢) موفورة ومناصله (ج)

(٣) كالذبالة (ج)

وَإنْ فَرَّ مِنْ وِزْرِ الزمَانِ مُقرّحٌ فإنكُمُ أوزَارُهُ ومَعَاقِلُهْ

وَصَاحِبٌ عَلى[1] الصَّبْرِ عنهُ فَمَا غَوى مُصَاحِبُ صَبْرٍ عَنْ حَبِيبٍ يُزَامِلُهْ

وَمَا نَامَ حتى قَامَ منْكَ وَرَاءَهُ أَخُو يَقظَانٍ وَافِرُ العزمِ كامِلُهْ

كَأَنكُمَا تومَانِ في فَلَكِ العُلى فَطَالِعُهُ هَذَا وَذَلكَ آفِلُهْ

وَمَا كفلُوكَ الأمرَ إلاّ لِعِلْمِهِمْ قِيَامَكَ بالأمْرِ الذي أنت كَافِلُهْ

سَعَيْتَ إلَى نَيْلِ المكَارِمِ سَعْيَهُ وَلَوْ كُنتَ لاَ تسْعَى كَفتهُ[2] فَوَاضِلُهْ

وَلَمْ تَرَ أنْ ترقى بِمَا كَانَ فَاعِلاً أجَلْ إنَّمَا المرْفُوعُ بالفِعْلِ فَاعِلُهْ

لَعَمْرُكَ إني في الذي عَنْكَ[3] كُلّه شَرِيكُ عِنَانٍ نَاصِحُ الوِدِّ نَاهِلُهْ

وَكَيفَ خُلُوُّ القلبِ مِنْ ذلِكَ الهوَى وَقَدْ خُلِّدَتْ بينَ الشِّغَافِ[4] دَوَاخِلُهْ[5]

الحواري بن حطان بن المعلى التنوخي :

قال الزبيدي[6] : هو أبو قبيلة بمعرة النعمان ،ومن رجال الدهر ، ومن

---

(١) عل (ج)
(٢) كفتك (ج)
(٣) عن (ج)
(٤) الشغاف (ج)
(٥) وهي مذكورة في وفيات الاعيان لابن خلكان ٢ : ١٥٥ ، واعلام النبلاء للطباخ ٤ : ١٨١ (ج)
(٦) الزبيدي : تاج العروس ٣ : ١٦٤

ولده أبو بشر الحواري بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الحواري التنوخي عميد المعرة ، ذكره ابن العديم في تاريخ حلب .

خليل بن محمد بن محمد بن محمود صلاح الدين بن ناصر الدين بن شمس الدين ابن نور الدين الحموي، المعروف بابن السابق :

ولد بحماة بعيد الثمانين وسبعمائة تقريباً ، ونشأ بالمعرة ، لأن أباه كان مباشراً بها ، فحفظ القرآن عند الشيخ يوسف الذي ولي قضاءها بعد ، والتنبيه على قاضيها وعالمها المفتي الشمس بن أبي جعفر ، وتدرب في توقيع الانشاء بقريبه الناصري البارزي ، وفي الحساب بالشرف موسى مستوفي حماة ، فبرع فيهما ، وكان من أفراد زمانه ديانة وعقلاً ومروءة وأخلاقاً وعظمة عند الملوك ، وباشر نظر الديوان بحماة ، فكان النواب تحت أمره ، ومكث في كتابة سرها خمساً وعشرين سنة ، واستقر به الظاهر جقمق ، وباشر نظر الجيش في حلب نحو خمسة أشهر ، ثم استعفى ، ورجع الى بلده ، فأقام نحو سنة ، ثم ولاه الظاهر كتابة السر بدمشق سنة ٨٤٤ هـ ، فأقام فيها نحواً من ثلاث عشرة سنة ، وكان يعد من محاسن الدنيا ، لما كان عليه من الحشمة والتواضع والدين ، وما عرف أنه غش مسلماً ، ولا استشاره أحد إلا وأشار عليه بما يشير به على نفسه ، ثم مرض وتخلى عن كتابة السر ، وتوفي سنة ٨٥٩هـ ، ودفن بمقبرة باب الصغير(١) .

العميد أبو يسر خير بن محمد بن علي التنوخي المعري :

ذكره ابن العديم في الانصاف ، وروى عنه أن أبا العلاء ولد سنة ٣٦٦هـ .

---

(١) ذكره في الضوء اللامع للسخاوي ج ٣ ص ٢٠٤ (ج)

داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث التنوخي المعري :

هو جد أبي العلاء المعري السادس كما تقدم .

الشيخ داود المعري :

هو داود بن أحمد بن اسماعيل المعري أبو سليمان سيف الدين . ولد بمعرة النعمان سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف ، ثم دخل مدينة حلب ، وقرأ على جماعة من الأفاضل ، منهم : عبد الرحمن بن مصطفى البكفالوني ، وأبو الثناء محمود بن شعبان الباذستاني ، والنور علي بن أحمد المدابغي ، ومحمد بن علي الانطاكي ، وقاسم بن محمد البكرجي ، وغيرهم ، وأجازوه اجازة عامة بجميع العلوم ، وتوفي نحو سنة ١٢٠٥ هـ .

ويقال : ان هذه الأبيات من شعره :

ذُو جَمَـــالٍ هِمْتُ في عِشْقَتِهِ ... فَتَنَ العُشَّاقَ عُرْباً وَعَجَمْ
لَاحَ بـــدرُ التِّمِّ مِنْ طَلْعَتِهِ ... وَبَـدَا البَرْقُ إذا الثَّغْرُ ابْتَسَمْ
بَاتَ يَجْلُو الرَّاحَ في رَاحَتِـهِ ... وَيُدِيرُ الكَأْسَ في جُنْحِ الظُّلَمْ
غَلَبَ النَّوْمُ عَلى مُقْلَتِـــهِ ... قُلْتُ والوَجْدُ بِقَلْبِي قَدْ حَكَمْ
أَيُّهَا الرَّاقِـدُ في لَذَّتِـــهِ ... نَمْ هَنِيئاً إنَّ عَيْنِي لَمْ تَنَمْ

* * *

يَاهِلالاً قَـدْ سَبَى شَمْسَ الضُّحَى ... كُلُّ ما فيكَ وَعَيْنَيْكَ حَسَنْ
يَامَرِيضَ الجَفْنِ يَامَنْ لَحْظُهُ ... سَلَّ سَيْفاً لِلْمُحِبِّـــينَ وَسَنْ

* * *

جَفْنُكَ النَّعْسَانُ مِنْ كَسْرَتِهِ   كَمْ شُجاعٍ مِنْهُ وَلَّى وانْهَزَمْ
أيُّها الرَّاقِدُ في لَذَّتِهِ   نَمْ هَنيئاً إنَّ عَيْني لَمْ تَنَمْ

ومن شعره :

وَرْدُ الخُدُودِ أَرَقُّ مِنْ   وَرْدِ الرِّياضِ وَأَنْعَمُ
هَـذا تَنَشَّقُهُ الأُنُو   فُ وَذاكَ يَلْثِمُهُ الفَمُ
فَإذا عَدَلْتَ فَأَفْضَلُ الْـ   وَرْدَيْنِ وَرْدٌ يُلْثَمُ
هـذا يُشَمُّ وَلا يُضَمُّ .. وَذَا   يُضَمُّ وَيُشْمَمُ[١]

وله أبيات كثيرة وقصائد بديعة ، ذكر ذلك في حلية البشر في أعيان القرن الثالث عشر للشيخ عبد الرزاق البيطار[٢] ، ونقله عنه في إعلام النبلاء للطباخ ج ٧ ص ١٣٥ .

زكريا أبو يحيى بن ابراهيم بن عبد العظيم بن احمد المعري المقدسي ، الحنفي :

القدوة الإمام المعتبر ، رحل الى مصر واخذ بها التفسير والحديث عن الشيخ منصور سبط الطبلاوي الشافعي ، وكان فقيهاً مفسراً ، وله باع طويل في كثير من الفنون ، وولي افتاء الحنفية في القدس ، وافاد ، وانتفع به خلق كثير في الفقه وغيره ، وتوفي سنة ١٠٣٥ هـ . ذكر ذلك المحبي[٣] .

---

(١) كذا في الأصل وفيه فك الادغام للضرورة (ج)

(٢) وقد نشره المجمع العلمي العربي بدمشق بتحقيق الشيخ محمد بهجة البيطار في ثلاثة أجزاء

(٣) المحبي : خلاصة الأثر ٢ : ١٧٢ (ج)

زمام بن يوسف بن يعقوب الحديثي :

من الحديثة قرية من قرى المعرة، وقد تقدمت ترجمة ولده أبي علي الحسن ابن زمام ذكرها ياقوت في المشترك [1] .

زيد بن عبد الواحد بن عبد الله بن سليمان بن احمد ، ابو نصر بن ابي الهيثم ابن ابي محمد بن (ابي بكر) بن ابي الحسن التنوخي المعري ابن اخي ابي العلاء:

كان ابوه شاعراً ، وابنه شاكر بن زيد شـــاعراً ، وله ذكر وفضيلة والظاهر انه كان يقول الشعر ، توفي ابوه ابو الهيثم، و كفله عمه، وقرأ عليه، وجمع له شعر ابيه .

قال ابن العديم: انشدني ابو إسحق بن شاكر بن عبدالله بن محمد بن عبدالله ابن سليمان ، قال انشدني ابو شاكر ، قال انشدني جدي ابو المجد ، قال سمعت أبا العلاء ينشد زيد بن عبد الواحد بن عبدالله بن سليمان من شعر والده اخيه ابي الهيثم ، وكان جمع له شعر والده اخيه ، وكان اخوه مر على سياث ، وهي قرية الى جانب معرة النعمان خراب ، فوجد فيها رجلا يهدم ابنية بها، ويستخرج منها حجارة ، فكتب على حائط من حيطانها يقول :

مَرَرْتُ بِرَبْعٍ في سِياثَ [2] ...

---

(١) ياقوت : المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ص ١٢٣

(٢) وهي الابيات الآتية :

مررت بربع في سيـــات فراعني به زجل الاحجار تحت المعاول
تناولها عبل الذراع كأنما رمى الدهر فيما بينهم حرب وائل
أتتلفهـــا شلت يميـــنك خلها لمعتـــبر او زائر او سائـــل
منـازل قوم حدثتنا حديثهم فلم أر أحلى من حديث المنازل

انظر معجم البلدان لياقوت ٣ : ٢٠٧ .

ولد الشيخ ابو نصر زيد سنة ٣٩٨ هـ، وتوفي سنة ٤٤٢ هـ ، فعمره ٤٤ سنة ، كذا ذكره ابن العـديم في الجزء الثامن من بغية الطلب في تاريخ حلب ، والذي ذكره في الانصاف : ان ابا الهيثم لم يخلف الا زيداً ، وان زيداً خلف منافراً ، وذكر فيه انه وقف على كتب من تصانيف عم ابيه ابي العلاء ، بخط زيد تدل على فضله وحسن نقله ، والظاهر ان منافراً محرف عن جابر ، وقـد تقدم ذكره عن القفطي (١) .

ساطع بن عبد الباقي بن الحسن بن عبد الباقي بن عبد الله بن الحسن بن عبد الله ابن عمرو بن سعيد بن احمـد بن داود التنـوخي المعري :

شاعر مجيد من بني ابي حصين ، بيت القضاء والفضل والعلم .

كان ساطع من أعيان أهل المعرة ، وكان شاعراً مدح الملك الظـاهر غازي بن يوسف بن أيوب ، وكان قد نفق عليه ، ومال اليه .

أنشده قصيدة بقلعة حلب في شهر رمضان سنة ٦١٢ هـ ، وذكر فيها ولده الملك العزيز محمد بعد أن ولد ، فاستحسنها الملك الظـاهر ، واستفاد منها أبياتاً ، وذلك بحضر رسول الملك الاشرف موسى بن الملك العـادل ابي بكر ابن أيوب وهو المجد البَهْنَسي (٢) . وذكر القصيدة بتمامها وهي ستون بيتاً :

أَمَالْحَج (٣) تَلاقي وَلَا لِرَمْيِ ... جِمَـارِ الهَجْـرِ أَوْ قَـاتُ
لَعَلَّ في عَرَفَاتٍ مِنْ عَوَارِفِكُمْ ... وَصْلاً لَصَبٌّ لَهُ بالخَبْتِ أَخْبَاتُ

(١) انظر تاريخ المعرة للجندي ٢ : ٢٩٦

(٢) هو الحارث بن مهلب بن حسن بن بركات مجد الدين البهنسي وزير من الكتـاب الشعراء ، من اهل مصر ، انظر الاعلام الزركلي ٢ : ١٦١

(٣) كذا في الاصل (ج)

ويقول في مديحه :

يَمْحُو وَيُثْبِتُ أرْزَاقَ الوَرَى بِيَدٍ
لاَ زَالَ فِينَا لَهَـا مَحْوٌ وإثْبَاتُ

وانشده قصيدة أول يوم من شهر رمضان سنة ٦١٢ هـ بدار العدل :

تَحِيَّةَ مَمْنُوعٍ لَذِيذَ حَيَاتِهِ مَشُوقٍ إلىَ حَيِّ الحَيَا وَحَيَاتِهِ

وروى له ابياتا انشده اياها في الحاضر السليماني بظاهر حلب :

دَعَاهَا فَبَرْقُ الأبْرَقَيْنِ دَعَاهَا أيَا حَادِيَيْهَا وَالغَرَامُ دَعَاهَا

مرض ساطع بحلب سنة ٦٢١ هـ ، وحمل الى المعرة ، فمات في الطريق. وقد ترجمه ابن العديم في بغية الطلب .

سالم بن عبد الجبار بن محمد بن المهذب بن علي بن المهذب بن همام بن عامر ابن عامر بن محارب بن نعيم بن عدي بن عمرو بن عدي بن الساطع بن عدي بن عبد غطفان بن عمرو بن بريح بن جذيمة بن تيم الله ، وهو مجتمع تنوخ ، ابو المعاني ، وقيل : ابو المعالي التنوخي المعري .

من أكابر بيوت المعرة ، وسلفهم مشهورون بالفضل والعلم ورواية الحديث والشعر ، وكانوا يتمذهبون بمذهب ابي حنيفة (١) ، وكان سالم شاعرا

(١) وسيأتي في ترجمة ابي الحسن سليمان بن احمد بن سليمان بن داود ان مذهب التنوخيين مذهب ابي حنيفة فلعل احدى الروايتين خطأ او ان القوم غيروا مذهبهم فتأمل (ج) .

مجيدا فاصلا ، وبينه وبين أمراء بني مُنْقِذ مـودة واختلاط ، وله فيهم مدائـح ، وروى عن شديد الملك ابي الحسن علي بن منقذ شيئاً من شعره .

ذكره أسامة بن مُرْشد بن علي بن مُنْقذ في كتابه الذي سيره الى الرشيد بن الزبير في جماعة من الشعراء ، سأله عنهم ليودعه في كتاب جنان الجنان ورياض الأذهان ، قال أسامة :

ومن شعراء الشام الشيخ المعافى سالم بن عبد الجبار بن المُهَذَّب ، من أهل المعرة ، موسوم بالعدالة والامانة ، والفضل والديانة ، وله شعر جيد لا يفد به ولا يسترفد ، وكان بينه وبين سديد الملك مودة ، وكان اكثر زمانه عنده رغبة في موانسته وعشرته ، فاذا اشتاق الى أهله مضى الى المعرة ، واقام بها بقدر مايقضي مأربـه ، ثم يعود ، والمعرة اذ ذاك لشرف الدولة مسلم بن قريش ، وكان نازل جدي بشَيْزَر ، وحاصره مدة ، ونصب عليه عدة مجانيق ، وقاتل حصنا له يسمى الجسر ، ورحل عنه ، ولم يبلغ غرضا ، فعمل فيه الشيخ ابو المعافى بن المُهَذَّب :

أَمُسْلِمُ لا سُلِّمْتَ مِنْ حادِثِ الرَّدى وَزُرْتَ[1] وزيراً ماشَدَدْتَ به أَزْرا
ربحتَ[2] وَلَمْ تَخْسَرْ بِحَرْبِ ابنِ مُنْقذٍ مِن اللهِ و الناسِ المَذَمَّةَ والوِزْرا
فَمُتْ كَمَداً بالجِسْرِ لَسْتَ بِجاسِرٍ عَلَيْهِ وعايِنْ شَيْزَراً أبداً شَزْرا

فلما بلغت الابيات الى شرف الدولة ، قال من يقول هذا القول فينا ؟

---

(١) تحذت (ج) .
(٢) كسبت ولم تربح (ج) .

قالوا : رجل يعرف بابن المُهَذَّب من اهل المعرة ، قال مالنا ولهذا الرجل اكتبوا الى الوالي بالمعرة يكف عنه ويحسن اليه ، فربما يكون قد جار عليه ، فأحوجه أن قال ماقال ، هذا من حلم شرف الدولة .

وقال في أبي المرْهف بن مُنْقِذ :

أَبا المُرْهَفِ الباني مِنَ المَجْدِ مَنْزِلاً ... مُنيفاً لَهُ طِيب على النَّجْمِ مَمْدُودُ
وَمَنْ باتَ لِلعافِينَ مِنْ جُودِ كَفِّهِ ... خِضَمٌ نَدىً عَذْبُ المَشارِبِ مَوْرُودُ
لَقَدْ ضِيمَ إلاَّ في جَنابِكَ قاطِنٌ ... وأَعْوَزَ إلاَّ مِنْ أَنامِلِكَ الجُودُ

أنشد ابو البركات الفضل بن سالم بن مُرْشِد بن المهذب، قال: أنشدني والدي الشيخ أبي المعافا سالم (١) بن عبد الجبار بن محمد بن المهذب :

طُوبى لِمَنْ مَلَكَتْ يَدايَ مُصاحِباً ... في النَّاسِ يَصْبِرُ لي على ما أَصْبِرُ
يَصِلُ المَوَدَّةَ ما وَصَلْتُ حِبالَهُ ... أَبداً وَيَهْجُرُ أَيَّ وَقْتٍ أَهْجُرُ
لَوْ يُشْتَرَى لَشَرَيْتُ ذاكَ بِمُقْلَتي ... وَبَقِيتُ بالأُخرى إلَيْـــهِ أَنظُرُ

وأورد له كثيراً من الشعر الجيد . وتوفي أبو المعافى سالم سنة ٥١٢ هـ أو بعـدها .

ونقل من خط عبد الله بن علي بن أحمد بن جعفر التنوخي المعري ، وذكر جماعة من مشايخ معرة النعمان ، قال : ما بقي منهم الى سنة ٥١٢ هـ الا

(١) هذا حفيد سالم المترجم كما يأتي فلعل في العبارة نقصا (ج) .

أبو العلا، المحسّن بن الحسين بن محمد بن أحمد بن أحمد بن جعفر بن أحمد بن سليمان بن داود أبو المعافا وأبو المنجا أبناء عبد الجبار بن محمد بن المُهَذَّب بن علي بن المهذب ، فتكون وفاته بعد ذلك .

سالم بن عبد الغالب بن عبد الله بن المحسن بن عبد الله بن محمد بن عمرو بن سعيد بن محمد بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن انور بن ارقم بن أسحم، أبو المنجا ابن القاضي أبي سعد بن أبي حصين بن أبي القاسم التنوخي المعري القاضي :

من بيت القضاء والعلم والرواية والشعر بمعرة النعمان ، وكان أبوه قاضي المعرة . سافر سالم الى الديار المصرية ، وولي قضاء دمياط، ثم جاور بمكة إلى أن مات سنة ٥٤٢ هـ .

وله شعر، منه قوله في المعرة :

قَلْبٌ وَقَلْبٌ في يَدَيْـ ... ـكَ مُعَذَّبٌ وَمُنَعَّمُ
ظَمْآنُ يَطْلُبُ قَطْرَةً ... تَشْفي صَدَاهُ وَمُفْعَمُ

سالم بن المحسن بن محمد بن علي الربعي أبو الغنائم :

شاعر من أهل المعرة ، نزل الاسكندرية ، وأوطنها الى أن مات سنة ٥١٩ هـ .

من شعره :

أَنتَ بِالوَصْلِ إذا لَمْ تَجِدْ ... فبِهِ قَلْبِيَ عَلِّلْ وَعِدِ
قَدْ تَمَادَى طولُ هِجْرانِكَ لِي ... وانتظارِي كُلَّ يَوْمٍ لِغَدِ

سالم بن مرشد بن سالم بن عبد الجبار بن محمد بن المهذب ، أبو المعافا[1] المعري:

حدث عن أبي المجد عبد الواحد بن المهذب بن المفضل المعري . روى لنا عنه ولده أبو البركات الفضل بن سالم بن مرشد الكاتب ، وأبو الفتح اسماعيل ابن محمد بن مرشد بن سالم ، وأبو محمد الحسن بن محمد بن عبد الواحد بن المهذب المعريون .

سالم بن المفرج بن عشاير بن المعلى التنوخي المعري ، أبو الغنائم الحصيني :

شاعر مجيد كان بمصر ، وأظن أنه كان متصلا بأبي الفتح حصينة ، أو بولده ، فنسب اليه .

روى عن أبي الذواد المفرج ابن أبي حصينة المعري ، وأبي الحسن علي بن ابراهيم العلاني المعري .

وله شعر فيه :

طـــالَ التّمادي على الذنوب وَلَا
يَرْدَعُنا الوَعْظُ وهـــو مُعْتَرِضُ

وكان من حذاق الشعراء ، ومن شعره ابيات منها :

طَالَما اصْبَحَتْ تُنادي الحُتُوفُ
لاشَريفُ يَبْقى ولا مَشْرُوفُ
فَتَأَمَّـــلْ تَنقُّلَ الدَّهر وَانْظُرْ
كَيْفَ يَفْنى بَعْدَ الألوفِ ألوفُ

---

(١) سبق ان هذه كنية جده (ج)

وَأَجِلْ طَرْفَكَ الطَّموحَ فَهَلْ تُبْـ
ـصِرُ إلاّ ماغَيَّرَتْهُ الصُّرُوفُ
تَتَقَضّى أَيَّامُنـــا ولَيَالِيـ
ـهَا ويَبْلَى قَوِيُّنـا والضَّعيفُ[1]

سالم بن مفرج بن الحسن بن عبد الله بن احمد بن عبد الجبار بن ابي حصينة ابن ابي الذوّاء بن أبي الفتح السلمي المعري :

شاعر أقام بمصر ومدح بها الملوك والوزراء ، واستوطن بها ، وولد بها له أولاد ، بقي نسلهم الى زمننا ، وكان احدب وتلقب بالرضى .

وله ولد يحيى بن سالم ، روى من شعر ابيه في العتاب :

ما كُنْتُ أَحْسَبُ أنَّ حَظِّي مَانِعٌ صَوْبَ الغَمَامِ الجونِ أنْ يَتَدَفَّقَا

ومنه :

تَسَاوَى النَّاسُ في طُرُقِ المَنَايَا فَمَا سَلِمَ الصَّرِيحُ وَلاَ الهَجِينُ
تَدَيَّنَّا البَقَاءَ مِنَ اللَّيَـــالي وَمِنْ أَرْواحِنـا تُوفَى الدُّيُونُ

وقوله :

لَهُ رَاحَةٌ يَنْهَلُّ مِنْ فَيْضِها النَّدى فَيَنْهَلُ في مَعْرُوفِهَا البَدْوُ والحَضَرُ
وَوَجْهٌ يُضِيءُ البَدْرُ مِن قَسَمَاتِهِ وَأَحْسَنُ مَافي أَوْجُهِ البَشَرِ البِشْرُ

(١) بغية الطلب (ج)

وانشد عبد الرحمن بن عوض المدري لسالم بن مفرج بن أبي حصينة ،- وكان احدب ، وتحاكم هو وابن المنجم على بن مفرج الشاعر بمصر ، عندالقاضي صدرالدين الكردي الماراني ، فحكم صدرالدين على ابن المنجم ، فعمل ابن المنجم :

تَعَصَّبَ صَدْرُ الدِّينِ للأَحْدَبِ الذِي
غَدَا يَدَّعِي شِعْراً وَلَيْسَ بِذِي شِعْرِ
فَقُلْتُ مَعَاذَ اللهِ يَصْلُحُ في الوَرَى
تَعَصُّبُ هَذَا الصَّدْرِ إِلا لِذَا الظَّهْرِ

وقد ذكر ابن حجة الحموي[1] في نوع التهكم ابياتا لابن الذروي في ابن ابي حصينة منها قوله :

لاَ تَظُنَّنَّ حَدْبَةَ الظَّهْرِ عَيْباً ... فَهْيَ في الحُسْنِ مِنْ صِفَاتِ الهِلاَلِ
وَكَذَاكَ القِسِيُّ مُحْدَوْدِبَاتٌ ... وَهْيَ أَنكَى مِنَ الظُّبَى والعَوَالِي
وإِذَا مَا عَلاَ السَّنَامُ فَفِيهِ ... لِقُرُومِ الجِمَالِ أَيُّ جَمَالِ
وأَرَى الانْحِنَاءَ في مِخْلَبِ البَازِي وَلَمْ يَعْدُ مِخْلَبَ الرِّيبَالِ
كَوَّنَ اللهُ حَدْبَةً فِيكَ إِنْ شِئْتَ مِنَ الفَضْلِ أَوْ مِنَ الإِفضَالِ
فَأَنتَ رَبْوَةٌ عَلَى طَوْدِ عِلْمٍ ... وَأَنتَ مَوْجَةٌ بِبَحْرِ نَوَالِ
مارَأَتْهَا النِّسَاءُ إِلاَّ تَمَنَّتْ ... أَنْ غَدَتْ حِلْيَةً لِكُلِّ الرِّجَالِ

(١) ابن حجة الحموي : خزانة الأدب ١٢٣ (ج)

وختمها بقوله :

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الهَجْرِ بُدٌّ فَعَسَى أَنْ تَزُورَنِي فِي الخَيَالِ

وأظن أن ابن أبي حصينة هو سالم هذا لأنه أحدب .

ابو علي سالم بن يحيى بن علي بن محمد بن عبد اللطيف المعري التنوخي :

روى عنه القاضي عبد القاهر بن علوان بن المشهنا المعري قاضي معرة مصرين سنة ٥٨٢ هـ في حمام بناها أحمد بن الدوية :

إِنَّ حَمَّامَكَ هَذَا غَيْرُ مَأْمُونِ الجِوَارِ
مَا رَأَيْنَا قَبْلَ هَذَا جَنَّةً فِي وَسْطِ نَارِ

ابو المظفر سعد بن احمد بن حماد المعري :

هذا هو الذي روى ملقى السبيل عن ابيه ، عن مؤلفه ابي العلاء المعري ، ورواه عنه القاضي ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن يحيى الديباجي العثماني .

وقال ابن العديم في بغية الطلب : سعد بن حماد أبوالعلاء المعري ، له مراث في بني المهذب ، منها قوله يرثي اخت الشيخ ابي صالح محمد بن المهذب من قصيدة :

عَجِبْتُ وَمَا يَأْتِي بِهِ الدَّهْرُ أَعْجَبُ لِصَرْفِ زَمَانٍ بِالوَرَى يَتَقَلَّبُ

الوزير سعد الدين باشا ابن اسمعيل العظم :

ولد في المعرة بعد سنة ١١٣٠ هـ ، وتربى في مهد الاقبال ، وترعرع في

حجر الوزارة ، الى ان صار متسلما عن أخيه أسعد بحماة ، فاحسنت اليه الدولة برتبة روم ايلي ، وشاعت أراجيف كاذبة عن وفاة اخيه اسعد بطريق الحجاز فلما وصلت البشائر بوصول الحاج الشامي الى دمشق ، واميرهم المذكور في عداد الأحياء ، عينت الدولة للمترجم منصب حَوْران ، فاستعفى عن ذلك ، اذ لم يتول هذه الأيالة في الدولة العثمانية احد استقلالا لقلة دخلها ، ووفرة خرجها ، فولوه طرابلس جرداويا لاخيه اسعد باشا ، فاستقام جرداويا فيها ، وفي صيدا وحلب اثنتي عشرة سنة ، فلما عزل اخوه من دمشق ، ولي المترجم مرعش ، ثم صيدا ، ثم جدة ، فرحل الهامع الركب الشامي سنة ١١٧٣ هـ ثم عزل عنها ، وقدم دمشق اوائل سنة ١١٧٤ هـ ، على الطريق الشامي ، مع الركب ، فولوه مرعش ، فاستعفى ، فولي قونية ، فارتحل اليها ، ودخلها ، ثم ولي ايالة الرقة ، فدخلها في ربيع الاول سنة ١١٧٥ هـ ، وكان بها طاعون اشتدت وطأته على الناس ، حتى حكى الجارف اوعمواس ، فتوفي مطعونا ليلة الاحد في ١١ ذي القعدة سنة ١١٧٥ هـ ، ودفن في جامعها الاعظم في مقبرة هناك ، وكان ولي حلب سنة ١١٦٣ هـ ، وحصل بينه وبين اهلها وحشة ، فرحل منها جرداويا ، فلما عاد الى دمشق عزل عنها ، وولي صيدا ، ثم اجتاز بحلب سنة ١١٧٠ هـ الى مرعش ، وفي سنة ١١٧٥ هـ (١) اجتاز الى أورفة .

وكان شهما ذا عنفوان وجلادة رحمه الله . واعقب ابنه نصوح بك ابن سنتين ، وصار وزيرا بمنصب ديار بكر سنة ١١٩٩ هـ ، بعد وفاة عمه محمد باشا ، وابن عمه عبد الله باشا ، واعطوه الوزارة ومنصب أورفة (الرها) .

---

(١) وفي اعلام النبلاء للطباخ : سنة ١١٧٤ هـ (ج)

وجدت هذا في كراسة خطية ، لم اعلم صاحبها ، ثم رأيت صاحب إعلام النبلاء عزاها الى ابن ميرو في تاريخه .

سعيد بن جباه ابو محمد المعري التنوخي :

وهو من بني ابي الأسد بن سلامة بن المثنى بن جباه — واليه ينتسب بيتهم بمعرة النعمان — ابن سليمان بن زرعة بن سلامة بن نبيل بن الصباح بن مقاتل بن زيد بن ذهل بن زرعة بن ثعلبة بن مالك بن فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة ، ويعرف بالضنا ، وهو من بيت معروف بالمعرة ، فيه جماعة من العلماء والشعراء ، وكانت داره في باب حجي في المعرة ، وله شعر جيد ، وروي من شعره قوله :

أَنَا مَنْ عَرفْتَ جَلَادَةً وَحَزَامَةً ... لَكِنْ ذَهَبْتَ مِنَ الهوَى بغزُور

إنْ كُنْتَ لَمْ تُخْبَرْ غَرَامِيَ باللِّوَى ... فَاسْتَخْبِرِ الأَحْيَاءَ عَنِّي تُخْبَرِ

وقد روى أبياتا لأبي الحسن علي بن المؤيد بن حواري سنة ٥٨٧هـ .

سعيد بن مدرك بن علي بن محمد اخي ابي العلا بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري :

اظن انه سمع ابا طاهر اسمعيل بن حميد ، وروى عنه ابو الخطاب عمر بن محمد العليمي ، وذكره ابن العديم في الانصاف .

سليم بن محمد بن عبد الوهاب الجندي ، والد أبي :

ولد في المعرة في ٢٣ رجب سنة ١٢٣٥ هـ ، وقرأ على ابيه ، ثم ولي الامامة والخطابة في الجامع الكبير ، ثم لما هاجر اخوه الى دمشق ، ولي

الافتاء بعده ، وذلك سنة ١٢٦٦ ﻫ ،وكان شهما،مقداما ، أبيا ،شاعرا ، إلا أنه مقل (١) وكان اكثر حياته يتولى امر البلدة وادارتها ، وله الكلمة النافذة في الحكومة ، حتى ان رجالها ورؤساءها كانوا اطوع له من بناته ، ولا يخالفونه في امر ، وكان بعيد النظر ، محكم الرأي ، مبرزي العقل ، حسن السير والسيرة ، طيب الخبر والخبرة ، يحب ان لايتعدى احد من الناس منزلته في الهيئة الاجتماعية ، رأى ذات يوم رجلا من الرعاع يتبختر في ثياب فاخرة ، فامره بنزعها ، فسئل في ذلك ، فقال: اذا لبست ثفالة الناس افخر الثياب ، فماذا يلبس خيارهم ، وفيهم من لايملك من المال الا بلغة ، فيلجئهم ذلك الى تناول المال من اي طريق كان،حتى لايكونوا أدنى لباسا ممن هو ادنى شرفا، فشكر الناس عمله ، وبعد نظره في العواقب .

وفي سنة ١٢٧٨ ﻫ ذهب الى مكة المكرمة ، لاداء فريضة الحج ، فتوفي فيها ، ودفن في المعلى ، ولم يعش له من الاولاد على كثرتهم ، الا والدي رحمه الله ، وشقيقته التي تزوجها ابن عمه صالح ، واعقبت بنتا منه تسمى فاطمة، وقد رثاه نوري باشا الكيلاني الحموي (٢) بهذه القصيدة :

لِلّٰهِ حُكْمٌ فِي البَرَايَا عَظِيمْ يُفَرِّقُ فيهِ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمْ
حَسْبُ المُصَاب بالقَضَا قَوْلُهُ ذَلِكَ تَقْدِيرُ السَّمِيعِ العَلِيمْ

ومنها :

هَوِّنْ عَلَيْكَ الأَمْرَ يَافَاقِداً جَنَاحَهُ وَهوَ الشَّفِيقُ الرَّحِيمْ

---

(١) وقد رأيت له قصيدة يمدح بها اويس القرني وهي من شعر العلماء المتوسط (ج) .
(٢) المولود سنة ١٢٥٢ ﻫ والمتوفى سنة ١٣٢٦ ﻫ (ج) .

وانظُرْ بِعَيْنِ رَأْفَةٍ واعْتَبِرْ بِمَوْتِ ذِي القَلْبِ الرؤوفِ الرَّحِيمْ

إلى أن قال :

أصْبَحَ جَـــارَ اللهِ مُذْ خصَّهُ بِقُرْبِهِ وَفَـــازَ فوزاً عَظِيمْ

وفي مِنىً تَاريــخُ دَار الصَّفَـا لمنْ أتى اللهَ بقلبٍ سَـليمْ

١٤٠ ١٣٤ ٦٦ ٤١١ ١٢٠ ٢٠٢ ٢٠٥

= ١٢٧٨ هـ

وقد أرخ ولادته بعض الفضلاء ، واظن انه الشيخ مصطفى الكردي الحلبي بهذه الابيات :

حَمْداً لِمَوْلىً لاَ يَزَالُ كَرِيماً يُعْطِي العِبَادَ مَوَاهِباً وَنَعِيماً

وَعَلَيْهِ أُثْنِي ثُمَّ أَشْكُرُ أنعُماً مِنْ فَضْلِهِ السَّامِي تَفُوقُ نُجُوماً

أَنَّى لنا حَقُّ القِيامِ بِشُكْرِهَا إلاَّ بتوْفِيقٍ يَـدُومُ عَظِـيماً

مِنْها قدومُ أجلِّ نجلٍ صَالحٍ مِنْ عِقْدِ سِلْسِلَةٍ حوَتْ تعظيماً

هُمْ عُصْبَةُ الجُنديِّ نسلُ المصْطَفَى حَازُوا المَعَـالي حَادِثاً وَقديماً

يَحْيىَ على نَهجِ التُّقى ويعيشُ في حُجْرِ السُّعودِ مُبَجَّلاً مَخْدُوماً

بَلْ كَامِلاً أرَّخْتُ مِنْهُ مُحَمَّداً حَتّى نَرَاهُ مَعَ الكمَالِ سَلِيمَا

١٢٣٥ هـ

القاضي ابو الحسن سليمان بن احمد بن سليمان بن داود بن المطهر التنوخي :

هو جد جد ابي العلاء المعري واول من ولي قضاء المعرة من بني سليمان وقال بعضهم: انه ولي قضاءها سنة تسعين ومائتين الى ان مات وقيل: ان الذي تولى القضاء سنة ٢٩٠ هـ هو ابنه .

وقد ذكره ابن العديم في الانصاف ، وذكر ان الفتاوى على مذهب الشافعي بقيت اكثر من مائتي سنة في بني سليمان ؟

وقد تقدم في ترجمة سالم بن عبد الجبار ، نقلا عن ابن العديم ان تنوخ كانوا يتمذهبون بمذهب ابي حنيفة ، فلعل في احدى الروايتين خطأ فتأمل

ابو الحسن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر التنوخي:

ولد في معرة النعمان سنة خمس وثلاثمائة هـ ، وتولى القضاء فيها سنة احدى وثلاثين ، بعد موت ابيه ابي بكر ، ثم ولي بعد ذلك قضاء حمص .

وكان فاضلا فصيحاً شاعراً محدثاً ،ومن شعره قوله في الناعورة :

وَبَاكِيَةٍ عَلَى النَّهْرِ ... تَئِنُّ وَدَمْعُهَا يَجْرِي
تُذَكِّرُنِي بِأَحْبَـــابِي ... وَحَالِي لَيْلَةَ النَّفْرِ
وَأَذْرِي مِثْلَمَا تَذْرِي ... وَأُسْعِدُهَا وَمَا تَدْرِي
عَلَى فَقْدِي لِأَحْبَابِي ... وَمَا قَدْ فَاتَ مِنْ عُمْرِي
فَمَا هِيَ فِيهِ مَشْهُورٌ ... وَمَا أَنَا فِيهِ فِي السِّتْرِ
كَأَنِّي فِي بَسِيطِ الأَرْ ... ضِ بَيْنَ النَّاسِ فِي قَبْرِ

وروى الحديث عن القاضي ابي القاسم علي بن محمد بن كاس[1] النخعي الحنفي قاضي معرة النعمان ، وعن الصقر بن احمد البلدي ، وابي بكر محمد بن بركة الحلبي المعروف بدواعس[2] الحافظ ، وعن محمد بن همام ،وجماعة سواهم .

---

(١) في نسخة الانصاف كاسي (ج)
(٢) بردا عس (ج)

وروى عنه ابنه ابو محمد عبد الله ، وحفيده الشيخ ابو العلاء احمد ، وابن بنته أبو صالح محمد بن المهذب ، وابو الحسن المهذب وجعفر ابنا علي بن المهذب ، وابو النصر عبد الكريم بن جعفر بن علي بن المهذب المعريون ، وابو عمرو عثمان بن عبد الله الطَّرَسُوسي قاضي معرة النعمان بعده ، وتوفي بحمص ، وهو على قضائها في جمادى الاولى سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ودفن ظاهر باب الرستن.

وقد ذكره ابن العديم في الانصاف ، وزعم بعضهم ان لسليمان ولداً اسمه مسلم ، وسيأتي ذكره في ترجمة النعمان بن وادع ، وقد ذكر في ترجمة أبي العلاء في قصة الضيوف المحسين .

سليمان بن شاكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد ابي المجد اخي ابي العلاء :

ذكر ابن العديم في الانصاف انه ولد في دمشق سنه خمس وخمسمائة ، ونقل الميمني (١) عن الخريدة انه ولد بحلب ٥٤٥ هـ .

وكان شاعراً فاضلا ، ومن شعره ما كتبه الى ابيه شاكر ، وهو قوله :

تَهَنَّ بالصَّوْمِ وَبِالفِطْرِ ... وَعِشْ سَعِيداً آخِرَ الدَّهْرِ
يَاسَيِّداً فَاقَ جَمِيعَ الوَرَى ... بالعِلْمِ والزُّهْدِ وَبِالذِّكْرِ
إِنِّي جَدِيرٌ أَنْ أَنَالَ الذي ... آمَلُ مِنْ نُعْمَاكَ يَاذُخْرِي
إِنِّي إِذَا نَافَسْتُ لاأَرْعَوِي ... لأَنَّنِي نَجلُ أَبِي اليُسْرِ

القاضي ابو مرشد سليمان بن علي بن محمد اخي ابي العلاء ابن عبد الله . . .

لم اقف على ميلاده ولا وفاته ، وقد ولي القضاء في المعرة ، ثم لما اخذها

(١) الميمني : ابو العلاء وما اليه ص ٣١

الفرنج انتقل الى شيزر ، وتوفي بها ، وقد تقدم ان الفرنج اخذوا المعرة سنة ٤٩٢هـ.

وكان اديباً فاضلا فصيحاً ، شاعراً مجيداً ، وله كتاب في تفسير أبيات المعاني من شعر المتنبي ، وهو كتاب حسن في فنه ، وله رسائل حسنة ، وشعر جيد ، منه قصيدة التزم في كل كلمة منها حرف النون أولها :

نَزِّهْ لِسَانَكَ عَنْ نِفَاقِ مُنَافِقٍ   وَانْصَحْ فَإِنَّ النُّصْحَ[1] دِينُ المُؤْمِنِ

وَتَجَنَّبِ المَنَّ المُنَكِّدَ لِلنَّدَى   وَأَعِنْ بِنَيْلِكَ مَنْ أَعَانَكَ وَامْنُنِ

وَتَنَاهَ عَنْ غُبْنٍ وَغَيٍّ وَاغْتَنِمْ   حُسْنَ الثَّنَاءِ مِنَ الأَنَامِ وَأَحْسِنِ

ومن شعره في رثاء أبيه :

شَهِدْتُ لَقَدْ أَبْقَتْ بِدِينِ مُحَمَّدٍ
وَفَاةُ عَلِيٍّ ثُلْمَةً مَالَهَا سَدُّ
وَفِي المَجْدِ صَدْعاً لَيْسَ يُجْبَرُ كَسْرُهُ
وَفِي الدِّينِ وَهْناً بَاقِياً مَالَهُ رُشْدُ
فَلَا يَبْعِدَنْكَ اللهُ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ
وَمَنْ يَكُ مِنَّا اليَوْمَ حَيّاً هُوَ البُعْدُ
وَلَا رَقَأَتْ عَيْنُ امْرِىءٍ لَيْسَ بَاكِياً
عَلَيْكَ وَلَا أَضْحَى لَهُ عَالِياً جَدُّ .

---

(١) فان الدين نصح .. (ج)

فَإِنْ أَشْمَتَ الحُسَّادَ مَوْتُكَ عَاجِلاً
فَلَيْسَ لِحَيٍّ مِنْ لِقَاءِ الرَّدَى بُـــدُّ
يَعُزُّ عَلَيْنَـــا أَنْ نَرَاكَ مُجَنْدَلاً
صَرِيعاً وأَنْ تُمْسِي يُخَدُّ لَكَ الخَدُّ

وقد ذكره في الانصاف .

سليمان باشا الوزير ابن ابراهيم العظم :

ولد في معرة النعمان بعد التسعين والالف ، ودخل حلب كثيراً في اوائل عمره ، وارتقت به الحال الى ان ولي طرابلس برتبة روم ايلي ، وصار جرداوياً لشقيقه اسماعيل السابق ذكره ، ثم عزل منها ، وولي إيالة الرقة وعين على السفر الى مملكة العجم ، ثم عاد وولي صيداء ، وبها صارت له الوزارة ، ثم امتحن مع ذويه كما سبق ، وافرج عنه ، وولي طرابلس ثانياً ، وعزل ، وعين على السفر الى بلاد العجم ثانياً ، واجتاز بحلب فلما بلغ اورفة حصل له العفو عن السفر ، وولوه صيداء مرة اخرى ، بعد ان كان معيناً على السفر من غير منصب ثم ولي دمشق سنة ١١٤٦ هـ بامارة الحاج ، وحج خمساً بالحجيج الشامي ، ثم عزل ، وولي مصر فارتحل اليها ودخلها ، وحصلت له محنة بها من اهلها ، ثم عزل ووصل برا الى حماة ، ثم ولي دمشق مرة ثانية ، وحج بها مرتين ، وتوفي وهو وال على دمشق ، محاصراً لقلعة طبرية ، سنة ١١٥٦هـ ، وحمل الى دمشق ودفن فيها في تربة باب الصغير بالقرب من قبر سيدنا بلال الحبشي ، وكان شهما ، بطلا مقداماً حسن المعاشرة والمحاضرة .

وفي كتاب الباشاة والقضاة لابن جمعة : ان سليمان باشا ولي دمشق منفصلا عن صيداء، وانه توفي في قرية لُوبيّة بالقرب من قلعة طَبَريّة، ووضعوه في التخت ، ودخلوا به دمشق نهار الخميس اليوم السابع من رجب من سنة ١١٥٦ هـ .

وفي رسالة الوزراء الذين حكموا دمشق : ان سليمان باشا دخل الشام وكان غلاء ونهبوا قمحه ، وشنق اربعة ، وخرج الى الحاج ، وما احد يرد عليه السلام ، ولما عاد من الحاج عمل فرحاً، وطهر اولاده ورفع المظالم ، وعمر عمارة كبيرة ،وعزل في سنة ١١٥١ هـ ، وانه دخل الشام ثانياً،وهو منفصل عن مصر في غرة رجب ، وكان بطلا شجاعاً وحج حجتين اخريين ، في امن وأمان ، ورخص وخير وخرج الى قلعة طبرية ، وحاصر صاحبها ضاهر العمر اراد ان ياخذها فادركه الحمام عند القلعة ، فاتوا به الى دمشق ، ودفنوه في باب الصغير قرب سيدنا بلال (ض)

شاكر ابن اسماعيل بن ابراهيم بن أبي اليسر عبد الرحيم جلال الدين :

ولد سنة خمسين تقريباً،وسمع من ابيه ، واحمد بن عبد الدائم والكمال بن عبد ، وايوب الفقاعي،وابي بكر النشبي ، والفخر علي . ذكره البرزالي في معجمه ، فقال كان كثير السفر للحج ، بسبب الزيت المحمول الى المدينة من دمشق ، وكان محباً للرواية ، ومات في تاسع شعبان سنة ٧٢٦ هـ بدمشق .

هكذا قال في الدرر الكامنة (١)

(١) ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ٢: ١٨٦ .

شاكر بن زيد بن عبد الواحد اخي أبي العلاء المعري التنوخي :

ووقع اسمه في الانصاف لابن العديم : منافر بن زيد ، وفي بغية الطلب له : شاكر ، ولعل هذا اصح ، والأول محرف عنه ، وفي القيفطي اسمه جابر وقد تقدم ، وكان شاعراً فاضلا كأبيه .

ولم يعرف له عقب ، وقد اطلع ابن العديم على كتب ، من تصانيف عم ابيه ابي العلاء ، بخط يده تدل على فضله .

القاضي ابو اليسر شاكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد ابي المجد أخي ابي العلاء . التنوخي (١) :

ولد في شَيْزر في جمادى الاخرة سنة ٤٩٦ هـ ، وذكر العماد في الخريدة : ان ولادته سنة ٤٧٦ هـ والاول اقرب الى الصواب .

ونقله والده ابومحمد الى جده ابي المجد في حماة ، فربي في حجر جده وابيه ، قرأ على جده الادب وسمع منه الحديث ، واشتغل بغير ذلك من العلوم وروى عنه الحافظ ابو القاسم بن عساكر ، وذكره في تاريخ دمشق ، وهو حي ولم يذكر من كان حيا في زمنه غير اربعة هو احدهم .

وروى عنه العماد ابوعبد الله محمد بن محمد الكاتب ، وابو المواهب بن صصْرَى ، وابنه ابواسحق ابراهيم ، وابوالقاسم الحسين بن هبة الله بن صصرى ، وابوالحسن محمد بن احمد بن علي القُرْطُبي ، وغيرهم .

وكان عالما فاضلا شاعرا ناثرا ، ولي القضاء ، ثم كتب الانشاء لأتابك .

---

(١) معجم الادباء لياقوت ،سقط ذكر عبد الله الثاني، والصواب ماذكرنا (ج)

الشهيد زنكي بن آق سنقر ، ثم لولده نور الدين محمود بن زنكي (١) ، فهو كما قال في الشذرات (٢) صاحب ديوان الانشاء في الدولة النورية .

ثم استعفى سنة ٥٦٣ هـ ، وقعد في بيته ، وتولى بعده الانشاء عماد الدين كما ذكر ذلك في خريدته (٣) ، وقد عاش خمسا وثمانين سنة ، وتوفي سنة ٥٨١ هـ احدى وثمانين وخمسمائة بدمشق ، يوم الجمعة الثالث والعشرين من المحرم ، ودفن في سفح قاسيون .

وله من الاولاد : ابو البركات محمد ، وسليمان ، وابو العلاء احمد ، وابو اسحق ابراهيم ، وقد ذكرناهم جميعاً .

وله شعر جيد ، منه ماروا ه العماد عنه ، قال : انشدني ابو اليسر لنفسه :

وَرَدْتُ بِجَهْلِي مَوْرِدَ الصَّبِّ فَارْتَوَتْ
عُرُوقِيَ مِنْ مَحْضِ الهَوَى وَعِظَامِي

وَلَمْ تَكُ إِلاَّ نَظْرَةٌ بَعْدَ نَظْرَةٍ
عَلَى غِرَّةٍ مِنْهَا وَوَضْعِ لِثَامِ

فَحَلَّتْ بِقَلْبِي مِنْ تَثَنِّي طَاعِه (٤)
أَقَرَّتْ بِهَا حَتَّى المَمَاتِ عِظَامِي

---

(١) وكان منتسبا اليه كما قال ابن عساكر (ج)
(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ٤ : ٢٧٠
(٣) ونقل عنه في الروضتين ج ١ ص ١٤٩ ، ونقل انه تولى ديوان الانشاء بالشام سنين كثيرة (ج)
(٤) كذا في الأصل (ج)

ومنه قوله :

سَارَقْتُـهُ نَظْرَةً أَطَالَ بِهَـا عَذَابَ قَلْبِي وَمَالَهُ ذَنْبْ
يَاجَوْرَ حُكْمِ الهوَى وَيَاعَجَباً تَسْرُقُ عَيْنِي وَيُقْطَعُ القَلْب

ومنه :

يالَقَوْمِي مِنْ عَارِضٍ دَبَّ فِي الخَدِّ دَبِيباً مِنْ تَحْتِ عَقْرَبِ صَدْغِ
قَعَـدَ القَلْبُ مِنْهُا فِي بَلاءٍ وَعَذَابٍ مَا بَيْنَ قَرْصٍ وَلَدْغِ

ومنه :

غَرِيَتْ بِهِمْ نُوَبُ اللَّيالِي فَاغْتَدوْا مَا يَسْتَقِرُّ لهُمْ بِأَرْضٍ دَارُ
حَتَّى كَأَنَّهُمُ طَرِيفُ بَضَائِعٍ وَكَأَنَّ أَحْدَاثَ الزَّمانِ تِجَارُ

ومنه :

تَعَمَّمَ رَأْسِي بالمَشيبِ فَسَاءَنِي
وَمَا سَرَّنِي بِتَفْتِيحُ نَوْرِ بَيَاضِهِ
وَقَدْ أبْصَرَتْ عَيْنِي خُطُوباً كثيرةً
فَلَمْ أرَ خَطْباً أسْوَداً كَبَيَاضِـهِ

ومن شعره في الناعورة :

وَبَاكِيَةٍ حَنَّتْ فَفَاضَتْ دُمُوعُهَـا
تَرَاهَا بَكَتْ مِنْ خَوفِ بَيْنٍ يَرُوُعُهَا

لهَا أَعْيُنٌ تَجْزِي بِأَدْمُـــعِ عَاشِقٍ

وَمَا عَرَفَتْ عِشْقاً فَمِـــمَّ دُمُوعُهَا

وكتب أبو سهل عبد الرحمن بن مُدْرِك ، وهو بجماة أبياتاً الى أبي اليسر ، وأرسلها اليه الى المعرة (ستأتي في ترجمة أبي سهل) ، فكتب اليه أبو اليسر :

بسم الله الرحمن الرحيم وقفت اطال الله بقاء حضرة مولاي القاضي الاجل ، على ما سمح به خاطره الشريف ، من نفائس درره ، وغرائب غرره ، فقلت عجلا ، وتنهدت مرتجلا ، فان لم آت بمثل أبياته الوافية ، ومعانيه الشافية ، فقد لزمت الوزن والقافية :

يَاشَاكِيـــاً أَلَمَ الفِرَاقِ هَيَّجْتَ وَجْدِي واشْتِيَاقِي

وَقَدَحْتَ زَنْدَ صَبَابَتِي أَفَمَا اتَّقَيْتَ من احتراقي

وَأَفَضْتَ مِنْ تَامُورِ قَلْـــبِيَ كَالعَقِيقِ إِلَى المَـــآقِي

لَمْ نَشْكُ إِلاَّ بَعضَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ جَهْدِ الفِرَاقِ

لَمْ يَبْقَ بَعْدَكَ لِي سِوَى رُوحٍ تَصَعَّدُ فِي التَرَاقِي

نَفَسٌ تَرَدَّدُ في ضَنًى جِسْمٍ مُحِيـــلٍ غَيْرِ بَاقِ

قَدْ نَالَنِي لِلْبَيْنِ مَـــا نَالَ الهِلاَلَ مِنَ المَحَاقِ

فَاحْرِصْ بِأَنْ تُحْيِي وَلِيَّكَ عَنْ قَرِيبٍ بِالتَّـــلاَقِي

وَاعْزِمْ عَلَى اسْـــمِ اللهِ فالرَّحْمَنُ يَأذَنُ بالطَّلَاقِ

وَاهْدِ الخَيَـــالَ عَسَاهُ يَسْعَـــدُ قَبْلَ ذَلِكَ باعْتِنَاقِ

واكْتُبْ إلَيَّ مُعَلِّـــلاً بِبُيُوتِكَ الشُّرْدِ الرِّقَاقِ

وَلعَلَّ مَا يُغْنِي الكِتَابَ حُشَاشَةٌ هِيَ فِي السِّيَـــاقِ

مَا فِي الحِجَازِ وَلاَ الشَّآ مِ وَأرْضِ مِصْرَ وَلاَ العِراقِ

مَنْ لفظُـــهُ يَزْهُو عَلَى ... الدُّرَرِ المُنَضَّدَةِ الرِّشَاقِ

سَمَرَتْ بِـهِ سُمَّارُهُ وَحَدَا بِهِ حَادِي الرِّفَاقِ

إلاَّكَ يَابْنَ الأكْرَمِينَ ... وَمَالِكِي قَصَبِ السِّبَاقِ

منْ كُلِّ مَمْدُودِ السِّمَا طِ لِمَنْ عَرَاهُ مِنَ الرِّفَاقِ

يَتَبَجَّسُ الإنْعَـــامُ مِنْ كَفَّيْهِ كَالغَيْثِ الدِّفَاقِ

لافخْرَ عِنْـــدَهُمُ بِغَيْرِ البِيـــضِ وَالسُّمْرِ الرِّقَاقِ

والسَّابِغَاتِ كَأنَّهَا الغُدْرَانُ وَالخَيْلِ العِتَـــاقِ

وَإغَاثَةِ المَلْهُوفِ أوْ إنْقَاذِ عَانٍ مِنْ وِثَاقِ

لاَزِلْتَ يَاذَا الفَضْلِ مِنْ عِزٍّ وَحِفْظٍ فِي رِوَاقِ

وَأتى المَعَرَّةَ مُسْرِعـــاً فِي سُرْعَةِ المَاءِ المُرَاقِ

لِلّهِ حُسْنُ جِنَـــانِهَا بالزَّهْرِ أوْ رَوْضِ الرِّفَاقِ

رَقَّ النَّسيمُ بِهِ وَكَدَّرَهُ عَلَيْنَا مَا نُلاقي
وَحَلَتْ مَوَارِدُهُ وَلَكِنْ في فَمي مِثْلُ الزَّعاقِ
وَالطَّرْفُ مِثْلُ الطِّرْفِ في المَيْدانِ يَرْكُضُ لِلسِّباقِ
مَارَاقَهُ حَسَنٌ بِهِ إلاّ وَأَحْسَن مِنْهُ لاَقِ
والبَاسلينُ[1] فَجَنَّةُ الفِرْدَوْسِ تُلْهي مَنْ تُلاقي
وَسَريحُ دَاوُدٍ بِهِ يُغْني عَنِ النُّزْهِ البَوَاقي
وَإذَا الكَفيرَ رَقَيْتَهُ أَجْزَاكَ عَنْ ظَهْرِ البُرَاقِ
لاَسِيَّمَا إنْ جُبْتَهُ وَالظِّلُّ مَمْدُودُ النِّطَاقِ
أَحْيَتْكَ مِنْهُ تَحِيَّةٌ لِنَسيمِهِ عِنْدَ انْتِشَاقِ
وَسَقَتْكَ رزقَ بِطَاقَةٍ بِنَميرِهِ العَذْبِ المَذَاقِ
وَحَبَاكَ مِنْ أَثْمَارِهِ بِزَبَرْجَدَاتٍ في حِقَاقِ
لَبِسَتْ مُلَوَّنَةَ الثِّيَابِ عَلَى غَلاَئِلِهَا الصِّفَاقِ

وكتب الى أخيه عبد الكريم في شهر ربيع الآخر سنة ٥٣٩ هـ من الرَّافقة[2] :

سَلامُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَغْشَى وَيَطْرُقُ حِينَ تُمْسِي أوْ تُغَادِي

(١) لعله الباسليق (ج)
(٢) بلد متصل البناء بالرقة وهي على ضفة الفرات ، بناها المنصور في سنة ١٥٥ على بناء مدينة بغداد . انظر معجم البلدان لياقوت ٢ : ٧٣٤ ، ٧٣٥ .

تحيّةَ مُغْرَمٍ صَبٍّ لِصِنْوٍ نَفَى عَنْ جَفْنِهِ طِيبَ الرُّقَادِ
تُعَطِّرُ كُلَّمَا مَرَّتْ عَلَيْهِ وَيُفْعِمُ نَشْرُهَا وُسعَ البِلادِ
تَرِقُّ لَهَا القُلُوبُ إذا وَعَتْهَا وَإنْ كانَتْ مِنَ الصُّمِّ الصِّلادِ
على مَنْ غابَ عَنْ عَيْني بِرَغْمي وَحَلَّ عَلى الحَقِيقَةِ في فُؤادي
عَلى مُعْطِي الكَرَائِمِ في العَطَايَا وَنَافي البُؤسِ في السَّنَةِ الجَمَادِ
وَبَاذِلِ نَفْسِهِ في الرَّوْعِ حقاً وَصَائِنِ عِرْضِهِ عِنْدَ الجِلادِ
شكويك[1] لا اريد سوى وِدَادٍ وَمَنْ لي أَنْ تُساعِفَ بالوِدادِ
وَكُتْبُكَ فَهِيَ أَبْهَى مَا أَرَاهُ وَأَجْلَبُ للسُّرُورِ إلى الفُؤادِ
وَأَحلَى مِنْ لَذِيذِ الأَمْنِ عِنْدي وَمَنْ حَطَّ الخَطَايَا في المَعَادِ
فَوَاصِلْنِي بِهَا في كُلِّ وَقْتٍ مُضَمَّنَةً حَوائِجَكَ البَوَادي
وَلاَ تَبْخَلْ بِقِرْطَاسٍ عَلَيْهِ حُرُوفٌ جَارِيَاتٌ بِالمِدَادِ
سَقَتْ دَاراً تُخلفتَ بها قَطِيناً سَوَارِي الغَيْثِ والسُّحْبُ الغَوَادي
وَلَمْ أَرَ نَظْرَةً نَقَلَتْ حَبِيباً سِوَاهُ إلى السُّوَيْدَا مِنْ سَوادي
هَجَرْتُ لَذَائِذَ الدُّنيَا وَفاءً لَهُ فَغَدَوْتُ مِنْهُ في جِهَادِ

---

(١) لعل الأصل شكوك (ج) .

لِيَعْلَمَ مَنْ وَفَيْتُ لهُ بأَنّي ... وَفَيْتُ لهُ عَلَى حَالِ البِعَادِ
وَلاَ زالَتْ سُعُودُكَ في تَرَقٍّ ... وَجدُّكَ كلَّ يَوْمٍ في ازْدِيَادِ
وَعِشْتَ مُبَلَّغاً مَاتَشْتَهِيهِ ... مِنَ الدُّنْيَا عَلى رَغْمِ الأَعَادِي
سَبَقْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ الىَ مَا ... تَحوزُ بِهِ الثَّنَا دُونَ العِبَادِ
لَكَ النّارُ التي يَعْلُو سَنَاهَا ... ذَوَائِبَ سَاطِعَاتٍ في السَّدَادِ
إذَا ضَرَبُوا بُيُوتَهُمُ بَوهْدٍ ... ضَرَبْتَ لَكَ القِبَابَ عَلى النِّجادِ
وَقَدْ أَكْثَرْتُ فاحْتَمِلِ انْبِسَاطِي ... وَعَافَ أَخَاكَ مِنْ سُوءِ انتِقَادِ
وَلَا تَقْطَعْ فَذَاكَ أخوكَ بِرّاً ... تُوَاصِلُهُ عَلَى وَجهِ افتِقَادِ
سَتُنْشَدُ فِيكَ مِنْ مَدْحِي قَوافٍ ... تُهادِيها الحَوَاضِرُ والبَوَادِي

فجاوبه اخوه بقصيدة ذكرت في ترجمته .

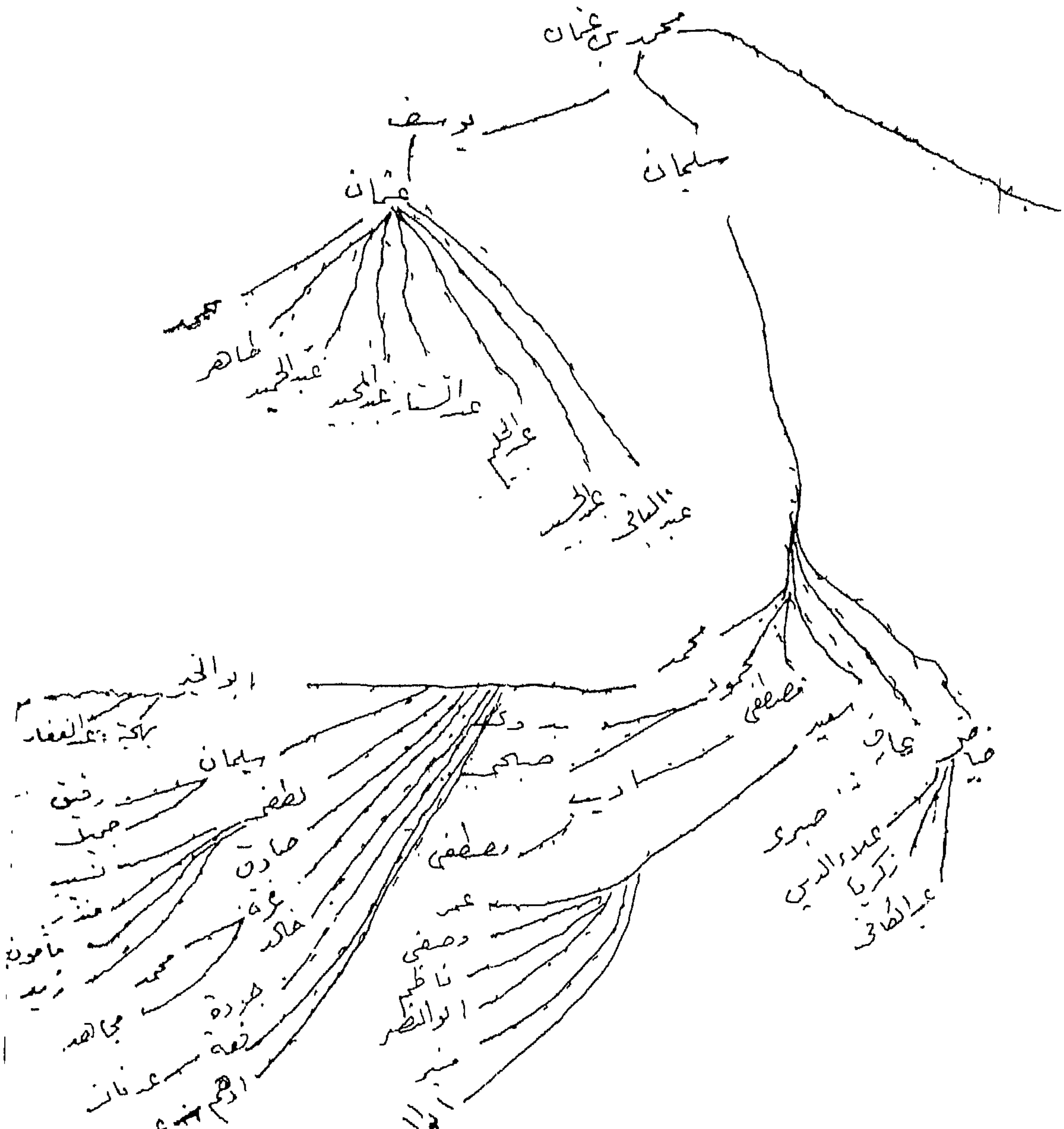
وتجد جملة من اخباره واشعاره في معجم الادباء والخريدة(١) والانصاف لابن العديم وشذرات الذهب (٢) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣)ج ١٠ في ترجمة عبد الرحمن بن مدرك، ولم يترجم ابن عساكر احدا من الاحياء الا اربعة هذا احدهم، وقد روى عنه كثيرا من اخبار التنوخيين والمعريين وغيرهم.

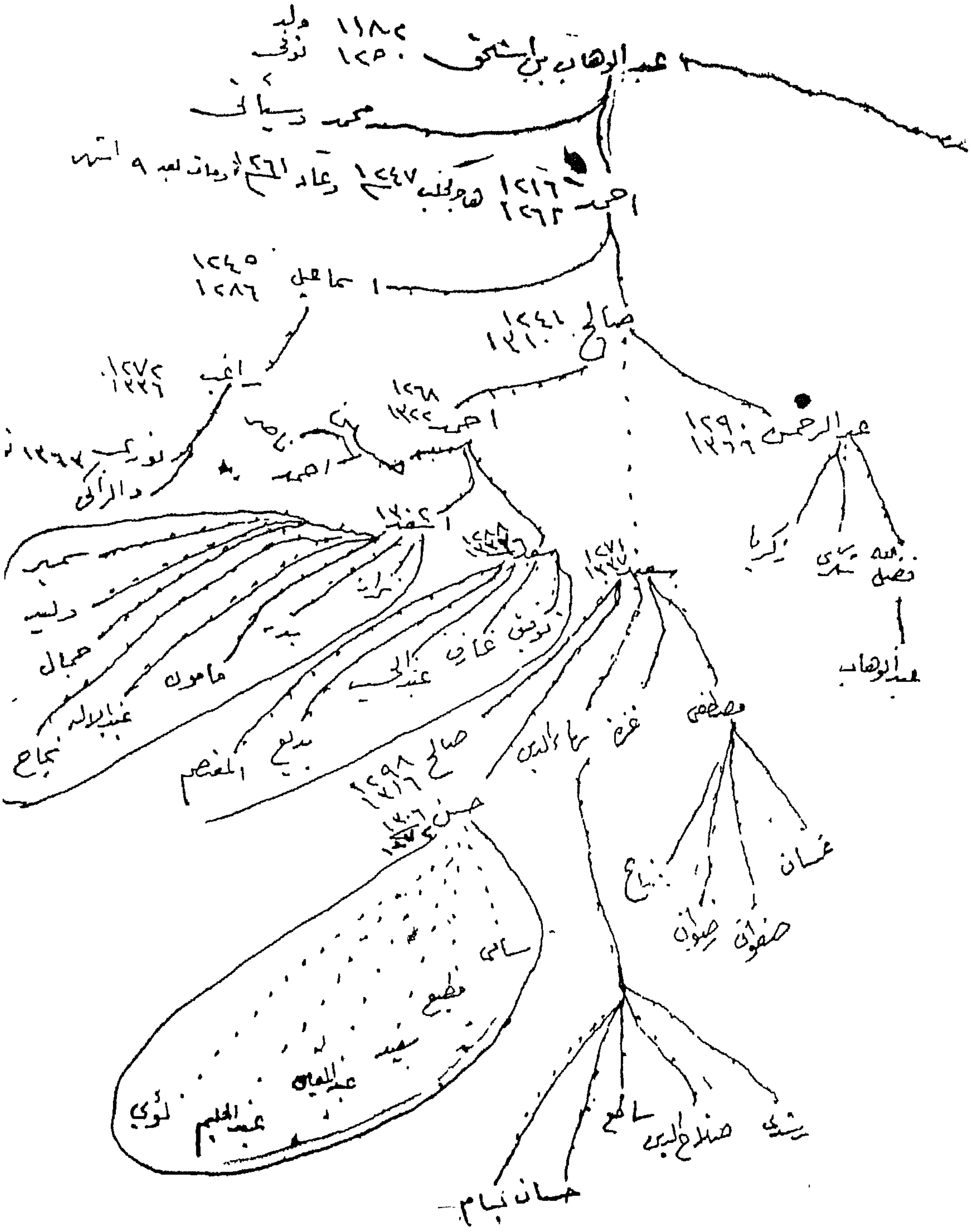
★ ★ ★

(١) ابن العماد : الخريدة ٢ : ٣٥ ـ ٣٧ .
(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ٤ : ٢٧٠ .
(٣) من مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، وانظر عنه تعليقات شكري فيصل في الخريدة ٢ : ٣٥ . وإعلام النبلاء الطباخ ٤ : ٩٥ .

شجرة نسب الاسرة الجندية

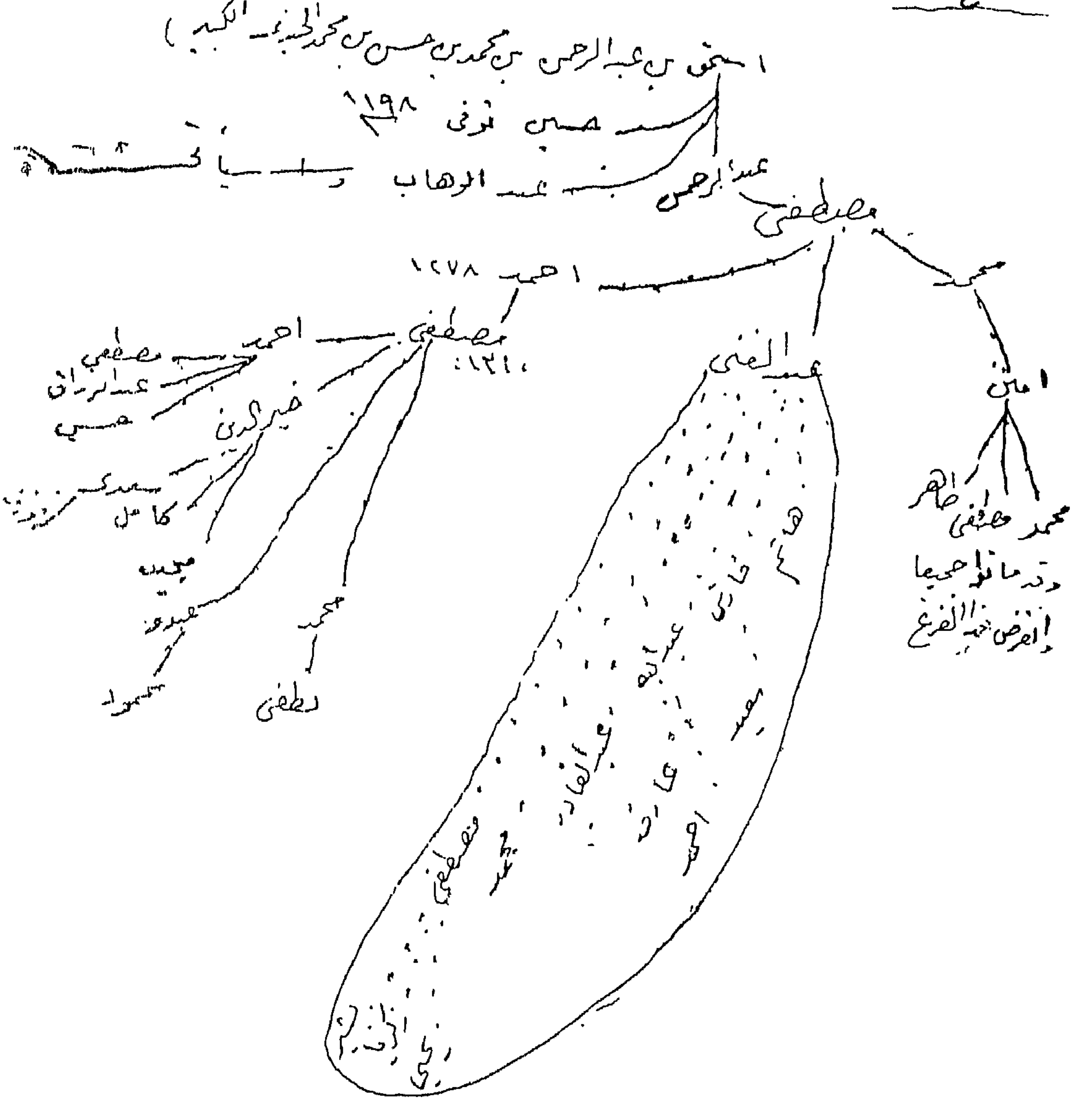

الفرع الحمصي
محمد الخضري الكبير صاحب السبحة
احمد
محمد عبد الحمصي
عبد الرزاق
خالد
عثمان
حسن
مصطفى
عبد الرحمن
عبد القادر
صالح
حافظ
حسين
عبد الواحد
زهري
هاشم
ابراهيم
عبد الجبار
شكري
نوري
محمد
امين
كامل
سعد

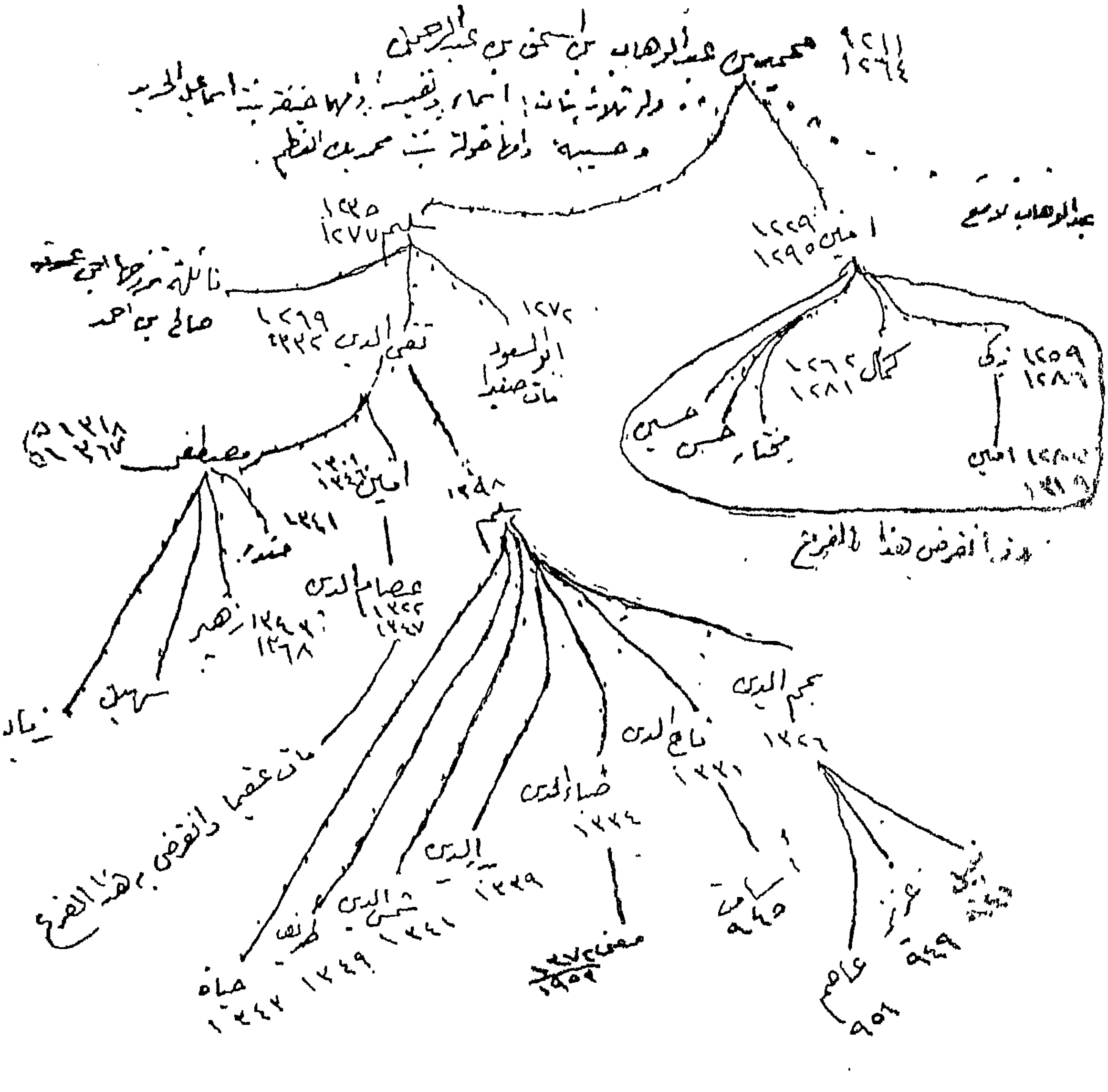

محمد بن عثمان
يوسف
سليمان
عثمان
طاهر
عبد الحميد
عبد المجيد
عبد الحليم
عبد الباقي
محمد
محمود
مصطفى
سعيد
فياض
أبو الخير
عبد الغفار
سليمان
رفيق
جميل
لطفي
صادق
مأمون
زيد
محمد
مجاهد
خالد
عدنان
عمر
صبري
علاء الدين
زكريا
عمر
وصفي
ناظم
أبو النصر
منير
أبو السعود



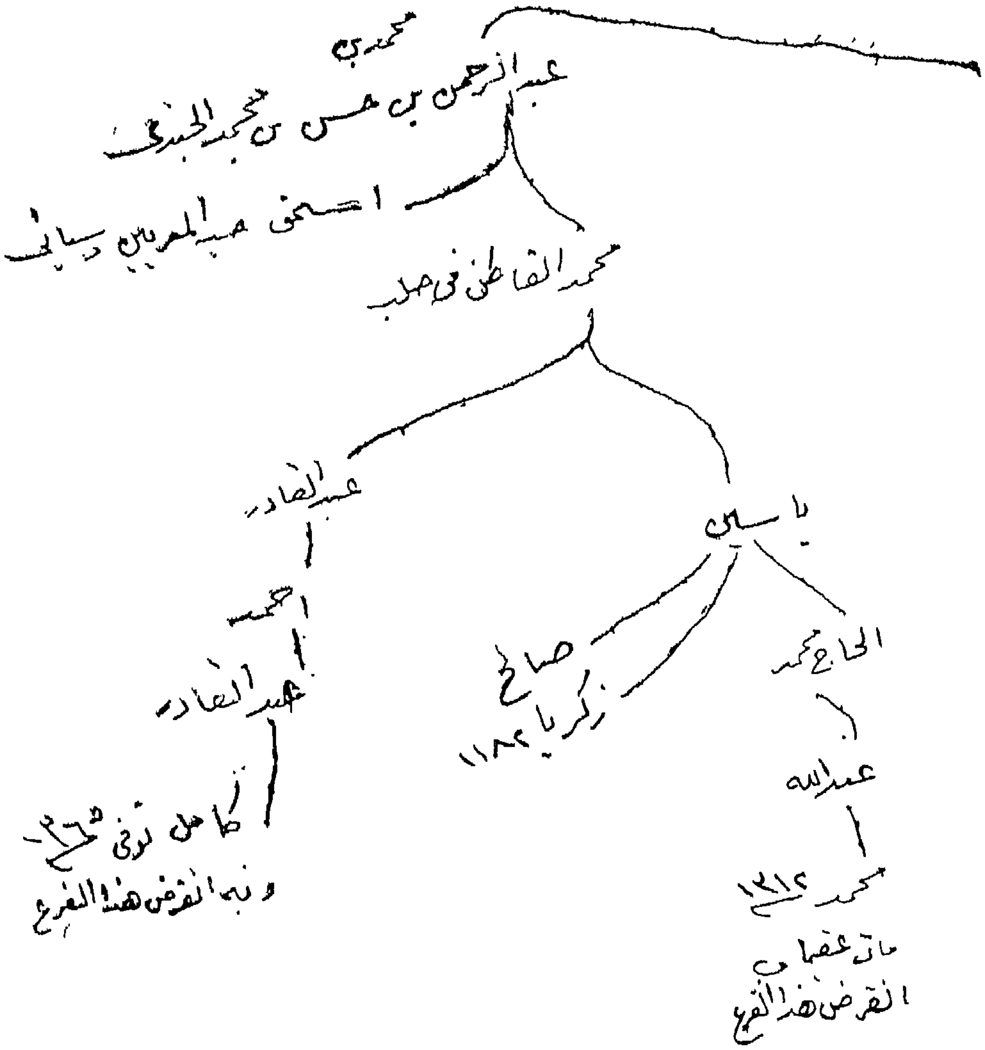
عبد الوهاب بن اسحق
ولد ١١٨٢
توفي ١٢٥٠
محمد
احمد
اسماعيل
صالح
عبد الرحمن
زكريا
عبد الوهاب
مصطفى
غسان
صفوان
صالح
حسن
سامي
عبد الحليم
لؤي
رشدي
صلاح الدين
حسان

الفرع المغربي

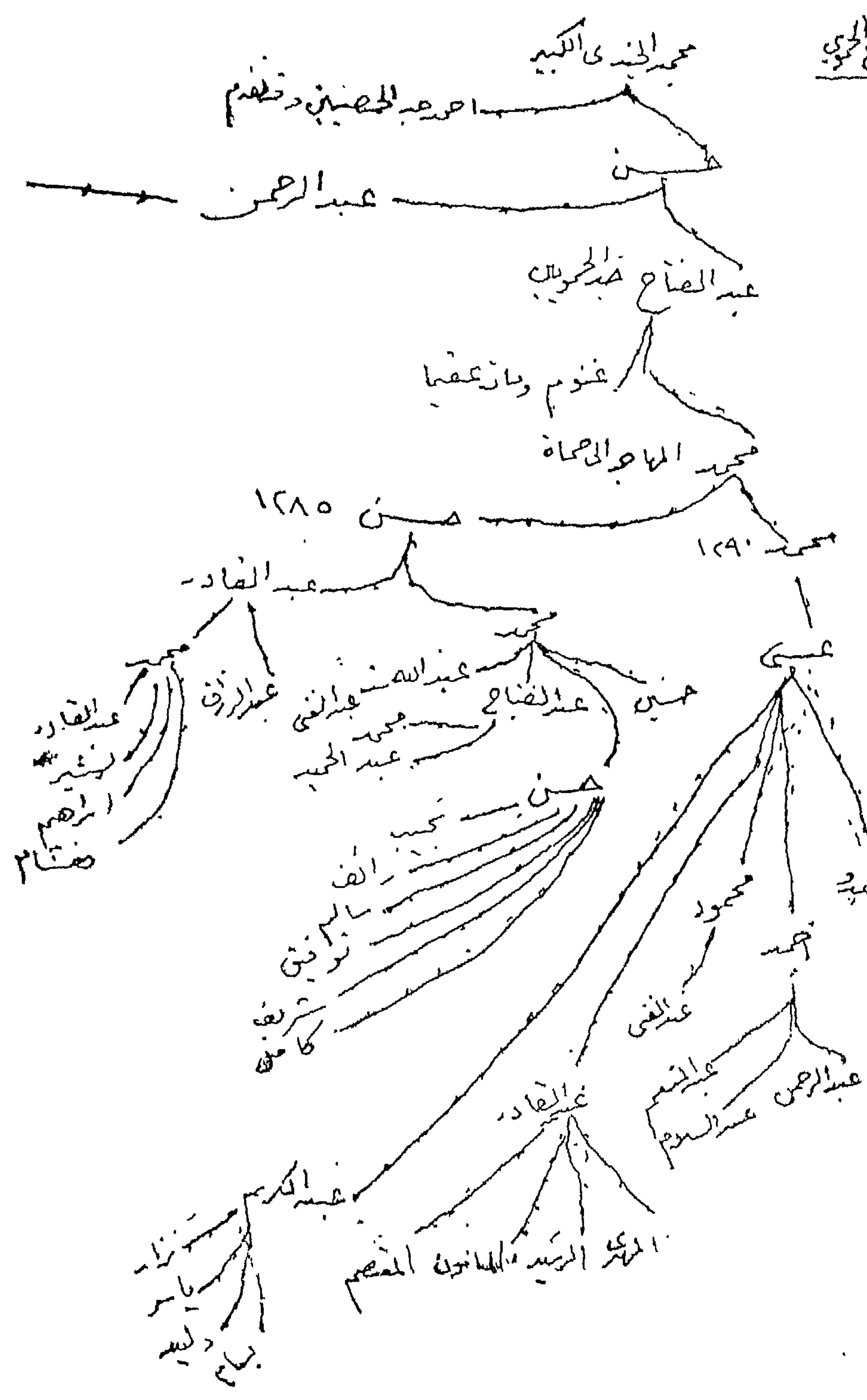



محمد بن عبد الوهاب بن حسن بن عبد الرحمن
١٢١١
١٢٦٤
عبد الوهاب توفي
أمين
كمال
زكي
حسن
حسين
مختار
تقي الدين
أبو السعود
مات صغيرا
مصطفى
أمين
عصام الدين
زهير
سهيل
زياد
نجم الدين
تاج الدين
ضياء الدين
شمس الدين
أسامة
عاصم
عزت
مات عقيما وانقرض بهذا الفرع

الفرع الحلبي



الفرع الحموي



تاريخ معرة النعمان

تأليف

محمد سليم الجندي

الجزء الثالث

حققه وعلق عليه ووضع فهارسه

عمر رضا كحالة

تاريخ معرة النعمان / تأليف محمد سليم الجندي؛ حققه وعلق عليه ووضع فهارسه عمر رضا كحالة.-ط٢.- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٤.- ٣مج في ٢؛ ٢٤سم.- (سلسلة بلادنا؛ ٥).

صدرت الطبعة الأولى ١٩٦٣

١- ١٣١ر٩٥٦ ج ن د ت ٢ - ٩٢٠ ع ج ن د ت
٣- العنوان ٤ - الجندي ٥ - كحالة ٦ السلسلة
مكتبة الأسد

الايداع القانوني . ع - ١٢٥١ / ١١ / ١٩٩٤

تاريخ معرة النعمان
الجزء الثاني - الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

تتمة

تراجم الرجال

شعيب بن محمد بن محمد بن محمد بن ميمون المرّسي والمعوي الاصل .

قال الشيخ اثر الدين : ولد المترجم بساحل (ابو الحجاز) ١٢ ذوالقعدة سنة ٦٦٠ هـ ، ونشأ بالقاهرة ، وأنشدنا من شعره :

هَزُّوا الغُصُونَ مَعَاطِفاً وَقُدُودَا
وَجَنَوا مِنَ الوَرْدِ الجَنِيِّ خُدُودَا
وَتَقَلَّدُوا فَتَرى النُّجُومَ مَبَاسِماً
وَتَبَسَّمُوا فَتَرى الثُّغُورَ عُقُودَا
وَغَدَا الجَمَالُ بِأَسْرِهِ فِي أَسْرِهِمْ
فَتَقَاسَمُوهُ[1] طَارِفاً وَتَلِيدَا
فَإِذَا سَفَرْنَ[2] أَهِلَّةً وَإِذَا سَرَحْـ
نَ جَآذِراً وَإِذَا حَمَلْنَ أُسُودَا
وَاذا لَوَوْا زَرَدَ العِذَارِ عَلَى القَنَا[3]
جَعَلُوا اللَّوَى فَوْقَ العَقِيقِ زُرُودَا

(١) في الدرر الكامنة (فتقسموه) .
(٢) وفيها : (فاذا ولدن).
(٣) وفيها: (على النقا) .

رَحَلُوا[1] مِنَ الوَادي فَمَا لِنَسيمِه
أَرَجٌ وَلَـتـشمُ أزَفي رُبَاهُ الغيـدَا .

وَذَوَتْ غُصُونُ البَانِ فيهِ فلَمْ تَمِسْ
طَرَباً وَلَمْ أستَمِـعْ بِهِ تَغْرِيدَا

فَكَأنَّمـا هُمْ[2] بانُهُ وَغُصُونُهُ
وَظِبَـا رُبَاهُ وظِلُّهُ تمْـدُودَا

نَصَبُوا عَلَى مَـاءِ العُذَيْبِ خِيَامَهُمْ
فَلأجْلِهِمْ عَذُبَ العُذَيْبُ وُرُودَا

وَتَحَمَّلَتْ ريـحُ الصَّبَا مِنْ عَرْفِهِمْ
مِسْكاً يَضُوعُ بِهِ النَّسِيمُ وَعُودَا

هذا ما قاله في فوات الوفيات [3] وغيره .

وقال في الدرر الكامنة [4] : شعيب بن محمد بن محمد بن ميمون المر المغربي الاصل ، ولد بطريق الحجاز سنة ٦٦٠ هـ ، وتعاطى النظم والادب فاجاد . ثم ذكر الابيات السابقة بزيادة وتحريف ، ثم قال : قرأت بخط ابراه

---

(١) وفيها (عن الوادي) .

(٢) وفيها (وكانما م)(ج) .

(٣) ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ١ : ١٨٧ .

(٤) ابن حجر العسقلاني . الدرر الكامنة ٢ : ١٩٣ - ١٩٤

ابن القطب الحلبي في تاريخ مصر ، يكنى أبا مدين . والمرّي بضم الميم وبالمهملة ، وذكر مولده ، وقال : انه تفقه على مذهب الشافعي ، واعاد ببعض المدارس ومهر ، وكان فقيهاً فاضلاً ، وانشد له :

يَامَاطِلِينَ لَقَدْ أَتْعَبْتُمُ الأَمَلَا وَلَنْ يُطيقَ فُؤَادِي فوق مَا احْتَمَلا

تدَارَكُوا قَبْلَ أَنْ يَقْضِي مُحِبُّكُمُ فَرُبَّمَا نَـدِمَ الجَانِي إِذَا قَتَلا

ومات في سنة ٧١٩ هـ . وعلى هذا يكون مغربياً لا معرياً

* * *

ابو المعالي صاعد بن مدرك بن علي بن محمد أخي أبي العلاء :

كان مولده ومنشؤه في شَيْزَر وحماة ، ومات في المعرة ، وكان شاعراً أديباً ، ومن شعره :

أَيَا أَيُّهَا الوَادِي المبينيُّ هَلْ لَنَا

تَلَاقٍ فَنَشْكُو فِيهِ صُنْعَ التَّفَرُّقِ

أُبُثُّكَ مَا بِي مِنْ غَرَامٍ وَلَوْعَةٍ

وَفَرْطِ جَوىً يُضْنِيني وطُولِ تَشَوُّقِ

عَسَى أَنْ تَرِقِّي[1] حِينَ مُلِّكْتِ رِقَّهُ

وَتَرْثِي لَهُ مِمَّا بِهَجْرِكِ قَدْ لَقِي

---

(١) كذا في الاصل ولعل الصواب أن ترق بقبض الجزء الثاني او قبل هذا البيت ابيات غزل في المؤنث (ج)

بِوَصْلٍ يُرَوِّي غُلَّةَ الوَجْدِ والأسى
وَيُطفِي بِهِ حَرَّ الجوَى وَالتَّحَرُّقِ

وقد ذكره ابن العديم في الانصاف وياقوت في معجم الأدباء ج١ ص١٦٩

* * *

صالح بن أحمد بن عبد الوهاب الجندي:

ولد في المعرة سنة ١٢٤١ هـ وهاجر مع أبيه أحمد الى حلب سنة ١٢٤٧ هـ وقرأ على جماعة من علمائها ، منهم الشيخ طالب ، والشيخ احمد شنون الشهير بالحجار ، والشيخ أحمد الترمانيني ، والشيخ ابراهيم المرعشي ، وتقرأ على الشيخ عبد الرحمن الموقت ، ثم عاد الى وطنه المعرة سنة ١٢٦١ هـ .

وقد رأيت أمراً من صالح نامق باشا مشير إيالة الشام ، مؤرخاً في ١٩ ربيع الأول سنة ١٢٧٢ هـ ، يتضمن تحويل نيابة المعرة الى المترجم .

ثم في ١٢٧٨ هـ توفي جدي سليم ، وكان مفتياً في المعرة ، فخلفه ابن عمه صالح المذكور في الافتاء في المعرة ، وبقي فيها الى ان توفي في حلب سنة ١٣١٠هـ في شعبان ، ودفن في مقبرة السفيري في باب المقام .

وكان عالماً فاضلاً ، يتقن اللغة التركية كتابة وقراءة ، رحب الصدر ، سديد الرأي ، لين الجانب ، موقراً عند الناس عامة ، ذا غيرة على دينه ووطنه ، لاتأخذه في الحق لومة لائم .

وقد كاد له بعض الاشرار في المعرة ، وزوروا عليه دعوى مفتراة ، وكان يشد أزرهم جماعة من المعريين والاجانب .

وخلاصة هذه الحادثة ان رجلين من التبعة الفرنسية يقال لأحدهما: انطون، والثاني: بابيل، جاءا المعرة سائحين للتنقيب عما فيها من الآثار، فأقاما بها نحو سبع سنين، وكانا يتجران، وقد اتصلا خلال ذلك بطائفة من الاشرار، وارباب الدعارة، وافتتحا حانة يختلف اليها الفجرة، وكان صالح هذا لايقوم لهما اذا دخلا عليه، ومنعها من الخمارة، وكانا قد اتخذا صنائع من العامة، منهم رجل يقال له الأزرق، من أسرة يقال لهم: بنو طعمة، ويقال لهم: بنو الغشاش، فقال ذات يوم في ملأ من الناس: انا تركت الاسلام ودخلت في دين انطون، فلما بلغ صالحاً خبره، شهره في المدينة، وحبسه حتى تاب وأناب، فأقام عليه الرجلان دعوى ادعيا انه يحقرهما، فلا يقوم لهما في المجلس، ويدعو عليهما وعلى المشركين على المنبر، ولفقا من هذه الدعوى سبلاً مختلفة، فسيق الى المحاكمة في حماة وبقي فيها نحو ثلاث سنوات، ثم ألحقت المعرة بحلب، فنقلت الدعوى اليها، وبقي نحو ثلاث سنوات يرد فيها الأقوال المفتراة، ويدحض الحجج الملفقة وشهود الزور، وكان يشد أزرهما قنصل فرنسا، وجماعة من خصومه المعريين، وكانت الحكومة العثمانية لاتعضده، فلما كان ذات يوم في مجلس الحكم، جاء خصومه بشاهد صغير السن، فطعن في شهادته، فقال خصومه: نعم ان هذا الولد لم يشهد الحادثة بنفسه، ولكن أباه شيخ هرم، فجاء يشهد عن أبيه، فاتضح للحكام ان الدعوى كلها ملفقة، وان الغرض منها اهانة صالح، وتعذيبه وتكليفه نفقات فادحة، حتى يكون ذلك رادعاً له وزاجراً له.

واتضح للخصوم ان أمرهم قد افتضح، وان افتراءهم قد وضح، فامسكوا وبهتوا، وقد رأيت رفيعة بخط صالح هذا مؤرخة في ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٥ هـ تشتمل على تشكية من مناصرة خصميه على الباطل، ومضبطة مؤرخة سنة ١٢٨٧ هـ موقعة من طائفة كبيرة من اعيان المعرة، تؤيد صدق دعواه وكذب خصومه.

ولما توفي خلفه ابنه الكبير أحمد ، فتولى الافتاء في المعرة بعده ، ويجوز ان يقال: ان المعرة بعد صالح المذكور اقفرت من العلماء .

وقد ترك أموالا كثيرة ، وعقارات عظيمة ، ولكن تهاون أبنائه من بعده أفقدهم كثيراً مما خلفه لهم .

وقد رأيت عند أولاده وحفدته فرماناً (١) من السلطان عبد المجيد بن محمود بن مصطفى العثماني ، مؤرخاً في رجب الفرد سنة ١٢٥٧ هـ ، خلاصته ان صالحاً هذا وأخاه اسماعيل ثبتت صحة نسبها ، بموجب حجة شرعية مصدقة من نقباء الاشراف في الاستانة ، ولذا صدر الفرمان العالي بتصديق صحة نسبهما واستثنائهما من جميع التكاليف الشاقة .

واطلعت على مضبطة (٢) من مجلس الشورى في إيالة الشام ، مؤرخة في ٢٥ صفر سنة ١٢٦٣ هـ ، خلاصتها ان صالحاً وأخاه وأباهما من السادات الكرام الذين ثبتت صحة نسبهم ، وصدر الفرمان المذكور مؤيداً لذلك ، وصدر أمر من علي باشا مؤرخ في سنة ١٢٦١ هـ بهذا المضمون ، ولذلك قرر المجلس إعطاءهما مضبطة من قبله بتأييد ذلك ووجوب العمل به .

وعند اولاده وأولاد اولاده كثير من الفرمانات والأوامر والمضابط والوثائق التاريخية ، التي تتعلق به وبالأسرة كلها ، ولكنهم يضنون بها ، فلا يطلعون عليها أحداً حذراً عليها ، لانهم يجهلون قيمتها وفائدتها التاريخية ، كما يجهلون انها لا تغني فتيلا في غير هذا السبيل .

---

(١) الفرمان : أمر بشيء يوقعه السلطان (ج) .
(٢) المضبطة: عبارة عن اثبات شيء أو نفيه يقرره المجلس ويدونه في صحيفة ويوقع عليه اهل المجلس (ج) .

الشيخ صالح بن رمضان بن صالح بن عمر أبي حجر :

ولد في معرة النعمان سنة ١٢٥٧ هـ ، ولمابلغ الخامسة عشرة من عمره ، شرع في حفظ المتون ، وقرأ على الشيخ احمدالهشوم من علماء المعرة، وقرأ المنطق والبيان والبديع على قاضي المعرة إذ ذاك الشيخ صلاح الدين من أهل طَرَابُلُس ، وقرأ الفقه على شيوخ متعددة ، منهم الشيخ هاشم العيسى الحلبي ، وصالح افندي الجندي مفتي المعرة ، والشيخ ابراهيم الزكرة من علمائها ، والشيخ القاوقجي الطرابلسي ، وقرأ التوحيد على الشيخ اليمني الذي كان مقيما في جسر الشُغْر ، ثم صار أميناً للفتوى عند صالح افندي السابق ذكره ، ثم عند ولده احمد افندي الجندي مفتي المعرة ، وكان قائماً بوظائف التدريس والإمامة والخطابة ، في الجامع الكبير في المعرة بالوكالة عن والدي رحمه الله .

وقد كان رحمه الله بارعاً في الفقه الحنفي والشافعي والنحو والصرف ، وقضى حياته كلها في التعلم والتعليم ، وكان نزّاعاً الى المناصب العالية ، حريصاً على تعظيم الناس اياه ، وقد توفي سنة ١٣٢٠ هـ ، ودفن في المعرة في تربته .

وقد ولد له في سنة ١٢٩٢ هـ ولد سماه محمداً صالحاً ، فتخرج في العلوم على ابيه وغيره ، وقام بالوظائف التي كان يقوم بها ابوه في حياته وبعد مماته ، ويزيد على ابيه في نظم الشعر . غير انه كان ينسج في شعره على منوال المتأخرين من الغزل ، وتعمد الصناعات البديعية حتى كان التكلف ظاهراً في شعره ، وقد اصابه فالج ومات منه عقيما في المعرة سنة ١٣٣١ هـ .

وقد قرأت على والده شيئاً من النحو ، وعليه النحو والفقه الشافعي ، وقد كان موته خسارة للمعرة ، اذ لم يبق من بعده فيها عالم من أهلها .

القاضي[1] أبو يعلى عبد الباقي بن ابي حصين

أحد حسنات وقته ، كان عالماً جليلاً ، وشاعراً مجيداً ، ولي قضاء المعرة، وهو ابن خمس عشرين سنة ، واقام في الحكم خمسين سنة فقال :

وَلِيتُ الحكمَ خمساً وهي خمسٌ
لَعَمْري في ألصِّبا والعُنفُوانِ
فَلَمْ تُضِعِ الأعادي قَدْرَ شاني
وَلَا قالُوا فُلانٌ قَدْ رَشاني[2]

ذكر ذلك الصفدي في شرح لامية العجم ، وذكر ياقوت في المعجم أن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس افتتح اسفونا وهو حصن كان بالقرب من المعرة ، فقال ابو يعلى عبد الباقي « المترجَم » يمدحه ويذكره من قصيدة :

عِدَاتُكَ مِنكَ في وَجَلٍ وَخَوْفٍ
يُرِيدُونَ المَعَاقِلَ أنْ تَصُونَا
فَظَلُّوا حَولَ أسفُونَا كَقَومٍ
أتى فِيهِمْ فَظَلُّوا آسِفِينَا

(١) في نسخة الغيث المنسجم للصفدي : ابو علي (ج)

(٢) وقد نسب بعضهم هذين البيتين الى ابراهيم بن ابي اليسر شاكر كما تقدم في ترجمته (ج)

وقد كان هذا الفتح سنة ٤٦١ هـ

وقد ذكر له ياقوت ابياتاً قالها حين مر بسياث ، ورأى الناس ينقضون بنيانها ليعمروا به موضعاً آخر ، وهذه الابيات :

مَرَرْتُ بِرَسْمٍ في سِيَاثَ فَرَاعَنِي
بِهِ زَجَلُ الأَحجَارِ تَحْتَ المَعَاوِلِ (١)

وذكر له ياقوت (٢) في (وادي القرى) هذه الابيات :

إذَا غِبْتَ عَنْ نَاظِرِي لَمْ يَكَدْ
يَمُرُّ بِهِ وَأَبِيكَ الكَرَى
فَيُؤْلِمُنِي أَنَّنِي لاَ أَرَاكَ
إذَا مَا طَلَبْتُكَ فِيمَنْ أَرَى
لَقَدْ كَذَبَ النَّوْمُ فِيمَا اسْتَقَلَّ
بِشَخْصِكَ في مُقْلَتِي وافْتَرَى
وَكَيْفَ وَدَارِي بِأَرْضِ الشَّآمِ
وَدَارُكَ أَرْضٌ بِوَادِي القُرَى

(١) وقد نقلنا عن ابن العديم انها لابى الهيثم اخي ابي العلاء المعري (ج)
وانظر معجم البلدان لياقوت ٣ : ٢٠٧

(٢) ياقوت : معجم البلدان ٤ : ٨٧٨

وَبَعْدُ فَلِي أَمَلٌ فِي اللِّقَـــاءِ

لِأَنِّي وَإِيَّاكَ فَوْقَ الثَّرَى

ولقد رأيت في المكتبة الظاهرية في دمشق كتاباً ، كتب على وجهه الأول هذه العبارة : « كتاب القوافي تصنيف القاضي أبي يعلى عبد الباقي بن عبد الله ابن المحسن التنوخي . كامل صحيح ان شاء الله تعالى » . وقد زيد بعد لفظ القوافي كلمات (في علم العروض) بخط غير خط الكتاب .

وأوله : « بسم الله الرحمن الرحيم . سميت القافية قافية ، لكونها في آخر البيت مأخوذة من قولك قفوت فلاناً اذا تبعته ، وقفا الرجـــل اثر الرجل اذا قصه ... » . وفي خاتمته : « سألت الشيخ ابا العلاء رحمه الله ما يسمى القصد [1] من الرجز تجتمع فيها القافية المتكادسة والمتراكبة والمتداركة ؟ ... » .

وفي آخره : « تم نسخه في الرابع عشر من شهر جمادى الأولى ليلة السبت قريب نصف الليل سنة تسع وثلاثين وستمائة » .

وتاريخ النسخة التي نقلت منها هذه مـائتا وتسعون سنة [2] . وهي من سنة احدى وخمسين واربعمائة ، وقد كتب على صفحة منها هذه الجملة : « وقد وقفها الوزير الحاج محمد باشا والي الشام حالاً سنة ١١٩٠ هـ »

* * *

عبد الجبار بن محمد بن المهذب بن علي بن المهذب :

رأيت في بعض الكتب ان أولاده وهم أبو المعالي ابو النجا كانوا نحو

(١) لعله القصيدة (ج)

(٢) كذا في الأصل (ج)

سنة ٥١٢ هـ وقد عدهم عبد الله بن علي بن أحمد بن جعفر التنوخي من مشايخ المعرة في ذلك العهد .

* * *

عبد الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الرحمن بن سلامة المعري المقدسي السراج :

سمع على عبد الله بن بركات الخشوعي جزء ابن أبي ذئب لأبي سليمان ابن زبر وحدث

ذكره ابن حجر في الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٣٥

* * *

ابو الفرج عبد الرحمن بن احمد بن مبارك بن حماد بن تركي بن عبد الله المعري نزيل القاهرة الشافعي :

ولد سنة اربع او خمس عشرة وسمع من الدبوسي والواني وابن سيد الناس وخلق كثير ، واجاز له ابن الشيرازي والقاسم بن عساكر والحجار وخلق كثير ايضاً ، وطلب بنفسه وتيقظ ، وأخذ الفقه عن السبكي وغيره وكان يقظاً نبيهاً مستحضراً عابداً قانتاً . وكان يتسبب في حانوت بزاز ظاهر باب الفتوح ، ثم ترك ذلك ، قال ابن حجر : وكان بينه وبين ابي مودة وصحبة فكان يزورنا بعد موت ابي وانا صغير ، ثم اجتمعت به لما طلبت الحديث فأكرمني ، وكان يديم لي الصبر على القراءة الى ان اخذت اكثر مروياته ، وقد تفرد برواية المستخرج على صحيح مسلم لأبي نعيم ، قرأته عليه كله وحدث بالكثير من مسموعاته . وقال لي شيخنا العراقي مراراً : عزمت على ان اسمع عليه شيئاً ، وقد تغير في اول هذه السنة ، واتفق له لما كان في الحانوت ان أودع عنده شخص مائتي دينار ، فوضعها في صندوق بالحانوت فنقب اللصوص الحانوت وأخذوا ما فيه ، فطابت نفس صاحب الذهب ، ولم يكذب الشيخ ، ولا اتهمه . ثم اتفق ان الشيخ رأى في النوم بعد

ستة اشهر من يقول له ان الذهب الوديعة في الحانوت ، وانه وقع من اللص لما اخذ الصندوق في الدروند ، فاصبح فجاء الى الحانوت فوجد الصرة كما هي قد غطاها التراب فأخذها وجاء الى صاحب الذهب ، فقال خذ ذهبك ، فقال : ماعلمت منك الا الصدق ، الامانة ، وقد نقب حانوتك وسرق الذهب ، فلم كلفت نفسك واقترضت هذا الذهب . فحدثه بالخبر ، فقال . لا آخذ منه شيئاً وانت في حل منه ، فعالجه حتى احياه فامتنع من أخذه فحج الشيخ وجاور مدة حتى انفق الذهب وتوفي بمصر في ربيع الآخر سنة ٧٩٩هـ وتجد ترجمته في الشذرات في الجزء ٦ ص ٣٥٩ (ج ٢) في وفيات سنة ٧٩٩ هـ

* * *

عبد الرحمن بن محسن بن عبد الباقي بن ابي حصين المعري :

كان من الشعراء المجيدين

وذكر ياقوت [1] في معجم البلدان من شعره هذه الأبيات :

أَقْسَمْتُ بالرَّبِّ وَالبَيْتِ الحرَامِ وَمَنْ
أَهَلَّ مُعْتَمِراً مِنْ حَوْلِهِ وسَعَى
إنَّ الأولَى بِنَواحي الغُوطَتَين وَإنْ
شَطَّ المَزارُ بِهِمْ يَوْماً وَإنْ شَسَعَا
أَشْهَى إلَى ناظِرِي مِنْ كُلِّ مَا نَظَرَتْ
عَيْني وفي مَسْمَعِي مِنْ كُلِّ مَا سَمِعَا

(١) ياقوت : معجم البلدان ٤ : ٢٩٠

وَلا كَقُرْطَابَ عِنْدي بالحِمَى عِوَضاً

نَعَمْ سَقَى اللهُ سُكانَ الحِمَى وَرَعَى

وروى غير ياقوت هذه الابيات من قصيدة لعبد الرحيم بن محسن بن عبد الباقي وستأتي في ترجمته ، فلعل ياقوت اخطأ في تسميته عبد الرحمن بدلا من عبد الرحيم او هما اخوان ، والخطأ في نسبة الابيات اليها .

* * *

القاضي ابو سهل عبد الرحمن بن مدرك بن علي بن ابي المجد محمد اخي ابي العلاء

ولد ونشأ في شيزر،أو حماة ، ودخل دمشق ، ومضى الى مصر في صحبة ابن عمه القاضي ابي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد ابي المجد ، واقام بها حينا ، ثم عاد الى دمشق ، ونزل في زقاق العجم ، وعاد الى حماة وانتقل منها الى المعرة ، وتوفي في الزلزلة التي حدثت في حماة سنة ٥٥٢ هـ او سنة ٥٥٣ هـ .

ومن شعره حين كان في دمشق قوله :

كَأَنَّ دِمَشْقَ أَفْلاكٌ تَدُورُ تَلُوحُ بِهَا الشُّمُوسُ أَوِ البُدُورُ
وَأَيَّ مَحَلَّةٍ قَابَلْتَ فِيهَا رَأَيْتَ كَوَاكِباً فِيهَا تَسِيرُ

ومن شعره مارواه عنه ابو اليسر شاكر :

باللهِ يَاصَاحِبَ الوَجْهِ الَّذِي اجْتَمَعَتْ

فِيهِ المَحَاسِنُ(١) فاسْتَولَى عَلى المُهَجِ

(١) يروى واستولى(ج).

خُذني إليكَ فإنْ لَمْ تَرْضَني صَلَفاً
فاطرُدْ بِي العينَ عَنْ ذَا المَنظَرِ البَهِجِ
كَيفَ السَّلامَــةُ مِنْ جَفْنَيكَ إنَّهُما
حَتْفٌ لِكُلِّ مُجِدٍّ في الهَوَى وَشَجِ

ورُوِيَ له هذان البيتان :

سَارَقْتُهُ نَظرَةً أطالَ بِهَا[1] . . . .

وهذان البيتان :

بِأبي نَمْلُ عَارِضٍ دَبَّ في الخَدِّ[2] . . . .
فَغَدا القَلْبُ . . . .

وهذان البيتان :

غَرِيَتْ بِهِمْ نُوَبُ اللَّيَالِي[3] . . . .

---

(١) تمامها : . . . . عــذاب قلبي وماله ذنب
باجور حكم الهوى ويا عجبا   تسرق عيني ويقطع القلب
انظر تاريخ المعرة

(٢) تقدم البيتان في تاريخ المعرة برواية مختلفة وهما :
يالقومي من عارض دب في الخد   دبيبا من تحت عقرب صدغ
فغــدا القلب منها في بلاء   وعذاب ما بين قرص ولدغ

(٣) تمامها : . . . . فاغتــدوا   ما يستقر لهم بأرض دار
حتى كأنهم طريف بضائع   وكأن احداث الزمان تجار
انظر تاريخ المعرة

وهذان البيتان :

تَعَمَّمَ رَأْسِي بِالْمَشِيبِ[1] . . . .

وقد تقدم ان الابيات الثانية لابي اليسر ، مع اختلاف قليل. ولعل ابا اليسر رواها عنه ولم يفطن الناقل عنه الى ذلك فعزاها اليه .

ومن شعره قوله :

حَقٌّ لِمِثْلِيَ أَنْ يَبِيتَ . . . مُفَكِّراً حِلْفَ ارْتِمَاضِ
قَلِقَ الوَسَائِدِ لاَ يَذُو قُ لِمَا بِهِ طَعْمَ اغْتِمَاضِ
أَسَفاً عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ طِيبِ أَيَّامٍ مَوَاضِ
وَيَزِيدُنِي لُبسُ السَّوَا دِ لِعِظَمِ حَادِثَةِ البَيَاضِ

وقال ابو اليسر شاكر : عمل جدي ابو المجد محمد بن عبد الله لما عاد الى المعرة حين فتكت الفرنج بأهلها ، وقد دخل الى داره بباب حُناك وتعرف بدار القبة :

وَقَفْتُ بِالدَّارِ وَقَدْ غُيِّرَتْ مَعَالِمُ مِنْهَا وَآثَارُ
فَقُلْتُ وَالقَلْبُ بِهِ لَوْعَةٌ بِحُرقَةٍ[2] وَالدَّمْعُ مِدْرَارُ

---

(١) تمامها : . . . . فساءني وما سرني تفتيح نور بياضه
وقد أبصرت عيني خطوبا كثيرة فلم أر خطباً أسوداً كبياضه
انظر تاريخ المعرة

(٢) تحرقه (ج)

أينَ زَمانٌ فيكِ قضَّيتُهُ[1] وأينَ سُكَّانُكِ يادارُ

فأجازها القاضي ابو سهل عبد الرحمن بن مدرك :

فقالتِ الدارُ على غيّها[2] إنْ سُكُوني عنكَ إخبارُ[3]

أخنَتْ[4] على مَنْ كانَ بي نازلاً صُروفُ أيامٍ وأقدارُ

وارتجعَ[5] العيشُ ولذاتُهُ مُغيرةً[6] والدهرُ دوّارُ[7]

فها[8] أنا اليومَ كما قد ترى مُقفِرةٌ ما بِيَ[9] ديّارُ

ونسب ابن العديم هذه الابيات الى علي بن مرضي بن مدرك

وقال ابواليسر: كتب لي ابو سهل من حماة ، وانا بالمعرة زمن عودته من دمشق الى حماة :

لابُدَّ أنْ أشكو الذي لاقيتُ مِنْ ألمِ الفِراقِ

وأُبثَّ وَجدِيَ مااستطَعْ...تُ وطولَ همّي واشتياقي

---

(١) خلفته (ج)

(٢) كذا والاحسن على عيها (ج)

(٣) اقرار (ج)

(٤) اخنى (ج)

(٥) فارتجع الدهر (ج)

(٦) معبرة (ج)

(٧) غدار (ج)

(٨) وها انا (ج)

(٩) ما لي (ج)

فَلَعَلَّ عَـــلَّامَ الغُيُو ... بِ وَخالِقَ السَّبْعِ الطِّباقِ
يَقْضِي لَنــا بتَجَمُّعٍ ... أَبَداً عَلَى الأيَّامِ بَاقِ
وَنُعيدُ أيَّامَ المَسَرَّةِ .. بالمَعَرَّةِ والتَّـــلاقِي
وَعَساهُ يَأذَنُ عَنْ قَرِ ... يبٍ لي إليْهَا بانْطِلاقِ
مَــا لِلْمَعَـرَّةِ مُشْبِهٌ ... في أَرْضِ مِصْرَ وَلاَ العِرَاقِ

فأجبته وكتبت اليه قصيدة :

يَا شَاكِياً أَلَمَ الفِرَاقِ ... هَيَّجْتَ وَجْدِي واشْتِيَاقِي

وقد تقدمت في ترجمة أبي اليسر(١)

ومن شعره قوله :

جَرَحْتُ بِلَحْظِيَ خَدَّ الحبيبِ
فَمَا طَالَبَ المُقْلَةَ الفَــاعِلَهْ
وَلَكِنَّهُ اقْتَصَّ مِنْ مُهْجَتِي
كَذَاكَ الدِّيَاتُ عَلَى العَـــاقِلَهْ

وقوله :

وَلَمَّا سَأَلْتُ القَلْبَ صَبْراً عنِ الهَوَى
وَطَالَبْتُهُ بالصِّدْقِ وَهْوَ يَرُوغُ

(١) الجندي : تاريخ المعرة

تَيَقَّنْتُ مِنْهُ أَنَّهُ غَيْرُ صَـــابِرٍ
وَأَنْ سُلُوّاً عَنْهُ لَيْسَ يَسُوغُ

فَإِنْ قَالَ لاأَسْلُوهُ قُلْتُ صَدَقْتَنِي
وإِنْ قَالَ أَسْلُو عَنْهُ قُلْتُ دَرُوغُ[1]

ومن شعره :

وَلَيْلَةٍ زَارَ فِيهَا مَنْ كَلِفْتُ بِهِ
فَبِتُّ وَاجِدَ قَلْبٍ كَانَ في العَدَمِ

جَادَتْ بِهِ فَكَسَاهَا نُورُ بَهْجَتِهِ
نُوراً وَمَزَّقَ عَنْهَا حِلَّةَ الظُّلَمِ

رِيمٌ يَعِزُّ إذا مَارِيمَ مَطْلَبُهُ
وَيَسْتَبِيحُ نُفُوسَ النَاسِ كُلِّهِمِ

أَضَلَّهُمْ عَلَمٌ لِلْحُسْنِ مِنْـــهُ بَدَا
وإِنَّمَـــا يَهْتَدِي الضُّلَّالُ بِالعَلَمِ

(١) وفي شفاء الغليل (للخفاجي) ص ٩١ دروغ بضمتين فارسي محض بمعنى الكذب . وقد روى الابيات الثلاثة الاخيرة كما هنا (ج) .

لَهُ وِدَادٌ سَقِيمٌ مَا يَصِحُّ لَنَا
كَأَنَّمَا طَرْفُـهُ أَعْدَاهُ بالسَّقَمِ
لَمَّا دُعِي دَمْعُ عَيْني يَوْمَ فُرْقَتِهِ
أَجَابَهُ مِنْ دُمُوعِي كُلُّ مُنْسَجِمِ
وَسَامَ قَلْبِيَ مُبْتَاعاً فَأَحْرَزَهُ
مُسْتَرْخِصاً مِنْهُ عِلْقاً غَالِيَ القِيَمِ
مَا أَنسَ لَا أَنسَ قَوْلِي في العِتَابِ لَهُ
وَقَدْ بَدَا لِيَ مِنْهُ وَجْهُ مُحْتَشِمِ
إنْ كَانَ هَجْرُكَ مِنْ خَوْفِ الرَّقِيبِ فَصِلْ
بِالذِّكْرِ مِثْلِي فَكَمْ سَاعٍ بِلا قَدَمِ
وَابْعَثْ إلَى الطَّرْفِ طَيْفاً إنْ بَعَثْتَ لَهُ
فَإِنَّهُ مُذْ حُجِبْتُمْ عَنْـهُ لَمْ يَنَمِ
وَلَا رَأَى حَسَناً مِن بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ
كَأَنَّهُ إذْ رَأَى يَوْمَ الفِرَاقِ عَمِي
أَحْبَبْتُكُمْ وَنَهَتْنِي عِفَّتِي فَغَـدَا
أَحْلَى وِصَالِكُمُ مَا كَانَ في الحُلُمِ

وَلَوْ مَلَكْتُ اخْتِيَارِي فِي زِيَارَتِكُمْ
مَشَيْتُ شَوْقاً إِلَيْكُمْ مِشْيَةَ القَلَمِ
نَادَيْتُهَا وَنُجُومُ اللَّيْلِ قَدْ أَفَلَتْ
والصُّبْحُ قَدْ لَاحَ مِثْلَ الصَّارِمِ الخَذِمِ
نِدَاءَ مَنْ لَيْسَ يَنْسَى عَهْدَهَا أَبَداً
وَلَيْسَ يَكْفُرُ مَا أَوْلَتْهُ مِنْ نِعَمِ
يَا لَذَّةَ السَّفْحِ أَلَا عُدْتِ ثَانِيَةً
سَقَى زَمَانَكِ هَطَّالٌ مِنَ الدِّيَمِ
لَأَشْكُرَنَّكِ والأَيَّامُ مَا لَقِيَتْ
رُوحِي وَدَارَ لِسَانِي نَاطِقاً بِفَمِي
وَلَا حَمِدْتُ سِوَى لُبْسِ السَّوَادِ وَلَا
ذَمَمْتُ حَظِّيَ رَغْياً فِيكِ لِلذِّمَمِ

وقد ذكره ياقوت في معجم الادباء . وابن العديم في الانصاف وابن عساكر في تاريخه ج ١٠.

* * *

ابو محمد عبد الرحمن بن مروان بن سالم بن المبارك التنوخي المعري المعروف بابن المنجم الواعظ :

كان ابوه منجما ، يجلس على الطريق ، وكان عبد الرحمن ينشد في صباه

في الاسواق ، ويمشي على الدكاكين . خرج من دمشق وهو شاب ، وغاب عنها مدة ، ثم رجع اليها ، وقدم بغداد ، وعليه مسح على هيئة السياح الوعاظ ، فصار له ناموس عظيم ، وعقد مجلس الوعظ بدار السلطان ، وحضر السلطان محله ، وصار له الجاه التام ، وانفذه الخليفة رسولا الى الموصل ، واشتهر ذكره ، وكان مشتهرا بتزويج الابكار ، حتى قيلت فيه الاشعار ، وكانت له جوار يغنين له.

ثم خرج من بغداد هاربا من الغرماء ، واتى دمشق ، فاقام بها الى ان توفي سنة ٥٥٧هـ ، وفي تاريخ ابن عساكر : توفي يوم الجمعة العشرين من رجب سنة ٥٥٩ هـ ، ودفن يوم السبت في سفح قاسيون ، وقد جاوز السبعين ، فيكون مولده قبل سنة ٤٩٠ هـ .

وكان يعظ في دمشق ، ونفقت سوقه فيها ، وكان يعظ في الأعزية ، وقد عمل عزاء أمير المؤمنين المقتفي لأمر الله في الجامع الاموي في دمشق ، فقام في التعزية ، ورثاه بابيات ، فخلع عليه صدر المجلس ثوبه ، وتبعه غيره ، فقال : انا المعزى لا المعزي ، واتاه يوما صغير ليتوب على يده ، فحمله على كتفه ، وقال :

هَذا صَغِيرٌ مَا أَتى كَبِيرَةً ... فَهَلْ كَبِيرٌ يَرْكَبُ الكَبَائِرا

فضج أهل المجلس بالبكاء ، وكان يظهر لكل طائفة انه منهم حرصا على التحصيل ، وله شعر جيد منه قوله :

حَبِيبٌ لَسْتُ أَنْظُرُهُ بِعَيْنِي ... وَفِي قَلْبِي لَهُ حُبٌّ شَدِيدُ
أُرِيدُ وِصَالَهُ وَيُرِيدُ هَجْرِي ... فَأَتْرُكُ مَا أُرِيدُ لِمَا يُرِيدُ

ومن شعره :

جَارَةٌ قَدْ أَجَارَهَا الحُسْنُ مِنْ كُلِّ جَانِب
فَهِيَ بَيْنَ النِّسَاءِ كَالبَدْرِ بَيْنَ الكَوَاكِب

ومن شعره :

وَشَارِبٍ مثلِ نِصْفِ الصَّادِ صَادَ بِه
قَلْبِي رَشَا ثَغْرُهُ أَنْقَى مِنَ البَرَدِ
كَأَنَّمَا خَالُهُ مِنْ فَوْقِ وَجْنَتِهِ
سَوَادُ عَيْنٍ بَدَا فِي حُمْرَةِ الرَّمَدِ

ذكر ذلك كله في فوات الوفيات (١) وفي ابن عساكر ج ١٠ (٢)

* * *

عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن معالي بن ابراهيم الزين بن العلاء المعري ثم الحلبي الشافعي ، والد نور الدين علي الآتي ذكره ، ويلقب بابن البارد :

ولد سنة ٧٣٠ هـ ثلاثين وسبعمائة بحلب ، ونشأ بها ، وكان ابوه مفتياً ، ويقال ان سيرته غير محمودة ، وسمع بعض صحيح مسلم والنسائي من الشهاب ابن المرحّل ، وحدث ، وكتب الخط الحسن ، ثم ولي كتابة السر بحلب ايام ططر(١) ، وكان خدمه ابان اقامته بها ، ثم خمل بعد حتى مات بعد الاربعين وثمانمائة ، وقد هجاه الشمس بن عبد الأحد ، وغيره .

---

(١) ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ١ : ٢٦٥
(٢) ابن عساكر : تاريخ دمشق من مخطوطات دار الكتب الظاهرية
(١) هو ططر الظاهري الجركسي سيف الدين ، ابوسعيد ، الملك الظاهر من ملوك الجراكسة بمصر والشام ولد ٧٦٨ هـ وتوفي بالقاهرة ٨٢٤ هـ انظر الاعلام للزركلي ج ٣ : ٣٢٧

· ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي ج ١٢ ص ٢٣٦. وفي إعلام النبلاء للطباخ ج ٥ ص ٢٠٤ .

* * *

عبد الرحمن بن معالي بن أسد بن ابي القاسم الأرموي المعري المؤذن :

ذكره في تاريخ حلب ممن أجاز البرهان الحلبي ، وقال السخاوي [١] : « واظنه جد محمد بن علي بن عبد الرحمن بن معالي » الذي ستأتي ترجمته وانا اظن انه جد عبد الرحمن بن علي المتقدم ذكره .

وقال في الدرر الكامنة [٢] : « عبد الرحمن بن معالي بن أسد بن ابي القاسم المعري زين الدين ابو الفرج . ولد بالمعرة سنة سبعمائة ، وسمع من الصفي محمود بن محمد بن حامد الأرموي جزء الحسن بن عَرَفة ، وأذَّن بجامع المعرة نحوا من أربعين سنة ، وحدث عنه ابو حامد بن ظهيرة بالسماع ، والبرهان الحلبي محدث حلب بالاجازة ، وكانت وفاته سنة ٧٧٦ هـ .

* * *

زين الدين عبد الرحمن بن هبة الله المعري المعروف بإمام الزجاجيّة :

كان من اهل الفقه والقرآن والحديث ، وكان عزبا منقطعا عن الناس ، وكانت له دويرات في حلب ، وقفها على بني عمه ، وتوفي في ١٠ ذي القعدة سنة ٧٤٩ هـ. ذكره ابن الوردي في الذيل على تاريخ ابي الفداء ص ١٥٤ ، وروي له كرامات بعد موته .

* * *

عبد الرحيم بن ابراهيم بن اسمعيل بن ابي اليسر التنوخي ، تاج الدين ، ابو الفضل :

ولد سنة ٧٧٤ هـ ، وسمع الكثير على جده لأبيه اسمعيل مغازي موسى بن

(١) السخاوي : الضوء اللامع ٨ : ١٨٠٨ (ج)

(٢) ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ٢ : ٣٤٧ (ج)

عقبة ، والرحلة ، والجامع ، واقتضاء العلم ، وعوالي مالك كلها للخطيب ، وطرق (اسمح يسمح لك) وفضل الخليل للقاسم ، ورابع المخلص انتقاء البقال ، وجزء ابن جوصا ، وفضيلة الشكر والقناعة للخرائطي ، وجزء المؤمل ، وجزء الحريري ، ونسخة وكيع ، وجزء القصار عن ابي حاتم ، والأول والثاني من الجصاص ، وفضل شهر رجب للكتاني ، وثاني حديث محمد بن يوسف الفريابي ، وأول ابي مسلم ، ومن اول الحنائيات الى آخر الحادي عشر ، سوى الاول والثالث والرابع والسادس والتاسع ، ورسالة الايمان لأبي عبيد .

كذا قال صاحب الدرر الكامنة [1] .

* * *

ابو محمد عبد الرحيم بن المحسن بن عبد الباقي بن عبد الله بن ابي حصين التنوخي المعري :

سكن دمشق ، وخرج منها الى ماردين ، واتصل بتمرتاش بن الغازي ابن ارتق ، ثم مضى الى ميافارقين [2] ، ونزل بها على بناته .

وروى له ابن عساكر ابياتا رواها عنه اخوه عبد الرزاق بن المحسن ابن ابي حصين وهي :

هَاجَ اشْتِيَاقَكَ بَرْقٌ خَاطِفٌ لَمَعَا
وَهْناً وَنَوْحُ حَمَامِ الأَيْكِ إِذْ سَجَعَا

أَضَاءَ مِنْهُ الحِمَى لَمَّا تَأَلَّقَ مِنْ
أَكْنَافِ نَجْدٍ فَأَذْكَى الوَجْدَ وَالجَزَعَا

---

(١) ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ٢ : ٣٥١ ، ٣٥٢ .

(٢) مدينة بديار بكر انظر معجم البلدان لياقوت ٤ : ٧٠٣ - ٧٠٨ .

يابَرْقُ مَا العَهْدُ مَنْسيٌّ لَدَيْكَ وَلاَ
حَبْلُ الهَوَى رَثٌّ لَمَّا بِنْتَ فَانْقَطَعَا
أَقْسَمْتُ بِالرَّبِّ والبَيْتِ الحَرَامِ وَمَنْ
أَهَلَّ مُعْتَمِراً مِنْ حَوْلِهِ وَسَعَى[1]
إنَّ الأُولَى بِنَواحِي الغُوطَتَيْنِ وَإِنْ
شَطَّ المَزَارُ بِهِمْ يَوْماً وَإِنْ شَسَعَا
أشْهَى إلَى نَاظِرِي مِنْ كُلِّ مَا نَظَرَتْ
عَيْنِي وَفِي مَسْمَعِي مِنْ كُلِّ مَاسَمِعَا
وَلا كَفَرْطَابَ عِنْدِي بِالحِمَى عِوَضاً
نَعَمْ سَقَى اللهُ سُكَّانَ الحِمَى وَرَعَى

قال ابن عساكر[2]: وحدثني ابو حصين أن اخاه توفي بميافارقين سنة ٥٤٢هـ.

وقد قدمنا ان الأبيات: (اقسمت بالرب والبيت الحرام .الخ .) هي لعبد الرحمن بن محسن بن عبد الباقي فتأمل .

* * *

عبد الرزاق بن المحسن بن عبد الباقي بن عبد الله بن ابي حصين التنوخي المعري:

ذكر ابن عساكر : أن عبدالرزاق روى ابياتا لأخيه عبد الرحيم ،وقد تقدمت في ترجمته .

* * *

(١) تقدمت هذه الابيات في تاريخ المعرة ٣:١٦ – ١٧

(٢) ابن عساكر تاريخ دمشق ج ١٠ من مخطوطات الظاهرية (ج) .

ابو غانم عبد الرزاق بن ابي حصين عبد الله بن ابي القاسم المحسن بن عبد الله بن عمرو بن ابي الحصين التنوخي المعــري القاضي :

ولد في المعرة سنة ٤١٨ هـ ، وتوفي فيها سنة ٤٩١ هـ ، قبل هجوم الافرنج وعمره ٦٣ سنة ، وفي النجوم الزاهرة توفي سنة ٤٨٩ هـ ، وفي عيون التواريخ انه توفي سنة ٥٠٥هـ .

سمع اباه ، وابا حصين ، وابا صالح محمد بن المهذب المعري ، وغيرهم ، وحدث عنه ابنه ابو البيان الآتي ذكره .

وكان شاعراً مجيداً ، ومن شعره قوله يصف كوز الفقاع (شراب يتخذ من الشعير) :

وَمَحْبُوسٍ بِلا جُرْمٍ (١) جَنَــاهُ
لَهُ سِجْنٌ (٢) بِبَابٍ مِنْ رَصَاصِ
يُضَيَّقُ بَابُهُ خَوْفاً عَلَيْــهِ
وَيُوثَقُ بَعْدَ ذِلكَ بِالعِفَاصِ (٣)
إذَا أَطْلَقْتَهُ خَرَجَ ارتِعاصاً (٤)
وَقَبَّلَ فَاكَ مِنْ فَرَحِ الخَلاصِ

---

(١) في النجوم : بلا ذنب (ج) .
(٢) في المرقصات :حبس (ج) .
(٣) العفاص : غلاف القارورة :وفي رواية عيون التواريخ ذا رصاص (ج) .
(٤) في المرقصات :اندفاعا. وفي النجوم: ارتقاصا (ج).

قال ابن سعيد[1]: «ابو غانم بن ابي حصين المعري له في المرقص في كيزان الفقاع » وأورد هذه الأبيات الثلاثة ، وهذا يؤيد أنّ وفاته بعد المائة الخامسة ، كما ذكر ابن عساكر .

وله ولدان : ابو البيان وابو الفتح المفضل . وذكر في عيون التواريخ: له اخوة: عبد الغالب، وعبد الباقي ، وعبد الله، وكلهم شعراء (كذا) وسيأتي له اخ عبد القاهر . وتجد ترجمته في ابن عساكر ج ١٠ والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٥٩ ، وعيون التواريخ[2]، وعنوان المرقصات. وإعلام النبلاء ٤ ٢١٦ .

* * *

القاضي ابو سعد عبد الغالب بن عبد الله بن الحسن بن ابي حصين المعري :

ذكر ياقوت [3] انه سمع ابا بكر محمد بن الفرج بن يعقوب الرشيدي المعروف بابن الاطروش ، حين حدث بالمعرة، وكفر طاب سنة ٤١٧ هـ ، وعده ابن العديم فيمن قرأ على ابي العلاء وروى عنه .

* * *

عبد القادر الكيالي :

هو اخو اسماعيل الكيالي المتقدم ذكره ، والمدفون معه في زاوية بني الكيال فراجعه .

* * *

القاضي ابو حمزة عبد القاهر بن عبد الله بن الحسن بن ابي حصين المعري :

ذكر ياقوت ايضاً انه سمع مع اخيه عبد الغالب الذي تقدم ذكره من ابن الاطروش حين حدّث بالمعرة سنة ٤١٧ هـ

(١) عنوان المرقصات والمطربات في شعراء المائة السادسة لابن سعيد المغربي ص ٥٠ (ج)

(٢) من مخطوطات دار الكتب الظاهرية .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ٤ : ٢٥٣ (ج)

عبد القاهر بن علوان بن المهنا المعري قاضي معرة مصرين :

كان في نحو سنة ٥٨٤ هـ ، وقد تقدم أنه روى عن سالم بن يحيى بن محمد بن عبد اللطيف المعري التنوخي . .

. . .

كمال الدين ابو محمد عبد القاهر بن المهنا التنوخي المعري المعروف بخصى البغل :

نقل عنه في بدائع البدائه [١] قال : كنت بحماة فأتيت حانوت رجل يعرف بالحكيم ابي الخير ، فصادفت عنده رجلاً يعرف بالسديد ، فطلبت منه برنية ورد مربى ، فقال لن تراها حتى تقول في شعراً ، فقلت له : اما المدح فلا ، واما الهجاء فنعم . فقال : هات فقلت :

أُبو الخَيْرِ أَبا الخُبْزِ[٢] فلاَ خيرٌ ولاَ مَيْرُ
ضَئيلٌ ناحِلُ الجِسْمِ ولٰكِنْ كُلُّهُ أ ...

فقال : اصنع في السديد ، وكان كبير الانف فقلت :

كمَا أنَّ سَدِيدَ الدّ ين أَنفٌ ليس لاَ غَيْر
تَرَاهُ بَيْنَ عَيْنَيْـــهِ كَنَاقُوسٍ عَلَى دَيْر

فقال : وفيك ايضاً فقلت :

فَخُذْهَا مِنْ خصى البَغْلِ كَمِثْلِ البَرْقِ في السَّيْرِ

(١) ابن ظافر الازدي : بدائع البدائه ص ١٧٣ (ج
(٢) كذا (ج)

ابو النصر عبد الكريم بن جعفر بن علي بن المهذب المعري :

ذكره في الانصاف فيمن روى عن ابي الحسن سليمان بن محمد بن سليمان ابن احمد .

* * *

ابو الفضائل عبد الكريم بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن سليمان التنوخي المعري

روى اخوه ابو اليسر شيئاً من شعره ، وقد ولد في حماة في ٨ شوال سنة ٥١٨ هـ [١] . ونشأ بها وسافر والده الى مصر وهو طفل ، فرباه جده القاضي ابو المجد محمد بن عبد الله واخوه ابو اليسر فنشأ نشأة حسنة وكان زاهداً كريماً ورعاً كثير الصدقة مواظباً على تلاوة القرآن . أقام بدمشق مدة . قال ابو اليسر انشدني اخي ابياتاً عملها وقد اجتاز بجسر ابن شوّاش[٢] في زمن الربيع يعني بدمشق :

مَرَرْتُ بالجسرِ وقَد أَيْنَعَتْ ... رِيَاضُهُ بالخُرَّدِ العِينِ
ظِبَاءُ أُنسٍ كالدُّمَى قَادَني ... حَتْفِي إِلَيْهِنَّ وتَحْيِينِي
جِسْرُ ابنِ شَوّاشِ الذي لَمْ تَزَلْ ... فِيهِ العُيُونُ النُّجلُ تَسْبِينِي
وَنَشْرُ عِطْرٍ فَاغِمٍ لَمْ أَزَلْ ... أَمُوتُ مِنْ شَوْقٍ فَيُحْيِينِي
وَكَانَ قَلْبِي في الهَوَى طَائِعِي ... وَعَاصِياً مَنْ كَانَ يُغْوِينِي
وَلَمْ يُجِبْهُ للذي سَامَهُ ... مِنَ الخَنَى قَلْبِي فَيُصْبِينِي
فَسِرْتُ عَنْهُنَّ سُرَى مُسْرِعٍ ... مَخَافَةً مِنْهَا عَلَى دِينِي
فَالحَمْدُ للهِ الذي لَمْ يَزَلْ ... إلى سَبِيلِ الرُّشْدِ يَهْدِينِي

(١) هكذا في الانصاف ولعله سنة ٥١٠ هـ أو سنة ٥٠٨ لأن أباه توفي سنة ٥١٦ .
(٢) ابن شواش : رجل نسب اليه موضع من متنزهات دمشق .

قال : وكتب لي اخي :

وَقَفْتُ على كِتَابِكَ فاسْتَرَاحَتْ إِلَيْهِ النفسُ منْ حِرَقِ اشْتِياقِي
وَطَلَّتْ كُرْبَةٌ في القَلْبِ تطغي دُموعي منْ جُفُوني والمآقي
وَلَسْتُ أشُكُّ في قَصْدِ الأعَادي وإنَّ مَقَالَهُمْ عَيْنُ النِّفَاقِ
أتَوْا وَقُلُوبُهُمْ حَسَداً وَحِقْداً تَجيشُ فَذُدْتُهمْ ذَوْدَ الحِقَاقِ
أرَادُوا بالخِصَامِ فَسَادَ حَقٍّ بهِ أَفْتَى الحِجازي والعِرَاقي

وكتب اليه اخوه ابو اليسر قصيدة وهو بالرافقة وقد ذكرت في ترجمته فأجابه بقوله :

أبَا اليُسْرِ المُيَسَّرِ كُلَّ صَعْبٍ مِنَ النَّكَبَاتِ والنُّوَبِ الشِّدَادِ
وَمَنْ تَدْنُو المَسَرَّةُ حين يَدْنُو إلي بِهِ وَتَبْعُدُ بالبِعَادِ
فَدَيْتُكَ مِنْ أخٍ بَرٍّ شَفيقٍ لِنَفْسِ صَديقِهِ بالنَّفْسِ فادِ
ذكرتَ اسمي فرحت به ارتياحا يُنَادِي لا عَدِمْتُكَ مِنْ مُنَادِي
اتتْني مِنْكَ أبياتٌ حِسَانٌ بِإعجازٍ مُنَاسِبةِ الهَوَادي
بَديعَاتُ المَعَاني رَائِقَاتٌ تَضَمَّنُ حُسْنَ رَأْيٍ واعْتِقَادِ
تُخَبِّرُ عَنْ حَنينٍ واشتياقٍ وتشهَدُ بالمَحَبّةِ وَالودَادِ
فبُحْتُ بِشُكْرِ ما أوليْتَ مِنْها إليّ من العَوَارِفِ والأَيَادي

وَهَا أنا قَدْ كَتَبْتُ إلَيْكَ أشْكُو . دَواعِ[1] مِنْ هُمُومِي أوْ غَوادِي

فَأَنْعِمْ بِالجوابِ عَليَّ إنّي . إلَيْهِ ومَا تُسَطِّرُ فيه صَادِي

أَشِرْ بالأَمْرِ أفْعَلْه وَشِيكاً [2] . . . .

وإنْ يَكُ في المقالِ عليَّ نَقْصٌ فَأَنتَ حَليفُ فَضْلٍ مُسْتَزَادِ

وانْ أخطَأتُ فيما قُلْتُ فيهِ فَإنَّ عَلى تَعَمُّدِكَ اعْتِمادي

فَعِشْ مُتَمَتِّعاً بالعُمْرِ واسْلَمْ عَلَى الأَيّامِ مَسْرُورَ الفُؤادِ

ولا تَعْدَم خلائقَ مكْرُماتٍ سَبَقْتَ بها الوَرَى سبْقَ الجوادِ

قال اخوه ابو اليسر: كان مرضه عشرة ايام بالسعال ونفث الدم العبيط ومات ميتة سهلة قال لي: قد وجدت الساعة راحة عظيمة ولذة تشبه لذة النوم ولم يبق عندي ألم من شيء فقلت له: فعن اذنك امضي الى المسجد الجامع فاصلي الجمعة واعود اليك. قال: نعم فمضيت فادركتني امرأة فقالت: ادرك اخاك فقد شخص فعدت اليه فقضى نحبه وقت صلاة الظهر من يوم الجمعة في السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٥٥٥ هـ. ودفن بجبل قاسيون وكان قد قال لأخيه في مرضه: قد حضرني قوم حسان الوجوه والزي نظاف اللباس طيبو الرائحة مستبشرين: فقال له اخوه: هذه اوصاف الملائكة.

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) لم يثبت المؤلف رحمه الله الشطرة الثانية لهذا البيت. راجع ابن عساكر ج ٥ عبد الكريم التنوخي.

عبد الله بن أبي بكر بن نصر بن عمر بن هلال ،جمال الدين بن الشرف الطائي الحبشي الأصل المعري ثم الحلبي البسطامي الشافعي :

ولد سنة ست وتسعين وسبعمائة بمعرة النعمان ونشأ بها وانتقل مع أبيه الى حلب فاقام فيها وخلفه في الزاوية البسطامية الدوربة المركبة على نهر قويق على طريقة جميلة من العبادة والخير والذكر والكرم .

ومات بالقاهرة سنة ٨٥٨ هـ ودفن بتربة الشاذلي وتجد ترجمته في الضوء اللامع ج ٥ ص .

* * *

ابو سالم عبد الله بن احمد بن الدويدة المعري:

كان شاعراً مجوداً كأبيه وأخيه علي . وقد روى شعريهما ابن اختهما عمار ابن الحسن بن عمر التنوخي المعري كما سيأتي عن ابن عساكر .

ومن شعر ابي سالم عبد الله قوله :

أخي وابنُهُ قدْ أوْعداني وعِرْسُهُ
عَليَّ فقُلْتُ الرُّوحُ والأبُ والابْنُ
وَمَالِي يَدٌ تَقْوَى بِدَفْعِ ثَلاثَةٍ
واحراؤُهُمْ[1] مَنْ يُسْتَظَنُّ بِهِ الجُبْنُ
فَصِرتُ كَأَني يُوسُفٌ بَيْنَ إخْوَتي
ولَكِنْ تَعَدَّتْني النُّبُوَّةُ والحُسْنُ

---

(١) لعل الأصل (واجرؤهم) .

سِلاَحِي فِرارِي مِنْهُمْ وَتَبَاعُدِي
وَخَيْرُ السِّلاحِ الفِرَارُ خطى[1] الطعنُ

ونجد ذكر ذلك في ابن عساكر ج ١٢ و ٦

وروي [2] عن العماد في الخريدة ان الابيات الثلاثة :

عَلَى بَابِكَ المَحْرُوسِ مِنّا عِصَابَةٌ
مَفَالِيسُ فَانْظُرْ في أُمورِ المَفَالِيسِ

المتقدمة في ترجمة احمد بن الدويدة هي من نظم ابي ...المرعبدالله بن الحسن احمد بن محمد بن الدويدة وكان يعرف بالواقي . وفي هذه العبارة خلل ولعل اصلها : « عبد الله بن ابي الحسن أحمد ... »

* * *

ابو محمد عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن احمد بن سليمان التنوخي المعري ، والد ابي العلاء

ولد سنة ثلاثين وثلاثمائة للهجرة ، وكان فاضلا شاعرا اديبا لغويا .

روى عن ابي بكر محمد بن الحسين السبيعي الحافظ نزيل حلب ، وابي عبد الله الحسين بن خالويه ، وعن ابيه ابي الحسن سليمان ، وابي القاسم الحسن ابن منصور بن محمد الكندي ، وابي سعيد الحسن بن اسحق بن بلبل المعري

(١) كذا .. ولعل الأصل : (وخير السلاح الفرار اخطأ الطعن) .

(٢) ابن خلكان ج ٢ ص ١٢ في ترجمة محمد بن حيوس .

القاضي بها ، ومحمد بن عثمان بن ابي شَيْبَة ، وعبد الله بن محمد البَغَوي وغيرهم وروى عنه ابنه ابو العلاء .

وتوفي بمعرة النعمان سنة ٣٩٥ هـ . وقال ياقوت [١] : انه ولي القضاء في حمص ، وتوفي فيها سنة ٣٧٧ هـ .

ومن شعره قوله في رثاء والده سليمان .

إنْ كَانَ أَصْبَحَ مَنْ أَهْوَاهُ مُطَّرَحاً
بِبَابِ حِمْصٍ فَمَا حُزْنِي بِمُطَّرَحِ
لَوْ بَانَ أَيْسَرُ مَا أُخْفِيهِ مِنْ جَزَعٍ
لَمَاتَ أَكْثَرُ أَعدَائِي مِنَ الفَرَحِ

وقوله يرثي جارية له :

مَوْلاكِ يامَوْلَاةَ مَوْلَاهَا عَلَى
حَالٍ تَسُرُّ عَدُوَّهُ وَتَضُرُّهُ
وَيَوَدُّ لَوْ كُنْتِ أَنْتِ مَكَانَهُ
فِي الزَّائِرِينَ وأَنَّ قَبْرَكِ قَبْرُهُ

وقوله :

سَمِعْتُمْ بِأَجْوَرَ مِنْ ظَالِمٍ
أَعَلَّ الفُؤَادَ وَمَا عَادَهُ

---

(١) ياقوت : معجم الادباء ١ : ١٦٣ (ج)

وَقَدْ كَانَ واعَدَنِي زَوْرَةً
فَأخْلَفَ يَاقَوْمُ مِيْعَــادَهُ

ولما مات رثاه ابنه ابوالعلاء بقصيدة مطلعها :

نَقَمْتُ الرِّضَى حَتّى عَلى ضَاحِكِ الْمُزْنِ
فَلا جَادَنِي إلاّ عَبُوسٌ مِنَ الدُّجْنِ[1]

وقد ولد له ثلاثة بنين : ابو المجد محمد وهو الاكبر ، وابوالعلاء احمد وهو الأوسط ، وابوالهيثم عبد الواحد وهو اصغرهم .

قال ابن العديم : والموجود الآن من بني سليمان كلهم من عقب ابي المجد محمد ، وذلك لأن ابا العلاء كان صرورة ، وابا الهيثم ولد له زيد وولد لزيد شاكر أومنافر أوجابر ولم يعقب أحدا .

ونقل الميمني عن القفطي في إنباه الرواة على انباء النحاة في ترجمة محمد بن حمزة ان له قصيدة مدح بها القاضي ابامحمد المذكور ، واورد منها ثلاثة عشر بيتا على الراء .

* * *

عبد الله بن عبد الله بن المُحسِّن بن عبـــد الله بن عمرو بن ابي الحُصَيْن التنوخي المعري :

ذكر في عيون التواريخ (لابن شاكر الكتبي) ان لأبي غانم عبد الرزاق بن عبد الله اخوة ، منهم : عبد الله كما تقدم في ترجمة ابي غانم ، ولعله محرف عن اسم آخر .

* * *

(١) شروح سقط الزند ، ٢ص ٩٠٧

ابو موسى عبد الله بن عبد الباري بن عبد الصمد القيْسي المعري

هكذا ورد اسمه فيمن سمع الجزء الرابع من تاريخ ابن عساكر سنة ٦١٤ هـ ذكر ذلك في الجزء الاول طبع المجمع العلمي العربي ص ٦٦٢ واعاد ذكره ص ٦٦٤ بدون ذكر المعري وكذلك في ص ٦٨٣ وذكره في ص٧٠٩ المغربي بدلا من المعري .

* * *

عبد الله بن عبد الواحد بن احمد المعري أبو القاسم المعروف بابن اللوز

من شعره :

لي مِنْ بَني التُّرْكِ ظَبْيٌ سَاحِرُ الحَدَقِ
شَقيقُ خدَّيهِ يَحْكي حُمْرَةَ الشَّفَقِ
يُريكَ مِنْ خدِّهِ الزَّاهِي وَطُرَّتِهِ
ضَوْءاً مُنيراً تَبدَّى في دُجى الغَسَقِ
إذا تَبدَّى فَبَدْرُ في السُّعُودِ بَدَا
وَإنْ تَثَنَّى فَغُصْنُ البَانَةِ الوَرِقِ
نادَيْتُهُ حِينَ أَبْدَى جَفْوَةً وَقِلَى
وَالطَّرْفُ في غَرَقٍ والقَلْبُ في حرَقِ
صِلْني فَقَدْ ذُبْتُ مِنْ وَجْدي ومِنْ كَمَدي
واعْطِفْ بوَصْلِكَ هذا آخِرُ الرَّمَقِ

فَقَالَ لِي بِفُتُورٍ مِنْ لَوَاحِظِــهِ
إِنَّ العِنَاقَ لَإِثْمٌ قُلْتُ فِي عُنُقِي

ذكره (ابن حجر) في الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٧٢ .

* * *

ابو محمد عبد الله بن محمد أبي المجد أخي أبي العلاء

ولد بمعرة النعمان سنة ٣٩٧ هـ سبع وتسعين وثلاث مائة ، وكان اديبا شاعرا ، وله ديوان شعر ورسائل حسنة . تولى القضاء في المعرة سنة ٤٤٣ هـ بعد عزل ابي حُصَيْن عنه ، والخطابة والوقوف بها . وروى عن ابيه ابي المجد وعمه ابي العلاء ، وتولى خدمة عمه بنفسه ؛ وكان براً به ، وكان يكتب له تصانيفه ، ويكتب عنه باذنه السماع والاجازة ، لمن يطلب ذلك من عمه ، وكان يخدمه ويدلله في مرضه فقال فيه أبو العلاء ثلاثة ابيات أولها :

وَقَاضٍ لَا يَنَامُ اللَّيْلَ عَنِّي وَطُول نَهَارِهِ بَيْنَ الخُصُومِ

وقال فيه سبعة أبيات آخرها :

أَجِدَّكَ مَا تَرَكْتَ وَأَنْتَ قَاضٍ تَعَهُّدَ مُقْعَدٍ أَعْمَى أَصَمِّ
جَزَاكَ البَارِىءُ ابنَ أَخٍ كَرِيمٍ أَبَرَّ بِمُعْجِزٍ فِي بِرِّ عَــمِّ

وتتمة الابيات العشرة مذكورة في رسالتنا ابي العلاء المعري في الكلام على تلاميذه ومن أخذ عنه في المعرة فراجعها ان شئت(١).

وقال المُحَسِّن التنوخي في كتابه النائب عن الاخوان : حضرت بعض أهل الأدب ، وقد أنشد هذه الأبيات :

---

(١) انظر الجامع في أخبار أبي العــلاء المعري ، للمؤلف ج ١ ص ٤٦٤ من منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق .

لمـــا خبت ريح الفرا ق ولاح لي نجــم التلاقي
وظننت أني لا محـــا لة قد نجوت من الخناق
حدثت عـــليَّ حوادث للبين محكمـة الوثاق
فنفين عن عيني الكرى وأذقنني مر المــذاق
وتركنني متلذذاً في طول هم واشتياق
أبكي الدماء على فرا ق الباكيات على فراقي
إن اصطبار العاشقـــين على الفراق من النفاق

لجماعة من المعريين وسألهم اجازتها والزيادة فيها . فزاد فيها أبو محمد (المترجم) مازحا للوقت :

فإذا وصلت إلى الودا ع بلحظ عين واعتناق
ورأيت منهل الدمو ع كأنها حبل السباق
وعلا البكاء من الجميـ ـع وخفت من فرط اشتياق
فذر الرجوع وسر على رغم الفراق مع الرفاق
واحلف بأنك لا تعو د إلى المعرة بالطلاق

وروى عنه ابنه ابو المجـــد محمد ، وتوفي في شعبان سنة ٤٦٥ هـ خمس وستين واربعمائة .

وله ولدان : أبو مسلم وادع وهو الاكبر ، وأبو المجد محمد ، وستأتي ترجمة كل منهما .

* * *

عبد الله بن محمد بن زريق الجمال المعري، ثم الحلبي، الشافعي، ويعرف بجده[1]:

ولد سنة ٧٧٥ هـ بالمعرة، ونشأ بها، فحفظ القرآن، والتمييز في الفقه لابن البارزي، واشتغل بالعلم، ثم قدم حلب فاشتغل بها، وولي توقيع الدست مدة، ثم قضاء معرمصين [2] مدة، ثم جلس موقعاً بباب قاضي الشافعية بها العلاء ابن خطيب الناصرية، وقد ترجمه ترجمة مطولة.

وكان فاضلاً أديباً مجيدا في النظم والنثر، ثم عاد الى بلده، وولي قضاءها حتى مات في منتصف شعبان سنة ٨٢٧ هـ، ومن نظمه قوله:

كُلُّ مَنْ جِئْتُ أَشْتَكِي   أَبْتَغِي عِنْـــدَهُ دَوَا
يَتَشَكَّى شَكِيَّتِي   كُلُّنَا فِي الهَوَى سَوَا

وقوله:

كُنْتُ وَلَيْلُ العِذَارِ دَاجٍ   يَرُوقُ مَنْ رَاقَهُ سَوَادُهْ
فَاحْتَرَقَ القَلْبُ بِالتَّنَائِي   وَذُرَّ فِي عَارِضِي رَمَادُهْ

وذكر في إعلام النبلاء (بتاريخ حلب الشهباء للطباخ) في ترجمة أبي الوليد محمد بن الشحنة المتوفى سنة ٨١٥ هـ ان الجمال عبد الله بن زريق المعري مدحه بقصيدة بائية أولها:

---

(١) وترجمته في الضوء اللامع ج ٥ ص ٥٠ (ج)

(٢) هكذا ولعل الصواب معرة مصرين (ج) وفي معجم البلدان لياقوت ٤ : ٥٧٤ معرة مصرين بليدة وكورة بنواحي حلب

لَمْ أدْرِ أنَّ ظُبَى الأَلْحَاظِ والقُضُبِ

أمضَى مِنَ الهِنْدُوانِيّاتِ والقُضُبِ

* * *

ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد اخي ابي العلاء (١)

ولد بمعرة النعمان يوم الاربعاء التاسع عشر من جمادى الآخرة سنة سبع وسبعين واربعمائة ، وفي مرآة الزمان : في سنة تسع وسبعين. وقرأ الأدب وبرع فيه ، وقال الشعر ،وقدم دمشق سنة ٥١٤ هـ ، ثم توجه الى مصر ولقي الافضل امير الجيوش فأكرمه ولزمه ، وتوفي فيها في يوم الجمعة منتصف ربيع الآخر سنة ست عشرة وخمسمائـــة في حياة أبيه ، ودفن بالقرافة بقرب روضة الشافعي ، وكتب الى ولده ابي اليسر من مصر :

يَا غَائِباً مَسْكَنُهُ مُهْجَتِي ... وحَاضِراً وَلَيْسَ بِالحَاضِرِ

صَوَّرَهُ شَوْقِي إليهِ فَمَا ... يَبْرَحُ مِنْ قَلْبِي وَمِنْ نَاظِرِي

ويروى :

سورت شوقي اليه فما ... بَرِيمُ . . .

جَفَا رُقَادِي بَعْدَه مُقْلَتِي ... واسْتُوْدِعَتْ وَحْشَتُهُ خَاطِرِي

ومن شعره ما رواه ولده شاكر : أبو اليسر :

يَا مَنْ تَنَكَّبَ قَوْسَهُ وَسِهَامَهُ

وَلَهُ مِنَ اللَّحْظِ السَّقِيمِ سُيُوفُ

(١) ونجد ترجمته وشيئاً من أخباره وآثاره في مرآة الزمان وابن عساكر والنجوم الزاهرة والخريدة . والانصاف والتحري (ج)

يُغنيكَ عَنْ حَمْلِ السُّيوفِ إلى العِدَى
أجفانُكَ المرْضى فَهُنَّ حُتوفُ

ويروى : وهن حتوف

ومنه ما رواه حفيده ابراهيم بن شاكر قال : انشدني جدي :

وَعذبِ المُقَبَّلِ رَخْصِ البَنانِ ... إذا لَمَسَ العُودَ أشْجَى القُلُوبا
وَيَنْشَقُّ مِنهُ فُؤادُ المُحِبِّ ... إذا ما المُحِبُّونَ شَقُّوا الجُيُوبا

* * *

عبد الله بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن محمد الاقساسي بن يحيى بن الحسين بن زيد بن زين العابدين بن علي بن الحسين ابن علي بن ابي طالب . الشهير بالحراكي

خرج من المدينة الى جبال فلسطين ثم نزل قرية من قرى حوران يقال لها حراك فنسب اليها ، ونزل دمشق ايام الشيخ رسلان الدمشقي ، ثم ارتحل الى حمص ، ثم ارتحل الى معرة النعمان ، ثم اقام في قرية يقال لها القرزل[1] من عمل المعرة الى ان توفي وبني عليه مشهد فيها . وكان زاهداً ورعاً شديد الحياء ولم يعقبه سوى ابي الحسن علي وكان مقارباً لوالده في الزهد والعبادة والى ينسب بنو الحراكي وهم اسرة مشهورة في المعرة[2] .

(١) في معجم البلدان لياقوت : القرزل : ناحية من نواحي معرة النعمان في العلاة والعلاة : كورة من كورها .

(٢) ذكر ذلك في اعلام النبلاء ج ٤ عن بعض الجاميع الحلبية (ج) .

ابو محمد عبد الله بن الوليد بن عريب[1] الإيادي المعري :

لم أقف على شيء من اخباره ألا انه دخل وهو صبي على ابي العلاء مع عمه ابي طاهر ، فرآه مجدور الوجه ، نحيف الجسم ، قاعداً على سجادة لبد ، وهو شيخ فان يسبح ، فدعا له ، ومسح على رأسه[2] .

. . .

ابو المواهب عبد المحسن بن صدقة بن عبد الله بن حديد المعري :

ولد سنة ٤٤٧ هـ وقتلته الحرة[3] باليمن سنة ٥٠٣ هـ ، وكان شاعراً ذكياً جداً حلو الألفاظ كتب الى الطبيب ابي الرضا الملقب ببقراط :

يا حكيماً أفكاره . . . . .
حزتَ في الطبِّ فضلَ جالينوسِ
ليتَ شعري بأيِّ جرمٍ تفرّدْ
تَ عَنِ الأصدقاءِ بأكلِ الرؤوسِ
خفْ منَ الله أنْ تساءلَ عنْ هـ
ـذا وأنْ تبتلى ببغضِ العروسِ

(١) وقد جاء في بعض الكتب عريب وفي بعضها عزيب وفي بعضها غريب (ج) .
(٢) ذكر ذلك ابن العديم وابن خلكان وصاحب معاهد التنصيص (ج) .
(٣) هي الحرة بنت احمد بن جعفر بن موسى الصليحية ، كانت من ربات النفوذ والسلطان . ولدت سنة ٤٤٠ هـ ، فحفظت الاخبار والاشعار والحوادث التاريخية وغيرها ، ثم فوض الأمر اليها فاستبدت وعظم سلطانها في الدولة . انظر اعلام النساء لكحالة ١ : ٢١٤ — ٢٢٠ طبعة اول .

فتَرَاهَا إذَا دَخَلْتَ إلى البَيْـ..
ـتِ بِخُلْقٍ صَعْبٍ وَوَجْهٍ عَبُوسِ
ثُمَّ لا تَنْتَهِي عَنِ السَّبِّ والذَّ
مِّ وأنْ تَشْتَكِي إلى القِسِّيسِ

* * *

ابو الهيثم عبد الواحد بن عبد الله أخو ابي العلاء المعري التنوخي

ذكر أبو غالب همام بن المُهَذَّب المعري في تاريخه ان ابا الهيثم ولد سنة ٣٧١ هـ، ووجد بخط ابي اليسر شاكر انه ولد سنة ٣٧٠ هـ.

وكان اديبا رقيق الشعر منه قوله في الشمعة :

وذاتِ لونٍ كلوني في تغيُّرِهِ وأدمعٍ كدموعي في تحيُّرِها
سهرتُ ليلي وباتت لي مسهّرةً كأنَّ ناظرها في قلب مسهرِها

ومنه قوله يخاطب بعض الشعراء :

زِدْنِي مِنَ الشِّعْرِ الذي اسْتَنْبَطْتَهُ
مِنْ فِكْرِكَ المُتَصَرِّفِ المُسْتَخْلِسِ[1]
فدنيـة الأشعارِ تَصْقُلُ خاطِرِي
مثلُ الحُسَامِ تَجْلُوَنَـهُ بالمدوسِ

(١) في نسخة (المستجاس) (ج)

وروى ابو العلاء ان اخاه اباالهيثم قدم على سياث [1] فوجد بها رجلا يقلع حجارة فكتب على حائط من حيطانها يقول

مَرَرْتُ بِرَسْمٍ [2] مِنْ سِيَاثَ فَرَاعَنِي
بِهِ زَجِلُ الأَحْجَارِ تَحْتَ المَعَاوِلِ

تَنَاوَلَهَا عَبْلُ الذِّرَاعِ كَأَنَّمَا
جَنَى [3] الدَّهْرُ فِيمَا بَيْنَهُمْ حَرْبَ وَائِلِ

أَمُتْلِفَهَا [4] شُلَّتْ يَمِينُكَ خَلِّهَا
لِمُعْتَبِرٍ أَوْ زَائِرٍ أَوْ مُسَائِلِ

مَنَازِلُ قَوْمٍ حَدَّثَتْنَا حَدِيثَهُمْ
وَلَمْ أَرَ أَحْلَى مِنْ حَدِيثِ المَنَازِلِ

ومن شعره ايضا قوله :

قَالُوا تَرَاهُ سَلَا لأَنَّ جُفُونَهُ
ضَنَّتْ عَشِيَّةَ بَيْنِنَا بِدُمُوعِهَا

---

(١) في معجم البلدان لياقوت ٣ : ٣٠٧ : سياث بليدة بظاهر المعرة وهي اللاذئة والمعرة اليوم محدثة كذا ذكره ابن المهذب في تاريخه

(٢) يروى (بربع)

(٣) يروى (رمى الدهر)

(٤) يروى (اتتلفها)

وَمِنَ العَجَائِبِ أَنْ تَفِيضَ مَدَامِعٌ
نَارُ الغَرَامِ تَشُبُّ في يُنْبُوعِهَا

ولما كان ابوالعلاء في بغداد كتب اليه اخوه ابوالهيثم يستعطفه على خلفيه بالشام ويسأله العود :

يَارَبِّ قَدْ جَنَحَ الوَمِيضُ وَغَارَا
فَاسْقِ المَوَاطِرَ زَيْنَباً وَنُوارَا
أُخْتَيْنِ صَاغَهُما الشبابُ وَعَصْرُهُ
مَاءً يُصَفِّيه النَّعيمُ وَنَارَا
مِن نِسْوَةٍ بِالنجْلِ أَصْبَحَ فَخْرُهَا
وَمَعَاشِرٍ كَرُمُوا نَدًى وَنِجَارا
أَسَدِيَّتينِ تَرَى القَليلَ عَلَيْهما
شرفا وصُمَّ السَّمْهَرِية زَارَا
يَضَعُونَ أَوْزَارَ الوَغَى وَتَرَاهُمُ
مُتَلَفِّعينَ مَهَابَةً وَوَقَارَا
مُسْتَبْشِرِينَ الى الطِّراد وإنما
يَلْقَوْنَ منهُ أَسِنَّةً وشِفارا

لا يَفْهَمُ الفحوى لِسَانُ وَليدِهم
حتىَّ يَشُنَّ عَلى العَـــدُوِّ مَغَارَا

نَحَرُوا العِشارَ فَمَا تُحَدُّ مِداهم
يَوْماً وإِنْ غَدَتِ الرِّمَالُ عِشَارا

لا يَـأْلَفُونَ مَحَلَّـــةً وَسِواهُمُ
يُصْفِي الوِدَادَ مآلِفـــا ودِيَاراً

بَغْدادُ لاَ سُقِيَتْ رُبوعُك دِيمَةً
وَغَدَتْ رياضُكِ حَنْظَلاً ومُرارَا

أنتِ العَرُوسُ يَرُوقُ ظاهِرُ أمرِها
وتَكونُ شيناً في اليَقينِ وَعَارا

أضْرَمْتِ قَلْبي باختذامكِ مَاجِداً
كالسَّيفِ أعْجَبَ رَوْنقاً وَغِرارا

مَنَّيتِـهِ مَحْضاً فَلَمَّـــا شَفَّهُ
ظمـأٌ أتاكَ بِـهِ سَقيْتِ سمارَا

وَجَلَبْتِهِ فَنَحَاكَ يَعْتَسِفُ الرَّدَى
وَيَخوضُ مِنْهُ لُجَّـــةً وغِمَارا

شَغَفا بِدارِ العِلْمِ فِيكِ وَقَلْبُهُ
مَازَال رَبْعاً للعُلُومِ وَدارَا

مَا زِدْت عمَّا عنْدَهُ فَسَقَاكِ مَنْ
رَفَــعَ السَّماءَ نَقيصَةً وعِثَارا

وأَجارَ أَهْلَكِ في المَعَادِ فإنَّهمْ
أوفى الخَلائِق ذِمَّـةً وجوَارا

لولاكِ مَا جَطَت البريّة عَنْسة
وأثَرنَ مِنْ ذَاكَ الجرير غُبارا

مُتلَفِّعاتٍ بالحميمِ كَأنمـــا
يَبْدُو على وَضَحِ الرَّكائِبِ قَارَا

فلئِنْ أقمن بِسيفِ دِجْلَةَ رُتعاً
فبِما قَطَعْنَ مَفاوزاً وحِرَارا

قُيِّدنَ في أسْرِ الظلال(١) وطَالَمَا
أَحْيَيْنَ لَيْـــلاً بالسُّرَى وَنهارَا

---

(١) لعلها (الكلال) (ح) .

أَبَا العَلاءِ نداء عَبْدٍ أدرَكَتْ
مِنهُ النَّوى لَمَا نأَتْ بكَ ثارا [1]
تَخوِي بأرْبعهـا النجاءَ كَأنَّما
يعجلن نَهباً أو يَطأْنَ جِمَارا
وتعدّ بَعد الظعنِ [2] غَمْرة آجنٍ
أَبْدا يُرشِّحُ نَفْسَه الأظهارا
يردي الوجوهَ فإنْ تروَّى شاربٌ
منْـهُ تَأوَّدَ سَكْرَةً وخُمارا
ولعلّ فضلَكَ ينثني بِكَ طَالِباً
برّاً تبـذّ بِفعْلِهِ الأبْرارَا
وأبَتْ صروف الدَّهْرِ قبل نَدَامة
تُزكي القليلِ وناجز الأقدارا
حَاشَاكَ أن تُبْدي الجَفاءَ لِخَلّةٍ
وتُعيدَ أقْرانَ الوَفاءِ قِصَارَا
أدْرِكْ بإدرَاكِ المَعرَّةِ مُهْجَةً
تَفْنَى عَلَيْكَ مَخافَـةً وحِذارا

(١) لعلها (دارا) (ج) .
(٢) لعلها (الظمء) (ج) .

أغْرَتْ نَواكَ بها الحما مَنَاجزاً
ونَحَابها حسن الرَّجاءِ مِرَارَا
بَلَغَتْ بكَ الهمَمُ المُرادَ فأيأستْ
مِنْكَ الحسودَ ولَمْ تُنِطْ بكَ عَارَا
فأقمتَ بالزوْرَاء ثم غَدَوْتَ في
أُفقِ المَفَاخِرِ كَوْكَباً سَيَّارا
فاجنحْ عَلَى مَرْضَاة ربِّك طَالباً
مِنْهُ الجَزاءَ وَجانِبِ الإصرارا
واسلَمْ لِقوْمِكَ اذْ غَدَوْتَ لمجْدِهم
تَاجاً تشرِّفُ فَضلَه وسِوارا

وله شعر مدون جمعه أخوه أبو العلاء لابنه زيد

وقد توفي ابو الهيثم سنة ٤٤٢ ﻫ ، فيكون عمره اكثر من سبعين سنة ، ولم يخلف إلا زيـداً وزيد لم يخلف الا منافراً أو شاكراً أو جابراً ، وهو الأصح وبـه انقرض عقبه (١)

* * *

(١) وتجد طرفا من اشعاره وأخباره في معجم الأدباء ، والانصاف (ج).

ابو المجد عبد الواحد بن محمد بن المهذب بن المفضل بن محمد بن المهذب التنوخي المعري .

انتقل من المعرة حين اخذت ، وسكن دمشق مدة ، ثم عاد الى المعرة حين استنقدت من أيدي العدو أي سنة ٥٢٩هـ وسكنها الى أن مات بهاسنة ٥٥٤هـ سمع أباه وغيره من رجال العلم ، وقال ابن عساكر . انبأنا ابو المجد التنوخي (نا) والدي من خطه في شهر رمضان سنة ٤٩٢ هـ ، كما روى ذلك عن أبي حصين عبد الباقي بن المحسن بن عبد الباقي بن ابي حصين المعري : وفي هذه السنة كان خروج الروم الى الشام ورجوعهم خائبين ، حدثني جدي أبو صالح محمد في منزله بمعرة النعمان (نا) جدي أبو الحسين علي (نا) جدي أبو حامد محمد بن همام (نا) محمد بن سليم القرشي (نا) ابراهيم بن هدبة عن أنس بن مالك قال . قال رسول الله ﷺ (ألا من زين نفسه للقضاة شهادة الزور زينه الله عز وجل يوم القيامة بسربال من قطران وألجمه بلجام من نار) [1]

* * *

عبد الوهاب بن اسحق بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد الجندي :

وهو جد جدي ولد في معرة النعمان سنة ١١٨٢ هـ ، وقرأ على جماعة من علمائها ، فكان عالماً فاضلاً خاوتي[2] الطريقة . ولي قضاء المعرة مراراً ، وكان مرجع الخاص والعام فيها ، وقد توفي سنة خمسين ومائتين وألف ١٢٥٠ هـ ، وأرخه حفيده أمين بن محمد الذي تقدم ذكره بأبيات نقشت على قبره منها :

---

(١) هكذا جاء في ابن عساكر ج ١٠ فتأمل (ج) .

(٢) هكذا يسميها أهلها والعامة .

أَلَا يَا زَائِرًا قَـبْرًا إِمَامُ العَصْرِ في لَحْدِهِ

الى أن قال :

وفي تَارِيخِهِ وَحيٌ رَضِيَ الوَهَّابُ عَنْ عَبْدِهِ

* * *

أبو الرضا عبد الوهاب بن نوت المعري .

هكذا ذكره صاحب نكت الهميان. (نكت الهميان لصلاح الدين الصفدي) ، وذكر صاحب (فصول الحكماء) أنه عبد الواحد بن الفرج ويعرف بابن النوت [١] . كان من الشعراء المغزرين ، والبلغاء المفوهين ، وهو من جملة الشعراء الذين وقفوا على قبر أبي العلاء يوم وفاته ، وقد رثاه بقصيدة عزاء لم اعثر منها على غير هذه الأبيات :

سُمْرُ العَوَالي وبيضُ الهِنْدِ تَشْتَوِرُ
في أَخْذِ ثارِكَ والأَقْدَارُ تَعْتَذِرُ
والدَّهْرُ فاقِدُ[٢] أَهْلِ ٱلْعِلْمِ قَاطِبَةً
كَأَنَّهُمْ بِكَ في ذَا القَبْرِ قَدْ قُبِرُوا
فَهَلْ تُرَى بِكَ دَارُ العِلْمِ عَالِمَةً
أَنْ قَدْ تَزَعْزَعَ مِنْها الرُّكْنُ والحَجَرُ

---

(١) وذكر العماد في الخريدة في رحال بني مُحصَين : أبا الرضا عبد الواحد بن الفرج بن النوت المعري . وكذلك ذكره الصفدي في الوافي (ج) .

(٢) في النكت : ناقد

وَالعِلْمُ بَعْدَكَ غِمْدٌ فَاتَ مُنْصُلَهُ
وَٱلْفَهْمُ بَعْدَكَ قَوْسٌ مَالَهُ وَتَرُ

وقد توفي أبو الرضا سنة ٤٨٠ هـ ، وكان فياض القريحة ، حاضر البديهة .

وفي بدائع البدائه[1] قال العماد : وذكر لي ان معز الدولة يعني ثمال بن صالح الكلابي صاحب حلب جلس على نهر قُوَيق[2] زمن المد وقد خيم ، فذكر ابن النوت الشاعر وهو الرضى عبد الواحد بن الفرج ابن النوت المعري ، وذكر سرعة بديهته واقتداره على الارتجال ، فأرسل اليه على البريد ، فحضر فقال بديهاً :

رَأَيْتُ قُوَيْقاً إِذْ تَجَاوَزَ حَدَّهُ
لَهُ زَجَلٌ فِي جَرْيِهِ وَضَجِيجُ
وَكَانَ ثِمالٌ جَالِساً بِشَفِيرِهِ
فَشَبَّهْتُهُ بَحْراً لَدَيْهِ خَلِيجُ

فقال معز الدولة : قد زعم الحلبيون أن هذا ليس بشعرك ، وكان فيهم ابن سنان الخفاجي فان قلت بديهة أعطيتك جوائزهم ، ثم نظر الى غرابين على نشز فقال : صفهما ، فقال :

يا غُرَابين ، أنتما سَبَبُ البَيْنِ فكَيْفَ اجْتَمَعْتُما في مَكان

---

(١) ابن ظافر الأزدي : بدائع البدائه ١٧١ (ج)
(٢) في معجم البلدان لياقوت : ٤ : ٢٠٦ : نهر مدينة حلب

انما قَــدْ وَقَفْتُما في خلوّ   في فراقِ الأحبّاب تَشْتَوِرَان
فاحذَرا أن تُفرّقا بَيْن الفين ... فما تَدْرِيَانِ ما يَلْقَيَانِ

* * *

عثان بن أبي المعالي بن خضر بن جياد بن ابي الجيش التنوخي المعري فخر الدين ابن المؤذن :

ولد سنة ٦٤٤ ﻫ ، وسمع من ابن أبي اليسر الأول من حديث الجَصّاص ، روى عنه البِرْزالي ، وابن رافع ، وقال : كان عــدلاً وافر المروءة ، كثير الأمانة ، مواظباً على الصدقة والتلاوة ، اشتهر بالأمانة لرده وديعة عز الدين الخَفاجي ، وكان خرج في تجريـدة فمات فيها ، فرد ماعنده لورثته ، وحملته نحو ستين ألف دينار[١] .

* * *

عثان بن أبي النُّوق المعري الشاعر :

كان ذا اقتدار على الارتجـال ، لايتكلم إلا موزونا ، وقـدم دمشق ، ثم حلب . وجال في تلك البلاد . ذكر ابن فضل الله انه رأى في يده كتاباً له فواتح ذهب ، فأنشده كأنه يتكلم :

أراكَ تنظُرُ في شَيْءٍ مِنَ الكُتُبِ
وفي أوَائِلِهِ شَيْءٌ مِنَ الذَّهَبِ

(١) ذكر ذلك في الدرر الكامنة (ج)

لو شِئْتَ تَصْرِفُ نقْداً مِنْ فواتحه
صَرَفْتَ منْهُ دنانيراً لِذِي أدَبِ

قال وكتب إلي

دُموعُ كُمَيتي عَلَى خَـــدِّهِ
مِنَ الجُوعِ تَطْلُبُ مِنِّي العَلَفْ
وَلَيْسَ مَعِي ذَهَبٌ حَـــاضِرٌ
وَلَا فِضَّةٌ وَعليَّ بالكَلَفْ[1]
وَلي منْكَ وَعْـــدٌ فعجِّلْ بهِ
فَمَنْ عَجَّلَ الوَعْدَ حازَ الشَّرَفْ

قال الصفدي : كان ينص ماينظمه نصاً مليحاً محكماً بالنقط والضبط ، قال : وآخر عهدي به بحلب سنة ٧٢٣ هـ[2].

* * *

الشيخ عثمان المعري البصير الشاعر :

لم أقف على ترجمة مختصة بالشيخ عثمان هدا ، وانما عرفت من كلام صاحب سلك الدرر في أعيان القرن الحادي عشر للمرادي ان المترجم كان نديماً للسيد عبد الرزاق الجندي الحمصي .

(١) كدا في الاصل (ج)
(٢) من الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٥١ (ج)

وسمعت من الناس أبياتاً من الشعر ينسبونها اليه ، منها قوله في رثاء شخص أو مما كتب على قبر شخص :

مَنَازِلُ الفَخْرِ جُزْنَاهَا بِلاَ خَلَلِ
كَأَنَّها سَاعَةٌ مَرَّتْ مَعَ الأَجلِ

ثمَّ انْتَقَلْنَا إلى دَارِ البَقَاءِ نَرَى
مَا قَدَّمَتْ يَدُنا مِنْ نَوْعَيِ العَمَلِ

ومنها قوله من أبيات يهجو بها رجلا من أعيان حماة اسمه يحيى .

بَلَدٌ بها يَحْيَى السَّفِيـ ـهُ وَذُو الحَياءِ يَمُوتُ

وينسبون اليه كثيراً من الأغاني والموشحات ، منها قوله :

ياماثسَ القدّ يَامَنْ بالتَّثَنِّي فَاقْ
خَطِيّاً ، أوْ خُوطاً رَنْدياً ، رَسْمُهْ
سَلَلْتَ مِنْ فاتِرَي لَحْظَيْكَ لِلْعُشّاقْ
هِنْـــدِيّاً ، فصَالَا تُرْكِيا ، رَقْمُهْ
وبالثَّنايا حَوَيْتَ الشُّهْدَ والتِّرياقْ
لوليّاً ، أم عِقْـــداً دُرِّياً ، نَظْمُهْ

بَدرٌ حوَى فوق كُرسي المُحيّا خالْ
زنجيّاً ، رَيّاه مِسكيّاً ، لثْمُــهْ

لَوْ زَارَني والحِمى مِنْ كلٍّ واش خالْ .
مُسقيّاً ، كاسَاتِ الحُميا ، ظَلَمُهْ

فهل رأيتَ غُصوناً كلَّمَتْ يا نَاسْ
أنسيّاً ، كَلَاماً مَرضِيّاً ، حُكْمُهْ

أزكى صَلَاتي عَلىَ المَبْعوثِ منْ عَدنَانْ
مَكيّاً ، قُرَشيّاً أمّيــاً ، إسْمُهْ

مُحَمّدٌ مَا شَدا في مَدْحِـهِ عُثمان
مَروِيّاً ، حَـدِيثاً فَيْضِيّاً ، خَتْمُهْ(١)

وكان رحمه الله بصيراً ، خفيف الروح ، محباً للفكاهة والدعابة . يقال : انه خـلا يوماً بزوجته ، فأرادت ان تسره ، فجعلت تذكر له مافيها من المحاسن التي وهبها الله إياها من سواد عينيها وشعرها ، وحمرة خديها ، وبياض لونها ، وحسن قوامها ، وأطالت في ذلك ماشاءت ، وهو مصغ إلى حديثهـا ، مطرق الى الارض ، فلما انتهت قال لها .

---

(١) وهذه القطعة نقلتها من عامي ،واثبتها بعدما أصلحت شيئاً منها ، ورأيت نسخة بعد ذلك فيها زيادة عما ذكرته (ح)

انتهى كلامك ؟ قالت : نعم . فقال : والله لو كان فيك عشر ماذكرت من الجمال ماتركك المبصرون تصلين الي ، ولاختطفوك من قارعة الطريق ، فامسكت عن حديثه .

وقد أقام في حماة مدة طويلة ، ولذلك يقال له الشيخ عثمان الحموي ، كما يقال له الحمصي ، لكثرة اقامته في حمص ، وقد ذكر المرادي(١) شيئاً مما وقع له من المساجلة الشعرية مع الشيخ محمد سعيد السُوَيْدي البغدادي حين كان بحمص ، والسيد عبد الرزاق الجندي . وهذه جملة منها . قال السويدي متعرضاً للشيخ عثمان البصير :

وإذَا العَمى ضمَّ ٱلعِنادَ اليهِ مع
حُسْنِ الصِّفَاتِ كَفَاكَ لِلتَّحْقيرِ .

فقال عثمان :

وإذَا عَلِمْتَ بأنَّ مِثْلِي ناقِصٌ
كَانَ المَقَـــالُ لِغَـايَةِ ٱلتَزْوِيرِ

فقال عبد الرزاق :

وإذَا عَدِمْتَ ٱلفَهْمَ فاسْأَلْ أَهْلَهُ
تَجِدِ البَراعَةَ عِنْدَ ذِي التَحرِيرِ

ثم قال السويدي :

وإذَا مَواهِبُ عَابِدِ الرزّاق قَدْ
حَلّتْ عَلىَ الأعْمَى غَدا كَبَصِيرِ

(١) المرادي : سلك الدرر ٣ : ١٦ .

فقال عثمان :

وإذا أرادَ اللهُ إصلاحَ امرِىءٍ

جُعلَتْ بَصِيرَتُهُ مِنَ الإكْسِيرِ

فقال عبد الرزاق :

وإذا تَولّى ٱلْقَلْبَ مِنْهُ عِنَـــايَةٌ

جَذَبَتْ بِـهِ ٱلْعَلْيا مِنَ التَأْخِيرِ

إلى آخر المساجلة .

وذكر له مساجلة أخرى معها :

فقال السويدي :

رنَا وانْثَنَى واهْتَزَّ كَالغُصْنِ والقَنَا

وَصَالَ عَلَى العُشّاقِ بِسَطْو بقَدّه

فقال عبد الرزاق :

رَشأٌ مِنْ بَني الأَتْراكِ صَادَ بِصادِهِ

وَصَيَّرَ عُشَّاقَ الوَرَى صَيْدَ صَيْدِهِ

فقال عثمان :

بديعُ جَمَالٍ لَوْ رأىَ البَدْرُ شَكْلَهُ

دُجًى لاعْتَراهُ الكَسْفُ مِنْ نُورِ خَدِّهِ

وهي طويلة مذكورة في سلك الدرر .

ومن كلامه أبيات تنشد على نغم العشاق، منها قوله :

ما في جَسَدْ مِنْ أُمورِ الحُبِّ سَالِمْ
إلا كَرَاهُ الهَوىَ أرْبعْ عَلائِمْ
يَا عَاذِلي لا تكُنْ في الحُبِّ ظالمْ
واقصِرْ ملامَكَ ذا أمر العشْقِ جازمْ
القلبُ مَسْلوُبٌ والدَمْعُ مسكُوبْ
ذَا أمْر مكْتُوبْ بَيْن العَوالِمْ

دور

مَحْبُوبْ قَلْبي ظَهَرْ أفْنَى وجُـودِي
بوَجْهٍ مِثْلِ القَمَرْ أبدَى صُدُودي
نَادِيتْ يَا مَنْ نَشَرْ فوقَ الخُدودِ
شَامَاتْ تسبْي البَشَرْ أمسيتْ هَائِمْ
مَا آن بُعْـدَكْ لا عيشْ بَعْدَكْ
أوفِ بوعْـدَكْ يا بْنْ الأكَارِمْ

دور

يا قَلبي صَبْراً عَلىَ مَنْ كُنْتْ تِهْواه
وإن تكُنْ ظَالِماً اسْتَغْفِرِ اللهْ

وقـــلْ لقَلْبي الشَّجي الأَمْرُ لله

فهْـو العظِيم الذي للْخَلْقْ راحِمْ

مَوْلاكَ بارِيكْ للِخَـيْر هَادِيكْ

إنْ مُتَّ يُحْيِيـكْ مُنْشِي العَوالِمْ

* * *

الشيخ عثمان زكي اليوسفي :

ولد رحمه الله في معرة النعمان غرة رجب سنة ١٢٩٢ هـ من أبوين ينتسبان الى السيد يوسف ، او اليوسفي ، لأن والده محمد بن الحاج يوسف اليُوسُفي ، وامه بنت شريف بن محمد اليوسفي [١] ، واليوسفيون ، او بنو السيد يوسف ، اسرة قديمة في المعرة ، عريقة في الوجاهة والنبل والشرف ، كما نرى ذلك في ترجمة جدها الأعلى السيد يوسف ، المتصل نسبه بالعباس عم النبي (ﷺ) .

وقد نشأ المترجم في حجر والده ، فلما بلغ سن التعليم ، وضعه أبوه في كتّـــاب على الطريقة المتبعة في المعرة في ذلك العهد ، فقرأ القرآن ، وتعلم أحكام التجويد ، حتى استقامت قراءته.

المعرة في ذلك العهد

يتضح لمن تأمل هذا التاريخ ، أن المعرة كانت في القرن الثالث الى السابع ، تعج بالفقهاء والقراء ، والمحدثين ، والمؤرخين ، والشعراء ، وغيرهم ، من رجال العلم البارعين في علوم مختلفـة ، ثم أخذ العلم يقلّ

(١) وهي خالتي شقيقة والدتي . (ج)

ويضمحل فيها ، لاسيما في أخريات القرن الثالث عشر ، وأوائل القرن الرابع عشر ، يوم كانت خاضعة لسلطان العثمانيين .

ثم انتهى بهـــا الأمر الى أن يكون العلم فيها محصوراً في الفقه والنحو وقليل من المنطق ، فاذا وفق رجل من أهلها الى أن يشدو شيئاً من هذه العلوم الثلاثة ، سمي عالماً ، وقبل الناس يده ، وقد كان فيها في فاتحة القرن الرابع عشر الهجري جماعة من الشبان ، وقليل من الشيوخ يشهدون دروس النحو والفقـه ، وليس فيهم بل في المدينة كلها من يستطيـع ان يقرأ أو يكتب سطرين بغير لحن ، ما عدا مفتي المعرة السيد صالح بن أحمد الجندي ، وأمين الفتوى فيهـــا الشيخ صالح بن رمضان ، ثم توفي المفتي سنة ١٣١٠ هـ ، وانفرد الثاني ، ثم تخلى عن التدريس والتعليم لولده محمد صالح ، فاجتمعت عليه طائفة قليلة من الشبان يقرؤون النحو والفقه ، وأنا من جملتهم ، وكان في المعرة في ذلك الزمن بعض الشيوخ يقرئون طلاباً ، وهم لايعلمون شيئاً من فقه ولا نحو .

في هذا الزمن المجدب ، وفي هذا الأفق الضيق المقفر ، ولد المترجم ، وتعلم القرآن في كُتّاب كما ذكرنا .

وكان منذ حداثة سنه يتلهب ذكاء ، وتطمح نفسه الى ان يكون عالماً وشاعراً ، ولكن لم يساعده الزمان والمكان ، ولم يثن عزمه عن تحقيق رغائبه ، فقد الوسائل وقلة المساعد ، فقرأ شيئاً من كتب النحو كالاجرومية والعوامل ، ومن كتب الفقه كابن قاسم على بعض المعلمين ، ودرس بعض الكتب لنفسه ، ثم اكب على قراءة كتب الأدب والشعر وحفظ منه الشيء الكثير .

فلما ناهز العشرين من عمره ، واتضح له أنه لايجد في المعرة ، وأفقها الضيق ما يشفي علته ، ويطفيء غلته ، عزم على الرحلة الى مدينة حماة لطلب العلم ، فذهب اليها ، واقام فيها اربع سنوات ، وقرأ فيها النحو ، والفقه الشافعي ، والحنفي ، والمنطق ، والعروض ، والبيان والتوحيد ، والتفسير ، والحديث ، وغيره .

أخذ هذه العلوم عن جماعة من شيوخها منهم الشيخ حسن الصمصام المعروف بحميدان ، والشيخ عبد القادر اللبابيدي ، والشيخ عبد الله الحلاق ، والشيخ سعيد النعسان .

ثم مرض والده في المعرة فأستدعاه اليها ، ثم توفي والده ، فأقام في المعرة . وبعد عودته الى المعرة اكب على دراسة الأدب والشعر ، وحفظ الشيء الكثير من دواوين الشعراء ، ولاسيما سقط الزند ، ولزوم ما لا يلزم لأبي العلاء المعري ، وأخذ يقريء الطلاب في المعرة .

وفي سنة ١٣٢٧ رومية الموافقة سنة ١٣٢٩ هجرية تولى بعض الوظائف في عهد الحكومة التركية ، فوظف نائباً شرعياً في ناحية يكيجة قلعة في لواء مرعش ، وفي سنة ١٣٢٨ رومية عين نائباً في تبوك من عمل الكرك وفي سنة ١٣٢٩ رومية عين نائباً في بايرمن عمل اللاذقية . وفي مايس سنة ١٣٣٠ رومية عين عضواً في محكمة البداية في المعرة ، وفي سنة ١٩١٩ م عين رئيساً لكتاب المحكمة الشرعية فيها ، وفي سنة ١٩٢٤ م عين قاضيا في عزاز ، ثم اتهمه الفرنسيون بأنه اشترك مع جماعة من الموظفين في محاولة التعدي على المستشار الفرنسي ، فأخرجوا من وظائفهم ، ثم عادوا اليها ، ولم يستطع هو العود الى وظيفته ، لانه لم يهتد الى ما اهتدى اليه رفاقه من الوسائل ، فعاد الى المعرة ، ولزم بيته الى ان انتهت حياته في فجر الاربعاء في اليوم ٢٢ من رجب سنة ١٣٧١ هـ الموافق/ ١٦ نيسان سنة ١٩٥٢ م .

وقد توفي عن ثلاثة بنين : عدنان ، وعبد المطلب ، واسامة ، وبنت واحدة .

شعره ومنزلته في الشعر في المعرة :

في فاتحة القرن الرابع عشر (الهجري) كان في المعرة جماعة من الشعراء ، إلا أن ملكاتهم العربية ضعيفة ، ولذلك لم يخل شعر واحد منهم من خلل في وزن الشعر ، وارتكاب ما لايسوغ في القوافي ، والخروج عما يقتضيه القياس الصرفي في الأبنية والأوزان ، ومخالفة المشهور بما تقتضيه قواعد النحو .

وكانوا لقاء ذلك يحرصون على أنواع البديع كالجناس والمطابقة والتورية والاقتباس وما أشبه ذلك ، ويندر في اشعارهم الابتكار .

وكان أكبرهم سناً وأولهم شهرة السيد محمد بن السيد عمر اليوسفي المعري ، وهو خال والدة المترجم ، ويليه الشيخ محمد صالح بن رمضان المعري ، وهو اعرفهم بقواعد النحو ، وكان فيهم جماعة من الشبان يقرزمون في الشعر ، ولكنهم لم يطل عهدهم فيه .

ثم لما نبغ المترجم ظهر عليهم ، فكان أكثرهم شعراً ، وأرشقهم لفظاً ، وأقلهم لحنا ، وأسرعهم بديهة .

هده حالة الشعر في المعرة الى اليوم الذي هاجرت فيه منها ، ولم اعلم احداً اشتهر بقول الشعر من اهلها غير هؤلاء ، وقد اجمل المترجم ذكر الجميع ، واحرز التفوق والشهرة في الشعر .

آثار المترجم الشعرية والنثرية :

١ — ديوان شعر كبير ، فيه قصائد مختلفة في الفخر ، والمدح ، والوصف ، والهجاء ، والرثاء .

٢ – ديوان شعر كبير ، فيه مدائح نبوية ، منها قصيدتان مطولتان ، سمى إحداهما علم البردة ، والثانية نطاق البردة .

٣ – قصر آدم ، شعر تساعي مشكل من ١٢٠ تساعية تقريباً .

٤ – أناشيد نبوية مختلفة ، على أوزان بعض الأغاني الشائعة في ذلك الوقت .

٥ – بعض المقاطع النثرية المختلفة والمواضيع والأوصاف التي قالها في مناسبات متع .

وهذه أبيات مختارة من شعره ، في أغراض مختلفة ، منها قوله في الفخر :

إلى صَعْبِ الأُمورِ أعِدُّ صَبْراً
فَأَلْقَى بَعْدَهُ ظَفَراً ونَصْرَا
وَفي جِدّي سَأُعْرَفُ لا بِجَدّي
وَجَدّي في الظَّلامِ رَأَوْهُ بدْرَا
إذَا الخَطْبُ الجَسِيمُ دَنَا لِظَهْرِي
فَتَحْتُ لَهُ مَعَ التَّرْحِيبِ صَدْرا
خَطَبْتُ فَضِيلَةً لأَكُونَ بَعْلاً
لَهَا والنَّفْسُ قَدْ أَعدَدْتُ مَهْرا
تَقُولُ أَلَسْتَ مَنْ عَشِقَ المَعَالي
وَخَلَّفَ خَلْفَهُ حَسَداً وَغَدْرَا

فَقُلتُ بَلَى وَقَدْ جَرّبتُ دَهْرِي

وَذُقْتُ شَرابَهُ حُـــلْواً وَمُرّا

* * *

وَلِي قَوْمٌ إذا الهَيْجَاءُ هَاجَتْ

تَسُلُّ سُيوفَهـــا وَتَهُزُّ سُمْرا

فَتَمْلأُ بَطْنَ تِلكَ الأرْضِ قَتْلَى

وَتَكْسُو ظَهْرَهَا جَرْحَى وأَسْرَى

* * *

إذا شَانَ الحَسُودُ ثيابَ فَضْلِي

رُوَيداً حَاسِدِي سَتَمُوتُ قَهْرا

أفي نَفَسِ البَعُوضِ طَفَأْتَ شَمْساً

وفي جَوْفِ الذّبَابِ وَضَعْتَ بُرّا

بِضَعْفِكَ هَلْ تَظُنُّ تُقِلُّ رَضْوى

وَرَضْوَى شَامِخٌ عِظَماً وقَدْرَا

* * *

ومنها قوله في المدح من قصيدة مدح بها الأمير فيصل بن الحسين وقد ألقاها أمامه :

لفَيْصَلِ آل الضّادِ أرْفَعُهُ شِعْراً
أقلِّدُهُ نظماً وأنقُـــدُه نثْرا

قَدِمْتَ علَيْنَا بَاسِماً خيْرَ مَقْدَمٍ
فَشِمْنَا مُحَيّاً أخجَلَ الشّمْسَ و البَدْرَا

سَرَيْتَ إلى تَحْرِيرنَا وَبِلَادِنَا
مُرَافِقَ تَوْفِيقٍ تبَارَكَ مَنْ أسْرَى

سَرَيْتَ لِدَارِ السِّلْمِ تَطْلُبُ حقَّنَا
فَذكَّرْتنَا أفدِيكَ في قِصّةِ الإسْرا

وفكّيتَ يَاحَامِي العُرُوبَةِ أُمّةً
بِأَيْدِي لِئَامِ التُّركِ مَا ثلّتِ الأسْرَى

فأهلا وسَهْلا بالأمِيرِ وَمَرْحَبـــاً
وَمَا أحسَنَ التَرحِيبَ فِيهِ وَمَا أمْرا

فَيَا فَيْصَلَ الْعُرْبِ الكِرامِ وَلَيْثَهُمْ
عَلى رَغْبَةٍ مِنّا أَحلْنَا لَكَ الأمْرا

فَجرِّدْ سَدِيدَ الحَزْمِ فِينَا وَلاَ تَقُلْ
إذَا حَرموا عَدْلاً أقيم لَهُمْ عُذْرا

* * *

وَفَيْصَلُنَا مَاضِي العَزِيمَةِ بَاسِلٌ
فَنَجْعَلُـــهُ في كُلِّ حَادِثَةٍ ذُخْرا
أيَا عَلَمَ الأَجْدادِ نَفْدِيكَ كُلُّنَا
وَدُونَكَ لَمْ نَمْنَعْ نُفُوساً وَلاَ تِبْرا
فَدُمْ خَافِقاً بالعِزِّ فَوْقَ رُؤُوسِنا
وَدُمْ سَامِياً حَتى تُصَافِحَكَ الزُّهْرا

* * *

ومنها قوله في الوصف ، قال في وصف الربيع :

هَـذَا الرَّبِيعُ أَتى بِحِلَّةِ سُنْدُسِ
غَزَلَ ٱلْغَمَامُ خُيوطَها في الحِنْدِسِ
وَيَدُ ٱلطَبِيعَةِ أَتقَنَتْ مَنْسُوجَهَا
فَبَـدَتْ بِأَبْهَجِ زِينَةٍ للأَنْفُسِ
وَبِهِ الوُرُودُ[1] تَفَتَّقَتْ أَكْمَامُهـا
فَزَهَتْ كَوَجْنَاتِ الجَوارِي ٱلْكُنَّسِ
وَمُدَبَّجُ المَنْثُورِ طَرَّزَ ذَيْلَهـــا
خَوْفَ الإِصَابَةِ مِنْ عُيُونِ ٱلنَرْجِسِ

---

(١) كذا (ج) .

وَالطَّلُّ طَوَّقَها بِلؤلؤِ عِقْـدِهِ

فَكَأَنَّ نَثْرَ الْعِقْدِ نَظْمُ مُهَنْدِسِ

والنَجْمُ كالنجمِ المضيءِ مُبَعْثَرٌ

لَكِنَّ هَذا في الضُّحَى لَمْ يُطْمَسِ

والشَّقْشَقِيق[1] نَضَا قَميصَ مَنامِهِ

فانْظُرْ لِجيدِ الشَّاعِرِ المُتَلَمِّسِ

* * *

ومنها قوله في الحكم والارشاد :

العِلْمُ فَرْضٌ وإنَّ العِلْمَ بالعَمَلِ

والزُّهدُ زَيْنٌ ولَيْسَ الزُّهدُ بالكَسَلِ

وَقَدْرُ كُلِّ امرِئٍ مَا كانَ يُحْسِنُهُ

وتَرْكُ مَا لَيْسَ يَعْني أجْمَلُ الجُمَلِ

* * *

لاَ تُودِعِ السِّرَّ إلاَّ في السَّرائِرِ أَوْ

تَحتَ التَّرائبِ أوْ للْخَيْلِ والإِبلِ

(١) كذا (ج).

سَلِّمْ عَلى مَنْ تَرَى مِمَّنْ عَرَفْتَ وَلَمْ
تَعْرِفْ وَحَيِّ صَغِيرَ القَوْمِ كَالرَّجُلِ
عَلى بَني الجِنْسِ لاَ تَفْخَرْ بُنَيَّ تَجِدْ
حَمْداً يُوازِيهِ كِبْرُ التَيْسِ في الثِقَلِ
والدُّودُ لا يَزْدَهِي بالخَزِّ مفتَخِراً
لاَ يَفْخَرُ المِسْكُ في آرَامِهِ الهُزُلِ

* * *

ومنها قوله في الهجاء :

مَا حجّ مَا صَامَ مَا زَكّى ولاَ صَلَّى
وإنّهُ للأَذَى قَدْ سَابَقَ الصِّلاّ
رَابَى وقَامَر ثُعلاَنَا وَمَذْهَبُهُ
جَمِيعُ مَا حلّ في كُفْرٍ لَهُ حلاّ
لِمؤمِنٍ مَا وَفى عَهْداً وَلَا رَحِماً
وَذِمّةً مَا رَعَى فِيهِ وَلَا إلاّ
وكُلّ كَلّ إذا مَا جاء يَسْأَلُهُ
عَنِ القِيامَةِ لَمْ يَسْمَعْ سِوَى كَلاّ

رَغِيفُهُ في قَرَارِ البَحْرِ مَخْبَؤُهُ
لِحفْظِهِ قد أقامَ السُّمَّ والسُّلاَّ
النَّمْلُ تَسْرَحُ في تَنُّورِهِ مَرَحاً
والعنْكَبُوتُ فراغَ القِدْرِ قد ملاَّ
معبُودُهُ اثْنانِ دِينارٌ ومَيلُ هَوىً
ووَجْهُهُ لِخَبيثِ الكسب قد ولَّى

* * *

ومنها قوله في الرثاء ، من قصيدة يرثي بها زوج أخته مصطفى ماجد ابن خال والدته محمد بن عمر اليوسفي ، ومطلعها

حَسْبِيَ اللهُ مِنْ قَضَاء ٱلْقَضَاءِ
فَهْوَ ذُخْرِي وَعُدَّتي وَرَجَائي

وفيها يقول :

لَيتَ شِعْري يامَوْتُ هلْ أَنتَ صَبٌّ
ذُو غَرَامٍ إلى سَمَاعِ ٱلْبُكَاءِ
فَرُوَيْدا قَصَفْتَ غُصْنَ رِيَاضٍ
وَعَلَيْها غَرَسْتَ طُولَ شَقَائي
مُصْطَفَى أنتَ يَامُسَامِرَ رُوحِي
وَحَبيبي في شِدَّتي وَرَخَائي

مَاجِـــداً قَدْ دَعَاكَ كلُّ كمَالٍ
وَكَبيراً في زُمْرَةِ الكُــبَرَاءِ
وَبلُطفٍ نشَرتَ مَطْوِيَّ ظَرْفٍ
وَبِفضْلٍ كَنزْتَ دُرَّ الذَّكاءِ

* * *

لَهفَ قَلْبي عَلَى ثَلاثٍ صِغَارٍ
كَيَتَامَى صَارُوا يَتَامَى البلاءِ
بِعُيُوني عُيُونُهمْ حِـــينَ تَبْكي
وَبِقَلْبي يَالَيْتَ سَهْمُ ٱلْقَضَـــاءِ

* * *

وفيها يقول بعد أن ذكر أولاد المرثي متصدياً لذكر أبيه :

أَينَ خَلَّفْتَ ذلكَ الشَّيخَ يَبْكي
بِدُموعٍ تَحْكي دُموعَ السَّمَاءِ

ويقول

أيُّهـــا الحَامِلي سَريرَ حَبيبي
ذَاكَ عَرْشٌ مُجَلَّلٌ بِالبَهَـــاءِ

لا تُوارُوهُ في الثرَى فهوَ بدرٌ
وتحـــلُّ البدُورِ فوقَ السَّماءِ

ويقول :

أيها الرَّمسُ إنَّ لي فيكَ رُوحاً
طبْتَ ريحاً بهِ بِدُونِ افْتِرَاءِ
أيها الرَّمسُ صِرتَ كعْبَةَ حجّي
وحطيمِي ومَرْوَتي ومنَـــائي
أنتَ عِندي كطُورِ سِينَا جَلالاً
أنتَ عِندِي كالمسْجِدِ الأَقْصاءِ[1]

ويقول :

ربِّ اسقِي[2] ثرَىَ فَقِيدي عفْواً
واعفُ عنّـــا يا أَرحَمَ الرُّحَمَاءِ

وقد كان المترجم رفيقي في عهد الحداثة ، وصديقي في عهد الشباب ، وصفوة الصفوة من أخلائي وأقربائي مدة مقامي في المعرة ، وبعد هجرتي منها ، لم يؤثر بعد الدار في وفائه وولائه ، ولا غيرت ندرة المزار شيئاً من صفائه .

---

(١) كذا (ج) .
(٢) كذا (ج) .

وكان يتمتع بصفات كريمة وأخلاق فاضلة ، من شأنها أن تفرض محبته على جليسه وأليفه وصديقه ، لأنه كان ذكياً دقيق الحس سريـــع الفهم حاضر البديهة فكه الحديث ، طلق المحيا ، محباً للنـادرة ، أبي النفس وفياً لأوليائه صبوراً على نكبات الزمان والاخوان .

هذا ما عرفته فيه من فاتحـة حياته إلى أن فارقها ، فرحـم الله تلك النفس الزكية ، وتغمدها برحمته ، وأنزلها منزلاً مباركاً من جنته .

وقد طلبت من ولده الكبير السيد عـدنان أن يرسل لي مختصراً من ترجمة والده ، ومختارات شعره ، فأرسل الي جملة اخترت منها ما أثبته هنا بنصه وفصه ، وذكرت له أبياتاً أخر في موضع آخر من هذا الكتاب .

* * *

القاضي عز الدين بن المُنجا المعري .

كان عالماً فاضلاً ، حنبلي المذهب ، ولي القضاء في دمشق ، وتوفي في جمادى الأولى سنة ٤٧٦ هـ .

* * *

صدر الدين علي بن أحمد الصيَّاد .

ولد في متكين ونشأ فيها في حجر والده وخلفه في مشيخة الرواق . وكانت ولادته سنة ٦٤٥هـ وتلقى العلم عن جماعة ، منهم القاضي عز الدين بن الصائغ والعلامة جمال الدين بن واصل . ثم انقطع عن الناس وله شعر منه :

عظِّموا ذكْرَ حبيبي ... فيهِ المكسُورُ يُجبرْ
واتْرُكُوا الأغيارطُرّاً ... ولَذِكْرُ الله أكْـــبرْ

وتوفي سنة ٦٩٥ هـ ، ودفن بجانب أبيه ، وعلى قبريهما صندوق واحد ، وأعقب شمس الدين محمداً وعبد السميع ، ومات صغيراً ، وأحمد شمس الدين الأصغر ، ويوسف أبا القاسم .

* * *

أبو الحسن علي بن ابراهيم المعري :

لم أقف على نسبه ، ولا حقيقة ترجمته ، ولكن يتبين مما ذكر صاحب فصول الحكماء (١) انه كان من العلماء والشعراء ، ومن شعره قوله :

كَتَبْتُ إليهِ : هَل تَرُومُ زيارَتي

فوقَّعَ : لا ، خَوْفَ الرقيبِ المُصدِّقِ

فأَيقنتُ مِن لا بالعِناقِ تفاؤلاً

كما اعْتَنَقَتْ لا ثم لم تتفرّقِ

* * *

أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن الدويدة المعري :

ذكر ابن عساكر في ترجمة عمار بن الحسن التنوخي المعري الآتي ذكره : انه روى شعر خاله أبي سالم عبد الله ، وأبي الحسن علي ا ، وذكر من شعر أبي الحسن قوله :

---

(١) هو أبو الهدى الصيادي المتوفى ١٣٢٧ هـ ، وكتابه هذا في التراجم، طبع في مة هندية بالقاهرة ١٣٢٤ هـ

فَقَدْ برَّحَ الدَّمْعُ مِنْ مُقْلَتي
وَمُوجِبُهُ طُولُ صدٍّ وبيْنِ

فأبكي ويَضْحكُ شَجْوي عسى
يخفُّ وينْظُرُ نوأ بعيْني

وسيأتي في ترجمة أبي محمد مجد القضاة انه روى عن أبي الحسن هذا

* * *

أبو الحسن علي بن جعفر بن الحسن بن محمد بن موسى المعري :

شاعر اجتاز بدمشق ، وتوجه الى مصر ، فمدح بها الأفضل ابن أمير الجيوش وزير صاحب مصر ، ومن شعره هذان البيتان ، وقد كتب بهما الى الأفضل يعتذر اليه ·

وَهَبْني أسَأْتُ فكرَتي أوْ تعدّدت[1]
عَلَيّ القَوافي أوْ جَفَتْني المقَاصِدُ

أمَا كانَ في حُكْم التناصُف بَيْننا
تَراضٍ ولي مِنْ حُسْنِ رأيك عَاضِدُ

وقد توفي أبو الحسن بمصر سنة ٥٠٥ هـ ، وقد نيف على الستين.

---

(١) تعذرت (ج)

ابو الحسن علي بن جعفر بن محمد بن نونن المعري

قال أبو اليمن محمد بن الخضر السابق المعري في ابن نونن « له روعة ليس لها في البعد تحصيل، مثل حبال[1] الشمس ممدودة . ما فاتها ضعف ولا طول » .

وذكره ابن عساكر[2]

* * *

علي بن أبي المعالي بن خضير المعري :

سمع من ظهير الدين الزَّنجاني المتوفى سنة ٦٧٤ ﻫ

ذكر ذلك أبو المعالي محمد بن رافع السلامي المتوفى سنة ٧٧٤ ﻫ في كتابه المسمى منتخب المختار ، ذيل تاريخ ابن النجار ، ذيل تاريخ الخطيب البغدادي طبع بغداد .

وقال في الدرر الكامنة : علي بن أبي المعالي بن خضر التنوخي المعري ، ثم الدمشقي ، أبو الحسن : ولد سنة ٦٥١ ﻫ وحمل الى دمشق وهو ابن خمس سنين وحفظ القرآن وتعلم الحياطة وسمع من أحمد بن عبد الدائم وابن أبي اليسر ، وعلي بن الأوحد ، والمقداد القيْسي ، ويحيى ابن أبي منصور ، وغيرهم . وحدث ، وأقرأ الأطفال ، وكان يلازم الجامع .

ومن مسموعه على اسمعيل بن ابي اليسر فضل الخليل للقاسم بن عساكر بسماعه منه ، مات في رابع جمادى الأولى سنة ٧٣٧ ﻫ .

* * *

---

(١) في الأصل : (مثل خيال)

(٢) تاريخ ابن عساكر ٦ : ١١ (ج)

ابو القاسم علي بن الحسن بن جلبات التنوخي المعري :

لم أقف الا على طرف من أخباره ، وطرف من أشعاره ، وهما يدلان على انه كان في عهد عضد الدولة المتوفى سنة ٣٧٢ هـ ، وقد ذكر ياقوت في ترجمة المُحَسِّن التنوخي [١] ، ان عضد الدولة كان من عادته اذا اوشكت ان تنقضي السنة الشمسية من مولده ، جلس قبلها بنحو ساعة في مجلس عظيم ، وقد وصفه وصفاً رائعاً وقال : يدخل عليه فيه اعيان الدولة ، وكان اول من ينشده فيه من الشعراء التنوخي ، ثم ابو الحسن السَّلاَمي ، ثم ابو القاسم علي بن الحسن التنوخي الشامي من أهل معرة النعمان ، يعرف بابن جلباب [٢] .

وقال الثعالبي [٣] : ابو القاسم علي بن جلبات احد افراد الدهر في الشعر . . وقع الي من شعره الصحيح قصائد في الخليفة القادر بالله ، والوزير ابي نصر سابور بن ازدشير ، فاخرجت غررها ، وهي سوى مايقع من شعره في مجموع اشعار اهل العراق في الوزير سابور ، واذا سقت ذلك اكرر ذكر ابن جلبات في جملتهم .

وامتدح ابوالقاسم المذكور ابا العلاء المعري ، فاجابه بقصيدة مطلعها [٤] :

يَرُومُكَ والجَوْزَاءُ دُونَ مَرامِهِ
عَدُوٌّ يَعيبُ البَدْرَ عِنْدَ تَمامِهِ

(١) ياقوت : معجم الادباء ٦ : ٢٥٩ (ج)

(٢) وهو تحريف من الطابع والصواب جلبات ، كما يدل على ذلك شعر ابي ألعلاء (ج)

(٣) الثعالبي : يتيمة الدهر ٢ : ٢٧٠ (ج)

(٤) ابو العلاء : سقط الزند ١ : ٩٩ (ج)

وفيها يقول :

بَنُو الجَلَبَاتِ البَاعِثُونَ مِنَ النَّدَى
سَرَايَاهُ والغَازُونَ وَسْطَ لِهَامِهِ

ويقول :

وَلَوْلَا سَعِيدٌ بَاتَ نَدْمَانَ كَوْكَبٍ
يُرِيقُ لَهُ فِي الأَرْضِ شَطْرَ مُدَامِهِ
وكَانَتْ بَقَايَا نِعْمَةٍ عَضُدِيَّةٍ
تَرُدُّ إلى الزَوْرَاءِ بَعْضَ اهْتِمَامِهِ

ويقول :

فَأَنْضَى عَلِيٌّ خَيْلَهُ وَرِكَابَهُ
وَلَمْ يَأْتِ إلاَّ فَوْقَ ظَهْرِ اعْتِزَامِهِ

ويفهم من هذه القصيدة وشرحها في التنوير ، والضرام ، والتبريزي والبطليوسي : ان عضد الدولة استعمل عليا هذا على بغداد ، ورد امورها اليه ، وان رجلا يقال لهسعيد حمله على مفارقة بغداد الى حلب ، وهي من جيد الشعر ، وفيها من التشبيه البديع والأخيلة الرائعة مالا نكاد نجد مثله في غيرها . ولأبي العلاء في السقط قصيدة اخرى مطلعها :

أَيَدْفَعُ مُعْجِزَاتِ الرُّسْلِ قَوْمٌ وَفِيكَ وَفِي بَدِيهَتِكَ اعْتِبَارُ
وَشِعْرُكَ لَوْ مَدَحْتَ بِهِ الثُّرَيَّا لَصَارَ لَهَا عَلَى الشَّمْسِ افْتِخَارُ

ويفهم من قول التبريزي والخوارزمي انه قال هذه الابيات يجيب بها أبا القاسم بن جلبات .

وهذه أبيات من قصيدة قالهـــا أبو القاسم في الخليفة القادر بالله المتوفى سنة ٤٢٢ھ وكانت خلافته سنة ٣٨١ھ .

وَفي الدَّهرِ عَنْ مُطْلٍ بما هُوَ واعِدٌ
فَسَاخِطُهُ رَاضٍ وَشَاكِيهِ حَامِدُ

وأُدْرِكَتِ الرِّيَّ الخِلافَةُ بَعْدَمَا
تَجَهَّمَهَا عَنْ مَوْقِفِ الحقِّ زَائِدُ

رَأتْ قَادِراً باللهِ لَمْ يَعْدُ قَدْرُهُ
مَدَى العَفْوِ عَمَّا رَامَ بَاغٍ وحَاسِدُ

رَأَيْنَا بِهِ العَبَّاسَ مَعْنًى وصُورَةً
فَمَا عُدَّ عَنَّا غَائِبا فَهُوَ شَاهِدُ

تَقَيَّلَهُ فَضْلاً أَشَادَ بِذِكْرِهِ
لَهُ قَبْلَهُ جَدٌّ كَرِيمٌ وَوَالِدُ

كَذَاكَ الأُصولُ الزَّاكِياتُ ذَوَاهِبٌ
الى مَارَأَتْها بالزَّكاءِ المحاشِدُ

وَمَنْ يَكُ للهِ المُهَيْمِنِ سَعْيُهُ
يَنَلْ سَاعِياً في ظُلْمِه وَهْوَ قَاعِدُ

ومنها :

فَلِلّـهِ مَاتأتِي وللهِ مَاترَى
وَمَا أنتَ فيهِ صَادِرُ الأمْرِ وَارِدُ

وَمُلّيتَ مِن رَبِّ السَّماءِ فَوائداً
عَدُوُّكَ مِنها قَبْلَ سَيْفِكَ فَائِدُ

فَوَاللهِ ما تَدْرِي ألَيْثُ ضُبَارِمٍ
مُفيتُ الأَعَادِي أنتَ أمْ أنتَ عَائِدُ

كَذَا الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الأُولَى مَضَوْا
وأنتَ عَلَيْهِـــمْ بالبَقِيَّةِ زَائِدَ

فَلا عَوَّلَتْ إلاَّ عَلَى مَجْدِكَ العُلَا
وَلا انْتَسَبَتْ إلاَّ إليْكَ المَحَامِدُ

وقال في الوزير سابور بن ازدشير المتوفى سنة ٤١٦ ﻫ :

رُوَيدَكَ قَـــدْ تَعَالَيْتَ اطِّلاعَا
عَلَى العَلْيَاءِ هَمـــاً وارتفَاعَا

وَنَفْسُكَ لاَ تَرَى بِبُلُوغِ مَجْدٍ
وَإنْ أوْفَى عَلَى النَّجْمِ اقْتِنَاعَا

إِذَا مَا خِطَّــةٌ ضَاقَتْ عَلَيْهِ
أَشَرْتَ لَهـا فَأَمْعَنَتِ اتِّسَاعَا

بِرَأْيٍ مَـا رأَتْهُ الشَّمْسُ إِلا
تَمَنَّتْ أَنْ تَكُونَ لَهُ شُعَاعَا

أَذَلَّ بِعِزِّهِ صَرْفَ اللَّيــالِي
وَرَامَ عَصِيَّها حَتَّى أَطَاعَا

نَـدًى وَبَسالَةً عِلْمــاً يَقِيناً
بِأَنَّهُما بِـهِ فِي الخَلْقِ ذَاعَــا

تَكَفَّلَ ذَا نَدَاكَ وَمَا رَأَيْنَا
جَوَاداً كَامِلاً إِلا شُجَاعَــا

وَدُنَكَ كُلُّ بِكْرٍ لَم تُمَلَّــكْ
سِواكَ لَهَا مِنَ الأَنفِ اقْتِرَاعـا

رَأَتْ حُسْنَ اخْتِرَاعِكَ لِلمَعَالِي
فَبَارَتْهـا مَعَانِيها اخْتِرَاعَــا

وَهَـا أَنَا ذَا أَرَى لَكَ كُلَّ وَقْتٍ
بِبِدْعٍ مِنْ مَكَارِمِكَ ابْتِدَاعَــا

تُرَاعِي أمْرَ ذَا وَتُرِيشُ هَـــذَا
فَمَالِي لاَ أُرَاشُ وَلاَ أرَاعَى
فَلاَ زَالتْ لَكَ الدُّنْيا فِنَـاءً
وَلاَ حَلَّ الفَنَاءُ لَهَا رِبَاعَــا
فَقدْ اضحَى اخْتِرَاقُ المَجْدِ فِيمَنْ
حَوَتْـهُ مِنَ الوَرَى فيك اجْتِماعَا

* * *

وله من اخرى فيه .

فَدُمْ يَا وَزيرَ العُـــلاَ والنُّهى
تَنَـــالُ المُنى وَتُوقَى الحِذَارَا
وَرَاعِ اخْتِـــلاَلِيَ سِرّاً وَلاَ
تُرَاعِ رِيَاءَ اخْتِلاَلِي جَهَـــارا
وَلاَ تسْتَمِـع خَبَراً طَارِيـــاً
عَنِ المَرْءِ أوْ تَبْتَليهِ اخْتِبَارَا
وَلاَ تَحْسَبَنْ كُلَّ عُـــوْدٍ يُرِيـ
ـكَ مَا أنتَ مُورٍ مِنَ القَدْحِ نَارا

فَمَا كُلُّ وَحْشٍ يُرَى ضَيْغَمًا
وَلَا كُلُّ عُودٍ يُسَمَّى عقَارًا

وقال فيه :

أَبَا نَصْرٍ وَأَنْتَ البَحْرُ طَامٍ
عَلَى العَافِينَ جَيَّاشُ العُبَابِ
يُقِيمُ مَقَامَ جَيْشٍ مِنْ لُيُوثٍ
بِفَضْلِ نُهَاهُ سَطْراً مِنْ كِتَابِ

ومنها :

رَآكَ لِقَصْدِهِ أَهْلاً وأَنَّى
يُرَجَّى الغَيْثُ مِنْ غَيْرِ السَّحَابِ
وَقَدْ أَظْمَاهُ وِرْدُ سِوَاكَ إِلاَّ
الأَقَلَّ وَأَيُّ وِرْدٍ مِنْ سَرَابِ

وقال من اخرى :

وَيَسْتَبْشِرُ الإِسْلَامُ أَنَّكَ سَالِمٌ
وَأَنَّ بَقَاءَ المُلْكِ بِاسْمِكَ دَائِمُ

وَأَنَّ المَعَالِي مَا بَنَى لَكَ ذُو العُلاَ
وَلَيْسَ لِمَا تَبْنِي يَدُ اللهِ هَادِمُ
أنا الشَّمْسُ إنْ لَمْ تَستَبِنْ عَيْنُ نَاظِرٍ
ضِيَائِي فَإِنَّ الذَّنبَ للعَيْنِ لاَزِمُ

ألم ابو العلاء بهذا المعنى في قوله :

وَالنَّجْمُ تَستَصغِرُ الأَبْصَارُ رُؤْيَتَهُ
وَالذَّنبُ للطَّرْفِ لا للنَّجْمِ في الصِّغَرِ

* * *

وَمَا دُمْتَ بَعْدَ اللهِ لي عَنْهُ رَازِقاً
فَمَا أَتظَنَّى أَنَّهُ لِيَ حَـــارِمُ

وقال من أخرى :

وَأَنتَ فَرْعٌ زَكَاهُ الأَصْلِ مِنْهُ وَلاَ
يَطِيبُ إلّا بِطِيبِ المَنْبِتِ الثَّمَرُ
وأَنتَ بَحْرُ النُّهَى مَا لِلْعُقُولِ إلى
سِوَاهُ مَوْرِدُ صَفْوٍ مَالَهُ كَدَرُ
وَأَنتَ بَيْتُ النَّدَى طَافَتْ بِكَعْبَتِهِ
حُجّاجُهُ وَنَدَاكَ الرُّكْنُ وَالحَجَرُ

وَقَدْ عُرِفْتَ وَلَمْ تُحْدَدْ بِمَنْزِلَةٍ
وَالشَّيْءُ يُجْهَلُ عِلْماً وَهُوَ مُشْتَهِرُ
كَالشَّمْسِ تُدْرِكُهَا الأَبْصَارُ ظَاهِرَةً
وَحَدُّ مَنْزِلِهَا بِالغَيْبِ مُسْتَتِرُ
والمُلْكُ مِنْ بَعْدِ طُولِ الكَدِّ في دَعَةٍ
كالعَيْنِ أَغْضَتْ وَقَدْ أَعْيَا بِهَا السَّهَرُ
إِلَيْكَ جَابَ الفَلا عَزْمٌ تَمَثَّلَ في
تَحْقِيقِهِ مِنْكَ قَبْلَ المَوْرِدِ الصَّدَرُ
فِي كُلِ طَامِيَةٍ بِالآلِ ظَامِيَـــةٍ
تَصْدَى بِهَا النَّفْسُ مَا يَرْوِي بِهِ النَّظَرُ
إِذَا الرَّكَائِبُ مِنْ أَشْبَاهِهَا لَعِبَتْ[1]
بَعْدَ المَقِيلِ تَوَلَّى حَثَّهَا الأَشَرُ
أَبُثُّهَا فِيكَ آمَالِي فَمَا انْتَظَرَتْ
لِفَرْطِ مَا طُوِيَتْ مَا كُنْتُ أَنْتَظِرُ

(١) كذا في الدرة ولعلها لغبت (ج) .

حَتَّى إذا هِي حَلَّتْ مِنْ ذُرَاكَ حِمًى
قَالَتْ إلى مُنْتَهى المَجْدِ انْتَهى السَّفَرُ

أَلَسْتَ يا أبا نَصْرٍ مَدى أَملي
وأنني بِكَ في اللأواءِ مُنْتَصِرُ

فَمُرْ زَمَانِي لَا يَنْتَابُنِي بِأَذًى
فإنَّـهُ لَكَ فِيمَا شِئْتَ مُؤْتَمِرُ

وذكره أبو حيان التوحيدي[1] فقال : « وأما ابن جلبات فمجنون الشعر ، متفاوت اللفظ ، قليل البديع ، واسع الحيلة ، كثير الزَوَق[2] ، قصير الرشاء[3] ، كثير الغثاء[4] ، غرة نَفاقه ، ونفقه نِفاقه[5] »[6]

* * *

(١) ابو حيان التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ١ : ١٣٥ (ج) .

(٢) كذا صحح وقيل :الزوق جمع الزاووق وهو في الاصل الزئبق والمراد مايحسن به الشيء (ج) .

(٣) الحبل (ج) .

(٤) البالي من ورق الشجر المخالط زبد السيل (ج) .

(٥) النفاق: بفتح النون الرواج . وبالكسر: الدخول في الاسلام من وجه والخروج عنه من وجه آخر والمراد هنا ان يظهر غير مايضمر (ج) .

(٦) ونجد طرفاً من اخباره واشعاره في معجم الادباء ج ٦ ص ٢٥٩ والميمني ١٩ وشرح سقط الزند ١٠٣ ويتيمة الدهر ٢٧٠ (ج) .

علي بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن معالي بن ابراهيم نور الدين بن الزين بن العلاء المعري الأصل ، الحلبي ، الشافعي ، ويلقب ابوه بابن البارد.

كان نقيب المحب ابن الشحنة ، وفي خدمته ، مع عقل وفهم ، وحذق في المباشرة ونحوها ، ثم تنافرا .

وولي قضاء الشافعية بحلب ، وكتابة سرها ، ونظر جيشها ، ومات في شوال سنة ثمانين وثمانمائة للهجرة ، وقد جاوز الخمسين (١) ، وقد انشأ في سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة في حلب تربة ، تعرف بتربة القاضي نور الدين بن المعري ، شرقي تربة سودي خارج باب المقام ، وهي مشتملة على قبة ، وشبابيك من الحجـــارة الرخام الصفر والسـود ، وفي داخلها فسقيتان ، احداهما للموتى الذكور ، والأخرى للاناث (٢) .

* * *

ابو الحسن علي بن محمد ابي المجد اخي ابي العلاء :

ذكر ابو غالب بن المهذب في تاريخه : ان مولده في سنة خمس واربعمائة وكان فاضلا ، سمع على عمه ابي العلاء جميع أماليه ونسخها بخطه ، وولي قضاء معرة النعمان ، وحماة ، وكانت ولايته قضاء حماة سنة احدى وخمسين واربعمائة

وقد رثاه ولده القاضي ابو مرشد سليمان حين موته بابيات مطلعها :

شَهِدْتُ لَقَدْ أُبْقَتْ بِدِينِ مُحَمَّدٍ
وَفَـــاةُ عَلِيٍّ ثُلْمةً مَالَهَا سَدُّ

---

(١) كذا في الضوء اللامع ج ٥ ص ٢٣٦ وذكر في ج ٥ ص ١٠٥ ان عثمان بن احمد .. بن اغلبك ولي كتابة السر ونظر الجيش في حلب بعد وفاة النور المعري (ج) .

(٢) ترجمته في الضوء اللامع (للسخاوي) ج ٥ ص ٢٣٦ واعلام النبلاء (للطباخ) ج ٥ ص ٢٨٧ (ج) .

وقد تقدمت في ترجمة سليمان .

وله من الولد : سليمان ، ومدرك [1] ؟

* * *

ابو الحسين علي بن محمد بن عبد الاطيف المعروف بابن زُرَيق :

كان من العلماء . وعدّه ابن العديم فيمن قرأ على ابي العلاء،وله ولدان : ابو الفضل احمد ، وابو الحسن يحيى ، وقد ذكرنا ترجمتيهما .

* * *

علي بن محمد بن عثمان بن ابراهيم بن محمـــد التنوخي المعري ، المعروف بالعزازي الشـافعي :

نزيل دمشق ثم حلب .تفقهوبرع وشغل الناس،وكان حسن الاخلاق مات في دمشق سنة ٧٣٢ هـ [2] .

* * *

ابو الحسن علي بن مرضي بن مدرك بن علي بن محمد اخي ابي العلاء :

ولد بمعرة النعمان ، ونشأ بحماة ، وسكن دمشق مدة ، ثم عاد الى حماة وتوفي فيها في الزلزلة التي خربتها في يوم الاثنين رابع رجب سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة .

وكان فاضلا ، وشاعراً مجيداً مكثراً .

وذكر ابن العديم في الانصاف من شعره هذه الابيات الاربعة :

---

(١) ونجد ذكره في الانصاف (ج)

(٢) كما نقله في الدرر الكامنة عن ابن حبيب (ج)

أَجابَتِ الدَّارُ عَلَى عِيِّها   إنَّ سُكُوتِي عَنْكَ إقْرَارُ

الى اخرها . وقال : انها جواب على ابيات ثلاثة لابي المجد أولها :

وَقَفْتُ بالدَّارِ وَقَدْ غُيِّرَتْ   مَعَالِمُ مِنْهــا وآثَارُ

وقد تقدمت الابيات السبعة في ترجمة ابي سهل عبد الرحمن بن مدرك عم المترجم ، وذكر ابن عساكر كثيراً من شعره ، الذي سمعه منه او رواه له عنه ابو اليسر شاكر ، منه قوله :

وقوله :

تَوَلَّى الشَّبابُ وَحَانَ المَماتُ   وَقَرَّبَ لي الشَيْبُ إتيَانَـهُ

وَيَعْلَمُ مَا في الكِتَابِ الذَّكيُّ   مِنْ حَيْثُ يَنْظُرُ عُنْوَانَـهُ

إذَا مِتُّ جَاوَرْتُ مَنْ لَمْ يَزَلْ   يُجِيرُ مِنَ النَّارِ جِيرَانَـهُ

فَأسْألُ تَوْفِيقَهُ في المَعَادِ   ورَحْمَتَـهُ لي وَغُفْرَانَــهُ

فَلَيْسَ المُوَفَّقُ إلاَّ الذّي   يُوَفِّقُــهُ اللهُ سُبْحَانَـهُ

وقوله :

لاَ تَفْعَلَنَّ بَعْضَ الجَميـ   ـلِ مَعَ امْرِىءٍ وَافْعَلْهُ كُلَّهْ

وَإذَا أَتَمَّ جَمِيْـلَهُ   مروا ودَامَ فَـا أحَلَّهْ

وَعَليكَ في الإكْرَامِ مِنْ   شَرْطٍ وَمَا في الشَّرْطِ عِلَّهْ

وقوله :

لَا تُقْـدِمَنَّ عَلَى التَّظَا ... لُمِ واقْصِ عَنْكَ الظُّلْمَ بُعْدا
فَالدَّهْرُ قَـدْ يُعْدِي عَلى ... مَنْ كَانَ فِيهِ قَـدْ تَعَدَّى

وقوله :

سَأَجْعَلُ نَفْسِي في مَكَانٍ يُعِزُّهَا
وَأَرْفَعُهَا عَنْ قُرْبِ مَنْ هُوَ دُونَهَا
وَمَا أَنَا مِمَّنْ تَقْبَلُ الضَّيْمَ نَفْسُهُ
وَلَا بِتُّ فِي بَيْتٍ أَرَى فِيهِ هُونَهَا
وَإِنِّي لَذُو نَفْسٍ عَلى الضَّيْمِ تَنْطَوِي
لَئِنْ أَنَا لَمْ آنَفْ لَهَا أَنْ يُهِينَهَا

ومنه :

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ عَقْلٌ لَقِيتَهُ
كَمِثْلِ اللَّقَا في أَعْيُنٍ وَقُلُوبِ
يُعَدُّ غَرِيباً وَهْوَ في دَارِ أَهْلِهِ
عَلَى كَوْنِهِ في الدَّارِ وَهْوَ غَرِيبُ[1]

---

(١) كذا في الأصل .

وقوله :

وَلا تَقْبَلِ النُّصْحَ مِنْ حَاسِدٍ
وَلَوْ كَانَ مَحْضاً صَحِيحاً صَرِيحاً
فَإِنَّ مَكَايِدَه إِنْ عِشْـ
ـنَ غَادَرْنَ في كُلِّ عُضْوٍ جُرُحا

وقوله :

كُلُّ الأَنامِ مَخُوفٌ لاَ تُلِمَّ بِـهِ
فَقُرْبُ ذَلِكَ يُعْدِي في عَوَاقِبِهِ
وَاسأَلْ إِلهَكَ في رِزْقٍ تَعِيشُ بِهِ
وَلاَ تَسَلْ لِسِوَاهُ مِنْ مَوَاهِبِهِ

وقوله :

لَقَدْ عِفْتُ دُنْيايِ المعيف أهلها[1]
فَأَعْفَانِي الرَّحْمنُ سُبْحانَهُ مِنْها
وَزَهَّدَني فِيهَـا إِلهي عِنَايَةً
خُصِصْتُ بِها مِنْه فأَلْهَى بِهِ عَنْهـا

وقوله :

(١) كذا في الأصل .

أَجِبْ دَعْوَتي يَاسَمِيعَ الدُّعَـــا
وَكُنْ لي مُغِيثاً عَلى نشْدَتي
فَمَـــا لِيَ غَيْرُكَ مِنْ رَاحِمٍ
يُفَرِّجُ ما اشْتَدَّ مِنَ كُرْبَتِي
إذَا رُحتُ مُرْتَهَنَـــاً بالذُّنُو
بِ أُسـَــأَلُ عَنْهُنَّ في حُفْرَتي
فَيَا دَمْعَتِي فَاجْرِ حُزْناً عَلَيَّ جَرْيَ السَّحَائِب يَا دَمْعَتِي

وقوله :

أُجَدِّدُ عَهْداً بِالدِّيَارِ التِي خَلَتْ
وَمَاذَا تَرَى تَجْدِيدَ عَهْدٍ بِهَا يُجْدِي
نَعَمْ إِنَّها تُجْـــدِي عَلَيَّ صَبَابَةً
وَمَر الصِّبا فِيها و تزدادي وجدي[1]
فَيَا رحْمَتِي لِي مِنْ وُقُوفِي بِرَسْمِهَا
وَيَا أَسَفا مِنْ قَبلِ ذَاكَ وَمِنْ بَعْدِي

وقوله :

إذَا كُنْتَ فِي تِيهٍ مِنَ الأَرْضِ سَالِكاً
وَلاَ مَاءَ فِيهِ تَلْتَقِيهِ وَلاَ مَرْعَى

---

(١) كذا في الأصل .

رَحلتَ وَلاَ زَادٌ بِهِ يَقْطع المَدَى..

المَخُوفَ وَلَمْ يمْلِكْ إلى المَأْمَنِ الرُّجعَى

كَذَا هَذِهِ الدُّنيا إذا لَمْ تَكُنْ بها

إلى طَـــاعَةِ لله سُبْحَانَهُ تَسْعَى

فَيَارَبِّ مِنْ دُنْيَايَ جِرْنِي .مسلّماً

إلَيْكَ وَبَعْدَ المَوْتِ أحسنْ بِيَ الصُّنْعَا

وَذَرْنِي بَعِيداً عَنْ أُنَاسٍ عَلِمْتُهُمْ

مِنَ الظُّـلْمِ قَدْ صَارَتْ صِحَافُهُمْ سَبْعَا

أُجالِسُ مِنْهُم ضَارِيَ الأُسْدِ وَاثِباً

عَلَيَّ بِطَبْعٍ سَاءَ [...(1)] الأفْعى

أُنَاسٌ كَلا نَاسٍ وَلا فَضْلَ عِنْدَهُمْ

إلى الخَفْضِ مُذْ مالُوا فما عَرفُوا الرَّفْعا

وقوله :

عَلَيْكَ بِفعْلِ الخَيْرِ فاقْبَلْ وَصِيَّتي

فَإنِّي بِما قَـــدْ قُلْتُ جِدُّ خَبِيرِ

---

(١) بياض في الأصل .

فَأنكَ فِي دَارٍ عَلَى ذَاكَ قَادِرٌ

وَإِنَّكَ بَعْدَ المَوْتِ غَيْرُ قَدِيرِ

إذَا عَمِيَتْ عَيْنُ البَصِيرَةِ ضَاعَتِ الوَصَاةُ وَمَا الأَعْمَى مَثِيلَ بَصِيرِ

وكَمْ ذِي غِنىً بِالظُّلْمِ مُكْتَسِبِ الغِنَى

فَلَمَّا حَوَاهُ مَاتَ مَوْتَ فَقِيرِ

فَيَا مَنْ لَدَى الدُّنْيَا يُوَطِّنُ إِنَّمَا

تَوَطَّنْتَ مِنْ دُنْيَاكَ دَارَ غُرُورِ

وقوله وقد كتب بها الى عمه القاضي ابي المجد .

لَقَدْ شَتَّ هَـــذَا البَيْنُ شَمْلاً تَأَلَّقَا

وَبَلَّغَ مِني البَيْنُ مَاشَاءَ فَاشْتَفَى

وَإِنِّي قَدِ اسْتَوْكَفْتُ دَمْعِي ، ـفئّاً

بِهِ النَّارَ مِنْ قَلْبِي فَشَبَّ الذي انْطَفَا

وَمِنْ عَجَبِ الأَشْيَاءِ أَنِّيَ مُغْرَمٌ

اطا [...] [1] وقد سارا الخليطُ تَخَلُّفاً

---

(١) بياض في الأصل .

سَرَوْا وَأَقَامَ القَلْبُ بَعْدَ رَحِيلِهِمُ
وَمِنْ شَرْطِ حِفْظِ الوُدِّ أنْ لاَتَوَقُّفَا
وَلَيْسَ اخْتِيَاراً ذَاكَ مِنِّيَ وَإِنَّمَا
دَعَانِي إِلَيهِ الاضْطِرارُ مُكَلَّفَا
لَعَمْرِي لَئِنْ بَاتَوا فَإِنِّي لَوَاجِدٌ
بِهِمْ بَدَلا مَوْلى حَبَا وَتَعَطَّفَا
كَرِيمٌ إِذا أَعْطَى رَحِيمٌ لِمَنْ رَأَى
أَدِيبٌ مَتَى مَا تَلْقَهُ تَلْقَ مُنْصِفَا
بِـهِ اللهُ أَعْطَانِي مُرَادِي وَخَصَّنِي
بِنَيْلِ الغِنَى مِمَّـــا لَدَيْهِ وَأَتْحَفَا
سَعادَتُهُ قَدْ أنطَقَتْنِي وَأَسْعَدَتْ
بِمَا لَمْ يُطِقْ غَيْرِي لَهُ أَنْ يُولِفَا
وَكَمْ قَائِلٍ مَنْ ذَا بِمَدْحِكَ تَنْتَحِي
فَقُلْتُ لَهُ مَجْدَ القَضَاءِ أَخَا الوَفَا
فَقَالَ لَقَـدْ وُفِّقْتَ فَأبْشِرْ فَإِنَّمَا
تُؤَمِّمُ غَيْثاً لَمْ يَزَلْ مُتَوَكِّفَـــا

وهي في الجزء السادس من ابن عساكر (١).

* * *

ابو الحسن علي بن عبيد الله(٢) بن ابي هاشم المعري

كان يتولى اوقاف الجامع بمعرة النعمان، وكان من العدول الامناء الفضلاء. لزم ابا العلاء، وكتب كتبه باسرها، وكتب من المصنف الواحد عدة نسخ، وكان خطه مورقا حسن الضبط والاتقان.

قال ابن العديم في الانصاف: وقفت على فصل في ذكره للشيخ ابي العلاء قال فيه: لزمت مسكني منذ سنة اربعمائة، واجتهدت ان اتوفر على تسبيح الله وتمجيده، الا ان أضطر الى غير ذلك، فأمليت أشياء، وتولى نسخها الشيخ ابو الحسن علي بن عبيد الله بن ابي هاشم، أحسن الله معونته، فالزمني بذلك حقوقاً جمة وأيادي بيضاء، لأنه أفنى في زمنه، ولم يأخذ عما صنع ثمنه، والله يحسن له الجزاء، ويكفيه حوادث الزمن والأرزاء.

وقال ابن العديم، عند الكلام على كتّاب ابي العلاء: ومن كتّابه جماعة من بني هاشم لا اتحقق اسماءهم، فاني وقفت على رسالة لأبي العلاء، تعرف رسالة الضبعين، كتبها الى معز الدولة ثمال بن صالح، يشكو اليه رجلين، احدهما الشريف بن المحبرة الحلبي، كانا يؤلبان عليه، وينسبانه الى الكفر والالحاد وقد حرفا بيتاً من لزوم ما لا يلزم عن موضعه، ليثبتا عليه الكفر بذلك قال فيها: وفي حلب حماها الله نسخ من هذا الكتاب بخطوط قوم ثقات يعرفون ببني ابي

---

(١) وترجمته وشيء من شعره واخباره في الانصاف وابن عساكر ج ١٢ و ٦ .

(٢) في ياقوت عبد الله وفي الانصاف ورد مرة ومرة (ج!

هاشم ، احرار نسكة ، ايديهم بحبل الورع متمسكة ، جرت عادتهم ان ينسخوا ما أمليه ، وان أحضرت ظهرت الحجة ؛ قلت فيه [1] .

* * *

علي بن محمد بن عبد الخالق بن أحمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي الفوارس بن علي بن أحمد بن عمر بن قُطامي ، العلاء بن الشمس بن النجم القرشي ، التيمي البكري ، المعري ، ثم الحلبي ، الشافعي ، الضرير ، ويعرف بابن الوَرْدي[2] .

ولد في نصف شعبان سنة ٧٧١ هـ بالمعرة ، وسمع من خال ابيه الشرف ابي بكر ابن عمر الوردي ، البهجة لابيه ، وتفقهْ به ، وسمع ابن المُرحِّل ، وأخذ الحاوي عن ابن الركن ، وسمع منه الفضلاء .

وكان اماما عالما محققا ، متقنا مفننا ، غاية في الذكاء وسرعة الجواب ، وله نظم حسن ، وقد تكسب بالشهادة وقتا .

وقد تلفت احـــدى عينيه في الفتنة ، وكانت الاخرى تلفت بسبب الجدري ، وقيل انها تلفت وقت ولادته ، لأن أمه كانت تستقي الماء من بئر ، فأدركها المخاض ، فخشيت ان يسقط الولد في البئر ، فمالت على حجر وضمته هو والمولود ، فصدعت رأسه بأماكن ، وأدى جيرها الى تلف عينـــة ، ومات في ذي الحجة سنة ٨٤٩ هـ بحلب ودفن بمقبرة الشهداء الصالحين قريبا من قبر عم جده الذي قبلي المقام الخليلي .

---

(١) الانصاف ، وياقوت في معجم الادباء (ج)

(٢) لأن جده الأعلى ابا بكر أخ لجد الشيخ زين الدين عمر بن مظفر بن عمر ابن محمد بن ابي الفوارس (ح) .

وذكر في الضوء اللامع في ترجمة يوسف بن أبي بكر بن علي المعروف بابن الخشاب الحلبي[1] : انه يعرف بسبط ابن الوردي ، فأمه خديجة ابنة العلاء علي بن محمد بن عبد الخالق بن أحمد قريب الزين ابن الوردي جد أبي العلاء ، من جهة أمه ، وحفيد عم جده عبد الخالق

* * *

نشء[2] الملك ابو الحسن علي بن مفرج ، المعروف بابن المنجم المعري الاصل المصري الدار والوفاة

كان شاعرا ، جيد الشعر ، ذرب اللسان ، حاضر البديهة .

ذكر في وفيات الاعيان في ترجمة اسامة بن مرشد الشَيْزَري . ان دار الوجيه ابن صورة المصري احترقت وكانت موصوفة بالحسن فنظم نشء الملك هذه الابيات :

أَقُولُ وَقَدْ عَايَنْتُ دَارَ ابنِ صُورةٍ
وَللنَّارِ فيها مارِجٌ يتَضَرَّمُ
كَذا كُلُّ مالٍ أَصْلُهُ مِنْ مُهاوِشٍ
فَعَمَّا قَليلٍ في نَهارٍ يعدَّمُ
وَمَا هُوَ إلا كَافِرٌ طَالَ عُمْرُهُ
فَجَاءَتْهُ لَمَّا اسْتَبْطَأَتْهُ جَهَنَّمُ

---

(١) وبجد ترجمته في الضوء اللامع ج ٥ ص ٣٠٩ (ج) .

(٢) لم اقف على ضبطه وروايته يرسم مرة نشء الملك ومرة نشأ .. ومرة نشؤ (ج)

واورد ابن النورْدي له ابياتا ، وقد كتب بها توران شاه ، الى اخيه صلاح الدين حين قدم من اليمن ، وهي هذه ·

وإلى صَلَاحِ الدّينِ أشْكُو أنّني
مِنْ بَعْدِهِ مُضْنَى الجَوَانِحِ مُولَعُ
جَزَعاً لِبُعْدِ الدّارِ عَنْهُ وَلَمْ أكُنْ
لَوْلَا هَوَاهُ لِبُعْدِ دَارٍ أجْزَعُ
وَلأَرْكبنَّ إليـــهِ مَتْنَ عَزائِمِي
وَيَخُبُّ بِي رَكْبُ الْغَرَامِ ويُوسِعُ
وَلأَسْرِيَنّ اللّيلَ لَا يَسْرِي بِهِ
طَيْفُ الخَيَالِ وَلا البُرُوقُ اللُّمَّعُ
وَأُقَدّ مَنّ إليـــهِ قَلْبِيَ مُخْبراً
أنّي بِجِسْمِي عَنْ قَرِيبٍ أتبَعُ
حَتّى أشَاهِدَ مِنْهُ أسْعَدَ طَلْعَةٍ
مِنْ أفْقِهَا صُبْحُ السَّعَادَةِ يَطْلُعُ

ولما بلغ القاضي السعيد هبة الله بن جعفر بن سناء الملك السعدي المصري عن ابي المكارم هبة الله بن وزير بن مقلد الكاتب الشاعر انه هجاه ، أحضره وأدبه وشتمه ، فكتب اليه نشء الملك :

قُـــلْ للسَّعيدِ أَدَامَ اللهُ نِعْمَتَهُ
صَدِيقُنا ابنُ وَزِيرٍ كَيفَ تَظْلِمُهُ

صَفَعْتَهُ إِذْ غَدَا يَهْجُوكَ مُنْتَقِماً
فَكيف مِنْ بَعْدِ هَذا ظَلْتَ تَشْتُمُهُ

هَجْوٌ بِهَجْوٍ وَهَذَا الصَّفْعُ فِيه رباً
والشَّرْعُ مَا يَقْتَضِيـهِ بَـلْ يُحَرِّمُهُ

فَإِنْ تَقُلْ مَالِهَجْوِ عِنْــدَهُ أَلَمٌ
فالصَّفْعُ وَاللهِ أَيْضاً لَيْسَ يُؤْلِمُهُ

وذكر له ابن منظور في كتابه نثار الأزهار في الليـــل والنهار هذه الابيات :

وَعِشَاءٍ كَأَنَّمَا الجَـوُّ فِيهِ لأَزَوَرْدٌ مَضمَّخٌ بِنُضَارِ
قُلْتُ لمّا هَوَتْ لِمَغْرِبِهَا الشَّمْـ ـسُ وَلاَحَ الهِلاَلُ لِلنُّظَّــارِ
اقْرَضَ الشَّرْقُ ضِدَّهُ الغَرْبَ دِيناراً فَأَعْطَاهُ الرَّهْنَ نِصْفَ سِوَارِ

وذكر في كتابه هذا بيتين لابي الحسن المعري، وربما كانا للمترجم، وهما:

كَأَنَّ إِشْرَاقَ السِّمَاكِ الأَعْزَلِ
فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ البَهِيمِ الأَلْيَـــلِ

وَجـــه الذي تيَّمَني لمَّا بدَا

يَمْشِي الهُوَيْنَى في رِدَاءٍ أكْحَلِ

وذكر في بدائع البدائه [1] . ان الاعز ابا الفتوح بن قلاقس ونشء الملك علي بن مفرج بن المنجم اجتمعا في منار الجامع ليلة فطر ، فظهر بها الهلال للعيون ، وبرز في صفحة بحر النيل كالنون [2] ، ومعهم جماعة من غواة الادب الذين ينساون اليه من كل حدب ، فحين رأوا الشمس فوق النيل غاربة ، والى مستقرها ذاهبة ، قد شمرت للمغيب الذيل ، واصفرت خوفا من هجوم الليل ، والهلال في حمرة الشفق ، كحاجب الشائب ، او زورق الورق ، اقترحوا عليها وصف تلك الحال فصنع ابن قلاقس :

اُنظُرْ إلى الشَّمْسِ فَوْقَ النِّيلِ غَارِبَةً

وَانظُرْ لِمَا بَعْـــدَهَا مِنْ حُمْرَةِ الشَّفَقِ

غَابَتْ وَأبقَتْ شُعَاعاً مِنْهُ يَخْلُفُهَـــا

كَأنَّمـــا احْتَرَقَتْ بِالمَاءِ في الغَرَقِ

وَلِلْهِلاَلِ فَهَـــلْ وَافَى لِيُنْقِــذَهَا

في إثْرِهَا زَوْرَقٌ قَدْ صِيغَ مِنْ وَرَقِ

وصنع نشء الملك :

---

(١) ابن ظافر الأزدي : بدائع البدائه ١٣٧ (ج)

(٢) في الاصل كانون (ج)

يَا رُبَّ سامِيَةٍ في الجَوِّ قُمْتُ بِهَا
أُمدُّ طَرْفِيَ في أرْضٍ مِنَ الأُفُقِ

حَيْثُ العَشِيَّةُ في التَمْثيلِ مَنْرَكَةٌ
إذَا رَآهَا جَبانٌ مَاتَ لِلْفَرَقِ

والشَّمْسُ هَارِبَةٌ لِلْغَرْبِ دَارِعَةٌ
بالنِّيلِ مُصْفَرَةٌ مِنْ هَجْمَةِ الغَسَقِ

ولِلْهِلالِ انعِطَافٌ كالسِّنانِ بَدَا
مِنْ سَوْرَةِ الطَّعْنِ مُلْقَى في دَمِ الشَّفَقِ

وذكر (١) إن نشء الملك ابن المنجم دخل مجلس القاضي الفاضل فانشده لنفسه في ممسحة القلم :

مُسَحَةٌ نَهارُهَـــا يجُنَّ ليـــلَ الظُّلَمِ
كَأَنَّها قـــدْ خُلِقَتْ مِنْـــديلَ كُمِّ القَلَمِ

ثم أمره بالعمل فيها فصنع بديها :

وآلةٍ تُضمِرُ النَّهارَ فَمَا تُبْدِيهِ إلا لِوافِدِ الظُّلَمِ
تُودِعُ فِيها الأَقْلامُ فَضْلَةَ مَا تُنْفِقُهُ في مَصَالِحِ الأُمَمِ

( ) ابن ظافر الازدي : بدائع البدائه ١٤٦ (ج) .

وذكر(١) عن الفقيه شجاع الغزالي ، قال : مضيت انا ونشء الملك علي ابن مفرج، الى دار الكامل شجاع ابن امير الجيوش بن شاور، آخر وزراءالدولة المصرية ، ومن كان انقضاؤها بموته ، ومعنا قصيدتان قد امتدحناه بها في بعض الاعياد ، فرأينا رماحاً قد عملت برسم الموكب ، وجعل عليها مكان اللهازم اهلة من ذهب ، فقال نشء الملك :قد وقع لي في هذه الرماح معنى فصنع في الحال :

فَعَالُ الكَامِلِ المَلِكِ المُرَجَّى
عَلَى مَا فِيهِ مِنْ فَضْلٍ أَدِلَّهْ
نَحَا بِرِمَاحِهِ نَحْوَ الأَعَادِي
فَكُلٌّ قَدْ سَقَاهُ بِهَا وَعَلَّهْ
وَلَمْ يَرْضَ النُّجُومَ لَهَا نِصَالا
فَنَصَّلَهَا هُنَالِكَ بِالأَهِلَّهْ

ثم كتبها وبعث بها الى الكامل ، فخرجت جائزته في الحال .

وقال : أخبرني الوجيه أبو الفضل جعفر بن جعفر الحموي ، قال : كان بمصر صبي مستحسن وضيء الوجه اسمه أسد ، قد شغف به رجل اسمه الفأر ، ووقع بينهما ماأدى الرجل إلى أن قتل الصبي ، وهرب ، وخاض الناس في أمره وأكثروا الحديث فيه ، فجلست يوماً بسوق الكتب ، وإذ بابن المنجم قد مر راكباً ، فحين رآني ثنى رجله على معرفة فرسه ، ووقف للحديث ، فمر علينا في اثناء ذلك شاب مشهور

(١) ابن ظافر الازدي : بدائع البدائه ٢٢٥ (ج) .

بجماله ، وانتمائه إلى أهل الأدب فأنشدنا مرثية ، زعم انه رثى بها الصبي القتيل فصنع ابن المنجم في الوقت :

وَلَمْ أرَ قَبْلَهُ أسداً قتيلاً　　　لِفَأْرٍ ظَلَّ يَرْثِيهِ غَزَالُ

وأخبرني بعض أصحابنا قال : قال لي نشء الملك : مارأيت أوقح ، ولا أحضر جواباً من ابي الحسن الدروي ، مرّ بي يوماً ، وهو راكب بغلا ، وبين يديه عبد له فصنعت في الحال :

قُلْ لِمَنْ تاه حِينَ مَرَّ عَلَيْنَا بِبَغْلِهْ
بَعْدَ أنْ كان لَيْسَ يَمْلِكُ شِسْعاً لِنَعْلِهْ
سُقْتَ قُدَّامَكَ الغُلامَ جَزاءً بِفِعْلِهْ
هٰكَذَا كُلُّ شَاعِرٍ　　بَغْلُهُ خَلْفَ بَغْلِهْ

ثم كررت مسرعاً لألحقه ، فتأخر عني لأجل اسراعي ، واستوقفته ، وجعلت انشده ، وهو يحسن الاستماع ، حتى انتهيت ، فقال : ليس كل شاعر كذلك ، هاأنت شاعر وبعلك خلف بغلك ، فكلحت والله وانصرفت .

وقال في وفيات الأعيان(١) في ترجمة صلاح الدين : وقيل انه كان يعجبه قول نشء الملك أبي الحسن علي بن مفرج .. وهو في خضاب الشيب ، ولقد أحسن فيه ، وهو ·

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان : ٢ : ٥٣٣ (ح)

وَمَا خَضَبَ النَّاسُ البَيَاضَ لِقُبْحِهِ
وَأَقْبَحُ مِنْهُ حِينَ يَظْهَرُ نَاصِلُهْ

وَلَكِنَّهُ مَاتَ الشَّبَابُ فَسُوِّدَتْ
عَلَى الرَّسْمِ مِنْ حُزْنٍ عَلَيْهِ مَنَازِلُهْ

قالوا : فكان اذا قال مات الشباب يمسك كريمته ، وينظر اليها ويقول : اي والله مات الشباب .

* * *

علي بن المهذب بن محمد :

كان من العلماء الفضلاء . روى عنه حفيده ابو صالح محمد بن المهذب ، ورأيت في ابن عساكر[1] : علي بن المهذب بن أبي حامد المعري

* * *

علاء الدين العلاوي علي بن النجمي ، نجم الدين نجم بن نجم الدين ناصر بن العجيل المعري :

كان من أعيان المعرة في القرن التاسع للهجرة ، ومن اصحاب الثروة واليسار ، وله أوقاف عظيمة في المعرة وضاحيتها .

منها : اثنا عشر فداناً من قرية الدانا[2] من عمل المعرة شمالي

---

(١) ابن عساكر : تاريخ دمشق من مخطوطات الظاهرية

(٢) وهي على بعد ساعة من المعرة وعدد نفوسها ٤١١ واكثر اراضيها جبلية انظر تاريخ المعرة ٢ : ١٣٩

مصافاة حماة المحدودة قبلة أراضي المعرة . شرقا اراضي قريتي البريج، وتلبليس . شمالا قرية سيفاتا ، والجرادة . غربا أراضي حَنَدُوتين(١) ، وبينين .

ومنها : سوق في المعرة يحتوي على اثنين وثلاثين حانوتاً ، وذلك سنة ٨٥٧ هـ ، كما رأيته في حجة شرعية .

وقد كانت مرتزقة هذا الوقف تسمى رجال الطائفة . رأيت حجة من قاضي المعرة أحمد مؤرخة في محرم سنة ١١٩٤ هـ يقول فيها : إن مرتزقة وقف العجيل ياسين بن علي المحاول . حسن البرجس ، عبدالوهاب ابن مصطفى امير الشام . ابو بكر بن عطوني حجازي بن قويدر التلي . شكوا متولي الوقف السيد ناصر بن محمد أتانا ، ثم جعلوا له خمسة قروش كل سنة مقابل التولية ، وهي موقعة بشهادة عبد الرحمن الجندي ، واسماعيل الكيالي ، واسماعيل ضابط كَفَرْروما(٢) ، وعثمن القاضي .

ورأيت حجة ثانية تقول : طلب رجال الطائفة المعاومين في المعرة ، وهم مصطفى بن محمد المعمار ، عبد الرحمن المحاول ، حسن التلي ، عبد الغني ابن ابراهيم المحمود ، الحاج رحمون بن بركات التلمساني ، ابو بكر بن احمد امير الشام ، واخوه محمد البيروتي وصالح بن مصطفى الحلاق . وعبد الرزاق ابن محمد أمير الشام ، وعوض بن صالح العرفات ، نصب متول على وقفيتهم الخاصة بهم ، النصف من قرية الدانا ، وجباية الاحكار المخصوصة في وقفهم ، فنصب

---

(١) انظر تاريخ المعرة ٢ : ١٣٦

(٢) من قرى المعرة وكانت حصناً مشهوراً وهي تبعد عن المعرة نحو ساعة الى الغرب وعدد اهلها ٧٤٥ . انظر تاريخ المعرة ٢ : ١٥٤

لهم عبد الله بن حسين الناصري ، المقيم وقتئذ في حمص ، لأن التولية كانت لجده ناصر الناصري ، ويأخذ ثلث ايراد الوقف حسب العادة القديمة . نقلت ذلك من حجة الطائفة المؤرخة سنة ١٢٣٢ ه .

ورأيت حجة اخرى مؤرخة في صفر سنة ١٠٢٣ ه يذكر فيها ان احمد بن جلال الدين المعري ادعى على درويش جلبي المعري ابن نجم الدين ان بستان الجنان من وقف جده نجم الدين العجيل ، كما تقدم ذلك .

ثم عين ناظراً لهذا الوقف . الاسطا صالح بن عبد الله بن حسين الناصري بموجب حجة من قاضي دمشق سنة ١٢٧١ ه .

وكان ابو بكر الجندي ، وأمه نفيسة يأخذان من وقف قرية الدانا المذكورة ، من حصة بيت الناصري ، وهي الثلث .

وقد احببت أن اذكر صورة الوقفية مختصرة ، لأن هذا الوقف انطمست معالمه في قرية الدانا ، ولم يبق احد من المرتزقة منه ، مع وجود اعقابهم في المعرة ، وهذه صورة الحجة المؤرخة سنة ٨٥٧ ه .

أوقف الجناب العالي المولوي الخواجكي علاء الدين العلاوي علي ابن المرحوم النجمي نجم الدين نجم بن نجم الدين ناصر بن العجيل المعري ، المقيم حالة الوقف في حلب اثني عشر فداناً ونصف من اربعة وعشرين فداناً ، هي جميع قرية الدانا من عمل المعرة شمالي مصافاة حماة المحدودة ، قبلة اراضي المعرة ، شرقا اراضي قريتي البريج وتلبليس ، شمالاً قرية سيفاتا والخرابة [١] ، وغرباً اراضي حندوتين وبينين .

وجميع السوق بمدينة المعرة الحاوي على اثنين وثلاثين دكانا قبلي وشمالي يعلو كل حانوت باب ، وصفته دراريب المحدودة قبلة . . .

(١) وقد وردت قبلاً : بلفظ الجرادة

على أولاده وأعقابهم فاذا انقرضوا ، فعلى زوجته لطيفة بنت الحاج سعد الدين ابن الحاج خالد بحيب الشهير والدها بالحجيج ، وأعقابها بعدها ، ثم على الحرمين .

فمات عن زوجته ، ثم ماتت وانحصر الوقف بأبنتها عائشة بنت شهاب الدين احمد بن العجيل المعري ، وابنتها الست رجب بنت جمال الدين يوسف العطوي المعري ، وفي ولدي رجب المذكورة الناصري وماعر السن[1] وسقرا الفطيم ولدي الحاج موسى بن احمد بن حسين من قرية معرة بليت بالسوية بينهم ، ثم انحصر الوقف بشمس الدين محمد بن زين الدين عمر بن الحاج محمد بن سيف ، وفي ولده محمد الطفل . وثبت ذلك لدى ناظر الأحكام الشرعية في حماة أبو الصدق المعري نحو سنة ٩٠٥ هـ .

* * *

أبو الحسن علي بن همام تلميذ ابي العلاء :

أظن أن أباه هماماً هو صاحب التاريخ الذي أسلفنا ذكره ، وقد كان صاحب الترجمة من الشعراء المجيدين ، وممن وقف على قبر أبي العلاء ورثاه بقصيدة ، لم نحط علماً بغير ثلاثة أبيات منها انتشرت انتشار الضياء في الأفق .

وهي هذه :

إنْ كُنْتَ لَمْ تُرِقِ الدّماءَ زَهادَةً

فَلَقَدْ أرَقْتَ اليَوْمَ مِنْ عَيْني دَماً

---

(١) كذا صورته (ج) .

سَيَّرْتَ ذِكرا في البِلادِ كَأَنَّهُ
مِسْكٌ مَسامِعَـــه يضمّخُ أوْفَما
وَأرَى الحجيجَ إذَا أرادُوا لَيْلَةً
ذِكْرَاكَ أوْجبَ فِدْيَةً مَنْ أحْرَمَا[1]

* * *

شمس الدين ابو الفتوح ، وابو الخطاب، عمر بن اسعد بن المنجا بن بركات بن المؤمل التنوخي ، المعري الحراني المولد ، الدمشقي الدار والوفاة ، القاضي الحنبلي ، ابن القاضي وجيه الدين :

ولد بحران اذ ابوه قاضيها في الدولة النورية سنة سبع وخمسين وخمسماية ، ونشأ بها ، وتفقه على والده ، وسمع من عبد الوهاب بن ابي جبة ، وقدم دمشق ، فسمع بها من القاضي ابي سعد بن ابي عصرون وغيره ، ورحل الى العراق وخراسان ، وسمع ببغداد ، واشتغل بالخلاف على المجير الشافعي وافتى ودرّس ، وكان عارفاً بالقضـــاء بصيرا بالشروط والحكومات والمسائل الغامضات ، صدراً نبيلا ، وولي قضاء حران قديماً ، واستوطن دمشق ، ودرس بها بالمسمارية ، وحدّث عنه البرزالي ، وابن العديم ، وغيرهما واجاز لابن الشيرازي ، توفي في سابع عشر ربيع الآخر سنة ٦٤١ هـ ، ودفن بسفح قاسيون ، كذا قال ابو شامة .

(١) صلاح الدين الصفدي : نكت الهميان في نكت العميان وابن خلكان: وفيات الأعيان (ج) .

وخلف بنتاً اسمها ست الوزراء بنت عمر بن اسعد بن المنجّا التنوخية (١) روت عن ابيها القاضي شمس الدين وابن الزبيدي ، وحدثت بالصحيح ، وبمسند الشافعي ، بدمشق ومصر مرات . وكانت على خير عظيم وتوفيت في شعبان فجاءة سنة ٧١٦ ه عن اثنين وتسعين سنة (٢) .

* * *

ابو القاسم عمار بن الحسن بن عمر التنوخي المعري :

قدم دمشق وانشد بها من شعر خاليه ابي الحسن علي ، وابي سالم ابني احمد بن الدويدة المعريين (٣) .

* * *

ابو القاسم كمال الدين عمر بن عثمان بن هبة الله بن مَعْمَر المعري الشافعي . قاضي القضاة :

ولد نحو سنة ٧١٢ه ، واشتغل بحماة على قاضيها ابن البارزي ، وسمع من الحجار والمندومي وولي قضاء بلدة المعرة سنة ٧٣٣ ه ، ثم

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب ٦ / ٤٠ (ج)

(٢) وفي اعلام النساء لكحالة ٢ : ٥٧٧ . وهي آخر من حدث بالمسند بالسماع . وحدثت عن احمد بن علي بن ابي بكر الصالحي . وسمع عليها فخر بن محمد بن حميد بن محاسني النيربي صحيح البخاري ، وقرأ عليها علي بن يعقوب البكري الشافعي الفقيه مسند الشافعي لما قدمت القاهرة ، وحدث عنها شمس الدين محمود بن خليفة بن خلف المنبجي ، وروى عنها شمس الدين محمد بن علي الخشاب وسمع وقرأ عليها محمد الواني جميع صحيح البخاري وغيره .

(٣) ذكر ذلك ابن عساكر ح ٦ (ج)

ولي قضاء حلب في سنة ٧٥٣ هـ عوضـــا عن القـاضي نجم الدين محمد الزرعي ، واقام اشهراً ، ثم عزل ، ورجع اليها نجم الدين المذكور ، ثم وليها بدلاً من نجم الدين لوفاته ، واستمر اربع عشرة سنة حاكماً فيها ، ثم نقل بعد موت التاج السبكي الى قضاء الشام ، فاقام به مدة ، ثم ولي حلب ، وولي القضاء ايضاً بطرابلس .

وكان قليل العلم ، ومع ذلك فقد ولي دار الحديث الاشرفية بدمشق وانتزعها من الحافظ ابن كثير ، مع ان شرطها ان يكون من يليها من اعلم اهل البلد بالحديث ، فمنعته الطلبة ، وعدوا عليه غلطات ، منها : انه قال : الجهبذ بضم الجيم وفتح الهاء ، وقد حدث ، وسمع عليه بحلب الشيخ ابو اسحق الحلبي ، وأبو المعالي ابن عشائر .

وكان قاضياً جليلاً ، نبيلاً ، عاقلاً ، ساكناً ، محترماً ، مدارياً ، كثير الصيام والحج وقد نسب اليه اشياء لاتليق بمثله ، منهـا الرشوة ظاهراً .

وكان يقول : ليس في قضاة الاسلام اقدم مني ، وذلك انه ولي قضاء المعرة سنة ٧٣٣ هـ ، ولم يزل قاضيـــا بحلب الى ان توفي في يوم السبت التاسع من شهر رجب سنة ٧٨٣هـ ، ودفن في بيته ، ثم نقل بعد سنتين الى تربة الفردوس ، خارج باب المقام في ظاهر حلب .

وهو الذي عمر خان القاضي المعروف بهذا الاسم في محلة باب قنسرين [1] في حلب .

---

(١) في معجم البلدان لياقوت ٤ : ١٨٤ : قنسرين : بكسر اوله وفتح ثانية وتشديده وقد كسره قوم ثم سين مهملة .

وكان القضاة والعلماء يحسدونه على ما آتاه الله من فضله ، ويكيدون له . وكان لذكائه ودهائه يستطيع النجاة من حبائلهم ، ويظفر عليهم .

وفي سنة ٧٦٣ هـ ذهب الى الحجاز ، فتألب عليه جماعة من أعيان حلب وشيوخها وهم قاضي القضاة جمال الدين ابراهيم ابن العَديم الحنفي ، قاضي القضاة شرف الدين ابن فياض الحنبلي ، وشهاب الدين أبو العباس الأذرعي ، وكمال الدين عمر بن العجمي ، والامام الخطيب شهاب الدين احمد الانصاري ، والشيخ زين الدين ابو حفص الباريني الشافعيون ، وغيرهم من الحنفية ، وكتبوا محاضر في حقه تشتمل على مثالب كثيرة ، وجهزوها الى الناصر ، فلما بلغه ذلك توجه الى مصر ، ولم يتوجه الى الحجاز . وكان بالقاهرة الامير يلبغا الخاصكي ، وكان صديقاً صاحباً للقاضي كمال الدين ، فنزل عنده ، في بيت وذكر له تعصبهم عليه . ثم جاء هؤلاء الجماعة الى القاهرة ، فلما اجتمعوا بالامير يلبغا واخذوا يذكرون مثالب كمال الدين ، وما رموه به ، قال لهم يلبغا : فاذا تاب ، اما تقبل توبته ؟ فسكتوا ، ثم كلفهم الصلح فلم يستطيعوا مخالفته فاستدعاه من البيت الذي كان فيـــه ، فجاء واجتمع بالجماعة وعاتبهم ، وعاتبوه ، ثم اصلح بينهم يلبغا ، واعطاهم نفقة لكل قاض ثلاثة آلاف درهم ، ولكل فقيه الف درهم ، ثم انصرفوا ، وعاد كمال الدين قاضياً في حلب ، ولم يتصد لأحد منهم بأذى ، لانه كان كثير الاحتمال والاغضاء ، وقد جمع مالاً كثيراً ، ثم عزل عن قضاء حلب ، ثم عاد اليه وبقي الى ان توفي .

، وجد بخط الشيخ ابراهيم بن عمر البقاعي على هامش الدرر الكامنة كتابة هذه خلاصتها : حدثني العلامة قاضي القضاة محب الدين ابن الشحنة الحلبي الحنفي حدثني النجم عبد الخالق بن محمد بن عبد الخالق بن الوردي ، حدثني الشرف ابو بن

بكر بن الزين بن عمر بن الوردي أن الكمال عمر بن عثمان المعري قاضي الشافعية في حلب كان له جار من ابناء الجند اسمه احمد بن محمود بن صدقة وكان ذا مال كثير لايتحاشى عن فعلة منكر ، وكان مع تهتكه فاضلاً جريئاً ، لايرد لسانه عن شيء ولا يحاشى الالفاظ المكفرة ، وكان يبغض الكمال ، ويؤذيه ، فركب الكمال يوماً للتدريس ببعض وظائفه ، فمر بابن صدقة فتنخم (١) ابن صدقة وبصق ، وقال للكمال : على لحيتك يا كذا ، قال الشرف الوردي : وكنت الى جانبه ، وكان في وجهه اثر ضربة من حافر بغل ، فكان اذا اغتاظ اختلج ذلك الاثر ، فلما سمع قول ابن صدقة ، اختلج ، ولم يبد حراكا ، فلما وصل الى المدرسة وقف قليلاً ، ولم ينزل ، ثم مضى الى دار النيابة ، فاجتمع بنائب حلب جرجي واستأذنه في اقامة الدعوى على ابن صدقة فاذن له . ثم اجتمع بشهاب الدين الاذرعي ، وبقية قضاة حلب ، فوضع ابن صدقة في السجن ، ثم ادعى عليه الكمال عند الصدر الدميري المالكي ، واحضر ابن صدقة واقيمت عليه البينة ، ثم رد الى السجن فنظم قصيدة اولها :

رَمَانِي زَمَانِي بالقَطيعَةِ والضَّنْكِ
وَجَارَ فأَجرَى في بِحَارِ الرَّدَى فُلْكِي

تَقَاسَم مِنِّي المالَ مَنْ لَيْسَ وَارِثِي
فَلِلْمالِكِي روحي وللشافِعِي مُلْكِي

وتخلص فيها الى مدح التاج السبكي قاضي دمشق فقال :

(١) اي دفع شيء من صدره او أنفه

فَإنّي سَآوِي عِنْدَ طُوفَانِ غَدْرِهِمْ
إلى جَبَلِ العَلْيَاءِ تَاجِ العُلَى السُّبْكِي

وارسلها اليه في دمشق يسأله فيها حقن دمه .

وارسل ابن صدقة الى النائب من وعده بمال ، فمال الى اطلاقه ، فحضر القضاة ومعم الشهاب الاذرعي ، فخاطبوا النائب فيه ، فرأوه متردداً فقال الاذرعي للمالكي : انت ياقاضي القضاة حكمت باراقة دم ابن صدقة هذا فقال : نعم ، فقال : قم ياامير فاحضر ضرب عنقه ، فلم يسعه الا الامتثال ، فقاموا الى الموضع الذي يقتل فيه ، فقال ابن صدقة : ياجرجي اتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله ؟ فقال : القضاة فعلوا ذلك ، فقال شخص معه : ادفعوا هذه الورقة الى الامير ، فدفعها اليه ، فخطفها الاذرعي ، فمزقها قبل ان يعلم النائب مافيها ، وضربت عنق ابن صدقة ، ثم بعد يوم حضر من التاج السبكي حكم بحقن دمه ، وكان الامر قد فات (١) . وقال ابن حجر في الدرر الكامنة : ان الكمال سمع منه ابن عشائر والبرهان المحدث ، ومن عجيب امره انه انتزع درس الحديث بالاشرفية من الشيخ عماد الدين ابن كثير ، فمقته الطلبة ، وعدوا عليه غلطات وفلتات وتصحيفات ، وكان يقول :ليس في قضاة الاسلام اقدم هجرة مني وكان كثير الصيام والحج والمداراة .

* * *

عمر بن محمد بن عمر بن محمد المعري ، كمال الدين العجلوني :

سمع الأبرقُوهي وابن القواس ، وتفقه على الشيخ برهان الـــدين

(١) وترجمة ابن صدقة هذا في اعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء ج ٥ ص ٤٧

الفِرْكاح في عـــدة اماكن ، ومات بمعرة النعمان سنة ٧٢٨ هـ هكذا قال في الدرر الكامنة .

* * *

القاضي زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس ، المعروف بالوَرْدي المعري :

الفقيه الشافعي ، العالم ، الأديب ، الشاعر ، ويتصل نسبه بسيدنا أبي بكر الصديق كما ذكر ذلك في لاميته المشهورة حيث قال :

مَعَ أَنّي أَحْمَـدُ اللهَ عَلَى   نَسَبِي إِذْ بِأَبِي بَكْرٍ أَتَّصِلْ

ولد في المعرة سنة ٦٩١ هـ ، وكان الملك الأشرف نازلاً فيها يومئذ ، في منصرفه الى قلعة الروم .

ثم لما شب وترعرع عكف على تحصيل العلم ، وقرأ على جمـــاعة من العلماء ، منهم : شرف الدين هبة الله البارزي الجُهَني الحَمَوي ، وعلى صدر الدين محمد بن زين الدين عثمان وكيل بيت المال في القاهرة ، وعلى الفخر خطيب جِبْرين في حلب وتبحر في العلوم ، وبرع في المنثور والمنظوم، حتى أصبح رجل دهره وفاضل عصره، وله مصنفات كثيرة ، منها : مقدمة في النحو اختصر فيها الملحة وسماهـا المنفحة وهي نظم(١) . ومنها شرح ألفية ابن مالك ، ومنها : اختصار الالفية في مائة وخمسين بيتاً ، ومنها ضوء الدرة على ألفيـة ابن معطي ، ومنهـــا قصيدة اللباب في علم الاعراب

(١) قال في الدرر الكامنة : وضن كثيراً من الملحة للجريري في أرجوزة غزل .

وشرحها ، وتحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة ، وهو حل الالفية نثرا [١]،
ومذكرة الغريب نظما وشرحها . والبهجة الوردية ، قال في الدرر الكامنة : ونظم البهجة الوردية في خمسة آلاف وثلاثة وستين بيتاً ، اتى فيها على الحاوي الصغير بغالب ألفاظه ، واقسم بالله لم ينظم أحد بعد ابن الوردي الفقه الا وقصر دونه ، وقال الحافظ ابن حجر من نظم الفقه بعد ابن الوردي فقد أتعب نفسه .
والرسائل المذهبة [٢] في المسائل الملقبة ، وخريدة العجائب ، وأبكار الأفكار ، وأرجوزة في خواص الأحجار والجواهر ، وأرجوزة في تعبير المنامات ، وتتمة تاريخ أبي الفداء صاحب حماة ، وتاريخ سماه تتمة المختصر في أخبار البشر اختصر فيه تاريخ أبي الفداء نحو ثلثيه ، ثم ذيله من سنة ٧٠٩هـ الى سنة ٧٤٩هـ، وهو مطبوع ، وقد اطلعت عليه ، ونقلت عنه في هذا الكتاب ، ومقامات منطق الطير في التصوف نظماً ونثراً ، والكلام على مائة غلام ، كل قطعة بيتان في غزل المذكر ، وقد رأيته ، والدراري السارية في مائة جارية ، كل قطعة بيتان في غزل المؤنث ، والمناظرات منها نسخة في الاسكوريال والمتحف البريطاني . وشفو الرحيق [٣] في وصف الحريق منه نسخة في مكتبة برلين ، ورسالة بديعة في الطاعون سماها النبا عن الوبا [٤] . وديوان شعر مطبوع مع مقاماته الصوفية والأنطاكية والمَنْبِجية والمَشْهدية ، وشيء من اجازاته وكتبه ، ورسالة في الزلزلة التي حدثت سنة ٧٤٤ هـ ، ورسالة في القاضي

(١) منه نسخة في المكتبة السلطانية ، في مصر رقم ٣٣٥ (ج) .
(٢) في الدرر الكامنة المهذبة (ج) .
(٣) لعله رشف الرحيق (ج) .
(٤) وفي الدرر الكامنة لابن حجر : النبا في الوبا (ج)

الرّياحي من نوع كان وكان ، وقد قال في مقدمته : ما أثبت في هذا المجموع من نثري الا اليسير ، وذلك نحو الثلث ، والثلث كثير ، وحذفت من نظمي ما لم أعبأ بحذفه ، وألححت عليه حتى صيرته على نصفه .

وله القصيدة اللامية (١) المشهورة :

اِعْتَزِلْ ذِكْرَ الأَغَانِي وَالغَزَلْ

وَقُلِ الفَصْلَ وَجَانِبْ مَنْ هَزَلْ (٢)

وكان مولعاً بالصناعة البديعية ، مقدماً عند علماء البديع ، والعلماء يكبرون قدره ويعظمون شعره ، وقد قال الصفدي فيه بعد ترجمة طويلة : شعره اسحر من عيون الغيد ، وأبهى من الوجنات ذات التوريد .

وقال السُبْكي : شعره أحلى من السكر المكرر ، وأغلى قيمة من الجوهر . وأهل البديع يكثرون الاستشهاد بكلامه ، ويعدونه من المجودين في هذا الفن ، وكان حاضر البديهة فياض القريحة ، كثير الارتجال .

دخل مرة المحكمة في دمشق سنة ٧١٥ هـ وكان مجلس الحكم معقوداً فيها ، فجعل يرمق الحاضرين والكتبة ، فالتفت اليه احدهم ، وقال له كالمستهزىء به : أتريد أن تضبط هذه الدعوى ؟ فقال : نعم ، وهل تريد

(١) وقد رأيت ، شرحاً للامية المذكورة تسمى العرف الندي في شرح قصيدة الوردي تم تأليفه سنة ١٠٣٠ هـ وكتب على الكتاب انه تأليف محمد القرشي ابن الشيخ العمري وشرحاً آخر لنجم الدين محمد القرشي العامري المعروف بابن الشيخ رضي الدين الغزي (ج) .

(٢) ابن الوردي : الديوان طبع ـ مطبعة الجوائب بالقسطنطينية ٣٣٨ ـ ٣٣١ .

نظماً ، او نثراً ، فقال : بل نظماً ، زيادة في الاستخفاف به ، فارتجل الشيخ عمر هذه الأبيات بعد أن فهم الدعوى ، وكتب قوله :

بِسْمِ إِلَـهِ الخَلْقِ هَذا مَا اشْتَرَى
مُحَمَّدُ بنُ مـالِكٍ [1] بنِ سُنْقُرا

مِنْ مَالِكِ بنِ أَحْمَدَ بنِ الأَزْرَقِ
كِلاَهُما قَدْ عُرِفا مِنْ جِلَّقِ

فَباعَهُ قِطْعَةَ أَرْضٍ وَاقِعَـه
بِكُورَةِ الغُوطَة وَهِيَ جـامِعَه

لِشَجَرٍ مُخْتَلِفِ الأَجْنـاسِ
وَالأَرْضُ في البَيْعِ مَعَ الغِرَاسِ

وَذَرْعُ هَـذِي الأَرْضِ بالذِّراعِ
عِشْرُونَ في الْطُّولِ بِلا نِزَاعِ

وَذَرْعُها في الأَرْضِ [2] أَيْضاً عَشَرَه
وَهُوَ ذِراعٌ باليَـدِ المُعْتَبَرَه

(١) في ثمرات الاوراق يونس (ج)
(٢) لعل الاصل في العرض (ج)

وَحدُّها مِنْ قِبْلَةِ مُلْكِ التَّقِي
وَحَائِر الرُّوميّ حَـــدّ المَشْرِقِ
وَمِنْ شِمالِ مُلْكُ أوْلادِ عَــلي
وَالغَرْب مُلْكُ عَامِرِ بنِ جَهْبَلِ
وَهَـــذِهِ تعرَفُ مِنْ قَـدِيمِ
بأنّهـــا قِطْعَةُ بَيْتِ الرُّومِي
بَيْعـاً صَحِيحاً لازِماً شَرْعِيّاً
ثُمَّ شِراءً قاطِعـــاً مَرْعِيّاً
بِثَمَنٍ مَبلَغُـهُ من فِضَّـــةِ
وازِنةٍ جَيِّـــدَةٍ مُبْيَضَّـةِ
جَارِيَةٍ للنـــاسِ في المُعـامَلَه
ألْفَانِ مِنْها النِّصْفُ ألفٌ كامِلَة
قَبَضَهَـــا البَائِعُ مِنْهَـــا وَافِيَه
فَعَادَتِ الذِّمَّةُ مِنْـهُ خَالِيَـــه

وَسَلَّم الأَرْضَ إلى مَنِ اشْتَرَى

فقَبَضَ القِطْعةَ مِنْـــهُ وَجَرَى

بَيْنَهُما بِالبَـــدَنِ التَّفَرُّقُ

طَوْعاً فَمَا لأَحَـــدٍ تَفَرُّقُ

ثُمَّ ضَمَـــانُ الدرَكِ المَشْهُورِ

فِيـــهِ عَلَى بَائِعِهِ المـــذكورِ

وأشهـــدا عَلَيْهِما بِـــذاكَ في

رَابِعِ عَشْرِ رَمَضانِ الأشْرَفِ

مِنْ عَـــامِ سَبْعِمائـــةٍ وَعَشْرَةٍ

مِنْ بَعْـــدِ خَمْسٍ تِلْوَهَا لِهجرةِ

وَالحمدُ للهِ وَصَـــلَّى رَبِّي

عَلى النَّبِـــيِّ وَآلِهِ والصَّحْبِ

يَشْهَدُ بِالمَضْمُونِ مِنْ هَذَا عُمَرْ

ابنُ المظفَّرِ المعَرِّي إذْ حَضَرْ

فلما فرغ ، ورأى الجماعة سرعة بديهته مع استيفائه جميع الشروط التي يتم بها البيع ، سألوه ، فلما عرفوا انه ابن الوَرْدي اعتذروا اليه ، واعترفوا بفضله ، واجلسوه في الصدر ، ولكنهم عجزوا عن اتمام الشهادة نظما فسألوه ذلك ، فكتب عن شخص كان الى جانبه يدعى أحمد بن رسول فقال :

قَدْ حَضَرَ العَقْدَ لِذَاكَ أَحْمَدُ   ابنُ رَسُولٍ وَبِذَاكَ يَشْهَدُ

وهـذه الحادثة تدل على قوة عارضته ومطاوعة قريحته ، كما تدل على حذقـه وبراعته في كتابة الصكوك ، فانه استوفى فيها ذكر الثمن وتحديـد المبيع والتسليم والتسلم والطواعية والتفرق في المجلس ، وكل ما تتوقف عليه صحة البيع ، وجعله لازماً ، وذكر ضمان الدرك . كل ذلك باسلوب سهل موافق لما اصطلح عليه كتاب لقضاء في عصره ، لأنه ولي القضاء في مواطن متعددة ، وناب في الحكم في كثير من معاملات حلب ، فولي القضاء في مَنْبِج وكرهها ، فكتب الى ابن الزَّمَلْكاني قصيدة يعاتبه في توليته إياها ، منها قوله :

مَوْلاَيَ يَامنْ قَلْبُهُ راحِمُ   وَهوَأَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يَعْدِلاَ[1]
مَحَبَّتي تَقْضِي بِمُكْثِي هُنـا   وَحَالَتي تَقْضِي بِأَنْ أَرْحَلاَ

وولي القضاء في شَيْزَرَ ، فلم يرقه ، فكتب الى قاضي القضاة بحماة فخر الدين البارزي

---

(١) ابن الوردي : الديوان ٢٦٤ – ٢٦٥ .

أيَا باعِثِي أقْضِي بِشَيْزَرَ مَا الذي
أرَدْتَ قَضَا أشْغَالِهِمْ أمْ قَضَا نَحْبِي[1]

حَكَيْتُ بِهَا النَّاعُورَ حالاً لأنّني
بَكَيْتُ عَلَى جِسْمِي وَدُرْتُ عَلَى قَلْبِي

فأعفاه منها .

وولي اخوه احمد قضاء كان يسعى فيه لنفسه ، فكتب الى قاضي القضاة :

حَمَّلْتَنِي وأخِي تَبَارِيحَ الجَوَى
وَجَعَلْتَنَا ضِـــدَّيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ

يَا حَيَّ عَـــالِمَ عَصْرِهِ وأوَانِهِ
فَلَكَ التصرُّفُ في دَمِ الأخَوَيْنِ

فأجابه بقوله :

أيَا عُمَرُ استَعِدَّ لِغَيْرِ هَـــذَا
فأحْمَـــدُ لِلْوِلَايَةِ مُطْمَئِنُّ

فإنْ يَكُ فيكَ مَعْرِفَـةٌ وَعَدْلٌ
فَأَحْمَـدُ فِيهِ مَعرِفَةٌ وَوَزْنُ

(١) ابن الوردي : الديوان ٢٦٨

يريد أن كلا منهما اسم لاينصرف ، ولكن العلة فيه العلمية والعدل ، وفي أخيه العلمية ووزن الفعل .

وقيل : ناب في الحكم بحلب في شبيبته عن الشيخ شمس الدين بن النقيب ، ثم عزل نفسه وحلف الا يلي القضاء لمنام رآه .

وكان ينزع الى التصوف والتقى ، ولذلك يكثر في كتبه الكرامات الغريبة عن الصالحين ، وقــد ذكر في تاريخه أن أباه توفي سنة ٧٢٣ هـ بالمعرة ، فلما وضع على المغتسل وانتهى غسله ، جلس ساعة ، وفاحت منه رائحة طيبة ، فتواجد الحاضرون ، واجهشوا بالبكاء ، وهذا غير بعيد لأن من الجائز ان يكون أبوه اصيب بداء السكتة ، ثم أفاق ، ويجوز أن يكون أصيب بها ثانية ، ودفن قبل أن يموت . وكتبه طافحة بذكر الكرامات والخوارق .

وابن الوردي كان غرة في جبين عصره ، رقيق الشعر ، كثير التكلف للبديع لاسيما التورية ، وربما ارتكب في سبيل ذلك كثيراً من الضرورات ، كقصر الممدود وتقديم ماحقه التأخير وغيرهما ، وقد يعتذر عنه بأن ابناء عصره كانوا يطبعون جميعاً على هذا الغرار ، ويستجيزون من أجله مالايجوز ، وكان يغير على شعر أبي العلاء ، فيأخذ من معانيه كثيراً . وقد يأخذ من ألفاظه .

قال في الدرر الكامنة في ترجمة ابن الوردي : ذكر الصفدي في اعيان العصر انه اختلس معاني شعره وانشد في ذلك شيئاً كثيراً ، ولم يأت بدليل على أن ابن الوردي هو المختلس ، بل المتبادر الى الذهن عكس ذلك ، نعم استشهد الصفدي على صحة دعواه بقول ابن الوردي

وأسْرقُ مَا أرَدْتُ مِنَ المَعَاني
فإنْ فُقْتُ القَديمَ مَدَحتُ سَيْرِي

وَإنْ سَاوَيْتُهُ نَظْماً فحَسْبي
مُساوَاة القَـديم وَذَا لخَيْرِي

وإنْ كَانَ القَـــدِيمُ أَتمَّ مَعْنًى
فَهَـــذَا مَبْلَغِي وَمَطارُ طَيْرِي

وإنَّ الدِّرْهَمَ المضْرُوبَ باسْمِي
أحَبُّ إليَّ مِنْ دِينَـــارِ غَيْرِي

فما أورده الصفدي قوله :

سَـــلِ اللهَ رَبَّكَ منْ فَضْلِهِ
إذَا عَرَضَتْ حَـــاجَةٌ مُغْلَقَه

وَلَا تَقْصِدِ التُّركَ في حَاجةٍ
فأعْيُنُهـــم أعْـــيُنٌ ضَيِّقَـه

فزعم أنها من قول الصفدي :

اتْرُكْ هَوَى الأتْرَاكِ إنْ شِئْتَ أنْ
لَا تُبْتَلَى فيهم بِهَـــمٍّ وَضَيْرِ

وَلَا تُرَجِّ الجُودَ مِنْ وَضْلِهِمْ
مَا ضَاقَتِ الأَعْيُنُ مِنْهُمْ لِلْخَيْرِ

وهو القائل :

قِيل لي تَبْذُلُ الذَّهَبْ بِتَوَلِّيَّ قَضَا حَلَبْ
قُلتُ هم يَحْرِقونَني وَأَنَا أَشْتَري الحَطَبْ

ومنه أخذ ابن عشائر قوله :

قِيلَ بَرْطِلْ عَلَى القَضَا تُرغِمِ الحُسّدَ العِدَى
قُلْتُ هُمْ يَحْسُدُونَني وَأَنَا أَشْحَذُ المُدَى

وقد بنى مدرسة في المعرة في الجهة الشرقية الشمالية ، متينة الاركان ، شامخة الذرا ، وبنى جامعها على منوال الجامع الاعظم في حلب ، ولما دخل المعرة القاضي شهاب الدين احمد بن فضل الله العمري نزل فيها ، وكتب بيتين ارسلها الى ابن الوردي ، وهما :

وَفِي بَلَدِ المَعَرَّةِ دَارُ عِلْمٍ بَنَى الوَرْدِيُّ فِيها كُلَّ مَجْدِ
هِيَ الوَرْدِيَّةُ الحُلْواءُ حُسْناً وَمَاءُ البِئْرِ مِنْها مَاءُ وَرْدِ

فأجابه ابن الوردي بقوله :

أَمَوْلَانَا شِهَابَ الدِّينِ إِنِّي
حَمِدْتُ اللهَ إِذ بِكَ تَمَّ وَجْدِي

جَميعُ الناسِ عِنْدَكُمْ نُزُولٌ
وأنتَ جَبَرْتَني وَنَزَلْتَ عِنْدِي

ولم تبق الزلازل من هذه المدرسة الا قبة ، كان يأوي اليها المغامرون والسكارى وارباب الدعارة ، ثم قيض الله لها رجلاً من أهل المعرة ، فرمم بعض الباقي منها ، وهي تدل على انها كانت مدرسة عظيمة ، ولم ت، منها ومن جامعها إلا بناء ، طوله عشرة امتار ، وعرضه سبعة ، بعضه قديم ، وبعضه حديث واه .

ويقال : ان فيها قبر أخيه أحمد ، وبعض الناس يزعم أن قبر عمر فيها ، والصحيح أنه توفي في الطاعون في ٢٧ ذي الحجة سنة ٧٤٩ﻫ في حلب ، ودفن في تربة باب المقام ، قبلي حائط المقام ملاصقاً لقبر أخيه جمال الدين ، وقد قال قبل موته بيومين :

وَلَسْتُ أَخافُ طَاعُوناً كَغَيْرِي
فَمَا هُوَ غَيْر إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ
فإنْ مُتُّ اسْتَرَحتُ مِنَ الأَعَادِي
وإنْ عِشْتُ اشْتَفَتْ أُذني وَعَيْنِي

وكان يكثر في شعره من الحنين الى وطنه ، من ذلك قصيدته التي يقول فيها :

رَعَى اللهُ عَيْشاً بالمَعَرَّةِ قَدْ مَضَى
حَكَاهُ ابْتِسَامُ البَرْقِ إِذْ هُوَ أَوْمَضَا

وقصيدته الثانية .

قِفْ وِقْفَـــةَ المُتَأَلِّمِ المُتَأَمِّلِ

بِمَعَرَّةِ النُّعمانِ وانْظُرْ بِي وَلِي[1]

وقد ذكرنا في وصف المعرة شيئاً من قوله فيها[2] .

* * *

---

(١) ابن الوردي : الديوان ٢٦٢ – ٢٦٣ .

(٢) ويجد ترجمته وأخباره وأشعاره في طبقات ابن السبكي ج ٦ ص ٢٤٣ – ٢٤٥ بغية الرعاة للسيوطي ص ٣٦٥ فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ٢ ص ١١٦ – ١١٨ الدرر الكامنة ٣ : ١٩٥ عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ، ثمرات الأوراق لابن حجة ص ١٢٧ اعلام النبـــلاء ، شذرات الذهب ج ٦ ص ١٦١ ، ١٦٢ الوافي بالوفيات للصفدي ، خزانة الأدب لابن حجة .

وانظر عنه المصادر الآتية :

موسى الانصاري : التذكرة ١/٧٧ (مخطوط) والمطبوعات التالية ·

ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ١: ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٦ : ١٦١ ، ١٦٢ ، الشوكاني : البدر الطالع ١ : ٥١٤ ، ٥١٥ ، حاجي خليفة: كشف الظنون ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ٣٧٦ ، ٣٩٠ ، ٦٢٧ ، ٧٠١ ، ٩٠٢ ، ١٥٤٣ ، ١٥٦١ ، ١٦٢٩ ، ١٦٧٠ ، ١٧٨٧ ، ١٨١٧ ، ١٨٦٤ ، ١٩٦٩ ، الخونساري: روضات الجنات ٥٠٢ ، الجلبي· مخطوطات الموصل ١٩١ ، ٢٣٣ ، البغدادي· ايضاح المكنون ١ : ١٢ / ٢ · ٥٥٣ ، ٦٥٢ ، كوبرلي زاده محمد باشا كتبخانه سنة ٧٠٥ ، البغدادي : هدية العارفين ١ : ٧٨٩ ، لطفي عبد البديع : فهرس المخطوطات المصورة ٢ : ٧٩ ، الزركلي الاعلام ٥ : ٢٢٨ .

Mob. ben Cheneb : Enucyclopédie de l' islam II :. 453, 454.

Brokelmann : g, II : 140, 141. s. II : 162, 163, 174, 175. Rieu : arabic manuscripts 476, arabic manuscripts in the Princeton 31, 253, Mingina : Catalogue of arabic manuscripts 496, 497, De Slane Catalogue des manuscripts arabes : 386 - 388, ahlwardt : ... Verzeichniss der arabischen hands chriben VII : 71

عمر بن هَوبَر بن معاوية بن سفيان بن زيد الشاعر .

من أهل معراثا البريدية ، من ضياع معرة النعمان بالجرز ، ولي معرة مصرين من قبل المتوكل على الله ، وتوفي سنة ٢٣٥ هـ ، ذكر ذلك كله ابن المهذب المعري في تاريخه ، ونقله عنه ياقوت في المشترك .

* * *

عمر بن يحيى بن طرخان المعري ، ثم البعلبكي .

ذكر في الشذرات ج ٥ ص ٤٥١ أنه توفي في سنة ٦٩٩ هـ ، وروى عن الاربلي ، وغيره ، وكان ضعيفاً في نفسه ، ونقل ذلك عن الذهبي .

* * *

فخر الدين بن زكريا بن ابراهيم بن عبد العظيم بن احمد المقدسي ، المعروف بالمعري .

كان عالماً نبيها ، فقيهاً اقام بالجامع الازهر مدة ، واخذ الفقه عن الشهاب الشويري ، والحديث عن عبد الرحمن بن محمد الخطيب الشّربيني ، وعلم الاصول والفروع عن ابي الاخلاص حسن الشرنبلالي ، ورجع الى القدس ، وانقطع في آخر امره للافادة والتدريس بحجرة في المسجد الاقصى ، بقرب رواق الشيخ منصور ، فاشتهرت بخاوة المعري ، وكانت وفاته في سنة ١٠٧٠ هـ ، ولم يعقب (١) .

* * *

(١) المحبي : خلاصة الاثر ٣ : ٢٦٦ (ج) .

الفضل بن ابي الحسين بن محمد المعري .

ذكره ابن العديم فيمن روى الحديث عن ابي العلاء ، حيث قال : أنبأنا المؤيد النيسابوري عن ابي الحسن بن ابي المجد بن محمد الحلبي ، حدثني ابي (١) الفضل ابن ابي الحسين بن محمد المعري ، حدثني ابو العلاء احمد بن عبد الله ، قال : حدثني ابي ابو محمد عبد الله ..

* * *

ابو المكارم الفضل بن عبد القاهر المعري :

كان من الفضلاء والشعراء ، من شعره قوله :

لَيلي وَلَيْلَى نَفَى نومي اْختِلافُهُما
بالطُولِ والطَوْلِ يا طُوبى لَوْ اْعتَدَلا
يَجُودُ بالطُولِ لَيْلي كُلَّما بَخِلَتْ
بالطَّوْلِ لَيْلَى وإنْ جادَتْ بِهِ بَخِلا (٢)

وهو جد محمود بن علي بن المُهَنَّا ، وستأتي ترجمته .

* * *

(١) في نسخة ابو الفضل (ج) .

(٢) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج٢ ص٢٠٣ (ج)

قاسم الخاني (١) .

أصله من قرية خان شيخون من قرى المعرة . وكان من شيوخ الطريق ، وله كتاب سير الساوك الى ملك الملوك ، وشرح عنقاء مغرب للشيخ محيي الدين بن عربي . ذكر ذلك صاحب الحديقة الوردية .

* * *

قاسم بن محمد بن محمد الزين الحيشي الحلبي ، ثم القاهري ، نسبته الدمشقي ، الشافعي ، ويعرف بالقادري :

أقام بحلب مدة على قدم التجريد مؤاخياً للشيخ ابراهيم بن علي بن أحمد ابن بُرَيْد القادري ، وأخذ عن الشرف ابي بكر الحيشي ، وغيره ، ثم انتقلا الى القاهرة ، وأخذا بصَفَد عن محمد بن أبي بكر بن خضر الدَّيْري ، وبدمشق عن عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الجيلي ، وبالقاهرة عن أخيه النور علي ، وغيرهم ، وتزوجا من بيت عبد القادر الكيلاني ، واختص المترجم بغير واحد من الأمراء ، كدولات باي

---

(١) هو قاسم بن صلاح الدين الخاني ، الحلبي الحنفي . صوفي ، منطقي ، متكلم ، محدث ، اصولي ولد سنة ١٠٢٨ هـ ، وسافر الى العراق والحجاز وتركيا ، وعاد الى حلب ، فولي فيها الافتاء الى ان توفي سنة ١١٠٩ هـ . له التحقيق في الرد على الزنديق ، رسالة في مصطلح الحديث ، ورسالة في المنطق.

انظر في المطبوعات الآتية :

المرادي : سلك الدرر ٤ : ١٠٢٩ ، البغدادي . هدية العارفين ١ : ٨٣٣ ، اسعد طلس : الكشاف ١٤١ ، فهرس التيمورية ١ : ١٢٠ ، ٢ : ١٦ ، ٣ : ٧٩ ، البغدادي : ايضاح المكنون ١ : ٢٦٦ / ٢ : ٣٤ ، الزركلي : الاعلام ٦ : ١١

Brockelmann : g. 11 : 344 . s . 11 : 472

المؤيدي ، وجامع الاشرفي بَرْسْباي ، واستقر في مشيخة زاوية ابن داود بصالحية دمشق .

وكان طلق المحيا ، حسن العشرة ، كثير التودد ، صحيح الاعتقاد ، صحيح عمل الأركان ، عاوفاً بداخل الناس ومخارجهم ، تجرد وساح وخالط المشايخ ، وتأدب بآدابهم ، واشتغل بالعلم ، وفهم وتميز ، وكان يشار اليه بالجلالة والمشيخة ، ولم يضمر لأحد سوءاً .

مات يوم الأحد ثالث ربيع الأول سنة ٨٧٤ هـ ، ودفن بمقبرة كان أعدها لدفن جماعته وجماعة مؤاخيه ، شرقي المقبرة المسماة بالروضة ، وملاصقة لها ، بسفح قاسيون أعلى الصالحية ، وقد زاد على الستين سنة [١] .

* * *

ابو العلاء المحسن بن الحسين بن محمد بن احمد بن جعفر بن احمد بن سليمان ابن داوود .

ذكره عبد الله بن علي بن أحمد بن جعفر التنوخي المعري من جملة مشايخ معرة النعمان الذين بقوا الى سنة ٥١٢ هـ .

* * *

القاضي أبو القاسم المُحَسِّن بن عبد الله بن محمد بن عمرو بن سعيد بن محمد ابن داود بن المُطَهَّر .. التنوخي ، المعري ، الحنفي ، يجتمع مع أبي العلاء في جده داود بن المطهر .

ولد في المعرة يوم الأحد الليلة الثامنة والعشرين من ربيع الاول

(١) السخاوي : الضوء اللامع ٦ : ١٩١ (ج) .

سنة ٣٤٩ ﻫ ، وحدث وروي عنه ، وحج سنة ٤١٩ ﻫ على طريق دمشق ، فمات في وادي مرّ ليلة الاربعاء لعشرين خلت من ذي القعدة من للسنة المذكورة ، وحمل الى المدينة ، فدفن بالبقيع ، وكان من أوعية العلم وله مصنفات كثيرة ، ووصايا وأشعار ، ومن شعره قوله :

اِنْعِ إلى مَنْ لَمْ يَمُتْ نَفْسَهُ
فإنَّهُ عَمّا قَلِيلٍ يَمُوتْ
وَلا تَقُلْ فاتَ فُلانٌ فَما
في سَائِرِ العَالِمَ مَنْ لَا يَفُوتْ
ألا تَرَى الأَجْداثَ مَمْلُوءَةً
لَمّا خَلَتْ مِنْ ساكِنِيهَا البُيُوتْ
فَاقْنَعْ بِقُوتٍ حَسْبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ
مُخَلَّداً في هَذِهِ الدارِ قُوت
وَلَا يكُنْ نُطقُكَ إلاّ بِمَا
يَغْنِيكَ في الذِّكرُ أَوْ في السُّكُوتْ

هكذا رواه ياقوت ، وفي ابن عساكر :

يعنيك أو فالذكرُ أوْ فالسكوتْ

وهو أحسن وأصح وزناً .

ومن شعره قوله :

وَكُلٌّ أداويهِ عَلَى حَسْبِ دائِهِ
سِوَى حاسِدِي فَهِيَ التي لا أنالُها
وَكَيْفَ يُداوِي المرْءُ حاسِدَ نِعْمَةٍ
إذا كانَ لا يُرْضيهِ الا زَوَالُها

وقد ذكر ابن تغري بردي انه توفي سنة ٤١٧هـ(١).

* * *

القاضي ابو القاسم المحسن بن عمرو :

ذكره ابن العديم في جملة من قرأ على ابي العلاء ، وذكر في جملتهم القاضيين أبا سعد عبد الغالب وأبا يَعْلى عبد الباقي بن أبي حُصَيْن عبد الله بن أبي القاسم المحسن بن عمرو بن سعيد بن عبد المحسن بن سعيد ابن عمرو التنوخيينْ . وذكر في الخريدة المحسن بن عبد الله بن محمد بن عمرو بن سعيد بن محمد بن داود بن المطهَّر ، وهذا قد تقدم .

* * *

محمد بن أبي بكر بن أبي البركات بن الاكرم بن أبي الفرج المعري ، فخر الذوات الكاتب :

سمع من العز الحرّاني ، وشافية بنت البكري ، وأبي صادق بن الرشيد العلائي ، وغيرهم .

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٤ : ٢٦٢ .
ونجد طرفاً من أخباره وأشعاره في معجم البلدان ج ٨ ص ٩٧ . وابن عساكر ج ١٦ من مخطوطات الظاهرية والنجوم الزاهرة ٤ : ٢٦٤ ، ٢٦٥ (ج)
وانظر عنه تاج التراجم لابن قطلوبغا ص ٥٥ ، ٥٦

وأجاز له النووي والقاضي شمس الدين بن خلكان ، سمع منه شيخنا العراقي ، ومات في شهر رمضان سنة ٧٥٥ ﻫ عن بضع وثمانين سنة(١).

* * *

محمد بن أحمد بن علي بن سليمان الشمس أبو عبد الله بن الركن المعري ثم الحلبي الشافعي ، ممن ينسب الى ابي الهيثم التنوخي اخي ابي العلاء المعري .

ولد في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة هجرية وتفقه ، واخذ عن الزين الباريني ، والتاج ابن الدريهم ، وبدمشق عن التاج السبكي ، وكتب بخطه من الكتب الكبار الكثير المتقن مع ضعفه ، وخطب بجامع حلب مدة ، وأنشأ خطباً في مجلدة ، وكان حاد الخلق ، كثير البر والصدقة ، له نظم وسط ، فمنه في معالج :

جِسْمِي سَقِيمٌ مِنْ هَوَى   مُهَفْهَفٍ يُعَالِجُ
كَيْفَ تَزُولُ عِلَّتِي   وَمُمْرِضِي مُعَالِجُ .

ومنه :

أَحْبَبْتُ رسَّاماً كَبَدْرِ الدُّجى
بَلْ فَاقَ في الحُسْنِ عَلَى البَدْرِ
فَقُلْتُ مَا تَرْسُمُ يَا سَيِّدي
قَال : بِتَعْذِيبِكَ بِالهَجْرِ

---

(١) ابن حجر : الدرر الكامنة (ج)

مات في الكائنة العظمى سنة ثلاث وثمانمائة . ذكره ابن خطيب الناصرية ، وأنشد من نظمه غير ذلك ، وهو ممن أخذ عنه النحو وغيره ، وكذا أخذ عنه ابن الرسّام أيضاً ، وهو ابن عم الجمال ابن السابق لأمه .

وله مصنف سماه روض الافكار وغرر الحكايات والأخبار [1] ، وكتب على ظهره قريب له : انه مات مقتولاً شهيداً على يد تمرلنك ، لكونه لعنه بكلام شديد ، قال : وكان عالماً صالحاً مفتياً رحمه الله .

قال ابن الخطيب ، وله في مليح تركي :

ظَبْيٌ مِنَ التُّرْكِ سَبَا حُسْنُهُ
قَلْبِي وَفِي نَارِ الجَوَى أَحْرَقَهْ
لاَيَرْتَجِي عَاشِقُهُ وَصْلَهُ
أَمَّا تَرَاهُ عَيْنُهُ ضَيِّقَهْ

وله في مليح قارىء :

يَا مُشْبِهاً فِي حُسْنِهِ يُوسُفاً
وَتَالِيَ الآيَاتِ مِنْ يُوسُفِ
هَلْ أَنزلَ الرَّحْمَنُ فِي آيَةٍ
تَحْلِيلَ قَتْلِ العَاشِقِ المُدْنَفِ

---

(١) ومن تصانيفه ايضاً ، تصفية الافكار ، وضوء الذبالة في شرح الذبالة المضية ، والدرة الخفية في الألغاز العربية .

وله في مليح ناظر ·

قَلْبِي مُعَنًّى وَجِسْمِي مُضْنًى عَلَى حُبِّ نَاظِرْ
لَمْ يَخْلُ مُذْ غَابَ عَنِّي سِوَاهُ عِنْدِي بِنَاظِرْ

وله :

صَفَاءُ أَبْنَاءِ هَذَا العَصْرِ مُمْتَنِعٌ
فَعِشْ وَحِيداً لِتَلْقَى رَاحَةَ البَالِ
واغْفِرْ لِخِلٍّ هَفَا فِي الدَّهْرِ هَفْوَتَهُ
فَالمَاءُ والطِّينُ لاَ يَبْقَى عَلَى حَالِ [1]

* * *

محمد بن احمد بن علي بن سليمان المعري ، التنوخي :

كان من رجال القرن الثامن ، وقد كتب شرح الكافية لمحمدبن النَّحويَّة سنة ٧٥٦ هـ .

---

(١) هكذا ذكره مرة في إعلام النبلاء ، وذكره مرة ثانية وجعل فيه لفظ المقري ، بدلاً من المعري والدكن بدلاً من الركن وهو سهو منه لان الاسم والكنية والمولد والوفاة واحد . ونجد ترجمته في الشذرات ج ٧ ص ٣٤ فيمن توفي سنة ٨٠٣ هـ وفي الضوء اللامع ج ٧ ص ١٢ و ج ٨ ص ٢٣٠ وإعلام النبلاء ج ٥ ص ١٢٦ (ج) .

وانظر عنه في بهجة الناظرين للغزي (مخطوطة) والمطبوعات الآتية : حاجي خليفة : كشف الظنون ٤١٣ . ٩١٧ ، البغدادي : إيضاح المكنون ج ١ : ٤٥٨ ، ٢ : ٧٤ ، البغدادي: هدية العارفين ٢ : ١٧٦ Brockelmann : g II : 76 , s , II :56

محمد بن اسماعيل الخَنْدَوثاني(١)

كان من وجوه المعرة وأعيانها ، وعصى على سيف الدولة ، ثم قبض عليه، فيمن قبض عليهم ، ممن عصى عليه ، من مقدمي المعرة مع ابن الأهوازي ، فقال له : من أنت ؟فقال له : أنا عبدك محمد بن اسماعيل الخندوثاني، فقال له سيف الدولة بلغاً بلغاً :

ذِنْبٌ تَرَاهُ مُصَلِّياً فَإِذَا تمثّلَ لي رَكَعْ
يَدعُو وجُلّ دُعَائِهِ مَا لِلْفَرِيسَةِ لَا تَقَعْ(٢)

* * *

محمد بن أكبر المعري :

ذكر ابن القِفْطي في كتاب المحمدين من الشعراء ان ابن اكبر المعري نزيل مصر ، جمع ديوان ابن حيوس ، وابن حيوس ولد سنة ٣٩٤هـ وتوفي سنة ٤٧٣ هـ .

* * *

ابو الفتح محمد بن الحسن بن محمد بن أحمد بن رَوْح المعري :

سمع خَيْثَمَة بن سليمان الحَيْدري وعلي بن محمد بأطرابُلس ، والقاضي أبا سعيد الحسن بن اسحق بن بلبل ، والقاضي أبا نصر محمد بن محمد النَّيْسابوري ، وعم أبيه أبا البهاء ميمون بن احمد بن روح ، وسمع

---

(١) نسبة لخَنْدَوثا من قرى معرة النعمان .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٣٤٧ – ٣٤٨ .

منه ابو صالح محمد بن المهذّب بن علي بن المهذب بن أبي حامد المعري سنة اربع وثمانين وثلثمائة للهجرة(١) .

* * *

ابو عبد الله محمد بن أبي بكر بن نصر بن عمر بن هلال الشمس الطائي الحيشي الأصل ، المعري ، ثم الحلبي ، الشافعي ، البسطامي ، ويعرف بابن الحيشي :

ولد سنة تسع وتسعين وسبعمائة بمعرة النعمان ، ونشأ بها في كنف أبيه وتحول معه الى حلب وبه تخرج وتهذب ، وصحب الزين عبد الرحمن ابن أبي بكر بن داود ، وأخذ القراآت عن عبد الصمد العجمي نزيل حلب ، والحديث عن البرهان الحلبي لما قدمها عليهم ، وخلف والده في المشيخة بدار القرآن العشائرية ، وكان معمور الأوقات بالتلاوة والذكر والمطالعة ، مع الزهد والانجماع عن بني الدنيا ، وتقنع باليسير ، وللناس فيه مزيد اعتقاد ، بحيث يقصد بالزيارة والارفاد ، بما يكون عوناً على سماطه ، وقل ان ترد له رسالة . مات يوم الثلاثاء التاسع من ذي القعدة سنة خمس وسبعين وثمانمائة ، ودفن عند أبيه بتربة الناعورة بحلب ، رحمه الله ، هكذا قال ولده(٢) .

* * *

(١) وقد ذكره ابن عساكر في الجزء ١٥ (من مخطوطات الظاهرية)(ج).

(٢) وقد ذكر ذلك (السخاوي) في الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٠٧ ، ونقله عنه في اعلام النبلاء (للطباخ) ج ٥ ص ٢٨٣ ، ولكنه جعل المصري بدل المعري والبسطامي بدلاً من البساطي ، والصواب المعري لأن حيش قرية من عمل المعرة . بينها وبين خان شيخون كما تقدم (ج)

محمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر (بن نصر بن هلال) الشيخ قوام الدين أبو يزيد ، الحيشي الأصل ، الحلبي ، الشافعي :

توفي في حياة أبيه في شوال سنة اربع وعشرين وتسعمائة ، وهو الذي صلى عليه اماماً بالجامع الأعظم في مشهد عظيم ، ثم كان الخروج بجنازته من باب الجنان ، لدفنه بتربة اسلافه المشهورة بالاطعانية ، ودفن بجوار الشيخ محمد الأطعاني ، وكان عالماً فاضلاً ، مناظراً ، له حدة في مناظرته ، ذا ذكاء وحفظ عجيب . درس بالجامع الأعظم عند محرابه الأعظم ، وكان قديماً يعظ الناس بصحنه ، تارة بغربي الصحن ، وأخرى بشرقيه ، ويوضع له اذ ذاك علمان بجانب كرسيه ، كما كانا يوضعان للشمس المقدسي الواعظ حين يعظ بصحنه ايضاً . قال شيخ الشيوخ الموفق بن أبي ذر : وكان يأتي في مواعيده بنوادر الفوائد ، ولو عاش كانت له الحظوة التامة بحلب ، لما كان له من الحفظ والذكاء المفرط ، قيل : ومن عجيب شأنه انه سرد يوماً النسب فأورده طرداً وعكساً ، وكان رحمه الله تعالى صوفياً بسطامياً كأبيه ، يلف على رأسه المئزر ، مع ارخاء العذبة مراعياً للسنة فيها ، وذكر السخاوي في الضوء اللامع أنه حفظ الشاطبية وعرضها بحلب سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة ، وسافر مع أبويه الى مكة فزار بيت المقدس ، وعرض اماكن منها ومن الرائية على امام المسجد الأقصى عبد الكريم بن أبي الوفاء في سنة خمس وثمانين وثمانمائة ، ثم جاور بمكة سنتين ، واشتغل بها يسيراً قال : وسمع مع أبيه علي ومني اشياء. زاد الزين الشماع في نسبه فقال : وقد ترقى واشتغل بعد عودته من مكة ، بحلب على عالمها الشيخ بدر الدين حسن السيوفي ، فبحث عليه الارشاد لابن المقري بقراءته ، وسمعت بعض الدروس منه بجامعها الاعظم ، وقرأ الميعاد به ، وكان يجتمع عنده كثير من العوام

والنساء ، ثم رغب بأخرة عن ذلك ، بل عن حضور الجامع في العالم ، ولزم الانجماع تارة بمنزله ، وتارة تحت منارة الجامع ، وأعرض عن لبس الثياب الجميلة التي كنا نشاهدها من عادته بالنسبة اليه .

وكانت شهرته الشيخ قوام الدين بكنيته دون اسمه ولقبه (١)

* * *

ابو اليمن محمد بن الخضر بن الحسن بن القاسم بن ابي المهزول التنوخي المعروف بالسابق من أهل المعرة (وفي ابن عساكر يعرف بابن مهزول) وفي بغية الطلب : السابق ابن أبي مهزول ، واسمه محمد بن الخضر ، والسابق لقب اشتهر به ، وربما يلتبس بانه اسمه ، وهو مذكور في المحمدين :

كان شاعراً مجيداً ، مليح القول ، حسن المعاني ، رشيق الألفاظ ، عالماً باللغة والنحو ، حسن الخط ، دخل بغداد ، وجالس العلماء والشعراء بها وأسمعهم شعره ، كالأبيوَرْدي وابن باقيا والخطيب التبريزي . وعرف كل منهم إحسانه ، ودخل الرّي وأصفهان ، ولقي ابن الهبّاريّة الشاعر ،

---

(١) هكذا جاء في اعلام النبلاء (للطباخ) ح ٥ ص ٤٠٢ وقال في نهر الذهب (لكامل الغزي) ج ٢ ص ٢٥٩ عند الكلام على قاعة في دار القرآن العشائرية وكانت تعرف بقاعة الحيشية نسبة الى أبي بكر بن محمد بن ابي بكر الحيشي .

وقد نقل صاحب الاعلام عن السخاوي ، ولم يذكر السخاوي في نسبه : ابن نصر ابن عمر بن هلال. وقال في الاعلام انه توفي في حياة أبيه سنة ٩٢٤ هـ ، وذكر في ترجمة أبيه انه توفي سنة ٨٧٥ هـ فلعله اشتبه عليه بغيره ، او لعل في الأرقام خطأ وقد ترجمه الغزي في الكواكب السائرة ، وذكر في نسبه مضر بن عمر بن هلال ، والصواب : نصر ابن عمر ، وذكر انه توفي في حياة أبيه في شوال سنة ٩٢٤ هـ وصلى عليه والده في جامع حلب في مشهد عظيم ، ودفن في تربة اسلافه بالاطعانية .

وقد ذكر في ترجمة أبيه نقلاً عن الكواكب السائرة انه توفي سنة ٩٣٠ هـ فتأمل (ج)

واستفاد من جميع الأمة كل مايحتاج اليه الشاعر المفلق والبليغ المحقق ، وعمل رسالة لقبها تحفة الزمان (١) اتى فيها بكل معنى غريب ، وكل شعر مختار لأديب ، وانفذها الى اصدقائه ببغداد ، وكتب على ظهرها أبياتاً اولها :

إذَا ما جَزَى اللهُ ٱلْكَرِيمَ بِفِعْلِهِ
فَقَابَلَ بالإِحسَانِ عَنَّـــا المُحْسِنَا

ودخل دمشق ، وكان لايرى فيها الا مع القاضي الزكي ، وعند المحسن ابن احمد الملحي ، وولي الدولة بن البَرّي ، ثم اشتاق الى بلده واهله ،فسار الى المعرة حيناً ، واقام فيها اشهراً ، ثم انتقل الى حلب ، فاقام بها الى ان توفي ، وكانت وفاته بعد المائة الخامسة .

قال ابو عبد الله محمد بن المحسن بن احمد الملحي : كنت عنـــد السابق قبل موته ، فقال لي : قد وصف صديقنا ابو نصر الحكيم سماقية ، فتقدم الى من يطبخها ، وانفذها الي ، فقلت : نعم ، وانصرفت ، فتقدمت الى غلام بتعجيل ما اقترحه ، وعدت الى منزلي عاجلاً ، فوردت علي من السابق رقعة بخطه المليح الفائق . ياسيدي كانت السماقية ممسكة ،فصارت ممسكة ، واظن سماقها مانبت ، والسكين عن ذبح شاتها نبت .

فَلا شَفَى اللهُ مَنْ يَرْجُو الشِّفاءَ بِها
وَلَا عَلَتْ كَفُّ مُكْفِي كَفَّه فيها

ويروى : (كف ملقي كفه) . فكتبت في ظهر الرقعة وأنفذتها مع السماقية التي اقترحها :

---

(١) وفي فوات الوفيات تحفة الندمان تشتمل على عشر كراريس ,ج) .

بَلْ كُلْ وَلَا حَرَجٌ مِنْهُ عَلَيْكَ وَدَعْ
عَنْكَ التَمَثُّلَ بالأَشْعارِ تُهْدِيها
وَلَا تُعَنَّ لِتَشْقِيقِ الكَلَامِ وَلَا
قَصْدِ المَعَاني تَنَقَّاها وَتَبْنِيها [1]

وفي ابن عساكر ، قال لنا ابو عبد الله محمد ... الملحي : السابق ابو اليمن بن . ... المعري شاعر مجيد ، يضع القلادة في الجيد ، كثير المختار في الهجاء والتمجيد ، عالم في اللغة والنحو . ثم ذكر رحلته الى بغداد ، ومعاشرته العلماء والشعراء ، وانكفاءه الى دمشق ورجوعه الى المعرة ، ثم انتقاله الى حلب ، وكان عنده قبل موته ، وله شعر بديع منه قوله في مليح قد حلق شعره :

وَجْهُكَ المُسْتَنِيرُ قَدْ كَانَ بَدْراً
فَهْوَ شَمْسٌ يُضِيءُ [2] صدْغُكَ عَنْهُ
سَبَقَتْ آيَةُ النَّهـارِ عَلَيْـهِ
إِذْ مَحا ٱلْقَوْمُ آيَةَ اللَّيْلِ مِنْـهُ

ومنه قوله :

وَأَغْيَدَ وَاجَهَ المِرْآةَ زَهْواً
فَحَرَّقَ بالصَّبَابَةِ كُلَّ نَفْسِ

---

(١) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ، (ج) .
(٢) في الفوات :لفيء (ج) .

وَلَيْسَ مِنَ العَجائِبِ إنْ تأَتّى

حَرِيقٌ بَيْنَ مِرْآةٍ وَشَمْسِ.

وقوله :

وَلَقَدْ عَصَيْتُ عَواذِلي وأَطَعْتُهُ

رَشَأً يُقَبِّلُ عاشِقِيهِ وَلا يَدْرِي

إنْ تَلْقَ شَوْكَ[1] اللومِ فِيهِ مَسَامِعي

فبِما جَنَتْ مِنْ وَرْدِ وَجْنَتِهِ النَّدِي

وقوله :

وَرَاحٍ أزَاحَتْ ظَـلامَ الدُّجى

فأبدى الفَرَاش إلَيْهـا فَطَارَا

رَأى [2] مَا تَوَقَّدَ في كَاسِها

فَيَمَّمَهـا يَحْسَبُ النورَ نَارَا

وَما زِلْتُ أشْرَبُها قَهْوَةً

تُميتُ الظَّلامَ وتُحْيِي النَّهـارَا

وقوله :

---

(١) في الفوات : شر اللوم (ج) .
(٢) في الفوات : رآها (ج) .

لا تَعذُليهِ كَفاهُ وَخطُ مَشيبِهِ
مِنْ عَذْلِهِ عِوَضاً وَمِنْ تأنيبِهِ

أجرَى غُروب الدّمعِ منْ أجفَانِهِ
مُحْمَرّة ما ابيَضّ مِنْ غِرْبيبِهِ

وقوله :

وَشَادِنٍ بِتُّ صَارِفاً هِمَمِي
عَن المنـــا فِيهِ وَالمُنَى فِيهِ

كَالبَدْرِ والشّمْسِ أو يَفوقُها
فَمَا يُدَانِيـــه كافُ تَشْبِيهِ

قَـــابَلَ مِرْآتَهُ فَقُلْتُ لَهُ
مَوْلايَ عَوِّذْ مـــا أنتَ رَائيهِ

فَقُلتُ سِرّاً لِصاحِبِيّ أمَـــا
تُراعِيانِ الذي أرَاعِيـــهِ

إنْ نَظَرَتْ عَيْنُه مَحَـــاسِنَه
تَاهَ عَلينـــا بَلْ زَادَ في التّيهِ

وقوله :

سَأرْحَلُ عن دَارٍ أرُوحُ وأغْتَدي
وَسِيّانِ فِيهــا مَشْهَدِي وَمَغيبي
وَإنْ قَـلَّ مِنِّي بالجفاء نَصِيبُها
فَقَدْ قَلَّ منْها في الوَفَاءِ نَصيبي
فإنْ لَمْ أرُعْهـا بالفِراقِ فَراعَني
مَلامُ خليلي ،أوْ مَـلالُ حَبيبي

وقوله :

حَلِمتُ عَلَى السَّفيهِ فَزادَ بَغْياً
وَعَـادَ فَكَفَّهُ سَفَهِي عَلَيْهِ
وَفعْلُ الخيْرِ مِنْ شِيَمِي وَلكِنْ
أَتَيْتُ الشَّرَّ مَدْفُوعـاً إلَيْهِ

وقوله :

حَلَبٌ مَعْهَدُ الصِّبا والتَّصابي
فَسَقَاهَـا الوَسْميُّ ثُم الوَلِيُّ
مَوْطِني بَعْدَ مَوْطِني فَكَأنِّي
لِغَرَامي بِحُبِّهـا البُحْتُرِيُّ

الى أن قال في مدارسها :

فَلَدَيْها كُلُّ الفُنُونِ وَفِيهــا
مَا اشْتَبَاهُ الشَّرْعِيِّ وَالفَلْسَفِيُّ
غَيْرَ أَنِّي أَرَى الأَطَايِبَ شُزْراً
وَحَلِيفُ الإِفْلَاسِ عَنْها قَصِيُّ (١)

وقال ابن الملحي : كان فخر المعالي تاج الدولة صرف همته الى عمارة الجامع ، وأعطى عمالته الى أبي علي السوادي ، وجعل السابق عليه مشاهرة ، توقف فيها ، فكتب السابق الى فخر المعالي :

المَسْجِدُ الجَامِعُ فِي جِلَّقٍ ... إِلَيْكَ بَعْدَ اللهِ يَسْتَعْدِي
صَارَ السَّوادِي لَهُ عَامِلاً ... وَكَانَ لا يَصْلُحُ للبيدِ
نَهَارَهُ لا كَانَ مُسْتَهْتِرا ... يَلْعَبُ بالشَّطْرَنْجِ والنَّرْدِ
ولَيْلَهُ يَشْرَبُهــا قَهْوَةً ... صَفْراءَ أَوْ حَمْراءَ كَالوَرْدِ
بالكَاسِ والطَّاسِ وَلا يَرْعَوِي ... مَعَ البَغَايَا وَمَعَ المُرْدِ

وهي نحو أربعين بيتاً ، يصف فيها أكل مال الجامع والمساجد ، ويتفنن في الفحش ، فصرف أبو علي عن الجامع ، وصار عند فخر المعالي ، وذهب السابق الى العراق ، ومدح شرف الدولة بن قريش وبني عمه ، بقصائد ثابتة في ديوانه ، وفيها من عيون الشعر وحسنه ما يلحقه بطبقة من تقدم ، فلما رجع من العراق عمل رسالته .

(١) محمد كرد علي : مجلة المجمع العلمي العربي ٦ : ١٠ .

وفي بدائع البدائه ص ٧١ عن ابن عساكر عن الملحي ، قال : حدثني السابق أبو اليمن . قال : اجتمعت بأبي عبد الله بن الخياط يعني الشاعر الدمشقي بطرابلس ، وكنت أنا وهو نجلس في دكان عطار نصراني، يعرف بأبي الفضل ، فيه ذكاء ومحبة للأدب ، فخرجنا يوماً الى ظاهر البلد ، فاخترنا موضعاً نجلس فيه على غدير هناك ، فقال ابن الخياط بديهاً :

أَوَ مَا تَرَى قَلَقَ الغَـدِيرِ كَأَنه
يَبْدُو لِعَيْنِكَ مِنْهُ حِلْيُ مناطِقِ
مُتَرَقْرِقٌ لَعِبَ الشُّعَـاعُ بِمَـائِهِ
فَتَرَاهُ يَخْفِقُ مِثْلَ قَلْبِ العَـاشِقِ
فَإِذَا نظرتَ إليــــهِ رَاقَكَ لَمْعُهُ
وَعَلَلْتَ طرفَكَ مِنْ شَرابٍ صَادِقِ

ولم يفتح الله على السابق ولا بلفظة فقال العطار :

قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَكونَ مُصَلِّياً
حَتَّى رَأَيْتُكَ سَابِقـــاً لِلسَّابِقِ

فاستحسنا ما أتى به العطـار ، وجعلناه من مأثور الاخبار .

قال ابن الملحي : وكان السابق لا يحفظ من شعره بيتاً واحداً ، وابن الخياط بخلافه يحفظ شعره منذ عمله الى أن مات .

وأورد له ابن سعيد في قوله(١) :

كَأَنَّ الشَّقَائِق والأُقْحُوانَ
خُـــدُودٌ تُقَبِّلُهُنَّ الثُّغُورُ
فَهاتيك أَخْجَلَهُنَّ الحَيـــا
وَهَاتيكَ أَضحَكَهُنَّ السُرُورُ

ونسبها في معاهد التنصيص الى ابن الدويدة (٢)

وعده ابن العديم فيمن قرأ على أبي العلاء .

وذكر في الوفيات(٣) : ان السابق بن أبي مهزول الشاعر المعري قال : دخلت العراق فوجدت ابن الهبَّاريَّة ، فقال لي في بعض الايام : امض بنا لنخدم الوزير ابن جَهير ، وكان قد عزل ، ثم استوزر ، قال السابق : فدخلت معه حتى وقفنا بين يدي الوزير ، فدفع اليه رقعة صغيرة ، فلما قرأها تغير وجهه ، ورأيت فيه الشر ، وخرجنا من مجلسه ، فقلت : ما كان في الرقعة ؟ فقال : خير . الساعة تضرب رقبتي ورقبتك ، فاشفقت وقلقت ، وقلت : أنا رجل غريب صحبتك هذه الايام ، وسعيت في هلاكي ؟ ، فقال : كان ما كان ، فقصدنا باب الدار لنخرج فردنا البواب ، فقال : أمرت بمنعكما ، فقال السابق : أنا رجل غريب من أهل الشام ما يعرفني الوزير ، وانما القصد هذا . فقال البواب : لا تطول فما الى خروجك من سبيل ، فأيقنت

---

(١) ابن سعيـــد : عنوان المرقصات والمطربات في شعراء المائة الخامسة من المطرب ٤٦ (ج)

(٢) عبد الرحيم العباسي : معاهد التنصيص ١٧٨ (ج)

(٣) ابن خلكان : الوفيات ٢ : ٨٩ (ج)

بالهلاك ، فلما خف الناس حرج اليه غلام معه قرطاس فيه خمسون ديناراً ، وقال : قد شكرنا فاشكر ، فانصرفنا ، ودفع لي عشرة دنانير منها ، فقلت : ما كان في الرقعة ؟ فانشدني :

قُلْ لِلْوَزِيرِ وَلَا تُفْزِعْكَ هَيْبَتُهُ
وَإِنْ تَعَاظَمَ واسْتَوْلَى لِمَنْصِبِهِ
لَوْلا ابنَةُ الشَّيْخِ ما اسْتُوْزِرْتَ ثانيةً
فاشْكُرْ حِرًا صرتَ مولانَا الوزيرَ به

فآليت ان لا اصحبه بعدها (١)

* * *

محمد بن عباس بن محمد بن حسين بن محمود بن عباس الشمس الصلتي ، ثم المعري سبط البرهان ابن وُهَيْبَة :

ولد سنة ٧٤٥ هـ أو قبلها ، ونشأ في حجر خاله البدر بن وهيبة ، فاشتغل قليلا ، وأذن له الشمس ابن خطيب يَبْرُود في الافتاء ، وولي قضاء غَزّة في اوائل القرن مضافاً للقدس ، ومن قبل ذلك ولي قضاء بَعْلَبَك وحِمْص ، وحماة مراراً ، ثم قدم القاهرة ، فسعى في قضاء المالكية بدمشق ،

---

(١) وتجد ترجمته واخباره فى فوات الوفيات وابن خلكان و (تاريخ دمشق) و (ابن عساكر ومجلة المجمع العلمي العربي) وعنوان المرقصات والمطربات (لابن سعيد) والشذرات (لابن العماد) (ج)

وانظر عنه في المطبوعات الآتية : البغدادي : إيضاح المكنون ١ : ٢٦١ ، الصفدي · الوافي بالوفيات ٣ : ٣٩ - ٤١ ، البغدادي : هدية العارفين ٢ · ٧٩ ، الزركلي : الاعلام ٦ : ٣٤٦

فوليه ولم يتم أمره ، ثم ولي قضاء الشافعية بدمشق أيضاً بعد الوقعة ، مرة بعد اخرى سنة وشهراً في المرتين ، وكان مفرطاً في سوء السيرة ، قليل العلم ، ولسوء سيرته كان يكتب له القضاء مجرداً عن الانظار والوظائف ، فانه كان ارضى بها أهل البلد ورضي بالقضاء مجرداً . قال ابن حمصي في حوادث سنة ٨٨٠ هـ : وفيها ولي ابن عباس قضاء بعلبك ، وهو رجل جاهل ، وكان الذي عزل به رجل من أهل الرواية ، يدرس بدار الحديث بها ، فجاء هذا لا دراية ولا رواية ، وانما كان يتولى بالرشوة لبعض من لاخير فيه . . مات معزولاً في اول جمادى الأولى سنة سبع ، وذكره ابن حجر في انبائه (١) .

* * *

ابو بكر محمد بن سليمان بن أحمد جد والد ابي العلاء المعري التنوخي :

كان فاضلا ، اديباً ممدوحاً ، ولي القضاء في المعرة بعد أبيه في حدود الثلاثمائة ، وقيل : هو الذي تولى سنة ٢٩٠ هـ ، وقد مدحه ابو بكر احمد بن محمد الصَّنَوبَري بقصائد منها قوله :

بِأَبِي يَابْنَ سُلَيْمَا نَ لَقَدْ سُدْتَ تَنُوخَا
وَهُمُ السَّادَةُ شُبّا نا لَعَمْرِي وَشُيُوخَا
أُدْرِكَ البُغْيَةَ مَنْ أَضْحَى ... بِنَادِيكَ مُنِيخَا
وَارِداً عِنْدَكَ نِيلاً وَفُراتاً وَبَلِيخَا .

(١) تجد ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي ج ٧ ص ٢٧٧ (ج) .

وَاجِداً مِنْكَ مَتَى اسْتُصْرِخْتَ لِلْمَجْدِ صَرِيخَا
فِي زَمَانٍ غَادَرَ الهِا تِ فِي النَّاسِ مُسُوخَا

وكان محمد بن سليمان شاعراً مجوداً ، ومن شعره قوله ، في الشمعة :

وَصَفْرَاءَ كَالتِّبْرِ مَقْدُودَة ... تَسُرُّ وَتُؤْنِسُ جُلاسَهَا
تَكُونُ لِطَالِبِ مِقْيَاسِهَا ... فُوَيْقَ الذِّرَاعِ إِذَا قَاسَهَا
تَمُوتُ إِذَا أُهْمِلُوا أَمْرَهَا ... وَتَحْيَا إِذَا قَطَعُوا رَاسَهَا
وَيَفْنَى الدُّجَى بِسَنَا نُورِهَا ... إِذَا شَهِدَ القَبْضُ أَنْفَاسَهَا
وَتَبْكِي وَيَسْقُطُ[1] مِنْ رَأْسِهَا ... نُجُومٌ تُرَصِّعُ[2] لِبَاسَهَا
يَرَى الشَّرْبُ[3] نَجْماً بِهَا طَالِعاً ... وَشَمْساً إِذَا كُلِّلَتْ[4] كَاسَهَا

وتوفي القاضي أبو بكر سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة .

وقد توهم ياقوت وغيره فجعلوه عم أبي العلاء ، وانه ولي قضاء حمص بعد أبيه .

* * *

(١) كذا رواه ياقوت ورواه ابن العديم وتبكي فيقطر .. (ج) .

(٢) كذا في ابن العديم وفي ياقوت ترجع (ج) .

(٣) في ياقوت الثرب . (ج)

(٤) في ابن العديم جليت ولعلها جلببت (ج) .

المرحوم المبرور سيدي الوالد السيد محمد تقي الدين بن سليم بن محمد الجندي :

ولد رحمه الله في المعرة في ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٢٦٩ هـ ، وقرأ على الشيخ صالح بن رمضان المعري وغيره ، وتقلد وظائف كثيرة في المعرة ، كان فيها مثال العفة والكفاءة ، وكان صادق الفراسة ، صحيح الذاكرة لايعزب عن ذهنه شيء مر به ، وكان عالماً بانساب الأسر السورية اكثر من ابنائها ، وبالجملة فقد كان تاريخاً ناطقاً ، وقمطراً حياً، أبياً ، طاهر النفس واليد والذيل ، لين الجانب ، بعيداً عن الايذاء ، صبوراً على تحمل الأذى ، هاجر الى دمشق نحو سنة ١٢٩٠ هـ ، وتزوج بها ابنة عمه أمين ، فولدت منه ذكراً وانثى ماتا طفلين ، ثم تبعتهما امها ، فعاد الى المعرة ، فتزوج بها سنة ١٢٩٣ هـ والدتي بنت شريف بن محمد من الأسرة المعروفة ببني السيد يوسف ، من أعيان المعرة ، فولدت هذا العاجز واخي أميناً ، واخي الثالث مصطفى ، وخمساً من البنات ، ثم في سنة ١٣١٩ هـ هاجر بجميع اسرته الى دمشق وتوطن فيها ، واقام في الدار المعروفة بدار الجندي الآن في حارة الشالق في سوق صاروجا الى ان توفاه الله الساعة ١٢ فجر الاثنين من اليوم الثاني من صفر سنة ١٣٣٢ هـ ، ودفن في تربة بني الجندي في الذهبية في مقبرة الدحداح ، ظاهر دمشق رحمه الله وبرد مضجعه وجزاه عنا خير ماجزى أباً عن بنيه ، وقد ارخت وفاته بهذه الابيات ونقشت على حجر المزار :

سَحابَ الرِضا وٱلعَفوِ حيِّ ثَرى به

توارَى تَقِيُّ الدينِ زادالسُؤدُدالفَرْدُ

أعزُّ بني الجندي آل النبيِّ وأ
أبيُّ الذي في الناس ليسَ له نِدُّ
فقد كانَ طوْداً في الفضائل شامخاً
وكيفَ بلَحْدٍ قد ألَمَّ بهِ طودُ
وقد نالتْ الأخرى على أختها بهِ
فخاراً كما باهى الضِّراحَ به اللَحْدُ
وإنْ كانَ أشجَى العِلْمَ والحِلمَ فقْدُهُ
فمِنْ فرَحٍ أرِّخْ بهِ سُرَّتِ الخُلْدُ

وقد امتدحه جماعة كثيرون ، منهم الشيخ عبد الحميد الحفار بقوله :

يا تقيَّ الدينِ إنا قدْ وجدْنا اللطفَ منكا
فنسيمُ الروضِ يَرْوي راكباتِ النَشْرِ عَنْكا

وقوله :

هذا محلٌّ قـدْ غدَتْ آياتُـه بالبِشْرِ تُتلى
رقمتْ على أبوابِـــه أهلاً بمنْ يأتي وسَهْلا

ومدحه الشيخ عثمان اليوسفي المعري بموشح هناه فيه بولادة اخي مصطفى مطلعه :

مَلأَ الكَوْنَ سروراً مُذْ بَدا بَدْرُ أفراحي بدارِ الأَسَدِ

وَأَتَانا البَسْطُ جهراً وغـدا   هَمُّنا في غَيظِـــهِ والحَرَدِ

وفيه يقول :

فَأَرَّقَهُ في قُلْ هُوَ اللهُ أَحدْ   أَنهُ واللهِ نالَ الشرَفـــا

وَأَرَقَهُ في زهجِ واحِ بطَدْ[1]   فَهُوَ والرَّحمنِ حقاً مُصطَفَى

لتَقيُّ الدِّينِ لمـــا مَدَّ يَدْ   حَقَّقوا فيهِ فَما فيـه خَفَا

كانَ في ظَهرِ أبيــــهِ سَيّدا   حَبَّـذا السَيّدُ وابنُ السَّيد

نالَ في المَهْدِ صَلاحاً وَهُدى   فَهُوَ هـادِ للبَرايا مُهْتَدي

ورثاه جماعة ، منهم ابن عمنا الشيخ حسن بن محمد الفتوحي الجندي الحموي ، رثاه بقصيدة يقول فيها :

---

(١) العرافون واصحاب العزائم والرقى يكتبون لدفع العين أوابطال السحر او المحبة او غيرها جدولاً فيه تسعة بيوت في كل بيت رقم معين ومن اية جهت جمعت هذه الأرقام بلغ المجموع خمسة عشر واكثرهم يضع بدل الرقم حرفاً يعاد له بحساب الجمل وهذه صورته والجمع من اليمين الى الشمال او من الأعلى الى الأدنى (ج) .

ز	هـ	ج
و	ا	ح
ب	ط	د

إن القضاءَ جرى بواحدِ قومِهِ

فأجابَ وهو على المهيمن وافدُ

أعني به نجلَ السَّليمِ محمَّــد

مَنْ فازَ بالآلاء وهوَ الزاهدُ

الصالحُ الوَرِعُ التقيُّ المُنتَقى

سامي العُلى النّدبُ الوَفيُّ الماجدُ

* * *

ابو البركات محمد بن ابي اليسر شاكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن ابي المجد محمد اخي ابي العلاء التنوخي :

ولد في حلب في ذي الحجة سنة ٥٤٥ هـ وسمع الحديث من الحافظ أبي القاسم الدمشقي ، وكان شاعراً أديباً ، ومن شعره قوله :

نَظَرَ الحبيبُ الى المُحبِّ فتـاقا

ودَنا الى ذي وَجْـدِهِ فأفاقا

سُبحانَ مَنْ جَمعَ المَحاسِنَ كُلَّها

فيـه فضاهى خَلْقُه الأخلاقـا

* * *

أبو المجد محمد بن عبد الله بن سليمان . . التنوخي :

هو أخو أبي العلاء ، وأسن منه ، لأنه ولد ليلة الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمس وخمسين وثلاثمائة .

سمع بمعرة النعمان أبا أحمد عبيد الله بن محمد بن أحمد بن الحريص البزّاز وأبا زكريا يحيى بن مِسْعَر بن محمد التنوخي .

وروى عنه أخوه أبو العلاء ، وولده عبد الله ، وأبو سعيد السمان .

وكان فاضلاً أديباً شاعراً ، ومن شعره قوله :

يامَغانِي الصِّبا بِبابِ حُناكِ
لا بِبابِ الغَضَا ووادي الأَراكِ
لا تَخَطَّتْكِ غاديات الثُّريا
إن بَعَدَّتك رائحاتُ السِّماكِ
أسْلَفَتْكِ[1] الأيّامُ فيكِ سُروراً
فَاسْتَرَدَّ السُرورُ ماقَدْ عَراكِ
وعَزيزٌ عَلَيَّ أنْ حَكَمَ الدَّهرُ..
..عَلَيّ رغْم ناظري بِبَلاكِ
بكِ[2] وَجْدي إذا النجومُ اسْتَقَلَّتْ
لهُمومي في كَثْرَةٍ واشْتِباكِ

(١) لعل الصواب اسلفتني او اسلفتك الايام قبل.. (ج)
(٢) هذا البيت لم يذكره ابن العديم (ج)

ومن شعره في الزهد قوله :

كَرَمُ المُهَيْمنِ مُنْتَهى أَمَلي
لا نِيَّتي أَجْرٌ ولا عَمَلي
يا مُفْضِلاً جَلَّتْ فَوَاضِلُهُ
عَنْ بُغْيَتي حَتَّى انْقِضا أَجَلي[1]
كَمْ قَدْ أَفَضْتَ عَلَيَّ مِنْ نِعَمٍ
كَمْ قَدْ سَتَرْتَ عَلَيَّ مِنْ زَلَلِ
إنْ لَمْ يَكُنْ لي ما أَلوذُ بِهِ
يومَ الحِسابِ فَإنَّ عَفْوَكَ لي

ومن شعره قوله ، وقد اجتاز بقبر صديق له :

سَقَى قَبْرَكَ المَهْجورَ صَوْبُ تَجاوُزٍ
عَميمُ الرِّضا جَمُّ اللُّهى والمَكارِمِ
إذا طَلَعَتْ يومَ الحِسابِ سَحابَةٌ
مَحَتْ بِقَضاءِ اللهِ صُحُفَ الجَرائِمِ

وقوله ، وقد رواه أبو الراضي مُدْرِك عن أبي طاهر اسماعيل بن حميد عن أبي المجد :

---

(١) في ابن العديم انقضى (ج)

لَقَدْ عَظُمَ اشتيـاقٌ مِنكَ نَحْوي
ففي قَلْبي مِـــنَ الأَشْواقِ نارُ
وعَلَّ اللهَ يَجْمَعُ بَعْـــدَ بَيْنٍ
لنـــا شَمْـلاً وَيَقْتَرِبُ المَـزارُ
ولَيْسَ بِضَـــائِرٍ والُودُ باقٍ
اذا نَزَحـتْ بِأَهْليهَـــا الدِّيارُ

وقد ولد له ولدان ، أحدهما : عبد الله أبو محمد ، والثاني علي أبو الحسن .

قال ابن العديم : والموجود الآن من بني سليمان كلهم من عقب أبي المجد محمد وقد توفي سنة ٤٣٠ ﻫ ، وعمره خمس وسبعون سنة ، فيكون مولده سنة ٣٥٥ ﻫ ، ويكون أسن من أخيه أبي العلاء بثماني سنوات . ولما مات قدّم أبو العلاء أبا صالح محمد بن المهذب للصلاة عليه(١) .

* * *

أبو المجد محمد بن عبد الله بن أبي المجد محمد اخي أبي العلاء ، وهو المعروف بمجد القضـاة .

وورد ذكره في بعض الكتب مجد القضاة ، وقد اشتبه على كثير بجده لتساويهما في الأسم والكنية والأب . ولد في معرة النعمان بين المغرب

(١) وتجد شيئا من أخباره وأشعاره في الانصاف لابن العـــديم ومعجم الادباء لياقوت وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ٣٤٥ (ج)

والعشاء في ليلة الجمعة ليلة الخامس من ربيع الآخر سنة ٤٤٠ هـ وقيل سنة ٤٤١ هـ .

وأدرك عم أبيه أبا العلاء ، وروى عنه مصنفاته وأشعاره ، وروى عن أبيه عبد الله ، وعن أخيه وادع ، وابي الحسن علي بن أحمد بن الدويدة ، وابي يعلى عبد الباقي بن أبي حُصَيْن .

وروى عنه حفيده ابو اليسر شاكر بن عبد الله . ومؤيد الدولة أسامة بن مُرْشِد بن مُنْقِذ الشَّيْزَرِي .

وكان فاضلًا أديباً ، شاعراً ناثراً ، فقيهاً متقناً على مذهب الشافعي ، راوياً للحديث مفتياً خطيباً .

ولي القضاء بالمعرة ، بالنيابة عن أخيه الكبير وادع ، ثم وليه استقلالا ، وظل قاضياً بها ، الى أن دخلها الفرنج سنة ٤٩٢ هـ ، فانتقل الى شَيْزَر ، واقام بها مدة ، ثم انتقل الى حماة ، فاقام بها الى أن مات في محرم سنة ٥٢٣ هـ . وعلى هذا تكون روايته عن عم أبيه قبل أن يبلغ عشر سنوات .

وله رسائل وديوان شعر ، ومن شعره قوله :

رَأَيْتُكَ في نَوْمي كَأَنَّكَ مُعْرِضٌ
مَلالاً فَداوَيْتُ المَلالَةَ بالتَّرْكِ

وأَصْبَحْتُ أَبْغي شاهِداً فَعَدِمْته
فَعُدْتُ فَغَلَّبْتُ اليَقينَ على الشَّكِ

وَعَهْدي بِصُحْفِ الودِّ تُنْشَرُ بَيْنَنا
فإِنْ طُوِيَتْ فاجْعَلْ خِتامَكَ بالمِسْكِ
لَئِنْ كانَتِ الأَيامُ أبلى جَديدُها
جديدي ورُدَّتْ من رَحيبٍ الى ضَنْكِ
فما أنا إلا السَّيفُ أَخْلَقَ جَفْنُه
ولَيْسَ بِمأْمونِ الغِرارِ عَلى الفَتْكِ

وقوله :

جَسَّ الطَّبيبُ يَدي جَهْلاً فَقُلْتُ لَهُ
إِلَيْكَ عَنّي فَـــإِنَّ اليَوْمَ بُحْراني
فَقالَ لي ما الذي تَشْكو فَقُلْتُ لَهُ
إني هَوِيتُ بِجَهْلي بَعْضَ جيراني
فَقامَ يَعْجَبُ مِنْ قَوْلي وقال لَهُمْ
إِنْسانُ سوءٍ فَداووهُ بإِنسانِ

وقال أبو اليسر شاكر : لما حضرت الوفاة جدي القاضي أبا المجد بحماة كنت عنده ، وأخي أبو الفضائل عبد الكريم ، فقال مخاطباً لي ، وله :

أبا اليُسْرِ ياعَبْدَ الكريمِ سلِمْتُما
ونُجِّيتُما مِنْ طارِقِ الحــدثانِ

تَرَكْتُكُما والقَلْبُ باكٍ عَلَيْكُما

لأَنْكَدِ أيامٍ وَشَرِّ زَمَانِ

خَليفتي اللهُ الكَريمُ عَلَيْكُما

مَعاً وَكِلاني فيكُمَا وَرَعَاني

وإني لأَرْجُو اللهَ حتى كَأَنَّما

ظُنونِيَ في إحْسانِهِ كَعِيَانِي

ذَخَرْتُ وِداداً في أناسٍ فإنْ وَفَوْا

وإلا خُذا الشَّنْآنَ بالشنآنِ

وقُوما قِيامَ الأَكْرَمينَ مَناصِباً

وَسُدّا عَنِّي رَغْمَ العَدوِّ مَكاني

ولا تُهمِلا خوفاً مِنَ اللهِ جَهرةً

وفي حالِ سِرٍّ تَرْشُدا بِضَمانِ

وذكر له ابن العديم بيتين في ترجمة ابراهيم بن شاكر عن أبيه شاكر ، قال : أنشدني جدي أبو المجد لنفسه :

وَعَذْبِ المُقَبَّلِ رَخْصِ البَنانِ

اذا لَمَسَ العودَ أشْجى القُلوبا

وَيَنْشَقُّ منـــه فؤادُ المُحِـــبِّ

اذا ما المُحِبّونَ شَقُّوا الجُيوبا

وقال أسامة بن مُنْقِذ : انشدني القاضي أبو المجد المعري لنفسه

وقائِـلةٍ رَأت شَيْبــاً عَلاني

عَهِدْتُـكَ في قميصِ صِباً بَديعِ

فقلتُ فهـل تَرَيْنَ سِوى هَشيمٍ

اذا جــاوَزْتِ أيامَ الربيع

وقال الامير أسامة : لما فـارق أهله بالمعرة ، وبقي منفرداً ، وكان له غلام اسمه شعيا ، قال :

زَمـانٌ غاضَ أَهْلُ الفَضْلِ فيه

فَسُقْيــاً للحِمامِ به ورُعْيـــا

أَسارى بَــيْنَ أتْراكٍ وروم

وفَقْدِ أَحِبةٍ وفِراقِ شعْيـــا

ومن شعره قوله :

قد[1] أَوْسَعَ اللهُ البلادَ وللفتى

الى بَعْضِها مِنْ بَعْضِها مُتَزَحْزَحُ

---

(١) كذا في الأصل ، ولعلها وقد او لقد (ج)

فَخَلِّ الْهُوَيْنى انها شَرُّ مركبٍ
ودونَكَ صَعْبَ الأمرِ فالصعبُ أَنْجَحُ
فإنْ نِلْتَ ماتَهوى فذاكَ وإنْ تَمُتْ
فَلَلْموتُ خَيْرٌ للكريمِ وأرْوَحُ

ومنه قوله :

غدَرَ الزمـــانُ (١) فغَيَّرَ وُدَّهُ
مَنْ كانَ يُعْرَفُ بالوَفاءِ إخاؤه
وإذا حكَت أَفْعالُهم أفعَـــالَهُ
فَهْو الزمـــانُ وكُلُّهم أبناؤه

وقوله :

كَمُلَتْ محـــاسِنُهُ بِخَطِّ عِذارِهِ
والثَّوْبُ يَكْمُلُ حُسْنُهُ بِطرازِهِ

وقوله :

فَلَمَّا تَعَفَّفْنا نُسِبْنـــا الى الغنى
ولما تَقَبَّضْنا نُسِبْنا الى الكِبْرِ

---

(١) كذا ولعل الاصل غدر الزمان بنا (ج)

وقوله :: وقد رواه عنه حفيده أبو اليسر شاكر ، قال : أنشدني جدي أبو المجد لنفسه :

ألا أيها البَرْقُ الذي لاحَ مَوهِناً

لقد زِدْتَني سُقْماً وهَيَّجْتَ لي وَجْدا

وأَرَّقْتَ عَيْني والخَلِيُّونَ هُجَّعٌ

كأنْ لمْ تَجِدْ دونَ اعْتِراضِكَ لي بُدّا

وأذْكَرْتَني ثَغْرَ الحبيبِ وَلَثْمَهُ

على عَجَلٍ لو كُنْتَ تُشْبِهُهُ بَرْدا

وروى له أبو اليسر ابياتاً قالها ، لما عاد الى المعرة ، حين فتكت الفرنج بأهلها ، وقد دخل الى داره بباب حُنَاك ، وتعرف بدار القبة :

وَقَفْتُ بالدارِ وَقد غُيِّرَتْ مَعَـالِمٌ منهـــا . وآثارُ

فَقُلْتُ والقَلْبُ بِهِ لَوْعَةٌ بِحُرْقَةٍ والدَمْعُ مِدْرارُ

اَيْنَ زَمانٌ فيكِ قَضَّيْتُهُ وَأيْنَ مَـكانُكِ يادَارُ

وأجازها أبو سهل عبد الرحمن بن مُدْرك بابيات ذكرت في ترجمته .

وروى له في الانصاف ابياتـاً في ترجمة أبي الراضي مدرك بن سعيد بن مدرك :

لَئِنْ عظُمَ اشْتِياقٌ منكَ نَحْوي

ففي قلبي من الأشْواقِ نارُ

وَعَلَّ اللهَ يَجْمَعُ بعْـــدَ بَيْنٍ

لنـــا شَمْلاً وَيَقْتَرِبُ المَزَارُ

وَلَيْسَ بِضَـــائِرٍ والوُدُّ باقٍ

إذَا نَزَحَتْ بِأَهْلِيْهَـــا الدِّيَارُ

وله ولد واحد ، وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبـد الله ابن محمد بن عبد الله بن سلمان (١)

* * *

محمد بن علي بن عبد الرحمن بن معـالي بن ابراهـيم الشمس ابن العـلاء المعري ، ثم الحلبي :

ولد سنة ٧٧٥ هـ ، وسمع من الشهاب ابن المرحل ، وحدث . سمع منه الفضلاء ، وكان عاقلاً مشهور العدالة ، متكسباً بالشهادة متقناً لصناعتها أحد شهود قلعة حلب والجرائد فيها ، مباشراً بجامع متكلي بغا . مات قريب الخمسين .

وفي تاريخ حلب : ممن اجاز للبرهان الحلبي عبد الرحمن بن معالي ابن أسـد بن أبي القاسم الأرموي ، المعري ، المؤذن . قال السخاوي : وأظنه جد هذا ، ويحتمل أن يكون غيره (٢)

---

(١) وتجد شيئاً من اخباره واشعاره في معجم الادباء والخريدة (٢:٧ - ٣٢) والانصاف لابن العديم و (تاريخ دمشق) لابن عساكر (من مخطوطات الظاهرية ٢ ح ١٠)في ترجمة عبد الكريم بن عبد الله بن محمد (ج)

وانظر عنه في الوافي بالوفيات للصفدي ٣ : ٣٣٤ ، ٣٣٥

(٢) وقد ذكره في الضوء اللامع (للسخاوي) ج ٨ ص ١٨٨ (ج) .

محمد الشيخ العالم اقضى القضاة شمس الدين الحلبي المعري :

توفي بالمعرة ، وصلي عليه غائبة بجامع دمشق يوم الجمعة في ١٤ ربيع الأول سنة ٩٣٥ هـ (١) .

• • •

محمد بن علي بن عبد الله الشمس الحوفي(٢) المعري :

مات في شوال سنة ٨٠٦ هـ ، وكان خصيصاً بالظاهر بَرْقُوق . ذكره ابن حجر في أنبائه . وزاد غيره انه كان عارفاً بعلم الحرف مع مشاركة جيدة في علوم أخرى (٣) .

* * *

محمد بن علي بن عيسى المعروف بابن الشربجي :

في مكتبة جامعة توبنجن نسخة خطية من كتاب مختصر فضائل الشام ودمشق للفزاري وقد كتب في آخر صفحة منها :

« كمل تعليقه على يد الفقير الى الله تعالى محمد بن علي بن عيسى المعري الشافعي الشهير بابن الشربجي ، الحلبي ، نزيل دمشق بمنزله بالمدرسة الشامية البرانية ، بسويقة صاروجا ، خارج دمشق في منتصف شهر ربيع الآخر سنة سبع والف ومائتين ، مما علقه رسم اخيه لأبيه العبد الفقير الى الله تعالى الشيخ العالم المقرىء المجود أبي العباس أحمد الشافعي أعزه الله تعالى ، ليقرأه ان شاء الله تعالى ، ويكون سبباً لاجتماعه على كاتبه بدمشق

(١) الغزي : الكواكب السائرة (ج) .

(٢) بفتح المهملة وسكون الراء بعدها ، فاء .

(٣) وقد ذكر في الضوء اللامع (للسخاوي) ج ٨ ص ١٩٣ (ج) .

لما يراه به من فضائلها حقق الله تعالى ذلك ، وجمع به انه سميع مجيب والحمد لله » :

* * *

الشيخ محمد بن عبد الله بن مصطفى الخاني ، الخالدي ، النقشبندي :

ولد سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف في خان شيخون ، وهي قرية من اعمال المعرة على نحو ثلاث ساعات ونصف منها ، وعلى نحو مرحلة من حماة ، توفي أبوه ، وهو صغير ، فنشأ في حجر والدته حليمة بنت الشيخ محمد بن الشيخ يوسف الكَيّالي ، ثم ارتحل معها الى حماة ، وتفقه على الشيخ خالد السيد والشيخ عبد الرحيم البُسْتاني ، وقرأ النحو وطرفاً من العلوم الآلية على الشيخ حمود زهير ، ولازم الشيخ فارس ست سنوات ، وأخذ الطريقة القادرية من الشيخ محمد الكيلاني الأزهري ، ثم لما قدم الشيخ خالد النقشبندي الى الشام أخذ هذه الطريقة عنه ، ثم عاد الى حماة ، ولم يلبث ان عاد الى دمشق ، ثم رجع الى حماة ، فلما كانت سنة احدى وأربعين ، أمره الشيخ خالد أن يحضر مع أسرته الى دمشق ، فصدع بالأمر والقى عصاه فيها فكان يقرأ في مدرسة داره ، حتى توفي خليفة جامع المرادية المشهور بالسويقة المنلا خالد الكُرْدي ، فعينه الشيخ خالد خليفـــة مكانه ، وذلك في السنة المذكورة ، ولازم الشيخ خالد حتى توفاه الله في الطاعون ، فلازم الشيخ اسمعيل الأناراني حتى توفي بعد الشيخ خالد بسبعة عشر يوماً ، ثم صحب الشيخ عبد الله الهَرَوي الخليفة بعد اسمعيل المذكور ، وقرأ الكتب الستة والشفاء على الشيخ عبد الرحمن الكُزْبري ، ثم عهد اليه الشيخ عبد الله بالخلافة من

بعده ، فقام بها أحسن قيام ، ثم ذهب الى الحج مع والدته سنة ٤٥ ولما عاد الى دمشق الف رسالة سماها كشف اللثام عن قول من حرم الحج الى بيت الله الحرام ، رداً لاعتراض المتمسكين بقول الشيخ عاوان ان الحج حرام في هذا الزمان ، ثم ألف رسالة سماها البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية وقد طبعت في مصر سنة ١٣٠٣ هـ .

ثم ذهب الى الحجاز سنة ١٢٥٩ هـ وسنة ١٢٦٢ هـ مع ولده ، وفي سنة ١٢٦٦ هـ ذهب الى المسجد الاقصى براً ، فزار صفد ، ونابلس ، ويافا ، والخليل ، وفي سنة ١٢٧٠ هـ ذهب الى القسطنطينية ، ورأى السلطان عبد المجيد ، وهو ذاهب لسماع قصة المولد النبوي في المسجد ، فحصلت له حال عظيمة ، وبكى حتى أعجب به الحاضرون ، ثم قال لهم : لما وقع بصري على عظم مظهر فيه حصل لي ما حصل ، وقد كانت الحرب في تلك السنة قائمة بين الروس والدولة العثمانية ، ثم عاد الى دمشق . وفي سنة ١٢٧٤ هـ عزم على الحج مع ولديه أحمد وأخيه ، وعاد الى دمشق ثم خرج الى بستان مع اخوانه فلما كان وقت العصر أحس بانحراف صحته فعاد الى منزله مساء وظل يتوعك ثلاثة أيام ثم توفي سحر الاثنين من اليوم التاسع عشر من صفر سنة ١٢٧٩ هـ ، ودفن في تربة الشيخ خالد النقشبندي على أثر حمى مغوية ، وجملة (توفي محمد الخاني)[١] تاريخ لوفاته باسقاط الف الوصل .

---

(١) راجع عنه في المخطوطات التالية : عبد الرزاق البيطار : حلية البشر ٣ : ٢٣ — ٢٨ وقد طبعت مؤخراً . جميل العظم : السر المصون ٢٠٢ ، والمطبوعات الآتية: سركيس : معجم المطبوعات ٧ ٨ ، ٨١٨ ، البغدادي : هدية العارفين ٢ : ٣٧٧ ، جميل الشطي : روض البشر ٢٠٩ ، ٢١٠ فهرست الخديوية ٢ : ٧٢ ، ٧/٢ : ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، البغدادي : ايضاح المكنون ١ : ٢٠٦

Brockelmann S II : 774

وله ذرية طيبة في دمشق ، وبيتهم بيت علم وصلاح ، وقد نبغ فيهم كثير ، منهم ابنه محمد وولده عبد المجيد[1] صاحب كتاب الحدائق الوردية في حقائق اجلاء النقشبندية .

* * *

ابو البيان محمد بن ابي غانم عبد الرزاق بن عبد الله بن أبي حصين[2] :

ولد في المعرة في جمادى الآخرة سنة اربع وستين واربعمائة بمعرة النعمان ، وسكن دمشق مدة وتصرف في اوقاف الجامع إشرافاً ، وقد سمع أباه ، وولي قضاء حمص[3] .

* * *

(١) هو عبد المجيد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن مصطفى الخاني ، الخالدي ، النقشبندي . عالم ، اديب ، شاعر ، ناثر . ولد بدمشق في ٩ صفر ١٢٦٣ هـ ونشأ بها ورحل الى القسطنطينية وتوفي بها في جمادى الآخرة ودفن في مقبرة نيشان طاش . من آثاره : ديوان شعر .

راجع عنه حلية البشر لعبد الرزاق البيطار ٢ : ٣٤٥ — ٣٧٥ ، ٤١٣ — ٤١٦ (وقد طبعت مؤخراً) والمطبوعات الآتية : البغدادي : هدية العارفين ١ : ٦٢١ ، تقي الدين : منتخبات التواريخ لدمشق ٢ : ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ادهم الجندي : أعلام الأدب والفن ٢ : ١١٦ — ١١٧ ، جميل الشطي : تراجم أعيان دمشق ٨٦ — ٨٨ ، البغدادي : ايضاح المكنون ٢ : ٣٩٦ ، فهرس دار الكتب المصرية ٥ : ١٥٩ .

(٢) وفي الانساب : ابن عبد الرزاق بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمرو بن سعيد (ج) .

(٣) وقد ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق من مخطوطات دار الكتب الظاهرية وله أخ يقال له ابو الفتح المفضل بن ابي غانم ، ذكره ابن عساكر في ترجمة ابي غانم عبد الرزاق ، قال السمعاني في الانساب عند ذكر المعرة وبيت ابي حصين التنوخي كلهم فضلاء شعراء . منهم الامام البيان (كذا) التنوخي وابو المجد وابو صالح والمعالي التنوخيون . وقال عند ذكر التنوخي : القاضي ابو البيان بن .... التنوخي المعري قاضي =

تاج الدين أبو المكارم محمد بن عبد المنعم بن نصر الله بن جعفر بن احمد بن حوّارَى التنوخي ، المعري الأصل ، الدمشقي ، الحنفي ، ويعرف بابن شقير[1] ولد سنة ٦٠٦ هـ وتوفي سنة ٦٦٩ هـ وهو أخو المحدث الأديب نصر الله .

كان أديباً شاعراً ذكر في فوات الوفيات ، من شعره :

ماضرّ قاضي الهوى العُذْريّ حينَ وَلي
لَوْ كانَ في حُكْمِهِ يَقْضي عَليّ وَلي
وَمَا عَلَيْهِ وقد صِرْنا رَعِيَّتَهُ
لَوْ أنّهُ مُغْمِدٌ عَنـــا ظُبى المُقَلِ
ياحَاكِمَ الحبّ لا تَحْكُمْ بِسَفْكِ دَمي
إلا بِفَتْوَى فُتورِ الأعْيُنِ النُّجُلِ
ويا غَرِيمَ الأسى الخصمُ الألدُّ هوىً
رِفْقاً عَليَّ فَجِسْمِي في هَواكَ بَلي

= حمص كان فاضلاً عالماً من بيت العلم والحديث وابوه وجده وجد ابيه وعمه وعم أبيه كلهم فضلاء شعراء من مفاخر الشام سمع أباه أبا غانم لقيته بحمص وكتبت عنه الحديث والشعر الكثير لسلفه املاء وقراءة وكانت ولادته بعد ستة واربعين وخمسمائه . وقد تقدم عن ابن عساكر مايخالف سنة ولادته (ج) .

(١) وقد ذكره تاج العروس بالسين .شقير كزبير ولم يذكر جعفرا في جدوده(ج).

أخذتَ قلبيَ رِهناً يومَ كاظِمَةٍ
على بقــــايا دعاوٍ للهوى قِبَلي
ورُمتَ مني كفيلاً بالهوى عبثاً
وأنتَ تعلمُ أني بالغرامِ مَــــلي
وقد قضى حاكمُ التبريحِ مُجتهداً
عَليَّ بالوجدِ حتى ينقضي أجلي
لذا قذفتُ شهودَ الدمعِ فيكَ عسى
أنَّ الوِصالَ بجُرحِ الجفنِ يُثبتُ لي
لا تسطُونَّ بعسَّالِ القوامِ على
ضَعفي فما آفتي إلا مِنَ الأسَلِ
هدَّدتني بالقِلى حسبي الجفا وكفى
أنا الغريقُ فما خوفي مِنَ البَلَلِ[1]

ومن شعره :

(١) وهذه الأبيات طافحة بالألفاظ التي يتداولها المفتون والقضاة في الدعـــاوى والخصومات ويدل ذلك على أن الشاعر كان فقيهاً (ج) .

أما الوفاءُ فشيءٌ ليسَ يتّفِقُ
مِنْ بعدِ ما خُنتَ ياقلبي بمَنْ أثِقُ

أغراكَ طرْفي بما أغراكَ مِنْ فِتَنٍ
حتى سبَتْكَ القُدودُ الهِيفُ والحَدَقُ

وقد تشاركْتُما في فتحِ بابِ هوى
سُدّتْ على سَلْوتي مِنْ دونِهِ الطُّرُقُ

سَعَيْتُما في دمي بَغْياً فيا لكُما
لفَرْطِ بَغْيِكُما التّبْريحُ والأرَقُ

حتى مَ لا ترْعَوي ياقلْبُ ذُبْ كمَداً
فحَسْبُكَ المُزعِجانِ الشّوْقُ والقَلَقُ

لَقيتُ صبّاً كئيباً نَهْبَ جُنْدِ هوىً
لاقاتِلي[1] بكَ طولَ الدّهْرِ مُعْتَلِقُ

طَوْراً بِنَجْدٍ وأحياناً بِكاظِمَةٍ
وتارَةً لكَ يَبْدو بالحِمى عَلَقُ

(١) كذا في الأصل (ج) .

وَكُلَّ يَوْمٍ تُعَنِّينِي إلى أمَــلٍ
مِنْ دونِهِ المُرْهَفاتُ البيضُ تُمْتَشَقُ
أبْكي لِكَيْ تَنْطَفي من أدْمُعي حُرَقي
وَكُلَّما فاضَ دَمْعي زادَتِ الحُرَقُ
وَكَيفَ[1] أسْلو وَلي صَبْرٌ وَلي رَمَقٌ
فَكَيْفَ صَبْري وَلا حالٌ ولا رَمَقُ

ومن شعره :

وَغَزالٍ سَبا فُؤاديَ مِنْــهُ
ناظِرٌ راشِقٌ وَقَــدٌّ رَشيقُ
رِيقُـهُ رائِقُ السُّلافَةِ والثَّغْــ
ـرُ حُبابٌ وَخَدُّهُ الرَّاووقُ
حَلَّ صدْغَيْهِ ثُمَّ قالَ[2] أفَرِّقْ
بَيْنَ هــذَيْنِ قُلْتُ فَرْقٌ دَقيقُ

ومن شعره :

---

(١) كذا في الأصل ، ولعل أصلها وكنت أسلو (ج) .
(٢) لعل الأصل : قال لي افرق (ج) .

وَاحَسْرةَ القَمَرَيْنِ مِنْهُ إذا بَدَا

وإذا انثنى ياخَجْلَةَ الأَغْصانِ

كَتَبَ الجمالُ وياله مِنْ كاتِبٍ

سَطْرَيْنِ مِنْ خَدَّيْهِ بالرَّيحــــانِ

وكان . الدين يلقب بالهدهد ،فأعطـاه الملك الناصر ضيعة على نهرتورا،ـ فحسده جماعة ، وسعوا على اخراجها من يده ، فكتب الى الملك الناصر :

ماقَدْرُ داريَ في البِناءِ فَسَعْيُهُمْ

في هَدْمِها قد زادَ في مِقْدارِهــــا

هَبْ أنَّها إيوانُ كِسْرى رِفْعَةً

أوَما بجودِكَ كانَ أصْلُ قَرارِها

. . . .

فَالنَّصُّ جاءَ عَنِ النَّبي مُحَمَّدٍ أنْ

نهادي اقِرّوا الطَّيْرَ في أوْكارِها

ومن شعره :

أقْسَمْتُ بِرَشْقِ المُقْلَةِ النَّبَّالَهْ

قَلْبي ولِينِ المَقَـــامَةِ العَسَّالَهْ

مـــا أَلْبَسَني حُلّةَ سُقْمٍ وَضَنىً

ياهِنْدُ سِوَى جُفونِكِ القَتّـــالَهْ

وذكر في هدية الأمم ص ٣٦٣ [1] .

ومن شعره هذه الأبيات :

فَوَاللهِ ما أَخّرْتُ عَنْكَ مَدائِحي

لأَمْرٍ سِوَى أَنّي عَجَزْتُ عَنِ الشُّكْرِ

وَقَدْ رُضْتُ فِكْري مَرّةً بَعْدَ مَرّةٍ

فَما سَاغَ أَنْ أُهْدي إِلى مِثْلِكُمْ شِعْري

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ دُرًّا فَتِلْكَ نَقيصَةٌ

وَإِنْ كانَ دُرًّا كَيْفَ يُهْدى إِلى البَحْرِ

* * *

محمد بن عبد الوهاب بن اسحق الجندي ، جد أبي :

ولد في المعرة سنة ١٢١١هـ واشتغل بتحصيل العلم على الشيخ محمود المرعشي ، والشيخ محمد الكيلاني الازهري والشيخ عرابي الحموي الشهير بابن السائح ، وغيرهم. وكان له القدح المعلى ، والكعب العالي ، في الفضل والنبل ، ولي الافتاء في المعرة سنة . . . .[2] الى سنة ١٢٤٧ هـ ، ثم ولي الافتـاء في حمص سبع سنين ، وفي سنة

(١) لعلها لعبد الرحمن ناجي المدعي العمومي في ولايات بيروت ، وعنوان الكتاب كامل : هدية الأمم وينبوع الآداب والحكم وتجد شيئاً من ترجمة (محمد بن عبد المنعم واخباره في النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٣٣ وفوات الوفيات (لابن شاكر الكتبي) (ج) . - ر .

(٢) بياض في الأصل .

١٢٤٨ هـ عاد الى المعرة ، فلما كانت سنة ١٢٦٠هـ طلبه والي إيالة الشام علي رضا باشا الى حلب ، لاعادة الفلاحين النازحين من بلاد حماة والمعرة فمكث نحو شهر. وكان معه ابنه أمين وخليل آغا رئيس جردة العساكر وقد عادوا الى المعرة بعد ان اعادوا بعض الفلاحين ، وعين خليل آغا متسلماً للمعرة ، وكان صعب الطبع خشن الملمس فحصلت بينه وبين المترجَم نفرة ، واشتكى عليه الى الوالي فطلب المترجَم الى الشام وبعد ذهابه فرت سكان القرى في المعرة ، فعزل خليل آغا وعين بدلاً منه عبد الله بن حسين بن عثمان الجندي الحمصي ، وكان ابن اخت المترجَم فدخل المعرة بعد عودة المترجم اليها ، وذلك في ٥ شوال سنة ١٢٦١ هـ ، فتنكرت عليه الناس واخرجوه من المعرة قسراً بعدما حصروه في بيت خاله يوماً كاملا ، ثم خرج من المعرة وتبعه المترجم ونقيب المعرة ، واقتفى أثرهم أمين ابن المترجم الى دمشق ، واجتمع بوالي الشام ، وكان هذا طلب اخصامه من المعرة ، فلما حضروا الى دمشق توسلوا بالرشوة الى عزل المترجم وولده ، واقامتها في دمشق ، فاقام فيها الى منتصف صفر سنة ١٢٦٢ هـ ، ثم ورد فرمان يحتم عليه المقام فيها ، وعدم خروجه منها الا بفرمان ، فالقى عصا التسيار فيها وقتئذ. وكان قد نزل في مدرسة عبد الله باشا القريبة من سوق البزورية في دمشق ، وبقي الى سنة ١٢٦٣ هـ ، ثم عاد الى المعرة مفتياً كما كان ، وانتهت اليه الرياسة بها ووجهت عليه فراشة الحرم النبوي الشريف [1] . وكان كثير الولوع بالقراءة والكتابة والدراسة ، فقد كان لايدع وقتاً يمر في واحد منها ، وكانت لديه مكتبة حافلة بالكتب النادرة والآثار النفيسة .

---

(١) وقد رأيت فرماناً من السلطان عبد المجيد مؤرخاً في اول المحرم سنة ١٢٦٣ هـ ، يتضمن العفو عن المترجم وولده أمين والاكتفاء بمدة نفيها البالغة تسعة اشهر (ج) .

ولما تغلب ابراهيم باشـــا المصري على سورية وقصد المعرة ، اراده على النزول عنده ، فاكرم نزله واحسن وفادته ، ثم قدم اليه طعاماً وخشي ان يستصغره الباشا ، ويعده ضرباً من الاستخفاف به فقـال له : يامولاي ليس في الحلال الصرف بسطة اكثر من هذا ، ولا سرك ان نتناول ماتطول اليه ايدينا من اموال الناس ، لنقدم لك ما لذ وطاب من الطعام ، فسر بذلك الباشا ، وضاعف احترام المترجم ووقـاره ، وعرف ان هذا الأمر مدبر ، ولم يكن عن شح ، او فاقة ، وبقي عنده ضيفاً مدة طويلة ، واعجبته المكتبة ، ووضع لهـا فهرساً بخط يده ، ورتبها وجمع المتفرق منها ، ثم سار الى حلب .

ولما بلغته القصيدة التي هجاه بها امين ابن المترجم ، اراد الانتقـام منه ، وكلف أباه احضار ابنه ، وكان من أمره مـا ذكرناه في ترجمة امين .

وكان محمد المترجم شديد النزوع الى التصوف قوي العارضة حاد الذهن جيد الشعر ، حليم الحافظة ، لايكاد يغيب عن ذهنـه شيء علق به ، طلب ذات يوم كتاباً من بعض علماء المعرة ليقرأه في رجب وشعبان ورمضان في دروس العامة فجعل يحاوله في اعطائه من يوم الى آخر ، فأغضبـه ذلك ، وأقسم ألا ينظر في كتاب مدة ثلاثة أشهر . وكان يملي الدروس عن ظهر غيب ، مع كثرة الرقباء، وانتظارهم هفوة منـه .

أما مؤلفاته فقد سمعت باشياء كثيرة منها ، ولكن القدر ساقها الى ابناء عمنا في المعرة ، فحبسوها وبخلوا بها علينا ، وعلى انفسهم وغيرهم ، فلا هم انتفعوا بها ، ولا فسحوا المجال لغيرهم ان ينتفع بها ، وقد أخبرني والدي رحمه الله : انه رأى ديوان شعره بخطه عندهم ، ولكني اطلعت على بديعية وشرحها له ، وعلى بعض ابيات من شعره نظمها في عنفوان شبابه ، وعلى قصة مولد زيف فيها كثيراً مما أورده القصاصون ، مما لا صحة له ، وله الموعظة الحسنة وشرح (قينا قينا) ، وهي انشودة ينشدها الاولاد في لعبة لهم ، وشرح (يا شميسة اطلعي لي) وهي

كذلك انشودة لهم شرحها على طريق السادة الصوفية ، وتأول هذا الكلام على مذهبهم ، فأتى فيها بما دل على علو كعبه في العلم ورسوخ قدمه في التصوف .

وبالجملة فهو أعلى قومه كعباً في العلم والفضل ، ومجدد مجدهم التليد ، ومؤسس شرفهم الطارف ، وقد كان عميد المعرة ، ورجل الدهر فيها ، وقد توفي في المعرة في ٧ شوال سنة ١٢٦٤ هـ ، ودفن في مقبرة بني الجندي في ظاهر المعرة من الغرب قريباً من مصلى بني الجندي ، وأقيمت عليه حجرة متصلة بحجرة أخيه ، وأرخ وفاته ابنه أمين بهذه الابيات :

أَلَا طُفْ بِهذا القَبْرِ سَبْعاً مُوَحِّداً
فَفي ضِمْنِهِ بَحْرُ المَعارِفِ وَالنَّدا
لهذا لِسانُ الحالِ مِنه لِمَنْ صَغَى
يُنادي افْتِخاراً نِلتُ فَضْلاً مُؤَكَّدا
فَإنْ قيلَ فيماذا يُقالُ مُؤَرِّخاً
بِمُفْتي الأَنامِ الشَّهْمِ يَعْني مُحَمَّدا[1]

ومن شعره هذه الأبيات ، وكانت مكتوبة على ضريح سيدنا يوشع عليه السلام في المعرة :

مالي رَجا في نَيلِ مـــا أَمَلْتُهُ
بَيْنَ الوَرَى إلا نَبيُّكَ يوشَعُ

(١) وله ترجمة في اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (للطباخ) ج ٧ ص ٢٧٦ (ج)

هذا عَريضُ الجاهِ واللُّجِ الذي

مَنْ أَمَّ ساحِلَ جودِهِ لا يُمْنَعُ

هذا الذي رُدَّتْ لَهُ شَمسُ الضُّحَى

هذا هُوَ الكَهْفُ الحصِينُ الأَمْنَعُ

غَوْثٌ وَغَيْثٌ لِلَّهيفِ فَكَمْ غَدَتْ

عنا تُزاحُ بِهِ الكُروبُ وتُدْفَعُ

ومنهم من ينسبها الى الشيخ أمين الجنــدي الحمصي، وهي مذكورة في قصيدته التي مطلعها : (قلبي لشمس حسنك مطلع) وهي في مدح سيدنا يوشع ، وفيها تغيير قليل عن تلك .

وقد شطر بيتــين ، ثم شطر التشطير ،وكتب مجموع الاصل والتشطير في غرفة بناها في داره في المعرة ، وهي أول دار شمالي السوق ومنارة المسجد ، وقد احضر لها دهانين من الشام ، ومن جملة دهنها : انه وضـــع بيتين من هذا التشطير فوق كل شباك ، وفوق كل كتيبة ، ووضع أبياتاً أخر على غيرها ، كما وضع بيتين فيها تاريخ الدهن ، والأبيات كلها مكتوبة بخط جيد على القاعدة الفارسية ، والوان الكتابة وما يتصل بها على غاية من الروعة والجمال ، وبعد ان هاجر والدي من المعرة باع الدار المذكورة ، واستأجرتها دائرة البلدية، وجعلتها مقراً لها ، حتى بنيت دار الحكومة الجديدة ،وهذه الأبيات أي تشطير التشطير.

إنَّ أَلطافَ إلهي قَدْ مَحَتْ شِرْكاً وَشَكّا

وَبِتَحْقيقٍ نَراهـــا لَمْ تَدَعْ في الكَوْنِ ضَنْكا

كُلَّمَا رُمتُ احْتِيالاً ... ابْرَزَتْ لي فيه صَكّا

فيهِ آياتُ حَكيمٍ ... لِيَ قالَتْ خَلِّ عَنْكا

لا تُدَبِّرْ لَكَ أمراً ... إنَّ في التَّدْبير شِرْكا

فاتْرُكِ التَّدْبيرَ تَنْجُو ... فَأُولو التَدْبير هَلْكى

حَقِّقِ الأَمْرَ تَجِدْنا ... قد أزَلْنا عَنْكَ هَلْكا

كَيفَ ما كُنْتَ تَرانا ... نَحْنُ أوْلى بِكَ مِنْكا

ومن شعره قوله :

صِغارُ زمانِنَـــا صارُوا كِبارا
وَقَدْ جارَ الزَّمانُ عَلىَ الكِبارِ

كَأَنَّ زَمانَنـا مِنْ قَوْمِ لوطٍ
لَهُ وَلَعٌ بِتَقْـــديمِ الصِّغارِ

وقد خمّس قصيدة الشيخ أمين بن خالد بن محمد الجندي الحمصي ، وكان هذا مرض مرضاً أعيا الاطبة إبراؤه ، فنظم هذه القصيدة في مدح الرسول الاعظم ، واشتكى اليه ما يعانيه من الآلام ، واستجار به ، فمن الله عليه ، وبرأ مما كان فيه ، وهـــذه ابيات من التخميس الذي أتمه سنة ١٢٢٥ هـ ، وكان عمره نحو ١٤ سنة :

وَلَمَّا رأيتُ الدَّهْرَ بالضُّرِ شاغِلي
وَجَيْشَ المنايا بالمَنونِ مُقابِلي

وَخابَ الرَّجا نادَيْتُ أفْصَحَ قائِلِ

تَوَسَّلْتُ بالمُخْتارِ أرْجى الوَسائِلِ

نَبِيٌّ لِمِثْلي خَيْرِ كافٍ وكامِلِ

قَدِ اخْتَصَّهُ رَبُّ العُلا بالمَحَبَّةِ

وَقَلَّدَهُ عِقْـــدَ التُّقَى وَالنُّبُوَّةِ

وَفي ذِكْرِهِ حَلُّ الأُمورِ المُهِمَّةِ

هُوَ الرَّحْمَةُ العُظْمَى هوَ النِّعْمَةُ التي

غَداشُكْرُهافَرْضاًعلى كُلِّعاقِلِ

ولما نفي الى الشام أخذ أعداؤه وخصومه يكيدون له ، ولا يالون جهداً في اعداد الفتن والمحن له ، فقال هـذه الابيـات مستجيراً فيها لسيد الكائنات ، وراغباً الى الله في كشف الضر عنه :

ما لِدَهْري يَرْمي عَنِ النائِبـاتِ

لي بِنَبْلٍ مِنَ البَلا صائِباتِ

مَهْ زَمَاني يَكْفي فَها شَخْصُ ذاتي

داخِلٌ حِصْنَ صاحِبِ المُعْجِزاتِ

مُسْتَجيراً بِسَيِّدِ الكائِناتِ

مَنْ أَجارَ البَعيرَ إذ لاذَ حقّاً
بِعُلاهُ فَنالَ عَفْواً وعِتْقــــا
أَفَــلا يُجْبِرُ الكَسيرُ فَيلْقى
طيبَ عَيْشٍ مُسْتَكْمِلِ المَكْرُماتِ
مُستَجيراً بِسَيِّدِ الكائناتِ

وهي طويلة تبلغ خمساً وعشرين قطعة ، كل واحدة منها مؤلفة من ثلاثة اشطر على قافية وشطر رابـع ، التزم فيه التاء ، واعقبه بقوله مستجيراً : ... كما تقدم ، وقــد ذكر فيها ما اصابه وما يتوقعه من شر اعدائه ، واستجار بالله وبالأنبياء ، والصحابة ، والتابعين ، والصالحين ، والاولياء .

* * *

شمس الدين محمد بن صدر الدين بن أحمد الصيّاد :

ولد في متكين سنة ٦٧٧ هـ ، وخلّف أباه في مشيخة الرواق ، وسافر الى العراق ، ونزل واسطا سنة ٧٠٨ هـ ، وكان معه ولده صالح عبد الرزاق ، فمنعه اقاربه من العودة الى بلاد الشام ، فلما كانت سنة عشر توفي في واسط ، وله ولدان : صالح ، وعبد السميـع ، وهو الذي خلفه في مشيخة الرواق .

* * *

محمد بن عثمان بن هبة الله بن عمر المعري ، ناصر الدين :

كان ينوب عن أخيه كمال الدين المعري في الحكم ، ومات في صفر سنة ٧٦٦ هـ ، وله خمسون سنة ، وخرج ليلقى القاضي بحلب كمال الدين لما عاد من

الحجاز ، فمات في الطريق،وهو راجع الى حلب ، هكذا قال في الدرر الكامنة[1] .وفي ذيل صفحة ص ٤٤ ج ٤ ف . صف، ناصر الدين ابن عم قاضي القضاة الكمال عمر المعري ، وكان نائباً للمذكور في القضاء بحلب ، وكان ماجداً كريماً ودوداً ، اثنى عليه ابن حبيب ، وأرخ وفاته سنة ٧٦٦ هـ عن خمسين سنة ، وهكذا قال في إعلام النبلاء[2] الا انه قال: القاضي ناصر الدين محمد بن عمرو بن هبة الله بن معمر العمري الحلبي ابن عم قاضي القضاة الكمال ...

* * *

أبو الفتح محمد بن علي بن عبد الله بن أبي هاشم المعري :

كتب لابي العلاء من تصنيفه ، ووضع له أبو العلاء كتاباً لقبه المختصر الفتحي ، وكتاباً يعرف بعون الجمل في شرح شيء من كتاب الجمل .

وكان أبو الفتح هذا فاضلاً ، وقف ابن العديم على رسالة له كتبها الى الوزير ابي نصر ابن النحاس يتضور اليه قال فيها :

« وانما حمل ملوكها على الاقدام ، والتهجم بخطاب وكلام ، تمسكه بحبل الولاء ، وما يرجوه من عفوها عن الشدة ووقوع البلاء ، فالحمد لله الذي جعلها غياثاً لمن استغاث بها ، والتجأ اليها وعول في دفع النوب عليها ، وملوكها من قوم أحرار ليسوا بالسالكين طرق الاشرار ، يكتبون العلم وينقلونه ويكرهون المأثم ويستقلونه .

وكان هو ووالده خادمين لابي العلاء ، يكتبان ما يلقيه اليهما ، ويعول

---

(١) ابن حجر : الدرر الكامنة (ج) .

(٢) راغب الطباخ : إعلام النبلاء . تاريخ حلب الشهباء ٥ : ٤٤ .

في نسخ ما يؤلف من العلم عليها ، فغبرا معه مدة تحسب من أهنأ الأعمار، يجنيان فيها اعذب الثمار ، ويقطعان الوقت من العيش بغفة . ويلمان بأهل الورع والعفة ، فلما نقل الى دار الرحمة ، قل الطالب وزهد في العلم الراغب ، وكسدت سوقه ، واظلمت بعد الاشراق بروقه ، ووهت بعد الاحكام عقوده ، ومال عما يعهده عموده » وذكر الرسالة الخ (١) .

* * *

الشمس محمد بن علي بن أحمد بن أبي البركات المعري ، ثم الحلبي :

ـ كان فقيهاً ، وقد قرأ عليه القاضي علاء الدين علي المعروف بابن خطيب الناصرية المتوفى سنة ٨٤٣ هـ (٢) .

* * *

أبو القاسم محمد بن علي بن همام :

ذكره أبو العلاء في رسالة الملائكة ، وهو الذي اتاه بالمسائل التي جعل رسالة الملائكة جواباً عنها . وقد أوضحنا ذلك في مقدمة رسالة الملائكة التي طبعت في دمشق (٣) وفي الرسالة التي كتبناها في أبي العلاء المعري (٤).

* * *

(١) الانصاف لابن العديم (ج) .

(٢) راغب الطباخ : إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء.

(٣) من مطبوعات المجمع العلمي العربي سنة ١٩٤٤ م

(٤) يريد به مؤلفه المسمى الجامع في أخبار ابي العلاء المعري وآثاره في ٣ مجلدات ، وهو من مطبوعات المجمع العلمي العربي .

محمد بن علي بن عبد القوي بن عبد الباقي التنوخي ، المعري ، ثم الدمشقي ، الحنفي الشيخ محيي الدين شيخ الحنفية ، ابن المرستاني الحنفي ، وهو والد المحدث نور الدين :

ولد سنة ٦٤٧ هـ ، وسمع من عثمان بن علي خطيب القرافة ، وابراهيم بن خليل ، وعبد الله بن الخُشُوعي ، وفرج مولى القُرْطُبي وغيرهم ، وخرج له الحافظ أبو الحسين ابن أيبك الدمياطي مشيخة . قال ابن حجر في الدرر الكامنة : كذا رأيت بخط ابن رافع ، وكان مديماً للاشتغال ، ورعاً زاهداً ، متواضعاً ، ماهراً في مذهب الحنفية ، انتفع به الطلبة ، وحدث ، ومات في رمضان سنة ٧٢٤هـ وزعم بعضهم ان صاحب الشذرات ذكره في من مات سنة ٧٢٦ هـ وقال : قرأ عليه ولده نور الدين صحيح البخاري ، وله عليه حواش بخطه المنسوب ، وكان اماماً قاضياً ، وتوفي بمصر عن ٧١ سنة . ولم نجد ذلك في الشذرات فيمن مات في هذه السنة .

* * *

محمد بن عمر بن سلامة المعري :

ذكر فيمن سمع على زكي الدين البِرْزالي سنة ٦٢١ هـ

* * *

محمد بن يحيى بن محمد السلمي :

قال أبو المحاسن (١) : وانشدني لنفسه ، أي أبو المعالي محمد بن علي بن

(١) ذيل تذكرة الحفاظ ١٧٢ (ج)

محمد السلمي ، وكتب بها الى القاضي نجم الدين المعري رحمة الله عليهما ، وقد طلب منه الكمال لعبد الغني :

مَوْلايَ أَطْرافُ مَاحَوَيْتُمْ تَهْذيبُهُ مَفْخَرُ الرِّجَـــالِ
لا زِلْتُ مِنْ فَضْلِكَ الْمُرَجّى بِيَ ٱحْتِياجٌ إِلى الكَمَالِ

* * *

محمد بن السيد عمر آغا بن عبد الرحمن بن السيد يوسف اليُوسُفي المعري :-

ولد في معرة النعمان ، وقرأ على جماعة من شيوخها وقرائها ، ثم عانى صناعة الشعر بنفسه ، وولي وظائف في الحكومة .

وكان مولعاً بالصيد ، وبشرب الدخـان ، فكان يقتني من كلاب الصيد عدداً كبيراً ، ويعنى بها اشد العناية .

وكان لا يفتر عن شرب الدخان لحظة واحدة ، بل يشعل اللفـافة من اختها ، وكان عذب الحديث محباً للنادرة والمفاكهة ، حاضر الجواب .

وله شعر جيد (١) ومنه قوله السابق :

إِنَّ المَعَرَّةَ والذي فَلَقَ النَّوَى
بَلَدٌ بهـا أَهْلُ المَـكارِمِ لَمْ تَزَلْ
يا مَنْ تجاهَلَ فَضْلَها سَفَهاً فَسَلْ
رَكْباً بأَطْلالِ الحِمَى مِنها نَزَلْ

---

(١) تهاون اولاده بجمعه وحفظه ، فذهب اكثره بين سمع الارض وبصرها (ج)

وقد ولد له أربعة أولاد : أحمد ، ومصطفى ، وفائز ، ومنيب ، ولهم ذرية في المعرة وحلب ، وتوفي سنة ١٣٣٠ هـ ، وهو خال والدتي من النسب .

ومن شعره قوله :

إذا ماصَفا ليْلُ الأَحِبَّةِ دو ننا
فَلا بَأْسَ مِنْ وَضْعِ الزَّمانِ المُنَكَّدِ
فَلا عَتَبٌ منّا على فِعْـــلِ دَهْرِنا
وَلَيْسَ لنا غَيْرُ السُّكُوتِ المُؤَبَّدِ

* * *

القاضي كمال الدين المتوفى في اواخر القرن التاسع محمد بن محمود المقر الكمال كمال الدين الشافعي الشهير بابن المعري :

كاتب السر وناظر الجيش بحلب في دولة السلطان قايتباي اتفق للجمال الحنبلي معه ان تلاقيا ذات مرة في الطريق فسلم الجمال عليه فلم يرد عليه السلام فسأله ما الموجب لترك هذا الواجب ؟ فقال : سعيك في كاتا وظيفتي فاوضح له انه لم يسع . فلم يصغ وفارقه وارسل من ساعته الى السطان قايتباي وكان صديقه من قبل السلطنة يسأل في كلتيها فبعث له خفية مرسوماً شريفاً بتقريره فيها واوصاه ان لا يظهره حتى يرسل اليه مايعتمد عليه فما مضت مدة يسيرة الا وقدم بنفسه الى حلب حتى نزل الى المملكة الشامية سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة فحاسب المقر الكمال فخرج عليه ستة آلاف دينار فالبس الجمال خلعة الوظيفتين وفاته اخذهما ولما اظهر السلطاي قايتباي للجمال انه قرره في الوظيفتين من قبل ان يلبسه الخلعة ارسل الجمال الى المقر الكمال . ابراهيم بن شمس الجمالي من ساعته فاذا هو في محل ولايته

ودواته مفتوحه بين يديه فصعد اليها واغلقها بعنف وشدة قائلًا له: قد عزلتم ونزل في الحال ذاهباً عنه . وتوفي في اواخر القرن التاسع كما قال في اعلام النبلاء ج ٥ ص ٣٤٤ وذكر في اعلام النبلاء ايضاً في ترجمة محمود بن محمد بن آجا المتوفى سنة ٩٢٥ ه انه كان السبب في ان ولي (أي محمود بن محمد بن آجا المذكور) قضاء الحنفية بحلب هو أن بينـــة شهدت على الكمال ابن المعري ، كاتب سر حلب ، وناظر جيشها ، وهو معزول عن كلتا وظيفتيه ، انه علق الطلقات الثـــلاث من زوجته الست حلب بصفته ، وهو يلعب بالشطرنج مغاوباً ، او نحو ذلك ، وان الصفة وجدت ، فحكم الحاكم الشرعي بطلاقها ثلاثاً ، ثم انه تزوجها ، ودخل بها ، فشكا عليه الكمال بالابواب الشريفة ، فطلب فبذل للسلطان عشرة آلاف دينار على تنفيذ حجة الطلاق ، واعطاء قضاء حلب ليحظى فيها بحلب فكان الأمر كما طلب .

وقال في نهر الذهب [1] عند الكلام على المباني العظيمة في محلة داخل باب قنسرين : خان القاضي تجاه باب البيمارستان ، معد لنزل المكارية ، وهو من انشاء قاضي حلب كمال الدين المعري المدفون عند الفردوس ، انشأه مدرسة ، فجاءته رسالة من انسان يطلب فيها منـه ان يقرر شخصاً في إمامتها ، فقال : انما اسسته خانا ، ورجع عن نيته ، وكان انشاؤه سنة ٨٥٤ هـ .

* * *

محمد بن محمد بن محمد بن محمود الجمال :

وربما كان يقال له قديماً ناصر الدين أبو عبدالله ابن الأمير ناصر الدين أبي عبد الله بن القاضي بدر الدين أبي عبد الله بن النور أبي الثنـــاء الحموي ، المعري

(١) كامل الغزي : نهر الذهب في تاريخ حلب ٢ : ١٠٥ (ج) .

المولد ، القاهري الوفاة ، الحنفي ، أخو فرج ، وابن أخي الصلاح خليل ، وجدّ الزين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمود بن ابراهيم لأمه ، وسبط الشمس محمد بن الركن بن سارة ابن عم الشمس محمد بن احمد بن علي بن سليمان بن الركن ، المعروف بابن السابق كسلفه .

ولد سنة ٨١١ هـ في المعرة ، وانتقل الى حماة فنشأ بها ، وقرأ على الشيخ حسن الهندي ، والنور ابن خطيب الدهشة ولازم التقي ابن حجة وكتب عنه فوائد . وعن عمه الصلاح خليل .

ثم ارتحل الى القاهرة ، وأخذ في اجتيازه بدمشق عن جماعة منهم : ابن حجر والزين الزركشي وعائشة الحنبلية ، وغيرهم ، ولازم ابن الهمام ، وأخذ عنه اكثر من ربع الهداية وغيره ، وأجاز له جماعة ، وحج مرة وجاور ، وسافر الى حلب ، وبيت المقدس وأقام بالقاهرة في كنف قريبه الكمال ابن البارزي ، فاستغنى عما كان له في بلده من الجهات ، واقتنى من نفائس الكتب وخدم بعضها بالحواشي والفوائد ، وكان ضنيناً بها لايفارقها ، حتى في أسفاره .

وكتب عنه السخاوي حديثاً ، وشعراً ، وكتبَ عن السخاوي جملة من المتون والأسانيد والتراجم .

وكان لطيف المعاشرة حسن المحاضرة كثير التودد والتواضع ، مع كياسة وكرم وفتوة ومتانة لما يحفظه من التاريخ والأدب الذي هو جل معارفه .

وقد تزوج كثيراً ، ولم يخلف ولداً ذكراً . وولي خزانة الكتب بالظاهرية القديمة ، ثم سافر الى بلده ، فأقام دون الشهرين ، ورجع إلى القاهرة في رجب ، وهو متوعك ، وطلع له دمّل وانتشر في جوفه فمات ليلة الخميس سابع

رمضان سنة ٨٧٧ هـ ودفن بتربة الزيني ابن مزهر ووقف من كتبه أشياء ، ثم قوم باقيها بنحو اربعمائة دينار [1] .

* * *

الشيخ محمد المعري الشهير بابن المرقي:

ذكره في شذرات الذهب في شيوخ حسين بن عمر النصيبي المتوفى سنة ١٠٠٠ هـ

* * *

جمال الدين محمد المعري :

ذكر في أعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٥٠ انه ولي المدرسة البلدقية الشافعية في حلب وبعد فتنة تمر آل تدريسها للشيخ شرف الدين حمزة الحيشي الشافعي .

* * *

محمد بن أبي اليمن محمد رضي الدين المعري الأصل ، الحلبي المولد والدار ، الحنفي ، المشهور بابن حلقا :

فضل في العربية والفقه ، وشارك في اصوله ، وكتب على أبيه باملائه على الفتوى ، لما كف بصره ، وكانت له الطريقة الياقوتية في الخط .

وخطب بجامع القلعة ، ثم بجامع حلب استقلالاً ، بعد الشهاب الانطاكي ، الى أن توفي شاباً ، بعد مدة قليلة في سنة اربع وخمسين وتسعمائة ، ودفن بجوار قبر الحسين النوري بمقابر الصالحين ، وكان متواضعاً متودداً

(١) وقد ذكره السخاوي في الضوء اللامع ج ٩ ص ٣٠٥

للناس كثير الرعاية لنا رحمه الله . نقل ذلك في إعلام النبلاء[1] عن در الحبب .

وذكر في اعلام النبلاء[2] ترجمة ابي اليمن الشيخ عفيف الدين محمد بن محمد ابن ابراهيم بن فضل بن عميرة ابن حلفا المغربي الأصل الحلبي الدار والمولد. وذكر أنه كف بصره . وانه توفي سنة ٩٥٦ هالخ .

فوقع لنا شك هل هو معري أم مغربي ، فارجأنا اثباته الى مابعد التثبت من أمره .

وفي نهر الذهب [3] ذكر مسجد بني الحلفا قال : ويعرف في زماننا بجامع البيرق ، وهو في زقاق بيرق المعروف بزقاق الشخاخ ، استولى عليه بعض الفرنجة ، واستعمله مربطاً لدوابه ، ثم استخلصه بعض المسلمين .

* * *

محمد بن المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا بن بركات بن مؤمل التنوخي شرف الدين ابن ابي البركات التنوخي ، المعري الأصل ، ثم الدمشقي الحنبلي :

قال في الشذرات [4] : ولد سنة خمس وسبعين وستمائة . وفي الدرر الكامنة [5] سنة بضع وسبعين ، وسمع من ابن أبي عمر والمسلم بن علان ، والفخر ، وابن الواسطي ، وغيرهم ، وكان معروفاً بالدين والعلم والمروءة وعلو الهمة وقضاء الحقوق ، ومات في ٢ أو في ٤ شوال سنة ٧٢٤ هـ ودفن في سفح قاسيون .

* * *

(١) راغب الطباخ : اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٥ : ٥٥٢ (ج)

(٢) الطباخ : اعلام النبلاء ٥ : ٥٦٨ (ج).

(٣) كامل الغزي : نهر الذهب في تاريخ حلب ٢ : ٧٥ (ح)

(٤) ابن العماد : شذرات الذهب .

(٥) ابن حجر : الدرر الكامنة (ج) .

اقضى القضاة صلاح الدين ابو البركات محمد بن محمد بن المنجا بن عثمان بن اسعد التنوخي ، المعري الحنبلي :

سمع الحجار وطبقته ، وحفظ المحرر ، ودرّس بالمسمارية ، والصدرية ، وناب في الحكم لعمه قاضي القضاة علاء الدين ، ثم ناب للقاضي شرف الدين ابن قاضي الجبل ، وكان من اولاد الرؤساء ذا دين وصيانة ، حدث ، ودرس ، وحج غير مرة ، وكان كريم النفس ، حسن الخلق والشكل ، ذا حشمة ورآسة على قاعدة اسلافه .

توفي ليلة الخميس رابع شهر ربيع الآخر وصُلّي عليه من الغد بجامع دمشق ، ودفن بتربتهم بالصالحية وقد جاوز الخمسين وتوفي سنة ٧٧٠ هـ كما قال في الشذرات (١) ، وقد ترجمه ابن حجر في الدرر الكامنة (٢) .

وذكر في الشذرات (٣) ايضاً في وفيات سنة ٨٠٠ هـ ترجمة القاضي علاء الدين علي بن صلاح الدين محمد بن محمد بن محمد بن المنجا بن عثمان بن اسعد بن محمد المذكور ، وانه ولي قضاء الشام مراراً ، الى ان مات بالطاعون .

وذكر له ولداً آخر ، اسمه تقي الدين أحمد في وفيات سنة ٨٠٤ هـ ، وانه ناب لأخيه علاء الدين ، ثم اشتغل بقضاء قضاة دمشق بعد فتنة تيمور .

* * *

محمد بن محمد الشيخ شمس الدين المعري الدمشقي ، الشافعي :

قال الغزي في الكواكب السائرة (٤) :إنه ولد في الثاني عشر من ربيع

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب (ج) .

(٢) ابن حجر : الدرر الكامنة (ج) .

(٣) ابن العماد : شذرات الذهب (ج) .

(٤) الغزي : الكواكب السائرة ١ : ١٩ (ج)

الأول سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ، وقال النعيمي : رافقني على جماعة من العلماء والمحدثين ، وشاهد ببابي مدة ، ثم توجع واعتزل الناس ، وتوفي نهار الجمعة سلخ ذي القعدة سنة ٩١٥ هـ .

* * *

أبو عبد الله محمد بن الفضل بن نظيف المعري :

ذكر ابن عساكر (١) : أن المؤمل بن الحسن بن علي بن الحسن الكَفَرْطابي أبا القاسم ، حدث عن محمد بن الفضل المذكور .

* * *

محمد بن مكي بن ابي الغنائم بن مكي التنوخي ، المعري :

قال في الدرر الكامنة (٢) :هو ابن مكي بن سعد الماضي قريباً (٣) فيما جزم به الشهاب بن حجي ، وهو وهم ، والحق انه غيره،فانهذا شامي وذاك مصري. وأيضاً فان هذا أجاز لشيخنا زين الدين بن الحسين المراغي في السنة المذكورة ، لكن بعد شهر المحرم ، والاستدعاء المذكور ليس فيه سوى شيوخ الشام .

* * *

أبو بكر محمد بن مسعود بن محمد بن يحيى بن الفرج النحوي :

ذكره ابن العديم ، فيمن قرأ عليهم ابو العلاء اللغة والنحو في معرة النعمان .

* * *

---

(١) ابن عساكر : تاريخ دمشق من مخطوطات الظاهرية ج ١٧

(٢) ابن حجر . الدرر الكامنة ٤ : ٢٦٤ (ج)

(٣) اي الذي قدم ترجمته قبل هذا برجلين ، وقد ذكر فيها ان ابن سعد توفي في ٢٧ المحرم سنة ٧٣٠ هـ .

محمد بن مسعر (١):

ذكر أسامة (٢) في كتاب الاعتبار قصة طريفة عنه فقال :

« حدثني الشيخ أبو القاسم الخضر بن مسلم بن قسيم الحموي بحماة سنة ٥٧٠ هـ ان رجلا كان يعمل في بستان لمحمد بن مسعر رحمه الله ، فأتى أهله ، وهم جلوس على أبواب دورهم بالمعرة ، فقال : سمعت الساعة عجباً ، قالوا : وما هو ؟ قال : مر بي رجل معه ركوة طلب مني فيها ماء ، فأعطيته ، فجدد وضوءه واعطيته خيارتين ، فأبى أن يأخذهما ، فقلت : ان هذا البستان نصفه لي بحق عملي ، ولمحمد بن مسعر نصفه بالملك ، فقال : أحج العام ؟ قلت : نعم ، قال البارحة بعد انصرافنا من الوقفة ، مات وصلينا عليه . فخرجوا في أثره ليستفهموا منه ، فرأوه على بعد لايمكنهم لحاقه ، فعادوا وورخوا الحديث ، فكان الأمر كما قال » .

* * *

الشيخ ابو صالح محمد بن المهذب بن علي بن المهذب بن ابي حامد بن محمد بن همام التنوخي ، المعري ، وهو ابن عمة ابي العلاء :

كان كبير القدر ، جليل الأمر ، عالماً فاضلا ، زاهداً ، محدثاً ، شاعراً ، حدث بالكثير عن أبي العلاء ، وعن جده علي بن المهذب بن محمد ، والقاضي أبي عمرو عثمان بن عبد الله بن ابراهيم قاضي معرة النعمان ، وجماعة سواهم ، وروى عن جده أبي أمه سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد ، ولما اعتزل أبو العلاء في منزله ، تسبب الناس في الدخول عليه ، فكتب أبو صالح هذا الى أبي الهيثم اخي ابي العلاء هذه القصيدة :

---

(١) لعله مسعود . (ج) .

(٢) اسامة بن منقذ : الاعتبار ١٧٢ (ج)

بِشَمْسِ رزود[1] لا ببَدْرِ مَعـان

أَلَمّا وإنْ كانَ الجميعُ شَجاني

أَراهَا أَبَتْ إلاّ النَّوى بي مُغْرَماً

ولَو رَضِيتْ هِجْرانَها لَكفاني

تَمُنُّ بإِهْداءِ السَّلامِ تجاهُــلاً

ولَوْ عَلِمتْ أَنَّ الرُّقادَ جَفـاني

هِبي هَجْعَةً كَيْما أَرى الطَّيْفَ مَرَّةً

بها تَحْتَ أَوْرَاقِ الدُّجى ويَراني

لَعَلِّيَ أَشْفي عِلَّتـي بِلِقَــائِه

فَكَمْ مِنْ خَليلٍ زارَني فَشفـاني

لَقَدْ أَوْلَعَ الدَّهْرُ المُشَتِّتُ بَيْنَنا

ليـاليَ لا يَعْبَثْنَ بالرَّشَقانِ[2]

وَفَكَّ قُيودَ اليَعْمُلاتِ مُقَيـداً

مَدى الدَّهْرِ لا يَفْنى مِنَ الرَّشَفانِ[3]

---

(١) كذا في الأصل .

(٢) كذا في الاصل (ج)

(٣) لعله الرسفان من رسف في قيده اذا مشى فيه (ج)

فما رَجَّعَت إلا النَّحيبَ حَمَامَةٌ

ولا خَيَّمَتْ إلاّ بأَيكَةِ بانِ

أَمُسْمِعَهُ لَمْ تَشْفِ مابي مِنَ الجوى

نُعاني الهوى مِنْ أرْبُعٍ ومَغانِ

ليهْنِكَ لَوْ أسْمَعْتَني رَهَجَ الوَغى

بِقُضْبِ قُيونٍ لا بِقُضْبِ قِيانِ

تَخَلَّيت[1] عَنّي كُلّ نَجْمٍ بَدالَها

سُهَيْلٌ بِحُكْمِ الوَخْدِ والذَمَلانِ

نُصَافِيها[2] دونَ الصَّوافِنِ وِرْدَنا

وما هُو إلا من نِطَاف شِنانِ

أَبَرْقٌ كَلَيل لاحَ مِن جَانِبِ الحمى

أَمِ السَّيْفُ هَزَّتْهُ يَمِينُ جَبانِ

بِجَهْلِكَ شِمْتَ السَّيْفَ والسَّيْفُ مُغْمَدٌ

وَكُلُّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ يَمانِ

---

(١) كذا في الاصل (ج)

(٢) كذا في الاصل (ج)

أبى ذاكَ لي إلا الأُوامَ وإنَّ ذا
لَيُروي الردى مِنْ غُلَّةِ الشَّنآنِ

وَبُرْدِ حِدادٍ قد طَوَيْتُ مُنَمْنَمٍ
وَهَلْ بُرْدَةٌ تُطوى بِغَيْرِ بَنانِ

تَلَفَّعْتُهُ حتى إذا مــا أَلِفْتُهُ
دَمَى[1] الصبحُ في أثنائِهِ بِسِنانِ

وَسابِغَةٍ نضْو المَعَالي وَقَفْتُها
لِيوْمِ خَرابٍ[2] لا لِيَوْمِ طِعانِ

تَقُولُ إذا ما جُبْتُها لا لِغارَةٍ
أَتَيتُ وإلاَّ جُبْتَنِي لِرِهانِ

فَكَمْ صاحِبٍ لي جِئْتُهُ مِنْ مرادةٍ[3]
بِأُمْنِيَةٍ أوْ مِنْ أذًى بأمانِ

أُشيمُ حُسامِي دونَهُ إن أرابَهُ
مُريبٌ وَإنْ لَمْ يَرْضَهُ فَلِساني

(١) لعله رمى (ج)
(٢) ولعله ضراب (ج)
(٣) مراده (ج)

وَدُودٌ[1] كَرِيمٌ لَوْ يَنالُ خلائقاً
هِيَ النَّجْمُ زادَتْهُ عُلُوَّ مَكانِ

تَخَيَّرَ قَلْبي والحشا ثُمَّ إنَّــــهُ
ثَوَى بِمَحَلٍّ عَنْ سِواهُ مُصان[2]

أَبَا الهَيْثَمِ اسْمَعْ ما أَقُولُ فإنّما
تُعِينُ عَليَّ مارُمْتُ خَيْرَ مُعَان

قَرِيضي هِجاءٌ إن حَرمتهِ مديحَهُ
لأرْوَعَ وَضّاحِ الجَبِينِ هِجانِ

أَطَلَّ عَلَى بَغْدادَ كالْغَيْثِ جاءَها
بِهِ سَعْدُ نَجْمٍ في أَجَــلِّ أوَانِ

نَضَاها ثِيابَ المَجْدِ وَهِيَ لِباسُها
وَبَدّلَها مِنْ شِدَّةٍ بِلَيانِ

فَياطِيبَ بَغْدادٍ وَقَدْ أُرِجَتْ بِهِ
عَلَى بُعْدِها الأطْرافُ من أرْجان

---

(١) وودٌ (ج)
(٢) لا يقال مصان (ج)

غَدا بِكُمْ المَجْدُ المُضِيءُ وإنَّهُ
لَيُقْمِرُ مِنْ أضوائِهِ القَمَرانِ
سراً [1] لِمعالي دوننا هَلْ تُسِرُّها
بُطونُ وِهَادٍ أوْ ظُهورُ رِعَانِ
نَأى ما نَأى والموتُ دونَ فِراقِه
فَما عُذْرُهُ في النّأي إذْ هُوَ دَانِ
فَكُنْ حامِلاً مِنّي إليْهِ رِسالةً
تُبَيّن لِيناً [2] في هِضَابِ أبَانِ
فَإِنْ قَالَ أخشَى مِنْ فُلانٍ تَشَبُّها
فَقُلْ ما فُلانٌ عِنْدَنَا كَفُلانِ
هُوَ الخِلُّ ما فِيه اخْتِلالُ مَوَدّةٍ
فَلا تَخْشَ مِنْهُ زَلَّةً بِضَمانِ
فَإِنْ خنتُ عَهْداً أوْ أَسأْتُ خَليقَةً
ولَمْ يَكُ شأْني في المَوَدَّةِ شانِ

(١) كذا في الأصل (ج)
(٢) الينا اليه (ج)

فلا أحسنَتْ في الحرْبِ إمساكَ مِقبضِ
يميني ولا يُسْرَاي حِفْظَ عِنانِ[1]
لَعَلَّ حَياتي أنْ تعودَ نَضِيرةً
لَدَيْهِ كما كانَتْ وَطِيبَ زَمانِ

* * *

أبو جعفر محمد بن مؤيد بن أبي اليقظان أحمد بن علي بن أحمد التنوخي :

روى عن جده أبي اليقظان ثلاث قصائد سمعها من أبي العلاء .

وورد مرة ذكره ابن مؤيد بن حوّارى ، ومرة جده أبو المفضال احمد ابن حوّارى وبنو حوّارى من تنوخ .

وقد نقل عنه ابن العديم تاريخ ولادة ابي العلاء .

* * *

محمد بن هبة الله بن معمر الشيخ المسند الفقيه المحدث المعمر الصالح شمس الدين أبو عبد الله المعري ، ثم الحلبي :

سمع من التاج ابن المكارم محمد بن الكمال أحمد النصيبي ، جزء محمد بن الفرج الأزرق ، وحدث به ، سمعه منه ابن عشائر .

هكذا قال في الدرر الكامنة [2] ولم يبين سنة ولادته ولا وفاته .

* * *

(١) في نسخة مقبضي . عناني (ج)

(٢) ابن حجر : الدرر الكامنة (ج) .

محمود بن عبد الحميد بن سلمان بن معالي المعري الأصل ، الحلبي،ثم الدمشقي، شرف الدين بن نجم الدين الوراق :

ولد سنة ٦٨٢ هـ ، وأسمع على الفخر مشيخته ، وجزء الغطريف،وحدث .وكان له حانوت بالوراقين بالصالحية ، وتوفي في ذي القعدة سنة ٧٥٧ هـ كما قال (ابن حجر) في الدرر الكامنة .

* * *

ابو سلامة محمود بن علي بن المهنا بن أبي المكام ، الفضل بن عبد القاهر ،. المعري :

كان شاعراً فاضلاً ، ومن شعره قوله ، لما استولى الفرنج على المعرة .وخربوها :

هَذِهِ بَلْدَةٌ قَضَى اللهُ يَاصَا
حِ عَلَيْها كَمَا تَرَى بِالْخَرَابِ
فَقِفِ العِيسَ وَقْفَةً وابْكِ مَنْ كَا
نَ بِهَا مِنْ شُيُوخِنَا والشَّبَابِ
واعْتَبِرْ إنْ دَخَلْتَ يَوْماً إلَيْها
فَهِيَ كَانَتْ مَنَازِلَ الأحْبَابِ

وقد تقدم ان وجيه بن عبد الله ، تمثل بهذه الأبيات لما دخل المعرة بعد خرابها . وتوفي سنة ٥٠٥ هـ .

* * *

قاضي القضاة نور الدين محمود بن أبي بكر بن محمود المعري الأصل، ثم الحموي، ثم الحلبي، الشافعي:

هو سبط الشيخ أبي زيد [1] ابن الحافظ برهان الدين الحلبي وقد ولي قضاء حماة بعد أبيه الى آخر دولة الجراكسة [2]، فلما مر السلطان سليم على حماة ولاه قضاءها أيضاً، ثم لما رجع السلطان سليم، بدا لصاحب الترجمة ان يترك القضاء في هذه الدولة تورعاً [3] عما أحدثوه من المحصول والرسم، فتركه وترك غيره من المناصب الحموية، فأخرجت له براءة واحدة بنحو ثلاثين منصباً، ما بين تدريس وتولية، ثم انه قطن حلب هو ووالده واخوه المقر أحمـــد، وسكن بالمدرسة الشمسية في محلة سويقة حاتم [4] فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى مـاتوا وكانت وفاة القاضي نور الدين سنة ٩٣٢ هـ رحمه الله تعالى، ذكر ذلك الغزي في الكواكب السائرة.

وقد رأيت حجة شرعية من محكمة حماة كتب عليها ان الحكم صدر فيها من قبل ابي الصدق، أبي بكر ابن قاضي القضاة، أبي الثناء المعري الشافعي

---

(١) كذا في نسخة خطية ولكن جاء في النسخة المطبوعة ج ١ ص ٣٠٥ وفي اعلام النبلاء ج ٥ أبو ذر، وكذا في الشذرات ج ٨ سنة ١٩١ (ج).

(٢) وفيه: وكان أبوه القاضي تقي الدين قد ذهب الى القاهرة، فاجتمع بالمقر المحبي ابن آجا كاتب الأسرار الشريفة بها، فابرم عليه ان يكون قاضي الشافعية بحلب، فأبى رعاية منه للكمال قاضيها، ففوض اليه بالأمر السلطاني قضاء حماة، فأبى، وسعى فيه لولده هذا، فبقي بها قاضياً الى انقضاء الدولة الجركسية (ج).

(٣) وفيه عما فيها من رقم، ورسم، وسجلات الحسبة، ونحو ذلك فتركه، وطلب شيئاً من المناصب (ج).

(٤) وفيه وحرمه معه فلم تكن عتبتها مباركة عليه ولا على ابنه المقر الشهابي حتى ماتوا بعد قليل من مجيئهم من حماة.

الناظر للأحكام الشرعيـــة في المملكة الحموية ومضافاتها ، ويفهم منها انه نور الدين . فتأمل .

* * *

محمود جلبي ابن المعري :

ذكر في اعلام النبلاء[1]: من آثار الشيخ عبد الله العطاف الصحاف المتوفى سنة ١٢٣٣ هـ ، رسالته المسماة بالهمة القدسية ، الفها باسم مفتي حلب وقتئذ محمد قدسي ، وذكر فيهـــا من علماء حلب وأدبائهـا جمـــاعة ممن ضمنوا على طريقة الاقتباس قوله تعالى : (أليس لي ملك مصر) وسرد اسماء جماعة الى أن قال : وممن نحا هذا المنحى وسلك فيه ثناء ومدحاً احد الظرفاء ، وشقيق الاذكياء محمود جلبي ابن المعري ، حيث قال واحسن في المقال :

عَزيز قلـــبي مُرَادِي ... مِنْ نُورِ وَجْهِكَ بَدْرَا
وَلَثْمُ رَاحَاتِ جُودٍ ... تَفُوحُ مِسْكاً وعِطْراَ
أَنتَ المُسَمَّى خَليـلاً ... أنسَيْتَ بالعَدْلِ كِسْرَى
مَنْ أَمَّ بَابَكَ يَوْمـــاً ... يَلْقَى المَكَارِمَ تَتْرَى
أرْسَلْتَ نَظماً كَـدُرٍّ ... يزينُ في الجِيد عَـذْرا
مِنْ سِحْرِ لَفْظِكَ أضْحى ... تَمِيلُ عُجْباً وَسُكْرَا
أَمْسَى يُنادِي هَلُمّوا ... مَنْ كَانَ يُحْسِن شِعْرا

(١) راغب الطباخ : اعلام النبلا بتاريخ حلب الشهباء ٧ : ٢١٠ (ج)

مَوْلاَيَ أنتَ مَليكٌ حَبَاكَ رَبُّكَ نَصْرا
والمُلْكُ عِذْرٌ وَلَكِنْ يَسْمُو بِذلِكَ قَدْرَا
وَلَمْ تَقُلْ بافْتِخَارٍ أليْسَ لي مُلْكُ مِصْرَا
مَوْلايَ سَامِحْ مُحِبّاً عَلَى حِمَاكَ تَجَرّا

وكان انتهاء هذه الرسالة سنة ١٢٠٤ هـ

* * *

محيي الدين ابن ابي حامد بن المهذب المعري :

قد مر بك أن بيت المهذب بيت قديم عظيم ، نبغ فيه كثير من الفضلاء وذوي المنزلة الرفيعة ، ولكن لم نقف من رجالهم على غير من ذكرنا ، وقد كان محيي الدين ناظراً لبيت المال في حلب ، وتوفي فجأة سنة ٧١٤ هـ

* * *

أبو المرشد ، وقيل : ابو سهل ، مدرك بن علي بن محمد أخي ابي العلاء المعري ، التنوخي :

كان اديباً شاعراً ، ومن شعره :

إذا لَمْ تَسْتَطِعْ سُكْنَى بِلادٍ
نَشَأْتَ بها فَكُنْ مِنْها قَرِيباً
بِحَيْثُ تَشُمُّ نَشْرَ الرِّيحِ مِنْها
وَتَسْأَلُ مُخْبِراً عَنْها مُجِيباً .

فَإنَّ أشَدَّ أحداثِ اللّيالي
عَلَى الإنسانِ أنْ يُمسِي غَريبـاً
بأرْضٍ لا يَرَى فِيهـا صَديقاً
يُسَرُّ بِـهِ وَلا يَلْقَى حَبيباً

وله وقد ورد مصر :

ظَلَمَتْ مِصْرُ وَجارَتْ لا جَرَى النِّيلُ عَلَيْها
فَلَحَا اللهُ زَمَانـاً أحْوَجَ النّاسَ إلَيْها

ولمدرك من الاولاد عبد الرحمن، ومرضي، وأحمد، وسعيد، وصاعد[1]

* * *

أبو الراضي مدرك بن سعيد بن مدرك بن علي بن أبي المجد محمد اخي أبي العلاء :

أظن انه سمع أبا طاهر اسماعيل بن حميد ، وروى عنه أبو الخطاب عمر ابن محمد العليمي ..

* * *

أبو المجد مرشد بن علي بن عبد اللطيف المعري :

ذكره ابن القلانسي [2] ، وقال : كان من الرجال الأشداء الكفاة ، فيما كان يستنهض به في الأيام الاتابكية ، وكذلك في الأيام النورية ، وكان مع

(١) وتجد ذكره في الانصاف (ج)
(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ٣٥٤ (ج) .

ذلك موصوفاً بالخير وسلامة الطبع ، مستمراً في ذلك على منهاج أسرته (١) ، وتوفي سنة ٥٥٣ هـ .

* * *

مروان بن عثمان النحوي ، المعري :

ذكره السيوطي في بغية الوعاة ، وقال : إن أمية بن أبي الصلت ذكره في الحديقة .

وذكر ياقوت في معجم البلدان أبياتاً تسعة لأمية بن أبي الصلت المعري ، يذكر فيها دير مرحنّا ، منها قوله :

يادِيرَ مَرحَنّـا لَنَـا لَيْلَةٌ لَوْشُرِيَتْ بالنَّفْسِ لَمْ تُبْخَسِ

ولا أعلم أهو محرف عن المصري أم لا .

* * *

الوزير مصطفى بن اسماعيل باشا العظم:

ولد سنة ١١٣٦ هـ ، وصار جرداريا برتبة روم ايلي ، من غير منصب بمقابلة الرتبة مع أخيه الوزير سعد الدين باشا سنة ١١٦٧ هـ ، وبقي في دمشق شاغراً الى سنة ١١٦٩ هـ ، فأنعمت عليه الدولة بمنصب صيدا برتبة الوزارة ، فدخلها في أحد الربيعين ، ثم ولي آذنة (٢) سنة سبعين ، فدخلها في صفر من السنة المذكورة ، ثم عزل وولي المَوْصل ، واجتاز بحلب . ثم بعد بلوغه الموصل صدر

---

(١) ذكر ذلك الميمني في ابي العلاء وما اليه ص ٢١ . (ج) .

(٢) من بلاد الجمهورية التركية . وفي معجم البلدان لياقوت ١ : ١٧٩ أذنة : بفتح أوله وثانية وأذِنَة بكسر الذال .

أمر عال برفع وزارته وإقامته في حماة ، فرحل من الموصل في ربيع الثاني سنة ١١٧١ هـ ، واجتاز بحلب الى حماة ، وأقام بها الى أن توفاه الله في ذي القعدة مطعوناً ، وكان حج مع أخيه أسعد وأعقب رحمه الله .

* * *

أبو الحسن المطهر بن المفضل بن عبدالله التنوخي المعري :

كان يزعم انه ابن عم أبي العلاء ، قدم بغداد،وقرأبهاعلى أبي الحسن علي ابن فضال المجاشعي ، وجالس أبا سعد ابن الموصلايا ، وابن الشبّل ، وعاد . ثم قدمها ثانية في سنة ٤٩٥ هـ وروى بها شيئاً من شعره ، وتوفي بها وكتب عنه السّلفي :

وَيْكِ يانَفْسِي ذَرِي الدُّنيا التي
قُرِنَ الحِرْصُ بِها والشَّرَهُ
واطْلُبي النُّسْكَ فما أرْبَحَهُ
واتركي الغَيَّ فما أخْسَرَهُ
أيّ عُذْرٍ للتَّصَابي في امْرِىءٍ
فَاتَهُ مِنْ عُمْرِهِ أكْثَرُهُ
يَسْمَعُ الوَعْظَ فَلا يَقْبَلُهُ
قُتِلَ الإِنْسَانُ ما أكْفَرَهُ[1]

* * *

(١) راغب الطباخ : إعلام النبلاء تاريخ حلب الشهباء . وابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ (ج) .

أبو المحاسن القاضي الاديب النحوي المفضل بن محمد بن مشعر[1] بن محمد المعري:

دخل بغداد وقرأ الأدب ، وسمع جماعة فيها وفي عُكبَرَاء[2] ، وسُرَّ مَنْ رأى ، ودمشق ، علي بن عيسى الربعي ومحمد بن اشرس النحوي ، وعلي بن عبد الله الدقيقي ، وسمع والده ، وأبا بكر عمر بن مهدي ، وحدث في دمشق ، وحدث عنه الشريف النسابة ، وناب في القضاء بها ، وولي قضاء بعلبك وقرأ الفقه على مذهب ابي حنيفة على القدوري ، والصيمري ، وكان معتزلياً شيعياً ، يضع من الشافعي ، وصنف كتاباً في الرد عليه فيما خالف فيه الكتاب والسنة واللغويين . وله رسالة في وجوب غسل الرجلين وتاريخ للنحاة وقف عليه السيوطي ، ومات سنة ٤٤٢هـ ، او سنة ٤٤٣هـ ، أو سنة ٤٤٤هـ وكانت ولادته ووفاته بالمعرة ، ومولده بعد سنة ٣٧٠ هـ .

وفي النجوم الزاهرة[3] : في سنة ٤٤٤هـ توفي المفضل بن محمد بن مسعود ابو المحاسن التنوخي المعري الفقيه الحنفي . وقال : مات بدمشق ، ولم يخلف بعده مثله .

وفي كشف الظنون : البيان عن الفصل في الاشربة بين الحلال والحرام لأبي المحاسن المفضل بن مسعود بن محمد التنوخي ، النحوي[4] المتوفى سنة ٤٤٢ هـ ،

---

(١) وفي رواية : مسعر

(٢) عُكبَرا : من نواحي دُجَيل بينها وبين بغداد عشرة فراسخ معجم البلدان ٣ : ٧٠٥

(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٥ : ٥٢ (ج) .

(٤) وتجد ترجمته في تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١٧ ، وبغية الوعاة للسيوطي ٣٩٦ والنجوم الزاهرة ٥٢ وطبقات الحنفية ومرآة الزمان . وذكره ياقوت في الجزء السابع من ارشاد الاريب =

وفيه ايضاً تنبيه في رد الشافعي فيما خالف النصوص للقاضي ابي المحاسن المفضل بن مسعود التنوخي الحنفي المتوفى سنة ٤٤٢ هـ .

ومما تقدم يتبين ان اسم جده مسعود لا مسعر ولا مشعر ،ولكن ذكر أنه مسعر كثير من المؤرخين

* * *

ابو الخير المفضل بن سعيد بن عمرو المعري : الشاعر ، الملقب بالعزيزي :

قال الثعالبي (١) : هو من معرة النعمان ، ويلقب بالعزيزي ، لاختصاصه بعزيز الدولة ابي شجاع فاتك ، ومن شعره فيه قوله من قصيدة ، وقد خلع عليه وأعطاه سيفاً ومنطقة ذهب :

يَاذَا الصَّنَائِعِ بَعْدَهُنَّ صَنَائِعُ
وَأَخَا الأَيَادِي بَعْدَهُنَّ أَيَادِ
١ ـــ لَمْ تَرْضَ لِي حَتَّى ارْتَدَيْتُ بِصَارِمٍ
وَعَقَدْتُ مَرْبِطَ عَاتِقِي بِنِجَادِ
وَأَدَرْتُ فِي خَصْرِي سَبِيكَةَ عَسْجَدٍ
أَوْهَتْ عِدَايَ وَأَمْسَكَتْ مِنْ آدِي

=وكشف الظنون ٢٦٣ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٨٧٩ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، القرشي :الجواهر المضية ٢ : ١٧٩ ، البغدادي : هدية العارفين ٢ :٤٦٨ ، ٤٦٩

وانظر عنه في مخطوطة الوافي بالوفيات للصفدي١ : ٤٨ ، ١٩ :١٦٤ والمطبوعات الآتية : ابن قطلوبغا : تاج التراجم ٥٤ ، ٥٥ ، حاجي خليفة .

(١) الثعالبي : تتمة يتيمة الدهر ١ : ٨ (ج) .

٢ ـــ فَلأُرْضِيَنَّكَ مِنْ بَلاَغةِ مَنْطِقِي

وَلأُعْجِبَنَّكَ مِنْ مَضاءِ فُؤادِي

٣ - وَلأَخدمَنَّكَ فاعِلاً أوْ قائلاً

بالضَّرْبِ بَيْنَ يدَيْكَ وَالإِنْشادِ

٤ ـــ وَإذَا شَكَكْتَ فَلاَ تَشُكَّ بِأنَّني

في الدَّهْرِ ثَالِثُ عَنْتَرٍ وَزِيَادِ

ومما يستحسن له قوله في جارية سوداء ، ويروى لغيره [١] :

وَمِسْكِيَّةُ النَّشْرِ مِسْكِيَّةُ الْـ غَدَائِرِ مِسْكِيَّةُ المَنْظَرِ

تثنّى وَقَامَتُهَا للقَضِيـبِ وَتَنْظُرُ واللَّحْظُ للْجُؤْذَرِ

وَتَحْسَبُها في خِلَالِ الحدِ يث تَنْثُرُ عِقْداً مِنَ الجوْهَرِ

وقوله في الهجاء :

أبو الرِّضَى القَـارِي لَهُ مَنْظَرٌ

يُعْرِبُ عَنْ بُنْيَةِ تأنِيثِ

(١) وروى الثعالبي في خاص الخاص هذه الابيات المرقومة ، ونسبها الى أبي الحسين العزيزي المعري ، وروايته الاولى لم تبق لي والباقية كما هنا . ولعل ابا الخير حرفت الى ابي الحسين (ج)

مُخَنَّثُ الطَّبْعِ وَلَيْسَتْ لَـــهُ

خِفَّـــةُ أَرْوَاحِ الْمَخَانِيثِ

وله ويروى لغيره :

أَيْ.. عَلَى جِسْمِي أَمِيرٌ وَقَدْ

دَانَ لَهُ بِالسَّمْعِ وَالطَّـــاعَةِ

تَكْسِبُ أَعْضَائِي جَمِيعـــاً لَهُ

فِي الشَّهْرِ مَـــا يُنْفِقُ فِي سَاعَة

* * *

أبو الخير المفضل بن جعفر بن علي بن المهذب :

سيأتي في ترجمة ابي غالب همام بن الفضل بن جعفر بن المهذب فلعله هذا.

* * *

ابو الفتح المفضل بن ابي غانم عبد الرزاق بن ابي حصين التنوخي :

وقد تقدمت ترجمة أبيه .

* * *

أبو تمام المفضل بن محمد بن المهذب بن علي بن المهذب المعري :

ذكره ابن عساكر في ترجمة عبد الرحمن بن الحسن الفارسي ، الصوفي وفي ترجمة الفضل بن عمر (١) .

* * *

(١) ابن عساكر : تاريخ دمشق من مخطوطات دار الكتب الظاهرية ج ٩ ، ١٤

العلامة شيخ الحنابلة زين الدين ابو البركات المنجا بن عثمان بن اسعد بن المنجا التنوخي ، الحنبلي ، المعوي (١) :

أحد من انتهت اليهم رئاسة المذهب أصولاً وفروعاً مع التبحر في العربية والبحث و كثرة الصيام والصلاة والوقار والجلالة ولد في ١٠ ذي القعدة سنة ٦٣١هـ وسمع من السخاوي والقرطبي وابن مسلمة وجماعة وتفقه على أصحاب جده وأصحاب الشيخ موفق الدين فيها وقرأ الأصول على التفليسي ، والنحو على ابن مالك ، وبرع في ذلك كله ، ودرّس وافتى ، وناظر ، وصنف ، ومن تصانيفه شرح المقنع في اربعة مجلدات ،وتفسير للقرآن كبير وغير ذلك ، وسمع منه ابن العطار والمزّي والبرزالي ، وغيرهم ، وتوفي يوم الخميس في ٤ شعبان سنة ٦٩٥هـ ، وله من العمر اربع وستون سنة (٢) .

وفي الشذرات : وتوفيت زوجته ام محمد ست البهاء بنت الصدر الخجندي ليلة الجمعة خامس الشهر ، وصلي عليهما معاً عقب صلاة الجمعة بجامع دمشق ، ودفنا بتربة بيت المنجا بسفح قاسيون .

* * *

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب ٥ : ٤٣٣ ، وراجع طبقات الحنابلة لابن خلف (ج) :

(٢) وانظر عنه في المخطوطات الآتية : الذهبي : تاريخ الاسلام ، الجزء الأخير ١٨٢ ، ١٨٣ ، ابن رجب · ذيل طبقات الحنابلة ٣٢٦/١ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ٢٦، ٧٧، ٨٨، وفي المطبوعات التالية : النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، ٢ : ١٢٠ — ١٢٢ ، ابن العماد · شذرات الذهب ٥ : ٤٣٣ .

ابو الحسن المهذب بن علي بن المهذب :

روى عن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد (١) .

* * *

ابو النهى ميمون بن أحمد بن روح المعري :

قال السمعاني ، عند ذكره المعرة : والمشهور بها من المحدثين ابو النهى « المترجم » ، روى عن يوسف بن سعيد بن مسلم المصيصي وغيره ، وحدث ، وروى الناس عنه ، وسمعه ابن ابن أخيه أبو الفتح محمد بن الحسن بن محمد المترجم فيما سبق .

* * *

أبو نصر مهنا بن علي بن المهنا المعري المعروف بالناظر :

شاعر مجيد ، ولد سنة ٣٨٣ هـ ، وتوفي سنة ٤٥٤ هـ ، نقل ابن عساكر عن عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الحلبي ، قال : كان عندنا أبو الحسن ابن بطلان الطبيب في حلب نحو سنة اربعمائة واربعين ونيف ، فتوفي رجل من شعراء معرة النعمان ، يلقب بالشامي من موضع قريب فانكرت(١) ساقه ، ودخل عليه أبو الحسن ابن بطلان ، فاشار بفصده ففصد ، ومات بعد يومين ، فعمل المعروف بابي نصر ابن مهنا الناظر الشاعر العربي فيه ، وكان يهجو الشامي كثيراً :

لله دَرُّكَ يا بْنَ بَطْـــلَانَ فَقَدْ
أَظْهَرْتَ في الشَّامِي صِناعَةَ حَاذِقِ

---

(١) الانصاف (ج)

(١) لعله فانكسرت (ج) .

لَمْ تَأْتِ وَقْعَةُ رِجْلِهِ مِنْ خَالِقٍ[1]

في مَتْنِهِ بِفَصَادَةٍ مِنْ خَـــالِقِ

وله من قصيدة يمدح بها الشريف ابا القاسم :

وَغَادَةٍ غَـــادَرَتْ لَوَاحِظُهَـــا

قَلْبِي عَلَى مِثْلِ مُضْرِم حَـــاجِمْ

يَطْلُعُ في بَدْرِهَـــا المُنِيرُ كَمَا

تَمِيسُ في ثَنْي غُصْنِهَا النَّـــاعِمْ

هَيْفَاءُ في لَحْظِ طَرْفِهَـــا مَرَضٌ

يَنْجَابُ عَنْهَا فَيَمْرَضُ السَّالِمْ

يَغْرَمُ فِيهَـــا المُحِبُّ مُهْجَتَهُ

وَهْوَ يَرَى أَنَّهُ بِهَـــا عَالِمْ[2]

* * *

موسى بن أحمد بن عمر بن حسن المعري الاصل البَعْلبَكي شرف الدين :

قال ابن حجر في الدرر الكامنة : ولد في سنة ٧٠٦ هـ تقريباً ، وسمع من الحجار من الصحيح ، وحدث . سمع منه أبو حامد بن ظهيرة بعد السبعين .

* * *

(١) لعله حالق (ج) .

(٢) ترجمته في تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٧٠ ، من مخطوطات الظاهرية.

أمير الأمراء موسى باشا المعراوي ، كيخية أسعد باشا العظم :

كان أمير الجردة في نحو سنة ١١٦٩ هـ وكان آمر الحاج ووالي الشام وقتئذ حسين باشا بن محمد بن محمد بن مكي بن فخر الدين الغزي ، ذهبوا للحج في تلك السنة ، فخرجت عليهم عرب بني صخر ، وعربان البرية ، ونهبوا الجردة في منزلة القطرانة وسلبوه ، وسلبوا من كان معه في الجردة [1]

* * *

أبو الحسن ميسّر بن هبة الله بن محمد بن مسعر التنوخي المعري :

سكن دمشق ، وصنف كتاباً في معاني الشعر ، الذي ابتكره قائله وأبدع فيه ، لقبه بابكار المعاني المعتمدية ، صنف للقاضي معتمد الدولة ابي الحسين يحيى بن زيد الحسيني ، فرغ من تصنيفه سنة ٤٥٠ هـ ، وتوفى سنة ٤٧٨ هـ عن سبع وستين سنة .

له أولاد ، منهم : المشكور وأبو المكرم ، وابنه الاصغر [2] .

* * *

شرف الدين نصر الله بن عبد المنعم بن حواري التنوخي الحنبلي المعري [3] :

كان أديباً فاضلاً ، عمر في آخر عمره مسجداً في دمشق عند طواحين الاشنان ، تأنق في عمارته وصنف كتاباً سماه (ايقاظ الوسنان في تفضيل دمشق على سائر البلدان) وكانت اقامته في العادلية الصغرى ، ولما ولي ابن خلكان

---

(١) وقد ذكر هذه الحادثة مفصلة صاحب كتاب الوزراء الذين حكموا دمشق رسلان بن يحيى القاري ص ٧٩ ، والمرادي في سلك الدرر ج ٢ ص ٦١ فراجعها .

(٢) ذكر ذلك ابن عساكر في تاريخ دمشق (ج) .

(٣) في تاريخ الذهبي هو المعروف بابن شقير .

دمشق طلب الحساب من أربابه ،ومن شرف الدين هذا عن وقف العادلية ، فعمل الحساب وكتب ورقة فيها :

وَلَمْ أُعْمَلْ لِمَخْلُوقٍ حِساباً   وَها أَنَا قَدْ كَتَبْتُ لَكَ الحِسَابا

فقال القاضي : خذ أوراقك ، ولا تعمل لنا حساباً ولا نعمل لك وتوفي سنة ٦٧٣ هـ[1].

وزاد في الشذرات . ومن شعره :

مَا كُنْتُ أَوّلَ مُسْتَهامٍ مُدْنَفٍ
كَلِفٍ بِمَمْشُوقِ القَوامِ مُهَفْهَفِ
تُزْرِي لَوَاحِظُهُ بِكُلِّ مُهَنّدٍ
مَاضٍ وَعِطْفَاهُ بِكُلِّ مُثَقّفِ
مُسْتَعْذَبُ الأَلْفَاظِ يَفْعَلُ طَرْفُهُ
في قَلْبِ مَنْ يَهْواهُ فِعْلَ المَشْرَفي
أَنَا والِهٌ دَنِفٌ بِوَرْدِ خُدُودِهِ
وَبِغَضِّ نَرْجِسِ مُقْلَتَيْهِ المُضْعَفِ

---

(١) ذكر ذلك ابن شفدة في تاريخه ، وفي ذيل تذكرة الحفاظ لأبي المحاسن الدمشقي ص ٢٨ : انه توفي سنة ٦٤٥ ، ونقل في ذيلها عن الذهبي انه توفي سنة ٦٧٧هـ (ج)

انظر عنه في مخطوطة الوافي بالوفيات للصفدي ٢٧ : ١٧ ، ١٨ والمطبوعات التالية : ابن العماد : شذرات الذهب ٥ : ٣٤١ ، ٣٤٢ ، القرشي : الجواهر المضية ٢ : ١٩٧ ، حاجي خليفة : كشف الظنون ٢١٥ ، الزركلي · الأعلام ٨: ٣٥٣

ياجائِراً أبداً بِعــادلِ قَدّهِ

ماحِيلَتي في الُحبِّ إنْ لَمْ يُنْصِفِ

دِيوانُ حُسنِكَ لَمْ يزَل مُستَوفياً

وَجدي وأشْواقي بِحُسْنِ تَصَرّفِ

لَكَ ناظِرٌ فَتّانُ بالعشّاقِ قَــدْ

أضْحَى علَى الهلكانِ أعْجَلَ مُشْرِفِ

ورَشيقُ قَـدِّكَ عـامِلٌ في مُهْجَتي

مِنْ غَيْرِ حاصِلِ أدْمُعِي لَمْ يَصْرِفِ

وإذا طَلائِعُ عارِضَيهِ بَدَتْ فَقُلْ

قِفْ ياعذارُ بِخَـدّهِ واسْتَوْقِفِ

لا شَيْءَ أعْذَبُ مِنْ تَهَتّكِ عاشِقٍ

في عِشْقِ مَعْسُولِ المَرَاشِفِ أَهْيَفِ

يَامَنْ يُعنّفُ في دِمَشْقَ ووَصْفِها

لَوْ كنتَ تعْقِلُ كُنتَ غَيْرَ مُعَنّفِ

هيَ جَنَّةُ المَأْوَى وَيَكْفي مِيزَةً

وَفضيلَةً أوْصافُها في المُصْحَفِ

* * *

أبو المظفر نصر بن منصور بن أبي الفتح الحسن بن عبد الله بن أبي حصينة :

كان شاعراً مجيداً [1]

وقد ذكر ابن عساكر من شعره هذه القصيدة يرثي بها أبا المعافى :

إنْ لَمْ تَكُنْ تَسْعَى إليكَ القَدَمْ
يَا أيُّها القَاضِي الرَّفيعُ الهِمَمْ
وَمَنْ دَعَا لِلدّين مجداً سَما
والتَّاجُ لِلْحُكّامِ بَيْنَ الأمَمْ
وَمَنْ غَدَتْ رَاحَتُهُ في الوَرَى
كَالرُّكْنِ إجْلَالاً لَهُ يُسْتَلَمْ
لَمّا رأى عَبْدكَ مِنْ ضَعْفِه
فَلَا تَلُمْ عَبْداً كَثِيرَ الألَمْ
فَمَنْطِقِي عَنْ قَدَمي نَائِبٌ
في ذَا المُلِمِّ الصَّعْبِ لَمَّا ألَمّ
زَعْزَعَ أرْكانَ العُلَى مُذْ أبى
وَخَرَّ مِنْهُ المشَمْخِرَ الأشَمّْ

(١) ابن عساكر : تاريخ دمشق من مخطوطات الظاهرية ج ١٧ .

قَالُوا قَضَى قَاضِي الوَرَى نَحْبَهُ
فَودَّتِ الأَسْمَاعُ تُحْيِي الصَّمَمْ
ولَا تَكُنْ سَامِعَةً نَعْيَ مَنْ
ثَوَى النَّدى لَمَّا ثَوى والكَرَمْ
فأَصْبَحَ الدِّينُ كَثِيرَ الأَسَى
قَدْ نَالَهُ هَمٌّ عَلَيه وَغَمْ
لَوْ أَنْصَفَ المَوْتُ لأَحْيَا لَنَا
يَحْيى وَلَكِنَّا نَرَاهُ ظَلَمْ

* * *

أبو بكر نصر بن عمر بن هلال الشرفي الطائي :

كان يسوق نسبه لعمرو بن معد يكرب، ابن زيد الخير الحيشي الحلبي البسطامي الشافعي وقد سبقت ترجمة ولده محمد وحفيده ابي بكر بن محمد .

ولد بقرية حيش من عمل المعرة ، وفارقها ، وهو ابن عشر فنزل المعرة، واشتغل بها على شيوخها ، وكانت له فيها زاوية ، وأتباع ، ثم تحول منها في سنة ست عشرة وثمانمائة الى حلب ، فقطنها بدار القرآن العشائرية للخطيب العلاء ابن عشائر ، حتى مات سنة ٨٤٦ هـ ، وقال السخاوي : ومن شيوخه في التصوف الجلال عبد الله البسطامي ، ومحمد القرمي ، وكذا اخذ عن الشهاب بن الناصح في آخرين .

واخذ عنه جماعة منهم البرهان القادري ومؤاخيه الزين قاسم الحيشي ، وكان عالماً زاهداً ، ورعاً متعبداً بالتلاوة والمطالعة، مداوماً على الطهارة الكاملة،

سليم الصدر ، كريماً مقصوداً بالزيارة ، ذا مروءة وتودد وقيـام بمصالح الناس مع جمال الصورة وحسن الشمائل ، وللناس فيه اعتقاد ووجاهة في ناحيـة متزايدة ، واتباعه كثيرون بحيث كان له في حلب ونواحيهـا خمس عشرة زاوية مشحونة بالفقراء البسطامية ، بل انتهت اليه سيادة البسطامية بالمملكة الشـامية بدون مشارك ، اخبرني باكثره وبازيد منه حفيده وكتبه لي بخطه ، وقال : ان شيخه ابا ذر قال له : ان والده قال له : لازم صحبته تسعد ، فان نظره ماوقع على أحد الا وأفلح وما رأيت في عصري نظيره ، وما حصل الي الخير الا بصحبتـه ، قال ابو ذر : وما كان أبي يبدأ في قراءة البخـاري حتى يستـأذنه تبركاً ، واول سنـة قرأت أنا الحديث بجامع حلب عرض لي في صوتي شيء بحيث ما كدت انطق ، وعجز والدي عن مـداواتي ، الى أن دخلت عليه يوماً أطلب بركته ، فوجدته يأكل كشكاً بزيت ، فأمرني بالأكل معه ، فلم تمكنني مخـالفته ، وكان الشـفاء فيه ، وأعلمت والدي بذلك ، فقال : أوما علمت ان طعامه شفاء والله ماأشك في كراماته ، ولما ورد النقيب النقي الحصني حلب زاره في زاويتـه ، وقال : ما رأيت مثله ، وكذا قيل ان شيخنا زاره وتأدب معه جـداً ، والتمس دعاءه ، وقال ابن الشماع طفت بلاد مصر والشام والحجاز ، فما وقع بصري على نظيره .

وقال ابن خطيب الناصرية : انه ما رأى مثل نفسه ، ولم يزل على وجاهته حتى مات بعد تعلله بالفالج مدة في ليلة الجمعة تاسع عشر رجب سنة ست وأربعين ، وقد قارب التسعين . رحمه الله ونفعنا به (١)

* * *

(١) ذكره في الضوء اللامع ج ١١ ص ٩٧ (ج)

ابو عدي النعمان بن وادع بن عبـــد الله بن محمد ، اخي ابي العلاء المعري ، التنوخي :

ولد بمعرة النعمان ، وتوفي بها بعد سنة ٥٥٠ هـ ، ودفن بمسجد والده أبي مسلم .

وكان من العلماء الفضلاء ، والشعراء المحسنين ، روى عنه ابن ابن عمه ابو اليسر شاكر بن عبد الله ، وأبو الفضل هبة الله بن ذكوان الكلاعي . ومن شعره قوله :

يَا أَيّها المُلّاكُ لا تَبْرَحُوا ...
الأَمْلاكَ وَارْجوهَـــا إلى قَابِل
فَالعَامَ قَدْ صَحّتْ وَلكِنَّها
لِلْعَذْلِ والمُشْرِفِ والعـــامِلِ

ومن شعره الذي رواه عنه ابو الفضل هبة الله الكلاعي بحماة :

عَبَثَ النَّسيمُ بِعطْفِهِ فَتَرَنَّحـا
نَشْوانَ مِنْ ماءِ الشَّبيبةِ ماصَحا
أَخَذَتْ لَواحِظُه القِصاصَ لِخَدّهِ
مِنّـــا فَجُرِّحَ باللّحَاظِ وَجرّحا
لَبِسَ السَّوادَ فَلَنْ تَرَى عَيْنُ امْرِىءٍ
في الخَلْقِ أَحْسَنَ مِنْهُ فيهِ وأَمْلَحا

غَـارَتْ عَلَيْهِ إذا رَأَتْهُ قُلُوبُنا

بِسوَى سُوَيْداواتِهـــا مُتَوَشِّحا

مَلَكَ القُلُوبَ مُمَلَّكٌ لَوْ أنـَّهُ

لَمَسَ الحَصَى بالكَفِّ مِنْهُ لَسَبَّحا

وقال ذكر أباه ومن فقد من أقاربه ورواها عنه أبو اليسر شاكر عبد الله :

سَقَى اللهُ قَبْراً بالمَعَرَّةِ مُفْرَداً

سَحَاباً مِنَ الغُفْرانِ لَيْسَ بِمُقْلِعِ

ثَوَى مِنْ بِلادِ اللهِ في خَيْرِ بُقْعَةٍ

وَأَوْدِعَ فِيها وَادِعٌ غَيْرَ مُودَعِ

فَتَى شَغَلَتْ أخلاقُهُ ثم خَلْقُهُ

بِها عَنْ سِوَاها كُلَّ مرأى وَمَسْمَعِ

وَحَيـا قُبُوراً بالمقيرةِ (١) التي

حَوَتْ مِنْ تَنُوخٍ كُلَّ قَرْمٍ سُمَيْدَعِ

وَخَصَّ بِهِ الشَّيْخَ النَّبِيهَ أَبَا العُلَا

أَخَا العِلْمِ رَبَّ المَجْدِ حِلْفَ التَوَرّعِ

---

(١) كذا في الاصل (ج)

وَثَانيهِ عَبْدَ اللهِ جَدِّي فَقَدْ مَضَى
كَرِيمَ الْمُحَيَّا أرْوَعاً وابْنَ أرْوَعِ
وَشَخْصَيْنِ قَدْ حَلَّا بأعْلى جُرِيْجِسٍ[1]
شَرِيفَيْنِ قَدْ حَلَّا بأشْرَفِ مَوْضِعِ
ومَسْجِد جَلْسٍ لاَ عَدَتْهُ سَحَابَةٌ
سباحل في تَهْيافِهَا فَيْضُ أدْمُعي.
فَثَمَّ زِمَامُ ابني وعَمّي ومَعْشَرٌ
عَلَيّ كِرَامٌ صرّعوا خَيْرَ مَصْرَعِ

مسجد جلس: غربي حماة براني السور ،وهو مسجد ابي عبيدة بن الجراح الصحابي ، قال ابو اليسر شاكر : وانشدني لنفسه في ابن عمه القاضي ابي محمد عبد الله بن محمد اخي ابي العلاء ، وكان توفي بمصر :

لَعَمْرُكَ مَا مَنْ مَاتَ والقَوْمُ شُهّدٌ
كآخر منّا مَاتَ وهْوَ غَرِيبُ
كأن النّوَى آلَتْ عَلَيْـــه أليّةً
بأنكَ عَبْدَ اللهِ لَيس تَؤوبُ

(١) جريجس : جبل بشَيزَر ، وأحد الشخصين الصامت: محمد بن عبد الله (ج.).

وانشدنا ايضاً :

بَلِيَتْ يَدي وَكِتَابُها   يَبْلَى وَلَكِنْ بَعدَحِين
وَكَذَاكَ يَهلكُ كُلُّ شَيءٍ غَـيْرَ رَبِّ العَـالَمِين

وانشدنا ايضاً :

عَبْدُكَ يَـا العَرْشِ فالْطُفْ بِهِ
يَاخَيْرَ مَنْ أبْلَى ومَنْ عَـافَى
مِنْ فُقَراءٍ قَدْ غَدُوا عِفَّـةً
لَا يَسألونَ النَّاسَ إلْحَـافَا
خَافَ فَلَا يَرْجُوكَ إلّا امْرُؤٌ
أمَّنَهُ عَـدْلُكَ إذْ خَافَـا

وانشد ايضاً :

مَا أحسَنَ التَّوْبَةَ إنْ عُجِّلَتْ
مِنْ تَائِبٍ والغُصْنُ غَضٌّ وَرِيقْ
فَقُلْ لِمَنْ قَدْ طَـاحَ في غَيِّهِ
لَا بُدَّ للسَّكْرانِ مِمّـا يُفِيقْ

يَتُوبُ امرا[1] كثــيراً أوْ يَعي

فَارْبَحْ هَداكَ اللهُ قُرْبَ الطّرِيقْ

وله :

يَا لَيْلَةً ذَهَبَتْ بِجِلّـــقَ عُودي

أوْلا فَيَا عَيْني عَلَيْهــا جُودِي

قَدْ حَسَّنَتْ وَجْهَ الزمَانِ فشُبِّهتْ

بالخَالِ في وَجْهِ الفَتَــاةِ الرُّودِ

وَكَأنّهــا كُحْلٌ نَدِيٌّ حُسْنُهُ

مَا بَيْنَ أجفانِ اللّيالي السُّودِ

وَافتْ إلي الشّمْسُ تَحتَ سُدُولها

تَختالُ بَيْنَ خلاخِــلٍ وَعُقودِ

بَدَرَتْ تُذَكِّرُني وَلَمْ يَكُ نَاسِياً

مِنّــا عُقُودَ مَوَاثِقٍ وَعُهُـودِ

وَتَقُولُ مَالَكَ قَدْ نَزَعْتَ عَنِ الهَوَى

وَتَبِعْتَ وَصْلاً دَائِماً بِصُدُودِ

---

(١) كذا في الاصل (ج)

ءَإلى سُلَيْمانِ رَغِبْتَ وَجُـــودِهِ

فَأَجَبْتُها لَا بَـــلْ إلى مَحْمُودِ

العَادلِ الملِكِ الكَرِيمِ الأَنْفَعِ ال..

فطِنِ الأَلَدِّ المِصْقَعِ الصِّنْدِيدِ

لَوْ وَفَتِ الأَحياءُ قَدْرَكَ حَقَّهُ

حَجُّوكَ بَيْنَ تَهَـــائِمٍ ونُجُودِ

أو[1]بعد الأموات هَبَّت فَرْحَةَ

فَهُمُ زِمَـــامٌ مِنْ بَرِىً وَلُحُودِ

سَاجَلْتَ جُودَ الغَيْثِ حَتى إنَّهُ

خَجِـــلٌ إذا ضَاهَيْتَه في الجُودِ

حَتى إذا مَسافتَه وبَدَا لَنَـــا

مِنْهُ هَدِيرُ سَخَـــائِمٍ وَحُقُودِ

شَبَّتْ حَوَاشِي مُزْنِهِ فَإِذَا بَدَتْ

لَكِنَّها لَيْسَت بِذاتِ وَقُودِ[2]

* * *

---

(١) كذا .. راجع ابن عساكر ١٧ (ج)

(٢) وذكر الميمني ص٣٢ انه رأى في الاستانةنسخة من نقائض جرير والاخطل=

لورنس باشا الحراكي (١) :

ولد في معرة النعمان سنة ١٢٥٨ هـ ونشأ في حجر والده ، وفي سنة ١٢٩٣ هـ صار نقيباً للأشراف في المعرة (٢) وفي سنة ١٣١٨ هـ وجهت عليه رتبة أمير الأمراء (مير ميران) ، وقد كان في ايامنا عميد المعرة واحد رجال الدهر دهاء وجرأة ، وقلّ من يشابهه في كرمه وحسن قراه للاضياف ، وهو الذي اسس لهذه الأسرة دعامة مجدها ، ورفع منار سؤددها ، وهو ابن السيد طاهر بن السيد بطال بن أبي بكر بن شرف الدين بن الشيخ محمد بن الشيخ صالح بن الشيخ محمد، ويرتقي نسبه الى السيد علي زين العابدين نزيل جبل حماة ، وهو ابن الشيخ عبد الله الحراكي ، وهذا قدم من المدينة الى فلسطين ، ثم نزل قرية من قرى حوران يقال لها حراك ، ونسب اليها ، ثم ارتحل الى قرية من قرى المعرة الشرقية يقال لها الفرزل (٣) وأقام بها حتى توفي سنة ٥٨٠ ه ويتصل نسبه بالحسين ابن علي بن أبي طالب .

= لأبي تمام مكتوب في آخرها . قرأته بجميعه في الحرم من سنة خمس وعشرين وخمسمائة وكتب النعمان بن وادع بن عبد الله بن مسلم .

ولا اعلم مسلماً هذا من هو والمعروف عبد الله بن سليمان فتأمل وكان وادع يكنى ابا مسلم فلعل في الكلام تحريفاً وقد ذكره ابن العديم في الانصاف وابن عساكر ج ١٧ (ج . .)

(١) ويقال لهم بنو النقيب حدثنا بذلك ولده حكمة الحراكي .

(٢) وقال السيد حكمت . ان والده قام باصلاح ذات البين بين عربان سورية والعراق .

(٣) وعن السيد حكمت : أنه قدم جدهم المذكور من حَوْران الى حِمْص ، ثم الى المعرة .

وقد نقلت ذلك من نسب لديهم مؤرخ في سنة ٨٤٣ ﻫ ، ولديهم اجازة تؤيد ذلك مؤرخة سنة ٨٩٥ ﻫ . وقد توفي لورانس باشا سنة ١٣٣٧ ﻫ ، ودفن في جنوبي المعرة .

وقد أعقب : سامي ، وحكمة ، ومختار ، ووجيه ، ومدحة ، وتوفي الأول سنة ١٣٣٨ ﻫ . ودفن في جانب أبيه .

* * *

أبو القاسم هبة الله بن كامل المعري التنوخي :

قاضي القضاة ، وداعي الدعاة ، قاضي الخليفة العاضد، وكان أحد الثمانية الذين سعوا في اعادة دولة بني عبيد ، فشنقهم صلاح الدين [1] .

* * *

أبو الوليد همام بن عامر بن أبي شهاب جد بني المهذب :

وبنو المهذب [2] أسرة عظيمة ، خرج منها كثير من العلماء ، والقراء ، والشعراء ، والمؤرخين ، وبيتهم بيت مجد قديم في المعرة ، وهم من تنوخ، وبينهم وبين أبي العلاء رحم في النسب والأدب وقد ذكرنا جملة ممن وقفنا على اسمائهم منهم ، وكان همام من النبلاء الأغنياء ، توفي سنة ٢٣٤ ﻫ ، ودفن قبلي الميدان ظاهر معرة النعمان .

* * *

---

(١) كذا في شذرات الذهب لابن العماد (ج)

(٢) ذكر ابن الوردي في تاريخه ص٢٢٥ : ان جدهم المهذب بن محمد كان بدلاً من الأبدال (ج) .

ابو غالب همام بن الفضل بن جعفر بن علي بن المهذب المعري ، التنوخي

كان من الفضلاء المبرزين في كل فن ، وكان في عصر أبي العلاء المعري وله تاريخ لم أقف عليه ، ولكن ذكره في كشف الظنون فقال : تاريخ ابن المهذب ، ثم قال : تاريخ أبي غالب همام بن جعفر المعري وهو مرتب على السنين ، ونقل عنه ابن الوردي وابن العديم وياقوت كثيراً من الحوادث ، وقد أوردنا عنه شيئاً مما وصل الينا من تاريخه مما يتعلق بحوادث المعرة [1] .

* * *

هند بنت النعمان :

كانت احسن اهل زمانها ، فوصف للحجاج حسنها ، فأنفذ اليها يخطبها ، وبذل لها مالاً جزيلاً ، وتزوج بها ، وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي الف درهم ، ودخل بها ، ثم انها انحدرت معه الى بلد ابيها المعرة ، وكانت هند فصيحة اديبة ، فأقام بها الحجاج بالمعرة مدة طويلة ، ثم ان الحجاج رحل بها الى العراق ، فأقامت معه ما شاء الله ، ثم دخل عليها في بعض الأيام ، وهي تنظر في المرآة وتقول :

وَمَا هِنْدُ إلاَّ مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ
سَلِيلَةُ أفْرَاسٍ تَحَلَّلَهَا بَغْلُ
فَإنْ وَلَدَتْ فَحْلاً فَلِلّهِ دَرُّهَا
وَإنْ وَلَدَتْ بَغْلاً فَجاءَ بِهِ البَغْلُ

فانصرف الحجاج راجعاً ، ولم يدخل عليها ، ولم تكن علمت به ، فاراد

(١) وذكره ابن عساكر في المسيب التلمنسي (ج).

الحجاج طلاقها ، فأنفذ اليها عبد الله بن طاهر ، وانفذ لها معه مائتي الف درهم ، وهي التي كانت لها عليه ، وقال : يابن طاهر طلقها بكلمتين ، ولا تزد عليها ، فدخل عبد الله بن طاهر عليها ، فقال لها : يقول لك ابو محمد الحجاج : كنت فبنت ، وهذه المائتا الف درهم التي كانت لك قبله ، فقالت : اعلم يابن طاهر انا والله كنا فما حمدنا وبنّا فما ندمنا ، وهذه المائتا(١) الف درهم التي جئت بها بشارة لك بخلاصي من كلب بني ثقيف .

ثم بعد ذلك بلغ امير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ، ووصف له جمالها ، فارسل اليها يخطبها ، فارسلت اليه كتاباً تقول فيه بعد الثناء عليه : اعلم يا أمير المؤمنين ان الاناء ولغ فيه الكلب ، فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها ، وكتب اليها يقول : اذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً إحداهن بالتراب ، فاغسلي الإناء يحل الاستعمال ، فلما قرأت كتاب أمير المؤمنين ، لم يمكنها المخالفة ، فكتبت اليه بعد الثناء عليه : يا أمير المؤمنين والله لا احل العقد إلا بشرط فان قلت ما هو الشرط ؟ قلت : أن يقود الحجاج محملي من المعرة الى بلدك التي أنت فيها ، ويكون ماشياً حافياً بحليته التي كان فيها أولاً ، فلما قرأ عبد الملك ذلك الكتاب ضحك ضحكا شديداً ، وانفذ الى الحجاج ، وأمره بذلك ، فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب وامتثل الأمر ، ولم يخالف ، وأنفذ الى هند يأمرها بالتجهز ، فتجهزت ، وسار الحجاج في موكبه ، حتى وصل المعرة بلد هند ، فركبت هند في محمل الزفاف ، وركب حولها جواريها وخدمها ، وأخذ الحجاج بزمام البعير يقوده ، ويسير بها ، فجعلت هند

---

(١) هكذا وردت بتعريف المائتين هنا ، وفيما قبله والارجح تعريف الدرهم (ج)

تتواغد عليه ، وتضحك مع الهيفاءدايتها ، ثم انها قالت للهيفاء يا داية اكشفي لي سجف المحمل ، فكشفته ، فوقع وجهها في وجه الحجـــاج ، فضحكت عليه ، فأنشد يقول :

فَإِنْ تَضْحَكِي مِنّي فَيا طُولَ لَيْلَةٍ
تَرَكْتُكِ فيهـــا كَالقِباءِ المُفَرَّجِ

فأجابته هند تقول :

وَمَا نُبَالي إذا أرْوَاحُنا سَلِمَتْ
بِما فَقَدْنَاهُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ نَشَبِ
فَالمالُ مُكْتَسَبٌ وَالعِزُّ مُرْتَجعٌ
إذا النفوسُ وَقَاهَا اللهُ مِنْ عَطَبِ

ولم تزل كذلك تضحـــك وتلعب ، الى ان قربت من بلد الخليفة ، فرمت بدينار الى الأرض ، ونادت: يا جمّال انه قد سقط منا درهم ، فارفعـــه الينا ، فنظر الحجاج الى الأرض ، فلم يجد الا ديناراً ، فقال : انما هو دينـار ، فقالت : بل هو درهم ، قال : بل دينار،فقالت : الحمد لله سقط منا درهم،فعوضنا الله ديناراً ، فخجل الحجاج ، وسكت ولم يرد جواباً ، ثم دخل بها على عبد الملك ابن مروان ، فتزوج بها ، وكان من أمرها ما كان . وقد وجدت في النسخ ماهو اوسع من هذا ، ولكن اقتصرت على القليل منه اذ فيه الغرض والله أعلم[١] .

* * *

(١) الأبشيهي : المستطرف في كل فنّ مستظرف ١ : ٦٧ .
وروى البيتين : وَمَا هِنْدُ إلا مُهْرَةٌ ..ابو عبيد عبد اللهالبكري لبنت=

القاضي الرئيس ، شرف القضاة ، ابو مسلم وادع بن عبــد الله بن محمد أخي ابي العلاء :

ولد بالمعرة سنة ٤٣١ هـ وسماه عم أبيـه ابو العلاء وادعـاً ، وكناه بأبي مسلم . ولي القضاء بالمعرة بعد ابيه ، ووليه في كَفَرْطاب ، وحماة .

وكان رجل زمانه همة وعلماً ، مشهوراً بالكرم والعطاء ، عالماً ، اديباً ،

=النعمان .. [ولم يسمها] في زوجها روح بن زنباع ، وروايته : في كتابه (التنبيه على أوهام أبي علي القالي ص ٣١) :

وَهَلْ هِنْدُ إلاّ مُهْرَةٌ عَرَبِيّةٌ
سَلِيلَةُ أفْراسٍ تَجَلَّلَها بَغْلُ
فإنْ نَتَجَتْ مُهْراً كَرِيماً فَبِالحَرى
وإنْ يَكُ إقْرافٌ فَمَا أنْجَبَ الفَحْلُ

ثم قال :وزعم الليثي ان اسمها حدة (والصواب حميدة) . وروايته : وَهَلْ أنَا إلا مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ . وذكر انها قالت له ذلك لانه اسر فافتدى ..

ورواها في (لسان العرب لهند بنت النعمان ج ١٣ ص ٦٣١) : وما هند الا ..

ونقل عن ابن بري ان الصواب « تجللها نَغْل » وهو الخسيس من الناس والدواب لان البغل لاينسل ، ورواهما (ج ١٧ ص ٣٢٣ حاشية ٤) والشطر الأخير : وإنْ يَكُ إقْرافٌ فَمِنْ قِبَلِ الفَحْلِ وعلى هذه الرواية يكون في البيت إقواء . ونسبها لهند زوجة روح .

ورواهما في (الأغاني ج ١٤ ص ١٢٥) لحميدة بنت النعمان بن بشير قالتها في احد أزواجها الفيض بن أبي عقيل الثقفي ، وقال : هكذا روى خالد بن كلثوم هذين البيتين لها وغيره يرويها لمالك بن اسماء لما تزوج الحجاج اخته هنداً .

وانا اذكر ان الحجاج تزوج هند بنت المهلب وهند بنت اسماء بن خارجة ولكن القصة طريفة وان كانت تحتاج الى مايثبتها .

وفاضلًا ، وشاعراً ، وناثراً ، وله رسائل حسنة ، وديوان شعر بديع ، ومن شعره قوله :

وَقَائِلَةٍ مَا بالُ جفنكَ [1] أرْمَدا
فَقُلْتُ وَفي الأَحشاءِ مِنْ قَوْلِها لَدْغُ
لَئِنْ سرقَتْ عَيْناهُ مِنْ لَوْنِ خَدّهِ
فَغَيْرُ بَديعٍ رُبَّما نُفض الصّبْغُ

وقوله :

وَلَمّا تَلاقَيْنا وَهَــذا بِنارِهِ
حَريقٌ وَهَذا بالدُّمُوعِ غَرِيقُ
تَقَلَّدَتِ الدّرَّ الذي فاضَ دَمْعُها
فَرَصَّعَــهُ مِنْ مُقْلَتَيَّ عَقِيقُ

وقوله :

وَقَفْنا وَقَدْ غابَ المُراقِبُ وَقْفَةً
أمِنَّا بِها أنْ يَفْتِكَ السُّخْطُ بالرِّضا
عَلَى خَلْوَةٍ لَمْ يَجْرِ فيهـا تَنَغُّصٌ
بِها عَادَ وَجْهُ اللَّيْلِ عِنْدِيَ أَبْيَضا

---

(١) روي جسمك (ج)

نُعيدُ حَــديثاً لا يُمَلُّ كَأنَّهُ

حَياةٌ أُعِيدَتْ في امْرِىءٍ بَعْدَمَاقَضَى

وفي معجم الادباء(١) : حدثني الأمير مرهف بن اسامة بحضرة والده ، قال : كتب القاضي ابو مسلم وادع المعري الى الأمير نصر في نكبة نالته :

يَانَصْرُ يابْنَ الأَكْرَمِينَ وَمَنْ

شَفَعَ التِّلادَ بِطَــارِفِ الفَخْرِ

هَـذا كِتَابٌ مِنْ أخِي ثِقَــةٍ

يَشْكُو إِلَيْــكَ نَوَائِبَ الدَّهْرِ

فَامْنُنْ بِمَـا عُوِّدْتَ مِنْ حَسَنٍ

هَــذا أوَانُ النَّفْعِ وَالضُّرِّ

فكتب اليه نصر: انه لم يحضر سوى ماهو عندك مودع، وهو ستة آلاف دينار ، فاصرفها في بعض مصالحك واعذر .

وقد روى عنه اخوه ابو المجد محمد بن عبد الله بن محمد .

وكان ابو مسلم قاضي المعرة ، والمستولي عليها ، وكانت له همة مشهورة وطريقة في اليقظة مذكورة .

وقد توفي سنة تسع وثمانين واربعمائة سنة ٤٨٩ هـ ، وله ولد واحد وهو

---

(١) ياقوت : معجم الادباء ٢ : ١٩٥ (ج)

ابو عـدي النعمان بن وادع . وذكر ابن القلانسي (١) انه توفي سنة ٤٨٦ ﻫ في آخر صفر .

* * *

الوامق المعري :

قال ابن سعيد(٢) : الوامق المعري ، له في المرقّص :

انْظُرْ إلى مَنْظَرٍ يُسْبِيكَ مَخْبَرُهُ
بِحُسْنِهِ في ٱلْبَرَايا يُضْرَبُ المَثَلُ
نارٌ تَلُوحُ مِنَ النَّارَنْجِ في شَجَرٍ
لا النَّارُ تَخْبُو وَلا الأَغْصانُ تَشْتَعِلُ

* * *

أبو المقدم (٣) وجيه بن عبد الله بن نصر (٤) التنوخي :

الأديب الفاضل الشاعر الفصيح من شعره قوله :

أَرَاني وَالبَقَاءُ لَهُ نَفَادُ
عَلَى سَفَرٍ وَلَيْسَ لَدَيَّ زَادُ

---

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق (ج) . وتجد طرفا من اخباره واشعاره في معجم الادباء ١ : ١٦٧ و ٢ : ١٩٥ ، واعـلام النبلاء ج ١ ص ٣٧٦ ، والانصاف لابن العديم ، والكامل لابن الأثير في حوادث سنة ٤٨٩ ﻫ ، وابن القلانسي ، وإنباه الرواة للقفطي ، وفيه : ان ابا سعد محمد بن احمد الشاعر المعري رثاه بقصيدة رائيـة طويلة ، ذكرها القفطي . (ج)

(٢) ابن سعيد المغربي : عنوان المرقصات والمطربات في شعراء المائة الخامسة ص ٤٦ (ج)

(٣) وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي : ابو المقدام (ج) .

(٤) ذكره ابن عساكر مرة نصر واخرى مسعر وفي النجوم وغيرها نصر (ج).

وَقَدْ بانَ الشَّبابُ الغَضُّ مِنِّي

وَجاءَ الشَّيْبُ لَيسَ لَهُ ارْتِداد

إِذَا ما الزَّرْعُ أَسْبَلَ واسْتَبانَتْ

سَنابِلُهُ فَقَــــد قَرُبَ الحَصَادُ

ولما خربت الفرنجة المعرة دخلها فتمثل بأبيات هي لمحمود بن علي بن المهنا:

هَذِهِ صاحِ بَلْدَةٌ قَدْ قَضَى اللهُ عَلَيْها كَمَا تَرَى بالخَرابِ

وقد تقدمت في ترجمة محمود ، وفي حوادث سنة ٤٩٢ هـ ، وفيها اختلاف

وتوفي وجيه في دمشق سنة ٥٠٣ هـ ، (١) ، وقد جاوز السبعين .

* * *

يحيى بن أحمد بن مسعر الكفرطابي ، شرف الدين القاضي ، ابو سالم المعري:

قال (ابن حجر) في الدرر الكامنة : كتب عنه الذهبي في معجمه قوله في فوطة شاشية :

وَمَشْمُولَةٍ رَقَّتْ وَرَاقَتْ فَأَصْبَحَتْ

عَلَى الشَّرْبِ تَزْهُو حِينَ تُجْلَى عَلَى الكَاسِ

---

(١) وفي مرآة الجنان لليافعي سنة ٥٠٤ هـ (ج)

ونجد شيئاً من اخباره واشعاره في (تاريخ دمشق)لابن عساكر ج١٦، وفي مرآة الزمان (لسبط ابن الجوزي) وفي مرآة الجنان (لليافعي) وفي النجوم الزاهرة (لابن تغري بردي) ج ٥ ص٢٠٠ (ج) .

مُعتَّقَةٌ ما شُمِّستْ بَعْدَ عَصْرِهـــا
لِإِثْمٍ وَكَمْ فيها مَنافِعَ للنّاسِ
وَلا عُصِرَتْ يَوْماً بِرِجلٍ وكَمْ لها
إذا ما أُديرَتْ مِنْ صُعودٍ إلى الرّأسِ

ومات كهلاً في سنة ٧٠٧ هـ تقريباً .

* * *

أبو الحسن يحيى بن علي بن محمد بن عبد اللطيف بن سعيد بن يحيى بن عبد اللطيف بن يحيى بن عبلة (١) بن صالح بن نعيم بن عدي بن عمرو بن الساطع التنوخي ، المعروف بابن زُرَيْق ، أخو أبي اليمن .

كان مولده في ١٨ شوال سنة ٤٤٢ هـ بالمعرة ، وكانت له عناية شديدة بالاخبار ، وكان يحفظ طرفاً صالحاً منها ، وقد جمع تاريخاً على ترتيب السنين ، ذكر فيه مبدأ دولة الترك ، وخروج الفرنجة واستيلاءهم على بلاد الشام .

وقد اجتمع بأبي العلاء ، وهو صغير ، وسمع منه بيتين من شعره .

وكان يروي الأربعين حديثاً ، التي كان يرويها محمد بن همام عن أبي هدبة عن أنس عن (٢) أبي صالح محمد بن المهذب .

وفي كشف الظنون ، تاريخ ابن زريق هو يحيى بن علي التنوخي المقري (٣) ولد سنة ٤٢٢ هـ .

* * *

(١) في اعلام النبلاء (للطباخ) عتلة (ج) .
(٢) في الإعلام : أنس ابن أبي (ج) .
(٣) كذا في الاصل وصوابه المعري (ج) .

=

يحيى بن مسعر بن محمد بن يحيى بن الفرج ، أبو زكريا التنوخي ،المعري:

سمع من أناس كثيرين ، منهم أبوه ، وروى عنه كثيرون ، منهم : أبو بكر محمد بن علي بن حميد المصيصي نزيل المعرة ، وأبو العباس أحمد وأبو الفضل جعفر ، وأبو نصر محمد بن سلامة بن حياة ، وأبو العلاء بن سليمان المعريون [1].

* * *

القاضي جمال الدين يوسف بن مظفر بن عمر الوردي ، المعري [2]

كان رحمه الله بالمحل الرفيع من الفقه والكرم مروسعة النفس وترك الحكم في آخر عمره ، وأقبل على التدريس والافتاء ، وتوفي في حلب بالطاعون في العشر الوسطى من ذي القعدة ، وقيل في أواخر ذي القعدة سنة ٧٤٩ هـ ودفن قبلي المقام فيها .

ذكره أخوه ابن الوردي في الذيل على تاريخ أبي الفداء وقال فيه .

أَخٌ [3] أَبقَى بِبَذْلِ المَالِ ذِكْراً   وإِنْ لاَمُوهُ فِيـهِ وَوَبَّخُوهُ
أَزَالَ فِراقُهُ لَذَّاتِ ذِكْرى   وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ

ولد قبل سنة ثمانين وستمائة ، وسمع المسلسل على ابن السكري ، وكان

= وقد ذكره ابن عساكر (في تاريخ دمشق) ج ١٨. واحمد بن محمد بن عمر المقدسي المشهور بابن عدسة في الجزء الرابع من تاريخ دول الاعيان شرح قصيدة نظم الجمان وإعلام النبلاء (للطباخ) ٣ : سنة ٢٢٤ .

وانظر عنه في هدية العارفين للبغدادي ٢ : ٥١٩

(١) ابن عساكر تاريخ دمشق من مخطوطات الظاهرية ج ١٨

(٢) في الدرر الكامنة : ابن عمر بن أبي الفوارس محمد المعري، وهو اخو زين الدين، وهو الاكبر (ج)

(٣) في الدرر الكامنة (لابن حجر) : اخي ابقى (ج).

ماهراً فقيهاً حفظ التنبيه ، واشتغل بالحاوي ، وكان ينقل من الرافعي الكبير مع فقه نفس ، وجود يد ، ولي قضاء بلاد من معاملات حلب ، وكان ضعيفاً في العربية ، طويل القامة ، ولأخيه زين الدين فيه عدة مقطعات من مديح ومعاتبة وغير ذلك (١) .

* * *

السيد الحاج يوسف بن السيد نزار :

خرج من العراق في اواخر القرن التاسع للهجرة في ايام السلطان سليمان حين ضيق على العباسيين واضطروا الى الاختفاء هرباً منه ، وقد اختفى المترجَم في قرية من قرى جبل الزاوية ، من اعمال ادلب الآن يقال لها مرعيان ، وهي مملوكة له بالارث عن آبائه ، وقد ولد له السيد احمد ، وبلغ فيها سن الشيخوخة ، ثم رحل الى المعرة مع اولاده ، واهل بيته في ايام السلطان محمود ، وكانت المعرة اذ ذاك خاوية على عروشها ليس فيها من السكان احد ، ولا من المساكن والاماكن الا الجامع الكبير والخان الذي بناه مراد جلبي شرقي المدينة .

وقد ولد للسيد يوسف المذكور في المعرة السيد احمد ، وهذا ولد له في المعرة السيد يوسف والسيد خالد ، اما الاول فهو صاحب البيت في المعرة الذي ينتسب اليه اليوسفيون فيها ، وقد كان مثرياً كبيراً ، وله وقف عظيم في المعرة وحماة ، ينفق ريعه على ذريته ، وله دار قوراء ، تشتمل على اماكن عظيمة ، وهي غاية في المتانة ، والمنعة ، يشبه بناؤها بناء الحصون والبروج ، وفيها مربط للخيول يستوعب عدداً كبيراً فيه مدخر للعلف ، ومستودع عظيم للسروج ، وله

---

(١) وتجد ترجمته في الدرر الكامنة لابن حجر ، وفي اعلام النبلاء (للطباخ) وفي ذيل اخيه على تاريخ ابي الفداء .

مصيف واسع وتحته مغارة واسعة ، وبجانب الدار الجنوبي الشرقي مسجد دفن فيه المترجَم وقد ذكرتها فيما سبق[1] ، وذكرت انها قسمت الى دور متعددة يقيم فيها فريق من ذريته الكثيري العدد ، وبذلك فقدت عظمتها ونضرتها ، واسرع اليها الخراب ، وقد ولد له اثنا عشر ولداً ذكراً وست اناث ، منهم : السيد عبد الرحمن ، وامه بريطانية من سراري السلطان محمود ، وكان عبد الرحمن هذا مولعاً بلباس بدنه ، فقد قيل انه كان يلبس في كل يوم ثوباً لايعود اليه بعد.

وولد لعبد الرحمن تسعة ذكور وانثى واحدة ، ثم نمت فروعه ، حتى بلغت ذريته في سنه ١٣٣٥ هـ نحو اربعة وسبعين ذكراً وستوسبعين انثى . اهـ، ملخصاً من ترجمة مطولة بعثها الي ابن خالتي الشيخ عثمان اليوسفي المعري ، ولا تخلو من سهو وتضارب .

وقد تقدم انهم ينسبون الى العباس عم النبي (ص)

ومن أولاد عبد الرحمن الحاج يوسف ، وهذا ولد له اربعة اولاد : قائد، وشاكر ، واسماعيل ، ومحمد ، ومحمد هذا ولد له عبد الحسيب ، وعثمان ، وهما ابنا خالتي . وولد لعثمان عدنان .

ومن اولاد عبد الرحمن محمد الحجي ، وهذا ولد له ثلاثة اولاد المؤيد والكنج ، وشريف ، وولد لشريف محمد ، واحمد ، وعباس ، وهم اخوالي وست بنات احداهن والدتي نظيرة ، وولد لمحمد بن شريف ثلاثة اولاد : شفيق ، ومختار . وكمال ، وولد لأخيه أحمد اولاد : بهجة ، وشريف، ونجم الدين. ومن اولاد عبد الرحمن : عمر ، وهذا ولد له ، عبدو ، ومحمد ، وبنات احداهن فاطمة جدتي ام والدتي .

* * *

(١) تاريخ المعرة ١ : ٤٠٨ - ٤١٣

ـ بن أبي بكر المدعو سيفا، ابن عمر بن سيف بن يوسف بن سيف بن
ـ بن سيف بن عبد الرحمن الجمال المعري الأصل ، الحموي ، الشافعي ،
ف بابن سيف :

ولد سنة ٧٩١ هـ تقريباً بمعرة النعمان ، وقرأ بها القرآن ، ورحل الى
ة بعد أن أقام بحماة يسيراً ، في سنة أربع (١) ، فرأى البلقيني ، وحضر
ه ، وسمع من الصدر الالشيطي ، وغيره ، وتفقه بالبدر الطنبدي ، وقرأ
ض على الشمس العراقي والنحو على الشمس الشطنوفي، ولازم العز ابن جماعة،
فيها الى سنة إحدى وعشرين ، فعاد الى حماة وقطنها ، وكتب بها التوقيع
كتّاب سرها ، ثم ترك ، وحج ، وانتفع به كثير من الطلبة ، ومنهم العلاء
لدنيف ، ومات بحماة سنة ٨٥٧ هـ أو سنة ٨٥٨ هـ (٢) ، وله شعر ،
قوله :

وَطَالِبٍ قَالَ لي تَنْبيهُ بَهْجَتِهِ
فَهَلْ لِحُسْنِيَ في ذا العَصْرِ مِنْ هَاجِ
فَقُلْتُ كَلّا وَلافيكَ الخِلافُ إذاً
يا حَاوِيَ الحُسْنِ مَدْحِي فيكَ مِنهاجي

وقد أشار الى كتب من كتب الفقه وهو التنبيه والبهجة والحاوي والمنهاج.

★ ★ ★

١) أي ٨٠٤ هـ .
٢) ونجد ترجمته في الضوء اللامع (للسخاوي) ج ١٠ ص ٣٠٥ (ج) .

تراجم طائفة ممّن عرفوا بألقابهم أو كناهم أو أسماء آبائهم (١)

ابو بكر ابن عمر بن المظفر بن عثمان بن أبي الفوارس المعري ثم الحلبي :

شرف الدين ابن الشيخ زين الدين ، قال القاضي علاء الدين في تاريخه : كان كثير الهجاء ، ويستحضر كثيراً من تراجم الحلبيين (وماجرياتهم) مع حسن المنادمة ، وطيب المحاضرة ، واطراح التكلف في المأكل والملبس ، وتفقه بأبيه وعمه ، وتعانى الأدب ، وباشر تدريس البهائية بدمشق ، وناب في الحكم ، ونظم ، ومات في ربيع الأول سنة ٧٨٧ هـ بحلب (٢) . وتقدم له ذكر في ترجمة الكمال المعري .

* * *

ابو بكر ابن محمد بن ابي بكر بن نصر بن عمر الشرف الحيشي الاصل ، الحلبي ، الشافعي ، البسطامي ، المعروف بابن الحيشي :

ولد سنة ٨٤٨ هـ في مستهل جمادى الاولى بحلب ، ونشأ بها فلازم اباه في التسلك ، وقرأ ، وسمع على ابي ذر بن البرهان الحافظ ، وتدرب به في كثير من المبهات ، والغريب ، والرجال ، وتفقه به وسمع على الشمس محمد البابي

(١) قال المؤلف : وقد عثرنا على طائفة من رجال المعرة لم نقف الا على القابهم ، او كناهم ، او اسماء آبائهم ، فاثبتنا ماعثرنا عليه الى أن يرشدنا البحث الى اسمائهم .

(٢) وتجد ترجمته في اعلام النبلاء (للطباخ) ج ٥ ص ٩٣ .

وابي عبد الله بن القيم وابراهيم الضعيف ، والعلاء ابن السيد عفيف الدين وغيرهم واجازه ابن حجر ، والعلم البلقيني والزين عبد الرحمن بن داود ، وآخرون ممن أخذ عنهم الفقة والحديث ، وخلف والده في المشيخة بحلب ، وكانت له وجاهه .

وزار بيت المقدس ، ومكة ، ولقي بها السخاوي سنة ٨٨٦هـ والتي بعدها فلازمه وأخذ عنه اشياء من مروياته ومصنفاته ، واجازه .

وقد ترجمه في الضوء اللامع ، وقال فيه : نعم الرجال أدبا ، وفهما ، وسمتا وتواضعا ، واشتغالا بنفسه ، واقبالا على الخير ، وتقنعا ، وعفة .

* * *

ابو بكر ابن محمود قاضي القضاة ، تقي الدين المعري ، الحموي ، ثم الحلبي الشهير بابن المعري :

كان في الدولة الجركسية قاضياً بحماة ، ثم تحاشى عن منصب القضاء ، واختار العزلة ، فبقي بها الى ان قامت الدولة العثمانية ، فهاجر الى حلب ، وأقام بها على حشمته ، ورياسته ، وأبهته ، وكان لا يخرج من منزله بسويقة حاتم الا للصلاة بالجامع الاعظم ، وكان اذا جاء لصلاة عيد ، او جمعة ، جاء هو وولده قاضي القضاة نور الدين ، والمقر البدري بدر الدين ، ومن معهم من الاتباع على اسلوب الاكابر في المسير ، فكان يتقدم هو ، ثم يتلوه ولده الاول ، ثم الثاني ، ثم الاتباع ، ويجلسون على السجادات على هذا الترتيب ، وكان بعض اعدائهم يقول عند اجتماعهم : انظروا هـذا اقضى القضاة ، وذلك قاضي القضاة ، وذلك شيخ الاسلام ، وهذا القول مبني على الفرق الذي كان في الدولة الجركسية . اهـ ملخصاً من إعلام النبلاء [1] ، وقد ذكرنا ترجمة ولده بمحمود بن أبي بكر نور الدين .

* * *

(١) وتجد ترجمته في الكواكب السائرة ج ١ ص ١١٨ (ج)

ابو الحسين ابن علي بن الفضل بن جعفر بن علي بن المهذب التنوخي المعري :

كان رحمه الله من القراء المجودين، والشعراء المجيدين، قرأ القرآن للسبعة، وليعقوب الحضرمي، وابي جعفر، وشيبة، ثماني وعشرين رواية، ولقي شيوخ القراء بحلب، وغيرها، وقرأ عليه خلق كثير، وكان مفسراً خطيباً، وتوفي في المعرة سنة ٤٥٥ هـ .

* * *

ابن دريد المعري :

كان شاعراً أديباً، وقد اورد له في نفحات الأزهار هذين البيتين يخاطب بهما رجلا اودع بعض القضاة مالاً، فادعى القاضي ضياعه وهما :

إنْ قَالَ قَدْ ضَاعَتْ فَصَدِّقْ إنّها
ضَاعَتْ وَلَكِنْ مِنْكَ يَعْنِي لَوْ تَعي
أوْ قَالَ قَدْ وَقَعَتْ فَصَدِّقْ إنّها
وَقَعَتْ وَلَكِنْ مِنْهُ أحْسنَ مَوْقِعِ

وليس ببعيد ان يكون هذا ابن الدويدة الذي سبقت ترجمته، فاصبح بعد تحريف النساخ ابن دريد، لأن الروح الشاعرية فيهما متقاربة جداً كما يظهر للمتأمل، وقد رواهما بتحريف قليل مع زيادة بيت ثالث صاحب[2] غرر الخصائص ونسبها الى ابن الدويرة، كما تقدم ذلك في ترجمة احمد بن محمد بن الدويرة .

* * *

(١) ابن الوردي : التاريخ ١ : ٣٧٠ (ج).

(٢) هو جمال الدين محمد بن ابراهيم الانصاري الكتبي الوراق المعروف بالوطواط ولد سنة ٦٣٢ – ٧١٨ هـ .

أم سلمة بنت الحسن بن اسحق بن بلبل :

وهي جدة ابي العلاء احمد بن عبد الله التنوخي المعري، وقد اخذ الحديث عنها ابو العلاء .

* * *

أبو طالب المعري :

اورد له في دمية القصر(١) هذه الأبيات :

ضَنَّ الزَّمَانُ بِنِيَّةِ الإِخْلاصِ
عَنِّي وَجَــادَ بِوُدِّهِ الْمُتَعَاصِي
مَا سَرَّ يَوْمٌ مِنْـهُ إِلاَّ سَاءَنِي
غَدُهُ وَأَيَّامِي جُرُوحُ قِصَاصِ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ كُلَّ بَلاغَةٍ
جَمَحَتْ تُطَاوِعُنِي وَحَظِّي عَاصِ
وَالطَّيْرُ أَجْنَاسٌ تَطِيرُ وَإِنَّمَــا
لِلْغَاتِهِنَّ حُبِسْنَ فِي الأَقْفَــاصِ

* * *

---

(١) علي بن الحسن الباخرزي : دمية القصر وعصرة أهل العصر ٦٤ (ج) .

الشيخ علاء الدين ابن الوردي :

ذكر الطباخ[1] : إن الشيخ علاء الدين كان سكن المدرسة الصاحبية في حلب بعد تيمور ، وكان يقرىء بها الحاوي ، والناس يترددون اليه .

* * *

ابن عوض المعري :

ذكره ابن سعيد في المرقص[2] :

فَإنْ نُحِتُ في أفْنَان وَجْدي يَحِقُّ لي

فَإنّي بِمَــا أوْلَيْتُمُوني مُطَوّقُ

* * *

أبو الفضل ابن أبي الحسين بن محمـد المعري :

ذكره ابن العديم ، فيمن روى حديثاً وقع اليه عن أبي العـلاء المعري عن أبيه .

* * *

أبو القاسم المقرىء ، الشاعر ، المعري :

قال الذهبي: إنه حضر مجلس أبي العلاء ، فاقترح عليه أن يقرأ شيئاً ، فتلا قوله تعالى ﴿من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾، فلما فرغ أبو العلاء من درسه هنأ الرجل على صلابته في أمر الدين وزوده ببيتين وهما :

(١) راغب الطباخ : إعلام النبلاء ٤ : ٣٩٢ (ج) .

(٢) ابن سعيد : عنوان المرقصات والمطربات في شعراء المائة السـابعة ص ٥٥ (ج) .

هَذَا أبُو القَاسِمِ أعْجُوبَةٌ لِكُلِّ مَنْ يَدْرِي ولا يَدْرِي
لا يَنْظِمُ الشِّعْرَ ولا يَحْفَظُ .. القُرآنَ وَهُوَ الشَّاعِرُ المُقْرِي(١)

* * *

أبو يزيد ابن أحمد المعري الكفرورومي ، ثم الأدلبي ، الشافعي ، الصوفي :

مريد سيدي علوان الحموي ، كان صالحاً حسن الصمت متديناً ، لا عوج في دينه ولا أمت ، متحاشياً عن الدنيا الدنية ، فاضلا في العلوم الدينية ، لازم شيخه هذا من صغره ، وانتفع به في الطريق في كبره ، وتفقه في بعض مؤلفاته على ولده سيدي محمد ، ورحل الى مصر فأخذ بها الحديث على الشيخ المعتمد السيد الشريف جمال الدين يوسف المصري . توفي في القرن العاشر (٢)

* * *

---

(١) وأورد ياقوت هذين البيتين ج ١ : ص ١٧٦ (ج) . ونجد ذكره في الميمني ص ١٩١ (ج) .

(٢) الطباخ : اعلام النبلاء عن در الحبب ٥ : ٥٠٠ (ج) .

أبو الحسن سليمان بن احمد بن سلمان بن داود بن المطهر

ولي قضاء المعرة سنة ٢٩٠ هـ .

محمد بن سليمان بن أحمد بن سلمان بن داود بن المطهر

قيل : ولي القضاء سنة ٢٩٠ هـ .

أبو الحسن سلمان بن محمد بن سلمان بن داود بن المطهر

ولي القضاء بعد موت أبيه سنة ١٣٣ هـ .

أبو القاسم علي بن محمد بن كاس النخعي الحنفي ،

قاضي المعرة ، روى عنه أبو الحسن المذكور .

أبو عمرو عثمان بن عبد الله بن ابراهيم بن محمد الطرسوسي

ولي القضاء بعد أبي الحسن ، وقد روى الحديث عنه أبو العلاء .

أبو سعيد الحسن بن اسحاق بن بلبل المعري

عبد الله بن محمد أخي أبي العلاء

ولي القضاء سنة ٤٤٣ هـ بعد عزل ابن ابي حصين .

علي بن محمد أخي أبي العلاء

أبو مسلم وادع بن عبد الله بن محمد أخي أبي العلاء

ولي القضاء بعد أبيه .

مجد القضاة أبو المجد محمد بن عبد الله بن محمد، أخي أبي العلاء

وليها نيابة عن أخيه وادع ، ثم استقلالاً ، الى أن هجم الفرنج على المعرة سنة ٤٩٢ هـ .

أبو المرشد سليمان بن علي بن محمد بن عبدالله ابن ابن أخي أبي العلاء

أبو المشكور صالح بن أحمد بن مدرك بن علي بن محمد

ابراهيم الحصني

ولي قضاء المعرة سنة ٥٩٦ هـ ، وحادثته مع نور الدين في شهادة أهل المعرة ، توفي سنة ٦١٥ هـ .

قوام الدين أبو العلاء المفضل بن السلطان ، المعروف بابن حادور الحموي

ولي قضاء المعرة سنة ٦٤٦ هـ ، ثم عزل عنها .

موفق الدين أبو القاسم الكردي الحميدي

ولي قضاء المعرة سنة ٦٤٦ هـ .

أمين الجندي مفتي المعرة ثم دمشق

ولي قضاء المعرة ١٢٥٣ هـ .

حسين العلواني

تولى قضاء المعرة سنة ١٢٦٧ هـ .

وبعده محمد بن عبد الله العلواني :

ابراهيم الصوفي

ولي قضاء المعرة سنة ١٣١٠ هـ .

ولاة المعرة

النعمان بن بشير ، كان والياً على حمص في ايام معاوية الكبير والصغير

وفي سنة ٣٢٦ هـ قلد الراضي محمد بن رائق امير الامراء ببغداد جند قنسرين والعواصم .

وفي سنة ٢٨٨ هـ حفر لؤلؤ والي المعرة غلام وصيف امير حمص خندقاً على المعرة .

وفي سنة ٣٢٥ هـ كان والي المعرة معاذ بن سعيد ، من قبل الاخشيد .

وفي سنة ٣٣٢ هـ ولي ناصر الدولة ابن حمدان على اعمال ابن رائق كلها .

وفي سنة ٣٣٨ هـ استعمل ناصر الدولة ابن حمدان محمد بن علي بن مقاتل على قنسرين والعواصم وحمص ، ثم استعمل ابن عمه الحسين بن سعيد بن حمدان على ذلك .

حوادث متفرقة تتعلق بالمعرة

وفي سنة ٣٣٣ هـ استولى سيف الدولة على حلب ودمشق .

شبيب بن جرير العقيلي من قوم كانوا من القرامطة ، وكانوا مع سيف الدولة ، وولي شبيب معرة النعمان دهراً طويلاً .

وفي سنة ٣٦٦ هـ ملك ابو المعالي سعد الدولة المعرة ، وأخذ غلاماً كان غلب عليها ، يقال له : زهر ، فقتله .

وفي سنة ٤٤٠ هـ كتب سيف الدولة مقلد بن كامل بن مرداس الكلابي الى واليه بالمعرة ابي خليقة ابن جهان ان يخرب سورها ، ويهدمه كله .

الشريف سعد بن زيد شريف مكة ولي المعرة سنة ١٢٠١ هـ

وفي ترجمة ابي المعافى سالم بن عبد الجبار . ان المعرة لشرف الدولة مسلم بن قريش نحو سنة ٥١٢ هـ فما قبلها .

مآخذ تاريخ معرة النعمان

[بقلم المؤلف]

(أ)

آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني زكريا بن محمد المتوفى سنة ٦٨٢ هـ ، وهو عجائب البلدان .

أبو العلاء وما اليه — لعبد العزيز الميمني الراجكوتي

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم لمحمد بن أحمد البناء المقدسي سنة ٣٨٠ ﻫ

الأخبار الطوال — لأبي حنيفة الدينوري

الأربعين — لفخر الدين الرازي

إرشاد الأريب الى معرفة الأديب [معجم الأدباء] لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي سنة ٦٢٦ ﻫ .

أسد الغابة — لابن الأثير

الإصابة في أسماء الصحابة لأحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني سنة ٨٥٢ ﻫ .

إعلام النبلاء (بتاريخ حلب الشهباء) — للشيخ راغب الطباخ

الأغاني — لأبي الفرج الأصبهاني

الامتاع والمؤانسة — لأبي حيان التوحيدي

إنباه الرواة على انباه النحاة للقفطي علي بن يوسف الشيباني سنة ٦٤٦ هـ

الأنساب للسمعاني أبي سعد عبد الكريم بن محمد التميمي سنة ٥٦٢ هـ

الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري لابن العديم عمر بن أحمد بن أبي جرادة سنة ٦٦٠ هـ

(ب)

بدائع البدائه [لابن ظاهر الازدي]

البداية والنهاية لابن كثير اسماعيل بن عمر سنة ٧٧٤ هـ

البستان الجامع

بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم عمر

بغية الوعاة في طبقات النحاة لعبد الرحمن السيوطي سنة ٩١١ هـ

(ت)

تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد بن محمد مرتضى الزبيدي الحسيني سنة ١١٨٩ هـ

تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام للذهبي محمد بن احمد سنة ٧٤٨ هـ

تاريخ دول الاسلام للذهبي

تاريخ دول الاعيان شرح قصيدة نظم الجمان

تاريخ سلاطين مصر والشام لمغلطاي

تاريخ مدينة السلام المشهور بتاريخ بغداد لأحمد بن علي الشهير بالخطيب البغدادي سنة ٤٦٣ هـ

تاريخ دمشق لابن عساكر

تتمة المختصر في اخبار البشر لابن الوردي عمر بن المظفر المعري سنة ٧٤٩ هـ

تتمة اليتيمة للثعالبي عبد الملك

تحفة الانباء في تاريخ حلب الشهباء للدكتور بيشوف الجرماني

تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار رحلة ابن بطوطة محمد ابن عبد الله اللواتي الطنجي المتوفى سنة ٧٧٠ ﻫ ورحلته سنة ٧٢٥ ﻫ

تذهيب (التهذيب) الكمال (في اسماء الرجال للذهبي)

تهذيب الاسماء واللغات للنواوي

تقويم البلد لأبي الفداء الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل صاحب حماة سنة ٧٣٢ ﻫ

(ث)

ثمرات الاوراق لابن حجة تقي الدين بن علي الحموي سنة ٨٣٨ ﻫ

(ح)

الحديقة الوردية في حقائق اجلاء النقشبندية لمحمد الخاني

حلية البشر (في تاريخ القرن الثالث عشر) لعبد الرزاق البيطار

(خ)

خاص الخاص لعبد الملك الثعالبي

خزانة الادب لابن حجة الحموي

خزانة الادب للبغدادي

خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر لمحمد المحبي

(د)

دائرة المعارف لبطرس البستاني

الدارس [في تاريخ المدارس] للنعيمي

الدرر الكامنة [لابن حجر العسقلاني]

الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب لابن الشحنة

دمية القصر وعصرة اهل العصر ذيل يتيمة الدهر لعلي بن الحسن الباخرزي سنة ٤٦٧ ﻫ

ديوان ابن الوردي

(ذ)

ذكرى ابي العلاء لطه حسين

ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ابي يعلى حمزة بن أسد التميمي

(ر)

رحلة ابن جبير محمد بن أحمد الكناني الاندلسي المتوفى سنة ٦١٤ﻫ واول رحلته سنة ٥٧٨ ﻫ

رسالة الغفران لابي العلاء المعري

رسالة الملائكة لابي العلاء المعري

الروض الأنف للسهيلي

الروضتين في اخبار الدولتين لعبد الرحمن المقدسي

(س)

سر الفصاحة للخفاجي عبد الله بن محمد بن سعيد سنة ٤٦٦ هـ .
سفرنامة لناصر بن خسرو بن حارث شاعر فارسي رحلته الى مكة سنة ٤٥٣ هـ
سلك الدرر في اعيان القرن الحادي عشر للمرادي
سقط الزند لابي العلاء المعري

(ش)

شرح سقط الزند	للتبريزي
» » »	للبطليوسي
» » »	للخوارزمي
» » »	للخولي
» » »	للشيخ الدرا

شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد بن العماد العمادي سنة ١٠٨٩ هـ

شرح ديوان المتنبي للعكبري
شرح مقامات الحريري للشريشي

(ص)

صبح الاعشى في قوانين الانشا للقلقشندي أحمد بن علي سنة ٨٢١ هـ
الصبح المنبي عن حيثية المتنبي للبديعي الدمشقي يوسف سنة ١٠٧٣ هـ

(ض)

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي

(ط)

طبقات الشافعية الكبرى لعبد الوهاب بن علي السبكي سنة ٧٧١ هـ
طبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة

(ع)

العبر وديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر لعبدالرحمن ابن محمد بن خلدون

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان : تاريخ العيني لمحمود بن أحمد العينتابي البدر العيني سنة ٨٥٥ هـ

عنوان المرقصات والمطربات [لابن سعيد المغربي]

عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة أحمد بن القاسم الخزرجي سنة ٦٦٨ هـ

(غ)

الغيث المسجم شرح لامية العجم للصفدي صلاح الدين خليل سنة ٧٦٤ هـ

(ف)

فتوح البلدان — للبلاذري احمد بن يحيى سنة ٢٧٩ هـ
فتوح الشام — للواقدي
الفصول والغايات — لأبي العلاء المعري
الفهرسة — لمحمد بن خير الأشبيلي سنة ٥٧٥ هـ
فوات الوفيات — لابن شاكر محمد بن أحمد الداراني الدمشقي سنة ٧٦٤ هـ

(ك)

الـكامل في التاريخ او تاريخ الـكامل لابن الأثير علي بن محمد الشيباني الجزري سنة ٦٣٠ هـ .

الكواكب السائرة [للغزي]

كشف الظنون لحاجي خليفة

(ل)

لسان الميزان مختصر ميزان الاعتدال لابن حجر العسقلاني احمد بن علي سنة ٨٥٢ هـ

(م)

مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق

مجلة العاديات [بحلب]

المحاسن والمساوىء للبيهقي

المختصر في أخبار البشر لابي الفداء اسماعيل بن عبد الملك المؤيد ملك حماة سنة ٧٣٢ هـ

مرآة الجنان وعبرة اليقظان .. لعبد الله بن أسعد اليافعي اليمني المكي سنة ٧٦٨ هـ

مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ليوسف قزأوغلي سبط ابن الجوزي سنة ٧٤٩ هـ

مسالك الابصار في ممالك الامصار لأحمد بن يحيى بن فضل الله العمري سنة ٧٤٩ هـ

المسالك والممالك	لابن خرداذبة
المستطرف في كل فن مستظرف	للأبشيهي المحلي محمد بن احمد
المشترك	لياقوت الحموي
معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص لعبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي سنة ٥٦٣ هـ
معجم البلدان	لياقوت الحموي
معجم ما استعجم	للبكري
المنتظم في أخبار الأمم لابن الجوزي عبد الرحمن بن علي سنة ٥٩٧ هـ

(ن)

نثار الازهار في الليل والنهار	لابن منظور
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ليوسف بن تغزي بردي سنة ٨٧٤هـ
نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشيخ الربوة شمس الدين محمد الانصاري الدمشقي
نزهة الالباء في طبقات الادباء لابن الانباري عبد الرحمن بن محمد سنة ٥٧٧هـ
نزهة الجليس ومنية الانيس للعباس بن علي بن نور الدين الموسوي من رجال القرن الثاني عشر
نكت الهميان في نكت العميان	للصفدي خليل بن ايبك سنة ٧٦٤هـ .
نهاية الارب [في معرفة قبائل العرب]	للقلقشندي
نهاية الارب [في فنون الادب]	، للنويري
نهر الذهب [في تاريخ حلب]	كامل الغزي
النور السافر عن أخبار القرن العاشر للعيدروسي عبد القادر بن عبد الله ليمني سنة ١٠٣٨ هـ

(هـ)

هدية الأمم

(و)

الوافي بالوفيات خليل بن أيبك الصفدي سنة ٧٦٤ هـ

وفيات الأعيان في انباءابناءالزمان لابن خلكان احمد بن محمد البرمكي الاربلي سنة ٦٨١ هـ .

(ي)

يتيمة الدهر للثعالبي

★ ★ ★

فهرس الرجال والنساء

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ص)

(غ)

(ه)

(و)

(ي)

فهرس الكتب والمجلات والجرائد

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ن)

(ه)

(و)

(ي)

فهرس الدول والشعوب
والقبائل والاسر والمذاهب

فهرس البلدان والامكنة

(أ)

(ت)

(ث)

(ح)

(خ)

(د)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

١٥٣، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩،
١٦٠، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥،
١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠،
١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦،
١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢،
١٨٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٢،
١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٨، ١٩٩،
٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥،
٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠،
٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦،
٢١٧، ٢١٨، ٢٢١، ٢٣٦، ٢٣٧،
٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢،
٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٨،
٢٥٠، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩،
٢٦٠، ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩،
٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥،
٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١،
٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٦،
٢٩٨، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١،
٣١٢، ٣١٣، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٠،
٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٨،
٣٢٩، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٣٨،
٣٤٠، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٦، ٣٤٧،

٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٦٠،
٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٧٥،
٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨٣،
٣٨٦، ٣٨٨، ٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٤،
٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤٠٦،
٤٠٨، ٤١٠، ٤١٣، ٤١٥، ٤١٦،
٤١٧، ٤٢١، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦،
٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢،
٤٤٥، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢،
٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٥٩،
٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥،
٤٦٩، ٢: ٥، ١٤، ٢٠، ٢٣، ٣١،
٣٣، ٣٤، ٣٨، ٥٠، ٥٤، ٥٥، ٥٦،
٥٨، ٥٩؛ ٦١، ٦٣، ٦٦، ٦٧، ٦٩،
٧٥، ٧٦، ٨٣، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨،
٨٩، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٩، ١٠٤،
١٠٨، ١٠٩، ١٣١، ١٣٢، ١٤٠،
١٤١، ١٤٢، ١٤٨، ١٥٠،
١٥١، ١٥٦، ١٦١، ١٦٣،
١٦٤، ١٦٥، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨،
١٩٠، ١٩١، ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٣،
٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩،
٢١٠، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٣،

(ن)

١٩٩٤/١٢/٢ط١٠٠٠